

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثالث والاربعين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٦ رجب سنة ١٣٣١

دولة الروس

بطرس الاكبر

كان بطرس الاكبر في حداثتهِ مغرماً بالآلات الحربية كالسيوف والبنادق فكان يتمرَّن على استعمالها دواماً . وتعلَّم القراءة والكتابة وطالع تاريخ ابيهِ وتاريخ القيصر ايڤان الرهيب وكانا مكتوبين على اسلوب يظهر بهِ ذانك القيصران ابسل الملوك وافتكهم بالاعداء واصبرهم على الشدائد وارأفهم بالرعايا . وكرَّر قراءة التاريخين حتى رسخت حوادثهما في ذهنهِ وشبَّ مغرماً بطلاب المعالي والسعي الى ما يرفع شأنهُ وشأن بلادهِ . وتعلَّم ايضاً اللاتينية والالمانية والهولندية وطالع كتباً كثيرة . وكان يشكو بعد ذلك من انهُ لم يدرس درساً قانونيًّا . ولعلَّ عدم تقيدهِ بالدروس القانونية هو الذي حرَّر ذهنهُ وجعلهُ يعتمد على نفسهِ

وعاشر كل طبقات الناس ولاسيما اهل الطبقة السمحاء التي لا تتعصَّب للقديم. وتعرَّف بالذين قصدوا روسيا من سويسرا وانكلترا والمانيا فحوَّلوا نظرهُ الى حسنات التمدُّن الاوربي . والتفَّ عليهِ كثيرون من اهل القصوف الذين يميلون الى الازياء الاوربية فنظم منهم جيشاً صغيراً على نمط الجيوش الاوربية . وكان هذا الجيش النواة التي تألَّف منها الجيش الروسي المنظم بعدئذٍ . وتعلَّم مبادئ الهندسة وانشاء الحصون وانشأ حصوناً صغيرة وكان يحميها ويهاجمها بجنودهِ وكثيراً ما كانت تنشب بينهم حروب كالحروب الحقيقية فيجرح فيها بعضهم او يقتلون وكان يصيبهُ ما يصيب جنودهُ لانهُ لم يكن اقل تعرُّضاً للمخاطر منهم

وهذه الاعمال وامثالها علَّقت قلوب الناس بهِ حتى لما ارادت اختهُ ان تغتالهُ التفَّ الجند حولهُ ونصروهُ عليها وقبضوا على اعوانها وقتلوهم شر قتلة بعد ان اذاقوهم مرَّ العذاب . وكان الروس في تعذيب بعضهم بعضاً وحوشاً كاسرة بل شرًّا من الوحوش فيخلعون مفاصل

من يريدون تعذيبهُ ويقطعون يديهِ ورجليهِ ثم يقطعون رأسهُ او يسلخون جلدهُ وهو حي او يخوزقونهُ او يحرقونهُ وهلمَّ جرًّا من انواع العذاب

ورأى ذات يوم قاربًا من القوارب التي جلبها عمهُ من انكلترا فاعجب بهِ وقال لهُ تمرمن (وهو رجل الماني من حاشيتهِ) ان هذا القارب انكليزي واذا وضع لهُ قلع سار مع الريح وضدها على حدٍّ سوى. فجعل يبحث عن رجل يعلمهُ كيف يقلع بهِ فاتاهُ تمرمن برجل هولندي صنع لهُ قاربًا مثلهُ وعلمهُ كيف يستعملهُ ولكن بلاد الروس لم تكن تتاخم البحر حينئذٍ الاَّ من الجهة الشمالية فقام سنة ١٦٩٣ باكثر من مئة رجل من حاشيتهِ وقصد مدينة اركنجل وهي فرضة بحرية على البحر الابيض المتفرع من الاوقيانوس الشمالي حتى اذا بلغها خالط التجار الذين رآهم فيها وآكلهم وكان الفصل فصل الصيف حينما يذوب الجليد من ذلك البحر وتقصدهُ سفن التجار. وانشأ هناك حوضًا لبناء السفن وبنى فيهِ اول سفينة روسية بنيت في بلاد الروس. وركب ذات يوم سفينة وسار فيها في عرض البحر خمسة ايام. وعاد الى اركنجل في الصيف التالي وركب سفينة هولندية ليعبر بها البحر الابيض الى دير سلوفتسكي المقابل لاركنجل من الجهة الغربية وكان البحر هائجًا جدًّا فاشرفت السفينة على الغرق ولما قطع الامل من النجاة اعترف وتناول استعدادًا للموت. كل ذلك والدفة في يدهِ لا يتركها حتى اذا يئس الربان من سفينتهِ دفعهُ جانبًا واستلم الدفة منهُ وهو يقول لهُ هذا شغلي لا شغلك. وجرى بالسفينة الى مرفإٍ امين فاعتنقهُ القيصر حينئذٍ وخلع عليهِ ثيابهُ وقطع لهُ معاشًا مدى حياتهِ لكنهُ لم يعتبر بذلك بل استلم الدفة وهو راجع واوصل السفينة سالمة

الاَّ ان البحر الابيض الشمالي يجمد في الشتاء كما تقدم فلا سبيل لروسيا لتتصل باوربا بحرًا الاَّ اذا وصلت الى البلطيك او الى البحر الاسود. والاول في يد اهالي اسوج والثاني في يد الاتراك. فرأى ان الاستيلاء على البحر الاسود اولى بهِ لاسيما وانهُ يوصل الى القسطنطينية وهي غرض قياصرة الروس الذين يدَّعون انهم خلفاء قياصرة الروم. فعزم ان يستولي على مدينة ازوف لان بحر ازوف جزء من البحر الاسود وكان القزاق قد استولوا عليها في عهد جدهِ القيصر ميخائيل كما تقدم ثم ردها جدهُ الى الاتراك. فعبأ مئة الف مقاتل واقام عليهم ثلاثة من القواد وذهب هو مع الجيش كجندي بسيط في الفرقة التي نظمها من نخبة الرجال وكان عددها قد بلغ ١٢ الفًا واكثرهم من الاجانب. لكنهُ لم يفلح في فتح مدينة ازوف بل ارتدَّ عنها خائبًا لانهُ لم يكن عندهُ سفن لينازلها بحرًا او ليقطع عنها المدد. فعاد الى موسكو واستدعى الضباط والمهندسين من ممالك اوربا من هولندا وبروسيا والبندقية وجعل يقطع

الاشجار و يبني السفن فبنى ٢٢ سفينة كبيرة و ١٧٠٠ سفينة صغيرة عدا الارماث استخدم ٢٦ الفاً في بنائها. ولما تمّ بناء هذه السفن نزل بها في نهر الدون الواصل الى ازوف. وكتب من هناك الى اخته نتاليا يقول اني طاعةً لامرك لا اذهب للقاء القنابل ولكنها هي تأتي للقائي فمرِيها ان استطعتِ بالعدول عن ذلك . وحصر مدينة ازوف برًّا وبحرًا وردم الخندق الذي يحيط باسوارها من جهة البر واعلى التراب فيه حتى علا فوق الاسوار وجعل ينهال على المدينة . وما زال يشدد الحصار عليها و ينازلها برًّا وبحرًا الى ان فتحها عنوةً وكان لفتحها دوي في كل اوربا

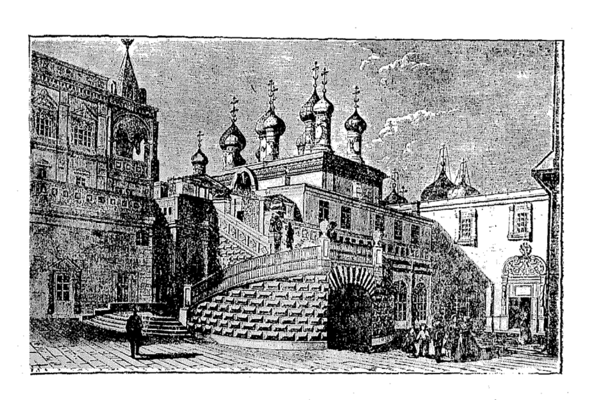
واراد ان يتوسل بفوزهِ هذا الى انشاء اسطول بحري عظيم فقرَّر مجلسهُ ان يرسل الى مدينة ازوف ثلاثة آلاف بيت تقيم فيها واربع مئة من القلموق وحامية من حامية موسكو وحصّن المدينة بالابراج و بنى على الضفة المقابلة لها من نهر الدون قلعة منيعة وضرب على الأديرة ورؤساء الدين ضريبة حسب عدد ما عندهم من المرابعين حتى يبني كل ثمانية آلاف منهم سفينة حربية . والزم البطريرك ادريان و بعض الامراء الاغنياء ان يبنوا عشرين فرقاطة كبيرة في كلٍّ منها خمسون مدفعاً. وهو نفسهُ بنى تسع سفن كبيرة على نفقتهِ الخاصَّة تحمل كلٌّ منها ستين مدفعاً . و بني التجار سبع سفن في كلٍّ منها ١٤ او ١٨ مدفعاً وأربع حرّاقات فيها ثمانية مدافع. وارسل خمسين شابًّا من اولاد الاشراف الى البندقية وانكلترا وهولندا ليتعلموا سلك البحر و بناء السفن. ولكنهُ رأى ان كل جهدهِ لا يأتي بالفائدة المطلوبة ما لم يذهب هو بنفسهِ في مقدمة الذاهبين الى مدن اوربا لتعلُّم الصنائع التي تحتاج اليها بلادهُ . فعزم على الرحلة اليها والتعلم في مصانعها وقبل ان يتيسَّر لهُ ذلك كثرت الشكوى في بلادهِ من جراء هذا التغيير الفجائي فشكا الجنود من انهُ يفضل الاجانب عليهم ويجبرهم على التدرُّب والتمرن في الفنون الحربية . وشكا الاشراف من انهُ اخذ اولادهم وارسلهم الى ممالك الهراطقة ليتعلموا صناعتين زريتين صناعة بناء السفن وصناعة سبك المدافع. وشكا الكهنة والملاَّك من انهُ فرض عليهم ان يبنوا ٦٤ سفينة حربية في ثلاث سنوات . فتواطأ الشاكون على خلعهِ وارجاع الحكومة الى ما كانت عليهِ وكان محور هذه المكيدة اختهُ الملكة صوفيا لكي تخرج من الدير وتسترجع الملك

وحدث ذات يوم انهُ كان في بيت لفورت في جمع حافل من الرجال والنساء (في ٢ فبراير سنة ١٦٩٧) وكانوا عازمين ان يجلسوا للعشاء فاتى واحد واسرَّ في اذنهِ شيئاً فنهض واستأذن الحضور في الانصراف وركب مزلقة وسار بها الى ان وصل الى بيت الكسي سكوفنين فوجد فيهِ جماعة كبيرة من رؤساء المكيدة فجلس معهم للعشاء كأنهُ لا يعلم شيئاً مما دبروهُ

لهُ وهو ان يحرقوا بيت لفورت الذي كان فيهِ ويقتالوهُ وهو مشغول باطفائهِ · وبقي معهم الى ان جاءهُ رئيس حرسهِ ومعهُ عدد كافٍ من الجنود فاحاطوا بالمتآمرين وكبّلوهم بالحديد · وعاد هو من فورهِ الى بيت لفورت وجعل يباسط الحضور ويمازحهم كأنهُ لم يحدث شيء مما حدث · وعذّب الذين قبض عليهم عذاباً شديداً فاعترفوا بجريمتهم ودلوا على شركائهم فيها والقوا اللوم كلهُ على الاجانب الذين في موسكو لكي يتخلصوا منهم لكنهُ ادرك غرضهم من ذلك وامر بان تقطع اوصال رؤسائهم ثم قطعت رؤوسهم ووزعت في انحاء المدينة حيث يراها كل احد عبرةً لغيرهم

ولما اطمأن بالهُ من قبيل هذه المؤامرة قام في الشهر التالي مع الاميرال لفورت والجنرال غولوفن والجنرال فوزنتزون ومئتين وسبعين من اولاد الاشراف والجنود والتجار والتراجمة وسموا انفسهم سفراء القيصر وسار هو معهم متخفياً باسم بطرس ميخائيلوف كانهُ واحد من عامتهم لكن كان اذا اقتضت الحال مذاكرة سياسية عاد قيصر الروس بكل جبروتهِ · ولما وصل هؤلاء السفراء الى مدينة كونجسبرج من مدن بروسيا دخلوها بموكب حافل جدًّا وهم بافخر حللهم واسلحتهم وكان الكولونل ستزنفلد البروسياني هناك فاعطى القيصر شهادة رسمية بانهُ استاذ في صناعة اطلاق المدافع · وقوبل السفراء بمزيد الاحتفاء في قصور كرلند وهنوفر وبرندنبرج · واضافتهم الاميرة صوفيا ارملة صاحب هنوفر هي وابنتها صوفيا شارلوط التي صارت بعدئذٍ ملكة بروسيا · وكتبت عنهُ الاميرة صوفيا حينئذٍ تقول ان بعض اخلاقهِ حسن جدًّا وبعضها قبيح فهو مثل سائر اهل بلادهِ ولو هُذّب التهذيب الكافي لكان من الرجال الكمَّل لان فيهِ كثيراً من الصفات الحسنة فوق ما فيهِ من الذكاء الطبيعي

وترك رجالهُ هناك واسرع الى اترخت ومنها الى امستردام فساندام ونزل في بيت حدّاد من العمال الذين عندهُ وخلع ثيابهُ ولبس ثياب نجاري المراكب وجعل يعمل معهم والفاس في يدهِ · وزار صناع السكاكين والحبال وساعدهم في عملهم ودخل معملاً من معامل الورق وعمل الورق فيهِ · لكن اهالي ساندام عرفوهُ فاشترى مركباً منهم وعاد الى امستردام وقضى الايام فيها وهو يبحث في كل شيء ويفتش عن كل شيء حتى اجهد الناس ببحثهِ وتحرّيهِ فتفحَّص اهم المجاميع التشريحية وحضر اصعب العمليات الجراحية وزار السفن التي كانت خارجة لاصطياد الحيتان وبحث عن كل ما يتعلَّق بالصيد ودرس كل الصناعات والعقائد الدينية واستخدم مئات من الصناع والعمال والضباط والمهندسين والجراحين · واشترى كثيراً من امثلة السفن وكتباً كثيرة في القوانين والمعاهدات ودخل بيوت السكان وصادق



القصر المجزع

اهاليها ودخل مخازنهم وتفحص ما فيها ولقي منهم كل مودة واكرام . ثم جاءت الاخبار الى هولندا ان السفراء آتون اليها والقيصر معهم فقامت البلاد للقائهم واستقبلهم رجال الدولة باحتفال باهر على حدود البلاد واعدوا لهم المركبات الفاخرة فركب لفورت ومنشيكوف في المركبة الاولى مركبة الشرف واما القيصر فركب في آخر مركبة مع بعض اعوانهِ غير حافل بما لوقي بهِ لانهُ كان يسعى الى غرض آخر . وكتب حينئذٍ الى البطريرك ادريان يقول « انما اتينا الى هنا لنتعلم صناعة بناء السفن وركوب البحر حتى اذا تعلمناها عدنا الى بلادنا وحررنا ابناء ديننا وهذا ما لا انفك عن طلبهِ ما دمتُ حيًّا » . فاقام في امستردام كاحد العمال ولم يدع احداً يخدمهُ بل كان يشعل نارهُ ويطبخ طعامهُ بيدهِ . ومتى لبس ثياب العمال صار اسمهُ النجار بطرس او المعلم بطرس فلا يجيب من يناديهِ بغير اسم من هذين الاسمين واذا قال لهُ احد جلالتكم اعرض عنهُ مغتاظاً . واقام مع رجالهِ شهرين في امستردام وانتقلوا منها الى الهاغ فتفحص كل شيء رآهُ في الطريق مما لم يرَهُ قبلاً كالمطاحن والمعادي وآلات الري . وأُعدَّت لهُ غرفة فاخرة لينام فيها في الهاغ فرفض النوم فيها وجال اكثر الليل حتى اذا غلبهُ النعاس رأى خادماً من خدمهِ نائماً على جلد دب فايقظهُ ونام مكانهُ . وقابل الملك وليم الثالث ووزراءهُ مراراً وكان يلبس وقت مقابلتهم ثياباً كثياب الاشراف

وذهب من الهاغ الى مدينة ليدن ودرس علم الميكروسكوب على العلامة الطبيعي ليونهوك الشهير . ثم عاد الى امستردام وساعد في بناء سفينة كانت المدينة تبنيها لتهديها اليهِ . وسافرت هذه السفينة الى اركنجل في السنة التالية موسوقة بما اشتراهُ من هناك . لكنهُ رأى انهُ يستحيل عليهِ ان يتعلم صناعة بناء السفن في امستردام لان ليس للصنّاع فيها قاعدة يجرون عليها واخبرهُ احد الربانين ان اهالي انكلترا امهر من اهالي هولندا في بناء السفن ولهم قواعد ومبادئ يجرون عليها فذهب اليها مع منشيكوف وخمسة عشر من اتباعهِ في اسطول مؤلف من ثلاث سفن حربية ويخت وكان ملك هولندا قد وضع هذا الاسطول تحت امرهِ . واقام ثلاثة اشهر في مدينة لندن والمدن المجاورة لها واجرى الانكليز مثال واقعة بحرية امامهُ فسرَّ بها جدًّا واخذ من انكلترا كثيرين من الصاغة والبنائين والمدفعيين والفلكيين والرياضيين وعاد الى هولندا ولما غادرها اهدى اليهِ ملكها فرقاطة فاخرة فيها ٢٤ مدفعاً اعدها لهُ خاصةً

وغادر هولندا في شهر يونيو ومرَّ في طريقهِ على ليبسك الى ان وصل الى ڤينا فدرس فيها العلوم الحربية وكان عازماً ان يذهب الى البندقية ولكن جاءتهُ الاخبار ان فتنة فشت في بلادهِ فكرَّ اليها راجعاً

ستأتي البقية

العالم في ربع قرن

للورد نورث كلف صاحب جريدة الديلي مايل وغيرها من الجرائد والمجلات جريدة اسبوعية اسمها الاجوبة "Answers" وهي اول جريدة انشأها وقد صار عمرها الآن ٢٥ سنة فطلب من جماعة من المشاهير ان يكتب لهُ كلٌّ منهم مقالة صغيرة في الشيء الذي يشتغل هو فيهِ تدل على تقدُّم ذلك الشيء منذ خمس وعشرين سنة الى الآن . وكتب هو المقالة الاولى وجعل موضوعها بداءة فكر عظيم بيَّن فيها ان الحاجة كانت ماسَّة الى جريدة اسبوعية ينشئها جماعة من نخبة الكتَّاب في مواضيع عمومية مفيدة وتكون رخيصة الثمن . ولم يكن الزحام شديداً على هذا المورد حينئذٍ ولذلك نجحت جريدتهُ نجاحاً عظيماً يوجب عليهِ شكر الذين عاونوهُ والذين وثقوا بهِ .. وهاك خلاصة المقالات العلمية العمومية التي كتبها غيرهُ من الكتاب

الاوتوموبيل

كتب لورد مونتاغي بوليو يقول

ان خمساً وعشرين سنة ليست شيئاً يذكر في تاريخ نوع الانسان ولكن قد تحدث فيها امور هامَّة تغيّر احوال الناس

واهم امر حدث في السنوات الخمس والعشرين الماضية هو نجاح الاوتوموبيل والاعتماد عليهِ . ففي سنة ١٨٨٨ كانت مركباتنا كلها تجرها الخيل والآن صار نصفها من مركبات الاوتوموبيل وستستغني عن الخيل تماماً . ولم يكن العلماء منذ خمس وعشرين سنة يعبأون بالآلة التي تتولد فيها القوة بالاحتراق الداخلي وهي التي يسير بها الاوتوموبيل الآن بل كانت تلك الآلة تحسب من احلام طلاَّب الاماني

في تلك السنة نال غتلب ديملر النابغة في العلوم الآلية امتيازاً بآلة يحترق غازها فيها ووضعها في دراجة فسارت بها . وفي السنة التالية نال المهندس لفاسور الفرنسوي امتيازاً لصنع آلة مثل هذه في فرنسا فسبقت فرنسا انكلترا في استعمال هذه الآلة لان انكلترا كانت تحظر سير المركبات اكثر من اربعة اميال في الساعة

والسنوات الخمس والعشرون الماضية كانت سنوات خسائر كبيرة وتعب شاق وفشل مضنٍ ولكنها تكلَّلت بالظفر اخيراً

التلغراف اللاسلكي

وكتب السنيور مركوني مستنبط التلغراف اللاسلكي وهو المعروف ايضاً بتلغراف مركوني يقول : —

ان التلفون استُنبط قبل الخمسة والعشرين سنة الماضية ولكن أُتقن فيها وهو عندي اغرب المخترعات الحديثة وانفعها . ومن الاكتشافات العظيمة في هذه المدة اكتشاف اشعة رنتجن وهو من الاكتشافات المفيدة ايضاً ولاسيما في الجراحة

وآتي الآن الى عملي الخاص في التلغراف اللاسلكي . فاقول ولا فخر انهُ من اعجب المكتشفات لا من حيث التخاطب بالكهربائية من مكان الى آخر من غير سلك معدني بل من حيث التخاطب بذلك على ابعاد شاسعة جداً . وقد جربتُ اول تجربة في ايطاليا سنة ١٨٩٧ فاثبتُّ انهُ يمكن التخاطب من غير سلك على مسافة ميلين . وسنة ١٨٩٧ اثبتُّ انهُ يمكن التخاطب على مسافة تسعة اميال وسنة ١٨٩٩ امكن التخاطب بين انكلترا وفرنسا . وكان يُظَن ان كروية الارض تحول دون التخاطب على ابعاد شاسعة . ولكنني تمكنت بعد جهاد طويل واتعاب شاقة من ارسال الاشارات الكهربائية بين اوربا واميركا وكان ذلك في ١٢ و١٣ دسمبر سنة ١٩٠١ ثم جعلنا نخاطب السفن في عرض البحر . ونشرت جريدة التيمس رسالة جاءتها من اميركا بالتلغراف اللاسلكي في ربيع سنة ١٩٠٣ فيها ٢٦٧ كلمة . واطول مسافة امكن التخاطب فيها حتى الآن بالتلغراف اللاسلكي ٢٢٣٨ ميلاً البر منها ١٥٩٩ ميلاً والباقي بحر

ويمكن استخدام نقل الكهربائية من غير سلك لاطلاق المدافع ونسف الالغام وتسيير الغواصات تحت الماء ولكنني مرتاب في امكان العمل بذلك . ومن المحتمل اننا نهتدي الى نقل القوة في المستقبل بالكهربائية من غير موصل كما نقلنا اشاراتها

ركوب الهواء

وكتب المستر كلود غراهم هوَيت ما خلاصتهُ : —

ينطوي النجاح في ركوب الهواء على ثلاثة امور الاول بناء طيارة ذات سطوح كاجنحة الطيور يمكنها ان تحمل نفسها وما فيها وهي سابحة في الهواء . والثاني ايجاد طريقة لحفظ هذه الآلة من الانقلاب ولتدبيرها في سيرها بعد ما ترتفع في الهواء . والثالث اختراع آلة محركة تكون قوتها كافية لتسيير الطيارة وتكون خفيفة حتى لا تعيقها في طيرانها . واول طيارة وفت بهذه الشروط صنعها ولبور ريط واخوهُ اورڤل وطارا بها في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٣ بعد ان

جرّبا الطيران على اسلوب لِيِنثِل وتمرنا على ادارة الطيارة وهما في الهواء · وتمكنا سنة ١٩٠٥ من قطع ٢٤ ميلاً في الهواء دفعة واحدة · ثم قام سنتوس ديمون سنة ١٩٠٦ وجعل انظار الناس تتجه الى فرنسا وتبعهُ هنري فارمن سنة ١٩٠٧ وصنع بيوبلانًا يثب في الهواء كالطائر بعد ان يسير على عجله · وعاد ولبور رايط واخوهُ فادهشا العالم سنة ١٩٠٨ بالطيران اكثر من ساعتين متواليتين

وسنة ١٩٠٩ قطع بلريو من فرنسا الى انكلترا بالمونوبلان ونال جائزة الدايلي مايل وهي الف جنيه· وسنة ١٩١١ نال بومون جائزة الدايلي مايل الكبيرة وهي عشرة آلاف جنيه لانهُ طار ١٠١٠ اميال في مدة ٢٢ ساعة و٢٨ دقيقة و١٨ ثانية· وقد اعلنت تلك الجريدة الآن عن جائزة اخرى وهي عشرة آلاف جنيه تعطيها لمن يطير بين انكلترا واميركا بقارب طيار او طيّارة بحرية

المكتشفات الجغرافية

وكتب السر ارنست شكلتون يقول

ان اهم الاكتشافات التي تمت في السنوات الخمس والعشرين الماضية هي اكتشاف القطب الشمالي والقطب الجنوب او الوصول اليهما فعلاً · فالقطب الشمالي كان قبلة المكتشفين منذ ثلثمئة سنة الى ان رفع بيري العلم الاميركي عليهِ في ٦ ابريل سنة ١٩٠٩ مع ان ننسن كاد يبلغهُ منذ ٢٥ سنة · والقطب الجنوبي قصدهُ المكتشفون منذ عهد غير بعيد كالقطب الشمالي واول بعثة قصدتهُ فعلاً هي البعثة البلجيكية وكان ذلك سنة ١٨٩٨ ثم تلتها ست بعثات احداها البعثة الانكليزية التي كنتُ فيها مع الكبتن سكوت وكان هو رئيسها ولا ازال اتذكر ذلك اليوم السعيد الذي سرت فيهِ معهُ في مزلقة في اول يوم من سنة ١٩٠٣ فبلغنا الدرجة ٨٢ والدقيقة ١٧ · ثم قصدت القطب الجنوبي ثانية سنة ١٩٠٧ — ١٩٠٩ فبلغت الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٥ اي اني بقيت بعيداً عن القطب ٩٧ ميلاً فقط وبقي شرف الوصول اليهِ اولاً للرحالة امندصن الذي بلغهُ في ١٤ دسمبر سنة ١٩١١ وبلغهُ بعدهُ الكبتن سكوت في ١٧ يناير سنة ١٩١٢ ولكنهُ لم يعد يخبرنا بلسانهِ عمّا رأى بعينيهِ بل قضى جوعًا هو ورجالهُ وابقى الاسف والحسرات للملايين الذين يندبونهُ الآن

ولم تقتصر المكتشفات الجغرافية على القطبين بل تناولت بلدانًا واسعة في قلب اسيا وفي الدهناء من بلاد العرب وفي بيرو من اميركا

يسر البلدان وعسرها

البلدان كالسكان تمرّ بها ايام يسر يكثر الذهب فيها وتروج المتاجر وايام عسر يقل الذهب فيها وتكسد البضائع . فالسنوات الاربع سنة ١٨٨٨ و١٨٨٩ و١٨٩٠ و١٨٩١ كانت سنوات يسر زادت فيها الثقة المالية وراجت الاسواق وعلت الاسعار وقلت الاجور . والسنوات الاربع التالية سنة ١٨٩٣ و١٨٩٤ و١٨٩٥ و١٨٩٦ كانت سنوات عسر هبطت فيها الاسعار وكسدت الاسواق وغلت الاجور . والسنوات الاربع الاخيرة سنة ١٩٠٩ و١٩١٠ و١٩١١ و١٩١٢ سنوات يسر كالسنوات الاربع الاولى في نتائجها . واذا حسبنا متوسط اسعار الحاجيات ١٠٠ ومتوسط اجور العمال ١٠٠ فنسبة المدد الماضية بعضها الى بعض من حيث اليسر والعسر والغلاء والرخص كما ترى في هذا الجدول

		اسعار الحاجيات	معدل الاجور
سنوات يسر	١٨٨٨	١٠٢,٧	٨٤,٧
	١٨٨٩	١٠٤,٠	٨٧,٥
	١٨٩٠	١٠٤,٠	٩٠,٣
	١٨٩١	١٠٧,٠	٩١,٥
متوسط السنوات الاربع		١٠٤,٥	٨٨,٥
سنوات عسر	١٨٩٣	١٠٠,٠	٩٠,١
	١٨٩٤	٠٩٤,٣	٨٩,٥
	١٨٩٥	٠٩١,٠	٨٩,١
	١٨٩٦	٠٨٨,٢	٨٩,٩
متوسط السنوات الاربع		٠٩٣,٣	٨٩,٦
	١٩٠٩	١٠٤,٠	١٠٠,٠
	١٩١٠	١٠٨,٧	١٠٠,٢
	١٩١١	١٠٩,٣	١٠٠,٣
	١٩١٢	١١٤,٠	١٠٣,٠
متوسط اربع سنوات		١٠٩	١٠٠,٩

والبلدان الآن على نوعين دائن ومديون فانكلترا وفرنسا من البلدان الدائنة اي التي جمع شعبها اموالاً كثيرة بسعيهم واقتصادهم وهم يدينونها لغيرهم. وروسيا وايطاليا من البلدان المديونة لانها استدانت اموالاً كثيرة من غيرها. فاذا كثر الذهب في بنوك البلدان الدائنة قلت النقود بين ايدي سكانها وخيَّم العسر عليهم. واذا قلَّ الذهب في البنوك فذلك دليل على كثرة التعامل بهِ فيقع اليسر وتروج الاعمال

ففي اواسط سنة ١٨٩٢ كان مقدار الذهب في بنك انكلترا ٢٧٨٠٠٠٠٠ جنيه فلم تأتِ اواسط سنة ١٨٩٦ حتى تراكم الذهب فيهِ و بلغ ٤٩٢٠٠٠٠٠ جنيه اي انهُ زاد في اربع سنوات ٢١٤٠٠٠٠٠ جنيه. وحدث مثل ذلك في بنك فرنسا فكان مقدار الذهب فيهِ ٦٣٥٠٠٠٠٠ جنيه في اواسط سنة ١٨٩٢ فبلغ ٨١٨٠٠٠٠٠ جنيه في اواسط سنة ١٨٩٦ اي انهُ زاد في اربع سنوات ١٨٣٠٠٠٠٠ جنيه. وقد زاد الذهب في البنكين بين سنة ١٩٠٨ و ١٩١٢ ولكن زيادتهُ كانت قليلة جدًّا نحو ستة ملايين من الجنيهات لا غير وهي ليست شيئًا اذا اعتبرنا زيادة الذهب المستخرج من الارض في السنوات الاخيرة كما ترى في هذا الجدول

سنوات عسر

١٨٩٣	الذهب المستخرج فيها	٣٢٦٠٠٠٠٠ جنيه
١٨٩٤	" " "	٣٧٢٠٠٠٠٠ "
١٨٩٥	" " "	٤٠٨٠٠٠٠٠ "
١٨٩٦	" " "	٤١٥٠٠٠٠٠ "
مجموع السنوات الاربع		١٥٢١٠٠٠٠٠ "

سنوات يسر

١٩٠٩	الذهب المستخرج فيها	٩٣٤٠٠٠٠٠ جنيه
١٩١٠	" " "	٩٦٢٠٠٠٠٠ "
١٩١١	" " "	٩٧٣٠٠٠٠٠ "
١٩١٢	" " "	١٠٠٠٠٠٠٠٠ "
مجموع السنوات الاربع		٣٨٦٩٠٠٠٠٠ "

ففي السنوات الاربع الاولى كان مجموع الذهب المستخرج من معادن الارض ١٥٢ مليون جنيه وقد زاد المتجمع منهُ في انكلترا وفرنسا نحو ٤٠ مليون جنيه واما في السنوات الاربع الاخيرة فكان المستخرج منهُ من معادن الارض ٣٨٧ مليون جنيه ومع ذلك لم يتجمع منهُ في بنكي انكلترا وفرنسا سوى ٦ ملايين جنيه

اما البلدان التي تستدين من غيرها او لا تدين احداً فلم يكن في بنوكها شيءٌ من الذهب في آخر سني العسر واما في آخر السنة الماضية بعد ان مرَّت عليها سنوات اليسر فتراكم الذهب في بنوكها كما ترى في هذا الجدول

	في يونيو سنة ١٨٩٦	في يونيو سنة ١٩١٢	الزيادة
خزينة الولايات المتحدة	٢٩ ٥٧٣ ٠٠٠	٢٤٧ ٦٥٢ ٠٠٠	٢١٨ ٠٧٩ ٠٠٠
بنك روسيا	٨٠ ٤٠٠ ٠٠٠	١٥١ ٧٨٢ ٠٠٠	٠٧١ ٣٨٢ ٠٠٠
الارجنتين ادارة التحويل	...	٠٤٢ ٧٦٧ ٠٠٠	٠٤٢ ٧٦٧ ٠٠٠
بنك ايطاليا	١٢ ١١٦ ٠٠٠	٠٤٠ ٩٧٦ ٠٠٠	٢٨ ٨٦٠ ٠٠٠
بنك النمسا والمجر	٢٢ ٨٨٠ ٠٠٠	٥١ ٥٨٦ ٠٠٠	٢٨ ٧٠٦ ٠٠٠
في كندا	٠٣ ٤١٥ ٠٠٠	٢٨ ٠١٢ ٠٠٠	٢٤ ٥٩٧ ٠٠٠
« برازيل	...	٢٢ ٩٥٠ ٠٠٠	٢٢ ٩٥٠ ٠٠٠
« الهند	...	٢٢ ٢٥٣ ٠٠٠	٢٢ ٢٥٣ ٠٠٠
« اليابان	٩ ٠٩٣ ٠٠٠	٢٣ ١٢٨ ٠٠٠	١٤ ٠٣٥ ٠٠٠
المجموع	١٥٧ ٤٧٧ ٠٠٠	٦٣١ ١٠٦ ٠٠٠	٤٧٣ ٦٢٩ ٠٠٠

اي بلغت زيادة الذهب في بنوك هذه الممالك من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩١٢ اكثر من كل الذهب الذي استخرج من مناجم الارض . ومعلوم ان الذهب في بنوك انكلترا وفرنسا والمانيا زاد سنة ١٩١٢ عما كان سنة ١٨٩٦ نحو ستين مليون جنيه وعليهِ فالذهب الذي تجمَّع في البنوك الكبيرة من سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٩١٢ يزيد على مقدار الذهب المستخرج من الارض نحو مئة مليون جنيه . ولولا تعامل الناس بالاوراق المالية والثقة المالية (الكرديتو) لاستحكم الضيق استحكاماً لا مثيل لهُ

وتعدُّ الولايات المتحدة من البلدان المستدينة لانها تستدين الاموال من اوربا وتدينها في المكسيك وبرازيل وغيرها من البلدان الاميركية ولان الاوربيين ولاسيما الانكليز يستثمرون فيها كثيراً من اموالهم بابتياعهم الكثير من اسهم الشركات الاميركية

وقد بلغت الاموال التي اكتتب بها في السنة الماضية في لندن وباريس وبرلين ونيويورك لاجل المشروعات والقروض الخارجية ١٠٥٦ مليون جنيه وكان ٩١٦ مليون جنيه سنة ١٩١١ كما ترى في الجدول التالي وقد ذكرنا فيهِ الاموال التي اكتُتب بها في هذه العواصم

	١٩١١	١٩١٢
في لندن	١٩٦٢١٦٠٠٠ جنيه	٢١١٦٣٧٠٠٠ جنيه
« باريس	١٨٧٨٤٠٠٠٠ «	٢٠٣٦٨٠٠٠٠ «
« برلين	١٧٣٣٠٠٠٠٠ «	١٧٦٠٠٠٠٠٠ «
« نيويورك	٣٥٨٧٦٩٠٠٠ «	٤٦٤٨٠٢٠٠٠ «

وابتدأَت السنة وحكومة الصين تطلب ستين مليون جنيه واعطيت في الشهر الماضي ٢٥ مليونًا منها . والماليون المقيمون في هذه العواصم يرسلون اموالهم الى اقطار المسكونة فتعود عليهم بالربح الكثير ويسخرون الجنود والبوارج لحماية مصالحهم . ولا نبالغ اذا قلنا ان مئتي مليون من الرجال يعملون الآن ويكدحون في اوربا واسيا وافريقية واميركا لنحو مئة الف من اغنياء اوربا واميركا . ولكن ميزان المعاملات في يد هؤلاء الاغنياء فباموالهم بُنيت السفن التجارية وانشئت السكك الحديدية واقيمت المعامل الصناعية وارتقت العلوم الطبية والطبيعية وقلت المشاق والمظالم والمغارم . والدول التي يكثر اغنياؤُها وتكثر اموالهم هي التي تستعزّ ويحمى جانبها ويخشى بأسها ويرجى خيرها

التعليم في اميركا

انشأت هذه المقالة لافادة القراء واخص منهم الاحداث واطلاعهم على احوال المدارس التي عرفتها اثناء اقامتي في الولايات الاميركية المتحدة . تركت الديار السورية في تموز (يوليو) سنة ١٩٠٦ قاصداً احدى المدارس في العالم الجديد . وبعد وصولي الى بوسطن بشهر دخلت احدى المدارس العالية (High School) في ولاية ماين حيث قضيت سنتين في الاستعداد لدخول مدرسة كلية . وكانت دروسي هنالك آداب اللغة الانكليزية والجبر والهندسة والطبيعيات والافرنسية والالمانية مع قليل من اللاتينية . وفي سنة ١٩٠٨ دخلت جامعة «كلارك» (Clark University) وهي جامعة صغيرة مختصة بعلم السيكولوجيا ورئيسها الدكتور ستانلي هول (Dr. Stanley Hall) وهو من اشهر المتضلعين في علم النفس واسمهُ معروف في جامعات المانيا كما في جامعات اميركا . وكان على كل تلميذ في جامعة «كلارك» ان يقضي خمس ساعات في درس اللغة الانكليزية وخمسا اخرى في درس

احد العلوم كالطبيعيات والرياضيات والكيميا وعلم الحيوان والنبات وما اشبه وعشر ساعات في درس لغتين اجنبيتين وهي اما اليونانية مع اللاتينية او الفرنسية مع الالمانية · وتقبل الايطالية مع الاسبانية لكي تتمكن العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة والجمهوريات اللاتينية كالبرازيل والارجنتين · وللتلميذ حرية تامة في اختيار دروسهِ عدا هذه الثلثة—اي الانكليزية واحد العلوم المحضة مع لغتين اجنبيتين · واما انا فاخذت الدروس الآتية

(١) الطبيعيات

(٢) البيولوجيا

(٣) الكيميا

(٤) والسيكولوجيا · وهذا يشمل علم التهذيب (Education) ودرس الاطفال (Child Study) والظواهر غير الاعتيادية كالتنويم والهستيريا والاختلال العقلي

(٥) الاقتصاد مع قليل من الاحصاءات (Statistics)

(٦) المنطق

(٧) آداب اللغة الانكليزية مع عناية خصوصية بدرس الشعر في القرن التاسع عشر

(٨) تاريخ الولايات المتحدة والقرون الوسطى · والتاريخ الجاري (Current History) وشرائع الامم (International Law) مع التفات خصوصي الى اعمال مؤتمر السلام في الهاي

(٩) الفرنسية

(١٠) الالمانية [1]

وبعد هذا خصصت سنة لعلم التهذيب وتدبير شؤون المدرسة في « قسم المعلمين » (Teachers' College) في جامعة كولمبيا في نيو يورك

يقضي التلامذة هنا اربع سنوات في الكلية غير ان جامعة كلارك مع قليل من الكليات تسهّل انهاء دروسها في ثلاث سنوات تُقضى في الجد وسهر الليالي

والشبان هنا يفتخرون بالعمل · وكثيرون منهم يحصلون كل نفقاتهم اثناء درسهم · والبعض يساعدون اهلهم فوق ذلك · اما انا فلانّي فقير مثل اكثرهم دفعني العوز الى الجدّ ومجاراة رفاقي في اعمالهم · فخدمت على الموائد وجرفت الثلوج في الاسواق واشتغلت في المعامل

(١) لا يتعلمون اللغات الاجنبية كما نتعلمها نحن بل يدرسونها للقراءة لا للاستعمال · فيندر من يتكلم الفرنسية الاّ من قد درس في فرنسا

وخدمت في المخازن والمكاتب فكنست غرفها وغسلت شبابيكها الى غير ذلك . غير اني توفقت في الثلث السنوات الاخيرة الى وكالة بيع ادوات المطبخ لشركة عظيمة (The Aluminum Cooking Utensil Co.) استخدمت اثناء الصيف الماضي الفاً وتسع مئة تلميذ من جامعات الولايات المتحدة وكندا . وهي لا تدفع اجرة معينة للتلاميذ بل تعطي كلاًّ منهم خمساً واربعين في المئة من ثمن ما يبيعونهُ . واما طريقة بيع هذه الادوات فهي هكذا : يخرج التلاميذ في اول تموز (يوليو) ببضعة مساطر كاباريق القهوة والحلل الصغيرة وما شاكل ويرونها لربات البيوت . ثم ترسل الطلبات الى الشركة وفي خلال شهر توزعها على بيوت المشترين . اشتغلت ثلث صيفيات مع هذه الشركة وكنت اكتسب من خمسين جنيهاً الى مئة جنيه كل صيفية . وليست هذه الشركة الوحيدة التي تفعل ذلك بل عندهم شركات غيرها تبيع الكتب والخرائط والصور وما شاكل . ولولا هذه الوسائط لصعب على مثلي التخرج في جامعات اميركا بدون اقتراض الاموال الكثيرة . وهكذا قمت بكل نفقاتي من بيع آنية الالومنيوم في عطلة الصيف والخدمة على الموائد وقت المدرسة . ويعطى كل خادم مائدة اكلهُ مقابل خدمتهِ ويبلغ ذلك نحو جنيه في الاسبوع

النفقات

تتوقف نفقات التلميذ على مقدار ثروتهِ وسخائهِ . غير انهُ يلزم للطالب المقتصد نحو مئة وعشرون جنيهاً في السنة يدفع منها ثلاثين جنيهاً للتعلم والبقية ينفقها على طعامهِ وكتبهِ ولباسهِ (هذا معدّل نفقات الجامعات التي في الولايات الشرقية . اما الغربية والجنوبية منها فارخص) ومما يساعد الطلبة فضلاً عن عملهم ريع اموال يوقفها اغنياء البلاد ومحبو العلم لاعانة الذكي الذي لا مال لهُ . وتسمى هذه المساعدات « تلميذيات » (Scholarships) والغالب ان تكون التلميذية مئة وخمسين ريالاً اي رسم التعلم . وقد يكون في الجامعة اموال يستدينها التلميذ بربا خمسة او ستة في المئة ويوفيها بعد انتهاء دروسهِ . اما احسن المساعدات فما يسمى (Fellowships) والمساعَد يسمى (Fellow) وهي تعطى لانجب التلاميذ اقراراً بنجابتهم . وهذه الجائزة تكفي نائلها سنة كاملة يقضيها في جامعة شهيرة اما في اميركا او اوربا او اسيا

منازل الطلبة

طلبة الكليات التي ليست في المدن يسكنون في ابنية معدة لهم يقال لها مناوم (Dormitories) فيها ينامون ويأكلون ويلهون . ولكل واحد غرفة جميلة مزينة بالصور

والرسوم المضحكة واعلام عدة جامعات وكليات ومدارس · وللتلميذ حرية تامة فلا يكبحهُ عن الموبقات الأَّ ناموسهُ وشرفهُ وتربيتهُ وكبر نفسهِ · فينام ويقوم ويأكل ويدرس ويلعب حيثما يشاء وحينما يريد · هذا في الكليات التي في القرى حيث يضطر الجميع ان ينزلوا في المناوم · اما في المدن فكثيرون يحضرون الدروس فقط ثم يدبرون بقية شؤُونهم في الأكل والشرب والنوم · فتكون عيشتهم على طرز القسم الطبي في كلية بيروت · وعرفت البعض منهم يُعد طعامهُ بيدهِ اذ لا دراهم لهُ لدفع ثمن الطعام

وحكي عن شاب في جامعة هارفرد (Harvard) كان يكتفي بريال واحد في الاسبوع لاكلهِ وهو ربع ما يكفي التلميذ عادة

روح مدارس اميركا ومحيطها

لا مشابهة بين المدارس الاميركية ومدارسنا الشرقية · هناك تعزّز النفوس وهنا تُذل · معلمو المدارس الاميركية يربّون رجالاً احراراً ذوي عقول مولدة مستقلة يركن اليها في كل زمان ومكان ولا يقبلون قول احد بلا فحص وتدقيق · ذكاؤُهم على الاجمال لا يفوق ذكاء الشرقي غير ان محيطهم يختلف وللمحيط تأثير عظيم في نفوس البشر ولاسيما الصغار· محيطهم اسمى وانقى وارق · والانسان يكوّن محيطهُ على نوع ما فهو ليس عبداً لهُ · مدرسو اميركا يدربون صغارهم على التفكر والتعقل · واما نحن فاكثر معلمينا يدربوننا على استظهار الايات والقواعد والاقوال وتقاليد غير معقولة تعدم الحياة العقلية وتقتل كل جراثيم الفكر · يتعلم الاميركي الاستقلال واختراع الطرق والاساليب الجديدة في حداثتهِ · يحلّ عملية الحساب او الجبر او الهندسة بطريقة غير التي في كتابهِ · الاستقلال مبدأهم — الاستقلال في الفكر والقول والعمل — فلا يهاب التلميذ معلماً ولا الخادم سيداً· وقد تطرف بعضهم في الاستقلال حتى انتقدهم مهذبو اوربا · روح اميركا ديموقراطية محضة ولو دبّ الفساد في بعض قصور الاغنياء · فهم يعملون ولسان حالهم ينشد

ان الفتى من يقول ها انذا ليس الفتى من يقول كان ابي

وما اكره على شبيبة اميركا ان يذكر الانسان اسلافهُ · لا قيمة للتكبر عندهم· فمن شمخ وابدى الكبرياء احتقرهُ الجمهور ولو كان غنيًّا · وكثيراً ما يسبق اولاد الفلاحين والفقراء ابناء ذوي الثروة والجاه · فترى التلميذ الذي يدفعهُ فقرهُ الى الخدمة على المائدة زعيم لعبتهِ الفت بول (Captain.) وهي اسمى رتبة ينالها طلبة تلك البلاد

استقلالهم في شؤونهم

ما اكثر تداخل المعلمين عندنا في شؤون تلامذتهم وما اندرهُ عندهم · يتدرب الاولاد في العالم الجديد على تولي امور انفسهم وعلى التمرن على العمل حسب المبادىء الدستورية · يبدأون ذلك في ارض الفت بول (كرة القدم) وفي منتدياتهم المختلفة · هم ينتخبون قادتهم ومدبريهم فيلعبون ويعملون كأنهم رجال محنكون · وان خالف احدهم القوانين المسنونة عارضهُ الجميع · وعندنا يستأذن التلميذ معلمهُ لعمل ازهد شيء ويشتكي الى معلمهِ على اقل تعدٍ من رفاقهِ اما هناك فيتجنّب الشكوى الى معلمهِ مهما اساء التلامذة اليهِ

اشتهر الاميركي اشتهار اخيهِ الانكليزي بحب الالعاب الجسدية · يقضي طلبة باريز وبرلين معظم اوقات فراغهم في الشرب والبراز والملاهي اما الطلبة الاميركيون فيقضون وقت الفراغ في لعب الكرة والمصارعة والوثب والسباق وهلم جرًّا · فتراهم نشيطين ذوي قابلية شديدة وطبع لطيف واخلاق دمثة ديموقراطية · للالعاب عندهم شأن كبير يكاد يفوق الشؤون العلمية · فللاعب النشيط القوي الجسم اعتبار يفوق الاعتبار الذي ينالهُ السابق في الدروس فيصبح بطلاً يشار اليهِ بالبنان · قيل عن بعض الكليات انها كانت تدفع كل نفقات اللاعب الماهر لتغريهُ بالمجيء اليها وتتغلّب على مناظريها في الالعاب

طلبة الاجانب عندهم

الهيئة الاجتماعية في اميركا مؤلفة من طبقات متفاوتة في اتساع معارفها وحسن تهذيبها وسمو غاياتها · فمنها طبقة ذات ادراك عجيب ومهارة غريبة في جمع الاموال ولكنها سافلة لا تهمها الاَّ الامور المادية فهي ترسل صبيانها الى المدارس لا لتثقيف عقولهم وتهذيب اخلاقهم بل لاعدادهم للاشغال ولسلب الاموال· وتبقى بناتها في القصور لا عمل لهنَّ غير الالتهاء بالاوبرا والرقص والتكلم عن هذه وتلك وعن الازياء الباريسية · اولئك لا تهمهم تربية الاخلاق وتهذيب النفوس · الههم الذهب ومعبودهم الملاهي · اما الطبقة الوسطى فعليها يتوقف مستقبل اميركا — وذلك يصدق على الطبقة الوسطى في كل انحاء العالم — هي طبقة راقية متمدنة متهذبة · لا يقال عنها انها غنية بل مكتفية · دخل الواحد منها يزيد قليلاً على نفقاتهِ · واعضاء هذه الطبقة يسكنون البيوت البسيطة المرتبة · واولادهم هم الذين يملأون الكليات والجامعات وعليهم محور كلامنا · وهم العاملون بحسب المبدإِ (Noblesse oblige) · معاشرتهم طيبة تشرح الخاطر وتطيب القلب

بقي ان نأتي الى الطبقة الثالثة وهي تشمل العمال وهم الذين يملأُون المعامل والطرق

حيث لا تزيد اجرة الواحد منهم على اثني عشر ريالاً في الاسبوع · واغلب اعضاء هذا القسم من المهاجرين الفقراء الاغبياء · هذه هي الطبقة التي بعرق جبينها يحصل الغنى وتجمع الثروة · اما تلاميذ الكليات من هذه الطبقة فقليلون لا لخمولها بل لقلة وسائطها لان الوالدين يشغلون الاولاد قياماً بالمعيشة

مقام كل فرد في اميركا غالباً يتوقف على نفسهِ · وهذا يشمل الاجنبي ايضاً · والمقام يختلف فمنهُ العقلي ومنهُ الاجتماعي ومنهُ المالي · اما المقام العقلي فالاجنبي في اعلى درجاتهِ وهذا لا يعني ان ابناء الاجانب يفوقون ابناء الاميركيين كلاً ولكن طلبة الاجانب هم نخبة بلادهم واما الطلبة الاميركيون فغير منتقين · وكثيرون من الغرباء يدخلون مدارس الولايات المتحدة وهم يجهلون طباع الاميركيين وعاداتهم ومنهم من لا يهتم كثيراً بمعرفتها · فعلى الاجنبي ان يدرس طباع رفاقهِ ويقتبس احسن اعمالهم ويغرم بالعابهم ويتقن لغتهم ويراعي ذوقهم فان فعل ذلك عدوهُ واحداً منهم ونسوا انهُ اجنبي · واما من لا يخالطهم فيبقى عندهم اجنبياً كل ايامهِ

معاهد تلك البلاد ملأَى من الصينيين واليابانيين · وعدد تلامذة اميركا الجنوبية والهند واوربا آخذ في الازدياد واما السوريون فلا يزداد عدد تلامذتهم بازديادهم في اميركا حتى ان الارمن صاروا اكثر من السوريين في كلياتها · لم يكن في جامعة كولمبيا في نيو يورك اثناء العام الماضي سوى سوريين مع انهُ كان فيها خمسة واربعون صينياً واكثر من عشرة من الارمن

الشرق محتاج الى مدنية اميركا اكثر مما هو محتاج الى مدنية اوربا · ولقد احسنت الحكومة العثمانية بارسال خمسة شبان (٤ اتراك ويونانياً) على نفقتها الى جامعة كولمبيا · ويا حبذا لو كثر عدد الذين يذهبون الى ذلك المعهد لكي يتلقوا العلوم ثم يرجعوا الى وطنهم لاعانة اخوانهم في طلب العلى والتمدن الحقيقي

روح اميركا افضل لنا لانها ديموقراطية عملية ترفع شأن كل واحد من غير نظر الى نسبهِ وجنسهِ ومالهِ · كل احد هناك يعتمد على كدهِ وهذه الروح تميت الكسل وتحيي النشاط والعمل · وما احلى النشاط السوري لو نفخت فيهِ الروح الاميركية الحقيقية · ليت بنينا وبناتنا يذهبون الى اميركا لكسب العلم لا لكسب المال · وليت متهذبي شباننا وشاباتنا يرجعون الينا ليعينونا على الفتك بجيوش الجهل والخمول

خليل طوطح

نشوء ذوات الفقار

مذهب النشوء من اهم المذاهب التي اشتغل بها العلماء · وقد كان اشتغالهم بحل مسائلهِ على معظمهِ في القرن الماضي بعد ان قام دارون وعلل تولُّد انواع الحيوان بعضها من بعض بالانتخاب الطبيعي · ولا يزال في سبيل هذا المذهب عقبات يعمل على تذليلها بعض العلماء الذين انقطعوا للاشتغال بالعلوم الطبيعية · ومنهم الاستاذ باتن من كلية دارتموث في اميركا · وقد قام اخيراً بابحاث جليلة توفَّق بها الى تذليل اصعب عقبة في سبيل هذا المذهب وهي نشوء ذوات الفقار من الحيوانات التي لا فقار لها لاتساع البعد بينها و بين اقرب الحيوانات اليها من غير ذوات الفقار · وقد وقفنا الآن على فصل لهُ بيَّن فيهِ كيفية توصلهِ الى ذلك فرأينا ان نقتطف منهُ ما يأتي قال

لما اصبح مذهب النشوء مذهباً ثابتاً يقول بهِ جمهور المشتغلين بالعلوم الطبيعية رأى العلماء ان يرتبوا الحيوانات في سلسلة تبين نشوء بعضها من بعض اي ان يبينوا الطرق التي تمشي فيها نشوء انواع الحيوان منذ اول ظهورهِ حتى العصر الحاضر او من ابسط انواعهِ التي يتألف جسمها من خلية واحدة الى الانسان

ولترتيب الحيوان في هذه السلسلة اهمية كبيرة لانها تتخذ حجة للحكم إما بصحة مذهب النشوء او بفسادهِ ولان لها علاقة كبيرة بعلم الحيوان اذ لا بد لحل مسائلهِ من معرفة اصل كل نوع من انواعهِ · واذا تمت هذه السلسلة كانت مثل مشهد من الصور المتحركة يبين الحلقات التي مرَّ عليها الحيوان في نشوئهِ من اول عهدهِ حتى الآن ويُظهر ما للعوامل والمؤَثرات الخارجية من الفعل في تكييفهِ

واكبر نقص في هذه السلسلة في نظر العامة عدم وجود حلقة تصل بين الانسان والقرود التي هي ارقى انواع الحيوان بعدهُ · اما العلماء فيرون في هذه السلسلة نقصاً آخر اكبر من هذا وهو عدم وجود الحلقات التي تصل بين الحيوانات العديمة الفقار والحيوانات الفقارية

وقد عملت عوامل النشوء في الحيوانات الفقارية ملايين من السنين اي منذ اول ظهورها حتى العصر الحاضر الأ ان تركيب اجسامها العمومي لم يتغير ولا يزال التشابه بين انواعها شديداً · فاذا اخذت منها نوعين يبعدان الواحد عن الآخر كثيراً كالسمكة والانسان مثلاً رأيت ان الفرق بينهما قائم في الكم لا في الكيف اي في مقدار الارتقاء لا في نوعهِ · ويظهر هذا الفرق في الامور الكمالية في بناء الجسم ومواقع الاعضاء منهُ وحجمها من

حيث نسبة بعضها الى بعض وتناسب اجزائها وما يقوم بهِ كل جزءٍ منها من الوظائف. ولكن لا فرق بينها في ترتيب اعضاء الجهاز الواحد او تركيبها او طريقة نموها. فان المشابهة تامَّة بين الانسان والسمكة في اجهزة الهضم والافراز والتناسل وفي اجزاء الجمجمة والانف والاذن والقلب والدماغ ولا يصعب على العالم بتركيب جسم الحيوان ان يرى هذه المشابهة

وعلى هذا التشابه في الامور الاساسية في بناء الحيوان مع التغير التدريجي في الامور الكمالية في اعضائهِ وظهور درجات هذا التغير مرتبة في آثار الحيوان القديمة المتحجرة يتوقف الحكم على القرابة بين انواعهِ وتسلسلها بعضها من بعض وتسلسل الكل من اصل واحد

اول ما ظهر على وجه الارض من الحيوانات الفقارية السمك ولا تزال آثارهُ المتحجرة في الصخور تدل دلالة واضحة على ان تركيبهُ لم يكن يختلف عن تركيب بعض انواعهِ اليوم في شيءٍ . الاَّ انهُ لم يُعثَر حتى الآن على آثار حيوانات فقارية عاشت قبل السمك ولا نعرف سبب يعلل بهِ عدم ظهور آثار مثل هذه لان طبقات العصر الذي عاشت فيهِ باقية الى الآن وفيها شيءٌ كثير من متحجرات الحيوانات العديمة الفقار على انواعها. فلماذا تختفي ذوات الفقار في ذلك العصر ومن اين اتت ومن اي نوع من عديمات الفقار نشأت وكيف تمَّ هذا التغير في بناء الحيوان حتى اكتسب بعض انواعهِ المميزات التي تظهر في ذوات الفقار ؟ هذه مسائل مهمة جدًّا لم يقدر احد على حلها . هنا فرجة كبيرة في سلسلة الحيوانات لا بد من سدها. فبين ذوات الفقار وعديمتها حلقات مفقودة لا حلقة واحدة وربما كانت هذه الحلقات تمثّل ثلثي انواع الحيوان التي عاشت على الارض. ولا بد ان تكون آثارها قد فقدت والاَّ فان كانت باقية فلم يعثر عليها بعدُ او عُثر عليها ولم تعرف ولا عُيِّن موقعها من درجات الحيوان. واذ ليس من حيوان عديم الفقار يشبه في بنائهِ الحيوانات الفقارية فلم يبقَ سبيل الى معرفة الصلة بين الحيوانات العليا والحيوانات الدنيا والى معرفة الطريق الذي تمشي فيهِ النشوء

هذا نقص كبير في العلوم التي تبحث في الحياة واذا لم يتلافَ هذا النقص لم يسعنا الاَّ الاقرار بان ذوات الفقار وهي ارقى انواع الحيوانات لا تزال منفصلة عن غيرها من الانواع لا يربطها بها رابط رغمًا عن اجتهادنا في ترتيب انواع الحيوان حسب الاصول التي نشأت منها. ولا بد لنا ايضًا من التسليم باننا لا نعرف شيئًا عن العصر الذي تمَّ فيهِ نشوء الحيوانات الفقارية وباننا نجهل الطريقة التي نشأت عليها المميزات المهمة في بناء الانسان وان ليس لدينا ما نعتمد عليهِ في تعليل الاطوار التي يتطور بها في الحالة الجنينية ولا ما يدلّ عن السبب الذي

دعا الى نشوء بعض اعضائهِ كالفم والعظام والرئتين والفكين والقلب والغدة التيموسية والغدة الدرقية والغدة الصنوبرية والدماغ واعضاء الحس

و بعد ان نشر دارون كتابهُ اصل الانواع حاول العلماء ان يبيّنوا كيفية نشوء الحيوانات الفقارية من الحيوانات العديمة الفقار فكان لهم في ذلك مذاهب متعددة . الاَّ انهم اضطروا ان يفرضوا انواعاً خيالية من الحيوان تصل بين ذوات الفقار وعديمتها ولكنهم لم يتمكنوا من حل هذه المسأَلة ولا من تقريب حلها وقد بطلت الآن كل مذاهبهم وآرائهم من هذا القبيل . غير ان بعض ما كانوا يفرضونهُ ويجيزونهُ من باب التوسُّع قد التبس بالحقائق في اذهان البعض فلا يزالون يعتقدون صحتهُ حتى يومنا هذا

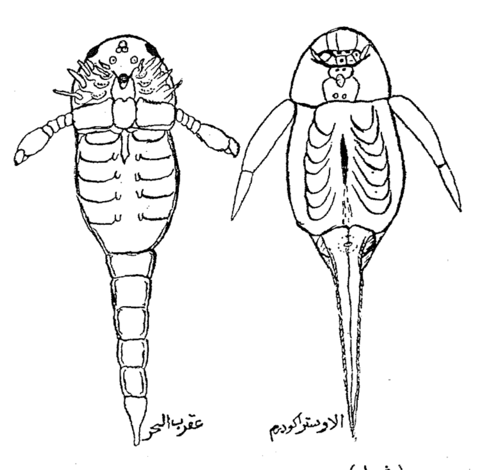
ولما اخفقت مساعيهم من هذا الوجه عدلوا عن البحث في اشكال الاعضاء وتركيبها ومقابلة بعضها ببعض لمعرفة كيفية نشوئها لاسيما وانهُ كان قد قام في نفوسهم ان الحيوان الذي نشأَت منهُ ذوات الفقار الاولى كان صغيراً رخو القوام لا يحتمل ان يترك اثراً متحجراً . فوجهوا همهم الى البحث في الخلايا الحيوانية واجراء التجارب التي من شأنها ان تحدث تغيراً في النوع الواحد من الحيوان

الاَّ انهم اغفلوا امر الحيوانات المفصلية (وهي الحشرات والحيوانات القشرية والعناكب) في ابحاثهم هذه ولم يوفوها حقها من البحث والنظر فيها مع انها ارقى الحيوانات العديمة الفقار . ومن الغريب ان يتفق جميع الباحثين في اخراجها من دائرة البحث مع عدم ظهور ما يوجب ذلك . ولعل سبب اخراجها اعتقادهم ان ارتقاء الحيوانات المفصلية سار في جهة لا توصل الى نشوء ذوات الفقار منها او انها بلغت من الارتقاء مبلغاً لا يمكن بعدهُ ان ينشأ منها نوع جديد

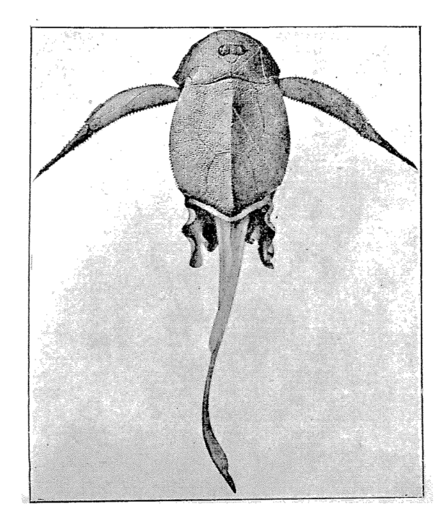
وقد صار يصعب على مَن يبحث بحثاً جديداً في نشوء ذوات الفقار من عديمتها ان يجد مَن يُعنَى بقولهِ وذلك لتحوُّل انظار العلماء عن هذه المسأَلة بعد الذي رأَوا من حبوط مساعي الباحثين فيها ولنفور العقول من كل جديد لم تعتدهُ من قبل

وسنة ١٨٨٩ كنت ابحث في نمو عيون الحيوانات المفصلية فرأَيت ان بعضها يكون اولاً في ظاهر الرأس ثم يغور الى الدماغ والحيوان في الطور الجنيني . فتنبهت عند ذلك الى شدة الشبه بين ما يحدث لهذه العيون وتكوُّن العين الاثرية التي تعرف بالعين الصنوبرية في دماغ ذوات الفقار فاستنتجت ان بين النوعين قرابة في الاصل

ثم اخذت ابحث في تركيب اعضاء انواع مختلفة من العناكب وكيفية نموها لاجل تحقيق



(ش ۱)


اوستراكودرم متحجر

مجلد ٤٣ صفحة ٢١

ذلك فثبت لي وللباحثين معي ان دماغها يشبه دماغ الحيوانات الفقارية في شكله وانقسامه الى اقسام والوظائف التي يقوم بها كل قسم منهُ والاعضاء المختصة باتمام هذه الوظائف واعصابها وعقدها العصبية · وتحققنا ايضاً ان للعناكب ما يقابل العظام الجلدية والقحف وخياشيم التنفس والحبل الغضروفي الذي يتحول الى السلسلة الفقارية في ذوات الفقار · ورأينا ان نمو اجنتها يتفق مع نمو اجنة ذوات الفقار في امور كثيرة ويجلو اموراً عديدة كانت غامضة

واتضح عند ذلك ان الحيوانات العنكبوتية اقرب الحيوانات العديمة الفقار الى الحيوانات الفقارية وان اوجه الشبه بين الاثنين كثيرة بحيث يتعذر تعليلها بمجرد الاتفاق والعرَض او بنموها في الاثنين متشابهة لتشابه الاغراض التي وجدت من اجلها او بفعل المحيط الواحد او اي سبب آخر غير اتفاقها في الاصل الذي نشأ عنهُ . الاَّ انهُ يبعد كثيرًا ان تكون ذوات الفقار نشأت من حيوانات مثل انواع العناكب كما نراها اليوم ولا شك في ان ذوات الفقار الدنيا نشأت من حيوانات بحرية شبيهة بالحيوانات العنكبوتية

ومعلوم ان العناكب التي تعيش على اليابسة الآن نشأت من عناكب مائية كانت تعرف بعقارب البحر وعاشت قبل ظهور الحيوانات الفقارية بعصور طويلة جدًّا وبقيت حتى ظهور ذوات الفقار الاولى · ولما كانت عقارب البحر آخذة بالتلاشي وذوات الفقار آخذة بالازدياد ظهرت انواع من الحيوان تعرف بالاوسترا كودرم اي ذوات الجلد الصدفي كما ترى في الشكل الاول · ولم يعرف شيء كثير عن الاوسترا كودرم فكانت بعض انواعها تعدُّ في ذوات الفقار و بعضها تعد في عديمتها وكان البعض منها ايضاً يشبه عقارب البحر في الظاهر · واخيراً اثبت هكسلي ولانكستر وغيرهما من العلماء انها جنس من السمك · فنسي عند ذلك امرها حتى ان كثيرين من علماء الحيوان امسوا وهم يجهلون وجودها جملة

ومن الغريب ان لا يفطن احد الى ان الاوسترا كودرم يمكن ان تكون من ذوات الفقار التي ظهرت اولاً او ان ذوات الفقار الاولى نشأت منها فانها تختلف عن السمك وعهد ظهورها قديم جدًّا · والسبب الاكبر لغفول العلماء عن هذا الامر ما كانوا يعتقدون بهِ من ان ذوات الفقار الاولى لم تكن ذات هيكل قوي من العظام او من القشر اي انها كانت مثل القرش (كلب البحر) اما الاوسترا كودرم فكان لها درع قشري · فاما ان يكون علماء ذلك العصر وهموا في بعض الحقائق التي بنوا حكمهم هذا عليها او انهم غلطوا في استنتاج الحكم مما عرفوهُ · وهنا نتساءل ألا يمكن ان تكون الاوسترا كوردم نوعًا من الحيوان متوسطاً بين السمك و بين عقرب البحر فانها تشبه الاثنين وكان ظهورها في العهد الذي نشأت فيهِ ذوات

الفقار من عديمتها . وان كانت من الانواع التي تدرَّج فيها الحيوان حتى اصبح ذا فقار امكن تعليل الشبه بين العناكب كما هي اليوم و بين الحيوانات الفقارية بنشوء الاثنين عن اصل واحد

فهذا حلٌّ جديد لهذه المسألة التي هي اهم ما بحث فيهِ العلماء منذ ايام دارون الى الآن واذا ثبت ترتب عليهِ تغيير كثير في ترتيب انواع الحيوان حسب قرابتها بعضها من بعض وربما كان هذا التغيير اكبر تغيير من نوعهِ حدث بعد قيام كوفيه ولمارك . ويمكن ايراد هذا الحل في كلمات قليلة كما يلي — نشأت الاوسترا كودرم اولاً من عقارب البحر ثم نشأ من الاوسترا كودرم السمك او الحيوانات الفقارية الاولى . وهذا حلٌّ جديد للمسألة يتفق مع كل الحقائق التشريحية والجنينية والباليونتولوجية المعروفة ولم يقم ما ينقضهُ

ويمكننا ان نضع هذا الحل في قالب آخر وهو ان العناكب تشابه ذوات الفقار التي نشأت اولاً مشابهة شديدة . وان اسلافها كانت تعيش في الماء وكانت ارقى انواع الحيوان في عهدها . ثم ظهرت الاوسترا كودرم بعدها فاصبحت هي ارقى انواع الحيوان وكانت تشبه الحيوانات العنكبوتية التي نشأت منها وتشبه السمك الذي ظهر بعدها ايضاً . ومن هذا ينتج ان الحيوانات العنكبوتية البحرية والاوسترا كودرم والسمك درجات ثلاث متتابعة في ارتقاء الحيوان قديماً كما ان السمك والحيوانات التي تعيش في الماء وفي اليابسة (كالضفدع) والحيوانات اللبونة درجات ثلاث ايضاً في ارتقاء ذوات الفقار . واذا صح هذا سهل البحث في نشوء الحيوانات الفقارية كثيراً لان بقايا الحيوانات العنكبوتية المتحجرة كثيرة و يمكن تتبع نشوئها درجة درجة بمقابلة هذه المتحجرات بانواعها الحية الكثيرة التي نراها اليوم

وكان لا بد لاثبات ذلك من التدقيق في البحث خصوصاً وان للمسألة من الاهمية ما لها . واذ لم يكن لدينا من متحجرات الاسترا كودرم ما يكفي من ذلك رأينا ان نبحث في تركيب اعضاء العناكب والحيوانات الفقارية الدنيا وكيفية نموها في الحالة الجنينية . وكنا كلما تعمقنا في البحث زاد تأكدنا لصحة الحل الذي قدمناهُ اذ كانت تظهر لنا شواهد كثيرة تدل على ان الفرق بين هذين النوعين من الحيوان لا يتجاوز الظاهر ويمكن تعليلهُ تعليلاً معقولاً وان بينهما تشابهاً جوهرياً في امور كثيرة . وكنا نرى التشابه حيث لم نكن نتوقعهُ في الاعضاء وطريقة نموها وجميع الاطوار التي تتطور بها . واتضح عند ذلك انهُ ليس في عديمات الفقار نوع يقرب من الحيوانات الفقارية بقدر ما تقرب منها العناكب . ولم يبدُ من احد اعتراض على الحقائق التي بني عليها الحكم بوجود الشبه بين هذين النوعين . ومن ذلك ترى اننا بيّنّا ان الحيوانات الفقارية نشأت في الراجح من الحيوانات العنكبوتية البحرية

الاَّ ان بين الحيوانات العنكبوتية والحيوانات الفقارية فرجة كبيرة لا بد من سدها ولا يسدها الاَّ حيوان متوسط بين الاثنين في بنائهِ يكون قد ظهر في العصر الذي حدث فيهِ نشوء الثانية من الاولى . ولا نعرف حيواناً يتوفر فيهِ هذان الشرطان غير الاوسترا كودرم ولذلك توجهت الانظار الى البحث عن آثارهِ لانهُ انقرض منذ عهد بعيد

وكانت اول فرصة سنحت لي للتفرغ لهذا البحث اجازة ستة اشهر نلتها من كايتي يقع بعضها في سنة ١٩٠٠ و بعضها في سنة ١٩٠١ الاَّ اني كنت ارى امامي صعوبات كثيرة خصوصاً واني كنت لم اعتد من قبل البحث عن الآثار الجيولوجية و بقايا الحيوان لاني كنت منقطعاً للبحث في اطوار اجنة الحيوان وشكل اعضائهِ و بنائها . فرأيت اولاً ان ازور المتحف البريطاني و بعض المتاحف الاخرى المهمة لادقق في فحص ما فيها من المتحجرات لعلي اعثر على تفاصيل جديدة يمكن ان يكون قد غفل عنها العلماء الكبار مثل هكسلي ولانكستر وترا كواير وودورد وغيرهم الذين دققوا في فحصها قبلي . ومما اطمعني في ذلك انني كنت اسير في نور حقائق جديدة لم يسيروا هم فيهِ . ورأيت انا وجماعة غيري ان نقوم بهذا البحث اولاً حتى اذا اخفقت مساعينا فيهِ انقلبنا الى البحث في الطبقات الجيولوجية لعلنا نأتي على متحجرات توضح لنا بناء تلك الحيوانات اكثر من المتحجرات التي كانت قد اكتشفت حتى ذلك الحين

فزرنا اولاً المتاحف الكبيرة في انكلترا واسكوتلندا والاماكن التي اخرج منها هوغ ملر الجيولوجي اول متحجرات عرفها العلم لهذه الحيوانات فلم نعثر على ما يجلو لنا الامور المهمة التي كنا نتحرى استجلاءها في بناء هذه الحيوانات الاَّ اننا استفدنا منها بعض تفاصيل تتعلق بالموضوع زادتنا رغبة في متابعة البحث

فصمَّمنا على الذهاب الى جزيرة اويزل في بحر البلطيك لفحص ما فيها من متحجرات الاوسترا كودرم ثم الى متحفي بطرسبرج وموسكو حيث وضعت اكثر المتحجرات التي عثر عليها في تلك الجزيرة . والاوسترا كودرم التي رأينا متحجراتها هناك لا يزيد طولها على ثلاث عقد الاَّ ان بعضها ظاهر جليًّا تتضح فيهِ بعض الاعضاء جيداً فاملنا ان نستفيد منها حقائق جديدة مهمة . ورأينا للاوسترا كودرم في هذه المتحجرات اطرافاً ذات مفاصل وعيوناً نائتة شبه الزنود موقاة بغلافات صدفية . فكانت هذه الاكتشافات حقائق جديدة زادتنا تأكداً ان الشرط الاول متحقق في الاوسترا كودرم

الاَّ ان ما اكتشفناهُ من الحقائق الجديدة في هذه الرحلة العلمية لم يكن كافياً اذ لم نعلم شيئاً عن الاعضاء التي تحيط بفم الحيوان ومواقع الاجزاء المهمة في احشائهِ . ولم يكن لنا

بد من معرفة هذه الامور خصوصاً واننا كنا قد زدنا تأكداً ان هذا الحيوان لا يمكن عدهُ في ذوات الفقار ولا في عديمتها

فرأينا عند ذلك ان نبحث في متحجرات وادي شالور في كندا لان بينها متحجرات من احد انواع الاوسترا كودرم التي نشأت اولاً . فقضينا هناك اربع عطلات من عطلات الصيف ننقب عن متحجرات يظهر فيها بناء الحيوان جيداً . فكنا نلتقطها عن الشاطئ عند جزر الماء بعد مدهِ او نكسر الحجارة التي تحتوي عليها فنجدها فيها . الاَّ ان كل المتحجرات التي وجدناها على هذه الصورة كانت مشوهة من اصلها او بفعل العوامل الطبيعية بها بعد ان تحجرت . فوجهنا انظارنا عندئذ الى صخور الشاطئ آملين ان نجد طلبتنا فيها

وبعد التنقيب والعناء اتينا على صخر يحتوي على كثير من المتحجرات التي كنا نطلبها . فتأملناهُ قليلاً فتأكدنا انهُ لم يُحمَل الى المكان الذي وجدناهُ فيهِ بقوة الامواج او جبال الجليد اذ كان مظهرهُ يدل على انهُ لم يكن قد مضى عليهِ زمن طويل بعد انفصالهِ من الصخور العالية التي فوقهُ . فحفرنا لنا طريقاً في تلك الصخور القائمة عند الشاطئ كالجدار الى ان اتينا الى المكان الذي انفصل منهُ واخذنا نكشف عن الطبقة التي تحتوي على المتحجرات بنسف ما فوقها من الصخور بالديناميت واقتلاعها بالاخال . الاَّ اننا كنا في خطر من تساقط الحجارة علينا . وبلغ الخطر منا مرتين ان سقط علينا حجران وزن كل منهما نحو ٥٠ رطلاً فاطارا الادوات التي كنا نعمل بها من ايدينا . وسقطت صخور اخرى اكبر من هذه كثيراً فزاد موقفنا حرجاً اذ كان لا بد لنا من الاحتياط من الخطر الذي كان يتهددنا فضلاً عن شدة حرصنا على استخراج ما تحت اقدامنا من الكنوز

ولم يكن المكان الذي يحتوي على المتحجرات كبيراً ولكن كان فيهِ شيءٌ كثير منها في حالة تمكّن من التعمق في فحص ذلك الحيوان اكثر من كل المتحجرات التي كانت معروفة حتى ذلك الحين . وظهر لنا ان المكان الذي هي فيهِ كان قبل ملايين السنين بركة صغيرة عند شاطئ البحر ينمو فيها نبات بحري يشبه السرخس (الخنشار) وتصل اليها الحيوانات عند ارتفاع الماء ومدهِ فتبقى فيها بعد جزرهِ وانحسارهِ والمتحجرات التي فيها من الاوسترا كودرم والسمك

ثم تحجر الطين في قعر هذه البركة فصار صخراً من النوع الكاسي الرملي ذي الحب الدقيق وبقيت فيهِ متحجرات هذه الحيوانات سليمة على وضعها الاول عند موتها وانقطاعها عن الحركة . ومن هذه الحيوانات واحد حملهُ الم النزع حتى غاص في الطين فارتكز فيهِ ومات على هذه الصورة رأسهُ في الطين ومؤخرهُ ظاهر فوقهُ . وظهر كثير منها في صف

ورؤوسها متجهة الى الشمال الشرقي واستنتجنا من التواء رؤوس النباتات في الجهة المقابلة انها كانت متجهة ضد مجرى خفيف من الماء

واكثر تلك المتحجرات سليم يظهر فيهِ شكل الحيوان وتفاصيل كثيرة مما في ظاهرهِ من المميزات . ويتضح ايضاً فيها شكل كل من اعضاء حسهِ وفكيهِ وخياشيمهِ ومعدتهِ ومخرجهِ واعضائهِ التناسلية وموقع هذه الاعضاء . ولم يصعب علينا ايضاً معرفة كيفية تحركهِ وانتقالهِ من مكانٍ الى آخر وطريقة اغتذائهِ ونوع الطعام الذي كان يأكلهُ

الآن ان قراءة هذا النبإ الذي وصلنا من وراء ملايين السنين والعصور الطويلة لم يكن بالامر السهل . فبعد ان حملنا العشرات من تلك المتحجرات الى دور العلم حيث يمكننا فحصها جيداً بقينا ثلاث سنوات نبرد قطع الصخر التي تكتنفها ونحتها بالازاميل ثم قطعنا بعضها بمناشير من الماس وصقلناها جيداً لكي نرى تركيب اعضاء الحيوان الداخلية

ولكن اذا اشتدت الرغبة في العمل ذهب منهُ التعب . والاجتهاد والجلد يكونان على قدر ما يتوقع من ثمرتهما . وقد كانت ثمرة اتعابنا اكثر مما توقعنا . واذا اغتبط من يعثر عرضاً واتفاقاً على اثر من آثار العصور الخالية فكم يجب ان تكون غبطة العالم الذي يكشف بيدهِ عن كنز ثمين ويقرأ منهُ تاريخ العصور الغابرة بعد ان يكون قد تجشم مشاق كثيرة في البحث عنهُ ؟

كانت نتيجة هذا الاكتشاف اثبات ما كنا قلنا بهِ قبل ذلك وهو ان الاوسترا كودرم متوسطة بين ذوات الفقار وعديمتها اي انها الحلقات المفقودة في نشوء ذوات الفقار . فمؤخرها مثل مؤخر السمك فيهِ طبقات من الانسجة ولكن شكلها العمومي خصوصاً شكل رأسها وطريقة تحركها وانتقالها وعينيها واطرافها اقرب الى عقارب البحر منها الى السمك . اما خياشيمها وتركيب هيكلها القشري فمتوسطة بين الاثنين

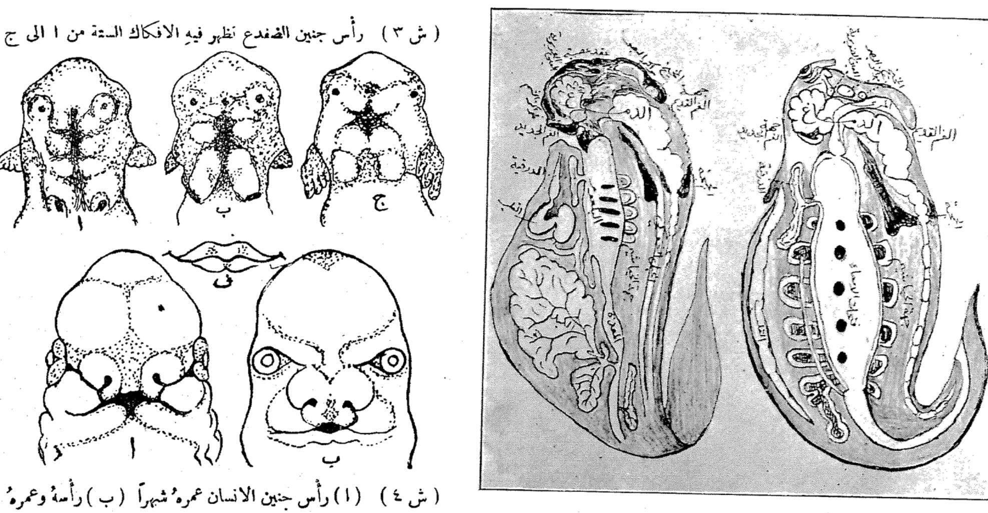
ولكن اهم ما اتضح لنا هو تركيب فكوكها فان لها اربعة فكوك ثم حركتها عند المضغ او القضم بانضمامها وتفرقها فلا تتحرك الى الامام والوراء مثل فكوك الحيوانات الفقارية

ويمكنك ان تعرف ما لتركيب الفم من الاهمية اذا عرفت ان الفرق الاكبر بين ذوات الفقار والحيوانات المفصلية والعناكب هو في موقع الفم واختلاف اجزائهِ ونوع بنائها . ففم الحيوانات المفصلية يكون في الجهة التي يكون فيها الجهاز العصبي ويمر الطعام في طريقهِ الى القناة الهضمية بمر في اسفل الدماغ . وقد يكون لهذه الحيوانات ارجل تقوم مقام الفكوك وتتحرك عند المضغ بابتعادها واقترابها . اما في ذوات الفقار فالفم وفكاهُ في الجانب المقابل للدماغ والحبل الشوكي ولا يمر الطعام في دخولهِ من الفم الى قناتها الهضمية بمر في اسفل

الدماغ كما في العناكب والفكان عبارة عن قوسين غير متشابهين ويتحركان الى الامام والوراء الواحد ضد الآخر كما ترى في الشكل الثاني

وقد ثبت مما تقدم اولاً ان الجهاز العصبي في العناكب هو نفس الجهاز العصبي في الحيوانات الفقارية ويقع من جسم الحيوانات الاولى في الجهة التي يقع فيها من الحيوانات الثانية . وهذه حقيقة راهنة يمكن الاعتماد عليها . ثانياً ان اجنة الحيوانات الفقارية يكون لها اولاً لا اقل من ثلاثة ازواج من الفكوك بارزة من الجهة التي فيها الجهاز العصبي ثم تنتقل رويداً رويداً الى الجهة المقابلة من الرأس . ثالثاً ان فم الحيوانات العديمة الفقار ومريئها القديمين لا يزالان في مكانيهما في اسفل الدماغ في الحيوانات الفقارية لكنهما صارا فيها عضوين اثريين لا نفع لهما . ولم يكن سبب وجودهما يعرف من قبل . وقد انقطع اتصالها بالخارج بنمو الدماغ وتغطيته لها والحيوان بعد في الطور الجنيني . رابعاً ان فم ذوات الفقار جديد نشأ بتكييف الندبة المعروفة بالسرة الدماغية وهي تظهر في الحيوانات المفصلية في المكان الذي يظهر فيه فم ذوات الفقار ولم تعرف وظيفتها وربما كانت الحيوانات المفصلية تعتمد عليها اذا ارادت الالتصاق بشيء . وفي بعض الاطوار التي تتطور بها الحيوانات المفصلية في نموها تكون هذه الندبة منفذاً يدخل منهُ الطعام الى القناة الهضمية ولكنها لا تلبث ان تتوقف عن هذا العمل . وبعبارة اخرى نقول انهُ لم يكن بد لدماغ العناكب وهو ينمو على الطريقة التي نما فيها من ان يسد الفم القديم ويفصل الفكوك ويقصيها بعضها عن بعض الى ان تلتقي حول السرة الدماغية في الجهة الثانية منهُ وتصبح السرة نفسها منفذاً دائماً الى القناة الهضمية اي انها لم تعد تُسد اثناء نمو الحيوان فقامت مقام الفم القديم الذي كان آخذاً بالانسداد تدريجاً

فبحثنا اذن يتناول سلسلة من التكييفات في الاعضاء الداخلية اوصلت الحيوان الى حالة اصبحت فيها اعضاؤُهُ غير ثابتة بل عرضة للتغير الكثير . لكن هذه الحال لم تطل مدتها كثيراً فاتخذت الاعضاء اشكالاً واوضاعاً ثابتة . والعصر الذي حدث فيهِ ذلك من اهم العصور في نشوء الحيوان . وتمشت هذه التغيرات على طريقة يمكن معرفتها وتمت بفعل نواميس النمو التي عرفت وقررت منذ زمن بعيد ويمكن تتبع فعلها درجة درجة في العناكب الى ان نصل الى الحد الذي اصبح فيهِ حدوث الانقلاب الاخير امراً لا بد منهُ . واكتمال هذه الانقلابات وتمامها هو الحد الذي تم عندهُ نشوء ذوات الفقار من عديمتها اي يمكننا ان نقول ان ذوات الفقار ظهرت اولاً عند ذلك الحد . والمسألة بطبيعتها تدل على ان هذا الانقلاب تمَّ سريعاً . وفكوك الاوسترا كودرم التي كل اثنين منها متشابهان تمام التشابه



(ش ٣) رأس جنين الضفدع تظهر فيهِ الافكاك الستة من ا الى ج

(ش ٤) (ا) رأس جنين الانسان عمرهُ شهراً (ب) رأسهُ وعمرهُ شهران وف فم البالغ وتظهر فيهِ آثار تركيبهِ من ستة مشافر

(ش ٣) قطع حيوان عنكبوتي قديم قطع حيوان فقاري قديم

لا يمكن تعليل وجودها على ما هي عليهِ الاَّ بعدّها درجة من درجات هذا التغير الاولى

ولا يزال اثر هذه التغيرات يظهر في اطوار ذوات الفقار حتى يومنا هذا اذ يمكننا ان نرى انطباق الفم القديم داخل الدماغ وانتقال ثلاثة ازواج على الاقل من الفكوك من الجانب الواحد الى الجانب الثاني من الرأس واجتماعها والتصاقها حول الفم الجديد. ففي جنين الضفدع مثلاً نرى جلياً ثلاثة ازواج من الفكوك بعد انتقالها الى الجانب المقابل للجانب الذي فيهِ الدماغ وتجمعها حول الفم الجديد (شكل ٣). ولا يلبث الزوجان الاولان ان يندغما ويتحدا سوية فيصبحا فكًّا واحداً هو الفك الاعلى من الضفدع ويصبح الزوج الثالث الفك الاسفل

وتظهر هذه الازواج الثلاثة من الفكوك في جنين الانسان ايضاً وتكون منهُ في المكان الذي تكون فيهِ من الضفدع ثم تتحد سوية على ما تقدم. ولهذه الفكوك وطريقة نموها تأثير كبير في تكييف هيئة الوجه البشري. وقد يحدث ان لا تتحد بعضها مع بعض جيداً فتجيء شفة الانسان مشقوقة كشفة الارنب او يبقى الحلق شقتين غير متحدتين (شكل ٤) او تظل القناة الانفية مفتوحة. حتى وفي الاوجه التي لا تخرج عن المألوف في شيء تكون الشفتان احياناً متضخمتين على الجانبين ويمكن عدّ ذلك اثراً لتلك الفكوك الستة كما ترى في الشكل الرابع. ومما تقدم يتضح ان العوامل التي كانت تعمل في تركيب وجه الحيوانات العنكبوتية القديمة التي نشأت عنها الحيوانات الفقارية لا تزال تعمل في نمو وجه الانسان اليوم

وفي الانسان اعضاء اخرى كثيرة ورثها من الحيوانات العنكبوتية القديمة. ومنها الغدة النخامية والغدة الثيموسية والغدة الدرقية والعين الصنوبرية ولا سبيل الى معرفة معنى هذه الاعضاء والغرض الذي وجدت لهُ الاَّ اذا بحثنا عنها في هذه الحيوانات

فاذا وصلنا انواع الحيوان الدنيا بانواعهِ العليا بسلسلة تتمشى مع نشوئهِ كما تقدَّم رأينا في جميع الانواع التي تتألف منها هذه السلسلة رابطاً عمومياً وتشابهاً شديداً في طريقة نموها وبناء اعضائها المهمة. وعندي ان النشوء الذي سار سيرهُ المنتظم في طريقهِ المحدودة مدة ملايين السنين وتحت تأثير عوامل يكثر اختلافها بعضها عن بعض لم يكن نتيجة توارث صفات كان توارثها عرضاً واتفاقاً ولا نتيجة فعل المحيط الخارجي ولا فعل الاستعمال والاهمال ولا فعل الانتخاب الطبيعي ولا يمكن ان تكون هذه العوامل قد اثرت الاَّ تأثيراً ثانوياً. وارى ان العوامل الكبرى التي تم بها ذلك ولا تزال تعمل في الحيوان والنبات هي قوة نموّ وارتقاء عامة لا تنقطع عن عملها ويتقيد فعلها بطبيعة ما تعمل بهِ من المواد المعدة لان تصير آلية وبالاحوال الداخلية التي تتولَّد بتدرجها في الارتقاء

اختلال التوازن الدولي

يقول رجال السياسة ان الدول الاوربية منقسمة انقساماً متوازناً متعادلاً وهذا التوازن هو الذي يمنعها من ان تثير الحروب بعضها على بعض ولولا ذلك لتسلط القوي منها على غيره واصبحت الممالك كلها لدولة واحدة . ولا ينكر ان في انقسام الدول الكبرى الحاضر شيئاً من التوازن ومن المحتمل ان لهُ يداً في منعها من اثارة الحرب بعضها على بعض ولكننا نرجح ان الموجب الاكبر لمنعها من اثارة الحروب هو كثرة مضار الحروب سواء خرجت الدول منها مغلوبة او غالبة وشدّة ما تلاقيهِ من معارضة الذين لا مصلحة لهم في اثارتها . ومع ذلك يحسن بالقارئ الشرقي ان يقف على ما يقولهُ الاوربيون في التوازن الدولي وما اصابهُ من الاختلال بخروج الدولة العثمانية من اوربا . وقد وقفنا الآن على مقالة مسهبة في هذا الموضوع لكاتب شهير من الكتاب الذين اعتادوا البحث في المواضيع السياسية العمومية ولهم فيها كتب ممتعة وهو السر باركر نشرها في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر فاقتطفنا منها ما يأتي

قال ان السياسة التي ترمي الى توازن الدول قديمة جدًّا ابتدأت بابتداء العمران والغرض منها ان لا تزيد قوة دولة من الدول حتى تسود على سائر دول الارض . وقد قال الملك فردرك الكبير ملك بروسيا «ان السبب الاكبر في حفظ السلم الاوربي هو توازن قوات الدول الذي يمنع الدولة القوية من اجتياح غيرها لان الدول الضعيفة تتفق عليها وتمنع ضررها . فاذا تلاشى هذا التوازن خيف من حدوث ثورة عامة وقيام دولة قوية منيعة على انقاض الدول التي ليس في كلٍّ منها من المنعة ما يكفيها لمقاومة الدولة القوية ولا فيها كلها من الحزم ما يجعلها تتحد معاً على مقاومة خصمها . فلو اتحدت مصر وسورية ومكدونية في زمن دولة الرومان ما استطاعت تلك الدولة ان تتغلب عليهنَّ . نعم لو اتحدن على اسلوب معقول وقاومن خصمهنَّ لنجون من قيود الاستعباد التي رسفن بها بعد تسلط الرومان عليهنَّ»

ولقد نشبت الحروب الكبرى في اوربا من طمع بعض ملوكها وطموح انظارهم الى السيادة على غيرهم مثل كارلُس الاول وفيلبوس الثاني ولويس الرابع عشر ونبوليون الاول

ووقع هذا التوازن في اوربا حديثاً لما تحالفت المانيا والنمسا وايطاليا من جهة وفرنسا وروسيا من اخرى فان المحالفة الثنائية كانت موازنة للمحالفة الثلاثية وبقيت انكلترا على الحياد

لان ليس لها مصلحة كبيرة في قارة اوربا تخشى عليها من اختلال التوازن . ولكنَّ المانيا سعت الى مغاضبة انكلترا فاحرجتها واضطرتها الى ترك الحياد والانضمام الى المحالفة الثنائية ولو على سبيل الاتفاق وكانت فاتحة اعمالها هذه ارسالها التلغراف الى كروجر سنة ١٨٩٦ في بداءة حرب الترنسفال ثم جعلت تزيد قوتها البحرية قاصدة ان تلحق بانكلترا وتناظرها فقالت في اللائحة البحرية التي قدمتها سنة ١٩٠٠ الى مجلس نوابها طالبة بها مبالغ كبيرة لانشاء البوارج « ان المانيا تحتاج الى عمارة قوية حتى اذا حاربت اقوى الدول البحرية عرّضت تفوُّق تلك الدولة للخطر » . ومن ثمّ اخذت المانيا تزيد الاموال التي تنفقها على انشاء السفن الحربية سنة بعد سنة كما ترى في الجدول التالي وقد ذكر فيهِ ما انفقتهُ انكلترا على انشاء سفنها الحربية وما انفقتهُ المانيا وذلك من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩١٢

	بريطانيا	المانيا
١٩٠٠	٩٧٨٨١٤٦ جنيه	٣٤٠١٩٠٧ جنيه
١٩٠١	« ١٠٤٢٠٢٥٦	« ٤٩٢١٠٣٦
١٩٠٢	« ١٠٤٣٦٥٢٠	« ٥٠٣٩٧٢٥
١٩٠٣	« ١١٤٧٣٠٣٠	« ٤٣٨٨٧٤٨
١٩٠٤	« ١٣٥٠٨١٧٦	« ٤٢٧٥٤٨٩
١٩٠٥	« ١١٢٩١٠٠٢	« ٤٧٢٠٢٠٦
١٩٠٦	« ١٠٨٥٩٥٠٠	« ٥١٦٧٣١٩
١٩٠٧	« ٩٢٢٧٠٠٠	« ٥٩١٠٩٥٩
١٩٠٨	« ٨٦٦٠٢٠٣	« ٧٧٩٥٤٩٩
١٩٠٩	« ١١٢٢٧١٩٤	« ١٠١٧٧٠٦٢
١٩١٠	« ١٣٢٧٩٨٣٠	« ١١٣٩٢٨٥٦
١٩١١	« ١٥٠٦٣٨٧٧	« ١٢٢٥٠٢٦٩
١٩١٢	« ١٣٩٧٢٠٢٧	« ١١٧٨٧٥٦٥

اي ان ما انفقتهُ المانيا على انشاء سفنها الحربية كان نحو ثلاثة ملايين ونصف من الجنيهات سنة ١٩٠٠ فصار اثني عشر مليوناً سنة ١٩١٢ فزاد اكثر من ثمانية ملايين من الجنيهات واما ما انفقتهُ انكلترا فلم يزد الاَّ نحو اربعة ملايين . والاول زاد ٢٤٧ في المئة واما الثاني فزاد ٤٣ فقط في المئة

فاهتمام المانيا هذا ومغاضبتها لانكلترا من وقت الى آخر اضطرّ انكلترا الى موافقة المحالفة الثنائية ولاسيما بعدما دارت الدائرة على روسيا في حرب اليابان فامست المحالفة الثنائية اضعف من المحالفة الثلاثية ولو بحراً فتم الاتفاق بين انكلترا والمحالفة الثنائية سنة ١٩٠٧ وعاد التوازن الدولي الى مقامهِ الاول

الاَّ ان التحالف الثلاثي لم يكن ثلاثيًّا فقط بل كان رباعيًّا او خماسيًّا لان المانيا كانت تعتمد على صداقة تركيا ورومانيا وهي واثقة انهما تنصران الاتحاد الثلاثي اذا نشبت حرب اوربية فساعدت تركيا بالمال والرجال والاسلحة لهذه الغاية وارسلت هي والنمسا وايطاليا اقدر رجالهنّ الى عاصمة رومانيا سفراء ليحفظوا الالفة بينها و بين المحالفة الثلاثية . ولما كان امبراطور الالمان في دمشق سنة ١٨٩٩ قال في الوليمة التي اولمت لهُ هناك انهُ هو «الصديق الدائم لسلطان آل عثمان ولكل الذين يعترفون بخلافتهِ عليهم» . وكانت المانيا تهتم بتقوية تركيا لكي تستعين بها على مقاومة انكلترا وبها و برومانيا على مقاومة روسيا . ولقد قال الجنرال فون برنهاردي وهو من امهر قواد الالمان في الامور الحربية واقدرهم في الكتابات المتعلقة بها في كتابهِ الذي الفهُ حديثًا «ان علاقة المانيا بتركيا ورومانيا لازمة لها جدًّا لانهما قادرتان على مقاومة روسيا وفضلاً عن ذلك فان تركيا هي الدولة الوحيدة القادرة على الاضرار بانكلترا لانها تستطيع ان تصل الى ترعة السويس وهي العرق الحساس والنقطة الحيوية في جسم بريطانيا» . وقال في كتاب آخر «ان تركيا لازمة جدًّا لالمانيا وكان الواجب على المانيا ان تدخلها في التحالف الثلاثي وتمنع الحرب الايطالية لانها هي الدولة الوحيدة التي يمكنها ان تتهدّد مركز الانكليز في مصر وطريقهم المختصرة الى الهند لذلك يجب علينا ان لا ندخر وسعاً في ضم تركيا الى المحالفة الثلاثية استعداداً لمحاربة انكلترا او روسيا»

وقد انشأَت المانيا سكة بغداد وغرضها الاكبر منها الاستعانة بتركيا على حرب انكلترا . قال الدكتور رورباخ الرحالة الكبير في كتابهِ الذي نشرهُ سنة ١٩١١ «ان فوز المانيا على انكلترا في الحرب لا يكون بالهجوم عليها من البحر الشمالي بل باخذ مصر منها . فانها اذا فقدت مصر فقدت سلطتها على ترعة السويس وطريقها الى الهند والشرق الاقصى ومن المرجح ايضاً ان فقدها لمصر يجعلها في خطر من ان تفقد املاكها في اواسط افريقية وشرقها . وتغلُّب الدولة العثمانية على مصر يعبث بسلطة انكلترا على ستين مليونًا من رعاياها المسلمين في الهند ويجعل موقفها حرجًا في ايران وافغانستان . ولذلك يجب ان يقوّى الجيش العثماني

ويزاد وان تساعد تركيا بالمال فانها اذا زادت قوة زاد الخوف منها على انكلترا واذا وعدنا تركيا باسترجاع مصر سهلت عليها محالفتنا على انكلترا »

وكثيرون من مشاهير الكتّاب الالمان جروا هذا المجرى في ما كتبوهُ عن تركيا ولزومها لالمانيا ولكن الساسة الالمان تركوا ايطاليا تعتدي على املاك تركيا فكانت نتيجة اعتدائها ان ثارت الخواطر في تركيا ووقع الاضطراب في سياستها فنهضت حكومات البلقان وشهرت الحرب عليها. وقد وقفت المانيا والنمسا وقوف المتفرج لانهما اعتقدتا ان الفوز سيكون للجيوش العثمانية حتماً فتخرج تركيا ظافرة من هذه الحرب ويقوى مركزها ومركز رومانيا ويكون الفوز للمحالفة الثلاثية . ولكن جاء الامر على غير ما قدَّرنا فخسرت تركيا املاكها في اوربا واستعزت الدول الصغيرة التي تقول بكلمة روسيا وتظهر العداء لرومانيا والنمسا لاسيما وان في النمسا ٢٥ مليوناً من السلاف وخمسة ملايين ونصف مليون منهم سربيون مجاورون لاخوانهم اهالي السرب

فلا شبهة اذاً ان ما حلَّ بتركيا اضعف المحالفة الثلاثية من وجهين فانهُ منع مساعدتها لالمانيا في مناوأة انكلترا وجعل دول البلقان بمأمن من تركيا فصارت هذه الدول تستطيع ان تنجد روسيا بمليون من الجنود اذا اقتضت الحال بل ان سربيا وحدها تستطيع ان تعبئ نصف مليون من الجنود . اذا نشبت الحرب بين روسيا والنمسا فالجنود السربية توقع بالنمسا ضرراً لا يقدر وتتهدَّد عاصمتها

ثم ان فوز حكومات البلقان في هذه الحرب غيَّر موقف رومانيا والمرجح انها ستضطر بعد الآن ان تعتمد على روسيا لا على النمسا لاسيما وان في بلاد النمسا ثلاثة ملايين ونصف مليون من الشعب الروماني وهم يشكون مرَّ الشكوى من معاملة النمسويين لهم ويودون الانضمام الى رومانيا . واهالي رومانيا يشددون عزائمهم على ذلك

وعليهِ فقد اضاعت المحالفة الثلاثية صداقة تركيا ورومانيا واكتسبت عداوة دول البلقان ولاسيما بما فعلتهُ النمسا مع السرب والجبل الاسود . وقد صرَّحت بذلك الجريدة «جرمانيا» لسان حال حزب الوسط الالماني حيث قالت « لقد قلنا تكراراً ان ظفر حكومات البلقان هو ظفر لروسيا فاذا نشبت الحرب الاوربية قام الاتفاق الثلاثي على المحالفة الثلاثية وانضمت اليهِ حكومات البلقان . ولقد كنا حتى وقت قريب نحسب انهُ يجب علينا ان نتأهب لمحاربة انكلترا اما الآن فتغيرت الحال في الشهور الاخيرة وصار علينا ان نتأهب لمحاربة روسيا

وتطوّرت المسألة الشرقية في طور آخر فصارت عبارة عن مناظرة بين الشعب الالماني والشعب السلافي »

وحاولت المانيا اخيراً ان تضم اسبانيا على المحالفة الثلاثية ولكن الدلائل تدل على انها ستفشل في ذلك وتنضم اسبانيا الى الاتفاق الثلاثي

وقد اتيح لي منذ سنة من الزمان ان اكتب في هذه المجلة عن السياسة التي اتبعتها المانيا بعد بسمارك اذ اهملت قوتها البرية واهتمت بقوتها البحرية لكي تناظر انكلترا فاضطرت انكلترا الى تركها والانحياز الى فرنسا وروسيا واضعفت الاتحاد الثلاثي لانهُ ما من دولة تستطيع ان تتوسع في قوتها البحرية الاَّ اذا كانت آمنة برًّا كأَن تكون في جزيرة مثل بريطانيا واليابان او تكون في بلادها بعيدة عن كل عدو مزاحم كالولايات المتحدة الاميركية · اما المانيا فلها ثلاث جارات قوية اثنتان منها فرنسا وروسيا ليستا على صداقة معها ولا تستطيع ان تعتمد على مساعدة الجارة الثالثة اي النمسا · وقد نبهها بسمارك الى ذلك في مذكراتهِ وحذَّرها منهُ · وعليهِ فالمانيا في اشد الحاجة الى حماية نفسها برًّا لا الى التوسع بحراً ومصلحتها الكبرى في البر لا في البحر · اما هي فانفقت النفقات الطائلة على بحريتها وضيقت على جيوشها البرية · والنظام الالماني يقضي بحمل السلاح على كل بالغ وقد كان عدد سكان المانيا ٥٦ ٣٦٧ ١٧٨ سنة ١٩٠٠ فصاروا ٦٤ ٨٩٦ ٨٨١ سنة ١٩١٠ اي انهم زادوا نحو ٨ ٥٠٠ ٠٠٠ والقاعدة المتبعة في المانيا ان يتألف جيشها وقت السلم من واحد وعشر في المئة من السكان وقد زاد السكان في عشر سنوات ٨ ٥٠٠ ٠٠٠ كما تقدم فكان الواجب ان يزيد عدد الجيش الالماني ٩٣ ٠٠٠ ولكنهُ لم يزد سوى ١٨ ٠٠٠ او نحو خمس الزيادة اللازمة

وقد فطنت المانيا الى ذلك الآن واهتمت بزيادة جيشها البري زيادة كبيرة ستكلفها في السنوات الخمس التالية مئة مليون جنيه · ولما طلبت ذلك قدَّمت لهُ مقدمة قالت فيها « ان حوادث البلقان غيرت التوازن الدولي فاذا نشبت حرب اوربية فقد تضطر المانيا الى مناوأة دول كثيرة لاتساع تخومها ولان هذه التخوم ليس فيها ما يحميها طبعاً ولذلك نضطر ان نقوي جيشنا على ما يسمح بهِ تعداد شعبنا فان قوة الجيش لم تزد على نسبة زيادة السكان واهمل كثيرون من الرجال التمرن على حمل السلاح » · ومرادها الآن ان تزيد عدد جيشها ٦٣ ٠٠٠ كل سنة فتبلغ الزيادة نحو مليون نفس لانها تستدعي للحرب مقترعي تسع عشرة سنة

وقوَّة الدول الآن تتوقف على عدد جنودها المدربين على الحرب · وعدد هؤُلاء يتوقف على عدد شعبها ولذلك فالشعب الالماني لا يكفي لاعادة المانيا الى المقام الذي كانت فيهِ بين

الدول البرية لانهُ ليس اكثر من ٦٧ مليونًا وزيادتهُ السنوية ليست اكثر من ٨٠٠ الف نفس وعدد شعب ايطاليا ٣٥ مليونًا وزيادتهُ السنوية ٢٠٠ الف ومجموع شعوب المحالفة الثلاثية ١٥٢ مليونًا وزيادتهم السنوية ١٤٠٠٠٠٠ نفس. ولكن روسيا وحدها فيها ١٧٠ مليونًا من النفوس وزيادتهم السنوية تبلغ ٣٠٠٠٠٠٠ فاذا بني تجنيد الجنود وتدريبهم للحروب على عدد السكان وزيادتهم السنوية فموقف فرنسا وروسيا اصلح من موقف المحالفة الثلاثية . واذا نظرنا الى حالة الجيش الروسي والجيش الفرنسوي الآن وجدنا انهما مساويان لجيوش المحالفة الثلاثية . واهتمام المانيا بتعزيز جيشها سيقابلهُ اهتمام فرنسا وروسيا بتعزيز جيشيهما وتبقى انكلترا لترجيح كفة الميزان في جهة المحالفة الثنائية . واذا اضيفت اليها دول البلقان رجحت كفتها رجحانًا كبيرًا . قام بسمارك فجعل المحالفة الثلاثية اعز من جبهة الاسد وجاء الذين بعدهُ فنقضوا عملهُ واعطوا هذه المنزلة للمحالفة الثنائية لانهم دفعوا انكلترا اليها واضعفوا تركيا وقووا حكومات البلقان

الى هنا تكلم الكاتب على ماضي هذه الدول وحاضرها ثم استطرد الى مستقبلها فاستنتج نتائج كبيرة الشأن لها مساس كبير بالبلدان الشرقية فقال ان الدول تنقسم الآن الى قسمين كبيرين قسم لهُ من البلدان ما يكفيهِ ويزيد عليهِ وقسم بلادهُ ضيقة لا تسعهُ ولا تكفي لمعيشتهِ . ومساحة المسكونة ٥٠٢٥٠٠٠٠٠ ميل مربع و ٤٨٥٠٠٠٠٠ ميل منها للقسم الاول اي لدول اوربا واميركا والباقي وهو ١٧٥٠٠٠٠ للقسم الثاني اي للصين واليابان ومفاد ذلك ان ٦٠٠ مليون من البشر يستولون الآن على ٩٧ في المئة من المسكونة و ٥٠٠ مليون وهم سكان الصين واليابان لا يستولون الاَّ على ثلاثة اجزاء في المئة من المسكونة . فيبعد عن الظن ان يكونوا راضين بهذه القسمة الضيزى او ان يظلوا راضين بها زمنًا طويلاً والشعوب البيضاء تمنعهم حتى من استيطان البلدان القليلة السكان كاستراليا وشمال افريقية

والشعب الانكليزي المستولي الآن على اخصب المعمورة لا تودهُ الشعوب الاخرى وهو مهدَّد دائمًا من دول اوربا ومن سكان البلدان الخاضعة لهُ في الشرق الاقصى . والمتسلط مكروه على كل حال . والانكليز واخوانهم في الولايات المتحدة يزيدون الآن زيادة مطّردة ولكن ستمر سنون كثيرة قبلما يصير عددهم مناسبًا للبلدان التي يمتلكونها فتمتلئ بهم وتصير قادرة على حماية نفسها من الشعوب الاوربية والاسيوية ولهم الآن ثلث المعمور واخصبهُ فلا يتيسَّر لهم الاحتفاظ بهِ الاَّ اذا اتحدوا فان عددهم مئة وخمسون مليونًا وهو قليل في جنب عدد سكان اوربا والصين واليابان لانهُ ٩٥٠ مليونًا ولكن في الاتحاد قوة . ويسهل اتحاد

الشعب الانكليزي والشعب الاميركي لان لغتهما واحدة وتقاليدهما واحدة وعمرانهما واحد وكل منهما ضروري للآخر واذا اتحدا وانضما الى المحالفة الثنائية وفيا املاكهما من اعتداء الشعوب الاسيوية واضطرت المحالفة الثلاثية ان تذعن لمشيئتهما وتجيبهما الى تقليل المعدَّات الحربية وحفظ السلام في العالم · انتهى

اصول التعليم الحديث

الدور الاجتماعي

ذكرنا في الدور السيكولوجي ان القائمين بهِ اخذوا على عاتقهم ترقية الافراد غير ناظرين الى الجماعات · واما الدور الاجتماعي فاخذ يهتم بترقية الافراد كاعضاء من المجتمع لان ترقية الفرد وحدهُ لا تفيد المجموع الفائدة المطلوبة معاشياً واجتماعياً وسياسياً · وبديهي ان من الافراد يتكون المجتمع فمتى تهذب كل فرد تهذب المجتمع ولذلك جعلت المدارس اهمية كبيرة لانتقاء المواضيع التي تدرس فيها بانية عليها كل تقدم ونجاح يمكن حصولهُ للافراد كاعضاء في المجتمع الانساني · وعليهِ فكل درس يلقى على التلامذة ولا يفيدهم في حياتهم ولا يوسع مدار كهم لا فائدة منهُ البتة بل يعد خسارة كبيرة لا يمكن ان تعوض

من يتصفح كتب بستالوتسي وفروبل وهربرت يجد ان الوجهة الاجتماعية كانت ظاهرة فيها غير انهم صرفوا معظم قواهم في ترقية اساليب التعليم وجعلها مفيدة للتلميذ ليتسنى لهُ افادة غيرهِ · وهذا واضح من ان بستالوتسي نفسهُ ضحَّى حياتهُ في تعليم الفقراء ليمكنهم ان ينهضوا و يكافحوا في ميدان العالم . وكذلك هربرت فانهُ نظر في تعاليمهِ الى امرين · الاول « الغاية » والثاني « الموضوع » · وعلاقة هذين الامرين في الهيئة الاجتماعية قائمة على الاخلاق الامر الذي ناضل عنهُ في كل كتبهِ لان الرجل اذا كان ذا اخلاق رضية وسجايا حميدة استطاع ان يكيف نفسهُ و يملك ارادتهُ ليسلك في الهيئة الاجتماعية السلوك المستقيم · و بدون ذلك لا يستطيع البقاء لان المحيط الذي يكون فيهِ يفعل بهِ و يكيفهُ بحسب ارادتهِ وكان قصد هربرت ان يُظهر امام التلميذ مظاهر الحياة المختلفة و يبين لهُ ما حدث في الازمنة الماضية وما يمكن حدوثهُ في الازمنة المستقبلة ليقيس المستقبل على الماضي فيجتنب ما يراهُ ضارًّا و يتخذ ما يجدهُ مفيداً · ومتى ظهرت الحياة بتمامها يفهم معنى الهيئة الاجتماعية حق الفهم فيكيف نفسهُ للسلوك فيها بحسب ما استفادهُ من المظاهر المختلفة التي تجلت امامهُ ·

واما فروبل فقصد في تعاليمهِ ان يجعل المدرسة عالماً صغيراً او حياة مصغّرة فيرى التلميذ ضمن دائرتها الضيقة ما يراهُ في ميدان العالم الواسع و يشاهد هناك من الاختبارات ما يشاهدهُ بعد خروجهِ منها و يمر عليهِ من التجاريب وهو بين جدرانها ما يمكن ان يمر عليهِ منها بعد ان يخالط الجمهور. غير ان ذلك يكون بصورة مصغرة حتى اذا خرج الى العالم لا يرى فيهِ شيئاً جديداً فلا توقعهُ اقل صدمة ولا يجزع عند ما تنتابهُ الحوادث ولا يضطرب لاقل مكروه

الوجه الاجتماعي في الدور العلمي

يتفق العلماء الطبيعيون مع الاجتماعيين في ان المواضيع التي تعلم في المدارس يجب ان تكون مفيدة للجمهور فهم يخالفون بذلك العلماء الذين يقولون بوجوب تمرين العقل على مواضيع صعبة يقصد منها شحذ القوى العقلية وتهذيبها فقط كدرس اللغة اللاتينية واليونانية والسنسكريتية والدروس العالية في الرياضيات . فعلماء الطبيعة والاجتماع يقاومون ذلك لانهم لا يرون اقل فائدة يجتنيها التلميذ من درس امور لا تعود عليهِ بشيء من المنفعة بعد ان يخرج من المدرسة مع ان القصد من التعليم هو الفائدة العملية وهذه يجدها في الدروس الطبيعية التي تنزع من رأسهِ كل الاوهام والخزعبلات وتعودهُ الافتكار الصحيح والبحث عن العلل والاسباب وتبعدهُ عن كل مالا يسلم بهِ العقل قط . وزد على ذلك فان سبنسر واعوانهُ قصدوا من التعليم افادة الجمهور لا الخاصة فقط

آراء السياسيين وقادة الرأي العام في التعليم

كانت الشعوب الجرمانية اول من انتبه لوجوب تعليم جميع طبقات الامة على السواء من حيث علاقتها بالحكومة فبينوا ان بين الحكومة والامة علاقاتٍ من حيث المعاش والسياسة والاجتماع وانهما يجب ان يسيرا جنباً الى جنب لاجتناء ثمرات المنفعة المشتركة بينهما . فالامة وحدها لا تستطيع ذلك اذا لم تساعدها الحكومة ولا الحكومة اذا تخلى عنها الشعب . ولم ينتبه الناس لهذه العلاقات الا في اوائل القرن الثامن عشر ولذلك قال فردريك الكبير « يجب على الحكام ان يشتغلوا لفائدة الامة الحقيقية في جميع طبقاتها » . اما في اميركا فقد كان التهذيب الديني المحور الذي دارت عليهِ الاراء التهذيبية في اوائل نهضتها والسبب في ذلك ان النازحين اليها كان جلهم من الطائفة البيوريتانية وهي الطائفة التي وقع عليها الاضطهاد في انكلترا بسبب آرائها الدينية و بقي هذا الميل شائعاً هناك حتى قام فرنكلين فنظر الى التعليم كما نظر غيرهُ من الفلاسفة قبلهُ فقال ان الفرد يجب ان يهتم بترقية ذاتهِ بذاتهِ من دون ان يهتم بغيرهِ . ولما قام وشنطون جاهر ان الامة كلها يجب ان تنال حظاً

وافراً من العلوم ولذلك قال في بعض رسائلهِ التي بعث بها الى مجلس الامة · « ان المعرفة في كل بلاد هي الاساس الثابت لسعادة الامة » ومن اقوالهِ ايضاً « ان المدارس شموع تستنير بها الشعوب » وقال جفرسون موَّسس الحزب الجمهوري والرئيس الثاني للولايات المتحدة بعد وشنطون « ان التعليم هو الحامي الوحيد للجمهورية ولذلك فان من واجبات الحكومة ان تسعى اليهِ وتأخذ على عاتقها القيام بهِ باذلة كل ما في وسعها لترقيتهِ · وقال مديسون وهو الرئيس الرابع للولايات المتحدة « ان الحكومة الديموقراطية بدون مدارس عمومية هي مقدمة لرواية هزلية او لمأساة او لكليهما وكيان الحكومة يتوقف على المعرفة الشاملة لجميع طبقات الامة »

التعليم هو المعد للمدنية الصحيحة

كان الرأي القديم مبنيًّا على تقوية مدارك الانسان واصلاح عاداتهِ وايجاد مبادىء جديدة فيهِ حتى يمكنهُ ان ينجح في ميدان العمل واما الرأي الحديث فقائم على ان المصلحة العامة والسعادة تتوقفان على العلاقات التي بين الواحد والآخر والجماعة الواحدة والاخرى · فالتعليم هو الذي يوضح مبادىء هذه العلاقات ويمكّن الانسان من ان يكيّف نفسهُ تكييفاً صحيحاً ليعرف الحالات الاجتماعية التي هو فيها ولذلك فان من الضروري للمتعلم ان يدرك هذه المبادىء ادراكاً تامًّا وتكون فيهِ الارادة القوية لتكييف نفسهِ · وللوصول الى ذلك كان لابد للعلماء من ان يهدموا جانباً كبيراً من تعاليم روسو السائدة في ذلك الوقت والمناقضة لروح الاجتماع من هذه الجهة · وكانت نتيجة هذا الرأي الحديث ان صارت الحكومات مسيطرة على المدارس ومسؤُولة امام الشعب عنها فجمعت لها الاموال من الامة لتعلم بها ابناءها على السواء غير جاعلة فرقاً ولا تمييزاً بين اولادها

مقام التعليم في الامور الاجتماعية

قال لستر ورد ان العواطف تجهز القوة الدافعة واما القوة العاقلة فهي المرشد لكي لا تضل القوة الدافعة · فالبخار في القطار الحديدي هو الذي يدفع القطار الى الامام والخطوط الحديدية هي المرشد لكي لا يضل القطار في طريقهِ وعلى الهيئة الاجتماعية ان تجهز كل عضو بتعليم كاف حتى تعمل عواطفهُ كل ما يكون فيهِ الخير للهيئة الاجتماعية · كانت الحكومة هي الوادع الاول للانسان عن السلوك في سبيل الشر فالسارق مثلاً يمتنع عن السرقة لانهُ يخاف من ان يقع في قبضة الهيئة الحاكمة · ثم جاءت الديانة بشعائرها ورسومها ووعدها ووعيدها فصار السارق يخاف من نار جهنم · ثم جاءت المدرسة فقام المعلم مقام الشرطي وخادم الدين واظهر للتلميذ ان السرقة تعود عليهِ وعلى الهيئة الاجتماعية بالويل والثبور فيجب

ان يبتعد عنها لا خوفاً من عقاب الحكومة ولا من نار جهنم بل لان السرقة تحط من مقامهِ كانسان في الهيئة ولا يخفى ما في ذلك من طرق الاقتصاد والتوفير

التعليم هو المبقي المنمي — من واجبات التعليم ان يبقي وينمي زبدة الاختبارات التي حصلها السلف بالجد والسعي ويهديها الى التلميذ منقحة ممحصة ليستطيع ان يكيّف نفسهُ في ذلك المحيط المتغير ويهب لمن يأتي بعده نتيجة اختباراتهِ ايضاً وعلى هذا يتوقف بقاء الحياة كما هي. فنهر النيل مثلاً يجلب معهُ في مياههِ كل سنة غذاء كافياً لتربة مصر غير ان هذا الغذاء لا يكفي اذا لم يجلب كل سنة غذاء جديداً يختلط مع القديم ليزيد في كمية الغذاء وهكذا الانسان فان ارشادات اسلافهِ الماضين ضرورية لهُ غير انهُ لا يكتفي بها بل يجب ان يزيد عليها. فبقاؤُنا اذاً كما كان عليهِ اسلافنا هو عين الانحطاط والجمود واكبر مانع يمنع الانسان من التقدم

العلم هو اسمى درجة في نشوء الهيئة الاجتماعية — فكما ان الحيوان مقيد بنواميس طبيعية في الانتخاب الطبيعي وهذا الانتخاب يعدُّهُ للمعيشة في محيطهِ هكذا التعليم في العالم الاجتماعي يضارع الانتخاب الطبيعي ويعد الانسان للمعيشة في المحيط الاجتماعي. فالتعليم اذاً هو الذي يكيف الانسان تكييفاً اجتماعياً ويعدهُ للمعيشة في الهيئة كانسان يفهم ما عليهِ وما لهُ من الحقوق والواجبات الاجتماعية

فضل الجمعيات على التعليم

لا ريب في ان الجمعيات الخيرية كانت اول من شاد المدارس وفتح ابوابها للطلبة ولكن لما ارتقت الحكومات عرفت ان هذا حق من حقوقها وواجب من واجباتها فوضعت ادارة المدارس في يدها وقامت بذلك حق القيام. ولقد كان فرانكا Francke في المانيا اول من وضع نظام المدارس المعروف « بنظام المدارس الحقيقية » (Real-Schule) وهي المدارس التي تعلم فيها الدروس العملية كالطبيعيات والهندسة العملية والكيميا الخ. وقد ابتدأ بهذا النظام في مدرستهِ التي شادها في هلا Halle للايتام سنة ١٦٩٤ وتبعهُ في ذلك باسدو وقد تقدم ذكرهُ

ومن الذين اشتغلوا بهذا النظام فلانبرج سنة ١٨٠٦ — ١٨٤٤ فانهُ رأى البون الشاسع بين الخاصة والعامة في العلم فقرّب بينهما بان علّم العامة العلوم العقلية والخاصة العلوم اليدوية — اي الصناعية — جاعلاً للعلوم اليدوية الاهمية الكبرى في التعليم وقائلاً ان لا حطة ولا مذلة لمن يشتغل بيديهِ

النظام المعروف « بنظام العرفاء » الذي استنبطهُ بل Belle ولنكستر سنة ١٧٧٨ — ١٨٣٨

استطاع لنسكتر ان يدير الف تلميذ بواسطة العرفاء على نحو ما كان عليهِ التعليم في بلادنا في اول امرهِ وقد اضطر لنسكتر الى ذلك لانهُ رأى قصوراً من جانب الامة والحكومة والكنيسة . وقد ساعد هذا النظام مساعدة كبيرة في ترقية شؤُون المدارس في بداية امرهِ غير انهُ كان سطحيًّا وتقليديًّا فانتقدهُ الكثيرون ثم اهمل لعدم الاحتياج اليهِ

مدارس الاطفال وهي غير بساتين الاطفال (الكنتركاردن)

منشيء هذه المدارس قسيس فرنساوي سنة ١٧٦٩ وهي اصل المدارس الابتدائية في اميركا التي انشئت سنة ١٨٢٤

الجمعيات التي قامت لنشر التعليم بين الجمهور

دخلت سنة ١٨٠٥ ولم يكن في اميركا مدارس مجانية سوى بعض المدارس الدينية فلما رأى رئيس بلدية نيو يورك ذلك الَّف لجنة لجمع اموال تنفق في تعليم الفقراء مجاناً وسنة ١٨٥٣ ابتدأَت المدارس العمومية الحقيقية وانقضى عمل الجمعيات الخيرية واخذت الحكومة على عاتقها امر التعليم

نظامات الحكومة

ابتدأَت هذه النظامات في البلاد التي كانت فيها الكنيسة والحكومة متفقتين معاً ولكن المانيا سبقت جميع حكومات اوربا في ذلك وكان اول من جعل التعليم الزامياً فردريك الكبير وهو الذي شاد مدارس المعلمين واعطى الحرية الدينية في التعليم . وفي سنة ١٧٩٤ سن قانوناً يقضي بان كل المدارس دينية كانت او مدنية يجب ان تكون تحت مراقبة الحكومة وقد قاوم الاكليروس هذا القانون بكل قواهم . ولما كانت الحكومة هي التي تعين المعلمين صارت تحسبهم من موظفيها ولم يعد معلم يترك وظيفتهُ لمجرد اعتقادهِ الديني . وكانت النتيجة من كل ذلك ان جعلت التعليم الابتدائي مجانيًّا وحسنت اساليب التعليم ووضعت حداً للمداخلات الاكليريكية

وابتدأَ التعليم العام في فرنسا بعد طرد اليسوعيين منها سنة ١٧٦٤ وظهر من الاحصاءات ان الاميين في زمن الثورة كانوا خمسين في المئة من الرجال وخمسة وسبعين في المئة من النساء وقد كان من مبادىء الثورة ان يكون التعليم عامًّا والزاميًّا ومجانيًّا ولكن الفرنسويين لم يصلوا الى هذه البغية حينئذٍ لان الحكومة لم تكن راسخة على اساس ثابت

متين و بقيت كذلك الى سنة ١٨٣٣ حتى انتخب جيزو Guizot ناظراً للمعارف في فرنسا فاسس مدرسة مجانية ابتدائية للفقراء في كل بلدة وسنة ١٨٨٢ صار التعليم الزاميا وفي سنة ١٩٠١ صدر القانون القاضي بان كل المدارس الدينية يجب ان تأخذ رخصة من الحكومة . وفي سنة ١٩٠٣ اغلقت كل المدارس الدينية تقريباً

النظامات في انكلترا

ابتدأت المجادلات بين اعضاء البرلمنت من سنة ١٨٣٣ في « هل يجوز للحكومة ان تتدخل في امر التعليم » وبعد مناقشات عديدة قر الراي على انهُ يجب على الحكومة ان تمد يد المساعدة للمدارس . وفي سنة ١٨٨٠ سن القانون القاضي بالزام كل تلميذ بالبقاء في المدرسة حتى يبلغ العاشرة من عمره وسنة ١٩٠٠ صدر قانون يقضي عليهِ بان يبقى الى السنة الرابعة عشرة من عمره

النظامات في اميركا

ابتدأ نظام الحكومة في انكلترا الجديدة في القرن السابع عشر ولم يدخل القرن الثامن عشر حتى كان كاملاً وقد كان لهرسمان Horaceman فضل عظيم على التعليم العام في اميركا لانهُ هو اسس المدارس لتعليم المعلمين وزاد في ايام السنة المدرسية ووسع نطاق التعليم واخذت الجمعيات الخيرية تهب الحكومة كل ما تقدر عليهِ من الاموال لانفاقها في ترقية التعليم . وفي سنة ١٨٦٧ الغيت الرسوم في المدارس العمومية في نيويورك . وتقسم المدارس العمومية في اميركا الى ثلاثة اقسام وهي الابتدائية والثانوية والعالية والحكومة تقوم بنفقات الجميع غير ان التعليم العالي في بعض الولايات الشرقية يكلف التلميذ نفقات كثيرة على ضد ما هو عليهِ في الولايات الغربية

النهضة الصناعية

كان اساس هذه النهضة التوسع في الحركات الحربية والبرهان على ذلك ان المدارس الاولى التي اقيمت لهذه الغاية اقامتها النظارات الحربية . وقد كانت النمسا السابقة في هذا الشأن فاول مدرسة شيدت فيها كانت سنة ١٧٤٧ ثم تبعتها فرنسا سنة ١٧٤٩ والمانيا ١٧٦٤ واميركا سنة ١٨٠٢ ثم انكلترا . فمن هذه المدارس خرجت الصنائع وفيها نمت وكانت الغاية التعليمية منها ان تجعل الفرد ينفع نفسهُ معاشيًا وماديًا ويتدرج الى منفعة غيره

ولقد كان في اول الامر درس التاريخ وقوانين الحكومة من اهم الدروس التي تجعل الانسان مدنيًا اما اليوم فقد وضعوا معها علم الصناعة ذلك لان القوة القابضة على زمام

الاحكام وسير القوانين وترقي الشعوب هي القوة الاقتصادية فلا حرب ولا تجارة ولا علم ولا فتوح اذا لم تكن مبنية على علم الاقتصاد وليست الحروب في ذاتها الاَّ حركة تجارية يقصد بها ترقي الصناعة وترويج البضاعة ونرى اليوم ان المانيا وفرنسا وانكلترا واميركا سائرة على هذا النحو والمانيا هي قائدة الجميع باعداد رجال اختصاصيين لاعمال خصوصية . فيظهر من كل ما تقدم ان الدافع الاكبر لهذه الحركة هو الدافع السياسي الاقتصادي ولكن الضلع الاقتصادي هو الغالب كما تقدم

بولس شحاده

تعليم الصغار

الطريقة المونتسورية

لاهل الغرب عناية شديدة بامر التربية خصوصاً تربية الصغار . فاذا توفق احد الى طريقة للتربية تفوق غيرها اشتهر اسمهُ بينهم كما يشتهر اسم من يخترع اختراعاً نافعاً او يؤَلف كتاباً نفيساً

وقد قام فيهم امثال فروبل وبستالوتسي وكثير غيرهما من الذين خلد التاريخ اسماءهم لاشتهارهم في التعليم كما ترى في مقالة اخرى منشورة في هذا الجزء ومقالات مثلها في الاجزاء السابقة . ومنذ عهد قريب قامت في رومية سيدة ايطالية اشتهرت بطريقة خاصة بها لتعليم الاولاد وثبت نفع طريقتها بالتجربة فاسرعت بعض الامم الى اقتباسها لكي لا يفوت صغارهم شيء من اسباب التعليم والتهذيب . ورأينا ان نصف هذه الطريقة لعلّ من يعنيهم امر تربية الصغار يعيرونها الالتفات اللازم وينتفعون بها

واضعة هذه الطريقة ماريا مونتسوري سيدة ايطالية ولدت سنة ١٨٧٠ وتلقت دروسها العالية في جامعة رومية ونالت منها رتبة دكتور في الطب سنة ١٨٩٤ . ثم عينت في تلك الجامعة معاونة للطبيب الذي يعالج الامراض العقلية فاشتدت رغبتها في العناية بالبُلْه . وسنة ١٨٩٨ عقد في مدينة تورين مؤْتمر للبحث في ما يتعلق بالتربية والتعليم فالقت فيهِ خطبة اعجب بها السنيور بارنشلي ناظر المعارف فسأَلها ان تلقي خطباً على المعلمين في مدينة رومية . وكانت نتيجة خطبها ان انشئت مدرسة خاصة للبله وجعلت هي رئيسة لها . فتكللت اعمالها بالنجاح وتمكنت من تعليم البلهِ وتهذيبهم وحملها نجاحها هذا على الحكم ان في طرائق التعليم المتبعة

في المدارس التي يعلم فيها الصغار نقصاً بيناً . فكان يؤتى اليها بالبله من البيمارستانات فتربيهم وتعلمهم فلا يلبثون ان يجاروا ذوي العقول السليمة الذين من سنهم ويجتازوا الامتحانات معهم جنباً الى جنبٍ . وقد قالت مرة « بينما كان الناس يعجبون بنجاح البلهِ الذين كنت اعتني بهم كنت انا اتساءل في نفسي عن الاسباب التي تمنع الاولاد ذوي العقول السليمة عن التفوق على البله » . وقام في نفسها ان السبب هو ان البله في مدرستها كانوا يُعلَّمون بطرائق تساعد عقولهم في نموها بينما كان ذوو العقول السليمة يُعلَّمون بطرائق تعيق نموهم العقلي وانهُ اذا استعملت طريقتها لتعليم ذوي العقول السليمة اتت بنتائج احسن من النتائج التي تأتي بها في تعليم البله

فعقدت نيتها على البحث لتعلم منزلة رأيها من الصحة . وسنة ١٩٠٠ تركت مدرسة البلهِ وصرفت همها الى تعليم ذوي العقول السليمة . فعادت الى جامعة رومية وانتظمت في سلك طلبة الفلسفة واهتمت بالابحاث العملية في علم النفس وكانت اثناء ذلك تختبر التعليم العملي في المدارس الابتدائية

وبعد اختبار التعليم ودرس طبائع الاولاد بضع سنوات ثبت لها ان طرائق التعليم يجب ان ترمي اولاً الى جعل الولد يتعلم ويكتشف الحقائق لذاتهِ . وان نمو عقلهِ يجب ان يسير في السبل التي يرشدهُ اليها فهمهُ واميالهُ الطبيعية لا ان يكون في ذلك عبداً يتبع مشيئة معلمهِ . واجتهدت لتجد طريقة للتعليم يقوم فيها عقل الولد بتكييف الطرق التي يجب ان يسير فيها نموهُ من دون ان يخبرهُ معلمهُ ما يجب عليهِ ان يعملهُ

وسنة ١٩٠٧ عرضت لها فرصة لاخراج فكرتها الى حيز العمل وذلك ان المضاربين اكثروا من البناء في احد احياء المدينة واخذوا يتبارون في تشييد البيوت الجميلة الكبيرة مؤملين ان ذوي اليسار يقبلون على السكن فيها ولكنهم ما عتموا ان رأوا فساد ظنهم واضطروا ان يؤجروا مبانيهم للعمال والفقراء . ولم يمضِ وقت طويل حتى امسى ذلك الحي مجمع الاقذار والفقر والشقاء . فتألفت جمعية من اهل الفضل في مدينة رومية لتخفيف وطأة الفقر عن الساكنين فيهِ واصلاح حالهم وخصت هذه الجمعية احد فروعها بالاعتناء بتربية الصغار الذين بين الثالثة والسابعة من العمر . فرأى هذا الفرع ان ينشيء المدارس لهذا الغرض وسلم زمام ادارتها وتدبيرها للدكتورة مونتسوري فادخلت طريقتها الجديدة اليها . وحتم على كل من معلمات هذه المدارس ان تسكن بالقرب من العائلات التي تعتني باولادها

والمبدأ الاساسي في الطريقة المونتسورية هو ان يحصّل الولد المعارف بنفسهِ كما تقدَّم لا ان يتلقنها من معلمهِ . ولا تعيَّن فيها اوقات مخصوصة لالقاء الدروس ولا دروس مخصوصة ليتعلمها الاولاد كل يوم ولا تتبع فيها الطرق المتبعة في المدارس لمجازاة المسيء والمهمل ومكافأة الجيد والمجتهد . وكل ما يعوّل عليهِ فيها لاجل دفع التلميذ الى العمل وترغيبهِ فيهِ هو السرور الذي يخالج صدر من ينجح في اتمام عملهِ . وقد وصف بعضهم هذه الطريقة فقال ان « كل ولد يعمل ما يروقهُ . يدخل المدرسة فيرى الاولاد متفرقين جماعات جماعات وكل جماعة تلعب لعبة فينضم الى الجماعة التي تجتذب نظرهُ وتستميل عقلهُ ويبدأ عند ذلك تعلمهُ وتهذيبهُ . والالعاب التي يلعبها الاولاد كثيرة فكلما تعب الولد من لعبة تركها وعكف على غيرها والمعلمات يراقبنهُ ويساعدنهُ حيث لا بد لهُ من المساعدة . وهو لا يمكث بلا عمل ابداً لانهُ يجد لذة وسروراً في كل ما يعمل »

« ويجعل في الغرف التي يكون فيها الاولاد كراسي صغيرة خفيفة يسهل عليهم حملها ونقلها من مكان الى آخر وتبسط في ارضها البسط لكي يجلسوا عليها متربعين او راكعين او متكئين حسبما يلوح لهم . ويؤتى اليهم بموائد واطئة خفيفة ويترك قسم من الغرف عاري الارض خالياً من الاثاث لكي يكونوا فيهِ احراراً لا يعيقهم شيء في متابعة العابهم »

وقد اخترعت الدكتورة مونتسوري ادوات لعب كثيرة وجعلتها مما يشحذ عقول الاولاد ويوسع مداركهم . وهذه الادوات ركن مهم في الطريقة المونتسورية ويصعب وصفها بالكلام

واول ما توجهُ العناية اليهِ ترقية حواس اللمس والبصر والسمع ويتدرج الى ذلك بالعاب عديدة ثم باستمالة انتباهِ الولد الى ربط كل شيء باسمهِ وصورتهِ العقلية . فيعطى عند غسلهِ يديهِ مثلاً ماء بارداً ثم ماء سخناً وينبَّه الى التمييز بين الاثنين فيدرك الفرق بينهما . ويمرن على التمييز بين الخشونة والنعومة باعطائهِ انواعاً من الكرتون بعضها خشن وبعضها ناعم لكي يفرقها بعضها عن بعض . وكلما ادرك صفة من هذه الصفات علمتهُ المعلمة الكلمة التي تعرف بها مثل بارد وسخن وخشن وناعم الى غير ذلك . فيبدأ بتعلم اللغة قبل ان يبدأ بتعلم الكتابة والقراءة . ويعلَّم الاولاد الفرق بين الاشكال بقطع من الخشب تختلف شكلاً وحجماً فيأخذون كلاًّ منها ويضعونها في فراغ قد اعد لها لا يلتئم مع غيرها اذا وضع فيهِ . وكذلك يعلمون الالوان بقطع الخشب الملونة وخرق من الحرير يرتبونها على طرق تجيء فيها الالوان متلائمة بعضها مع بعض بحيث ترتاح العين الى النظر اليها . وتمرن حاسة اللمس فيهم بلعب بعض

الالعاب وهم معصوبو العيون وحاسة السمع باللعب في الظلام كأن يوضع بين ايديهم حجارة مختلفة الوزن فيدحرجونها على الارض و يرتبون الاثقل فالاثقل لان الحجر الثقيل اذا تدحرج كان لهُ صوت قوي اما الحجر الخفيف فلا يأتي الاَّ بصوت خفيف . وتروَّض ارجلهم وايديهم واصابعهم على اتمام ما يطلب منها من الحركات بترتيب الاثاث والادوات التي تطلق لهم الحرية في استعمالها وترتيبها على ما يروقهم و ببعض الالعاب كربط العقد وحلها وتبكيل الازرار وفكها ولبس الثياب وخلعها و بقيام بعضهم على خدمة البعض الآخر عند تناول الطعام وعلى غسل انفسهم الى غير ذلك. فهذه الاعمال كلها تتقدم الكتابة والقراءة وتسهل الطريق اليها

وتُعلَّم الكتابة قبل القراءة انما يجب الاحتراس في فهم المراد بالقراءة في هذا المقام . فيلعب الاولاد بعض الالعاب بحروف من ورق السنباذج ملصوقة على الواح من الكرتون فيأخذ الواحد منهم الحرف و يمر اصبعهُ عليهِ من اولهِ الى آخرهِ فيكون قد قام بالحركة اللازمة لكتابة ذلك الحرف من دون ان يدري انهُ يتعلم الكتابة . وتعطى لهم حروف قد رسمت على الورق فيلوّنونها فترسخ صورها في اذهانهم . واذا تعلّم الولد اصوات الحروف واشكالها تدرَّج الى بناء الكلمات منها . وقد قال المستر هولمز مفتش المعارف بانكلترا ان الاستعداد للكتابة على هذه الطريقة لا يستغرق اكثر من شهر ونصف من وقت الاولاد الذين عمرهم اربع سنوات فاذا انقضت مدة الاستعداد بدأ الولد بكتابة الكلمات البسيطة التهجئة بالحبر ولا يأتي عليهِ ثلاثة اشهر وهو يتمرن على الكتابة الاَّ ويصبح خطهُ جميلاً

و يتدرَّج بعد ذلك الى القراءة فلا تكون قراءتهُ التلفظ بالكلمات التي يكتبها هو نفسهُ بل قراءة كلمات مطبوعة او مكتوبة بخط غيرهِ . واذا كانت اللغة من اللغات التي يتلفظ فيها بجميع الحروف التي تكتب بها الكلمة كاللغة الايطالية والعربية سهل الامر جدًّا ولم يبطيء الاولاد في تعلم القراءة . و يؤتون بكلمات مكتوبة على بطاقات فيتبارون في معرفة الاشياء التي تدل عليها تلك الكلمات ثم يتدرجون من المفردات الى الجمل كأن تكتب المعلمة على لوح اسود كبير اسئلة واوامر تتعلق بالالعاب

وقد نجحت هذه الطريقة نجاحًا غريبًا حتى قيل عن ولد لا يزيد عمرهُ على ثلاث سنوات ونصف سنة انهُ صار يكتب و يقرأ الكلمات بالانكليزية والايطالية من غير ان يشعر انهُ كان يعمل عملاً غير اللعب . وقد يقال ان هذا من الشذوذ التي لا يقاس عليها ولكن

المستر هولمز الذي دقق البحث في تعليم الصغار على هذه الطريقة لا يرى اقل غرابة في ان يتعلم الاولاد الذين لا يزيد سنهم على سن هذا الولد الكتابة والقراءة بل لا يرى في ذلك من الغرابة اكثر مما يرى في تعلمهم المشي والحكي · اما تعليم الحساب فيبدأُ بهِ بالعاب لا بد فيها من العد واستعمال بعض الادوات المعدة لهذا الغرض

ولم تجرب بعد الطريقة المونتسورية الاَّ في تعليم الاولاد الذين لم يخرجوا من طور الطفولة ولكن يؤَمل لها نجاح كبير في تعليم الاولاد الذين يزيد سنهم على ذلك · وقد بدأَت الدكتورة مونتسوري بتجربة ذلك اخيراً · وقد كانت همتها منصرفة الى اظهار ما لطريقتها من المزايا واقناع المعلمات باتباعها في تعليم الاطفال الذين ثبت نفعها في تعليمهم · ولما رأَت نجاح طريقتها في تعليم الاطفال الذين بين الثالثة والسابعة من العمر قالت « قد مضى عصر المعلمات القديمات اللواتي يصرفن قوتهنَّ في حفظ النظام بين الاولاد وتسكين اضطرابهم ويتعبن انفسهن بالقاء الدروس بصوت عالٍ وكلام كثير · فقد استغنينا عنهنَّ بالادوات التي يتعلم الولد باللعب بها والتي تدرّبهُ على اجتناب الغلط وتسهل عليهِ تعليم نفسهِ · فليس على المعلمة بعد الآن الاَّ ان تتولى ادارة العمل الذي يعملهُ الاولاد انفسهم وتبقى ساكتة »

وقد قال المستر هولمز بعد ان عني بامر هذه الطريقة « ان المعلمة تعمل في المدارس العادية على لجم ما في الاولاد من الميل الشديد الى الحركة وعلى ضغط قواهم التي لا يقدرون على ضبطها فيكون هذا الضغط باعثاً لهذه القوى على التحرك والظهور · اما في المدارس التي تعنى بتشغيل قوى الاولاد كل الوقت بما يشعرون معهُ بالسرور فلا تبقى حاجة الى الضغط والتأديب · وفي المدارس المونتسورية تطلق للولد الحرية ليأتي ما يشاء من الاعمال على شرط ان لا يضر بغيرهِ ولا يقلقهُ وما دامت قواهُ مصروفة الى عمل يلائمها يبعد ان يجيءَ عملاً يضر بغيرهِ او يعكر صفاءَهُ او ان يصير مصدر تعب واقلاق للمدرسة كلها

« وفي المعلمين والمعلمات ثلاث عادات مستقبحة الاولى انهم يبادرون الى اخبار الولد بالكيفية التي يجب ان يجري عليها في كل عمل جديد لم يعملهُ من قبلُ · والثانية انهم يسرعون الى اعانتهِ اذا رأَوهُ قد وقف عند صعوبة في العمل الذي سمح لهُ بتجربتهِ · والثالثة انهم يصلحون لهُ اغلاطهُ عوضاً عن ان يتركوهُ ليصلحها بنفسهِ · اما المعلمون الذين يتبعون الطريقة المونتسورية فلا يأتون هذه الامور الاَّ اذا مست الحاجة اليها · واذا اخذ الولد يعالج مسأَلة



اطفال يتعلمون حسب الطريقة المونتسورية

جديدة لم يعالجها من قبل تُرك وحدهُ يعمل في حل صعوباتها كل ما أُوتي من القوى والحذق في تذليل الصعوبات »

والطريقة المونتسورية بناء جديد على مبادئ فروبل فقد اخذت الدكتورة مونتسوري المبدأ الرئيسي في طريقتهِ واضافت اليهِ طرائق جديدة بنتها على الحقائق التي قررها علم النفس الحديث . واثبتت انهُ اذا عومل الولد كما يجب ان يعامل واستعملت معهُ الوسائل اللازمة تنبهت فيهِ قوة داخلية للنمو العقلي بسرعة قلَّ من يشك فيها . وقد ثبت نفع طريقتها الآن ولكن بقي ان يعرف مقدار ما تقتضيهِ من الكفاءة في المعلم او المعلمة وكم من المعلمين والمعلمات ذوي الكفاءة يلزم للتعليم على هذه الطريقة وهل تقدر المدارس ان تحصل على العدد الكافي منهم . وزار المستر هولمز خمساً من المدارس المونتسورية فوجد واحدة منها في حالة غير راضية وثبت لهُ ان سبب ذلك هو جهل مديرة المدرسة بالطريقة المونتسورية التي لم تكن تعرف منها الاَّ بعض تفاصيل من غير ان تفهمها تماماً او ان ترى فيها ما يميزها عن غيرها . وعجز عن اصلاح تلك المدرسة ولم يرَ طريقة يداوي بها نقائصها الاَّ بتعطيلها واقفال بابها . فالمعلمون والمعلمات الذين يقدرون ان يتَّبعوا هذه الطريقة في التعليم قليلون جدًّا على ما يظهر

والمدارس التي تتبعها تزيد نفقاتها على نفقات غيرها . ففي المدارس العادية يكفي لكل ولد ٩ اقدام مربعة من ارض غرفة الدرس اما في هذه فيقتضي لهُ على الاقل ١٥ قدماً مربعة ليكون لهُ فسحة يلعب فيها وتسع الادوات اللازمة لهُ . ويلزم لها عدا ذلك ادوات كثيرة وخزائن تحفظ فيها هذه الادوات بطريقة تمكن الاولاد من تناولها عند حاجتهم اليها . ويجب ان يكون المعلمون والمعلمات فيها اكثر مما يكونون عادة في غيرها وان يكون اكثرهم ذا كفاءة مدرباً على التعليم . وقلَّ ان تقدر معلمة ان تعتني باكثر من ٢٠ ولداً مهما كانت مقدرتها وكفاءتها . ولكنهُ لا يرى مثل هذه الصعوبات في الجري على هذه الطريقة لتعليم الاولاد الذين يزيد سنهم على سبع سنوات اذ يظن انهُ اذا تقدم الاولاد في السن زاد العدد الذي يمكن للمعلمة الواحدة ان تعتني بهِ منهم

هذا وقد اثبتنا في صدر هذه المقالة صورة منقولة عن مجلة عمل العالم وهي صورة غرفة من غرف تدريس الاطفال حسب الطريقة المونتسورية

تقليل النسل

بحث اجتماعي علمي

تناسل الفضل يُبدي للأُلى عقلوا فضل التناسل عند البدو والحضرِ

قلنا هذا البيت من اعوام عديدة من قصيدة هنأنا بها احد اصدقائنا الافاضل يوم كنا نتغنى بقول شيخنا الاديب وشاعرنا العصري من ابيات ابيات وحكم خالدات حيث قال

« فاذخر من صباك جسمًا معافىً فالصبا والصفاء لا يخلدانِ
وتمتعْ بذات خدرٍ حليلٍ ناعمًا بالرفاء والولدانِ
وحواليك من بنيك عيونٌ لا عيون المهى ولا الغزلانِ
وخدودٌ اشهى واطرى واندى من دموع الصباح في نيسانِ
هذه لذة الحياة وهذي ايها الناس غبطة الانسانِ »

على انهُ مهما يكن من نتائج بحث الحياة العائلية نظريًّا واختباريًّا فلم يكن ليدور في خلدنا ان سيقوم من اهل هذا الاجتماع الحاضر من يدعو الى تقليل النسل وتعديل ذلك الناموس الفطري حتى يحسب ان استمرار انسان العصر الحديث على معدل سيره القديم من اكثار النسل مرهق لحياة الاجتماع مفضٍ الى هلاك سكان الارض شدةً وضيق عيش الى ان ينقلب ذلك الهناء الى ضده من البؤس والعناء . وبعدُ فقد كنا في هذه الايام نجيل الفكرة في اقوال لبعض علماء الاجتماع في هذا البحث الخطير . فلما قرأنا في احد اعداد المقتطف الاخيرة كلامًا في اخباره العلمية تتعلق بقلّة المواليد صحت منا العزيمة على مراجعة ما فكرنا فيهِ بما في الوسع والروية وبادرنا الى تلخيصهِ في هذه السطور

نظر بعض المفكرين في مصير هذا الاجتماع الى فيض النسل البشري فوق سطح المعمور المتحضر بفضل التدابير الصحية وما نجم عنها من تناقص الوفيات ولاسيما في هذه العقود الاخيرة من السنين يحاذرون على المجتمع الحاضر والآتي سوء المغبَّة من تزاحم الخلق وضيق موارد العيش وجعلوا يصدعون بوجوب تقليل النسل بانين احكامهم على مبادىء علم الاقتصاد حتى قرأنا لبعضهم في شهيرة من مجلاَّت العلم قولاً يصرّح فيهِ « بان انحطاط متوسط المواليد قد انقذ المدنية الحديثة من تفاقمها والارتباك بازمة اقتصادية » بل انهم لم يخشوا لومة لائم بأن اطلقوا على هذا التقليل اسم « انتحار الجنس » وهم يقصدون بهذا الانتحار افتداء الكل بهلاك البعض

على انهُ لما كان تقليل النسل واقعاً بطبيعة الحال آخذاً في اتساع النطاق ولاسيما في ارقى الممالك حضارة واسماها عمراناً كالولايات المتحدة وكانت طبقات الناس جارية عليهِ لا طوعاً لنظريات العلماء بل بمقتضى ناموس طبيعيّ من نواميس هذا الاجتماع انقسم ارباب النظر في تقليل هذا التعليل فريقين الاول ينظر فيهِ من الوجه الطبيعيّ (البيولوجيّ) والطبي فلا يرى فيهِ اثراً من قصد العقلاء والآخر يذهب في تعليلهِ الى الوجه الاقتصاديّ المبنيّ على القصد والعمد وهاك خلاصة اقوال الفريقين مشفوعةً بما بدا لنا من التعقيب الاجتهادي

(١) ادلّة البيولوجيّ

حصر البيولوجي ادلّتهُ في اربعة (١) قلة ما تهيئهُ الحالة الاجتماعية الحاضرة من الحاجيات المقوّمة لصحة الابدان من الغذاء والكساء والايواء من باب التعويض عن القوى الزائلة في جهاد الحياة وان ما يستغرقهُ هذا الجهاد او يستهلكهُ من سائر القوى البدنية لا يبقى بعدهُ ما يقوى بهِ الجهاز المخصوص على الوفاء بوظيفتهِ لإخلاف النسل. (٢) ان ما تقتضيهِ حالة الزحام الاجتماعي الحاضر من جهاد الدماغ الدائم وتناولهِ الدم الحيي من سائر اقسام البدن وعيشهِ على نفقتها يسلب قواها ويتلف نسيجها حتى تعجز عن القيام بما وُجدت لهُ. ويمثلون على هذا بان الناس في حالة بداوتهم الاولى لم يكونوا يستعملون قوة العين بمقدار ما يستعملها اهل هذه المدنية ساعات الليل والنهار بالاعمال العقلية والبدنية على ما هو معلوم من امر اجهادها هذه الازمان فضعفت قوة البصر عما كانت فيهِ لسالف عصور الانسان الاولى. قالوا وعلى ذلك يُقاس ضعف القوى المولدة. (٣) ان جهاد الحالة الاجتماعية الحاليَّة اورث الجهاز غير الارادي ضعفاً يتطرق الى جهاز التوليد فقلّ بذلك النسل لما بين الجهازين من الارتباط الحيوي المتلازم بحيث اذا اعترى الاول اختلالٌ ما حيويٌّ اتصل بالثاني — قالوا — ومعلوم ان الجهاز الاول مطرد العمل دقيقُ التوازن سريع التأثر وحالة هذا الاجتماع بما فيها من المجهدات المخلَّة قد ارهقتهُ اجهاداً الى حدٍّ بعيد فأوهنت ذاك الجهاز المخصوص. (٤) ان الحيوانات العليا اقلُّ نسلاً من الدنيا ولذلك فأرقى الناس اقلُّ نسلاً من ادناهم. وان الحيوانات الآبدة اذا صيدت ودُجنت قل نسلُها ولذلك فالتغيرات الصناعية والاجتماعية لهذه الخمسين عاماً قد ادخلت على المجموع قلة النسل. (٥) ان الامراض الجنسية التي ترد في تقريرات الاطباء من دواعي هذه القلّة فيدّعي اهل هذا المذهب ان المهاجرة الحديثة وما يتأتى عنها من مفاسد الازدحام وكثرة الاختلاط مع وفرة الغنى عند اربابهِ وسعة العيش وفراغ الوقت عند فئة كبيرة من الناس كل ذلك من ناشرات الاختلال الادبي وسائقات

الامراض النجسة . ثم ان قلة اجور العاملات ازاء مطالبهنَّ العصرية من ملبس وزينة قد تسوق قليلات الادب الى مهاوي الهلاك فيقلُّ الزواج وتكثر تلك الامراض فيقل النسل

(٢) ردُّ الاقتصادي

مع تسليم الاقتصاديّ شيئاً بقوَّة هذه الادلة البيولوجية والطبية في شأن قلة النسل يردُّ على ما سبق (١) بانهُ اذا اراد البيولوجي ان الحالة الاجتماعية الحديثة من شأنها ان تضعف الصحة بحيث يتأتى عنها قلة النسل يورد عليهِ ان الامر على العكس بمقتضى ناموس النشوء العام . فان هذا الناموس يدل في موضوع البحث على ان بقاء قوة الايلاد من اقوى خصائص الجنس الملازمة لبقاء النوع وارتقائهِ ومن اشهر المبادىء المعلومة عند علماء هذا الزمان . والاَّ فاذا صح ان القوة الحيوية في النوع البشري آخذة بالانحطاط نقوض اقوى ركن من اركان النشوء الجنسي وارتقاء النوع البشري الثابت في تاريخ الانسان والمأمول بلوغهُ الحد المشتهى تدريجاً على تراخي العصور . (٢) اذا كان فرط اجهاد القوة البدنية يستأثر باكثر الغذاء حتى يوهن الجهاز المخصوص فعلامَ نشاهد وفرة النسل حيث الغذاء والكساء والايواء على اضعف حال بين الفقراء . ولقد قال ادم سمث الاقتصادي الشهير في جملة اقوالهِ المأثورة ان المرأة — الهايلاندية — (تقابل الفلاحة او الجبلية في الشرق) لتلد عشرين ولداً في احوال عديدة وان سكان اطراف البلاد من اهل الخشونة والشظف اكثر نسلاً من ذوي الرقة واخوان الصفاء وابناء النعيم . واكثر ما نشاهد هذه الحال في بلادنا الشرقية حيث تضيق منازل الصعاليك وطبقة العمال بكثرة الاولاد كما تضيق بهِ الدنيا عن اسباب الرزق في ميدان الجهاد . (٣) لا يُسلَّم ان فرط استعمال الدماغ واستئثارهِ باكثر الغذاء الضروري لسائر اقسام البدن يسبّبان قلة النسل وذلك (اولاً) لان اشتغال العقل وما ينتجهُ من النشاط ادعى الى الانشراح والسرور . وقد اثبت بعض اهل الاخصاء لعهد قريب « ان هذا العجز الجنسي لاسباب دماغية نادر الوقوع بل ليس لنا في ذلك ما يجوز ان يطلق عليهِ لفظ الدليل » . (ثانياً) من نتائج ما تمَّ من الاحصاء في هذا الشأن ان المتزوجات من الدارسات العاقلات والمشتغلات بالعقليات لسنَ اقلَّ نسلاً من غيرهنَّ . ثم ان صحَّ قول البيولوجي في ذلك فلمَ لا تنحصر قلة النسل في اهل هذه الطبقة من ذوي الاشغال العقلية بل هي شاملة لجميع طبقات الخلق نوعَ عملٍ وحالَ معاشٍ وبالجملة فان إعمال الجهاز العصبي لا يوجب ابطالهُ ولا يورث ضمور الاعضاء المخصوصة ونحوها في عددٍ يذكر من الناس

وهنا يضيف الاقتصادي بان حجج الاطباء في هذا المقام مشوشة مبهمة وليس فيها تقارير ثابتة بالارقام . (٤) ان قياس التمثيل الذي استند عليهِ البيولوجي من مقابلة الحيوانات العليا بالدنيا والمتوحشين بالمتمدنين قياس خادع بطبيعتهِ فانهُ يؤْخذ من المقابلة الصحيحة بين جرمانيا وفرنسا مثلاً و بين جرمانيا والهند و بين فرنسا ومستعمراتها في كندا او بين اقسام مختلفة من مملكة واحدة ان علَّة تلك القلة متأتية في غالب شأنها من جانب الارادة لا من تلك الاسباب البدنية والبيولوجية الثانوية في الرتبة والتأثير . فانهُ قد عرف ان تغيرات متوسط النسل في هذه المقابلات تابعة لتغيرات الاحوال الاقتصادية من نحو الخصب والجدب والنجاح التجاري او وقوف الاعمال مما يردّ تعليلهُ الى الارادة المتعلقة بهذه الاحوال اكثر منهُ الى التغيرات الفسيولوجية . (٥) انهُ وان قرَّر بعض الاطباء بان الامراض الجنسية سبب العقم في الجنسين الى حدٍ بعيد عدا العقم الحاصل بعد ولادة الولد الاول الاَّ ان هذا التعديل او التقليل محصورٌ في الدائرة الطبية فلا يشمل كامل الاحصاء المتعلق باسباب العقم العامة الشاملة فلا حجة فيهِ على المطلوب بل ان العقم الناجم عن علل طبية ليس بحديث العهد فلا يدخل في قلة النسل المستفيضة في هذا العصر . (٦) لا دليل ايضاً على ان عجز الجهاز المخصوص المسبب عن الامراض الجنسية قد ازداد انتشاراً عن ذي قبل . وان الاحوال الحاضرة التي يدعى بانها تفسح المجال لهذه الامراض الجنسية لا تفوق الاحوال التي تزيد تبادل الثقة فتزيد اليسار والغنى . فان رقيّ المدنية الحاضرة اقتصاديًّا لا يلتئم مع زيادة الخيانة والتراخي في حفظ الآداب . (٧) لم يثبت ان الامراض الزهرية اكثر وجوداً في اماكن قلة النسل وان الفساد الجنسي في عموم حالاتهِ بين الاكابر والاصاغر ليس بالامر الحديث . (٨) ان دواعي قلة الاجور لا تدل على زيادة الفجور بل ان الاستقلال الاقتصادي الذي بلغتهُ العاملات كان ادعى الى نماء روح العفاف وضبط الذات مما كان في سالف الايام

(٣) ادلة الاقتصادي الايجابية

على ان تقليل النسل واقعٌ بارادة الانسان

(اولاً) ان ازدياد النفقة على الدخل الضرورية لاعالة الولد الى زمن استقلالهِ المعاشي كافية للزهد بكثرة النسل ولما في تحمّل هذا العبء الباهظ من ارهاق الابدان وازهاق النفوس حتى تسوق الكثيرين الى ارتكاب المحظورات من الانتحار وركوب الاخطار خصوصاً بعد ان طالت في هذا العصر اعوام اعداد الولد للاستقلال الذاتيّ الى حدٍ بعيد

(ثانيًا) ارتفاع قواسر المرأة على الزواج او حريتها الحديثة باختيارها نصيبها المعاشي بما اتسع لها من مجال الاعمال والاستقلال الذاتي طلبًا لمآرب مختلفة لا تأذن بها الحالة الزوجية مما يؤدي الى قلة النسل

(ثالثًا) ازدحام المدن وشدة نزاع الخلق على ادراك الرزق قد زهّدا الجم الغفير برباط الزواج والإقدام على مشاق العائلة وتجرُّع ما فيها من غصص الهموم مع ما ازداد الى اليوم من تعرّض الاعمال الى اخطار التأخر والتقصير والانحطاط

(رابعًا) نماء روح الجمهورية واتساع مجال الارتقاء لعامة طبقات الناس وانفتاح ابواب الآمال لادراك المعالي بالاقدام والجد والكدح مما يشغل المفاخرين عن التقيد بقيود العيال — (على ما يدعون)

(خامسًا) تأخير زمن الزواج من جانب الرجال الى ان يفوت زمن النتاج النسائي والنساء في هذه الحال إما ان يضربن صفحًا ويعرضن اصلاً عن الزواج او يتزوَّجنَ بعد انقضاء شطرٍ من اعوام النتاج ان لم يكن بعد فواته كليًّا · وكلا الامرين مقلّلٌ للنسل بلا اشكال وواقعٌ من جانب الارادة على كل حال

(سادسًا) اتخاذ الوسائل المنعية لقلة النسل بعد الزواج وذلك يجري على عدة طرق (١) اسقاط الاجنّة المقصود — مع عدم خلو الحال من قتل الاطفال — (٢) بالاسباب الطبية المعروفة بالمانعات · ذلك انهُ لما كان في امكان الطب ان يزيل الموانع العارضة للاعضاء غير الارادية كان بالاحرى اقدر على ادخال موانع النتاج · ودليلهُ كثرة قصّاد الاطباء في طلب هذه (المانعات) واستعمالها على اختلاف في ذكاء المستعملات فان بعضهنَّ يستعملنها بلطيف الاسلوب والأُخر على وجه خشن ضارّ

ومما يسهّل استعمال هذه العلاجات المنعية ازدياد معارف الآنسات الفسيولوجية في المدارس منذ نحو اربعين عامًا · فانَّ ابنة العشرين اليوم اعرف بالتشريح والفسيولوجيا والهيجين من جدتها وهي في هذا العمر · فالمتزوّجات من بنات العصر اعلم بوسائل تقليل النسل من اخواتهنَّ منذ ٣٠ سنة · قال احد المؤلفين « ان هذه الرغبة المنعية آخذة بالازدياد حتى في جرمانيا فانهُ شاهد عددًا كبيرًا من النشرات الطبية « المنعية » تباع جهارًا نهارًا في حوانيت باعة الكتب دون حرج من قبل الحكومة وقد لا تزيد ثمن النشرة عن ثلاثة غروش »

ومن مؤيدات مذهب الاقتصادي ايضًا ان قلة النسل تشاهد حيث تكون قلة الوفيات

اي انهُ كما ان العناية الصحية تقلل الوفيات (بالارادة) كذلك تكون قلة المواليد بسبق النظر والقصد بمعنى انهُ حيث تقلّ العناية الصحية بقلة الالتفات والاهتمام تكثر الوفيات والمواليد معاً

ومن الادلة على فعل الارادة في هذا الباب ما عُرف من تاريخ اوائل النازلين في الولايات المتحدة فان من كانوا يحلون اطراف البلاد وهم على حال من الخشونة يدافعون بها السكان الاصليين كانوا اشد اقبالاً على الاكثار من العيال لما في الحالة العائلية من حياة التعاون حتى لقد كانت وفرة الاولاد لديهم من اعظم الآلاء واثمن ذخائر الاستقبال واقوى العدد على ايام الهرم والعجز ولكنهُ لما انقضت تلك الاحوال وزالت الدواعي واخذت المدن تغص بالسكان جعل الناس يشعرون بثقل اعباء الزواج المعلومة الحال . ولما فتحت ابواب الاستخدام في وجوه (العوانس) من الاوانس اخذن في تأخير زمن الزواج فقلت العيال وتناقصت المواليد حتى اصبح ليومنا هذا كل من اقدم على الزواج الباكر وهو ليس بذي يسار ولا من اهل الاقدام والزحام معدوداً من قصار المنظر وعادمي البصيرة وضعاف الحزم والعزم وضبط النفس . و بات على عكسهِ كل راجح العقل و بصير بالعواقب لا يقدم على التقيد باغلال الزواج الاَّ بعد اتباع المطامع وادراك الرغائب في ميدان الزحام حيث لا يُرجى من زواجهِ خصب النتاج . قال في هذا البحث احد كبار الكتّاب « لا ريب ان حب الرفاه في الاجتماع الحاضر وقلة المواليد امران متلازمان لان حبّ الرفاه معتمدٌ على فعل الارادة ومتى استقلّ الرفاه عن فعل الارادة كما هي حال البائسين والمجرمين ازداد متوسط المواليد . وعلى ذلك فليست قلة المواليد علة الرفاه كما يدعي بعضهم بل ان الرفاه هو علة قلة المواليد على العكس وكلاهما نتيجة لعلة واحدة وهي الارادة والبصيرة . وانهُ اذا زال الميل الى الرفاه عادت المواليد الى ما كانت عليهِ في العصور السالفة » وخلاصة ادلة الاقتصادي كلها هي ان مذهبهُ في تعليل تقليل النسل موافق للحقائق الآتية

(١) ان اكثر الناس يتابعون في تقليل النسل الاحكام الفسيولوجية ولاسيما في هذا العصر

(٢) ان قلة النسل على نسبة متزايدة في كل مملكة راقية

(٣) ان النساء اليوم يؤخرن زمن الزواج عمداً في هذه الايام اكثر من سابق الازمان

(٤) ان عجز التوليد حاصلٌ من فعل العلاجات المنعية بدليل ان حديثات الزواج اذا قصدنَ تقليل النسل قلّ عندهنّ بالفعل او حرموهُ بتاتاً

(٥) ان حب الرفاه واطلاب الراحة وغلبة الجبن هي البواعث الكبرى على ذلك التقليل عند فريق من الناس غير قليل ان لم نقل عند الاكثرين

هذا والمفكر الحكيم بعد الوقوف على ما مرَّ في شأن هذا التقليل لا يرتضي منهُ بمجرد وقوعهِ وتحقيق تعليلهِ بل لا بدَّ ان يعرض لهُ فيهِ سؤَالان خطيران استيفاء للبحث واتماماً للفائدة وهما : (١) ما هو مبلغ تقليل النسل من صحة الداعي اجتماعياً واقتصادياً وادبياً . (٢) هل من وسيلة يا ترى عند اساطين الحكمة يتلافى بها وبال هذا الشر عند من يحسبونهُ شراً

متري قندلفت

لورد افبري

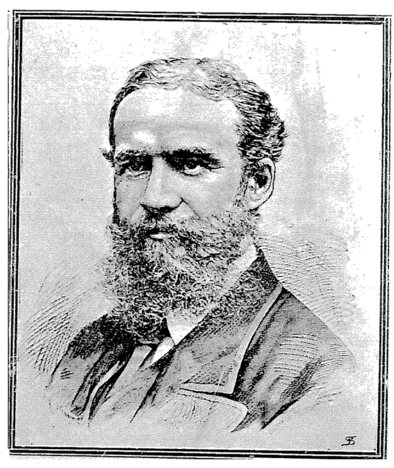
وهو السر جون لبك

نعت المجلات العلمية والجرائد السياسية المالي الشهير والمصلح الكبير والعالم المحقق والسياسي المدقق لورد افبري المعروف باسم السر جون لبك توفي في الثامن والعشرين من شهر مايو الماضي عن ٧٩ سنة قضاها في خدمة العلم والعمران

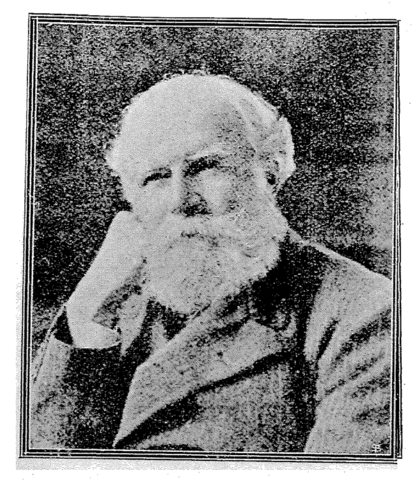
الذين طالعوا المقتطف من اول نشأتهِ سنة ١٨٧٦ الى الآن رأَوا فيهِ اسم السر جون لبك ثم لورد افبري مراراً كثيرة كخادم للعلوم الطبيعية والادبية صادق الخدمة دقيق البحث كثير التآليف . وقد لا يعلم كثيرون منهم انهُ لم يكن استاذاً من اساتذة العلم ولا كان البحث العلمي شغلهُ الذي انقطع لهُ بل كان مالياً مديراً لبنك كبير ورثهُ من ابيهِ ولهُ في الاشغال المالية شأن عظيم لا يقل عن شأنهِ في الاشغال العلمية ان لم يكن اعظم منهُ . وهو من رجال السياسة ايضاً خدم بلادهُ في مجلس النواب ثلاثين سنة ولهُ اليد الطولى في سن القوانين الآيلة الى راحة مستخدمي البنوك وكل العمال وفي اصلاح بعض الشؤُون المالية . ولم يخرج من مجلس النواب الأ حينما لُقّب بلورد افبري ونُظم في سلك الاشراف

كان ابوهُ السر جون وليم لَبُك رئيس بنك ربرتس ولبك وكان ايضاً من الكتّاب الذين يشار اليهم في العلوم الرياضية والفلكية ولهُ كتاب في القمر وكتاب في اضطراب السيّارات وكتاب في المد والجزر وكتاب في علم المرجّحات ونحو ذلك من الكتب العلمية التي يستشهد بها حتى الآن ولذلك فالمترجم ورث العلم او الميل اليهِ وراثة

ولد في الثلاثين من ابريل سنة ١٨٣٤ . وتلقى المبادئ العلمية في مدرسة خصوصية



السر جون لبُك في كهولتهِ



لورد افبري في شيخوختهِ

ثم أُرسل الى كلية اتن وعمرهُ احدى عشرة سنة ولكنهُ لم يُترك فيها الاَّ ثلاث سنوات لان شريك ابيهِ مرض مرضاً شديداً نخاف ابوهُ ان يتوفى هو وشريكهُ قبل ان يتدرب ابنهُ على ادارة البنك فوضعهُ فيهِ ودرَّبهُ على ادارتهِ واشركهُ معهُ وعمرهُ ٢٢ سنة ولذلك فما حصَّلهُ من العلم لم يحصلهُ في مدرسة جامعة بل في جمعيات لندن العلمية وحسب تلك الجمعيات معهداً علميًّا أن كان بين اعضائها امثال فراداي وأوِن وليَل ومرتشصن واري وهرشل وهوكر وتندل وهكسلي وسبنسر وملس ورمزي وبرستوتش وداروِن وكلهم من العلماء الذين ألف قراء المقتطف اسماءهم

ولم يكد ينتظم بين ارباب البنوك حتى جعلوهُ سكرتيراً لجمعيتهم ثم رئيساً لها ورئيساً لغرفة التجارة ثم خلف لورد روزبري في رئاسة المجلس البلدي . واقام من سنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠ نائباً عن مقاطعة مادستون في مجلس النواب . وانتخب غيرهُ للنيابة عنها سنة ١٨٨٠ فتألفت لجنة في مدينة لندن انتظم فيها داروِن وهكسلي ولبك ومكس ملر وتندل ورشحتهُ نائباً عن جامعة لندن فانتخب لها واقام نائباً عنها الى سنة ١٩٠٠ . وتمكن وهو في مجلس النواب من جعل المجلس يقرر ٢٩ قانوناً جديداً وهذا ما لم يستطعهُ احد قبلهُ وكان عضواً في لجنة تقدم المعارف ولجنة المدارس العمومية ولجنة سك النقود ولجنة التعليم ورئيس كلية العمال وجمعية توسيع التعليم بجامعة لندن وجمعية علم الحشرات وجمعية لينيوس والجمعية الاثنولوجية والجمعية الافريقية وجمعية علماء العاديات والجمعية الميكرسكوبية والجمعية الانثروبولوجية والجمعية الاحصائية ومجمع تقدم العلوم البريطاني

وقد ترجمنا خطبتهُ الاولى في مجمع تقدم العلوم البريطاني التي القاها فيهِ حينما رأسهُ في اواخر سنة ١٨٨١ ونشرناها في مقتطف فبراير ومارس وابريل سنة ١٨٨٢ وموضوعها تقدم المعارف في خمسين سنة وعلقنا عليها حواشي كثيرة اتماماً للفائدة وقد بدأها بتقدم علم البيولوجيا . وهاك بعض ما ذكرهُ في هذا الباب

البيولوجيا (١)

قال بعد المقدمة : كان الرأي العام منذ خمسين سنة ان الحيوانات والنباتات ظهرت الى الوجود في الصورة التي نراها فيها الآن . وكان الناس يرون جمالها ويعرفون شيئاً من طبائعها ولكنهم لم يفهموا منها اكثر من ذلك كما ان الناظر الى كتاب مكتتب بلغة لا يفهمها بحروف مذهبة ونقوش بديعة يسر برؤيتهِ ويعجب من بديع نقشهِ ولكنهُ لا يفهم شيئاً من معناهُ .

(١) علم ذوات الحياة بنوع عام

اما الآن فقد اخذت تباشير الحقائق تنير معنًى كتاب الطبيعة وصرنا نعرف ان لكل اختلاف في هيئة الموجودات وجرمها ولونها ولكل عظمةٍ وريشة بل شعرة منها معنى من المعاني . وصرنا ندرك بعض هذه المعاني ايضاً وكلما حللنا قضية انجلت لنا قضايا الذّ وافيد من القضية التي حللناها . وممن لهم اليد الطولى في هذا التغيير العظيم ابنُ وطننا الشهيرُ دارون(٢) وان العلم ليذكر دائماً السنة التاسعة والخمسين بعد الالف والثماني مئة للميلاد التي خرج فيها كتابهُ المعنون « باصل الانواع » . وقبل ذلك بسنة كان دارون وولس(٣) قد نشر كلٌّ منهما مستقلاً عن الآخر رسائل صغيرة بيَّنا فيها مبدأ الانتخاب الطبيعي(٤) . ولا عجب اذا كانت آراء دارون قد لاقت مقاومين اشدَّاء عند اول ظهورها فانها قد صادفت مع ذلك انصاراً اقوياء في هذه البلاد مثل هوكر وهكسلي وهربرت سبنسر . اما مذهب دارون فينطوي على اربع قضايا

الاولى ان ليس في الدنيا حيوانان ولا نباتان متماثلين في كل شيء

الثانية ان الولد يميل ان يرث مزايا والديهِ

الثالثة ان قليلاً من الموجودات يبقى حيًّا حتى يبلغ اشدَّهُ

الرابعة ان الكائنات الحية الموافقة للاحوال التي هي فيها اكثر من غيرها هي الاولى بإخلاف النسل

ولما شرع دارون في عملهِ اخذ يبحث عن اسباب الاختلاف بين الحيوانات ومقدارهِ وعن اصل التباينات(٥) في الحيوانات الداجنة . وبيَّن عدم امكان التمييز بين التباينات والانواع واظهر الفرق العظيم الذي احدثهُ الانسان في تباينات نوع واحد كالفرق بين تباينات الحمام وكلها من نوع واحد . واطال الكلام في ما سماهُ الجهاد لاجل حفظ الوجود(٦) الذي ينجم عنهُ بقاء الاصلح للوجود وتأهيل كل جنس من الحيوانات للاحوال التي يقع فيها

ولم ينسب الى الانتخاب الطبيعي فعلاً يفعلهُ وحدهُ دون غيرهِ من الاسباب وان يكن قد بيّن ان لهُ فعلاً كبيراً جدًّا بل سلَّم ان هنالك اسباباً اخرى تفعل معهُ مثل استعمال

(٢) هو تشارلس دارون ولد سنة ١٨٠٩ وهو الذي فصل مذهب تسلسل الحيوانات بعضها من بعض وقدَّم الادلة الكثيرة على اثباتهِ حتى صار ينسب اليهِ

(٣) عالم انكليزي شهير بين علماء الطبيعة

(٤) يراد بهِ ان بعض الحيوانات والنباتات تناسبها الاحوال اكثر من غيرها فتخلف نسلاً اكثر منها

(٥) يراد بالتباينات ما نسبتهُ الى النوع نسبة النوع الى الجنس كالكلب السلوقي بالنسبة الى نوع الكلب

(٦) المراد ان كل كائن حي يحاول ان يعيش بكل واسطة ممكنة لهُ ولو اضرَّت غيرهُ

الاعضاء واهمالها والانتخاب الجنسي[٧] . ولما التفت الى الصعوبات التي تحول دون اثبات مذهبهِ نسب عدم وجود التباينات المتوسطة بين الانواع الى عدم كفاءة المعارف الجيولوجية وهنذا اكرر ما قلتهُ في مكان آخر وهو ان الاعتماد على فقدان الحلقات بين الانواع لنقض مذهب دارون لاعتماد فاسد لان الذين يعتمدون عليهِ اذا وجدوا الحلقات بين نوعين عدوهما نوعاً واحداً . مثال ذلك ان الكلب وابن آوى يحسبان الآن نوعين مختلفين ولكن اذا كشفت حلقات متوسطة بينهما يُعدَّان نوعاً واحداً لا نوعين . لذلك لا يمكن ان توجد حلقات بين نوعين و يبقيان نوعين لانهُ حالما تكتشف الحلقات يتحد النوعان و يصيران نوعاً واحداً . والحق ان كل نوع موَّلف من حلقات متشابهة تشابهاً شديداً

والمبادئ المعتمد عليها في تقسيم الحيوانات آخذة بالاقتراب من مذهب التسلسل[٨] وصار البيولوجيون يحاولون ان يرتبوا الحيوانات على ما يسمى بالنظام الطبيعي فما من احد يضع الآن الحيتان بين الاسماك ولا الخفافيش بين الطيور ولو خالفوا بذلك المشابهة الظاهرة حتى قال دارون ان الطبيعيين يطلبون تعميم مذهب التسلسل وهم لا يشعرون والاَّ فكيف نفسر تماثل العظام في يد الانسان وجناح الخفاش و يد الفرس وزعنفة الدرفيل واتفاق عدد الفقار في رقبة الزرافة والفيل

وقد جاء علم الامبريولوجيا[٩] بادلة قوية لاثبات مذهب التسلسل ومن هذه الادلة وجود الاعضاء الاثرية[١٠] مثل الاسنان التي تكون في فك العجل ولكنها لا تشق لثتهُ ولا تظهر ومثل الاجنحة العديمة الفائدة في بعض الخنافس والشرايين التي تكون في اجنة الانواع العالية من ذوات الفقرات مماثلة للشرايين التي تكون في الاسماك[١١] ومنها وجود الرقط في فراخ الشحرور والخطوط في اشبال الاسد ونحو ذلك مما يستدل منهُ على ان هذه الآثار هي آثار اسلاف الحيوان التي تظهر فيهِ

(٧) يراد بذلك اختيار الاناث لبعض الذكور على البعض الآخر او اختيار الذكور لبعض الاناث

(٨) المراد بهِ تسلسل الحيوانات والنباتات من اصل واحد او من اصول قليلة بفعل الفواعل الطبيعية بها

(٩) علم الاجنة

(١٠) آثار في بعض الحيوان والنبات تقابل بعض الاعضاء في حيوانات ونباتات اخرى فيظن انها كانت اعضاء ثم زالت بعدم استعمالها او غير ذلك وبقي اثرها

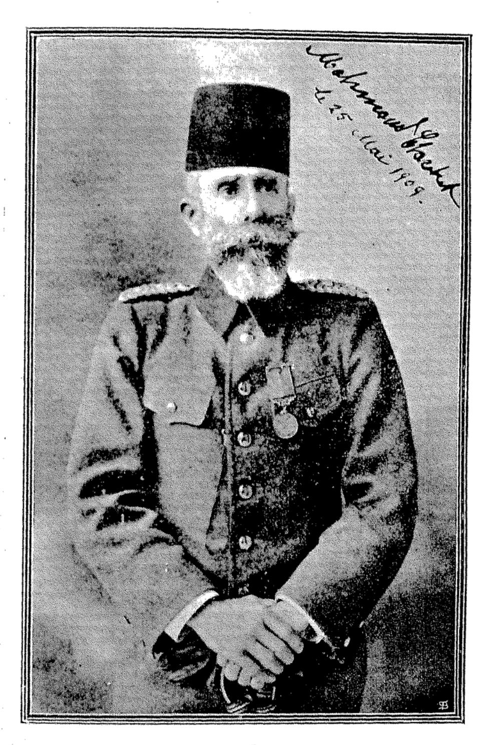
(١١) هي الشرايين التي يتطهر فيها الدم في خياشيم السمك

ولم يزل كثيرون يسيئون فهم آراء دارون فيقولون انهُ ينتج منها امكان صيرورة الخروف ثوراً والحال ان دارون لا يذهب الى امكان استحالة الواحد الى الآخر مطلقاً بل الى ان لكليهما اصلاً واحداً

وما من احد يسعهُ ان ينكر مقدار الرغبة الشديدة في درس التاريخ الطبيعي التي كان دارون سببها وعدد الآراء التي فتح لها باباً فاننا كنا نعرف منذ صغرنا ان النمر مرقط والببر مخطط والاسد مصفر" ولكن لم يخطر لنا ان نسأل عن سبب ذلك حينئذٍ ولو سألنا ما وجدنا مجيباً . واما الآن فصرنا نعلم ان خطوط الببر تشير الى سكناهُ الآجام وصفرة الاسد الى قيامهِ في صحاري الرمال ورقط النمر الى جلوسهِ تحت الاشجار التي تخرقها اشعة الشمس فترقط افياءها رقطاً كلونهِ . وقد بيَّن ولس ان ذلك يصدق على الطيور ايضاً لان المفتوحة الاوكار منها قاتمة اللون لكي لا ترى . و بيَّن وَيسْمَن ان ذلك يصدق ايضاً على الديدان فانها تتشبهُ بما تسكن فيهِ و بيَّن بايتس انهُ يصدق ايضاً على الفراش . انتهى

وهذه الخطبة طويلة وكلها على هذا النسق من الانسجام ووضوح المعاني وقوة الادلة العلمية وهي خير مثال لاسلوب الفقيد في الانشاء وقد راعينا فيها الاصل الانكليزي على قدر الامكان . و يظهر منها ايضاً ان الفقيد كان من انصار دارون القائلين بقولهِ . ولقد كان دارون استاذهُ في البحث العلمي لانهُ اغراهُ بهِ وهو فتى صغير السن فشبَّ عليهِ وتعرَّف بكبار العلماء الذين ذكرناهم آنفاً فزادهُ تعرُّفهُ بهم رغبة في البحث والتحقيق والَّف الكتب العلمية الممتعة . ومن اشهرها كتاب العصور السابقة للتاريخ وكتاب اصل العمران وكتاب النمل والنحل والزنابير وكتاب اصل الحشرات وتقمصها وكتاب مشاعر الحيوان وكتاب الازهار البرية وعلاقتها بالحشرات وكتاب النقود وكتاب مناظر سويسرا وكتاب مناظر انكلترا وهما جيولوجيان وفصول في التاريخ الطبيعي

هذه كتبهُ العلمية اما كتبهُ الادبية فمنها كتاب فائدة الحياة وكتاب جمال الطبيعة وكتاب مسرات الحياة وهو جزءان وغير ذلك من الكتب والرسائل العلمية والادبية والسياسية . وقد طبع بعضها مراراً كثيرة وترجم الى لغات شتى فكتابهُ مسرات الحياة طبع تسعين مرة و بيع من الجزء الاول منهُ اكثر من ٢٥٠ الف نسخة ومن الجزء الثاني اكثر من ٢٠٠ الف نسخة وكتابهُ اصل العمران طبع ست مرات متوالية وقد نقَّح الطبعة السادسة منهُ سنة ١٩١١



شوكت باشا

المشير شوكت باشا

لما نُقلت الحكومة العثمانية من النوع الاستبدادي الى النوع الدستوري حمد العثمانيون سراهم وأُعجبت بهم دول الارض لان انقلاباً مثل هذا قلما يحدث من غير حرب عوان وسفك دماء كثيرة . ولكن ابى الدهر ان يديم الصفاء للعثمانيين فوقعت الردّة في الاستانة وحدثت مذابح اطنه وثارت حرب الروملي وفقدنا جانباً كبيراً من الولايات العثمانية والوفا من الجيش العثماني وعدداً غير قليل من ضباطهِ وقوادهِ . وكانت ثالثة الاثافي ان اغتيل اثنان من حماة الدستور نيازي وشوكت . اما نيازي فسيرتهُ مبسوطة بالاسهاب في الكتاب الذي ألَّفهُ وتُرجم الى العربية وهو بين ايدي القراء . واما شوكت فقد وصفهُ كاتب انكليزي اسمهُ فرنسيس مكلا في الكتاب الذي شرح فيهِ سقوط عبد الحميد ولخصناهُ في العام الماضي . وقد رأينا ان نعيد الآن بعض ما جاء فيهِ عن شوكت باشا ونشفعهُ باهم حوادث حياتهِ الى ان قُتل غيلةً في ١١ من شهر يونيو هذا

شبه المستر مكلا شوكت باشا بكرومول الذي قلب الحكومة الانكليزية منذ ٢٦٠ سنة وشكر جمعية الاتحاد والترقي لانها عرفت قيمة هذا القائد العظيم وقدرتهُ قدرهُ حينما كان اسمهُ غير معروف . وقال ان كل رجال تركيا الفتاة مجمعون على انهُ لو لم يسرع بالفيلق الثالث الى الاستانة لاسترد عبد الحميد سلطتهُ الاولى . واورد قول ابي الضياء توفيق وهو انهُ لو تأخرت سلانيك مهد الحرية عن المبادرة لقمع الفتنة لقضي على الحكومة الدستورية . ولم يكن اسم محمود شوكت باشا معروفاً ولكنهُ برهن على انهُ رجل فعَّال وانهُ من امهر قواد الجيش ولا يخشى من ان يتحمَّل كل مسؤولية . والذي انقذ الدستور من الالغاء هو سرعة اجتماع الجيش وزحفهِ على الاستانة وروح الغيرة والبسالة التي بثها القائد العام في صدور رجالهِ . وهذا رأي كل الثقات في علم الحرب من الاوربيين

ومن رأي المستر مكلا انهُ لو لم يزحف شوكت باشا بنفسهِ لانقاذ الاستانة والدستور بل ارسل بعض قوادهِ لوقعت المنافسة بينهم وعجزوا عن ادراك الغاية التي ساروا لاجلها وكذلك لو لم يأتِ هو بالسرعة التي اتى بها لالتفَّ كبار رجال الحكومة حول عبد الحميد وعادوا طوع بنانهِ كما كانوا قبل اعلان الدستور . ثم ذكر ترجمة شوكت باشا وهذه خلاصتها

ولد سنة ١٨٥٧ وابوهُ كتخدا زاده سليمان بك والي البصرة جاء الاستانة سنة ١٨٧٠ ودخل المدرسة الابتدائية في اتلامه طاش باسكدار ثم دخل المدرسة الحربية في قله لي

وانتقل منها سنة ١٨٧٨ الى المدرسة الحربية العليا واتمَّ دروسهُ فيها وخرج منها سنة ١٨٨٢ برتبة يوزباشي اركان حرب وكان الاول في صفهِ (فرقتهِ) وبعد قليل أُرسل الى كريت ليرافق الجيش الذي كان يراد ارسالهُ الى مصر لقمع الثورة العرابية وبقي سنة في كريت وعاد منها الى الاستانة حينما عدلت الدولة العلية عن ارسال جنودها الى مصر

وبعد قليل جُعل استاذاً في المدرسة الحربية العليا لتعليم علم الجبر والمقابلة ثم لتعليم علم اطلاق المدافع . وعُين باشارة الجنرال فون درغلتز من اللجنة الموكول اليها استلام ما ابتاعتهُ الحكومة من بنادق موزر بعد ان يراقب عملها في معامل المانيا . فذهب الى المانيا لهذه الغاية واقام فيها وفي فرنسا تسع سنوات قضى للحكومة العثمانية في خلالها اشغالاً كثيرة ناطتها بهِ تتعلق بابتياع المدافع والبنادق والبارود وعكف على درس المسائل الحربية من باب علمي . وعاد من المانيا سنة ١٨٩٦ لانحراف صحتهِ ورقي حينئذٍ الى رتبة امير لواءٍ وكان الدرس الكثير قد اضعف اعصابهُ فمنعهُ الاطباء عن كل عمل يقتضي تشغيل العقل ولذلك لم يشترك في حرب اليونان

وسنة ١٩٠١ أُمر بمد سلك التلغراف بين مكة والمدينة فأُرسل الى الحجاز في السفينة العثمانية مروءة وكان فيها ستمئة من المغضوب عليهم وأُمر ان يودعهم في السجون الحصينة في بلاد العرب فأثَّر فيهِ منظر اولئك الرجال وحديثهم تأثيراً عميقاً وكان احترامهُ للسلطان قد ضعف بما شاهدهُ في فرنسا والمانيا ثم رأى من تعصب رجال الدين ومقاومة شريف مكة ووالي الحجاز ما منعهُ من مد السلك التلغرافي فعاد الى الاستانة وهو غير ناسٍ ما شاهد في السفينة وما لقي في الحجاز

وعين سنة ١٩٠٦ والياً لقوصوه وبقي في هذا المنصب حتى اغسطس سنة ١٩٠٨ وقيل عنهُ حينئذٍ انهُ شجاع ولكنهُ لا يصلح للولاية لانهُ حليم كأَن الحلم والولاية لا يجتمعان. وكان يرى سوء ادارة البلاد ولكنهُ لا يرى علاجاً لهُ فتولاهُ اليأس . وكانت لذتهُ الكبرى في مقابلة الاوربيين ومحادثتهم في المواضيع التي كانت المحادثة فيها مباحة وهي العلوم والآداب والمسائل الحربية

ولما استدعي حلمي باشا من سلانيك ليتولى نظارة الداخلية جُعل شوكت باشا مفتشاً عاماً في مكدونية وبقي في منصبهِ في الجيش فتمرَّن على الادارة تمرُّناً يؤَهلهُ للوزارة يوماً ما

وكان من رجال تركيا الفتاة فلما نشرت راية الحرية ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٠٨ كان اول من حيَّاها في اسكوب واقتدى بهِ كل وجهاء البلاد . وبلغ خبر اسكوب سلانيك فاقتدت

بها . واستدعتهُ الحكومة الجديدة في اغسطس لقيادة الفيلق الثالث في سلانيك وبقي من ذلك الحين الى شهر ابريل وهمهُ الاكبر اصلاح شؤُون ذلك الفيلق وبث الحمية والغيرة الوطنية في نفوس رجالهِ وضباطهِ وهذا الذي ساعدهُ على دخول الاستانة بعد ذلك وتخليص الحكومة الدستورية من الزوال

وقد حادث المؤَلف شوكت باشا في كيفية زحفهِ على الاستانة فقال لهُ ما ترجمتهُ

« اني لم اسمع عن وقوع الفتنة في استانبول الاَّ في ١٤ ابريل فارسلت تلغرافاً الى الاستانة احتجُّ فيهِ باسم الفيلق الثالث وارسلت التلغرافات اللازمة الى الاورط التي عزمت ان ازحف بها على العاصمة . وبلغني في المساء ان الضباط الذين تحت امري اجتمعوا في النادي العسكري فذهبت اليهِ لكي اخبرهم بما عوَّلت عليهِ ولكي انصحهم حتى يلزموا السكينة وقلت لهم ان التلغرافات التي وردت من الاستانة تدلُّ على ان الاستبداد قد عاد الى نصابهِ فاذا كان الامر كذلك فالحكومة لم تعد شرعية في نظري ولقد قلت لذوي الامر في العاصمة انهُ اذا صحت الاخبار التي بلغتني فالفيلق الثالث يزحف على الاستانة بكل قوتهِ حالاً لكي يزيل العار عن شرفنا العسكري الذي لطختهُ بهِ فتنة ١٣ ابريل ولكي يعيد الدستور العثماني مهما كلفنا ذلك . ولقد اعددت كل المعدات اللازمة للزحف وانا مستعد ان أُنفِق وأُنفَق في هذا السبيل واتوقع منكم الطاعة التامَّة لكي نفوز بالنجاح . ولما قلت ذلك اقسم لي الضباط كلهم ان يطيعوني طاعة تامَّة . ويا لها من ساعة لا يزول ذكرها من نفوسنا »

فسأَلتهُ هل كان كلامهُ للضباط حينئذٍ اول كلام قيل في هذا الموضوع فقال نعم وطبع كلامي حالاً ونشر في البلاد كلها

وقد ذكرت الجرائد خطبة شوكت باشا هذه وقالت انها فريدة في بابها أثَّرت في السامعين تأثيراً عميقاً فصفقوا لها تصفيقاً حادًّا ولا غرابة في ذلك لانها كانت بمثابة اعلان الحرب على عبد الحميد بل على مَن هو اضر بالبلاد من عبد الحميد اي على الذين يحاولون ان يقوّضوا اركان الدستور باسم الشريعة . وقد كان كلام شوكت باشا ورجالهِ صريحاً في هذا المعنى فقد قال الجنرال حسين حسني باشا قائد مقدمة الجيش المكدوني في المنشور الذي نشرهُ على اهل الاستانة « ان غرض الجيش الذي زحف على الاستانة هو ان يثبت لهم انهُ لا يعرف شريعة فوق الدستور ولا سيادة فوقهُ »

ولم يكد شوكت باشا يهدّد الاستانة بالزحف عليها حتى انتشر خبر تهديدهِ بواسطة التلغراف في السلطنة كلها . ونشرت جريدة نيرِ حقيقت تلغرافهُ فوقع في الاستانة كالصاعقة

والحال جعل يعدُّ جيشهُ للزحف . وقالت جريدة التيمس حينئذٍ انهُ يتعذَّر عليهِ الزحف في اقل من ثلاثة اسابيع وانهُ اذا بلغ الاستانة فادهم باشا وناظم باشا لا يدعان جنود سلانيك تصل الى حدود الاستانة . ولكن شوكت باشا وصل في ثلاثة ايام بدل ثلاثة اسابيع ولما وصل لم يجسر ادهم باشا ولا ناظم باشا ان يصداهُ . ويتعذَّر وصف هذا العمل الخارق الذي عملهُ شوكت باشا الاَّ على كبار رجال الحرب الخبيرين بالحركات الحربية . والظاهر انهُ لم ينتظر اقرار رجالهِ على الزحف بل ارسل بعض الجنود امامهُ حالما بلغهُ خبر الفتنة

وقد قال للمؤَلف في هذا الصدد ما ترجمتهُ . « لما كنت على اهبة الزحف على الاستانة تقدَّم اليَّ عشرة آلاف من البلغار وثلاثة آلاف من اليونان متطوعين ولكنني خفت ان استخدمهم كلهم فيحدثوا في الاستانة حدثًا لانهم لم يألفوا التنظيم العسكري واكتفيت بثلاثة آلاف منهم ففرقتهم بين الاورط العثمانية المختلفة »

قال المؤَلف واذا ذكرنا فضل شوكت باشا في انقاذ الحكومة الدستورية لا ننسى اخوانهُ الضباط وكل اعضاء جمعية الاتحاد والترقي وكل رجال الملكية في سلانيك الذين تطوعوا في الجيش لانقاذ البلاد ولا سيما بطلي الدستور انور ونيازي اللذين كانا في طليعة رافعي راية العصيان على الحكومة الحميدية السابقة . انتهى كلام المستر مكلا باختصار كثير

ولما سقطت وزارة حلمي باشا في اول سنة ١٩١ واستلم الصدارة حقي باشا جعل شوكت باشا ناظرًا للحربية . ثم لما سقطت وزارة حقي باشا في بداءة الحرب الطرابلسية اعطيت الصدارة العظمى لسعيد باشا فألف الوزارة في ٤ اكتوبر سنة ١٩١١ وبقي شوكت باشا ناظرًا للحربية لكنهُ استعفى في ٩ يوليو الماضي (١٩١٢) وتبعهُ الصدر الاعظم بعد اسبوع واعطيت الصدارة لكامل باشا فاعطى نظارة الحربية لناظم باشا الذي قُتل غيلة في اوائل هذه السنة واضطرَّ كامل باشا حينئذٍ ان يستعفي من منصبهِ واعطيت الصدارة لشوكت باشا فالف الوزارة في ٢٤ يناير الماضي واستلم هو نظارة الحربية مع الصدارة العظمى وبقي فيها الى ان اغتيل يوم الاربعاء من الحادي عشر من هذا الشهر فانهُ كان راكبًا اوتوموبيلهُ وذاهبًا الى الباب العالي ومعهُ ياورهُ البحري ابرهيم بك فدنا منهُ اوتوموبيل آخر ووثب منهُ رجال اطلقوا مسدساتهم عليهِ وعلى ياورهِ فقتل الياور في الحال واما هو فاصيب في مقتل وتوفي بعد اصابتهِ بنصف ساعة . وقبلما فاضت روحهُ صاح قائلاً واحسرتاه على الامة . ولقد خسرت تركيا باغتيالهِ خسارة لا تقدَّر لانهُ كان من اعظم قوادها المتفانين في خدمتها وسيخلد اسمهُ بين اسماء شهداء الحرية

اصيلا

سألني سائل عن هذه المدينة التي ورد ذكرها في تلغراف روتر اذ قيل ان جنود الاسبانيين خرجوا منها لفك اسراهم من المغاربة . واراد معرفة اسمها العربي الصحيح الذي لا يزال مستعملاً عند اهل تلك البلاد الى اليوم . دعاهُ لهذا السؤال اختلاف الجرائد اختلافاً عظيماً في تسميتها وقال انهُ رآهُ في المؤيد « ارجيلة » وفي المقطم « ارزيلا » وفي الاهرام « ارسيلا » واما الجريدة فقالت انهُ « عرزيلا » . فاتيت بهذا البيان ليكون فيهِ تذكرة للجمهور فاقول

هي احدى مدائن المغرب الاقصى « مراكش » واسمها الصحيح « آصيلا » او « أُصيلة » ذكرها الشريف الادريسي في (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) وياقوت الحموي في (معجم البلدان) والوزير ابو عبيد البكري في كتاب (المسالك والممالك) وغيرهم من العلماء الاسلاميين الذين سيرد ذكر بعضهم في هذا البيان . وخلاصة ما قالوهُ انها مدينة صغيرة جدًّا واقعة على رأس الخليج المسمَّى بالزقاق « المعروف الآن ببوغاز جبل طارق » ويشرب اهلها من مياه الآبار وبخارجها آبار عذبة . وهي في سهلة من الارض حولها رواب لطاف والبحر بغربيها وجنوبيها . واذا هاج بلغ موجه حائط جامعها . وعلى مقربة منها مدينة القصر المذكورة في تلغراف روتر وتمام اسمها قصر عبد الكريم . وبينهما نهر عذب تدخلهُ المراكب ثم يلتقي بنهر آخر فيتكون منها نهر كبير هو المعروف الآن بنهر سبو (واسمهُ عند الافرنج قديمًا لوكوس Luccus) فيركب فيهِ الناس بالمراكب حتى يصلوا الى البحر « اي المحيط الاطلنطي »

وكان على مدينة اصيلة سور وكان لها خمسة ابواب وكان لها سوق حافلة يوم الجمعة

وقد اشتهر من اهلها نفر من كبار العلماء المنسوبين اليها نذكر منهم

اولاً المغيرة الكتامي وهو اصيلي « عن نفح الطيب »

ثانياً ابو عبد الله الاصيلي سمع منهُ ابن جبير الرحالة الاندلسي الشهير « عن نفح الطيب »

ثالثاً احمد بن عبد الله بن موسى المكناسي من اهل اصيلا يعرف بابن العجوز « ترجمهُ ابن بشكوال في كتاب الصلة »

رابعًا عبدالله بن ابراهيم بن محمد الاصيلي « ترجمةُ الفرضي في تاريخ علماء الاندلس » وكان حرج الصدر ضيق الخلق

خامسًا محمد بن عبدالله بن ابراهيم بن محمد بن عبدالله الاصيلي من اهل قرطبة (ترجمةُ ابن الابار في كتاب التكملة لكتاب الصلة)

سادسًا عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الاموي المعروف بالاصيلي من كبار اصحاب الحديث والفقه والرحلة وهو من اهل رواة البخاري . وكان ابوهُ يسمَّى ابراهيم زق الابرة لشكاسة كانت في خلقهِ وذكرهُ الضبي في بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس

وقد ذكر صاحب نزهة الحادي في اخبار القرن الحادي هذه المدينة باسم ثغر اصيلا وقال في جملة كلامهِ ان بني وطاس كانوا يقاتلون الافرنج فيها وسماها في مكان آخر « برباط اصيلا » لان فريقًا من المسلمين كانوا يرابطون بها لاقامة الدين ولحفظ الثغر من هجمات المغيرين . ولكن الثورات الداخلية والفتن الاهلية التي حدثت بتلك البلاد انتهت بتسليمها الى ملك البرتقال دون سباستيان سلمها اليهِ مولاي محمد بن عبد الله في حدود سنة ٩٨٣ هجرية فكان ذلك من جملة الاسباب التي نعاها عليهِ علماء المغرب الاقصى في رسالة طويلة اوردها محمد الصغير الوفراني في كتابهِ المذكور

ثم لما ثار الناصر بن الغالب بالله على عمهِ ابي العباس المنصور (صاحب المغرب الاقصى) واضطرَّ الى الانهزام من وجههِ فرَّ الى اصيلا والتجأ الى اصحابها من الافرنج ومنها عبر البحر الى جزيرة الاندلس عند طاغيتها

ثم اخلاها الافرنج في سنة ٩٩٧ هجرية ولكنهم قبل ان يخرجوا منها حفروا تحت قصبتها « يعني قلعتها » حفيرًا وملأوهُ بارودًا واوقدوا فتيلة تبلغهُ عند مقدار دخول المسلمين فنجاهم الله من الوبال وكفى الله المؤمنين القتال . وكان ذلك في ايام دولة اشهر مشاهير امراء المؤمنين بالمغرب الاقصى واعني بهِ السلطان ابا العباس احمد الملقب في التاريخ بالمنصور الذهبي . وقد مدحهُ ابو العباس احمد بن القاضي واشار الى مكيدة البارود فقال :

يا ايها المنصور ابشر بالعلا فالله بلَّغ في العدا المأمولا
انضاكم سيفًا لحتف عداتهِ وبكم غدا سيف الرَّدى مفلولا
وهزمتمُ الشرك المبين بعزكم من غير سيف قد يرى مسلولا

واذبت اكباد الخبيث بهمة وفتحتم دار العدى (آصيلا)
اكرم بهِ من مالك بل صالح اضحى لبارود العداة خليلا
لا زال في افق العلا شمساً وفي عين العدى يشاكل التكميلا

فلما تبدلت الاحوال وانقلبت الايام وتخاذل اهل البلاد هجم عليها الاسبانيون فاخذوها ولا تزال في ايديهم الى الآن

ونعود الى الكلام على اسم هذه المدينة عند العرب فنقول: ان القوم ارادوا التخفيف فقالوا فيها: «ازيلا» و«ازيلي» ولكن الاسم الصحيح هو كما ذكرنا «اصيلا» او «اصيلة» كما تدل عليهِ نسبة العلماء اليها . وقد قال الضبي في بغية الملتمس «اصيلة من بلاد العدوة بلد بقرب طنجة وهو اليوم خراب ويقال فيهِ ازيلا بالزاي»

بقي علينا ان نعرف لماذا قال الاسبانيون ارزيلا Arzila حتى اوقعوا مترجمي جرائدنا بالامس في ما وقعوا فيهِ . ان الاسبانيين حينما نقلوا الاعلام الى لغاتهم ارادوا ان يتقربوا ما امكنهم من اللفظ الذي كانوا يسمعونهُ من افواه العرب فلما صادفتهم الحروف العربية التي تستوجب الاطباق او التفخيم مثل الراء والصاد والضاد ونحوها وضعوا ما يقاربها من الحروف المخففة في لغتهم واضافوا اليها حرفاً ثانياً يقاربها ليكون دليلاً على كيفية النطق العربي . مثال ذلك انهم قالوا في الرملة Arrambla (الرمبلة) وفي الحمراء حمراء غرناطة Ahambra الهمبرا وفي القاضي alcalde «الكالدي» فاما «القائد» فيقولون فيهِ alcade الكادي . ذكرت ذلك لمنع الاشتباه الذي طالما يحصل للمترجمين عند ما يقع لهم هذا اللفظ الاخير فيترجمونهُ بالقاضي . وعلى هذا النحو قالوا في مدينة اصيلة «Arzila (ارزيلا)

هذا وقد ذكرت «الموسوعات الفرنسية الكبرى» “ La Grande Encyclopédie Française ,, هذه المدينة فقالت ما تعريبهُ: اسمها العربي اصيلة Asilah وهي فرضة صغيرة من بلاد مراكش واقعة على المحيط الاطلنطي فيما بين العرايش (Larache) وطنجه (Tanger) وعلى ٤٨ كيلو متراً من هذا البلد الثاني . كان لهذه المدينة الصغيرة شيء من الاهمية في الزمان القديم وقد اصبحت الآن قرية حقيرة فقيرة يسكنها قوم من صيادي السمك لا يزيدون عن الالف نسمة وهي واقعة في مكان المدينة الرومانية القديمة التي كانت تسمى زيليا Zilia او زيليس Zilis

احمد زكي

مزار الامام علي الرضا في مشهد

تمكن ضابط انكليزي من جيش الهند يقال لهُ الكولونل هري ستانلي ماسي من زيارة قبر الامام علي الرضا (بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب المتوفى سنة ٢٠٣ هـ = ٨١٨ ميلادية في خلافة المأمون) . وهذا القبر في مدينة مشهد ببلاد العجم ويزورهُ كل سنة اكثر من مئة الف يأتون من جميع الاقطار . وقد نشر هذا الكولونل حكايتهُ في زيارة هذا القبر في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية واليك حديثهُ

نلت سنة ١٨٩٣ اجازة اثني عشر شهراً فرأيت ان اقضيها في التجول ببلاد العجم رغماً عن شدة شوقي الى وطني . وكان يصحبني الكولونل مدلي وضابطان آخران وخادم هندي فركبنا البحر الى خليج فارس ثم مررنا بمقاطعة بشقرد وكان اهلها في هرج ومرج خارجين على الشاه . الاَّ اننا لم يتعرض لنا احد بسوء في كل طريقنا بل سرنا بامان الى ان اتينا طهران عاصمة البلاد حيث قضينا وقتاً حافلاً بالسرور . وواصلنا سيرنا الى بحر قزبين حيث غادرنا مدلي متوجهاً الى اوربا

ومن هناك سرت نحو مشهد فاتيت الى مدينة كوشان (اوكابوشان) فوجدتها قاعاً صفصفاً اذ كان الزلزال قد اخربها قبل وصولي اليها بعشرة ايام وقتل فيها ١٢ الف نفس . ولم أرَ فيها بناء شاخصاً الا مزاراً لولي من نسل الامام الرضا ويعرفونهُ باسم « زيارت امام زاده صاحب » . ولولا انني شاهدتهُ شاخصاً بعيني لما صدقت ان الزلزال الذي اخرب تلك المدينة ابقى على شيء من البناء فيها

وقمنا من كوشان عند شق الفجر واصطحبت معي معاوني شمس الدين وخادمي وهو هندي فتزييت بزي الافغان وامتطينا البغال محتقبين بعض ما لا غنى لنا عنهُ من الامتعة . وادعيت انني ذاهب لصيد البط الى الجنوب من كوشان . وامرت المكاري الذي كان ينقل امتعتنا ان يذهب بها الى دار القنصلية الانكليزية في مشهد حيث يجدني في انتظاره

وكانت نفسي تتوق الى مشاهدة مزار الامام الرضا في مشهد وكنت قد عرفت ان الرحالة فامبيري تمكن من الدخول اليهِ سنة ١٨٦٣ بزي درويش متسول متشعث الشعر يرتدي الاسمال البالية . اما انا فرأيت ان اترفع عن ذلك واتزيى بزي رجل من اشراف الهند وقد سهّل عليَّ ذلك اعتيادي لبس الزي الهندي وكنت ارتاح الى لبسهِ كما ارتاح الى لبس

الزي الاوربي فادَّعيت اني سردار من حيدر اباد واني افغاني الاصل اضطرَّ والدي الى مغادرة وطنهِ قبل ذلك العهد بعشرين سنة . وكان لا بدَّ لي لقيام ادعائي هذا من معرفة الهندستانية والفارسية والافغانية وقد كان لي المام بهذه اللغات الثلاث . ولم يكن لي بد من اختلاق اسباب اوردها جوابًا لكل من يسألني عن سبب زيارتي للمزار ولفقت قصصًا اخرى جعلتها عدتي للتخلص من اسئلة الناس الفضولية التي كنت اخشى ان تكشف امرنا

وكان الناس يأنسون بنا في الطريق ويتقرَّبون منا ويطلعوننا على اخبار لو عرفوا اننا لا ندين بدينهم لما اطلعونا عليها . كانوا كلهم يلحون باللائمة على اهل كوشان ويقولون انهم استحقوا ما حل بهم بارتكابهم للموبقات وانغماسهم في الشرور وقالوا لنا ان اميرها حسن خان لم يترك موبقة الاَّ ارتكبها ولا محرمًا الاَّ انتهكهُ حتى اهلكهُ الله هو وقومهُ . وبلغت منهُ الخلاعة انهُ مات وهو سكران فلما حضرتهُ الوفاة دعا اليهِ متولي مزار امام زاده صاحب وبالغ في اكرامهِ ثم اخبرهُ انهُ يريد ان يدفن في قبر الولي فامتعض المتولي لذلك وصاح بهِ ويلك أنَّى لي أن أنبش قبر ولي وأُنزل فيهِ رجلاً مارقًا سكّيرًا وتركهُ مغضبًا . فدعاهُ اليهِ في اليوم التالي ايضًا واعاد عليهِ طلبهُ وحاول اغراءهُ بالمال فلم يفلح . فلما خرج من عندهِ دعا اليهِ آلهُ واعوانهُ فلما مثلوا امامهُ استحلفهم وهو مرغٍ مزبد من شدة غيظهِ وسكرهِ على ان يدفنوهُ في المزار ان لم يكن بقوة المال فبالسيف

فلما مات اخذ اتباعهُ يتهددون المتولي ويتوعدونهُ الى ان تواطأ معهم على ان ينقبوا نفقًا في الارض الى ان يصلوا الى قبر الولي فيودعوا رفات الامير فيهِ من غير ان يشعر الناس بذلك . فلما كانوا على وشك اتمام عملهم هذا زلزلت الارض زلزالها واخربت المدينة وتركتها قاعًا صفصفًا . وقيل لي ان الولي ظهر للمتولي تلك الليلة فوبخهُ على عملهِ حتى اذا اتم كلامهُ بدأ الزلزال فاخرب المدينة كلها ما عدا المزار

وحدث لنا في الطريق ما كاد يفضح امرنا ويكشف سرنا وذلك اننا وصلنا الى مقصود اباد فعلمنا ان جماعة من الافغان نزلوا في الخان الذي تنزل فيهِ القوافل فخفنا عاقبة الامر ان نحن نزلنا معهم . فاتينا بيت رجل وسألناهُ ان يفسح لنا مكانًا للمبيت عندهُ فابى علينا ذلك فاخبرناهُ اننا حجاج وانهُ ان لم يفعل دعونا عليهِ عند قبر الامام واستنزلنا عليهِ اللعنات فعرتهُ الخشية وافسح لنا مكانًا للمبيت

ثم علمنا ان الافغان الذين في الخان هم اميران افغانيان اسم احدهما عبد المجيد خان

واسم الآخر عبد الحميد وهما اخوان ومعهما جمع من الخدم والحشم · واتفق ان معاوني شمس الدين مر بالخان فالتقاهُ عبد الحميد فسألهُ عن اسمهِ وشأنهِ فاخبرهُ انهُ خادم سردار من حيدر اباد وانهُ اتى الى بلاد العجم بمعيتهِ فسألهُ عن اسم السردار فقال اسمهُ مظفرخان فقال لهُ ومن اي قبيلة يكون فاجابهُ انهُ ابن عم نايب نور محمد خان من قندهار فسر عبد الحميد عند سماع ذلك وقال اذن هو قريبي وسآتي لاراهُ

فانقلب شمس الدين يهرول واخبرني بما وقع لهُ وان عبد الحميد هذا آتٍ لزيارتي فاخذت اعد عدتي لاستقبالهِ واوجست خيفة من انكشاف امري · وما لبث عبد الحميد ان اقبل فمكث معنا ساعة لا اعرف كيف انقضت عليَّ من شدة ما استولى عليَّ من الخوف ثم قام وانصرف وهو لا يشك انني قريبهُ · وشيَّعهُ شمس الدين الى الطريق فقال لهُ ان رجال قبيلتهِ سنيون فكيف يكون هذا شيعيًّا فقال لهُ شمس الدين انني كلفت بحب فتاة شيعية فتزوجتها فلم يطب لها عيش معي لانني سنّي وما زالت بي حتى صرت شيعيًّا مثلها · فاطرق عبد الحميد هنيهة لدى سماع هذه القصة ثم رفع رأسهُ وقال لشمس الدين ليس سيدك رجلاً والا لما عمل ما يأنف منهُ كل افغاني

و بتنا ليلتنا في قلق عظيم فلم تذق اجفاننا الكرى الا انهُ سرّي عنا في الصباح اذ رأينا الافغانيين قد شدوا اثقالهم وساروا · وسرنا نحن في جهة مشهد ذلك اليوم فوصلناها في اليوم التالي وهو الثلاثون من نوفمبر · ونزلنا احد خاناتها واخذ خادمي يعد لنا الطعام بينما كنت انا وشمس الدين نتهيأ لزيارة المقام فهندمت لحيتي حتى صارت بشكل نصف الدائرة وخضب شمس الدين اهداب عيني · ثم لبست سراويلاً من الكتان الابيض وجبة افغانية ولففت حول عنقي شالاً ملونًا بالاحمر والاصفر · ولبست على رأسي قلنسوة مخروطية الشكل كوّرت من حولها كوفية مزركشة الاطراف بالذهب · وجعلت في رجلي جورباين اسودين وخفين افغانيين يدقان ويطولان من الامام وينعقفان الى فوق وحملت في يدي سبحة ووضعت في جيبي منديلاً من الحرير الاخضر وقرصًا من الدلغان الذي يؤتى بهِ من كربلاء لالقي عليهِ جبهتي عند الصلاة · وتختمت بخاتم من الفضة نقش على فصهِ كلمة مظفر وهو اسمي الذي انتحلتهُ

وعند المساء خرجت انا وشمس الدين نحو المزار فدخلنا بابهُ الخارجي بعد ان لمسنا السلسلة التي تعترض الداخل فيهِ ومسحنا وجهينا بايدينا بعد لمسها تبركًا · ثم سرنا بين دكاكين

فيها كثير من الباعة والشارين والقصّاصين ثم دخلنا في باب آخر تعترضهُ سلسلة غليظة ايضاً فلمسناها كما لمسنا الاولى وافضينا الى صحن المزار

وقدّرت طول هذه الدار من الشرق الى الغرب بثلاثمئة قدم وعرضها من الشمال الى الجنوب بمئتين وعشرة اقدام . وفي وسطها ماء يجري من الشرق الى الغرب في قناة من الحجارة الربداء . وفيها ايضاً كثير من الشواهد القبرية حتى كأن ارضها مفروشة بها وقد اخبرنا السيد الذي كان يطوف بنا ان تحت كل حجر منها اجساداً كثيرة وانهُ لا يوضع ميت فوق آخر في القبر الواحد الاّ بعد دفن الاول بثلاثين سنة . ولهذه الدار ثلاثة ابواب تفضي اليها من الشمال والشرق والجنوب والباب الرابع في جهة المزار الى الشرق . والابواب كلها مزدانة بالنقوش ويبلغ علو كلٍ منها ستين قدماً وهم يدعون كل باب مع بنائهِ ايواناً . ويبلغ ارتفاع الجدران بين هذه الابواب نحو ٤٠ قدماً وفيها قناطر وشرفات ونقوش كثيرة . والى يسار الباب الغربي قنطرة قد سدت برخام عليهِ نقوش بديعة وافرغ ما بين نقوشهِ كما يرى في نقوش التاز في اغرا ببلاد الهند

وكان في الدار مئات من الحجاج وغيرهم يخطرون او يصلون وهم ركوع وبالقرب من الايوان الذي عند القبر كثير من الرجال والنساء راكعون خاشعون يقرعون صدورهم ويبكون ذارفين الدموع السخينة يضرعون الى الله والى الولي باسطين اذرعهم . ورأيت هناك كثيراً من باعة الفيروز والياقوت والبلور واليشب وقد اقبل الناس على شراء بضاعتهم حتى في تلك الساعة من المساء

فتقدمنا نحو الايوان الغربي وملنا الى يسارنا لندخل من القنطرة التي الى يمينهِ . فخلعنا احذيتنا ودفعناها الى رجل هناك يقوم على حفظ احذية الزوار فتفرَّس فينا قليلاً واخذها ووضعها بين الاحذية . ولما تركناهُ اقبل علينا سيدحديث السن على رأسهِ عمامة سوداء فعرض علينا ان يطوف بنا في المزار فيرينا ما يجب ان نراهُ ويقرأ لنا الزيارتنامه . فاومأت الى شمس الدين فقال لهُ انما نريد رجلاً اكمل منك سنًّا يطوف بنا . فتقدم عند ذلك سيد آخر يناهز الاربعين من العمر فاتخذناهُ دليلاً

فدخل بنا حجرة صغيرة وراء القنطرة ثم دار بنا الى اليسار فاتينا الى غرفة ضيقة طويلة ارضها مفروشة بالرخام الابيض وجدرانها مزدانة بنقوش الفسيفساء التي تمثل انواعاً من الازهار وتنيرها شموع في شماعدين معلقة بجدرانها . فلما دخلنا اليها وقف السيد وفتح كتابهُ ورفع سبّابة يمناهُ وقرأ بعض الزيارتنامه بالعربية . ثم اتينا الى غرفة ثانية اكبر من هذه تزين

ارضها نقوش الفسيفساء وتغشي جدرانها الكتابات العربية المنزلة بالفسيفساء والذهب . وهذه الغرفة محاذية للقبر الى الجهة الشمالية منهُ . فاكمل السيد قراءة الزيارتنامه فيها على نحو ما تقدم ولما فرغ من ذلك درنا الى اليمين فدخلنا غرفة أُخرى الى شمال القبر . ونقوش هذه الغرفة جميلة جدًّا والفسيفساء في ارضها مثل بساط عجمي بديع . ورأينا فيها سجاجيد مفروشة وعليها نسخ من القرآن فاخذ السيد نسخة واشار الى كل منا ليحذو حذوهُ ففعلنا وقبَّل كل نسختهُ ورفعها الى جبهتهِ . ثم سجدنا فقرأ نحو صفحتين وهو ممسك برسغ يمناي ثم اخرج من جيبهِ دفتراً صغيراً وسألني عن اسمي واسم قبيلتي ومحل اقامتي . وبعد ان دون ما اجبتهُ بهِ قال قد أُنزل اسمك واسم آبائك في سجل مقام الامام الرضا عليهِ السلام . وطلب مني مبلغاً من المال ليتلو سورتين من القرآن من اجلي في المقام كل سنة فساومهُ شمس الدين وارضاهُ بمبلغ دون ما طلب

ثم دخلنا الغرفة التي فيها القبر ومناديلنا على اعيننا وكان دخولنا اليها من الباب الشمالي وهي الجهة التي فيها رأس الامام . والباب نفسهُ من الذهب ويقابلهُ في الجهة الغربية باب آخر من الفضة . ولم اتمكن من رؤية الباب الشرقي جيداً لانهُ كان مغلقاً وحولهُ وفي اقسام اخرى من الغرفة حراس كلهم اعين تتفرَّس في الحجاج فلم اشأ ان يقع نظري على نظرهم . وخيّل لي انني انا وحدي طلبتهم من بين الذين كانوا في الغرفة فكانت الدقائق التي قضيتها هناك احرج دقائق مرت عليَّ في حياتي . اما الغرفة فيبلغ طولها من الشمال الى الجنوب نحو ٤٠ قدماً وعرضها نحو ٣٠ قدماً . وسقفها مقبب ويبلغ علوهُ نحو ٣٦ قدماً وهو مغشيٌّ بالذهب وتتدلى من وسطهِ ثريًّا توقد في سرجها الزيوت المطيبة . وجدرانها مزدانة بالفسيفساء التي تمتاز عن فسيفساء الغرف الاخرى بكثرة ما فيها من الذهب والجواهر . وعند اتصال القبة بالجدران مناطق زرقاء عليها كتابات عربية وعلى الجدران كثير من التحف والالواح المغطاة بالكتابة . وارضها مفروشة بالمرمر الاسود والابيض ونقوش الفسيفساء والقبر في وسط الغرفة ويحيط بهِ درابزين يبلغ علوهُ سبعة اقدام بينهُ قطع فضة على اشكال جميلة . وقضبان الزوايا غليظة والى داخل الدرابزين ستائر مسدولة تحجب القبر وقد علق عليهِ من الخارج الواح كثيرة من الذهب والفضة عليها كتابات بالحروف العربية . وفسحة القبر داخل الدرابزين تبلغ ٢٠ قدماً طولاً و١٢ قدماً عرضاً ولها باب في الجهة الغربية لهُ قفل قديم من الفضة . وعلى الحاج ان يلمس هذا القفل ودرابزين الحديد . وكان في الغرفة ستون او سبعون حاجًّا يطوفون حول القبر او يتشبثون بقضبان الدرابزين ويبلغ بهم الامر عند القفل وقضبان

الزوايا ان يدفع بعضهم بعضاً بالمناكب لان كلا منهم يحاول ان يلمسها او يقبلها . ولا تسمع الأ اصوات البكاء والنحيب واستنزال اللعنات على المأمون والرشيد

اما الحجاج فمن جميع الطبقات منهم التجار بجباتهم الطويلة والفقراء باسمالهم البالية ولا فرق بين غني وفقير عند القبر . وعلى كل احد ان يطوف حوله ثلاثاً ففعلنا ذلك وكان السيد دليلنا يتقدمنا وكلما لمسنا القفل تلا علينا سورة وكلما اتينا الى مكان مخصوص اشترك معنا في استنزال اللعنات على المأمون والرشيد . ولما طفنا الطوفة الثالثة رميت على القبر بعض النقود بعد ان لففتها بورقة بيضاء وهي من النوافل التي لا يكلف بها كل حاج . ولما انتهينا خرجنا من الباب الغربي نمشي الى الوراء لكي لا نولي القبر غير وجوهنا فاتينا الى غرفة تكثر فيها النقوش والكتابات والتحف من جميع الانواع . وادوات الزينة في هذه الغرفة مثلها في سائر غرف المقام اي انها كبيرة القيمة غالية الثمن ولم يعن كثيراً بتنميق مظهرها لكي تجتذب الانظار وهذا مما يدل على غنى المقام

وخرجنا من هذه الغرفة الى قاعة كبيرة فيها كثيرون يصلون او يقرأون وهي عالية السقف ولم اميز كثيراً من نقوشها لانها لم تكن مضاءة جيداً . وعند دخولنا اليها درنا الى اليسار فاتينا على طبق كبير من الفضة مزين بالرسوم البارزة مثبت في الجدار على اربعة اقدام من الارض فقيل لنا انهُ الطبق الذي وضع عليهِ المأمون العنب ودس فيهِ السم وقدمهُ الى الامام فاكل منهُ ومات بعد ان قاسى آلاماً مبرحة . فقبَّلناهُ وتقدمنا الى حجر يبلغ طولهُ قدمين ونصف قدم وعرضهُ قدمين وسمكهُ قدمين فقيل لنا انهُ لما اشتدت الآلام على الامام دنا من هذا الحجر الذي كان في سجنهِ فاحتك بهِ فلان الحجر عند ملامسة جسمهِ وذهب ما بهِ من التضاريس والحروف واصبح املس مقعراً فلم يجرحهُ ولا آلمهُ . فابدينا احترامنا للحجر بتقبيلنا لهُ كالعادة . وخرجنا الى رواق فاتي بنا الى قنطرة فيها حجر اسود مستطيل طولهُ ١٢ قدماً وعرضهُ ست اقدام وسمكهُ ثلاثة اقدام ونصف قدم فدنونا منهُ مظهرين الخشوع اذ قيل لنا انهُ الحجر الذي غسل عليهِ الامام قبل دفنهِ . فطفنا حولهُ ثلاثاً واضعين اكفنا عليهِ وقد اصبح وجههُ املس ناعماً لكثرة ما استلمتهُ الأيدي

ثم اطللنا من هذا الرواق على جامع عليهِ نقوش جميلة . وكان بيننا وبينهُ دار في وسطها حوض قد اقبل عليهِ الحجاج الفقراء يشربون ويغسلون ايديهم وارجلهم . ورأيت قريباً من هذا الحوض فسحة يحيط بها درابزين من الخشب فاخبرني الدليل انهُ كان هناك بيت لعجوز ابت ان تتخلى عنهُ عند بناء الجامع

وعدنا الى حيث استودعنا احذيتنا فلبسناها واتينا الى صخرة كبيرة مجوفة في شكل حوض قد اقبل الناس عليها يشربون منها فقيل لنا انها سقطت من السماء وان الله ظهر لمتولي المقام في حلم واخبرهُ ان لا يرفعها من مكانها بل ينحتها حوضاً يشرب الناس منهُ . فسألت احد الوقوف هناك فاعطاني طاساً من النحاس اغترفت بهِ قليلاً من الماء وشربتهُ فاذا هو بارد منعش

ثم اجتزنا الدار التي فيها الماء الجاري على ما ذكرت آنفاً ومررنا بدكاكين واسواق صغيرة الى ان وصلنا الى دار اخرى يقال لها صحن نو او الدار الجديدة وفي احدى زواياها مقام يقال لهُ زيارتِ استاذِ امام وهو في الدرجة الثانية من الاهمية بعد مزار الرضا . فاتيناهُ فاذا هو غرفة كبيرة مربعة في وسطها قبر مستطيل وتليت لنا الصلوات المعتادة

ولما فرغنا من ذلك سألنا الدليل ان نعود اليهِ في اليوم التالي لرؤية الاماكن الاخرى فابينا الأ ان نراها تلك الليلة لئلا تضيع علينا الفرصة . فما زلنا بهِ حتى سار بنا الى المقام الذي يقال لهُ زيارتِ قدمِ مبارك وهو غرفة مستديرة سقفها على شكل القبة فرأينا فيها قبالة الباب عند الجدار الغربي مائدة عليها سراج وثلاث شموع موقدة ووراء المائدة على ارتفاع ثلاث اقدام ونصف قدم من الارض حجر ابيض مربع يبلغ طولهُ ١٨ عقدة في مثلها عرضاً وفيهِ اثر قدم بشرية يقال انها اثر قدم الامام علي . فقبلنا هذا الاثر وجلسنا امام المائدة فتليت علينا بعض الايات ثم طلب منا ان نرفع حجراً مقدساً بيضوي الشكل يبلغ طولهُ قدمين ونصفاً ومحيط دائرهِ ٢٠ عقدة وكان على دعامتين امام المائدة على ست عقد من الارض . وقيل لنا ان المؤمن لا يرى صعوبة في رفعهِ وان كان ضعيفاً اما غير المؤمن فيستحيل عليهِ ان يرفعهُ . فركعت امامهُ ومددت ذراعي تحتهُ الى المرفقين ورفعتهُ وتلاني شمس الدين ففعل مثلي

فلما انتهينا من مشاهدة ما اردنا ان نشاهدهُ خرجنا بعد ان ودعنا السيد الذي اتخذناهُ دليلاً فتصدى لنا كثير من المتسولين فتخلصنا من اول زمرة منهم بمعاونة السيد ولما وصلنا الى الثانية كان قد فارقنا فاحتلت عليهم بان رشقتهم بقبضة من النقود فاشتغلوا عنا بالتقاطها وانسللنا من بينهم ونحن نشكر الله على النجاة . وسرنا ونحن نتلفت وراءنا فاتينا الخان فخلعت ثيابي الافغانية ولبست ثياب السفر وامرت بتهيئة امتعتنا ثم اعملت المقراض بلحيتي وتلثمت وخرجنا نطلب دار القنصلية الانكليزية

وممَّا اخبرنا بهِ الدليل وفاتني ذكرهُ ان كل مجرم او مديون لجأ الى حرم الامام الرضا حُرِم الاقتصاص منهُ او مطالبتهُ بالدين او القاء القبض عليهِ الاَّ اذا اسلمهُ المتولي او اسلم هو نفسهُ . وللمتولي سلطة مطلقة داخل الحرم ولديهِ جماعة من الحراس يستعين بهم على حفظ النظام والسكينة بين الحجاج . انتهى

وقد وصف هذا المزار المستر ايستوك سنة ١٨٦٤ وكان قد قضى ثلاث سنوات في بلاد العجم قال « وحرم المزار مربع يبلغ كلٌّ من جوانبهِ الاربعة ١٥٠ خطوة . وفي وسطهِ قبة مغشاة بالذهب بناها نادر شاه وتحتها حوض ماء للوضوء . وعلى كل من جوانب هذا المربع الى الشمال والغرب والجنوب صف من القناطر كأَنها محفورة في الجدران على ارتفاع ١٠ اقدام من الارض يجلس فيها الشيوخ بعماماتهم البيضاء . وعلى كل جانب باب كبير وقد زيد ارتفاع البناء فوق كل من هذه الابواب حتى صار اعلى من الجدران و يبلغ ارتفاعهُ نحو مئة قدم . والقناطر التي يجلس تحتها الشيوخ بيضاء كأَنها مكلسة او مبنية بالحجارة البيضاء . اما قناطر الابواب فزرقاء اللون وعليها كتابات كثيرة لونها ابيض وذهبي . وفوق قنطرة الباب الغربي شرفة بيضاء يقف فيها المؤَذن عند الاذان وخارجهُ مأذنة كبيرة يبلغ ارتفاعها ١٢٠ قدماً وهي بديعة المنظر . وتاجها (اي الشرفة التي يقف عليها المؤَذن) تغطيهِ النقوش الجميلة . وما فوق التاج من المأذنة الى ما تحتهُ بعشر اقدام مغشى بالذهب وقد بني هذه المأذنة والقسم الذي تقدم وصفهُ من المزار الشاه عباس . ويدخل الى قبر الامام ببابين كبيرين في الجدار الشرقي . والقبر نفسهُ من الرخام يحيط بهِ درابزين من الفضة عليهِ كرات من الذهب . و يرقى الى هذين البابين بسلم ووراءهما بابان اصغر منهما مرصعان بالجواهر وافضل جواهرها فصوص الياقوت . اما المسجد الداخلي فيسع ثلاثة آلاف نفس وتعلوهُ قبة مغشاة بالذهب وعلى كل من جانبيها مأذنة مغشاة بالذهب ايضاً . والى يمين قبر الامام قبر عباس مرزا وحولهُ قبور امراء آخرين . ووراء القبة الذهبية قبة اخرى زرقاء زاهية اللون ومنظر هاتين القبتين الواحدة بازاء الاخرى جميل جداًّ »

المستشفيات الخيرية الوطنية (١)

سادتي

المعاهد الخيرية

حيا الله معاهد الخير وحيا اهلها وناصريها باجمل التحيات
حيا الله معاهد الخير في كل زمان ومكان وفي كل امة ولسان

فهي حبيبة البؤساء وعشيقة الفلاسفة والشعراء . هي ابتسامات الدهر العبوس . هي نفحات الازهار العطرة . هي رسل السلام و بلسم الجروح وطبيبة المرضى ومعزية الحزانى . هي نفثات تلك الروح الهابطة من السماء التي تنطق وهي صامتة وتجالس اكابر الناس فتناجيهم بأسرار الملائكة . هي روح العطف على الغير . بل هي الانسانية باعلى سماها وابهى سناها

امهات المصائب

ان امهات المصائب التي تتولد منها مصائب الدهر كافة ثلاث : « الفقر والمرض والموت » واشدها المرض لان المرض طريق الموت الاعم وقد طالما كان طريق الفقر والخراب . لذلك كان همُّ رجال الخير منصرفاً بالاكثر الى محاربة المرض وتخفيف و بلائهِ بكل ما في الطاقة . واهم الوسائل التي اتخذوها لهذه الغاية « المستشفيات الخيرية »

تاريخ المستشفيات في النصرانية

اما المستشفيات على الشكل الذي نراهُ اليوم فلم تكن معروفة عند القدماء بل كان المرضى يعالجون في منازلهم او في منازل اطبائهم وكان الطبيب اذا اشتهر بمعالجة مرض اصبح منزلهُ مستشفى ذلك المرض على نحو ما نراهُ اليوم عند اهل البادية والحضر الذين لم تصل اليهم وسائل التمدن بعد

و يؤْخذ من التاريخ العام ان المستشفيات على النمط المعروف اليوم لم تنتشر الاَّ بانتشار النصرانية وتأسيس الابرشيات فكان كل مطران ينشئُ مستشفى لمرضى ابرشيتهِ حتى انهُ في عهد المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ ميلادية كانت المستشفيات معروفة في جميع البلاد النصرانية

(١) خطبة القاها عزتلو نعوم بك شقير مدير قلم التاريخ بحكومة السودان في الاحتفال بافتتاح المستشفى القبطي الخيري في شارع عباس بمصر في ١٣ يونيو سنة ١٩١٣

واول مستشفى اشتهر لهم مستشفى قيصرية (في كبدوكية) اسسهُ الامبراطور ڤالنس في اواخر القرن الرابع (٣٧٠ — ٣٨٠ م) وفرشهُ بانفس الاثاث

واشتهر بعدهُ مستشفى كريستم في الاستانة . وانشئ مستشفى للقطاء في ميلان (٧٨٧ م) ومحجر في الاستانة في اواخر القرن الثامن

وفي القرن التاسع كان في رومية وحدها اربعة وعشرون مستشفى

واسس الكسيوس الاول مستشفى للايتام في الاستانة سنة (١٠٩٠)

وبعد هذا العهد اخذت المستشفيات تنتشر بزيادة مطردة حتى ملأت اوربا واميركا وجميع البلاد المتمدنة . وهي الآن معدة لجميع انواع الامراض وجميع اجناس الناس وفيها المعدات والآلات الجراحية على احدث طراز

تاريخ المستشفيات في الاسلام

ويستدل من تاريخ التمدن الاسلامي للعلامة جورج بك زيدان ان العرب المسلمين اخذوا المستشفيات عن الفرس فاشتهر لهؤلاء مستشفى جنديسابور واول مستشفى اشتهر للعرب في الاسلام مستشفى دمشق انشأهُ الوليد بن عبد الملك الاموي سنة ٨٨ هـ (٧٠٧م) واشتهر لهم مستشفى في بغداد اسسهُ الرشيد العباسي وولي رئاستهُ ليوحنا بن ماسويه من اشهر اطباء جنديسابور . واول مستشفى اشتهر في مصر مستشفى المغافر انشأهُ الفتح بن خاقان وزير المتوكل . ثم مستشفى بن طولون سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٢م) انفق عليهِ ٦٠٠٠٠ دينار . ثم المستشفى العتيق لصلاح الدين الايوبي في القاهرة . ثم المستشفى المنصوري للملك المنصور قلاوون من سلاطين المماليك اسسهُ سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) . ثم المستشفى المؤيدي للملك المؤيد سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م)

تاريخ المستشفيات في مصر

واول مستشفى اسس في مصر في هذا العهد مستشفى القصر العيني اسسهُ المصلح الكبير المغفور لهُ محمد علي باشا بمعونة الدكتور كلوت بك الفرنساوي الشهير ولا يزال قائماً الى اليوم تنبعث منهُ اشعة الخير الى كل جهات القطر

وما زالت الحكومة المصرية توالي السعي في تأسيس المستشفيات وتعميمها في القطر حتى بلغ عددها الآن خمسة وعشرين مستشفى خمسة في القاهرة وعشرون في الوجه

البحري والقبلي[1]

وللاجانب في القاهرة وحدها خمسة مستشفيات [2]

هذا ولما كان الرمد من اعظم الادواء التي منيت بها مصر اهتم المصريون بتأسيس مستشفيات خاصة لمقاومة الرمد

واول صوت ارتفع في هذا العهد لهذا الغرض صوت للوطني الغيور الدكتور محمد علوي باشا في المؤتمر الدولي الذي عقد في هذه العاصمة سنة ١٩٠٢ لتحسين حالة العميان. فاصاب ذلك الصوت الكريم هبة من السر ارنست كاسل المالي الانكليزي الشهير يبلغ ريعها السنوي الآن الفين وخمسمائة جنيه يضم الى ميزانية الصحة وينفق على مقاومة الرمد

وبعد هذه الهبة التي تدل على نبل صاحبها وكرم اخلاقه اهتمت الحكومة المصرية وكبار الاهلين ومجالس المديريات بتعضيد المشروع فاصبح في القطر الآن ثمانية مستشفيات رمدية ثابتة وستة نقالة[3] يديرها الدكتور مكّلين الرمدي الانكليزي الشهير ومعهُ نخبة من المفتشين الانكليز والاطباء الوطنيين

محاجر مصر

هذا وللحكومة المصرية محجر للحجاج في مدينة الطور بني على الطرز الجديد سنة ١٨٩٣ الف وثمانمئة وثلاث وتسعين وهو من اعظم محاجر الدنيا اتقانًا في هذا العهد. ومحجر في كل

---

(١) وهي مستشفى القصر العيني ومستشفي المجاذيب في العباسية. ومستشفى آخر للمجاذيب في الخانكه ومستشفى الحميات في العباسية. والمستشفي العباسي من بناء الاوقاف خاصة في ميدان عابدين وكلها في القاهرة وفي كل من المدن الآتية مستشفى في الاسكندرية ودمياط وبورسعيد والسويس وقليوب (وبانيه والقائم بنفقاته المحسن الكبير شواربي باشا) وبنها والزقازيق وطنطا والمنصورة وشبين ودمنهور ومرسى مطروح (الوجه البحري)

وفي الفيوم وبني سويف والمنيا واسيوط وسوهاج وقنا واسنا واصوان (الوجه القبلي)

(٢) وهي المستشفى الفرنساوي والمستشفى الايطالي وكلاهما في العباسية. والمستشفى الالماني في شارع عباس. والمستشفى الانكليزي الاميركي في الجزيرة. ومستشفى الدكتور ملتون الخاص

(٣) اما النقالة فهي اثنان من ريع هبة السر ارنست كاسل. واربعة من بناء مجالس المديريات اثنان في الغربية ومستشفى في اسيوط وآخر في الدقهلية

واما الثابتة فهي: مستشفى في طنطا من بناء الحكومة ومستشفى في اسيوط من بناء الحكومة والاهالي. ومستشفى في المنصورة بني بمال بدراوي باشا. ومستشفى في بني سويف من بناء الاهالي. ومستشفى في الزقازيق من بناء مجالس المديريات وسيحتفل بافتتاحهِ في ١٥ يونيو سنة ٩١٢. ومستشفى في سوهاج والبناء جارٍ فيهِ الآن من مال الاهالي

من مدن السويس وعيون موسى و بور سعيد ودمياط ورشيد والاسكندرية

المستشفى القبطي الخيري

على ان جميع هذه المستشفيات والمحاجر في القطر المصري اما اميرية او اجنبية او اهلية تعضدها الحكومة او الاجانب

اما « المستشفى القبطي الخيري » هذا الذي نحتفل بافتتاحهِ اليوم فانهُ يمتاز عن سائر مستشفيات القطر بانهُ وطني محض فانهُ مؤسس بمال الوطنيين وقائم بمالهم ورجالهم وليس للاجانب او الحكومة يد فيهِ

فضل المستشفيات

ولا حاجة الى الاسهاب في فضل المستشفيات ومنافعها سواء كانت وطنية او اجنبية خيرية او تجارية · ثابتة او نقالة · معدة لمرض خاص او لجميع الامراض فكلكم عالم ان المستشفيات تتوفر فيها الاطباء الاختصاصيون وفيها الادوية والادوات الجراحية على احدث طرز · وفيها الممرضات المتمرنات على التمريض علمياً وعملياً مما يتعذر بل يستحيل توفرهُ في البيوت وعلى الخصوص في بيوت الفقراء

نعم ان المريض في منزلهِ يجد من اهلهِ واخصائهِ اشد العناية واصدقها فهم يخدمونهُ بعيونهم وافئدتهم وكل جوارحهم ولكن المسألة الهامة هي هل يعرفون كيف يخدمونهُ بالطرق التي وصل اليها العلم في هذه الايام كما في المستشفيات ؟ كلا · بل الكثير من المرضى يذهب ضحية جهل اهلهم اصول التمريض فان للتمريض اهمية لا تقل عن اهمية التطبيب · ومع ذلك ترى جمهور المصريين ينفر من المستشفيات · وقد سألت بعض الاطباء الخبيرين في ذلك فقال :

« انهُ في اول عهد المستشفيات في مصر لم يكن علم المكروبات (وما يتطلبهُ من النظافة والتطهير والتعقيم) معروفاً عند الجراحين فكان يدخل المصاب المستشفى بجرح بسيط فلا تراعى في معالجتهِ شروط النظافة فكثيراً ما كان يتعفن الجرح ويسمّ الدم ويذهب المصاب ضحية الجهل · فنفر جمهور المصريين بحق من المستشفيات » . وما زال هذا النفور مستحكماً في النفوس الى اليوم مع انهُ لم يعد لهذا النفور موجب بعد الذي صارت اليهِ المستشفيات في الثلاثين سنة الاخيرة من النظافة والاتقان حتى اصبح الكثير من اهل اليسار والرقي وفي مقدمتهم الاطباء يفضلون المعالجة في المستشفيات عليها في منازلهم · فالمستشفيات الآن تعد للمرضى منتهى ما وصل اليهِ العلم من وسائل الراحة والمداراة والمعالجة · وبالتالي فهي المعهد

الاصلح لمعالجة المرضى وتخفيف الألم وتقليل الموت وكفى بذلك نفعاً . وهذا النفع انما يتمتع بهِ الغني وحدهُ في المستشفيات التجارية واما في المستشفيات الخيرية فيتمتع بهِ الغني والفقير على السواء

فضل المستشفيات الخيرية

سادتي : الشقاء في الناس كثير واشد الشقاء مرض يتقلب فيهِ الفقير البائس على فراشهِ يطلب الدواء فلا يجدهُ والطبيب وما من مجيب والطعام والكساء والمأوى وهو معدم لا مال لهُ ولا معين !! فما الذي يسد عوز هذا الشقي المسكين ويفرج كربتهُ ويمسح دمعتهُ ؟

— المستشفيات الخيرية — فسلام عام على المستشفيات عامة . وسلام خاص على المستشفيات الخيرية . وسلام اخص والف تحية على المستشفيات الخيرية الوطنية

فضل المستشفيات الخيرية الوطنية

سادتي : اني اخص المستشفيات الوطنية بالسلام وجميل الذكر لان الاعمال الخيرية الوطنية في بلاد هي دليل الرقي الصحيح فيها . اذ الاعمال الخيرية في قوم هي نتيجة شعور القوم انفسهم (لا حكومتهم ولا الاجانب الذين بينهم) بوجوب عطف بعضهم على بعض ومداواة بعضهم على البعض . وهذا الشعور وهذه المداواة لا يظهران الاَّ في اصحاب الرقي الذين كرمت نفوسهم ورقت افئدتهم

ومن المشاهد المؤيد بالادلة التاريخية انهُ كلما ارتقى قوم في المدنية رق شعورهم واشتد عطف بعضهم على بعض

انظروا الى الهمج السود أكلة اللحوم البشرية فانهم اذا مرض عجوز في قبيلة دفعوهُ الى قبيلة اخرى لتذبحهُ وهو حي وتأكلهُ ديناً عليها حتى اذا ما مرض عجوز من هذه القبيلة اخذتهُ القبيلة صاحبة الدين واكلتهُ سداداً لدينها

كم ينبغي ان يمر من العصور لتنقلب قسوة هؤلاء الهمج السود الى ضدها و يعطف بعضهم على بعض خصوصاً في ايام المرض والعجز

الانسان بمآثرهِ ومبراتهِ

سادتي : الناس في الشرع شرع متساوون في الحق والواجب فما يسود انسان على انسان الاَّ بعقلهِ ولا يفضل عنهُ الاَّ بمآثرهِ ومبراتهِ

جد ما شئت في اعمالك ونوعها واحكمها فانك لا تجد بينها عملاً اروع من عمل الخير

فهو يسطع كالنجم ويتضوع كالمسك ويبعث السرور الى القلب ويكسب العامل محبة الخلق ورضى الخالق

كم لمؤسس جمعية الاسعاف من الآثار الجليلة في القطر ولكن الخير الذي يتدفق من تلك الجمعية على سكان القاهرة كل يوم قد غطى تلك الآثار واحاط اسم ذلك الوجيه المفضال ببحر زاخر من العز والفخار

كم للفقيد العظيم الذي فاجأتهُ المنية امس من المآثر والمبرات ولكن سيبقى مستشفاهُ في قليوب درة في تاج مآثرهِ الحسان ونجماً ساطعاً في سماء مبراتهِ على مر الزمان

ثم اي عمل اجمع عليهِ الشعب المصري الكريم اروع واجمل من تبرعهم للهلال الاحمر وانقاذهم آلاف الابطال من آلام الجراح والجوع وويلات الحروب

فضل الجمعيات الخيرية

سادتي: الناس في الوطن الواحد متضامنون في الخير والشر فاذا كثر عمال الخير فيهم صلح حالهم وبالعكس اذا كثر شرارهم

ولا بد لعامل الخير من سجيتين راقيتين وهما «روح العطف على الغير. وسخاء الكف» ولا شيء ينمي هاتين الخلتين في امة مثل انتشار الجمعيات الخيرية فيها. فان الجمعيات الخيرية تقوي فعل الخير في من ضعفت فيهم هاتان الخلتان معاً او ضعفت فيهم واحدة منهما وتعودهم على الخير تدريجاً فان الخير عادة كما ان الشر عادة

والجمعية الخيرية القبطية تقوم بهذا الواجب الشريف نحو قومها فهي لهم المثل الصالح المحبب الى الخير والباعث الى جليل الاعمال والآن بانشائها هذا المستشفى قد صارت المثل الصالح للجمعيات الخيرية الطائفية في القطر كافة وحق لها بذلك الفخر وحق لها منا المنة وجميل الشكر

المرحوم بطرس باشا غالي

ومعلوم ان هذه الجمعية هي غرس ذلك الوطني الكبير والنابغة الشهير صاحب المآثر الغراء على القطر المغفور لهُ بطرس باشا غالي وهذا المستشفى هو ثمرة ذلك الغرس الكريم فحبذا هذا الغرس وتغمد الله الغارس برحمتهِ ورضوانهِ

والنفس ان كرمت وعز مرامها بلغت من العلياء كل مكان
وتشربت سر الخلود واثمرت مننا تخلدها على الازمان



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخار على المطوَّلة

الجسم الاجتماعي

الى المقتطف الاغر

اذا أجزتم لي قلت ان ترجمة social organism « بالاجتماع الآلي » كما فعل مترجم نشوء الاجتماع لا تفيد معنىً مفهوماً لا ترجمةً ولا اصطلاحاً . وترجمتكم لها « بالحي الاجتماعي » او « الفرد الاجتماعي » وان كانت صحيحة معنىً فهي لا تدل على المقصود منها دلالةً واضحة وربما صرفت المعنى من الكل الى جزئهِ وهو ليس المراد . والمراد هنا جسم الاجتماع لا اعضاؤهُ على نوعٍ خاص وان كانت اعضاؤهُ مثلهُ . — أَلا ترون ان ترجمتها بالجسم الاجتماعي كما فعلت أَنا تؤَدي المعنى المقصود بالذات ؟

الجسم الاجتماعي في العلوم الاجتماعية يوافق المصطلح عليهِ في السياسة « بالهيئة الاجتماعية » وهي تعبير حسن جدًّا وكأَني لم اسمع بها الاَّ من المقطم اولاً فهل أَنا واهم ؟

لفظة orgnism الانكليزية والفرنساوية مجردة في العلوم البيولوجية يعبَّر عنها بالعربية « بالجسم الحي » وفي الطب يعبَّر عنها « بالجسم مطلقاً » فاذ قلنا (L'organisme est épuisée) ترجمنا ذلك بقولنا « الجسم منهوك او مضنى » ويفهم بهِ جسم الانسان او الحيوان بدون نعتهِ بالحي . فاذا اطلقناها على العلوم الاجتماعية ذكرناها معينةً وقلنا بالافرنجية L'organisme sociale وبالعربية « الجسم الاجتماعي او جسم الاجتماع » ويفهم منها كما يفهم من « الجسم » في الطب اي ان الاجتماع جسمٌ حي ايضاً كما وصفهُ المقتطف من نحو ثلاثين سنة في تعليقهِ على بحث لي في الموضوع وصفاً حسناً بقولهِ عنهُ « حيوان هائل » يريد بذلك الاجتماع الطبيعي

واني استميح العفو منكم ومن مترجم النشوء على هذه الملاحظة الصغيرة. ولا اختمها بقولي «والله اعلم» ما دمت فيها على يقين تام

الدكتور شميل

[المقتطف] نشكر صديقنا الدكتور الفاضل على ما نبه اليهِ بهذه السطور. ولو خطرت لنا كلمة الجسم الاجتماعي حينما عقبنا على رد مترجم نشوء الاجتماع لذكرناها كما ذكرنا كلمة الحي الاجتماعي او الفرد الاجتماعي بل لقدمناها بالذكر عليهما. وقد اكتفينا بما خطر لنا لانهُ لم يكن غرضنا حينئذٍ ذكر الكلمة التي يجب ان تكون مرادفة لكلمة social organism بل الدلالة على ان كلمة الاجتماع الآلي لا تصلح لذلك

وبعدُ فان اول من وَضع هذه الكلمة في ما نعلم هو هربرت سبنسر في مقالة موضوعها The Social Organism نشرها في مجلة وستمنستر في شهر يناير سنة ١٨٦٠ والمقالة طويلة لو ترجمت الى العربية لملأَت اكثر من اربعين صفحة من صفحات المقتطف وقد اعدنا نظرنا عليها الآن فايدت ما هو راسخ في ذهننا وهو انهُ اراد بالجسم الاجتماعي او الحي الاجتماعي او الفرد الاجتماعي العرب كافَّة والفرنسويين كافَّة والمصريين كافَّة واليابانيين كافة والاوربيين كشعب والاسيويين كشعب وهلمَّ جرًّا وكل فريق من الناس مجتمع لهُ نظام يجمعهُ حتى اهل البيت الواحد فانهُ شبه كل جماعة مثل هذه بجسم حي مركَّب من اعضاء مختلفة. ولاجل الفرق بين هذا الجسم والجسم التشريحي والجسم البيولوجي نسبهُ الى الاجتماع. واذ قد اتضح المعنى المراد بقي على المترجم ان يختار كلمة تؤَدي هذا المعنى ويصلح استعمالها في كل المواضع التي تقع فيها وتكون مماثلة للكلمة التي تستعمل في علم التشريح وعلم البيولوجيا ولا بدَّ من نسبتها الى الاجتماع في علم الاجتماع كما تنسب الى التشريح في علم التشريح والى البيولوجيا في علم البيولوجيا ويجب ان تدلَّ على جسم الاجتماع البشري كلهِ وعلى كل عضوٍ من اعضائهِ ايضاً اي الجماعات التي يتألف منها

تعريب الاسماء المنسوبة

حضرة منشئي المقتطف

اراكم تعرّبون الاسماء المنسوبة مبقين فيها حرف النسبة الافرنجي بدل حرف النسبة العربي فتقولون الحامض الكبريتيك بدل الحامض الكبريتي وتبقون الكلمة المنسوبة على لفظها وتضيفون اليها ياء النسبة ايضاً فتقولون الاوقيانوس الاتلنتيكي بدل الاتلنتي او الاطلسي.

فارجو ايضاح سبب ذلك ولكم الفضل مستفيد

[المقتطف] رأى الكيماويون انهُ يتولد مركب حامض من اتحاد الاكسجين بالكبريت فسموهُ ناسبين اياهُ الى الكبريت . ولو لم يوجد الاَّ حامض واحد من اتحاد الاكسجين بهِ او بغيره لسموهُ بالحامض الكبريتيك ولترجمناهُ بالحامض الكبريتي ولكنهم رأوا انهُ تتولد حوامض اخرى من اتحاد الاكسجين بالكبريت تختلف باختلاف نسبة الاكسجين فيها الى الكبريت فاصطلحوا على ان ينسبوا احدها الى الكبريت بواسطة حرفي النسبة وس وقالوا حامض كبريتوس والاخر بواسطة حرفي النسبة يك وقالوا حامض كبريتيك . وجروا على ذلك في حوامض سائر المواد فقالوا حامض نتروس وحامض نتريك وحامض فصفوروس وحامض فصفوريك وكل حامض منهما هو غير الحامض الآخر في تركيبهِ وصفاتهِ . ويتركب من كلٍّ منهما ملح خاص يخالف الملح الذي يتركب من الحامض الآخر فختموا املاح الحوامض المنسوبة بيك بحرفي ات فقالوا كبريتات ونترات وفصفات . وختموا املاح الحوامض المنسوبة بوس بحرفي يت فقالوا كبريتيت الحديد وفصفيت الصودا . فالذي يترجم كلمة الحامض الكبريتيك باسم الحامض الكبريتي والحامض الكربونيك باسم الحامض الفحمي اقل ما يقال عنهُ انهُ يجهل مبادئَ علم الكيمياء . ثم ان العرب سموا البحر الذي بين اوربا واميركا بالبحر المحيط . ولكن البحر المحيط يطلق عليهِ وعلى غيرهِ وكان القدماء يعرفونهُ باسم الاتلنتك قبل قيام العرب بمئات من السنين كما يظهر من القصة التي رواها افلاطون عن صولون . و يحتمل ان يكون قد سمي بذلك نسبة الى جبال اطلس كما يحتمل ان يكون قد سمي بذلك نسبة الى الاتلنتس اي الجزائر او البلاد التي يقال انها كانت عامرة وغمرها هذا البحر. ومهما كان اصل الكلمة فالاوربيون يسمون هذا البحر الآن باسم الاتلنتك وجغرافيو العرب سموهُ بالبحر المحيط لا بالاوقيانوس الاطلسي في ما نعلم . واذا عُرِض علينا الآن اسمان احدهما شائع في كل اللغات الاوربية وقد استعملهُ كُتَّاب العربية منذ اكثر من ستين سنة كما ترى في جغرافية الدكتور ڤان ديك المطبوعة في بيروت سنة ١٨٥٢ والآخر غير معروف في اللغات الاوربية ولا هو شائع في الكتابات العربية فالحكمة تقضي باستعمال الاول لاسيما وان كل ما يسهّل التعامل والتفاهم بين الناس يأول الى الاقتصاد في القوى العقلية والمادية والى زيادة الارتقاء حتى لو صار الناس كلهم لغةً واحدة لكفينا مؤونة الجهد الذي يُنفق الآن في تعلُّم اللغات المختلفة وفي ترجمة الكتب من لغة الى اخرى

اما زيادة ياء النسبة بعد كاف النسبة فاصطلاح سببهُ عدم الانتباه الى ان الاسم

منسوب اصلاً ومثل ذلك الاسكندراني فان الالف والنون للنسبة ايضاً ومع ذلك ابقاها بعض الكتّاب المتقدمين والحقو بها ياء النسبة العربية. قال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء «قال المختار بن الحسن بن بطلان ان الاسكندرانيين الذين جمعوا كتب جالينوس ... اقول وكان هؤلاء الاسكندرانيون يقتصرون على قراءة الكتب الستة» . وتوفي ابن بطلان سنة ٤٤٤ للهجرة وتوفي ابن ابي اصيبعة سنة ٦٦٨ والاثنان من اشهر كتّابنا ولم يريا ضلّة ان يلحقا بالاسم المنسوب باللاتينية ياء النسبة العربية

ونحن نتحرّى في اختيار الالفاظ والتراكيب اتباع المألوف لاننا نحسب اللغة وسيلة لا غاية فاذا خالفنا المألوف اوقعنا القارئ في حيرة او صعّبنا عليهِ ادراك المعنى المراد . ولكن اذا كان المألوف يفسد المعنى او يضل القارئ اضطررنا ان نعدل عنهُ الى ما يفيد المعنى الحقيقي . اي ان صحة المعنى هي ضالتنا التي ننشدها ونحن نتوخى الوصول اليها من اسهل الطرق حتى لا يزيد انفاق القوة العقلية على غير جدوى

الحياة وعجائب الجراحة

حضرات منشئي المقتطف المحترمين

قرأنا مقالتكم عن عجائب الجراحة في مقتطف مايو وما فعلهُ الدكتور كارل من الغرائب حتى انهُ نزع المعدة وابقاها حية خارج الجسم تهضم الطعام وهي مفصولة عنهُ بعد ان يكون صاحبها قد مات فحياتها والحالة هذه ليست مستمدة من حياتهِ بل من الدم الذي تغتذي بهِ . واذا كان الامر كذلك في سائر اعضاء الجسد لم يبقَ وجه لفرض وجود النفس او الروح التي يقال انها تفارق الجسد فيموت لانهُ لا يموت فعلاً ولكن يتوقف عملهُ لقلة الغذاء او لسبب آخر من الاسباب فاذا زال هذا السبب عادت الحياة اليهِ فهل يمكن ان تزال اسباب الموت حتى يبقى الانسان حيا الى الابد احمد امين

[المقتطف] لا تزال مسألة الحياة حيرة العلماء فان الجماد يبقى على حالهِ ملايين من السنين كما يظهر من البحث في طبقات الارض وموادها والنبات قد يبقى حيًّا الوفاً من السنين كما ترون في بعض الاشجار. واجزاء الحيوان تعمّر ايضاً الى ما شاء الله لان كل حيوان يتكوّن من بيضة وهي اجزاء حية من والديهِ ولكن هل في اعضاء الجسم الانساني ما يجيز بقاء الحياة فيها او ما يمنع بقاءها دواماً ذلك امر مجهول والعلماء مختلفون فيهِ . والمعروف حتى الآن ان الانسان لا يحيا بنفسهِ بل بنسلهِ وانهُ مهما عمّر يشيخ وتعجز اعضاؤُهُ اخيراً عن عمل الاعمال اللازمة للحياة

القطن الحريري

سيديَّ الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

قرأت في الجزء السادس من المجلد الثاني والاربعين نبذة عن نبات القطن الحريري الذي ينبت في براري السودان وان الحكومة السودانية اذا اعتنت بهِ كان لها منهُ نفع كبير. وقد عرفتُ مدة اقامتي في سورية ان هذا الصنف ينبت في جهة غور بيسان وان اشجارهُ تنمو كثيراً وتشتبك بعضها مع بعض وتبقى من سنة الى اخرى وان العرب الذين هناك يستغلونهُ ويستعملون قطنهُ لفرشهم ودثارهم ويسمونهُ القطن الحريري ايضاً لمشابهتهِ للحرير لوناً ونعومة . وقد طلبت من مخبري ومن بعض اصدقائي الذين يترددون على هاتيك النواحي ان يحضروا لي بعض البذور منهُ لنزرعها في القطر المصري على جوانب الترع والمصارف والاراضي الزراعية آملاً ان يكون لها نفس الحظ الذي تأملونهُ في السودان

وقد سألت الذين شاهدوهُ في غور بيسان عن اصل زراعتهِ فاجابوا انهم لا يعلمون عنهُ شيئاً وهم يظنون انهُ من بقايا الدول الغابرة التي استعمرت تلك الجهات والتي لا تزال آثارها شاهدة على عمرانها العظيم. ومما هو حري بالذكر انهم اخبروني ان لوزتهُ تكبر الى قدر البرتقالة وان شعرتهُ تطول حتى يصير طولها طول اللوزة وانهم رغماً عما يقطعونهُ منهُ ويحرقونهُ ينبت بكثرة فائقة حتى تضيق بهِ الطرق والمسالك الياس عازار الخوري

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الاسنان

الاسنان من اهم مقوّمات الجمال فاذا طرأ عليها عيب تشوَّه الوجه . وسلامتها شديدة الاهمية لحسن النطق وجودة الصوت وصحة الجسم عموماً ولذلك وجب الحرص عليها والمحافظة على صحتها . واذا ايفت لم تعد تمضغ الطعام جيداً فيكون ذلك سبباً لاجهاد المعدة وتحميلها ما لا تطيق ومتى ضعفت المعدة ضعف الجسم كلهُ لانهُ يستمد غذاءهُ منها زد على ذلك

ان الانسان اذا ساء هضمهُ ساء خلقهُ وانقلب نظرهُ في الامور حتى يمسي كأنهُ يراها من وراء زجاجة سوداء فلا يرى فيها الاَّ ما يسوءهُ

وليس نوع من الامراض يسير مع المدنية ويكثر كلما زادت اسبابها مثل امراض الاسنان فان انتشارها يزيد على انتشار اي نوع آخر من الامراض تنسب كثرتهُ الى الاحوال التي يعيش فيها الانسان في العصر الحاضر . ومن اسباب كثرتها اطعام الاطفال الاطعمة المستحضرة التي يبتلعها الولد من غير ان يمضغها فتضعف اسنانهُ لانها لا تروض على العمل الذي وجدت لاجلهِ وتضعف معدتهُ لان الطعام يأتيها من غير ان يمتزج باللعاب الذي يهيئهُ للهضم في المعدة . واسنان الاسكيمو المتوحشين سكان الاصقاع الشمالية والهوتنتوت المتوحشين سكان جنوب افريقية سليمة قلما تقوى عليها الامراض والآفات لانهم يروّضونها بمضغ الاطعمة الصلبة

واذا اعتاد الولد مضغ الاطعمة الصلبة بين الثانية والسادسة من عمرهِ لم تأتِ اسنانهُ متراكبة غير منتظمة في فيهِ لان فكهُ يكبر بالاستعمال فيسعها كلها . واكثر امراض الاسنان تحدث في طور الطفولية او عند البلوغ فعلى الوالدين ان ينتبهوا لاسنان اولادهم عند ذلك اذ يكون الاولاد انفسهم قاصرين لا يهتمون لها . ويحسن عرض الطفل حينئذٍ على الطبيب لينظر في اسنانهِ سواء شكا منها او لم يشكُ

اما القواعد العمومية للعناية بالاسنان فمنها تنظيفها بعد تناول الطعام وخصوصاً بعد تناول الحلويات في المساء وغسلها كل يوم جيداً بالماء والصابون او الملح الناعم او بعض مساحيق الاسنان غير المضرة . وقد يستغنى عن هذه المواد كلها ويكتفى بالماء والصابون . ويجب الاحتراس من اكل الطعام السخن بعد البارد او البارد بعد السخن بدون فترة بينهما فان هذا يضر بالاسنان كثيراً ومثلهُ الخروج الفجائي من غرفة دافئة الى الهواء البارد

الهم وسوء الهضم

ذكر الدكتور صليبي في كتابهِ المعنون « الهم مرض العصر » ان فتاة خُطبت ثم اضطربت احوال خطيبها وتعسَّرت امورهُ فاضطرَّ ان يؤخر زواجهُ . فقلقت لما اصابهُ واثَّر قلقها وانشغال بالها في صحتها فزالت البهجة من وجهها وتولاها الارق . ففي اول الامر صار نومها خفيفاً كما ظهر من كثرة احلامها لان الانسان اذا حلم حلماً طويلاً كثير

الحوادث وتذكر حوادثهُ بعد يقظتهِ فذلك دليل على ان نومهُ لم يكن تامًّا مريحًا · ثم قلَّ نومها وطال ارقها وانتابها الكابوس الدال على سوء الهضم ثم لم تعد تنام مطلقًا · وصلحت احوال خطيبها بعيد ذلك فتزوج بها وزال ما كان يدعو الى قلقها وارقها ولكن الارق لم يزُل بل استمرَّ كما كان مع زوال اسبابهِ العقلية · اي ان همها السابق بقي تأثيرهُ فيها وصارت سريعة الشعور بالتعب فقبلما خُطبت كانت كثيرة المشي ولكن لما اصابها القلق المشار اليهِ صارت تتعب لاقل حركة · وقد يُعلَّل بعض ذلك بما اعتراها من سوء الهضم ولكن سوء الهضم لا يعلل انها كانت تشعر بالتعب حالما يخطر ببالها السبب الذي اقلقها واذا غفلت عنهُ لم يظهر التعب عليها لا جسداً ولا عقلاً

وكان هضمها قبل ذلك على غاية الانتظام فلما قلقت اصابتها تخمة شديدة لغير سبب ظاهر مصحوبة بنوب من الالم الشديد حتى اذا كانت ماشية واعترتها النوبة لم تعد رجلاها تحملانها · وقد مضى عليها الآن اربع سنوات وسوء الهضم لم يفارقها يومًا واحداً مع ان طعامها لم يتغير عمَّا كان عليهِ قبلما اصابها القلق وكل ظواهرهِ تدل على انهُ عصبي لا طبيعي اي انهُ حادث من تأثر اعصابها المتسلطة على اعضاء الهضم

ونحف جسمها جدًّا وقد يُعلَّل ذلك بانهُ نتيجة سوء الهضم ولكن اصابها من نحافة الجسم ان ضعف شعرها وسقط اكثرهُ وهذا لا يعلل بسوء الهضم · ومعلوم ان الهم والقلق يضعفان الشعر اي يقللان تغذيتهُ فيسقط او يشيب باكراً · (وما احسن ما قالهُ المتنبي في هذا المعنى

والهمُّ يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرمُ

واذا حدث الصلع من الشيخوخة ابتدأ في مكان واحد واتسع نطاقهُ رويداً رويداً ويبقى شعر القذال غالبًا كما يرى في الشيوخ · ولكن اذا حدث الشيب والصلع من الهم والقلق اصابا شعر الرأس كلهِ في الغالب اي انتشر فيهِ الشيب انتشاراً · وقد سقط ثلثا شعر هذه المرأة وبقي ثلثهُ فلم يصبها الصلع في بقعة واحدة من رأسها بل قلَّ شعرها كلهُ بنوع عام بما سقط منهُ · وهذا شأن الذين يشيبون من الهم وهم شبان او كهول فان الشيب يقع في فروة الرأس كلها ثم يزداد رويداً رويدًا او سريعًا حتى يبيض الشعر كلهُ او اكثرهُ

ويمتاز صلع الهم عن صلع الشيخوخة بان الاول لا يلزم ان يستمرَّ لانهُ حادث عن سبب مفارق وهو قلة التغذية الناتجة عن ضعف الاعصاب المتسلطة على توزيع الغذاء في الجسم فاذا زال سببهُ اي اذا زال الهم واستردت الاعصاب المغذية قوتها عاد الشعر الى نموهِ لان بصلاتهِ تكون باقية في الجلد حية ولا ينقصها للنمو الا الغذاء الكافي فمتى زال الهم اصلحت

تغذية الجسم كلهِ وتغذية بصلات الشعر معهُ . وحدث ذلك في هذه المرأة فان شعرها نما ثانية وعاد الى اصلهِ

ولكن ما اصاب شعرها من العود الى اصلهِ لم يصب كل بدنها لان البدن الضعيف يؤثر في العقل كما ان العقل المتعب يؤثر في البدن . زال همها وانشغال بالها او ما سبَّب همها وانشغال بالها ولكن ما اصابها بسببهما من سوء الهضم لم يزُل بزوالها كما زال الصلع لان سوء الهضم الذي كان عند اول حدوثهِ مقتصراً على وظيفة اعضاء الهضم لضعف فعل الاعصاب ايفث بهِ اعضاء الهضم نفسها اي انهُ كان وظيفياً فصار عضوياً . وهذا امر عادي اي ان الدسببسيا العصبية اذا طالت صارت دسببسيا عضوية او آلية . تكون اولاً ناتجة من ضعف فعل الاعصاب باعضاء الهضم فتصير ناتجة من ضعف اعضاء الهضم نفسها . واذا ضعفت المعدة وضعف الهضم فهناك البلية الكبرى لان العقل خاضع للمعدة . وكانت تلك المرأة اذا اكلت طعاماً سهل الهضم وهضمتهُ من غير تعب رأيتها مسرورة متهللة في احسن حالاتها البشر يتدفق من وجهها والسرور منتشر حولها . واذا ساء هضمها تولاها الهم والقلق ولو لم يكن لها سبب موجب فصارت تعظم اخف الاسباب واضعفها وتكبرهُ وتقلق لهُ كأنهُ من اعظم موجبات القلق . وهذا امر عادي ايضاً فترى مَن يتولاهُ سوء الهضم يقلق ويسخط اذا سمع طفلاً يبكي او اذا تأخر طعامهُ عن ميعادهِ بضع دقائق او اذا لبست زوجتهُ ثوباً لم يعجبهُ لونهُ . اي انهُ لا يقلق ويسخط لغير سبب ولكنهُ يعظم الاسباب الطفيفة . والعلة الحقيقية في جوفهِ وقد اثَّرت في اعصابهِ فعوَّجت احكامهُ وكثَّرت همومهُ . وقد يعلم اذا ثاب الى عقلهِ ان قلقهُ في غير محلهِ وسخطهُ لا موجب لهُ ولكن الانسان قلما يرتشد بعقلهِ والمرشد الاكبر لهُ هو الاخلاق والعادات

البنت في البيت

انتصف الصيف وأُقفلت مدارس البنات فخير ما تعملهُ البنت في بيت والديها ان تساعد امها في كل اعمالها مهما كانت درجتها . وقد يتفق ان لا تكون امها صناع اليدين ولا من المهتمات بامر بيوتهن الاَّ ان ذلك يجب ان لا يضعف همة البنت ولا يصرفها عن خدمة البيت . والغالب ان المرأة التي تعمل كل اعمال بيتها ينشأُ بناتها كارهات للعمل والتي لا تهتم الاهتمام الواجب بامور بيتها ينشأُ بناتها محبات للعمل والاهتمام . فاذا كانت المرأة حريصة على بيتها وجب عليها ان تتعمَّد الاتكال على بناتها وترك اعمال البيت لهنَّ فتستريح

وتدربهنَّ على العمل . ومنهنَّ لا ينصرفنَ للاهتمام باعمال البيت الاَّ اذا شعرنَ انهنَّ مسؤُولات عن ذلك . واذا تيسَّر للمرأَة ان تسافر من بلدها وتقضي بضعة ايام او اسابيع في زيارة بعض نسيباتها وترك بيتها لبناتها ليقمن بخدمته كلها فذلك اصلح لها ولهنَّ من بقائها في البيت وعمل اعمالها بيدها وترك بناتها بلا عمل

ثم ان البنات يملن الى قراءة القصص التي تهيج العواطف وقد يقوى هذا الميل فيهنَّ وهنَّ في المدرسة فيجب على والدتهنَّ ان تجتهد لتقيهنَّ من قراءة هذه القصص كما تجتهد لتقيهنَّ من الجدري والطاعون لان قراءتها تضيع الوقت وتضعف العقل وتضني الجسم وليس منها اقل فائدة . وقراءة القصص التاريخية والعلمية اقل ضرراً وقد يكون منها شيء من الفائدة اذا تحرى منشؤُها ذكر الحوادث الصحيحة ولم يمزجوها بما لا صحة لهُ ولكن هذا نادر والغالب ان يذكروا امراً صحيحاً و يمزجوهُ بامور غير صحيحة فيتعذر على القارئ ان يفرق بين الصحيح وغير الصحيح و بين الحقيقة والوهم . والخطأ اعلق بالذهن من الصواب

واذا وجدت البنت متسعاً من وقتها للمطالعة فلتطالع كتب التاريخ الصحيحة التي لا تكتفي بسرد الحوادث بل تبين دلالاتها وكتب الرحالات التي اشتهر اصحابها بصدق روايتهم والمجلات العلمية. وليبقَ في ذهنها انها تتعلَّم بالعمل اكثر ممَّا تتعلَّم بالمطالعة فاذا تيسَّر لها ان تزور معملاً او متحفاً او بستاناً من بساتين الحيوانات فانها تتعلَّم فيهِ اضعاف ما تتعلمهُ بمطالعة كتاب كُتب عن ذلك المعمل او المتحف او البستان

كيفية المطالعة

اذا اردت ان تعرف كيف يقتل الشبان والشابات اوقاتهم و يمحقون سنين كثيرة من عمرهم فانظرهم يمسكون رواية ولا يطرحونها حتى يقرأُوها من اولها الى آخرها و يضيعون نصف عمرهم في قراءة الروايات واذا سأَلتهم عن مفاد رواية قرأُوها بالامس رأَيتهم لا يتذكرون شيئاً منها

ما كذلك نقرأُ الكتب ولا يجوز ان يقتل الوقت على هذه الصورة وهو اثمن ما يملكهُ الانسان

اذا اردت ان تقرأَ وتستفيد مما تقرأُهُ فاختر كتاباً لمؤلف من المؤلفين المشهود لهم بسمو المعاني وانسجام العبارات واقرأْهُ فصلاً فصلاً . وكلما قرأْت فصلاً منهُ اكتب خلاصتهُ في دفترك ثم كرر قراءتهُ من اولهِ الى آخرهِ فانك تستفيد من قراءتهِ الثانية مضاعف ما استفدتهُ من قراءتهِ الاولى

الغرش الابيض لليوم الاسود

مَن عاشر الانكليز ورأى فقراءهم والمتوسطي الحال منهم ينفقون كل دخلهم يعجب من عدم اهتمامهم للغد ولكنهُ اذا دقق النظر في احوالهم رأى ان الامة الانكليزية استعدت لنوائب الدهر استعداداً لا مثيل لهُ فاجتهدت واقتصدت منذ مئتي سنة الى الآن حتى جمعت ثروة وافرة وهي الآن تستثمرها في كثير من الاعمال العظيمة في الدنيا وتتمتع بريعها. وقد ضربت حكومتها الضرائب على اغنيائها لكي تساعد بها فقراءها فقطعت معاشاً لكل الشيوخ والعجزة والمرضى والزمنى اي انها جمعت الغروش البيض للايام السود. وفعلنا نحن على ضد ما فعلت فانهُ لما لم يكن على القطر المصري دين يذكر وكان القطن غالي الثمن بسبب حرب اميركا جعلت الحكومة المصرية تستدين الاموال الاوربية بالربا الفاحش وحمَّلت القطر حملاً ينوء تحتهُ الآن ولم يكتف اهلوهُ بما استدانتهُ حكومتهم بل حمَّلوا هم انفسهم وما يملكونهُ احمالاً ثقيلة من الدين حتى يتعب اولادهم بعدهم اكثر ممَّا تعبوا هم ولم يخطر لهم ان يبقوا الغرش الابيض لليوم الاسود بل ابقوا لهُ الدين والفقر والهم والغم. والآن ينتقل الاوربيون من عيد الى عيد ونحن في هذا القطر لا همَّ لنا الاَّ طاعون المواشي ودودة القطن وشحة ماء الري وثقل المناوبات وتأخر طفي الشراقي. وكأن لا شغل لنا الاَّ الجهاد في طلب لقمة الخبز وعبرُ الدهر تحاول خطفها من ايدينا

في البيت يجب ان يغرس الاجتهاد والاقتصاد حتى يكتسب الاهلون كل ما يمكنهم كسبهُ ويوفروا منهُ كل ما يمكن توفيرهُ. فمتى اوفوا ديونهم وديون حكومتهم وصار عندهم اموال تستثمر في المشروعات الصناعية في الدنيا امنوا نوائب الدهر. وما تجاهلنا الحالة التي نحن فيها الاَّ من استحكام الداء وتعذُّر الشفاء

الوقاية من السرطان

وضع احد الاطباء القواعد التالية للوقاية من السرطان وهي

تجنَّب الاكثار من تدخين التبغ لانهُ قد يسبب سرطان الشفتين واللسان

اذا كان في فمك سن مكسورة فاحشها او اقلعها لان الاستمرار على احتكاكك لسانك بها قد يحدث فيهِ سرطاناً

لا تعتد اكل الاطعمة الشديدة السخونة ولا شرب الاشربة الشديدة الحرارة لانها تهيج الحلق والقناة الهضمية

تجنّب ادمان المسكرات لانها تهيج انسجة الجسم وكل تهييج مستمر في جزء من اجزاء البدن يعدهُ لحدوث السرطان فيهِ

تلميع الاحذية بالغليسرين

ابرش الحذاء حتى ينظف من الغبار ثم بلّ اسفنجة صغيرة او قطعة من الجوخ بقليل من الغليسرين وامسحهُ بها جيداً وابرشهُ بفرشاة ناعمة فيتلمع جيداً و يعود لمعانهُ كلما بُرش وتلين فرعتهُ و يسهل لبسهُ

باب الزراعة

زراعة الكتان في القطر المصري

اهم ما يجب ان تتجه اليهِ الانظار في القطر المصري زرع موسم آخر مع القطن تكون مقطوعيتهُ كبيرة ثابتة كمقطوعية القطن ويمكن اصدار غلتهِ بسهولة الى البلدان الاوربية والاميركية و يبلغ محصول الفدان منهُ ما يبلغهُ من القطن او يزيد عليهِ ولا خوف من بقائهِ من سنة الى سنة · لانهُ ليس من الحكمة ان يبقى اعتماد البلاد في صادراتها على موسم واحد اذا اصابتهُ آفة ما رزحت البلاد كلها تحت احمالها

والحاصلات التي تتوفر فيها هذه الشروط كلها قليلة جدًّا لا تخرج عن ثلاثة وهي الكتان والقصب والتبغ ولا بدَّ من البحث في كلٍّ منها على حدتهِ لعلنا نصل الى الضالَّة المنشودة

اما الكتان فاراضي القطر المصري تصلح لهُ ويبلغ ثمن محصول الفدان منهُ من ١٢ جنيهاً الى ٢٠ جنيهاً وهو زراعة شتوية لا تقتضي نفقة كبيرة اي انهُ كالقمح من هذا القبيل · وتزرع الارض بعدهُ زراعة نيلية بسهولة · ومقطوعيتهُ كبيرة في الدنيا فان روسيا تزرع منهُ اربعة ملايين فدان والنمسا نحو مئتي الف فدان وايطاليا مئة وعشرين الفاً وسائر ممالك اوربا نحو خمس مئة الف فدان اي يزرع منهُ في اوربا نحو خمسة ملايين فدان فاذا زادت الزراعة مليون فدان وكانت من الكتان الجيد اغنت عن مليون فدان من روسيا حيث الكتان غير جيد · والكتان كالقطن والحرير يمكن ابقاؤُهُ من سنة الى سنة فلا يضر بهِ السوس ولا العفن ولذلك فالشروط المتوفرة في القطن متوفرة كلها فيهِ

ولكن يبقى امر آخر لم نذكرهُ آنفاً وهو ان القطن يخرج من لوزهِ ويحلج في هذا القطر فيصير معدًّا للتصدير واما الكتان فلا يعد للتصدير الاَّ بعد عمل شاق اذا لم يحسن فلا سبيل لارسالهِ الى اوربا · فقد ارسلنا اليها من الكتان المعطن في مصر فقدر ثمنهُ فيها من ارخص انواع الكتان ثم ارسلنا اليها كتاناً غير معطّن اي عيداناً فعطنت فيها فخرج كتانها كالحرير الابيض في لونهِ ودقتهِ وهو انعم من الحرير في ملمسهِ وثمنهُ مثل اجود انواع الكتان · ولكن الآلات التي عُطن بها واستخلص غير موجودة في هذا القطر ولا بدَّ من جلبها واستعمالها والتدرُّج في ذلك حسب التدرج في الزرع والتصدير والمقطوعية اي يجب ان يتوسَّع القطر المصري في زرع الكتان توسعاً متدرجاً كما توسع في زرع القطن وتجلب اليهِ الآلات التي يعطّن بها او يصفّى كما جلبت آلات حلج القطن وكبسهِ

والابتداء في زرع الكتان على هذه الصورة وجلب الآلات اللازمة لهُ لا يخلوان من المخاطرة · فقلما ينتظر ان يقدم عليهما احد من اهل الزراعة · ولولم يهتم محمد علي باشا بزرع القطن وتصديرهِ لتعذر على اهل الزراعة وحدهم التوسع في زراعتهِ في اول الامر· ولولم يهتم اسمعيل باشا بزرع قصب السكر وانشاء المعامل لهُ لتعذر على اهل الزراعة ان يفعلوا ذلك · وما حدث في امر القطن وامر قصب السكر يجب ان يحدث في امر الكتان حتى تتسع تجارتهُ ويعتاد التجار تصديرهُ وتعتاد معامل الغزل والنسج اخذهُ من القطر المصري وحينئذٍ يتوسع اهل الزراعة في زرعهِ من تلقاء انفسهم ويتبارون في ذلك كما يتبارون الآن في زرع القطن

والكتان الذي يزرع الآن في القطر المصري ليست فيهِ الجودة الكافية ولا بدَّ من جلب التقاوي من اوربا وقد جلبنا نحن قليلاً منها من بلاد النمسا وهي التي ارسلنا كتانها الى بلاد الانكليز وكان غاية في الجودة كما تقدم

دود اللوز القرنفلي

يعلم ارباب الزراعة ان دود لوز القطن قد يضرُّ اكثر من الدود الذي يأكل ورق القطن ولاسيما اذا اكتفى هذا الدود الاخير بأكل الورق الكبير ولم يأكل الفروع اما دود اللوز فيتلف كل لوزة اصابها

ودود اللوز هذا نوعان نوع رمادي الشكل غليظ الرأس شائك البدن ونوع محمَّر من

اعلاهُ ومصفر من اسفلهِ وهو اصغر من الاول وادق ورأسهُ دقيق جدًّا لا كرأس النوع الاول وضررهُ اقل من ضرر الاول لانهُ يكتفي با كل البزر

والسبيل للتخلص من هذين النوعين من الدود هو حرق كل اللوز الباقي في حطب القطن لان الدود يكون فيهِ فان كان احد من المزارعين لا يزال حافظًا حطب القطن في غيطهِ فهو حافظ ايضًا في اللوز الباقي فيهِ شرانق هذين النوعين من الدود لكي يخرج الفراش منها ويصيب لوز القطن الذي ظهر الآن فان كان عند احد حطب قطن وجب عليهِ ان يبادر الى حرقهِ حالاً

البطيخ والشمام

انشأَ المستر برون مدير زراعة الجنائن في مصلحة الزراعة مقالة ضافية في البطيخ والشمام عدَّد فيها اصنافها وصفاتهما العلمية وقال في الكلام على زراعتهما انها تختلف باختلاف اصنافها وبعض اصنافها يجود في بعض الاراضي ولا يجود في غيرها . فعجُّور الوجه البحري يزرع في شهر فبراير واكثر الوارد منهُ الى القاهرة يزرع في مديرية الجيزة وهو يجود في الاراضي السوداء وفي الاراضي الرملية . والشمام قد يبكَّر في زرعهِ في الوجه البحري فيزرع في فبراير ولكن الغالب ان يزرع في مارس . واجود الاراضي لهُ اراضي الجزائر الرملية السوداء التي على ساحل النيل . ويزرع ايضًا في اراضي الحياض المتماسكة الطين . وقد يكرَّر زرعهُ في الارض الواحدة سنة بعد سنة وتزرع اللوبياء ويزرع الفجل بين خطوطهِ . ويزرع الشمام ايضًا في الاراضي الرملية التي على حدود الصحراء . واجود انواع الشمام السنطاوي يزرع في اراضي الحاجر الحصوية الى الشمال الغربي من القاهرة وهو يزرع من اواسط مارس الى اواسط مايو ويزرع البطيخ في الوجه القبلي في فبراير ومارس واذا كانت الارض مرتفعة امكن تأخير الزرع فيها الى اواخر يوليو

وتعدُّ الارض لزرع البطيخ النيلي في الوجه البحري والمديريات الوسطى هكذا : — تشق خطوط من الشرق الى الغرب سعة كل خط منها ٢٠ سنتمترًا او عرض الفاس ويكون البعد بين كل خطين مترًا وعشرين سنتمترًا وتقسم الفسحة بين الخطين الى ترابيع عرض كل تربيعة سبعون سنتمترًا الى متر . ويكون عمق الخطوط ٢٠ سنتمترًا قرب حد الماء الى ٥٠ سنتمترًا في الاماكن العالية عن الماء ويوضع زبل الحمام في اسفل الخط ويحتاج الفدان من ثلاثة ارادب الى اربعة من زبل الحمام اذا كانت الارض عالية و ٦ ارادب اذا

كانت واطئة رملية . وتوضع طبقة من التراب فوق الزبل تلاقي البزور عليها . ويلزم للفدان قدحان او ثلاثة من البزر (التقاوي) . وقد يضربون وتداً في الارض حتى تصير فيها حفرة عميقة ضيقة ويملأونها زبلاً وتراباً ويزرعون التقاوي فيها

ولا يزرع البزر جافاً بل ينقع في الماء ويوضع في كيس من القماش الرقيق ويوضع هذا الكيس في كيس آخر فيهِ برسيم او مادة اخرى تحفظ حرارتهُ فيفرخ وحينئذٍ يزرع ولا بدَّ من ابقائهِ في الماء الى ان يزرع لئلاَّ يجف . ويزرع في كل جورة اربع بزورات الى خمس ومتى نمت تخف حتى لا يبقى منها الاَّ نبتة واحدة . ولا بدَّ من شك عود من الذرة اونحوهِ الى جانب كل نبتة حتى تستند عليها فلا تقلقلها الريح . والرطوبة التي في الارض تكفي لنمو النبات من غير ري ولكن لا بدَّ من عزقهِ لمنع نمو الحشائش ولبقاء الارض رطبة . ومتى كبر وظهر ثمرهُ ينزع عود الذرة (البوص) من الارض . والبعض يحفرون خطاً آخر الى جانب الخط الذي فيهِ النبات ويملأونهُ بالسباخ والتراب كما ملأُوا الخط الاول حتى تمتد اليهِ جذور النبات وتغتذي منهُ . وكثيراً ما يزرع البصل بين خطوط البطيخ والشمام

واذا كانت الارض مما يروى يزرع البطيخ فيها كما يزرع الخيار وقد يوضع فيها قليل من السباخ في اسفل الخط تحت التراب الذي تزرع فيهِ التقاوي . وذلك جارٍ في زرع الشمام في الوجه البحري واما البحور فلا يسمد الاَّ بعدما ينبت ويصير طولهُ ١٥ سنتمتراً وحينئذٍ تحفر حفرة قرب الجذور وتملأُ بالسباخ

والسباخ المستعمل لتسبيخ البطيخ والشمام هو زبل الحمام والسباخ البلدي ولكن زبل الحمام يفضل على غيرهِ اذا امكن الحصول عليهِ . ومتى ظهر الثمر واخذ يكبر احتاج البطيخ والشمام الى ماء غزير حتى لقد تدعو الحال الى ريهِ يومياً والري الخفيف المتكرر خير من الري الثقيل البعيد المدات

وقد حسب عبد الحميد افندي رضوان الذي يزرع البطيخ في جزيرة الذهب ان نفقات زرع الفدان في الاراضي الملق الى حين بلوغ الثمر ثمانية جنيهات وهذا المبلغ يشمل ثمن ثلاثة اقداح من التقاوي ثمن القدح منها ١٢ غرشاً وستة ارادب من زبل الحمام ثمن الاردب منها ٥٠ غرشاً (يسبخ بها مرتين) و٣٠٠ حزمة من البوص ثمنها ٩٠ غرشاً . ويبلغ ايجار فدان الارض الصالحة لزرع البطيخ في جوار القاهرة تسعة جنيهات الى عشرة ويباع محصول الفدان بثلاثين جنيهاً الى اربعين

زراعة قصب السكر

قلنا في نبذة سابقة انهُ لا بدَّ من الاعتماد على زراعة اخرى مع القطن يمكن توسيع نطاقها جدًّا وتصدير محصولها ويكون منها ربح كالقطن ولا يتعذر بقاء محصولها من سنة الى اخرى وان المحصولات التي تتوفر فيها هذه الشروط هي الكتان والتبغ وقصب السكر. اما القصب فيزرع الآن في ٤٧٦٠٠ فدان من الوجه القبلي ونحو ٢٤٠٠ فدان من الوجه البحري والجملة ٥٠٠٠٠ فدان وقد بلغت زراعتهُ ٨٨ الف فدان منذ عشر سنوات وذلك اقصى ما بلغتهُ في الخمس عشرة السنة الاخيرة. وبلغ محصول القصب في العام الذي انتهى في ابريل الماضي ٩٦٥٠٠٠ طن وذلك اكثر من محصول السنة السابقة بنحو عشرة في المئة. ومعدل السكر في القصب من ١٢ الى ١٣ في المئة فيكون وزن السكر الذي يمكن استخراجهُ من كل القصب الذي يزرع الآن في القطر المصري نحو ١٢٥ الف طن وهو اقل من ذلك كثيراً لان جانباً كبيراً من القصب لا يعصر ابداً ومن ذلك كل ما يزرع في الوجه البحري وبعض ما يزرع في الوجه القبلي. وجانب كبير من عصير القصب يبقى دبساً ولا يتبلور سكراً ولذلك لا يكون السكر حقيقةً الاَّ نحو نصف هذا المقدار. ومحصول سكر القصب في الدنيا الآن نحو عشرة ملايين طن كما ترى في الجدول التالي فيكون محصول القطر المصري جزءًا من ١٦٠٠ جزء من محصول سائر البلدان فاذا زاد عشرة اضعاف فصارت مساحة الاطيان التي تزرع قصباً نصف مليون فدان او اذا زاد عشرين ضعفاً فصارت مساحة الاطيان التي تزرع قصباً مليون فدان لم تؤَثر زيادتها في حاصلات السكر تأْثيراً يذكر لان محصول سكر القصب يزيد وينقص من سنة الى اخرى اكثر من مليون طن فقد كان ١٠٧٨٧٥٠٠ طن سنة ١٩١٠ فهبط الى ٨٩٧٦٠٠٠ طن سنة ١٩١٢

ثم ان صافي غلة القصب لا تقلُّ عن صافي غلة القطن وآفاتهُ اقل من آفات القطن ويمكن تصدير السكر بسهولة ولا خوف عليهِ من السوس والعفونة. والبلاد صالحة لزراعتهِ وقد اعتادتها ولا يحتاج توسيع زراعتهِ الاَّ الى بناء المعامل لعصرهِ واستخراج السكر منهُ ويجب ان يكون ذلك اما بالتوسع المستمر في زراعتهِ حيث يزرع الآن او بانشاء شركات مثل شركة كوم امبو يكون عندها رأس مال كاف لبناء معمل كبير وزرع الوف من الافدنة دفعةً واحدة والصبر عليها الى ان يستخرج السكر منها ويباع فالتوسُّع في زراعتهِ في القطر المصري اسهل من التوسع في زراعة الكتان ولكن الكتان يفضلهُ في انهُ زراعة شتوية لا حاجة بها الى ماء الري الصيفي

وهاك الجدول الذي اشرنا اليهِ سابقاً اي محصول السكر سنة ١٩١٢

من الهند الانكليزية	٢٣٩٠٠٠٠ طن
« جزيرة كوبا	١٨٥٠٠٠٠ «
« جزيرة جاوى	١٣٩٥٠٠٠ «
« جزائر هواي	٠٥٣٥٠٠٠ «
« الولايات المتحدة	٠٣٢٤٠٠٠ «
« بورتو ريكو	٠٣٢٠٠٠٠ «
« برازيل	٠٢٣٥٠٠٠ «
« الارجنتين	١٨٠٠٠٠ «
« اليابان وفرموسا	١٧٩٠٠٠ «
« استراليا	١٧٣٠٠٠ «
« جزائر موريتيوس	١٧٠٠٠٠ «
« « فيلبين	١٦٠٠٠٠ «
« المكسيك	١٥٥٠٠٠ «
« بيرو	١٤٠٠٠٠ «
« سنتو دومنجو وهايتي	١٠٠٠٠٠ «
« سائر البلدان	٥٧٠٠٠٠ «
الجملة	٨٨٧٦٠٠٠

فاذا اتسعت زراعة قصب السكر عندنا عشرين ضعفاً حتى بلغت مليون فدان لا يكون محصول السكر قد زاد عمَّا يستخرج من جزيرة جاوى ولا عمَّا يزيد او ينقص من محصول السكر السنوي

القنب في بلاد الانكليز

وجهت الحكومة الانكليزية احد رجال العلم الى بلدان اوربا التي يزرع فيها القنب ليبحث في زراعتهِ والطرق المستعملة لاستخلاص اليافهِ فقدم تقريراً عن ابحاثهِ جاء فيهِ ان بلاد الانكليز تصلح لزراعتهِ. وقد اخذت بعض الجمعيات تجرب زراعتهُ واستخلاص الالياف منهُ لان اثمانهُ الآن اصبحت ضعفي ما كانت منذ عشر سنوات

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كاف

(١) ظهور الانبياء والرسل في الشرق

سواكن . عبد العزيز افندي صالح .

لماذا ظهر الانبياء والرسل في الشرق دون الغرب

ج اذا طلبتم منا ان نخبركم عن السبب الديني اجبناكم باننا لا نعلم لماذا خصَّ الله الشرق بما حرم منهُ الغرب ولا نظن ان احداً يعلم ذلك . واذا طلبتم ان نخبركم عن السبب العلمي الطبيعي فالباحثون في علم الاديان بحثاً علميًّا محضاً لا يرون في حقائق هذا العلم المعروفة ما يثبت رسالة الانبياء والرسل او يميز انبياء الشرق ورسلهُ على انبياء الغرب ورسلهِ الاَّ في ان الاولين نجحوا اكثر من الآخرين في دعوة الناس اليهم . ولا يبعد ان يكتشف العلماء حقائق اخرى تحلُّ هذه المسألة وامثالها حلاًّ علميًّا كما هي محاولة حلاًّ دينيًّا . ولا يبرح من بالكم ان العلوم الطبيعية لا تزال قاصرة عن حل كثير من المسائل بل هي قاصرة عن حل كل المسائل اذا اريد الرجوع فيها الى مبدإها الاول وغايتها القصوى فالعلم الطبيعي يعلّم مثلاً انهُ اذا حضنت الدجاجة بيضة ملقحة تولَّد منها فرخ ويعرف ايضاً كل الدرجات التي يمرُّ عليها هذا الفرخ من حين تتولد بيضتهُ من جرثومة صغيرة جدًّا الى ان يصير ديكاً صياحاً والى ان يذبح ويؤْكل ويصير لحماً وعظماً في بدن آكلهِ ولكنهُ لا يعلم كيف تولَّدت الجرثومة الاولى ولا كيف نمت ولا لماذا صارت ديكاً لا دجاجةً ولا ماهية الحياة في الديك او الدجاجة ولا الى اين تذهب بعد ذبحها بل لا يعلم كيف تتلون كل ريشة من ريش الديك اي انهُ لا يعرف ذلك معرفة تمكّنهُ من عملهِ كما يعرف ان يعمل الماء من الاكسجين والهيدروجين والملح من الكلور والصوديوم . وكل ما نعلمهُ حتى الآن ليس شيئاً مذكوراً بالنسبة الى ما لا نعلمهُ . وسبيل اكبر العلماء ان يقول كما قال الفيلسوف اسحق نيوتن اني اراني طفلاً يلعب على شاطئ بحر الحقائق فتارة يلتقط عنهُ حصاة وتارة صدفة منمقة اكثر من غيرها قليلاً

(٢) اختراع لعب الورق

مصر . سمعان افندي نجار · من اخترع لعب الورق وفي اي سنة كان ذلك

ج · لعب الورق مثل كل الالعاب القديمة لا يعلم بالتحقيق اسم مخترعهِ ولا زمانهُ لان اممًا كثيرة تدعيهِ · واقدم ما يعرف من امرهِ ما جاء في القاموس الصيني الذي وضع سنة ١٦٧٨ وهو ان لعب الورق استنبط في زمن الملك شيون هو (نحو سنة ١١٢٠ للميلاد) لتسلية سراريهِ ويقول الهنود ان لعب الورق قديم جدًّا عندهم استنبطهُ البراهمة · وقال البعض ان المصريين القدماء كانوا يعرفون لعب الورق وان لهُ معنًى دينيًّا عندهم وقال غيرهم ان العرب استنبطوا لعب الورق · وذهب السر وليم جونس ان لعب الورق مستنبط من لعب الشطرنج

ومنهُ · من اخترع لعب الشطرنج

ج · ان الباحثين في تاريخ الشطرنج مختلفون في نسبتهِ الى اليونان والرومان والبابليين والمصريين واليهود والفرس والصينيين والهنود والعرب والاروكانيين والقشطيليين والارلنديين وغيرهم · وقد عيَّن البعض اسم مخترعهِ فقالوا انهُ يافث اوسام او الملك سليمان او زوجة روان ملك سيلان او الفيلسوف زركسيس او الرئيس بلاميدس اليوناني او هرمس او ارسطوطاليس او سميراميس ملكة بابل او زينوبيا ملك تدمر او هنسنج الصيني او سيساك البرهمي · والمرجح عند الباحثين في هذا الموضوع ان الشطرنج من اوضاع الهند واقدم من كتب عنهُ المسعودي وذلك سنة ٩٥٠ للميلاد وسنأتي على خلاصة ابحاثهم في فرصة اخرى

(٣) علم الحقوق

اسيوط · الخواجه سندخله الا بوتيجي · لي صديق حصل على شهادة البكالوريا هذا العام (قسم آداب) وهو يفضل درس علم الحقوق خارج القطر فهل هو مصيب في رأيهِ · وما هي احسن مدرسة يتلقى فيها هذا العلم

ج · رأينا انهُ غير مصيب وخير لهُ ان يدرس علم الحقوق في مدرسة الحقوق المصرية او الفرنسوية اذا كان عارفًا باللغة الفرنسوية واذا اختار الدرس خارج القطر فمدارس فرنسا كلها صالحة لذلك كمدرسة ديجون ومدرسة اكس ومدرسة باريس

(٤) حشرات التفاح

طرابس الشام · يوجد عندنا في حديقة اشجار تفاح وقد تسلّط عليها حيوان صغير بدنهُ احمر برتقالي وعليهِ شيء ابيض كالقطن المندوف · يتصل بورق الشجرة فتجف وتيبس فما هي الطريقة لوقاية الاشجار منهُ

ج · يجب ان تمنع الحكومة صيد العصافير

لانها تأكل الكثير منهُ وقد تستأصلهُ . اما العلاجات التي تقتل هذه الحشرات فكثيرة اشهرها واسهلها استعمالاً في ظننا مذوب زرنيخات الرصاص وهو يصنع هكذا يذاب ١١ جزءا وزنًا من خلات الرصاص واربعة اجزاء من زرنيخات الصودا في ٢٠٠٠٠ جزء من الماء و يضاف اليها ثمانية اجزاء من الدبس فيتكون من خلات الرصاص وزرنيخات الصودا زرنيخات الرصاص وخلات الصودا ويبلغ ثمن الرطل من زرنيخات الرصاص الذي يتكون من ذلك الاربعة غروش . وهذا السائل يميت كل الحشرات فاذا رشت بهِ الاشجار بمضخة قتل ما عليها من الحشرات ولم يضر الورق وهو رخيص جداً. ولا بدَّ من استعمال المضخات (الطلمبات) القوية التي يندفع بها الماء الى اعالي الاشجار

(٥) عدد المهاجرين الى القطر المصري

الزقازيق . فهيم افندي حلمي . كم عدد المهاجرين الى القطر المصري ومن اي امة هم وكم يهاجر اليهِ سنويًا

ج . لا يعلم عدد المهاجرين الى القطر المصري سنويًا ولكن يعلم عدد الواردين اليهِ والذاهبين منهُ وقد كان عدد الذين دخلوا والذين خرجوا سنة ١٩١١ كما ترى في هذا الجدول

	الداخلون	الخارجون
مينا الاسكندرية	٩٤٩١١	٨٢١٤٧
بورت سعيد	٣٤١١١	٣٤٩٣٣
السويس	٢١٩١٩	٠٦٧٦٩
غاطس السويس	٠١٧٠٨	٠٢٨٤٧
الطور والقصير	٠٦٠١	٠٥٧٠
الجملة	١٥٣٢٥٠	١٢٧٢٦٥

فعدد الذين دخلوا القطر المصري تلك السنة يزيد على عدد الذين خرجوا منهُ ٢٥٩٨٥ نفسًا اما سنة ١٩١٠ فكان عدد الذين دخلوا القطر ١٤٤٣٣٨ وعدد الذين خرجوا منهُ ١٤٥١٦٨ ولا تعلم اجناسهم ولكن نعلم المواني التي اتوا منها او ذهبوا اليها وهاك اهم الاماكن التي اتى منها الداخلون الى مواني القطر المصري حينئذٍ وعدد الذين اتوا من كل مينا فيها

مصر	١٠٥٦٢
الجزائر البريطانية	٠٧١٠٠
المستعمرات الانكليزية	٩٠٥٨
المانيا	٢٤٩٧
اميركا	٣٦٠٧
ايطاليا	٦٠٥٠
تركيا	٥٧٨٥٥
روسيا	٨٨٩٣
رومانيا	٥٠١٦
فرنسا	١٣٨١٨
النمسا	٠٦٩٤١
اليونان	٨٢٣٩

وهاك اهم الوابورات التي ذهب بها الذاهبون من القطر المصري وعدد الذين ذهبوا فيها

انكليزية	٥٧٢٥٢
المانية	٠٩٤١٠
ايطالية	١٤٢٧٣
بلجيكية	٠٤٠٨٣
روسية	١٠٧٥٦
رومانية	٠٤٤٥٠
عثمانية	٥٨٣٠
فرنسوية	١٥٤٧٤
نمسوية	١٤٤٢٢
يونانية	١٤١١٨

ولا يعلم من هذه الجداول اجناس الداخلين الى القطر المصري والخارجين منهُ

(٦) كتاب في التربية

ومنهُ . ما اشهر المؤلفات الحديثة العربية والانكليزية في فن التربية

ج . اشهرها في الانكليزية كتاب مونرو P. Monroe's Text-Book in the History of Education (1905)

ولا نتذكر اننا رأينا في العربية كتاباً في التربية او التعليم غير ترجمة كتاب هربرت سبنسر

(٧) الواحات الخارجة

احمد افندي امين قاضي محكمة الواحات . الى اي عهد يرجع عمران الواحات الخارجة والداخلة وما هي الامم التي تعاقبت عليها

ج . عمرانها قديم من زمن الفراعنة الاولين والهيكل الذي يرى في الواحات الخارجة الآن من زمن داريوس المادي والآثار التي في الواحة الداخلة اكثرها من زمن الرومان وترون خلاصة تاريخهما في الجزء التالي من المجلد ٣٢ من المقتطف وصور بعض خرائبهما

(٨) لغة اهالي الواحات

ومنهُ . ليس في الواحات الخارجة ولا الداخلة غير مسلم ولا غير متكلم بالعربية فما سبب ذلك مع ان العرب لم يتولوا حكم مصر الاَّ نحو قرنين وتغلَّب الاتراك عليها من زمن احمد بن طولون وهل يستطيع الفاتحون غيرهم ان يحولوا كل اهلها الى لغتهم ودينهم من غير اكراه كما فعل العرب

ج . لما حكم الاتراك مصر كانت العربية قد شاعت فيها وكان الاتراك اولاً يتعلمون العربية حالما يدينون بالاسلام . واذا اردتم ان تعرفوا كيف انقرض المسيحيون من الواحات وقلَّ عددهم جدًّا في القطر المصري فاقرأُوا تاريخ الامام علاَّمة الانام تقي الدين احمد بن علي المقريزي المطبوع في مصر بمطبعة النيل من صفحة ٣٩٢ من المجلد الرابع الى آخر الكتاب

(٩) الديدان في المعدة

مصر . جونسون افندي حبشي . ما الذي يسبب وجود الديدان في المعدة وكيف تزال

ج . تكون بزور الديدان في ما يأكلهُ الانسان من الاطعمة غير المطبوخة فتدخل معدتهُ واذا لم تهضم هناك ظهرت الديدان منها وخرجت مع المبرزات وخرجت بزورها معها وهي كثيرة جدًّا فمتى جفت المبرزات طارت هذه البزور في الهواء ووقعت على الاطعمة والاشربة . وقد حسبوا في جوف الدودة البيضاء الدقيقة المعروفة بالاكسيورس نحو ١٢٠٠٠ بزرة . وقد تأتي الانسان من اكل لحم الحيوان . ولكل نوع منها دواء او ادوية خاصة راجعوا ما كتبناهُ عنها في المجلد الثالث من المقتطف

(١٠) كثرة اللعاب

ومنهُ . ما سبب افراز اللعاب بكثرة وكيف يزال

ج . الغالب ان يكون سببهُ استعمال الزئبق دواء او استعمال غيرهِ من الادوية مثل يوديد البوتاسيوم او التهاب الغدة النكفية او يكون لغير سبب معلوم . ويزول بنزع السبب

باب الاخبار العلمية

المغالاة بالتحف القديمة

عرض بالامس ابريق فضة أُهدي سنة ١٧٧٤ الى زوجة الوزير بُرك الانكليزي لما انتخب عضواً في مجلس النواب فتزايد المشترون فيهِ حتى بلغ ثمنهُ ١٤٥٠ جنيهاً وكان قد بيع بالمزاد منذ ثلاثين سنة فبلغ ثمنهُ حينئذٍ ١٥٠ جنيهاً . وبيعت صورة قديمة مطبوعة طبعاً فبلغ ثمنها ٦٠٠ جنيه . واربعة بسط مما يعلَّق على الجدران عليها صور تمثل الملكة ايزابلاَّ الاولى ابنة الملك يوحنا الثاني الاسباني ملك قشطيلة فبلغ ثمنها ١٤٠٠٠ جنيه . وعرضت صورة منهوكة للبيع فبلغ ثمنها ٢٩٠٠ جنيه وكان صاحبها قد اشتراها منذ عهد قريب بثمن بخس جدًّا

وكان فرنكلين العالم الكهربائي قد كتب رسالة في « الاضطرار والاختيار » سنة ١٧٧٥ وطبع منها مئة نسخة فقط فصادرتها الحكومة ولم يبقَ منها الاَّ نسخة واحدة في ما يظن فاشتراها كتبي في لندن بنحو ١٢ غرشاً منذ خمسين سنة وعرضها على المتحف البريطاني طالباً ثمنها جنيهاً فاستغلاها المتحف ولم يشترها بهذا الثمن ثم بيعت بالمزاد فبلغ ثمنها ١٩ جنيهاً وبيعت ثانية سنة ١٨٧٢ فبلغ ثمنها ٢٢ جنيهاً وقد بيعت الآن بالمزاد ايضاً فبلغ ثمنها ١٠٠٥ جنيهات

الميكروبات في الوحل

رأى احد الباحثين في علم الميكروبات ابنهُ يلعب بالوحل ويصنع منهُ اقراصاً فاخذ قرصاً منها وفحصهُ بالميكرسكوب فوجد فيهِ ما يأتي من الميكروبات المرضية

من ميكروبات التتنوس	......	٣٦٠٠٠٠٠
« « الحصبة	......	٢٤٥٠٠٠٠
« « الدفثيريا	......	١٨٠٠٠٠٠
« « الجدري	......	٠٩٠٠٠٠٠
« « الدوسنطاريا	......	٠٩٠٠٠٠٠
« « السل	......	٠٦٢٠٠٠٠
« « ذات الرئة	......	٠٥٠٥٠٠٠

السبيرتو بدل البترول

لما غلا البترول اهتم بعض العلماء باستعمال السبيرتو بدلاً منهُ في الآلات البخارية فوجدوا بعد البحث المدقق ان الآلة البخارية التي قوتها ٨ احصنة يقتضي الحصان منها ٣٤٠ غراماً من البترول او ٣٧٣ ½ غرام من السبيرتو اي ان قوة السبيرتو لتوليد الحرارة في الآلات البخارية مثل قوة البترول تقريباً . ولكن السبيرتو يفرق عن البترول في ان مقدارهُ غير محدود ولا هو مقيد بامتياز الشركات فيمكن عمل مقادير كبيرة جداً منهُ فيصير ثمنهُ ارخص من ثمن البترول

الصابون من كستنا الحصان

كستنا الحصان لا يؤكل كالكستنا العادية (شاه بلوط او ابو فروة) ولكن فيهِ مادة صابونية تنظف كالصابون وقد حاول كثيرون استعمالها لهذه الغاية من سنة ١٧٥٧ وقد نجح بعضهم الآن في ذلك فيعالج جوز هذه الكستنا ويستخرج منهُ اولاً مادة لدبغ الجلود ثم زيت وحامض اسكوليك وهو المادة الصابونية التي ترغي وتنظف ويبقى منهُ مادة كالنشا يمكن استعمالها في الطعام

المغالاة بالصور في حياة المصورين

المغالاة بالصور القديمة شائعة جداً حتى لا يندر ان تباع الصورة منها بعشرات الالوف من الجنيهات مع ان المصور الذي صورها يكون قد باعها بثمن بخس جداً كصورة العذراء التي صورها رفائيل واخذ اجرتها خمسين جنيهاً ثم بيعت من عهد غير بعيد بخمسة وسبعين الف جنيه . ولكن قد تباع الصورة بثمن فاحش امام عيني مصورها او في حياتهِ مثال ذلك ان المصور دغا الفرنسوي صوَّر صورة باعها بعشرين جنيهاً ثم بيعت بالمزاد امام عينيهِ فبلغ ثمنها ١٩١٠٠ جنيه ولا يزال هذا المصور حياً يرزق . وصورة سوق الزواج البابلي التي صورها المصور لونج الانكليزي باعها بخمس مئة جنيه

ثم بيعت امامهُ بالمزاد فبلغ ثمنها ٦٣٠٠ جنيه ٠ والسر جون مليز رأى صورة من صوره تباع فبلغ ثمنها ٥٠٠٠ جنيه وهو لم يأخذ ثمنها لما صنعها اكثر من ٥٠٠ جنيه ٠ والمصور منبو ماري الفرنسوي صنع صورة في صباه وباعها بثمانية وعشرين جنيهاً ثم بيعت امامهُ بالمزاد فبلغ ثمنها ٣٠٠٠ جنيه ٠ واخوه جوزف ماري وهو مصور ايضاً صنع صورة سنة ١٨٧٢ وبيعت بالامس بالمزاد فبلغ ثمنها ٦٦٠٠ جنيه

وصوَّر سخوروفسكي المصور الروسي صورة بديعة عُرضت في معارض كثيرة فربح من عرضها ٦٠٠٠٠ جنيه ثم باعها بمبلغ ٤٢٠٠ جنيه والذي اشتراها منهُ باعها بمضاعف هذا الثمن لرجل اميركي عرضها في اميركا وكسب من عرضها مئتي الف جنيه

ابتياع البلدان

يقال ان الولايات المتحدة الاميركية عازمة على ابتياع جانب من بلاد المكسيك مساحتهُ ٢٥٠٠٠٠ ميل مربع بستة ملايين من الجنيهات ٠ وقد ابتاعت منذ مئة سنة من نبوليون الاول حق فرنسا بولاية لويزيانا وولاية اركنساس بمبلغ ستة ملايين من الجنيهات ثم ابتاعت الاسكا من روسيا سنة ١٨٦٧ بمليون واربع مئة الف جنيه وابتاعت منذ عهد قريب منطقة ضيقة من جمهورية بناما على جانبي ترعة بناما بمليوني جنيه

القطن عند هنود اميركا

نشر احد العلماء الاميركيين كراساً في القطن قال فيهِ ان كثيرين من الاسبانيين الذين وطئوا الديار الاميركية قبل غيرهم ذكروا ان الاميركيين الاصليين كانوا يستعملون القطن ٠ فلا شك اذاً في انهم كانوا يزرعونهُ ٠ وللقطن دخل كبير في الشعائر الدينية عند قبيلة الهوبي في اريزونا اذ يعتقدون ان كل خيط او رباط تربط بهِ التقادم والهدايا الدينية يجب ان يكون من القطن الذي ينمو في ديارهم ٠ الاَّ انهم صاروا الآن يتساهلون بعض الاحيان في استعمال القطن الذي يأتيهم من الخارج لسهولة تناولهِ عليهم ٠ ولا يزالون يزرعون القطن في بعض قراهم ولكن زراعتهُ قلَّت كثيراً ٠ وقد عنيت مصلحة الزراعة الاميركية بالبحث في نوع القطن الذي يزرعونهُ وهو يسمَّى قطن الهوبي نسبة اليهم فوجدت انهُ يسرع في نموهِ اكثر من غيرهِ ويزهر قبل غيرهِ وقد ازهر وحمل جوزاً ونضج جوزهُ في بعض التجارب بعد زرع بزرهِ باربعة وثمانين يوماً فقط

بعثة لدفع اخطار الجليد في الاوقيانوس

ستقوم الحكومة الانكليزية بالاشتراك مع شركات البواخر الكبيرة بنفقة سفينة ترسل الى الاوقيانوس الاتلنتيكي في هذا الربيع فتظل بالقرب من شواطىء اميركا الشمالية

الى الشمال من ممر البواخر في الاوقيانوس لترصد حركات جبال الجليد وتنبئ البواخر بها . وقد خصص لهذا الغرض السفينة سكوتشيا وفيها جهاز للتلغراف اللاسلكي يمكنها ان تتخاطب بهِ مع المراكز البعيدة وسيكون فيها ثلاثة من العلماء ليقوموا بالاعمال الفنية كمراقبة حركات الجليد ومجاري الماء وغير ذلك

آثار ڤولتا

قالت جريدة الاكتريكان ورلد ان رجلاً انكليزيًّا عثر في ايطاليا على ادوات كان يستعملها العالم الشهير ڤولتا في ابحاثهِ في الكهربائية . والرجل الذي وجدت عندهُ صاحب دكان كان عمهُ طباخًا لڤولتا ثلاثين سنة وقد اتصلت اليهِ هذه الادوات من عمهِ . وبين هذه الادوات بعض الكتب والمكاتيب والصور التي كانت لذلك العالم

حرق الموتى

لم تشع عادة حرق الموتى في اوربا كما كان ينتظر فلم يحرق في بلاد الانكليز في العام الماضي سوى ١١٣٤ جثة وفي العام الذي قبلهُ سوى ١٠٢٣ جثة . ومن الرجال المشهورين الذين حرقت جثثهم في العام الماضي مطران ترورو والقس تشارلس ڤويسي

ترجمات التوراة

ترجمت التوراة حتى الآن الى ٤٥٠ لغة وقد بلغ عدد ما طبعتهُ جمعية انتشار التوراة حتى الآن ٩٣٦ ٣٤٦ ٦ نسخة كاملة و١٩ ٩ ٢٦٦ ١٢ نسخة من الاناجيل و ٢٩٧ ٦٩٦ ٥ نسخة من اجزاءٍ منها

تطهير الماء بكلوريد الجير

جرب تطهير مياه الشرب في مدينة بلتيمور باميركا الشمالية باستعمال كلوريد الجير (مسحوق القصارة) فكانت النتيجة ان عدد الميكروبات في السنتيمتر المكعب منها قل نحو ٩٥ في المئة عما هو في الماء غير المطهر وكادت تتلاشى منهُ بعض الانواع المضرة . وقلت الاصابات بحمى التيفوئيد في المدينة ٣١ في المئة عما كانت قبل تطهير الماء

الاميركيون الاصليون في بيرو

نشر الكبتن هويفن الرحالة الانكليزي فصلاً عن قبائل الاميركيين الاصليين الذين بجوار نهر ايساجابارا في بيرو . وقد نفى فيهِ ما كان عالقًا بالاذهان من انهم كانوا في ما مضى ذوي مدنية راقية اضاعوها في العصر الحاضر وقال ان مدنيتهم تقابل عصر الظران (اي العصر الذي كان الانسان يعتمد فيهِ على الادوات الحجرية قبل

ان يتمكن من صنعها من المعادن) من مدنية العالم القديم . وان القبائل التي الى الشمال منهم تدخن التبغ بالسيكار والقبائل التي الى الجنوب منهم تدخنهُ بالحجر (الغليون) اما هم فيستخرجون من التبغ مادة يمضغونها في اجتماعاتهم العمومية اذا اجتمعوا وهم على ولاء او اذا ارادوا تثبيت عقد بينهم . واذا وُلد لهم توأمان استبقوا اولها وقتلوا ثانيهما خصوصاً اذا كان انثى . واذا ولد لامرأة مولود ضعيف البنية او فيهِ عاهة طرحتهُ في النهر . ومنهم قبيلة تعرف بالبورو يتنفس فيها الرجل اذا ولدت زوجتهُ . ويقتلون اسراهم ويأ كلونهم ويعتقدون ان روح الميت تبقى ترف حول كوخهِ مدة بعد موتهِ

الاكسجين في الهواء

نشر معهد كارنجي للبحث العلمي في وشنطن باميركا نتيجة ابحاث وتحاليل لمعرفة مقدار الاكسجين واكسيد الكربون الثاني في الهواء . ويستدل من نتيجة هذه الابحاث التي دامت من ابريل سنة ١٩١١ حتى يناير سنة ١٩١٢ ان مقدار الاكسجين في الهواء لا يتغير تغيراً محسوساً بفعل النبات الذي يكثر في فصل الربيع او بتنفس الحيوان او اي سبب آخر . فنسبة المواد التي يتألف منها الهواء بعضها الى بعض ثابتة لا تتغير ما دام الهواء مطلقاً

العقل والدماغ

القى الدكتور موط خطبة بحث فيها عن علاقة العقل بالدماغ وافاض في بيان تأثير التلافيف الدماغية في زيادة سطح الدماغ الذي تغشيهِ المادة السنجابية ثم في اشكال هذه التلافيف واوضاعها التي تكون متشابهة في اعضاء العائلة الواحدة . ومما قالهُ ايضاً ان بين وقوف النمو في المادة السنجابية وضعف العقل وبين الجنون وتلف المادة السنجابية تلازماً يحمل على القول بان عقل المرء وطبائعهُ نتيجة نموهِ الجسدي

كيف تقوم المدارس

بلغ ما وهبتهُ الشركات التجارية الكبرى في مدينة لندن للمعهد العلمي المعروف بمعهد لندن منذ ٣٤ سنة حتى الآن ٨٨٩ ١٣٩ جنيهاً اي ان متوسط ما وهبتها اياهُ في السنة نحو ٢٦١٥١ جنيهاً وبلغ ما وهبتها اياهُ كل من شركات الصاغة والجواخيين وتجار الاسماك اكثر من ١٢٠٠٠٠ جنيه . والشركات التي وهبتها اكثر من ٢٠٠٠٠ جنيه ثمان والتي وهبتها اكثر من ١٠٠٠٠ جنيه خمس

ضربة الموز في جامايكا

اصاب الموز في جزيرة جامايكا مرض تسببهُ نباتات فطرية وقد جربت لقتلهِ مواد كيماوية كثيرة فلم تنجح . ويؤملون ان يتغلبوا عليهِ بغمر الارض بالماء مدة لان

الرطوبة تضر بهذا النوع من الفطريات او بزرع الانواع التي لا يقوى عليها كوز الكونغو

حلية مصرية قديمة

وجد الاستاذ بيتري الاثري المشهور في قبر بجرزة على اربعين ميلاً الى الجنوب من القاهرة تحفاً ذهبية قديمة منها حلية ذهبية مما كان يلبس على الصدر وتشبه الحلى التي وجدت في دهشور ويرجح انها كلها من صنع صائغ واحد. وعثر ايضاً في القبر الذي وجدها فيهِ على رفات رجل يظهر انهُ دخل القبر ليسرقها فسقط عليهِ السقف

الراديوم في الارض

حسب بعضهم انهُ اذا كان ما تحتويهِ طبقات الارض السفلى من الراديوم يعادل ما تحتويهِ قشرتها وجب ان تكون حرارتها ارفع مما هي ولذلك يرى ان مقدار الراديوم عند قلب الارض اقل مما هو في طبقاتها الوسطى كما انهُ في طبقاتها الوسطى اقل مما هو في قشرتها

التلغرافون

اخترع الدكتور بولسن من كوبنهاغن آلة مؤلفة من سلك معدني يمر بسرعة بين قطبين كهربائيين في آلة السمع من التلفون فيتمغنط ويتأثر بفعل هذين القطبين بهِ عند مرور الكهربائية عليها اثناء التكلم بالتلفون فينطبع تأثير الصوت عليهِ. فاذا جُرَّ بعد ذلك بين القطبين الكهربائيين في آلة السمع من التلفون والكهربائية تجري فيهما اثّر في المجرى الكهربائي بتقويتهِ واضعافهِ تأثيراً يعيد الصوت الاول لكن هذا الصوت يكون ضعيفاً ولا بد من تقويتهِ

توليد الكهربائية من الغبار

القى المستر ردج خطبة امام الجمعية الفلسفية في كمبردج بيَّن فيها ان الغبار يكون دائماً مشبعاً كهربائية سواء اثارتهُ الريح او نشأ عن سبب آخر. اما نوع الكهربائية اي كونها ايجابية او سلبية فيتوقف على نوع الغبار. وقال ايضاً انهُ يمكن توليد الكهربائية بامرار الهواء الذي يحمل غبار الدقيق او الكبريت او برادة الحديد او الغبار الذي يتصاعد من الطرق في انبوب غير موصل

امتصاص الحنطة للنيتروجين

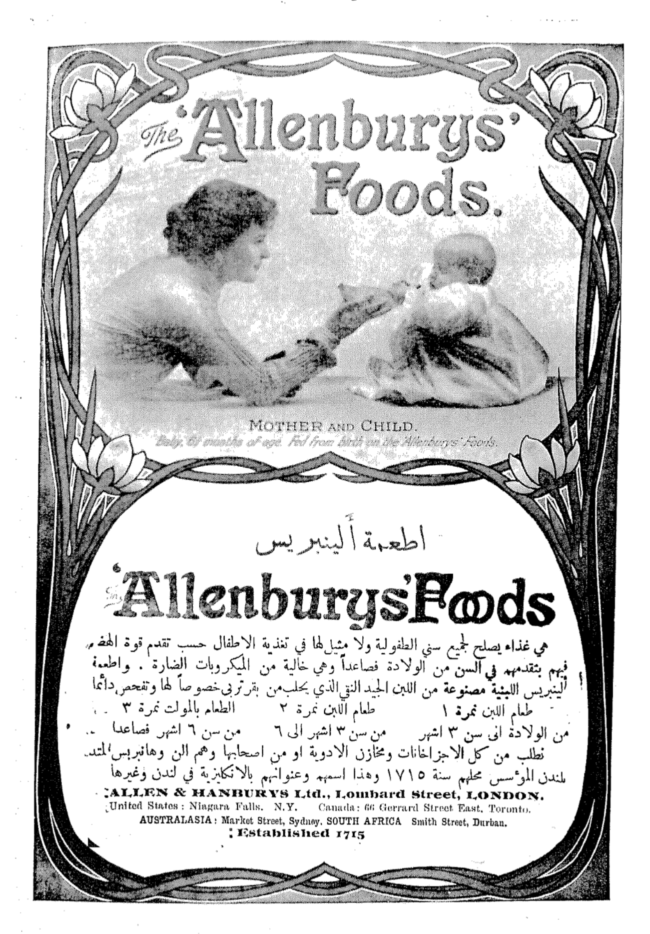
قال المسيو شوشاك في خطبة لهُ في اكادمية العلوم بباريس ان نبات الحنطة الصغير يمتص المواد النيتروجينية سواء كانت آلية ام غير آلية بواسطة مواد تكون في جذورهِ

مؤتمر الطب البيطري

سيلتئم مؤتمر الطب البيطري العام في مدينة لندن وتدوم جلساتهُ من ٣ الى ٨ اغسطس سنة ١١٩٤. وقد اذاعت اللجنة المركزية دعوة الى من يعنيهم ذلك من جميع الامم ليؤلفوا لجاناً تبث فكرة المؤتمر وترسل مندوبين ليشهدوهُ ويشتركوا في ابحاثهِ

فهرس الجزء الاول من المجلد الثالث والاربعين

صفحة


The 'Allenburys' Foods.
MOTHER AND CHILD.
اطعمة ألينبريس
'Allenburys' Foods
هي غذاء يصلح لجميع سني الطفولية ولا مثيل لها في تغذية الاطفال حسب تقدم قوة الهضم
فيهم بتقدمهم في السن من الولادة فصاعداً وهي خالية من الميكروبات الضارة . واطعمة
ألينبريس اللبنية مصنوعة من اللبن الجيد النقي الذي يحلب من بقر تربى خصوصاً لها وتفحص دائماً
طعام اللبن نمرة ١
طعام اللبن نمرة ٢
الطعام بالمولت نمرة ٣
من الولادة الى سن ٣ اشهر
من سن ٣ اشهر الى ٦
من سن ٦ اشهر فصاعدا
تطلب من كل الاجزاخانات ومخازن الادوية او من اصحابها وهم الن وهانبريس المتحدة
بلندن المؤسس محلهم سنة ١٧١٥ وهذا اسمهم وعنوانهم بالانكليزية في لندن وغيرها
ALLEN & HANBURYS Ltd., Lombard Street, LONDON.
United States: Niagara Falls. N.Y. Canada: 66 Gerrard Street East, Toronto.
AUSTRALASIA: Market Street, Sydney. SOUTH AFRICA Smith Street, Durban.
Established 1715


لارولا
BEETHAMS
La-rola
خير ما صنع لحفظ نضارة الشباب وحسنهِ وليس بين مواد
التطرية المستعملة في التوالت ما يعادل لارولا في حفظ لون البشرة
الصحي ونعومتها ووقايتها من فعل الشمس والهواء والماء القاسي
فانها تمنع الخشونة والاحمرار والقشف وتكسب الجلد ليناً ونعومة
وتحفظهُ سليماً على الدوام
اشترِ زجاجة من الاجزاخانة اليوم تجد فيها ما يسرك
أُطلب لارولا من جميع الاجزاخانات والمخازن او من اصحابها وهم
بيثام وولدهُ بشلتنهام في انكلترا وهذا اسمهم وعنوانهم
بالانكليزية M. Beetham & Son, Cheltenham,
England.
La-rola
FOR THE SKIN AND COMPLEXION.

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثالث والاربعين

١ اغسطس (اب) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٨ شعبان سنة ١٣٣١

الحرب في الهواء

كانت كلمة « الحرب في الهواء » استعارة بمعنى الوهم وما لا حقيقة لهُ اما الآن فصارت حقيقة لا ريب فيها بل صارت حروب الهواء ارهب الحروب كلها ولو لم تنشب حرب منها حتى الآن · وقد اخذت الدول تعدُّ لها عدتها وتنفق في سبيلها النفقات الطائلة · ولو تيسَّرت لها المعامل لتصنع من آلات الطيران اضعاف ما تصنعهُ الآن ولو تيسَّر لها الجنود المتمرنون على الطيران لضاعفت نفقاتها في هذا السبيل · فقد انفقت الحكومة الفرنسوية على آلات الطيران ٢٤٨٠٠٠ جنيه سنة ١٩١١ و ٨٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٢ وستنفق هذه السنة ١٧٠٠٠٠٠ جنيه · وستنفق الحكومة الالمانية هذه السنة ١٨٠٠٠٠٠ جنيه من خزينتها و ٣٥٠٠٠٠ من اشتراكات تبرع بها الالمان والجملة ٢١٥٠٠٠٠ · وقد لا تمضي سنوات كثيرة حتى تصير نفقات المراكب الهوائية كنفقات البوارج البحرية

والمراكب الهوائية التي جُرِّبت حتى الآن تدخل تحت خمسة اشكال وهي بلونات مسيرة ذات اضلاع صلبة حتى لا تلتوي و بلونات مسيرة ليس لها اضلاع · واروبلانات ذات سطح واحد واروبلانات ذات سطحين واروبلانات ذات طوَّافات تطفو بها على وجه الماء ثم ترتفع في الهواء

وقد اهتمت المانيا في اول الامر بالبلونات المسيَّرة من نوع بلون زبلن الذي صورناهُ وشرحناهُ في مقتطف ابريل الماضي وهو كيس كبير مستطيل يملأُ بالغاز وتعلَّق بهِ مركبة فيها محرك يدير مروحة بسرعة فائقة فيندفع بها البلون و يسير في الهواء وقد بلغت سرعتهُ خمسين ميلاً في الساعة · وتصنع الحكومة الالمانية الآن بلوناً كبيراً ينتظر ان تبلغ سرعتهُ خمسة وخمسين ميلاً في الساعة اي انهُ يسير مثل اسرع القطارات البخارية ومضاعف سرعة البوارج الحربية · وقد صنعت قبلهُ بلوناً مدرعاً سرعتهُ خمسون ميلاً في الساعة وهي تنتظر

ان تصل الى ما سرعتهُ ستون ميلاً في الساعة . ومتى بلغت سرعة البلون هذا الحد لم يعد يخشى مقاومة العواصف لهُ مهما اشتدَّت سرعتها فيسير حيثما شاء مهما كانت احوال الجو

وتوضع المدافع في مركبات هذه البلونات كما توضع في السفن الحربية فتطلق منها قنابل الرصاص الرشاش وقنابل الديناميت وقنابل الغازات المدخنة التي تحجبها عن الانظار . والرصاصة من رصاص القنابل الاولى ثقلها سبعون درهماً وهي تخرق درع الفولاذ ولو اطلقت عليهِ من بعد شاسع وكان ثخنهُ عقدة (بوصة) . ويمكن تسديد هذه المدافع بسهولة فتصيب الغرض وان لم تصبهُ في الطلق الاول اصابتهُ في الثاني او الثالث لان الذي يطلقها يرى الغرض اجلى مما يراهُ لو كان واقفاً على الارض . وعندهُ آلة اسمها ستاتوسكوب يعرف بها ارتفاعهُ عن سطح البحر بالدقة التامة فيرتفع بالبلون او ينخفض حسب دواعي الحال

الاَّ ان المانيا صرفت همها الآن الى عمل الطيَّارات من نوع الاروبلان بعد ان كان اعتمادها كلهُ على البلونات المسيرة وغرضها ان تناظر فرنسا في هذا السبيل . اما فرنسا فكان اهتمامها مصروفاً الى عمل الاروبلان لكنها عادت الآن فاهتمت بعمل البلونات المسيرة . والظاهر ان انكلترا تميل الى عمل الطيارات المائية اكثر مما تميل الى عمل البلون او الاروبلان . وينتظر ان يصير عندها هذه السنة ٧٥ طيارة مائية وهي تحسب انهُ اذا كان مع اساطيلها العدد الكافي من الطيارات المائية بقيت حولها تحميها من الاوربلانات والبلونات فاذا رأت شيئاً منها آتياً ليوقع بالاساطيل طارت اليهِ حالاً واوقعت بهِ . ويقصد الانكليز ان يجعلوا من الطيارات المائية منطقة حول بلادهم كالحصون ترقب حركات الاعداء لانهم خائفون ان تهاجمهم دولة باساطيلها الهوائية على غرة فتوقع ببوارجهم وتخرب مدنهم . وجرائدهم تبالغ في الخطر وقد اقلقت افكار الشعب باخبارها و بالصور التي تنشرها . ومن رأيها ان الاعتماد على الاروبلان اولى من الاعتماد على البلون المسيَّر لان نفقة عمل البلون الواحد تزيد على النفقة اللازمة لعمل ٣٥ اوربلاناً ولان عمل الاروبلان سهل ويمكن ان يصنع منهُ الوف في وقت قصير واما البلون المسير فعملهُ صعب ويقتضي وقتاً طويلاً ولا بد لإِيوائهِ من بناء واسع جداً وزد على ذلك فان البلون سريع التلف اذا خرقتهُ رصاصة اتلفتهُ او حرقتهُ واما جناحا الاوربلان فيخرقهما الرصاص تخريقاً ولا يتلفهما

ويسهل وضع النور الكهربائي في الاوربلان حتى اذا طار ليلاً رأى ما تحتهُ فيرى مكاناً يصلح لنزولهِ فيهِ فينزل اليهِ واما البلون المسيَّر فلا يمكنهُ ان ينزل الاَّ في المكان المعد لنزولهِ حيث يجد اناساً مستعدين ليمسكوا بزمامهِ وينزلوهُ واذا اضطرَّ ان ينزل في مكان آخر فقد قضي عليهِ

ثم ان البلون المسير المعد للحرب يستطيع ان يحمل خمسة اطنان من الديناميت ولكن الخمسة والثلاثين اروبلانًا تستطيع ايضًا ان تحمل هذا المقدار من الديناميت اذا وزع عليها او تحمل اكثر من ذلك

ويستطيع الاروبلان ان يطير مسافة ٦٠٠ ميل من غير توقف فيدخل بلاد العدو ويوغل فيها ويعود منها من غير ان يضطر للنزول الى الارض. وقد يدري بهِ العدو ويطلق المدافع عليهِ ويتلفهُ ولكن يرجح انهُ يتلف بلونًا وبلونين قبلما يستطيع ان يتلف عشرين اروبلانًا والبلون الواحد يساوي ٣٥ اوربلانًا كما تقدم. وقد استعمل الاروبلان في حرب طرابلس الغرب وفي حروب البلقان ولكن لم يجسر احد من المتحاربين على استعمال البلون

والآن صار امر البلونات والاروبلانات الشغل الشاغل لفرنسا والمانيا فان فرنسا انشأت على تخومها من جهة المانيا خمس محطات اروبلانية في تول وفردين وشانون سيرمين وبارلو ديك وابينال وبنت بيوتًا في اماكن كثيرة للبلونات ومعامل لتوليد غاز الهيدروجين ومعملاً نقالاً لتوليد هذا الغاز وبيوتًا نقالة لايواء البلونات

والالمان فاقوا الفرنسويين في الاستعداد لحروب الهواء فعندهم اربعة بلونات كبيرة من نوع زبلن مدرعة ومسلحة تسبح في الهواء دوامًا كأنَّ الحرب على الابواب والغرض منها تمرين رجالها على حرب الهواء. اثنان منها مرابطان على التخوم الفرنسوية واثنان في جهة البحر الشمالي مقابل تخوم روسيا وكلٌّ منها مستعد ليوغل في البلاد التي هو على حدودها عند اقل اشارة. والحكومة الالمانية مهتمة الآن بانشاء تسعة بلونات اخرى والمرجح انها تنشئ مضاعف ذلك في السنة التالية

وقد اخترع الفرنسويون مدفعًا كثير الطلقات اطلقوا رصاصهُ على اروبلان ارتفاعهُ ٥٤٠٠ قدم فخرَّقهُ تخريقًا وكان الاروبلان متصلاً بزورق بخاري سائر بسرعة عشرين ميلاً في الساعة وهو سائر معهُ بهذه السرعة ومع ذلك استطاع الذي يطلق المدفع ان يسددهُ اليهِ ويصيبهُ ويخرقهُ ولكن لو كان الاروبلان سائرًا بسرعة مئة ميل في الساعة لتعذَّر تسديد المدفع اليهِ. والسير بسرعة مئة ميل ليس بالامر البعيد لان بعض الاروبلانات يسير الآن بسرعة تسعين ميلاً

ثم انهُ قد جرب البلون الحربي لتعلم مقدرة من فيهِ على اصابة الغرض بالمدافع فوُضع طوف من الجنفيص في بحيرة جنيفا ووقف بلون الماني في الجو على ثلاثة اميال ونصف ميل منهُ وهو مرتفع فوق الارض ثلاثة آلاف قدم وجعل يطلق القنابل عليهِ فلم يصبهُ بالقنبلة

الاولى ولا بالثانية ولكنهُ اصابهُ بالثالثة ومن ثمَّ صار يصيبهُ بكل طلق . والظاهر ان عصف الرياح لا يمنع تسديد المدافع الى الغرض واصابتهُ

والبلون زبلن الثالث اطلق القنابل على غرَض وهو على ٦٠٠ قدم فوق الارض وكان الغرض رسم قرية كبيرة فمزقهُ تمزيقاً في سبع عشرة دقيقة . وقد ثبت ان الرصاص المطلق منهُ يخرق دروع الفولاذ التي تدرَّع بها الطرادات عادة . وكان البلون سائراً بسرعة حتى يتعذر على مدافع الطراد ان تصيبهُ

وشاع الآن طرح قنابل الديناميت من البلونات الاروبلانات . ويسهل على مَن يطرحها ان يتحكم في طرحها حتى تصيب الغرض الذي يقصده . وقد صنع معمل كروب قنابل اذا رميت القنبلة منها اشتعلت وانارت فتشعل ما تصل اليهِ وتنير ما حولها فيرى مَن يرميها فعلها ويتحكم في ما يلقيهِ بعدها ولو في حالك الظلام . ويعلَّق بالبلون مصباح كهربائي من النوع الذي ينعكس كل نوره الى الاسفل ويجعل بعيداً عن البلون نحو ٥٠ قدم فيكون هادياً للذين في البلون يريهم ما تحتهم ومضللاً للذين على الارض لانهم يظنون البلون حيث المصباح تماماً . واذا كانوا يعلمون ان البلون بعيد عنهُ زادت حيرتهم لانهم لا يستطيعون ان يستدلوا بهِ على مكانهِ

وصنع الالمان ايضاً قنابل تنفجر في الهواء بعد ما تلقى من البلون ويخرج منها دخان كثيف يسد منافس الفضاء ويحجب البلون عن انظار الذين على الارض الى ان يبعد عن موقع الخطر فاذا مرَّ فوق مكان ورأى الجنود فيهِ مستعدين لاطلاق مدافعهم عليهِ رمى قنبلة من قنابلهِ المدخنة واختفى بدخانها فهو كالاخطبوط الذي اذا شعر ان عدوًّا يطاردهُ نفث الحبر حولهُ فاسودَّ بهِ الماء وحجبهُ على انظار طالبيهِ

ولكن هذه الوسائل كلها ليست شيئاً في جنب اختراع آخر كان كتَّاب الروايات يفرضون اختراعهُ فرضاً وهو قنابل محشوة بالغازات السامة فاذا أُطلقت انفجرت وخرج الغاز منها وانتشر في المكان الذي تقع فيهِ وقتل كل حيّ في بقعة قطرها مئة متر او اكثر . وُضع كلب في سلة بمدينة طوكيو وعلقت السلة ببالون مسير واطلقت قنبلة من هذه القنابل حتى انفجرت على نحو ٣٠٠ قدم من ذلك الكلب فقتلهُ غازها ولما شُرّح جسمهُ وجدت رئتاهُ مشحونتين بالغاز السام الأ ان المدفع الذي يمكن ان تطلق منهُ هذه القنبلة لا يزيد مداهُ على الفي قدم

وجرب الالمان رمي القنابل من بلون كبير من بلوناتهم في احد معسكراتهم واصابة الغرض بها فوجدوا انها تصيب الغرض دائماً ولو كان ارتفاع البلون من ٤٠٠٠ قدم الى ٥٠٠٠ قدم . ولم تكن هذه القنابل محشوة شيئاً فلم يكن منها خوف ولكن الجنود الذين كانوا

على الارض قرب الاغراض التي رميت عليها لم يستطيعوا ان يروا البلونات التي كانت ترميها

والبلون فكتوريا لويس الذي وصفناهُ في مقتطف ابريل الماضي طار مرة حتى بلغ ارتفاعهُ ٧٠٠٠ قدم فوق سطح الارض ثم نزل بغتةً على زاوية حادَّة حتى كاد يبلغ الارض ثم وقف فوق الباخرة الالمانية المسماة اميركا من شركة لويد لكي يثبت انهُ يستطيع ان يقف في عرض البحر اذا اعوزهُ الوقود و يتناول ما يحتاج اليهِ من السفن التجارية ولا يضطر ان يعود الى الارض لاجل اخذ المؤُونة منها

ولما صُنع البلون المسمَّى هنسا وطار بهِ زبلن فعبر البحر الشمالي الى كوبنهاغن ومِلمو واسوج وقطع ٣٧٥ ميلاً في اثنتي عشرة ساعة طربت المانيا كلها وقالت جرائدها ان ذلك البلون يستطيع ان يطير فوق لندن واية مدينة ارادها من مدن الانكليز من غير ان يعترضهُ احد

ولا شبهة ان المانيا اتقنت البلون الحربي ولكنها لم تهمل الاروبلان · ويهتم الكونت زبلن الآن بالحاق كل بلون من بلوناتهِ باروبلان فيطير الاروبلان منهُ حينما يشاء ويعود اليهِ كأنهُ زورق بخاري متصل بسفينة حربية ويكون في الاروبلان مدفع طويل المدى حتى اذا هجم مهاجم على البلون في الهواء ابعد الاروبلان عنهُ وصب عليهِ وابلاً من القنابل بمدفعهِ واذا عاد العدو عليهِ تيسرت النجاة للبلون

وبلون زبلن يحمل ثلاثة مدافع على الاقل ويمكنهُ تسديد مدافعهِ على اية زاوية ارادها وفيهِ مدفع يطلق القنابل التي يخرج منها الدخان · والمدافع وابراجها ومركبة البلون مصفحة كلها بنوع متين جدًّا من الفولاذ حفظت الحكومة الالمانية تركيبهُ سرًّا وهو رقيق جدًّا ولكن الرصاص العادي لا يخرقهُ بل ينفرش عليهِ كأنهُ شمع . واذا كان طولهُ خمس مئة قدم وحلَّق في الجو لم يظهر للواقف على سطح الارض الَّا مثل قلم عادي من اقلام الرصاص ولذلك يتعذر ان يصاب بشيء يطلق عليهِ من الارض لاسيما وانهُ لا يبقى لحظة في مكان واحد

ولا يقتصر ضرر البلون الحربي على اطلاق القنابل ولكنهُ يستطيع ان يجر وراءهُ مشعلاً من نار فيحرق بهِ الحقول والقرى والمدن واذا حاول السكان اطفاء النار منعهم من ذلك بصب الرصاص عليهم من مدفعهِ الرشاش

ويستطيع ايضًا ان يجرَّ وراءهُ اسلاكاً معدنية في رؤُوسها كلاليب فيخرب بها المباني الخشبية على خطوط سكك الحديد ويضرم النار فيها بمشعلهِ فتحمى الخطوط وتلتوي ولا تعود صالحة لسير القطرات عليها ويمكنهُ ان ينسف بمشعلهِ مخازن البارود ومراجل الغاز ويحرق محطات سكك الحديد

الدوار وسببهُ وعلاجهُ

ليس بين الآفات المعرَّض لها جسم الانسان ما هو اشدُّ كرباً واكره حدوثاً من الدوار البحري . يصيبك فتتألم وتتمرر وتودُّ ان تفارق الحياة حتى تنجو منهُ والناس حولك اما مثلك فتشاركهم ويشاركونك ولا يخفف احدكم عن الآخر بل يزيدهُ كرباً . يسكن غثيانك لحظة ثم تسمع واحداً منهم يتهيأ للقيء فيعاودك ما تكره ويزيد عليهِ . واما الذين لا يفعل بهم الدوار فيضحكون عليك او يهربون منك لا من يرثي لبلواك ولا من يخفف الملك الى ان ينتهي السفر او يسكن البحر وتهدأ السفينة . وقد لا ينحصر فعل الدوار بالغثيان والقيء والكرب وصغر النفس بل تكون لهُ عواقب وخيمة جدًّا فيقتل بعض الذين يوصف لهم سفر البحر للخلاص من داء السل ويتلف معد المصابين بسوء الهضم ويورث البعض آفات لا تزول مدى العمر ولذلك اهتمَّ الاطباء وغيرهم باكتشاف علاج لهُ فكثرت العلاجات وتنوعت ولكننا لم نجد منها علاجاً ناجعاً عند اشتداد الانواء . ولو لم تكن عواقب الدوار سليمة في الغالب لترك الناس سفر البحر خوفاً منهُ ان لم يكن كرهاً لهُ

وهنالك امرٌ آخر وهو ان الانواء غير مضطردة وغير دائمة ولو في فصل الشتاء فقد يصادف السفينة نوء وقد لا يصادفها واذا لازمها اليوم فقد يفارقها غداً فتبقى الآمال معلقة بحبال الرجاء وهذا مما ييسّر للناس ركوب البحر اليوم ولو اصابهم منهُ ما اصابهم بالامس

وقد دخل الصيف بحرهِ وهجيرهِ وهرع كثيرون من سكان هذا القطر الى الهرب منهُ والالتجاء الى ربى لبنان او مصايف اوربا لان ليس فيهِ جبال باردة الهواء فلا بد لهم من ركوب البحر في الحالين ذهاباً واياباً واذا كانوا من الذين يفعل بهم الدوار فقد يخسرون في يوم ما كسبوهُ في شهر وما من احد منهم ومن غيرهم الا ويود ان يعرف سبب الدوار وعلاجهُ اذا كان لهُ علاج وهذا ما نريد بيانهُ في هذه المقالة

اما سببهُ فقد ذكرناهُ بالايجاز في المجلد السادس والثلاثين من المقتطف صفحة ٥٥٢ حيث اوردنا كلام الاستاذ هل فيهِ وهو

« ومن امثلة هذه الافعال المنعكسة دوار البحر فان العصب الذي يحفظ موازنة الجسم جزء من العصب السمعي المتصل بالقنوات الهلالية في الاذن الباطنة فاذا اخذت السفينة تنود تغيرت الموازنة في هذه القنوات واتصل تأثيرها بالمادة السنجابية في المخيخ فنبهتها تنبيهاً شديداً واثر ذلك في العصب العاشر الذي يتصل بالمعدة فان بعض خيوطهِ متصل ايضاً بالمخيخ حيث

مركز موازنة الجسم فيحدث القيء اي يحدث فيها فعل مثل الفعل الذي يسبب العطاس في الانف فتحاول دفعهُ فتدفع ما بها من الطعام . وفي بدء الدوار لا يكون التنبه شديداً فتجيش النفس فقط ويزداد افراز العصير المعدي الى ان يحدث القيء . ومما يزيد فعل الدوار اضطراب النظر ايضاً لان العصب البصري متصل بالمركز الذي يتصل بهِ العصب المعدي لكن السبب الاصلي تهييج المادة السنجابية في المخيخ بهذه المسببات كلها »

وقد وقفنا الآن على شرح مسهب فيهِ للعالم نورمن بارنت فرأينا ان نثبت خلاصتهُ لما فيهِ من زيادة التفصيل قال

ان هيجان البحر ليس بالسبب الوحيد للدوار بل هناك اسباب اخرى في جسم الانسان الذي يصاب بهِ اي لا بدَّ من استعداد فيهِ لهُ والأَ لم يصبهُ مهما كان البحر هائجاً

والاسباب المعدَّة للدوار كثيرة بعضها يتعلَّق بالمعدة وبعضها بالكبد وبعضها بالاعصاب وبعضها بالسفينة نفسها . فاذا كان الانسان مصاباً بآفة معدية او اذا دخل السفينة ومعدتهُ مملوءة بالطعام وحدث النوء وجعلت السفينة تنود بهِ اصابهُ الدوار اكثر مما يصيبهُ لو كانت معدتهُ سليمة او غير مثقلة بالطعام الكثير . فضعف المعدة وشحنها بالطعام لا يسببان الدوار بل يعدان الجسم لهُ وقس على ذلك ضعف الكبد فانها اذا كانت بطيئة في عملها لم تقاوم نودان السفينة بل زادت تأثراً بهِ ولكنها لا تكون سبباً للدوار

اما الاعصاب فامرها اهم من امر المعدة والكبد . فالخوف من الدوار (وهو فعل عصبي محض) يسبب غثيان النفس ولو لم يكن الانسان في البحر حتى لقد يصاب البعض بالدوار اذا رأوا السفن في المرفإ والناس يصعدون اليها . ويصاب غيرهم بالدوار خوفاً من الدوار . وكل المصابين بالضعف العصبي معرضون لدوار البحر وكذلك المصابون بآفة في الدماغ والمعرضون للصرع والصداع . وبعبارة اخرى ان كل المصابين بآفة عصبية معرضون للدوار اكثر من غيرهم

ثم ان السفينة نفسها قد تكون حركاتها مما يوجب الدوار وقد لا تكون فالسفن التي ترتجف ارتجافاً بفعل الامواج يصيب الدوار ركابها اكثر مما لو كانت حركاتها صعوداً ونزولاً متواليين . واذا اشتدَّ النوء وعلت الامواج وخيف من غرق السفينة فالخوف يسبب الدوار في بعض الذين لا يصيبهم الدوار عادة . ومهما كانت الاسباب المهيئة للدوار فالسبب المباشر هو حركة السفينة وقت النوء فان هذه الحركة تنتقل الى الدماغ ومنهُ الى المعدة . ولكن حركات السفن مختلفة وفعلها مختلف ايضاً فالحركة الجانبية تؤَثر اكثر من الحركة من مقدم

السفينة الى موَّخرها والحركة القصيرة المدة في السفن الصغيرة الماخرة في البحار الضيقة توَّثر اكثر من الحركة الطويلة في السفن الكبيرة الماخرة في عرض الاوقيانوس . والذي يستلقي على ظهرهِ حالما يبتدئ النوء قد ينجو من الدوار . والنوء الذي يتدرَّج تدرجاً في شدتهِ يحتملهُ الناس اكثر من النوء الذي يثور بغتةً

والآراء مختلفة في سبب الدوار فالبعض يقولون ان سببهُ المعدة حاسبين ان حركة السفينة تسبب اضطراباً فيها فيعالجونهُ بادوية تفعل بها والبعض يقولون ان سببهُ الكبد وانها هي التي توَّثر في المعدة . والبعض يقولون ان سببهُ الوهم لا غير فاذا عزم الانسان ان لا يصاب بالدوار لم يصبهُ دوار . والبعض يقولون ان سببهُ انيميا الدماغ اي قلة ورود الدم اليهِ وان ذلك يحدث من حركة السفينة وان القيء فعل طبيعي لتحريك الدورة الدموية لكي يكثر ورود الدم الى الدماغ . والبعض يقولون ان سبب الدوار في حركة المقلة وتغير صور المرئيات في العين فيعالجونهُ بالاتروبين او باغماض العينين

ولا شبهة ان السبب الخارجي للدوار هو حركة السفينة بسبب هيجان البحر فان هذه الحركة تتصل الى الدماغ ومنهُ الى المعدة . وهنا فصَّل الكاتب ما ذكرناهُ آنفاً من امر القنوات الهلالية التي في الاذن الباطنة وبيَّن ان السبب الحقيقي للدوار هو تهيج الالياف الاخيرة من العصب السمعي المنتشرة في التيه الغشائي من الاذن الباطنة فيتصل هذا التهيج الى العصب الرئوي المعدي ومنهُ الى جدران المعدة ومن المحتمل انهُ يتصل ايضاً الى العصب السمباثوي . فهو اذاً تهيج في اعصاب المخ مسبب عن حركة السفينة في بحر هائج . وكل حركة تغير الوضع المألوف للسائل الذي في القنوات الهلالية توَّثر في الاعصاب تأثيراً يصل الى المعدة كتأثير الدوار . فان السائل الذي في هذه القنوات كالسائل الذي في الفادن تعرف بهِ موازنة الجسم فاذا تغير وضعهُ فجأَةً اثَّر في الاعصاب التي تبطن تلك القنوات ووصل هذا التأثير الى المعدة فتشعر كأَن مادة غريبة دخلتها ولا بدَّ من دفعها منها وهو خطأٌ في حكمها ولكنهُ خطأٌ مشهور يتعذَّر عليها اصلاحهُ . ويحسن بالقارئ ان يطالع المقالة المشار اليها آنفاً في المجلد السادس والثلاثين فانها توضح هذا الامر وامثالهُ

اذا كان الدوار فعلاً عصبيًّا كما تقدَّم فما يسكّن الاعصاب يزيلهُ او يخففهُ ولذلك فبروميد البوتاسيوم من انفع العقاقير الدوائية لهُ وكذلك النوم والمنوّمات على انواعها . وقد رأينا بالاختبار ان رائحة السفن الخاصَّة بها مما يثير الدوار او يزيدهُ كأَنها تفعل بعصب الشم فعلاً يصل الى العصب الرئوي المعدي او الى العصب السمباثوي فيهيج المعدة لدفع ما فيها

تكريم العلم

اجتمع نفر من رجال العلم والفضل في اوائل الشهر الماضي (يونيو) واجمعوا على اقامة حفلة لتكريم صاحب السعادة احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية على اثر نشر كتابهِ الحديث في شرح القانون المدني تتلى فيها الخطب ويهدى اليهِ فيها نسخة من الكتب التي الَّفها او ترجمها مجلدة تجليداً مذهباً ورقيم شكر يوقعهُ المحتفلون . واقيمت الحفلة في دار الجامعة المصرية الساعة السادسة من السابع والعشرين من الشهر الماضي فامَّها رجال العلم والقضاء وارباب التحرير وكبار رجال الحكومة ولما انتظم عقد الجمع تليت الخطب التالية على ترتيبها

خطبة المستشار شكري باشا

ايها السادة الفضلاء

لجنة الاحتفال بتكريم صاحب السعادة احمد فتحي باشا زغلول تهديكم تحيتها وتسديكم جزيل شكرها وتبث اليكم خالص ثنائها اذ تفضلتم فاجبتم دعوتها واجتمعتم اليوم في هذا المكان لتشاركوها في ابداء عواطفها وتكرموا معها العلم والنبوغ في شخص سعادة الهمام فتحي باشا

يسرني ايها السادة كما يسركم ان تقام هذه الحفلة لهذا الغرض وهي على ما اعلم اول حفلة أُقيمت من نوعها (نعم قد أُقيمت حفلتان من عهد قريب لتكريم الشعر والادب في شخص شاعرنا الكبير حافظ بك ابراهيم والشاعر الحكيم خليل افندي مطران) قلت انها اول حفلة علمية بيد اني اتمنى ان تتلوها حفلات كثيرة من نوعها كلما نبغ في الامة المصرية واحد من ابنائها وخدمها بالعلم الصحيح كما فعل فتحي باشا

فكَّر ايها السادة جمعٌ من انصار النهضة العلمية في اقامة حفلة تكون شعاراً لهم ولمن يرغب في الانضمام اليهم على ما تكنهُ ضمائرهم وتشتمل عليهِ افئدتهم وينطوي تحت جوارحهم من عواطف الاكبار وشعائر الاجلال والاعجاب بهمة رجل قد افاد امتهُ كثيراً من الجهة العلمية بما أُوتي من المواهب فاخرج لها في بضع سنين بضعة من الكتب الاجتماعية النافعة ولقد اجاد كثيراً في اختيارها وتعريبها ولا اخال كل من اطلع على هذه الكتب وانعم النظر في مقدار المجهودات العقلية والجسمانية التي بذلها فتحي باشا في تعريبها الاَّ موافقاً على ان فتحي باشا يستحق اكرام امتهِ واحتفاءها

كتابهُ الاخير ايها السادة الذي وضعهُ في شرح القانون المدني قد حرك هذه الفكرة

في صدر اولئك الانصار فلم يلبثوا حتى اخرجوها من حيز الفكر الى حيز القول ثم الى حيز الفعل ذلك لانهم آنسوا من الكثيرين الذين كاشفوهم بها واطلعوهم على برنامج مشروعهم كل اقبال وارتياح . وقد اخذ فريق منهم على نفسهِ من ذلك الحين تنفيذ المشروع واعداد ما يلزم لنظام الحفلة وترتيبها . لا يسعني في هذا المقام ايها السادة الاَّ ان اقدم واجب الشكر لاولئك الذين فكَّروا في اقامة هذه الحفلة واني اضاعف شكري لحضرات الاساتذة الاجلاء محمود بك ابو النصر وعزيز بك خانكي وعبد العزيز بك فهمي واحمد بك لطفي السيد اولئك الذين اخذوا على انفسهم تنفيذ المشروع وترتيب نظام الحفلة

فتحي باشا ايها السادة ولا ازيدكم بهِ علماً رجل جد وعمل رجل همة ونشاط اذا ذكر اولو العزم ورجال الفضل والعلم كان فتحي باشا حامل لوائهم ورافع منارهم . ما توجهت فكرتهُ الى اي مشروع علمي نافع لامتهِ الاَّ قام بتنفيذهِ على اكمل وجه بهمة لا تعرف الملل . رجل لم تمنعهُ اعمال وظيفتهِ وهي كثيرة كما تعلمون من ان يجعل كل اوقات فراغهِ وراحتهِ وهي قليلة كما تعهدون وقفاً على مراجعة الكتب الفرنساوية النافعة واختيار اكثرها نفعاً لابناء وطنهِ فينقلها الى اللغة العربية بعبارة فصيحة بليغة واسلوب عربي مبين بحيث يخال للقارئ انها اصل لا تعريب

ليس في مصر ايها السادة من ينكر على فتحي باشا تفوقهُ في القانون ونبوغهُ في فهم اسرار اللغتين العربية والفرنسية لذلك كانت كتبهُ التي وضعها والتي نقلها الى العربية من احسن ما كتب وما عُرّب واني لارجو ان تنتفع الناشئة بما كتب وما عرّب

المحتفلون ايها السادة انما ارادوا باقامة هذه الحفلة ان يضعوا الحجر الاول لبناء التضامن العلمي وذلك التضامن الذي لا بد منهُ لنعلم قيمة رجال الفضل ونبوغ اهل العلم

لقد سرني كثيراً ايها السادة ان فكرتهم وهي في غاية السداد والصواب قد قوبلت من جميع العلماء والفضلاء بمزيد الارتياح والاستحسان ولا ادلّ على ذلك من ان ارى اليوم اجتماع عدد كبير من انصار العلم وذوي العقول الراجحة في هذا المكان مؤيدين لفكرتهم ومشاركين لهم في شعورهم ووجدانهم . يحق لنا الآن ايها السادة ان نهنيء النفس بان روح التضامن والتكافل العلمي قد انبثت في نفوس الكثيرين واني لارجوان تدوم هذه الروح الشريفة ليستزيد رجال النهضة العلمية من غيرتهم ويضاعفوا من هممهم في سبيل رقي البلاد بالعلم الصحيح والتربية الحقة ونشر الكتب المفيدة

سيلقي على مسامعكم الآن ايها السادة حضرة الاستاذ الفاضل عبد العزيز بك فهمي كلمة

في بيان فوائد كتاب شرح القانون المدني ومزاياه ُ ومن هذا البيان تعلمون مقدار المجهودات التي بذلها فتحي باشا والتكاليف التي تجشمها في وضع هذا الكتاب المستطاب لفائدة المشتغلين بالقانون

الآن وقد بينت لحضراتكم ايها السادة غرض المحتفلين في هذه الكلمة الوجيزة لا ارى مندوحة في الختام من انتهاز هذه الفرصة لتهنئة صديقي فتحي باشا في هذه الحفلة بما آتاهُ الله من المواهب وما احرزهُ من السبق في ميدان الحياة العلمية والله يؤتي الحكمة من يشاء والله ذو الفضل العظيم

خطبة الاستاذ عبد العزيز بك فهمي المحامي

ايها السادة

ان خير الناس انفعهم للناس وهذه حقيقة مسلَّمة . اما خير وجوه النفع فهو ما سدَّ حاجة علمية ذلكم بان في الفطرة ميلاً مستمرًّا للاستزادة مما يكمل الحياة ويجملها فالانسان بغريزتهِ يتطلب الرقيّ وينبعث اليهِ ابداً ولا يقف في سبيلهِ عند حد معين ومهما حدث مما يقضي بكتمان هذا الانبعاث الطبيعي فان صوتهُ لا يخفت بل يرتفع عاليًا يتوجع تارة على مصير الامور التي القت بصاحبهِ الى مهواة العجز وفقدان الحيلة ويؤنبهُ تارة اخرى على قعودهِ عن السعي في سبيل الاخذ بالاسباب والناس من حولهِ قيام في هذا السبيل ناهضون وليس منا الاَّ من يقوم لهُ من نفسهِ الدليل على صدق هذا النظر

وانهُ لا وسيلة لتبليغ المرء املهُ من اشباع هذا الميل الفطري للرقي سوى العلم . فالعلم ان وجب لهُ التقديس من جهة ان الحقائق التي يكشفها حجة بذاتها على الكافة غير مفتقرة في وجودها للغير فان تقديسهُ على بني الانسان اوجب من جهة انهُ وسيلتهم الوحيدة لاعز مطلوب لهم وهو الحياة الكاملة وعلى هذا الاعتبار كان خير وجوه النفع خدمة العلم وكانت اليد التي تضع حجراً في بناء العلم خير الايدي وانداها

ايها السادة اجتمعنا اليوم لتمجيد العلم وتعظيم شأنهِ ولنظهر اغتباطنا برجل منا سمت بهِ همتهُ للاحسان في خدمة العلم ولننتهزها ساعة ندخل عليهِ السرور فيها بما اجهد نفسهُ وقلل من راحتهِ ليزيد في راحتنا

ألا آن لنا كل الاغتباط بعالمنا العامل فان ذلكم الكتاب الذي وضعهُ اخيراً في شرح

القانون المدني هو على اختصارهِ من خير ما اخرج للناس في بلدنا بلغتنا العربية كتاب افاد لغة القانون وعلم القانون معاً

اما لغة القانون فان فيها كثيراً من الكلمات الاصطلاحية التي لم يؤدّها المترجمون تمام التأدية عند نقلهم العلم من الفرنساوية للعربية فمؤلفنا الجليل سد لنا جزءًا كبيراً من هذا النقص بما تخيَّر لهذه الاصطلاحات من الالفاظ العربية التي اخذ بعضها من كتب الشرع الاسلامي و بعضها وضعهُ هو بما اوتيهُ من واسع الاطلاع على مفردات اللغة العربية وحسن الذوق في الاختيار

ولقد عمدت في كتابهِ الى الكلمات الدالة على امهات الاصطلاحات فعددت منها شيئًا كثيراً . وهاكم منها بعضاً من كلٍ

كلمة Patrimoine يحار المشتغل بالقانون في التعبير عنها بالعربية فتارة يستعمل لها الفاظ « مجموع املاك الانسان » وان اختصر استعمل لها لفظ « مالية » ولكن المؤلف اختار لها لفظ الثروة وهو لفظ مفرد دال على المعنى تمام الدلالة

وكلمتا Choses fongibles & ch. non fonigbles. استعمل لها لفظ الاشياء المثالية والاشياء القيمية كالاصطلاح الشرعي وهو وضع صحيح ولغة القانون محتاجة اليهِ

وكلمتا Servitude d'aqueduc & serv. d'écoulement des eaux. استعمل لها الفاظ حق الشرب وحق المسيل رجوعًا للاصطلاح الشرعي

وكلمة Possession هذه مصطلح عليها الآن بعبارة « وضع اليد » وقد وجد المؤلف ان هذا التعبير لا دقة فيهِ وان القانون استعملهُ ايضاً ترجمة لكلمة Occupation فصار اللفظ مشتركاً محتاجاً في تخصيص معناهُ الى القرينة فعدل هو عنهُ الى لفظ مفرد ادل على المعنى وهو لفظ « اليد » ولقد احسن اختيار هذا اللفظ خصوصاً وانهُ هو المعبر بهِ في الاصطلاح الشرعي عن هذا المعنى

اما كلمة Occupation او Appropriation فانهُ ترجم لها بلفظ « الاستيلاء » ولا شك ان هذا الاختيار من اجود ما يكون فان هذا اللفظ في الدلالة على معناهُ القانوني ينبعث منهُ نفس القوة والحياة الذي ينعث من الكلمتين الفرنساويتين

وكلمة Accession ترجمها القانون بعبارة « اضافة الملحقات للملك » وفضلاً عما في هذه الترجمة من كثرة الالفاظ فانها تعبر عن السبب بالمسبب اذ الاضافة للملك هي حكم القانون بسبب الالتحاق فهي ترجمة معيبة نبذها المؤلف واستبدل بها لفظاً مفرداً هو « الالتصاق »

وهو لفظ وضعهُ اللغوي يؤدي المعنى القانوني تمام التأدية

وكلمتا Presc. extinctive, Prescription acquisitive عبر عنهما « بمضي المدة الموجب ومضي المدة السالب او المسقط » والمشتغل بالقانون كثيراً ما يحتاج للتعبير عن هذين المعنيين فلا يجد الفاظاً متفقاً عليها لتأديتهما. وهذان اللفظان « الموجب والسالب » لا بأس بهما ومتى صقلها الاستعمال قبلها الذوق بلا كلفة

وكلمة Interruption Civile عبر عنها « بالانقطاع الحكمي » وعندنا ان هذا التعبير العربي ادق من الاصطلاح الفرنساوي فان اليد لا تزول فعلاً في هذا النوع من الانقطاع بل تكون في حكم المزالة بما يتخذهُ صاحب العين من الاجراءات التي بيَّنها القانون من اجل ذلك كان لفظ « حكمي » ادل على المعنى من لفظ Civile المعبر بهِ في الاصل الفرنساوي

ومن عيوب الرضا ما يعدمهُ فيعدم العقد ومنها ما لا يعدمهُ تماماً و يعبر عن ذلك بالفرنساوي بعبارة Vices exclusifs du consentement et Vices non-exclusifs فالمؤلف وضع لذلك الفاظ « العيوب المانعة والعيوب المفسدة » وهو اختيار جيد ودقيق

وكلمة Obligation Aléatoires ترجمها « بالعهدات الاحتمالية » وكثيراً ما كان يتردد المشتغل بالقانون في ايجاد لفظ يعبر بهِ عن هذا المعنى

وكلمة Obligations facultatives ترجمها « بالتعهدات البدلية » وكأني بالمؤلف تردد كثيراً عند وضع هذا اللفظ اذ ينقصهُ معنى الاختيار الذي هو من مشخصات هذا النوع من التعهدات ولكن المدقق المنصف يرى ان هذا اللفظ اولى ما يمكن التعبير بهِ لما انهُ انفى للبس. فان ما قد يجول بالخاطر هو تسمية هذا النوع بالتعهدات الاختيارية ولكنها تسمية توجب الخلط بين مدلولها ومدلول نوعين آخرين هما التعهدات التخييرية Alternatives والتعهدات الادارية potistatives

من اجل ذلك كان ما اختارهُ المؤلف اولى و يكفي ان يكون مستنداً في التسمية الى بعض مشخصات هذا النوع وهو اعطاء شيء بدلاً من الموضوع الاصلي للتعهد

وكلمات Condition pendante, Cond. accomplie, Cond. défaillie عبر عنها بالشرط المعلق والشرط المتحقق والشرط المتخلف وكلها الفاظ دالة على المعنى تمام الدلالة

وكلمة Gestion d'affaires كثيراً ما يحار المشتغل بالقانون في التعبير عنها بالعربية وكل ما يستطيع ان يترجمها بهِ هو عبارة « ادارة اعمال الغير » ولكن المؤلف وضع لها عبارة « اعمال الفضولي » كالاصطلاح الشرعي وهو اصطلاح منطبق تماماً على المعنى بل هو ادق

بكثير من الاصطلاح الفرنساوي الذي يصدق بحسب معناهُ اللغوي على كل ادارة عمل سواء كانت من اصيل او من نائب شرعي او اختياري او من فضولي

ومن اسباب الغاء العقود اضرارها بمصلحة الدائن فهذا النوع من الالغاء سماهُ الاسترجاع وقصر لفظ الالغاء على غيرهِ من الصور وذلك لسهولة التمييز بين النوعين بحيث اصبحنا مع هذا اللفظ المفرد في غنى عن استعمال عبارة « الدعوى البولسية Action paulienne » او عبارة « الالغاء للاضرار بمصلحة الدائن »

وكلمة Eviction المستعملة في باب البيع للدلالة على استحقاق الشيء المبيع للغير عبَّر عن الضمان المستحق بسببها « بضمان درك المبيع » والدرك هو التبعة الناشئة من الحاق الشيء بالغير واستحقاقهِ لهُ وهو تعبير جيد ومستعمل في كتب الشرع الاسلامي

وسمي Louage d'industrie الاستصناع كالاصطلاح الشرعي وسمي Bail à colonat partiaire « المزارعة » كالاصطلاح الشرعي ايضاً وسمي Bail à cheptel وهو اجارة الماشية « الاجارة بالفائدة » اخذاً من حكمها

واطلق على Dépositaire لفظ « وديع » وكان من العادة التعبير عن هذا المعنى بلفظين هما « المودع لديهِ »

وترجم Depôt irrégulier « بالوديعة الناقصة »

وترجم Dépôt d'hotellerie « بالوديعة الجارية » وفي هذا اللفظ معنى التكرر وعدم الاستيثاق فلا بأس بهِ للدلالة على هذا النوع المعبر عنهُ في الفرنساوية باكثر صورهِ حدوثاً

واستعمل عبارة « رهن الحيازة » باضافة كلمة الحيازة للدلالة على معنى Gage ولعدم اللبس في العربية بين هذا النوع من الرهن وبين الرهن العقاري

ومن مختاراتهِ انهُ سمى الاملاك الموقوفة بالاموال ذات « الشبهين » لما انها تشبه الاملاك العمومية من جهة كونها غير مملوكة لاحد ومن جهة عدم جواز التصرف فيها وتشبه الملك الخاص من جهة امكان تملكها بمضي المدة وحجزها و بيعها لمن كان لهُ حق عيني ثابت عليها من قبل الوقف

الى غير ذلك من الالفاظ الاصطلاحية التي نحن في حاجة كبرى لوضعها

ولقد يخيل لمن يأخذ الامور على ظاهرها ان انتقاء مثل هذه الاصطلاحات من الهينات ولكن المارس للعلم يعرف مقدار ما يبذل من المجهود في هذا السبيل و يقدرهُ قدرهُ

هذا من جهة الاصطلاحات

واما من جهة العلم فالمطلع يرى اولاً ان لهُ انتقادات صحيحة على كثير من مواد القانون وثانيًا ان لهُ كثيراً من الآراء الشخصية والمناقشة في رأي الغير

فاما الانتقاد على مواد القانون فان قلةُ السيال تناول هذه المواد فاظهر ما فيها من خطإ الترجمة او الحشو او النقص الموجبين للابهام والتعقيد والحيرة في تعرُّف المراد

فمن خطإ الترجمة مثلاً ان المادة ٦٥ الخاصة بالغراس او البناء في ملك الغير ورد في اصلها الفرنساوي ما يفيد انهُ في صورة ما اذا كان الباني او الغارس سيء النية واختار صاحب الارض ابقاء ما استحدث بها فيكون مخيراً بين دفع قيمة الغراس او البناء en état de démolition فالنص العربي ترجم هذه العبارة بقولهِ « مستحق القلع » وهو خطأ فالمؤلف لاحظ على ذلك ووضع الترجمة الصحيحة وهي « مقلوعًا »

ومن ذلك ان المادة ٨٨ الخاصة بصور زوال الملكية بدون اختيار صاحبها ورد نص الصورة الاولى منها هكذا : « اذا كانت الملكية قد انتقلت لغيرهِ بسبب من الاسباب الموضحة آنفًا » ولما ان تلك الاسباب منها ما هو اختياري ومنها ما ليس اختياريًا فهذا النص عام متعارض مع صدر المادة و بينهما تنافر شديد . هذا التنافر لم يحدث الاَّ من عيب الترجمة فان الاصل الفرنساوي هكذا Dans le cas ou il vient d'être expliqué qu'elle est acquise à un tiers.

وترجمتهُ « اذا كانت الملكية قد اكتسبت لغيرهِ في الحالة الموضحة آنفًا »

وهذه الحالة هي حالة الاكتساب بمضي المدة وهو اكتساب لا اختيار للمالك الاصلي فيهِ فالمؤلف لاحظ ذلك وصحح الترجمة بما يزيل التعقيد

ومنهُ ان نص المادة ١٠٧ ورد في الاصل الفرنساوي على شكل تعريف لتضامن الدائنين اما النص العربي فاتى على شكل حكم لهذا التضامن وهذا من العيوب التي تفسد مراد الشارع فالمؤلف ترجم النص على اصلهِ

ومن الحشو في الترجمة ما ورد بالمادة «١٥٨» الخاصة باسباب انقضاء التعهدات والالتزامات فان الاصل الفرنساوي اورد السببين الاولين هكذا L'execution و La resolution ولكن النص العربي لم يكتفِ بكلمة « الوفا » و بكلمة « فسخ العقد » بل اضاف للاولى كلمة بالمتعهد بهِ بحيث صار هذا الحشو موهمًا ان كل ما لم يحصل التعهد بهِ اختياراً خارج من كل احكام الوفاء — ثم اضاف للكلمة الثانية التعهد فصارت « فسخ عقد التعهد » وهذا الحشو ايضًا صار موهمًا ان هناك عقداً غير عقد التعهد فضلاً عن استهجان الوصف في ذاتهِ فالمؤلف لاحظ ذلك ورد النص لاصل بساطتهِ التي شوهها التزايد

ومن امثلة الحشو والتعقيد او القصور ما ورد بجملة مواد في باب استبدال الدين بغيرهِ وفي باب المقاصة وباب انواع الدائنين وغير ذلك . وقد اورد المؤلف وجه انتقادهِ على عبارة القانون في ذلك وردّ في بيانهِ الحقيقة القانونية لاصل جوهرها كما هي مرادة للشارع غير متعلق بظاهر الالفاظ عربية او فرنساوية . ولا يسع المقام تفصيل ما اوردهُ في ذلك ونحن خشية الاملال نكتفي بذكر نمر بعض المواد الاخرى التي تناولها بالنقد للاسباب المذكورة كلها او بعضها وها هي

٦ في باب انواع الاموال

٩٢ و١٠٣ و١١٣ و١١٨ في التعهدات على العموم

١٦٠ و١٦١ في فصل الوفاء

١٨٠ في فصل الابراء من الدين

١٨٦ و١٨٧ و١٨٩ في استبدال الدين بغيرهِ

١٩٢ و١٩٤ و١٩٦ في فصل المقاصة

٢٢٦ في باب اثبات الديون وهي المادة الخاصة بقوة المحررات الرسمية

٣٠٢ في باب البيع

٥٥٤ و٥٥٥ و٥٥٦ في كتاب حقوق الدائنين

٢٤٥ مرافعات في الكشف على الاعيان الثابتة

ومن ادق ما يكون انتقادهُ على عنوان الفصل السابع من باب البيع وهو « الحوالة بالديون وبيع مجرد الحقوق بالنسبة لغير المتعاقدين » وقد اعتاض هو عن هذا العنوان بعنوان آخر هو « في بيع الدين والمزاعم وفي التخارج » ولا يسعنا في بيان وجه انتقادهِ سوى ايراد عبارتهِ بنصها :

« عنون القانون هذا القسم من البيع هكذا (في الحوالة بالدين وبيع مجرد الحقوق »
« بالنسبة لغير المتعاقدين) وهي عبارة ممسوخة من اصل فرنساوي هو (في حوالة الديون »
« وغيرها من الحقوق المعنوية) والعبارة الفرنساوية منتقدة عندهم لكونها تؤْذن بأن من »
« الحقوق ما هو مادي وذلك محال ومع ذلك نقل القانون المصري العبارة الفرنساوية كما »
« هي واضاف عليها قولهُ (بالنسبة لغير المتعاقدين) بعد ان ترجم الحقوق المعنوية بقولهِ »
« (مجرد الحقوق) فجاء كلامهُ خليطاً غير مفهوم والفصل معقود لبيع الديون والتخارج »
« والحقوق المشكوك فيها وعلى الاخص المتنازع فيها ولذلك اخذنا العنوان الجديد والبحث »

« فيهِ يدور حول المتعاقدين وغيرهم خلافاً لمدلول النص وان كان اهتمامهُ بالحال عليهِ وهو »
« غير المتعاقدين اكثر »

واما آراؤهُ الشخصية في المسائل الخلافية فمنها

اولاً ان العرض الحقيقي في الشفعة غير لازم وانهُ يكفي عرض الاستعداد لدفع الثمن مع ملحقاتهِ القانونية

ثانياً يرى ان حق الاسترداد الوارد بالمادة ٤٦٢ مدني هو غير حق الشفعة

ثالثاً لهُ رأي خاص في تفسير المادتين ١١٣ و ٢٠١ المتعلقتين بالمقاصة عند التضامن فان الاولى منهما لا تجعل للمدين المتضامن حق التمسك بالمقاصة الحاصلة بين احد شركائهِ في الدين وبين الدائنين والثانية تجعل لهُ هذا الحق بقدر حصة شريكهِ فبين النصين تخالف تام. وقد وجد المؤلف ان حضرة العلامة المسيو دوهلس حاول التوفيق بين النصين وخرج بعد بيان مطول الى ان النص الاول عام والثاني خاص مقيد لهُ اي ان المدين لا يمكنهُ الدفع بالمقاصة في كل الدين متى كانت حاصلة فيهِ كلهِ بل لهُ الدفع بسقوط ما يساوي حصة شريكهِ الحاصلة معهُ المقاصة فقط — ولكن المؤلف رد على المسيو دوهلس وبين ان نص المادة ١١٣ هو بحسب وضعهِ مطلق يمنع الاحتجاج بالمقاصة بتاتاً سواء في كل الدين او في حصة الشريك الحاصلة معهُ المقاصة ولا يحتمل التقييد ولا التوفيق بينهُ و بين نص المادة ٢٠١ ثم رأى هو قطعياً ان نص المادة ٢٠١ هو وحدهُ المعوَّل عليهِ وانهُ ناسخ لعبارة المادة ١١٣ وقد قام الدليل المقنع على صحة نظرهِ

رابعاً لهُ رأي خاص في المواد ١٥٤ وما بعدها الخاصة بنفقات الاقارب والازواج وظاهر عبارتهِ ان يجعلها جميعاً من اختصاص المحاكم الاهلية لا يستثني من ذلك الاَّ صورة النفقات بين الازواج في حالة ما اذا كان لمن تجب عليهِ النفقة وجه شرعي في عدم ادائها ففي هذه الحالة يجعلها من اختصاص المحكمة الشرعية تطبيقاً للمادة ١٦ من لائحة ترتيب المحاكم

خامساً يرى ان المادتين ٢٩٧ و ٢٩٨ المقررتين ان هلاك المبيع او تلفهُ قبل التسليم يقع على البائع ليستا مقررتين لحكم عام كما هو المتبادر منهما بل خاصتان ببيع غير المعين كالمقدرات من موزونات ومكيلات وعدديات ومقيسات ذلك البيع الذي لا تنتقل المليكة فيهِ بمجرد الايجاب والقبول بل لا بد لانتقالها من التعيين اللاحق الذي يحصل بالوزن او الكيل او العدد او القياس فعلاً. واما بيع الاعيان المعينة الموصوفة التي تنتقل ملكيتها بمجرد الايجاب والقبول فخارج عن حكم هاتين المادتين وقد دل على ذلك بما لا غاية بعدهُ لمزيد

سادساً في باب القسمة خالف رأي العلامة الموسيو دوهلي القائل بان قسمة التركات من اختصاص المحاكم الشرعية الاهلية كما خالف رأيهُ القائل بأنهُ في قسمة الشركات تكون محكمة محل العقار هي المختصة دون محكمة مركز الشركة وقد اورد الدليل على احقيتهِ في هذه المخالفة

ايها السادة

ذلكم بعض من كل من آثار تلك الملكة الفائقة وليس ما قدمتهُ من نماذج آثارها هو وحدهُ الذي يبهر المطلع على الكتاب بل ان هناك اموراً ثلاثة لم يسبقهُ احد في بلدنا اليها:— جمع شتات ما يندرج في موضوعات القانون المدني ثم ترتيب التأليف ترتيباً معقولاً ثم متانة اسلوب التعبير

فاما الامر الاول فان المؤلف وجد ان قانوننا المدني أبتر اذ تكلم على الاموال وعلاقتها بالاشخاص وترك الاشخاص انفسهم فلم يتكلم عليهم. وجد ذلك فوضع في اول الكتاب جزءاً عظيماً تكلم فيهِ عن الاشخاص وقد تتبع احوال الانسان من مولدهِ الى وفاتهِ فبين كيفية اثبات الميلاد والوفاة وشرح قانون ١١ اغسطس سنة ٩١٢ الخاص بذلك وبين كيفية اثبات الزواج والطلاق والوراثة وبيَّن الموطن وانواعهُ والصورة التي يكون للانسان فيها مواطن متعددة تصح مقاضاتهُ في كل منها وتكلم على الاهلية وانواعها وعلى الولايتين الشرعية والحسبية وبيَّن اختصاص المجالس الحسبية وتكلم على المفقود واحكامهِ وقد رجع في كل ما دونهُ الى الشريعة الاسلامية والقوانين واللوائح النظامية المعمول بها — وبعد ان اتم كلامهُ على الشخص الحقيقي وهو الانسان تكلم على الشخص الاعتباري وكيف يوجد

هذا الجزء الذي ابتكرهُ في كتابهِ مما يسهل الامر على المشتغلين بالقانون اذ هم يحتاجون في كثير من الظروف لمراجعة بعض مسائل الاحوال الشخصية فيجدونها مشتتة في كتب متفرقة يضيع وقتهم في البحث عنها والالمام بها بالسهولة فلا شك اذاً انهُ من افيد الاعمال

واما الامر الثاني وهو ما أتى بهِ من حسن الترتيب فانهُ نظر الى كتاب التعهدات مثلاً فوجد القانون قسمهُ اربعة ابواب التعهدات على العموم والتعهدات المرتبة على توافق المتعاقدين والتعهدات المترتبة على الافعال والالتزامات التي يوجبها القانون. ثم وجد ان الباب الاول لا يشمل كل القواعد العامة للتعهدات كما يفهم من عنوانهِ بل بعض هذه القواعد منتثر في الباب الثاني. فخالف هو ترتيب القانون وقسم الموضوع ثلاثة اقسام التعهدات والالتزامات التي يوجبها القانون والالتزامات التي تترتب على الافعال قاصراً لفظ التعهدات

على ما يترتب على توافق المتعاقدين واللفظ نفسهُ تفيد مادتهُ وصيغتهُ معنى الاختيار الذي هو روح التوافق واما لفظ الالتزامات فجعلهُ للقسمين الاخرين ثم قدم ما يوجبهُ القانون على ما يترتب على الافعال لان الاول اجباري يقابل التعهد الاختياري واما الثاني فمشترك بين الامرين ولا شك ان هذا التقسيم والترتيب اكثر من طريقة القانون موافقة للمعقول

كذلك نظر في « العقود المعينة » التي اوردها القانون تحت هذا العنوان وعددها احد عشر فوجد منها ثلاثة وهي الكفالة والرهن والغاروقة انما هي عقود تبعية تحصل تأميناً لعقود أُخرى اصلية فاتخذ عنوان « العقود المعينة والتأمينات » بدل عنوان القانون ثم قسمهُ فجعل عنوان (العقود المعينة) شاملاً للثمانية العقود الاولى فقط واما الثلاثة الاخرى فجعلها تحت عنوان (التأمينات) الذي يشملها هي وغيرها من انواع التأمينات القانونية

على انهُ خالف ترتيب القانون ايضاً في الكلام على الثمانية العقود المعينة فوضع كلاً منها في موضعهِ المناسب له لاسباب معقولة بيّنها

وكذلك وجد ان القانون شتت الاول فذكر قسماً منها ضمن كتاب التعهدات تحت عنوان (اثبات الديون واثبات التخلص منها) بالمواد ٢١٤ الى ٢٣٤ وذكر قسماً آخر في كتاب حقوق الدائنين تحت عنوان « اثبات الحقوق العينية » بالمواد ٦٠٦ الى ٦٢١ واردف هذا القسم بباب خاص بدفاتر التسجيل

وجد المؤلف هذا التشتت فجمع كل الادلة في قسم على حدتهِ هو القسم الاخير من كتابهِ ورتبها ابواباً وفصولاً ومباحث بحسب اللزوم العقلي شأنهُ في كل قسم من باقي اقسام الكتاب

و بعد تمام الكتاب وضع له فهارس مستوفاة على الطريقة الافرنجية الاول فهرست لاقسام الكتاب حوى جميع رؤوس مطالبهِ على حسب اصل الوضع بالتسلسل من البداية للنهاية بحيث ان من يطلع عليهِ يمكنهُ ان يعلم كافة المباحث الجزئية التي تكلم عليها المؤلف في كل موضوع كلي

والثاني فهرست هجائي يشمل كافة المفردات الاصطلاحية المستعملة في الكتاب مرتبة على حروف الهجاء ومذكوراً ازاء كل منها جميع المواضع التي حصل فيها الكلام عليها مع بيان الصحف الوارد فيها هذا الكلام . ولا يخفى ان مثل هذا الفهرست من اشق الاعمال وانفعها معاً — والثالث فهرست يشمل مواد القانون المدني مادة مادة بالتتابع مع بيان الصحائف التي حصل الكلام فيها على كل مادة منها — ويتلوهُ فهارس صغيرة اخرى بعضها يشمل على

الطريقة المذكورة ما حصل الكلام عليهِ في الكتاب من مواد القوانين الاهلية الاخرى المرافعات والتجارة والعقوبات وتحقيق الجنايات وكذلك لائحة ترتيب المحاكم الشرعية و يتبع ذلك فهرست شامل لما عدا القوانين الاهلية من القوانين واللوائح المختلفة التي ورد ذكرها في الكتاب مع بيان الصحف المتكلم عليها فيها

بهذه الفهارس يتيسر لكل مستطلع ان يعثر على موطن طلبتهِ في الكتاب بغاية السهولة

اما الامر الثالث وهو اسلوب التعبير فانهُ من النوع الجزل المتين وقد سبق ان تلوت منهُ نموذجاً وها كم نموذجين آخرين تعرفون منهما مكانة هذا الاسلوب من الرقي

عند كلامهِ على الادلة قدم جملة ملحوظات قال في الرابعة منها بصحيفة ٣٨٩ ما نصهُ حرفياً

« القاضي حكَم عدل بين الطرفين يزن حجة كل منهما ويفصل في الخصومة بترجيح »
« احدى الحجتين وليس لهُ ان يحكم بعلمهِ الخاص لانهُ ليس شاهداً في الخصومة. بهذا المبدإِ »
« أَمِن الناس تطرف القضاة في احكامهم وحيدتهم عن الحق سهواً او عمداً وتساوى »
« الخصمان امام القضاء فالدعوى سجال بينهما يحج الواحد منهما غريمهُ بما يسر لهُ القانون »
« من وسائل الاثبات وطرق الاقناع والقضاء ميزان ترجح احدى كفتيهِ على الاخرى بما »
« يثقلها من ادلة احدهما »

وعند كلامهِ في صحيفة ٢٢٣ على العقود المعينة بيَّن انها لا يلزم ان يكون عددها محصوراً لا يزيد بل كلما ادت حركة رقي المعاملات الى الف نوع جديد منها فالشارع يتناولهُ وينظم لهُ قواعد مطابقة لما درج عليهِ القوم وصار امراً معروفاً ثم قال بالحرف الواحد :

« لولا هذا التدبير لاضطرت الامة الى الوقوف في معاملاتها عند الحد المرسوم في »
« قانون وضعهُ قوم باعتبار احوالهم وما كان جارياً في زمانهم ولزلت قدمها عن التقدم الى »
« الامام وانطفأ فيها نور الافكار فلا ترى المستقبل الاَّ بمرآة الماضي واذا جاءها نبأ شيء »
« جديد من دواعي التقدم وادركت فوائدهُ اهتزت مكانها الجمود يقعدها عن الحركة »
« والحقيقة الجديدة تجذبها وهكذا يضيع زمانها في التردد بينما تكون الامم الاخرى قد »
« سبقتها فاستفادت من الامر الجديد قوة في نظاماتها واحكاماً في منافعها وخبرة تجري »
« بها الى غيرها فتعتز وتسود »

« من هذا الباب المفتوح دخل الشخص الاعتباري الذي اظهر مكنونات الثروة وفجر »
« ينابيع الاموال وافاضها على الامم في مشارق الارض ومغاربها وتبعهُ التأمين على »
« الانفس والاموال وشركات المساهمة والملكية المعنوية وعقود النقابات وجمعيات التعاون »

« وكلها عقود جدت بجد الامم الخالصة من القيود في طلب منافعها وقد الحقت هذه »
« الاوضاع الجديدة بالقوانين المشروعة فصارت كالبيع والاجارة والقرض والوديعة ونحن »
« لا نزال في ضيق الاجارتين والاختناق بين الجدار والجدك والتطلع الى ملك الخلو»
« وارض الله واسعة »

ايها السادة

ذلك ما يسع الوقت بيانهُ من مزايا موّلف فتحي باشا زغلول ولست ادعي انهُ يشفي علة كل صادٍ فان المؤلف نفسهُ يبرأ من هذه الدعوى وانما الذي ادعيهِ بحق ان هذا الكتاب بوصف كونهِ شرحًا عربيًا مختصراً للقانون المدني هو فريد في نوعهِ بل ان اي مختصر في حجمهِ من الشروح الفرنسوية لا يجمع بين دفتيهِ ما جمع هو من القواعد والآراء وحسن التأليف والترتيب

اذا كان النظر لموضوع الكتاب في ذاتهِ يدل على قدرة المؤلف وعلو مكانتهِ فان النظر للظروف التي وقع فيها التأليف يدل على التفوق العجيب . رجل لهُ وظيفة رسمية تشغلهُ اعباؤُها معظم النهار وقد تسهدهُ طرفًا من الليل وليس هو ممن يحسدون على الصحة فان اصاب بعض الفراغ من عملهِ فنفسهُ اولى بهِ لراحة جسمهِ المكدود . كيف يجد الرجل الوقت لهذا العمل الاضافي ؟ وكيف يجد القوة للصبر على مضضهِ ؟ هذا ما يتساءل عنهُ كل من يعرفهُ . والجواب عندي انها قوة ارادة وتوقد ذكاء خصهُ الله بهما فكان من شأنهِ انهُ متى اتجه فكرهُ لعمل نهض اليهِ فقطع مراحلهُ باسرع ما يكون لا يثنيهِ ضعف الصحة ولا يقعدهُ ضيق الوقت وهذا ما يجعل فتحي باشا بيننا من الاعلام المتفوقين

يا سعادة الباشا ان كان من حق العلم على الناس وجوب الخضوع لهُ والتسليم فانت خادمهُ المحسن المتفوق ومن حقك على الامة المصرية كمال الاحترام والتكريم

خطبة الدكتور صرُّوف محرر هذه المجلة

ايها السادة

ان اللجنة التي تألفت لهذا الاحتفال اولتني شرفًا عظيمًا بانتدابها اياي للانضمام اليها وللاعراب عما تكنهُ ضمائرنا كلنا من الاحترام للمحتفل بهِ ولاسيما من حيث كونهُ كاتبًا اجتماعيًا افاد بلادهُ بما الفهُ وترجمهُ في علم الاجتماع فوق ما الفهُ وترجمهُ في علم القانون

على ان هذا الاحتفال الذي اقمناهُ اليوم واعلنَّا عنهُ منذ اسبوعين او ثلاثة كان يجب

ان نعلن عنهُ منذ شهرين او بضعة اشهر ولو فعلنا لجاءَتنا الوفود من الشام والعراق وتونس والجزائر ومن كل مكان تقرأ فيهِ العربية وشاركتنا في اسداء الشكر الى المحتفل بهِ · ولرأيتم في مجتمعنا هذا ما يثير العواطف ويثبت لفتحي باشا ان قد صار بين قراء العربية تضامن اكثر مما ظن منذ اربع عشرة سنة يوم كتب مقدمة سر تقدم الانكليز · وصار بينهم اشتراك في العواطف اكثر مما قدَّر ورغبة في مطالعة الاقوال المفيدة والمواضيع الهامة اشد مما كان حينئذٍ · اقول ذلك لا رجماً بالغيب ولا استدراجاً الى مدح المحتفل بهِ بل اقولهُ تقريراً للواقع لان عندي مجسّاً لنبض القراء اعلم منهُ مقدار النهضة الادبية التي جعلت تتزايد على نسبة هندسية حتى صرنا نخشى ان ننقطع الى طلب الادبيات ونهمل الماديات مع ان طلب هذه مقدم على طلب تلك كما قدِّم علم الابدان على علم الاديان

وكان يجب ان نقيم هذا الاحتفال منذ اربع عشرة سنة اي حينما اخرج لنا النابغة الذي نحتفل الآن بتكريمهِ كتاب سر تقدم الانكليز · ولو اقمناهُ حينئذٍ لاشركنا فيهِ ذلك النابغة الاخر الذي نتطلع علينا نفسهُ الآن من العالم الباقي — لاشركنا فيهِ صاحب كتاب تحرير المرأة الذي فاتنا ان نحتفل بهِ حيًّا فاحتفلنا بهِ ميتاً

بل كان يجب ان نقيم هذا الاحتفال منذ عشرين سنة حينما اخرج نابغتنا كتاب اصول الشرائع لبنثام واری ابناء العربية ان عند الاوربيين كنوزاً ثمينة يجب الاطلاع عليها وان الامم متضامنة تستفيد كل امة من عقل غيرها واختبارهِ · كذا فعل اليونان لما طلبوا العلم في مصر والشام والعراق وكذا فعل العرب لما ترجموا كتب اليونان وشرحوها ونسجوا على منوالها وكذا فعل الاوربيون لما ترجموا كتب العرب الطبية والفلسفية واعتمدوا عليها في مدارسهم

اما كتاب اصول الشرائع هذا وسائر كتب المؤَلف القانونية ولاسيما كتابهُ الاخير شرح القانون المدني فقد تكلم عليها ابن بجدتها رجل من كبار رجال القانون وانا منتدب للكلام على كتاباتهِ المتعلقة بعلم الاجتماع كأَن الذين ندبوني لذلك حسبوا اني لطول عهدي في خدمة العلوم الطبيعية والاجتماعية يسهل عليَّ ان اقدُرَ المحتفل بهِ قدرهُ من هذا القبيل

سادتي ان تكريم المؤَلفين والمترجمين على اسلوب علَني عمومي مثل هذا حديث العهد في هذا القطر لم نعنَ بهِ الاَّ منذ تسع سنوات حينما احتفلنا بمترجم الالياذة · واما قبل ذلك فكنا نكِل التكريم الى الحاكم حتى يجيز المؤَلف بجائزة مالية او وسام شرف كما كنا نفعل في كل امورنا من الاعتماد فيها كلها على الحاكم والحكومة · وقد اشار المحتفَل بهِ الى هذا الاعتماد

اشارة بليغة في المقدمة التي قدمها لكتاب سر تقدم الانكليز حيث قال – « ضعفنا حتى اصبحنا نرجو كل شيء من الحكومة فهي التي نطالبها بحفظ حياتنا وخصب ارضنا وترويج تجارتنا وتحسين صناعتنا . هي التي نطلب منها ان تربي الابناء ونطعم الفقراء ونرزق العجزة وتنفي اسباب البطالة وتحفظ الاخلاق وتلم شعث العائلات وتجمع اشتات القلوب . هي التي نطالبها بتعويض ما نقص من ارادتنا وتقويم ما اعوجَّ من سيرنا وسيرتنا ورد هجمات المزاحمين عنا بالسهر على مصالح كل واحد منا . واذا تأخرنا في عمل من تلك الاعمال باهمالنا رميناها بسوء الادارة واتهمناها بحب الاثرة والقينا عليها تبعة خمولنا كلها »

هذا ما قالهُ نابغتنا منذ اربع عشرة سنة ولا بدَّ من ان يُسَر الآن اذا رأى ان الامَّة قد عرفت ما يطلب منها واعتمدت على نفسها ولو في هذا الامر واظهرت اكرامها لمن تريد اكرامهُ مباشرة من غير واسطة الحكومة . ولا يبعد ان يكون عملها هذا ثمرة من ثمار تنديده الذي اشرت اليهِ ولو لم يخطر ببالهِ حينما كتبهُ ان ثمارهُ تينع بهذه السرعة ويكون هو اول مَن يخصُّ بها

هذا ولنعد الى سر تقدم الانكليز. يخال لي ان كل الذين طالعوا هذا الكتاب يوافقونني على انهُ من انفس الكتب التي ترجمت الى العربية في علم الاجتماع العملي . وهو لرجل فرنسوي اعجب باخلاق الانكليز وارتقائهم فالَّفهُ لكي يغري قومهُ الفرنسويين بالتشبه بهم والنسج على منوالهم . وكأنَّ المحتفَل بهِ قال في نفسهِ حينما قرأ هذا الكتاب إنهُ ان كانت الامَّة الفرنسوية على علو كعبها وتفوقها في العلوم والفنون والزراعة والصناعة والتجارة لا تزال محتاجة الى التشبه بالامَّة الانكليزية فاحرِ بنا نحن المشارقة ان نغرَى بهذا التشبه ونحث عليهِ بكل واسطة . وشعار فتحي باشا كما يعلم عارفوهُ العمل على اثر القول اخذاً بقول الشاعر

ان قلتَ ويحك فافعل ايها الرجلُ   لا يصدق القول حتى يشهد العملُ

فترجم الكتاب الى العربية كما فعل غيرهُ من الفضلاء الذين ترجموهُ الى لغاتهم فاحرز عندنا منزلة قلَّما نالها كتاب ادبي اجتماعي قبلهُ لانهُ طُبع ثلاثاً حتى الآن

يظهر لي ان عقل النابغة الذي نحتفل باكرامهِ الآن يشتغل دائمًا بامور الاجتماع لان اشغال منصبهِ تدعوهُ الى الاهتمام بمصالح الناس الاجتماعية فيرى انهُ يمكن ارجاعها الى مبادئ اساسية وقواعد عمومية لو جمعت وبُوبت ونُشرت لافادت افادة كبيرة . وبينما هو يفكر في ذلك يقع لهُ كتاب نفيس يبحث في هذا الموضوع فيربأ بنفسهِ ان يستأثر بفائدتهِ او ان يلخصهُ وينتحلهُ او ان يؤَلف كتاباً على منوالهِ ويهمل اسم مؤَلفهِ انكاراً لفضلهِ . ولا يرى

حطة من شأنهِ ان يترجم الكتاب ترجمة ويعترف بفضل مؤلفهِ اعترافاً صريحاً . ولكن المعاني التي تكون قد جالت في خاطرهِ تساورهُ ليل نهار فلا يستطيع الآن يفرغها في قوالب الالفاظ فتأتي مقدمة للترجمة . وكم من مقدمة لهُ جمعت فأوعت واوجزت فاعجزت حتى لقد تفضل على الكتاب نفسهِ

عرّف بعضهم المقدمة بانها الجزء الذي لا يقرأُ من الكتاب . ولعلَّ كثيرين منكم يميلون الى هذا التعريف . اما المقدمات التي ينشئها المحتفل بهِ فقد تكون ابلغ من الكتاب الذي يترجمهُ وقد تزيد عليهِ بما يضمنها من آرائهِ السديدة وجوامع كلمهِ . اليكم شذوراً من المقدمة التي قدمها لهذا الكتاب قال « غرضي من ترجمة هذا الكتاب تنبيه الافكار الى حالتنا التي نحن فيها ومقارنتها بحالة الامة الفرنساوية لنوقن بعد علمنا بما هي عليهِ من التقدم والعمران وبما بلغتهُ من الدرجات الرفيعة في العلم والحضارة والعرفان انها اذا احتاجت وهي على تلك الاحوال الى اصلاح شؤُونها لتضارع غيرها من الامم فنحن احوج منها الى التعليم واشد افتقاراً الى التربية واعوز الناس الى الاشتغال بما ينفعنا في هذه الحياة . كما اقصد الفات الاذهان الى ان الزمان يمر بالاقوال والامة لا تحيي الأ بصالح الاعمال واننا اولى الامم بالجد في تحصيل سعادتنا . فبقدر التأخر ينبغي شد العزائم وتقوية الهمم وادامة السهر في العمل حتى نفوز بحظنا من هذه الدنيا

« اريد ان تميل الافكار الى اطالة النظر في احوال الامة الانكليزية التي تحتلُّ البلاد والى ان عمَّال الاحتلال هم قوم من ذلك الجنس الذي أُلِّف هذا الكتاب لبيان السر في تقدمهِ وسيادتهِ في الوجود . وهم ما داموا في بلادنا يجب علينا ان نقارن بين احوالهم واحوالنا وعاداتهم وعاداتنا ومعارفهم ومعارفنا وهمتهم وهمتنا وحركتهم وحركتنا واقتدارهم واقتدارنا وكفاءتهم وكفاءتنا وحَوْلهم وحولنا وثروتهم وثروتنا . يجب علينا ان نقارن بين هذا كلهِ وبين ذلك كلهِ لاننا مضطرون الى معاشرتهم ومعاملتهم والاحتكاك معهم في جميع امورنا حتى اذا صح نظرنا وعرفنا الامر على حقيقتهِ وتشبَّعت نفوسنا بما هو واقع لا بما نتخيلهُ من غير تبصُّر وروية اهتدينا الى واجبنا القومي وعلمنا إنْ كان مجرد القول يجدينا نفعاً وهل الاجدر بنا دوام الاسترسال مع الاماني التي لا مرجع لها من عملنا وكدّنا ام اطالة التفكير في الحوادث التي تجري علينا لنميز الصالح لنا من الضار بنا ولنقصد باب النجاة فندخل منهُ ولا نبتغي عنهُ من ذلك الخيال بديلاً

« غرضي من ترجمة هذا الكتاب ان يكون مرآةً يرى القراء فيها امتين عظيمتين ودولتين

نجمتين تتنازعان اقسام الوجود قد سبقت احداهما الاخرى فلما رأَت هذه تأَخُّرَها جعلت تفكّر في اسباب تلك الافضلية وقام العقلاء فيها وارباب الاقلام يخبرونها باسباب ضعفها ويُرشدونها الى سبل الاصلاح فلم تنفر من هذا النداء بل اجابت الدعوة شاكرة مرشديها وثارت مذعورة في طلب الكمال والتشبه بجارتها . واخلق بنا ان نتعظ باعظم منا ونتمثل بمن بيننا و بينهُ في العلم والتهذيب والقوة والسلطان والهمة والاقدام ما بين الارض والسماء . ثم نأسف على زمن قضيناهُ في التمني وننفض عنا غبار الاوهام ونلتمس اصلاح شؤُوننا بانفسنا ولا نحجم عن سلوك طريق الكد والعمل فهو الذي فيهِ الحياة ودونهُ الموت الصحيح »

وكتاب مصر نقدم الانكليز على ما وصف المحتفل بهِ فقد خدم قراء العربية بنقلهِ اليها و بهذه المقدمة التي قدمها لهُ خدمة لا بد وان يكون لها اثر صالح فينا وفي اولادنا . وكتبهُ الاخرى ترمي كلها الى هذا الغرض النبيل ألا وهو انهاض همم الشرقيين واغراؤُهم بمجاراة اعظم الامم واغناها واقواها . واننا باحتفالنا بهِ انما نعرب عن شكرنا لهُ لما اسداهُ الينا من المعروف

رب قائل يقول انك مبالغ في ما تنسبهُ الى الكتب من الفضل او من التأثير في احوال الناس . لا يا سادتي لست مبالغًا فكم من كتاب غيَّر احوال اناس كثيرين او امم عديدة او غيَّر احوال المسكونة كلها . روى احد الثقات قال.— كنت مسافراً في الولايات المتحدة الاميركية فمررت بقرية صغيرة ودخلت خانًا فيها على قارعة الطريق لاستريح فرأيت فيهِ امرأة مكبة على كتاب تنسخهُ . تطلعت فاذا الكتاب مطبوع وهو المعنون (بالنهوض والارتقاء) فاستغربت اهتمامها بنسخهِ وسألتها في ذلك فقالت انها تنسخهُ لانها فقيرة لا تستطيع ابتياعهُ . واتفق انهُ كان معي نسخة منهُ فاهديتها اليها فقبلتها مني شاكرة . وبعد سنين كثيرة مررت بتلك القرية ولما وصلت الى ذلك الخان تذكرت المرأة التي اعطيتها الكتاب وسألت عنها فارشدني الذي سألتهُ الى بيت كبير مبني على اكمة تظهر عليهِ امارات النعمة وقال ان ذلك البيت بيتها وهي التي بنتهُ . فدهشت من ذلك وقصدتها وذكَّرتها بنفسي فاقبلت عليَّ وكلها ألسنة شكر وقالت ان ذلك الكتاب هو سبب نعمتها

وعلى ذكر الولايات المتحدة اقول انها انقسمت منذ خمسين سنة الى قسمين اشتبكا في حرب طاحنة لاجل تحرير العبيد . ورُبما لم يبلغ الكثيرين منكم ان سبب تلك الحرب وتحرير العبيد او السبب الاكبر لها قصة وضعتها امرأة ووصفت فيها ما يعانيهِ العبيد من ضروب العذاب في البلاد الاميركية . وصفت حوادث حقيقية وصفًا يثير العواطف ويحرك الجماد

فاقامت البلاد واقعدتها . وكان اكثر العبيد في الولايات الجنوبية حيث يستخدمون في الاعمال الزراعية فثار اهالي الولايات الشمالية وطلبوا من اهالي الولايات الجنوبية ان يحرروا عبيدهم ولما لم يجيبوهم الى طلبهم نشبت بين الفريقين حرب عوان انتهت بتغلُّب الشمال على الجنوب وتحرير العبيد والفضل الاكبر في تحريرهم لتلك القصة

من لا يعرف اسم الاسكندر المكدوني الذي استولى على آسيا الصغرى ومصر والشام والعراق وفارس والهند وبخارى وسمرقند وغلّب الغرب على الشرق اول مرة في تاريخ الانسان . من لا يعرف اسم ذلك الفاتح العظيم اسكندر ذي القرنين . ولكن قد لا يخطر على بالكم ان الذي بثَّ في نفسهِ البسالة وطلب المعالي هو الياذة هوميروس . فانها كانت سميرهُ وسمرهُ في نهارهِ وليلهِ يطالعها دواماً ويعجب ببسالة ابطالها ويضعها الى جانب وسادتهِ حينما ينام هي وسيفهُ . ويوليوس قيصر اشهر قواد الرومان واكبر قياصرتهم كانت قدوتهُ التي تحدَّاها سيرة الاسكندر المكدوني . والسلطان سليم العثماني الذي تغلب على الفرس واستولى على مصر والشام وضمها الى الممالك العثمانية كان يقرأ سيرة يوليوس قيصر ويعجب بافعالهِ ويتحداها . فالياذة هوميروس وسيرة الاسكندر وسيرة قيصر اوجدت ثلاثة من اكبر الفاتحين واعظم الرجال الذين غيروا احوال البشر

فلا يحسبنَّ مؤلفو الكتب النفيسة ومترجموها انها تذهب صرخة في واد اذا لم يروا الاقبال كثيراً عليها ولا ييأسوا اذا لم ترُج بضاعتها او اذا لم يروا منها نفعاً عاجلاً . وقد لا ينال اصحاب هذه الكتب فائدة مادية منها ولكنهم ينالون ما هو اثمن من ذلك عند اهل الحقيقة ينالون الاسم الطيب والشهرة الواسعة

قلت ان الاسكندر المكدوني كان اعظم القواد الذين نبغوا في العصور الغابرة ولكن لا يذكر اسمهُ الآن مرة حتى يذكر اسم معلمهِ ارسطوطاليس صاحب كتاب المنطق عشر مرات وهو لم يستفد مالاً من كتابهِ . وبطليموس صاحب مصر كان من اعظم قواد الاسكندر وانشأ دولة عظيمة في هذا القطر فاخرت دول الارض ولكن لا يذكر اسمهُ مرة حتى يذكر اسم بطليموس صاحب كتاب المجسطي في الفلك عشرين مرة وهو ايضاً لم يستفد شيئاً مادياً من كتابهِ . وقيسوا على ذلك اقليدس صاحب كتاب الاصول في الهندسة وابن سينا صاحب كتاب القانون في الطب واسحق نيوتن صاحب كتاب المبادىء في التعاليم وداروين صاحب كتاب اصل الانواع فان كان واحد من هؤلاء حي خالد بكتبهِ ولو لم يستفد منها مالاً

واني لارجو انهُ متى فُتح كتاب الشهرة الذي تدوَّن فيهِ العصور اسماء الذين افادوا

ابناء نوعهم بكتبهم يرى في اعلى صفحة من صفحاتهِ اسم موٴلف كتاب المحاماة وكتاب شرح القانون المدني ومترجم كتاب ديبولان وكتب غستاف لوبون ويرى امام اسمهِ وصف الثمار التي جناها ابناء العربية من سهر لياليهِ و بنات افكارهِ

خطبة الاستاذ محمود بك ابو النصر

سعادة الباشا

هذه اعمالك الباقيات

تبدو صغيرة الحجم فاذا ما تمثلها الناظرون رأوها وقد انطوت فيها سعادة العالمين

هذه كتبك القيمة شواهد صدق على انك انت والنيل حليفا وفاء . هو يفيض النماء والخصب على ارجاء مصر وانت تدر الخير وتبعث النور ساطعاً الى عقول بنيها ذلك بما تخرجهُ لهم من آثار بيانك وما هي الا محصل عمر مبارك فيهِ لو تجسمت متاعبهُ التي احتملتها في سبيل اخراجها للناس لكانت جبلاً يشمخ بقمتهِ العالية الى ملامسة الخلود

بارك الله لك في وقتك فلم تضيعهُ سدًى . بل عرفت كيف تصرفهُ في نفع امتك وخدمة بلادك . عرفت كيف تجعلهُ تحت سلطان ارادتك القوية لحبستهُ بين جدران مكتبك وفي حجرة نومك لا تنطلق الساعة منهُ الا كما ينطلق حمام البطاقة من ابراجهِ . ينطلق وهو يحمل رسالة فيها هدًى وشفاء للناس

لم يثن عزمك ما يطرأ عليك احياناً من انحراف الصحة ولم تلهك اعمالك الرسمية عن متابعة التأليف والتصنيف فحق علينا ان نحتفل بتكريمك وانما نحتفل بتكريم العلم والفضيلة والجد تلك المزايا التي تمثلت في شخصك الكريم وفي حركاتك النافعة

ولا غرو فتلك سنَّة السلف الصالح اردنا ان نحييها باجتماعنا هذا اذ لا شيء ادعى الى نمو الفضيلة من اعلان الفضل لذويهِ

***

كان قدماء اليونان اذا نبغ فيهم صانع او شاعر او خطيب اقاموا لهُ الاعياد وسيروا المواكب ونظموا الحفلات وقدموا لهُ تاج فخار مصنوعاً من اغصان الشجر المسمى بشجر الغار (Laurier) الذي كانوا يعتبرونهُ من الاشجار المقدسة الخاصة بالآلهة ولاسيما (Appolon) اله الشعر والفنون الجميلة . وقد ذكر مسيو سالمون رناخ في كتابهِ Etude sur la Grece antique

ان القوم كانوا يهرعون الى تلك الحفلات من كل جانب وينسلون اليها من كل حدب فيذهبون من برقة ومن صقليا ومن ايطاليا الى اثينا للاشتراك في تكريم نوابغهم

***

وكذلك كان الرومان . لكنهم كانوا يجعلون تلك الحفلات التكريمية مقصورة على الخواص ويقدمون فيها للمحتفل بهِ المكافآت المغنيات على خلاف سنة اليونان وعلى نحو ما يفعلهُ الانكليز الآن

***

على ان هذه كانت ايضاً من عادات العرب قبل الاسلام — قال ابو الحسن بن رشيق القيرواني في كتابهِ العمدة صحيفة ٢٧ جزء اول ... كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر اتت القبائل فهنأتها وصنعت الاطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الاعراس ويتباشر الرجال والولدان لانهُ حماية لاعراضهم وذود عن احسابهم وتخليد لمآثرهم واشادة بذكرهم وكانوا لا يهنئون الاَّ بغلام يولد او شاعر ينبغ

اما في عهد الاسلام وخصوصاً في عصر الدولة العباسية فكلكم يعلم الى اي مكانة رفع الخلفاء والامراء قدر العلماء والشعراء وكيف كانوا يجزلون لهم العطاء ويهبونهم الاقطاعات ومما يروى عن المأمون انهُ كان يعطي زنة الكتاب المترجم ذهباً

فاذا ما قمنا باحياء تلك السنة سنة تكريم العلم وتبجيل العلماء فلا بدع ولا اختراع . نعم نحييها . ولا نتكلف في احيائها سوى شهادة الحق واعلاء شأن الفضل لا مال ولا نوال

(لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم تسعد الحال)

يا سعادة الباشا

اني اقدم اليك عني وعن اخواني الاجلاء هذه المجموعة لابسة من نفائس الصناعة اجمل اهاب ولو اردنا من ظاهرها ان يحاكي ما اشتملت عليهِ لاغلينا الدر على طلابهِ ورددنا كرم البحار بخلاً

وجهنا الفكر واعملنا النظر فيما يحيط بنا من نفائس الصناعة وبدائع الموجودات لنتخير منها مثلاً اسنى نقدمهُ اليك تذكاراً لهذا الاحتفال فلم نجد شيئاً اجل واسمى من هذه المجموعة فلذلك اخترناها

اخترناها فكانت الهدية منك واليك

كالبحر يمطرهُ السحاب وما لهُ منٌّ عليهِ لانهُ من مائهِ

ايها السادة

اظن اني لا ازيدكم شيئاً على ما تعلمون اذا استعرضت لديكم بغير اسهاب محتويات هذه المجموعة الشائقة ولكنني انما استفيد وافيد حلاوة التكرار

لم يبرح اذهانكم ان كتاب بنتام كان اول كتاب اتحف بهِ مصري صميم امتهُ في شرح اصول الشرائع وقد كان المشرعون ورجال القضاء والمستطلعون اليهِ وخريجو الحقوق وطلبتها لذلك العهد في ظاءٍ الى مثل ذلك المورد العذب

من هنا ترون ان ظهور ذلك الكتاب في وقتهِ كان حادثاً وطنياً عظيماً لا من جهة انهُ افاد قراء العربية فقط بل من وجهة انهُ جاء مبدأً لعهد جديد هو عهد تسابق الاقلام في سبيل كشف النقاب عن غوامض القوانين واسرار وضعها وحكمة تنوعها وترقيها في الامم. اخرجهُ الينا سنة ١٩٠٣ احمد افندي فتحي زغلول رئيس النيابة العمومية لدى محكمة اسكندرية الاهلية وقدمهُ الى المرحوم خديوينا السابق فنال منهُ احسن القبول

***

وفي غضون سنة ١٣٠٥ ظهر لنفس المعرب كتاب (خواطر وسوانح في الاسلام) تأليف الكونت هنري دي كستري وحسبي ان اتلو عليكم سطرين من مقدمة الترجمة لتتبينوا اهمية العمل وسمو غرض المترجم قال

« وان قومي لعلى علم تام من ان مقصد مثلي حسن وغرضي انما هو التنبيه على انهُ قد وجد من غيرنا من قام للدفاع عنا بذكر الحقائق وسرد الوقائع التاريخية الصادقة فسفه رأي قومهِ فينا وابان لهم وجهي الخطإِ والصواب ومن الواجب علينا ان نعرف ما قيل عنا وما دفع بهِ الدافعون وليتهم كانوا منا . وفينا كتاب الله اعظم مرشد لهذا السبيل الخ »

***

لم يمضِ على تعريب هذا الكتاب ما اناف على السنتين حتى هز العالم العربي نبأ كتاب جديد هو سر تقدم الانجليز السكسونيين للفيلسوف الاجتماعي الكبير ادمون ديمولان . ظهر تعريب هذا الكتاب بعد ما عرف كلٌ مقدرة المترجم في كتبهِ الاولى وكان اشد الناس اهتزازاً لذلك الصنع هم اهل التفكير من المصريين . اولاً لان المعرب مصري تفرح الامة فرحاً خاصاً لكل بادرة من بوادر نبوغهِ . وثانياً لان القراء ادركوا الغرض البعيد والمقصد الاسمى من تعريبهِ

اجل . ادركوهُ اذ تبينوا ان ذلك الرجل القانوني الذي افتتح شهرتهُ في التحرير بتعريب

سفر قانوني لم يخرج بغتة عن خطتهِ الاولى ليتحول الى سياسي مستتر بل بقي خادماً للقانون كاصدق ما يخدم القانون بتعريبهِ سر تقدم الانكليز السكسونيين . وكيف ذلك ؟ علم علم اليقين ان ما كانت عليهِ الامة الاَّ فئة قليلة منها من عوج الخلال وانحراف الضمائر وانحلال الافكار كان يفسد نتائج القانون في ذلك الوقت ويمنع من ترقيهِ لان القوانين لا تكون صالحة الاَّ في الامم الصالحة ولان كل شعب في اخلاقهِ علل تكون في قوانينهِ حتماً نفس تلك العلل . لهذا عرب للامة ذلك الكتاب لترى منهُ اسباب تقدم تلك الدولة العظمى ورقيها ولتعلم ان الاخلاق هي ملاك تلك الاسباب . فاذا اعتبرت الامة المصرية واقتبست منهُ ما يلائمها فقد تهيأت لديها معدات الرقي وتوفرت عندها اسباب السعادة واكتملت فيها القوانين تدريجاً حتى تبلغ درجة اصلح القوانين الوضعية في العالم المتمدن . وحسبي ان اذكر لحضراتكم لمة من فصل مستفيض نشرتهُ في مجلة الموسوعات في ١٦ يناير سنة ١٩٠٠ وانا يومئذٍ مديرها ومحررها رددت في ذلك الفصل على باحث فاضل انكر على المترجم عملهُ وعلى الكتاب نفعهُ بحجة ان ترجمتهُ قد تفضي الى الخروج بالتربية الدينية الاهلية عن جادتها المثلى واننا في غنى عنهُ بالقرآن المجيد والاحاديث الشريفة فقلت ما نصهُ :

« ضرب الله الامثال في القرآن الشريف وذكرنا بسير الامم الغابرة واحوال الممالك الماضية لنا عظة واعتباراً فهل اعتبرنا كتاب سر تقدم الانكليز السكسونيين من هذا القبيل واتخذنا ترجمتهُ مرآة صقيلة تمثل في اعيننا صورة امة اضحت تطاول السماء عزَّاً ومنعة بازاء امة اخرى لم تبلغ شأوها وان عظمت قدراً وعلت جاهاً وانما هو الكتاب يظهر لنا ما خفي ويعرفنا من هم الانجليز الذين احتلوا الديار واخذوا فيها باعنة الامور صغيرها وكبيرها . يعرفنا بهم سواء في نظام مدارسهم او في معيشتهم الخصوصية او حياتهم الاجتماعية . يعرفنا بحقيقة معنى الوطنية لديهم وقوة التضامن فيما بينهم وتمام الاستقلال عندهم الى الحد الذي جعل افراد الامة كالجسم الواحد وجعل الفرد الواحد كامة برأسها ..... يعرفنا ذلك كلهُ مقارناً بينهُ وبين الامة الفرنساوية التي تنازعها اقتسام الوجود وتسابقها في مضمار الحياة مع دقة البحث في اسباب تفوق احداها على الاخرى تلك الاسباب التي تسعد بها الامم وتشقى تبعاً لنواميس عامة وقوانين طبيعية تكاد لا تختلف في امة عنها لدى الاخرى الخ »

هذه فقرة من مقالتي عن الكتاب المذكور منذ ثلاث عشرة سنة وللمترجم مقدمة غراء آسف على اني لا اجد في الوقت متسعاً لا تلو عليكم بعض شذراتها فتبينوا انها آيات الحكم البالغة في تشخيص الداء وتخصيص الدواء لحالنا الاجتماعية

أُعقب هذا الكتاب بمدة لم تطل كتاب المحاماة ولما ظهر هذا السفر الجليل كانت شهرة مؤلفهِ قد طبقت الآفاق فزاد ذلك في اقبال الناس عليهِ . يقف القارئ منهُ على تاريخ السياسة والادارة والقضاء بمصر في عصر محمد علي وما يليهِ الى ان وضع القانون الاسامي ويتبين حالة الوكلاء والمحامين قبل تأسيس المحاكم الاهلية. استخرج المؤلف موادهُ من بطون الدفاتر ومطوي السجلات ومدشوت الاوراق المحفوظة بالدفترخانة المصرية وغيرها حتى جاءنا في خمسمائة صحيفة ذيلت بمائتين واحدى عشرة صحيفة اخرى تضمنت واحداً وعشرين ملحقاً

واقد صدق فيهِ قولي في عدد ١٢ يوليو سنة ١٩٠٠ من مجلة الموسوعات

« ما عالم الآثار يستلين الصخور ويستنطق الاحجار ولا واضع الاصول القانونية ومدوّن النظرات العلمية باكثر عملاً واكبر نفعاً واجزل فضلاً من صاحب كتاب المحاماة في تدوين كتابهِ على النسق الذي دونهُ عليهِ . عودتنا مكارم صاحب اليد الطولى العالم الهمام احمد فتحي بك زغلول ان نرى كل عام كتاباً جديداً من نفثات اقلامهِ وفيض افكارهِ ما بين تأليف وتعريب وبحث وتنقيب فلا ينتهي القراء من سفرٍ هم بهِ معجبون الاَّ وقد اتحفهم بسفر آخر وهكذا تتواصل عواطف اعمالهِ الجليلة بسوالفها حتى يعلم الملأ ان في السويداء رجالاً وان في كنانة الله جهابذة يحق للوطن ان يباهي بهم الخ »

بذور طيبة التى بها سعادتهُ في منابت الافكار فاخصبت وها نحن معشر المحامين قد جنينا ثمارها في السنة الماضية حيث تأسست للمحاماة نقابة واصبحت لها هيئة رسمية بفضل تدرجها في مدارج الرقي من عهد انشاء ذلك الكتاب

***

وفي سنة ١٣٢٧ ظهر لهُ معرب كتاب روح الاجتماع للعالم الاجتماعي الشهير الاستاذ جوستاف لوبون بين فيهِ كما قال المترجم احوال الجماعات وما يعرض للفرد مجتمعاً من تغيير المشاعر واختلاف النظر وتبدل حكمهِ فيما يحيط بهِ وكفى بهذا بياناً لمقدار عظيم نفعهِ

***

لم يبقَ من مشتملات هذه المجموعة الاَّ كتب ثلاثة اصدرها سعادة المحتفل بهِ في هذا العام عام ١٣٣١ فزادتنا بهِ اعجاباً وهي (١) ترجمة كتاب سر تطور الامم لجوستاف لوبون نفسهِ وهو صنو كتابهِ السابق (٢) شرح القانون المدني (٣) خطاب المغفور لهُ مصطفى باشا فاضل الذي ارسلهُ الى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦ وفيهِ من العظات

البالغات والحكم الغاليات ما صاغهُ سعادة المترجم بلسان عربي مبين تنظر اليهِ فترى النور ينبعث من جواهر كلمِ الى اعماق القلوب وترى اشرف العواطف واكرم الشيم الوطنية تتسرب من نضيد عقدهِ الى نفوس الافراد والجماعات

اما شرح القانون المدني فهو ذلك الكتاب الذي وفاهُ حضرة صديقي عبد العزيز بك فهمي حقهُ من البيان ورأيهُ فيهِ هو الرأي فلا ازيد عليهِ شيئًا

***

يا سعادة الباشا

كل هذه اعمالك المنشورة الآن وهي هي التي جعلناها بين دفتي هذه المجموعة وكفى بها موجبًا للشكر على الامة المصرية الكريمة تلك الامة التي خدمتها هذه الخدم الجلائل

نقول كفى بها . وانما نقصد التعظيم لا الاكتفاء لانا نرى حقًّا علينا بعد ما عرفنا لك ذلك التفوق وقدرنا فيك تلك العزيمة ولمسنا باليد عواطف حبك لبلادك ورأينا تفانيك في خدمة العلم واللغة بأبعد ما يمكن ان يخدم بهِ مصري قدير . نرى حقًّا علينا بعد هذا كلهِ ان نستزيدك منها ما لا نستزيدهُ سواك ايًّا كان مبلغ عملهِ وفضلهِ وان نسأل الله في سبيل الشرق ونفعهِ وفي سبيل مصر وسعادتها ان يمد في اجلك وان يتيح لنا سلسلة لا تنقطع من نتائج ذكائك وعلمك وعملك آمين

وكان الوقت قد ازف فاقترح حضرة احمد بك لطفي السيد الاقتصار على ما تقدم وان تنشر بقية الخطب في الجرائد اليومية فوافق الحضور على اقتراحهِ ونهض حينئذٍ المحتفل بتكريمهِ والقى الخطبة التالية قال

سادتي

رجعت الى المعاجم التمس منها كلمات تسمو معانيها الى سماء فضلكم او صيغة حمد تفي بقليل من واجب شكركم فما راقني لفظ ولا شاقني معنى ورغبت عن التنقيب والاستفادة الى الاقرار والشهادة

انا عاجز نعم انا عاجز عن ايفائكم حق الثناء لقاء صنيعكم لكنني لن اعجز عن الاحتفاظ بعهدكم والبقاء على الدوام متأثرًا بجميلكم

شرفتم هذا المكان لتكريم خادم ظننتم بهِ خيرًا وما خيرهُ الاَّ منكم واردتم ان توفوا لهُ فضلاً والفضل انتم مواليهِ . ولا ارى في اجتماعكم هذا الاَّ حركة نفيسة من حركات الامة

تقطع دور السكون وتعلن يقظتها وشخوصها نحو الرقي بعد ان اختمرت الافكار وتمكن اليقين بان لا حياة الاَّ بالحضارة ولا حضارة الاَّ بالعلم وما انا الاَّ ذريعة اتخذتموها للقيام بهذه الحركة المباركة

هذا مظهر خلق جديد كمن حتى اكتمل وسكن حتى نما وتم — خلق لا تقوم امة بدونه وهو عماد كل رقي هو محبة الكل خير الكل في كل فرد من الافراد وظهور هذا الخلق دليل على ما للامة من الصفات الكريمة الاولية ومن الاخلاق الفطرية الاجتماعية مما اذا عولج صفا واعلى مكانتها ووصل بها الى الدرجة التي تستحقها

من يخبر حال هذه الامة ويقف على كنه خلقها ويعرف جيداً حقيقة خصالها ويدرك الصحيح من آمالها وينعم النظر في اعمالها يقتنع بان التربة زكية لا يفسد زرعها الاَّ شيء من البذور الرديئة وبان الخلق كريم يغشاهُ ستار من عدم العلم التام بالواقع وبان الآمال كبيرة شريفة لكنها مشوبة بشكوك واوهام تطوح بنا يوماً ذات اليمين ويوماً ذات الشمال . اما اعمالنا فثمرة هذا وذاك تهتاج والسكون واجب وتلهو وكل النجح في العمل وما كان شيء من كل هذا يكون لولا خطاء في تقدير حقيقة حالنا وعدم التفات الى حركة البيئة التي نحن فيها ونسيان لشيء كثير من الماضي ولهو عن الحاضر وعدم اهتمام بما هو آت . ومحال ان تدوم هذه الحال فلا بد لنا من اعداد العدة اللازمة لذلك التحول وما هي الاَّ العلم

العلم هو سلم الامم الى حضارتها فهو كاشف ظلمات الجهل ومسدد الآراء ومنجح كل مجهود هو الذي اخترق الارض فاخرج منها مكنوناتها وحكم في المادة فاستلب منها كنوزها وتسلط على البحار فسادها ورنا الى الجو فحلق في القبة الزرقاء طالباً للناس علواً وكمالاً وقرَّب الابعاد فاضاف الى الوقت اوقاتاً وضم الى حياة الانسان حياة وحياة . بهذا انار البصائر وشد العزائم وقوى الهمم فانهض الامم واعلى كلمة الامة التي كان حظها منهُ وفيراً

ارجو ان يكون في مظهركم هذا دليل على اننا قطعنا دور التنافر والتفرق وعرفنا الصواب بعد ان حجبتهُ عنا الاوهام زمناً طويلاً ودخلنا من باب العمل الصحيح النافع واقتنعنا بان الضعف وما الضعف الاَّ الجهل يطمس على القلوب ويجعل القوم يرون حسناً ما ليس بالحسن يظنون ان التأخر آتٍ من عارض خارجي وانهم اذا قعدوا عن التماس وسائل التقدم فالقعد يجر بهم الى الوراء لكنهم متى علموا عرفوا ان العلة ذاتية وان الدواء في اليد وان قتل الوقت في الظنة والاتهام مضيعة لما يفيد وداع جديد من دواعي الضعف والتأخر

ارجو ان يكون في اجتماعكم هذا دليل على السآمة من هذه الحال بل على الفزع من

اخطارها الاجتماعية الكبرى وعلى ان العلم الذي ينبت فينا اخذ ينقي الضمائر ويجمع شمل المتفرقين ويطهر السرائر ويوحد كلمة المتنافرين وينير البصائر فيهدينا الى ان التآزر شرط النجاح وان يد الله مع الجماعة وان التباغض مجلبة الشر والتنابذ يمهد سبل الذل وان في التضاغن تهلكة للناس

لعل رجائي محقق باقبالكم على هذا المكان ملتفين حول راية واحدة مع اختلاف العناصر والمعتقدات ومنبعثين من روح واحدة ألف بين قلوبكم جميعاً فتعارفتم وجئتم اخواناً فرحين بوجه باسم يحيي موجد هذه الروح وباعث ذاك الشعور — العلم

ما خيم الجهل في امة الاَّ اذلها وما انبلج ضوء العلم بين قوم الاَّ عزوا . ايها العلماء ايها العظماء ايها الشعراء والادباء قادة الافكار ودعاة الامة اربأوا بها فالسبيل واضح . علموا الامة . علموا الامة

وجهة التعليم العصري

اسهبنا القول في تاريخ اصول التعليم وقد رأينا ان مذهب النشوء والارتقاء تناول حياة الانسان الفكرية كما تناول حياتهُ الجسدية . وقد رأينا ايضاً ان زمن التعليم يمكن ان يقسم الى ثلاثة ادوار رئيسية . الدور الاول وهو مقدمة التعليم ينطوي تحتهُ التعليم الشرقي والتعليم اليوناني والتعليم الروماني والتعليم في العصور الوسطى . وهذا الدور تمخضت بهِ الاجيال طويلاً ولكن قلما تجد للتجربة فيهِ مكاناً وقد كان ابن الصدف فلهذا لا ترى الوحدة فيهِ

اما الدور الثاني فشمل زمن الاصلاح زمن الافاقة من سبات العصور الوسطى . زمن هدم القديم ومحاولة البناء على اسس فلسفية فكان هذا الدور دور المحاربة والهدم

اما الدور الثالث فهو دور البناء . دور التقدم على اسس علمية متينة وهو وان لم يسر بنا بعيداً الى الامام في بادىء الامر الاَّ ان لهُ التقدم والتفوّق على غيرهِ في انهُ لم يرجعنا الى الوراء . ففي هذا الدور نرى ان التجربة كانت العامل الاكبر لاكتشاف الحقائق لان الفلاسفة لم يبنوا آراءهم على خيالات فلسفية بل على حقائق علمية راهنة[1] على انهُ في تنقل

(١) انني في تقسيم ادوار التعليم الى ثلاثة اقسام كبيرة خالفت الرأي الاكبر الشائع بين علماء التعليم ظناً مني ان ذلك يكون اقرب تناولاً . واتبعت المبدأ الذي يوافق رأي كونت في ترقي الحياة الفكرية في الانسان (Comte's Positive philosophy)

مبادىء التعليم من دور الى آخر يجب ان لا يظن ان كل دور منفصل عن الآخر بل ان النتائج والمسببات التي كان لها التأثير الاكبر في ابراز دور من الادوار الى حيز الوجود بقيت سائرة الى الادوار التي اتت بعدها بزيادات في تفسيرها و بناء عليها

فتاريخ التعليم هو تاريخ العقل الانساني في تقلبهِ وتنقلهِ من حالة بسيطة الى ما هو ارقى منها . لان ترقي الانسان ليس الاَّ ترقي العقل واخذهُ على عاتقهِ تنظيم الهيئة الاجتماعية لتكون ملائمة لحياة الانسان فيعيش الفرد فيها حرًّا في افكارهِ مستقلاًّ بشؤونهِ بحسب النظامات الصحيحة العادلة التي تسنها هذه الهيئة[1] وقد ذكر ديفدسون Davidson ان العلوم الطبيعية التي هي مفتاح التهذيب — هي التي تقود الانسان الى هذا النظام وذلك اذا سارت جنبًا الى جنب مع الادبيات . وقد توسع في معنى هذا النظام حتى سماهُ بالعقل[2]

ففي الدور الاول وهو الحالة الثيولوجية البسيطة كان عقل الانسان يفسر الطبيعة بقوانين الهيئة في طبيعتها — اي انهُ كان ينسب الى الاله جميع ما يجري حولهُ من الامور التي فوق ادراكهِ . اما في الدور الثاني وهو دور العبور ويسمى بالمتافيسيكي اي ما وراء الطبيعة فقد حلت الفلسفة محل اللاهوت غير ان البحث في الاسباب الاولية والنتائج التي تنجم عنها كان لا يزال على حالهِ

ولكن عند ما وصلنا الى الدور الثالث وهو الدور العلمي المحدود صرنا نكتفي بدرس مظاهر الطبيعة وحالاتها البسيطة التي تقع تحت نظرنا كل يوم ونجتهد في جمع هذه تحت قوانين ليست شاملة كما في الادوار السابقة بل محدودة وقابلة التغيير كل يوم

التعليم الاختياري — فلذلك نرى ان وجهة التعليم العصري اليوم هي من هذا القبيل . والدور اليوم علمي محدود وهو اختياري اكثر منهُ حتمي وغايتهُ ان يوفق بين آراء الادوار الماضية و يأخذ منها ما يوافق الزمن الحاضر ويترك ما يراهُ مخلاًّ بالمدنية وواقفًا سدًّا منيعًا بين التقدم والارتقاء . فعمل المدارس الحاضرة اذاً ان تجمع كل النظريات العلمية السابقة وتجعلها عملية لافادة الجمهور . والغاية التي يسعى اليها المدرّسون او علماء التهذيب ان يأخذوا كل التقاليد والتجارب والاختبارات الماضية ويكيّفوها ليجعلوها موافقة للزمن الحاضر . لان بعض ما كان مفيداً ولازماً في الازمنة الماضية قد يكون مضرًّا في زماننا هذا . وتلك

(1) Comte's Law for the succession of the three states.
(2) Davidson Philosophy of Education.

التقاليد والتجاريب التي عادت على الاسلاف بالنفع والخير قد تكون لنا سبباً للويل والشر . فكما ان لكل زمان دولة ورجالاً كذلك لكل زمان علوم واختبارات وتقاليد

ولا يغرب عن الذهن ان الدور الحاضر مركب من اجزاء الدور السيكولوجي والعلمي والاجتماعي . فالدور السيكولوجي قدم الاسلوب والعلمي اعطى الموضوع او المادّة والاجتماعي وسّع نطاق التعليم وجعل لهُ غاية اعظم فشمل الانسانية على العموم . ولبيان ذلك نقول . انهُ مرّت ادوار كان القصد منها في التعليم تعلّم المسائل الدينية والاشتغال بالمجادلات والماحكات الكلامية كما كانت عليهِ الحال في القرون الوسطى ومجادلات المدرسيين كما مر . ثم جاء دور كان الغرض فيهِ درس النظامات الحربية كما حدث في زمن الاقطاع . اما اليوم فان نظام التعليم اوسع جدًّا مما كان عليهِ قبلاً ولما كان هذا الدور مركبًا من الادوار السابقة يلزم لنا لايضاح ذلك ان نذكر ما قدمهُ كل دور

اخذ هذا الدور عن روسو « ان التعليم هو الحياة وان مركزهُ يجب ان يكون في الولد» وعن بستالوتسي « ان التعليم الفعَّال يتوقف على معرفة الولد الحقيقية والشعور معهُ بآلامهِ وافراحهِ واحزانهِ وانهُ هو النموّ الداخلي المؤثر في المحيط الخارجي ولذلك فالتعليم الاساسي يجب ان يتوقف على الحقائق وليس على الرموز والامثال وعلى الادراك وليس على الذاكرة» وقدم هربرت «الاسلوب العلمي في التعليم وفي ترتيب لائحة الدروس وان الاخلاق الحميدة هي الغاية من التعليم وان لائحة الدروس العلمية يجب ان توصل التلميذ الى هذه الغاية » . وقدم فروبل مبدأ الفكر الصحيح من جهة طبيعة الولد . ولما كان الولد يرغب من حيث طبيعتهُ في الالعاب والحركات الرياضية وجب ان ينشأ التعليم من ذلك الاساس . وان المدرسة يجب ان تكون عالماً مصغراً امام التلميذ . وجاء من الدور العلمي مبدأ التحريض على تحديد معنى التعليم الكامل . وقد جاء الدور الاجتماعي دعامة لهذا المعنى وذلك حينما وضع في جدول المدارس باب الصنائع والعمليات والميكانيكيات . فنتج من كل ذلك ما ندعوهُ « بالرجل المدني الحرّ الكامل النمو العارف معنى المدنية الحقة » . وجاء من الدور الاجتماعي ان التعليم هو نموّ الهيئة الاجتماعية وان غايتهُ اعداد مدنيين حقيقيين وان هذا يتم بالنمو الكامل في شخصية الفرد وان نموّ هذه الشخصية يجب ان يلائم الفرد لهذه المدنية ويعدهُ للاشتراك في الاعمال الاجتماعية ويؤهلهُ لادراك هذه الحقيقة الناصعة وهي ان منفعتهُ الذاتية تتوقف على ما يقدمهُ للآخرين من المنافع

النهضة التعليمية الحالية

مما يلاحظهُ المعلم في هذه الاثناء سرعة تغيير جدول الدروس المتتابع ليكون ملائماً للحالة الحاضرة فيعبر عمَّا يتخللها من الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والادبية . وعلماء التعليم يحاولون اليوم ان يجعلوا الاسلوب التعليمي علميًّا عامًّا واضحاً . فمن ثمَّ نجد في التعليم اتحاد الادوار السيكولوجية والعملية والاجتماعية معاً . ثم ان تغير الاحوال الاقتصادية ولّد الاختصاص والمركزية في التعليم . وهذه المركزية تشابه في اكثر الوجوه المركزية السياسية اي وضع ادارة التعليم في مركز واحد ترجع اليهِ كل المدن والقرى في شؤونها التعليمية . ومثال المركزية فرنسا ومثال اللامركزية انكلترا . اما المانيا فهي بين المركزية واللامركزية واميركا سائرة في طريق المركزية مع شدة المعارضين لها . وقد نتج عن المركزية جعل صناعة التعليم مهنة رسمية كالطب والمحاماة والهندسة وغيرها . وفي العالم المتمدن نهضة يقصد بها تجريد المدارس من التعاليم الدينية وجعل التعليم فيها مدنيًّا عاليًّا علميًّا محضاً . فنرى ان المواد الدينية التي كانت الشغل الشاغل للمدارس في القرون السابقة اصبحت المدارس اليوم تجتهد ان تنبذها من جدول دروسها ولكن في ذلك صعوبة لا تخفى ولا ندري هل تقوى الحكومات كلها على تذليلها كما فعلت فرنسا واميركا واليابان . ومن الغريب ان اليابان جعلت للفضائل مقاماً كمقام الجغرافيا والحساب فوضعتها في جدول دروسها وخصصت لدرسها وقتاً معيناً في النهار . فالتلامذة يدرسون الامانة والصدق والاستقامة كما يدرسون مبادىء الطبيعيات والهندسة . فالذي تطلبهُ مدارس الوقت الحاضر هو معرفة الانسان كيف يجب ان يعيش والآداب اللازمة لحياة نافعة في مدنية عصرية « معقدة » اضطرت الى نبذ البساطة في اعمالها . مجال التعليم اذاً يجب ان يكون اوسع مما كان عليهِ قبلاً والتعليم المدرسي يجب ان يكون عمليًّا ذا نفع للتلميذ وقائداً الى السلوك الحسن . ونرى اليوم ايضاً ان الحكومات والاغنياء يصرفون الاموال الكثيرة في ترقي العلم والتعليم وهذه النفقات تزداد كل يوم والاغنياء يتسابقون الى تقديمها

اتفاق اللذة والعمل في التعليم

المدارس الحالية هي الموفقة بين اللذة والعمل وذلك بعكس ما كانت عليهِ المدارس قبلاً فانها كانت تشغل عقل التلميذ مثلاً بدرس آداب اللغة بقصد التمرين العقلي لا بقصد المنفعة واللذة . فكانت في عملها هذا كالرجل الذي يقصد تغذية جسمهِ وتقوية عضلاتهِ بطعام لا لذة فيهِ ولا طعم . فاللذة وحدها لا تكفي وكذلك العمل ولكن اذا اتحدا معاً حصلت

منهما الفائدة المطلوبة واتحادهما يقوم بجعل الدروس المدرسية تطابق حياة الولد الحقيقية وهذا يتمّ بان يضع المعلم امامهُ ما يقع تحت حواسهِ في حياتهِ الخارجية والداخلية من الامور التي يرتاح اليها عقلهُ ويسرُّ بها فؤادهُ وتقرُّ لها عينهُ . فمعنى التعليم الحالي هو توازن الحقوق الشخصية والواجبات الاجتماعية لكي لا تتغلب احداها على الاخرى فلا الفرد يتعدى حقوقهُ ولا الجماعة واجباتها . ولا يضرُّ النفع الخاص بالنفع العام

جدول الدروس

المدنية الحالية لا تعتبر جدول الدروس فرضاً مقدساً خالياً من كل عيب بل هو الجدول الذي يضع امام التلميذ ما عملهُ اسلافهُ ويريهِ ما حولهُ من الشؤُون . وجدول مثل هذا يتغير بتغير الاحوال والازمنة والامكنة . فما كان نافعاً للقرن التاسع عشر قد لا ينفع القرن العشرين . وما الجدول الاَّ الدليل الذي يعرّف التلميذ بالحياة لانهُ لما كان التلميذ جاهلاً الحياة التي يمر فيها وجب ان يكون لهُ مرشد يقودهُ لكي لا يعثر وهو سائر في بحر العالم المضطرب ومثلهُ في ذلك مثل السائح الذي يصحب معهُ ترجماناً يدلهُ على المواضع التي لم تطأها قدمهُ قبلاً لكي يكون على بصيرةٍ في ذهابهِ وايابهِ

الاسلوب

معرفة ما تقدم ذكرهُ تتوقف على الاسلوب والقاء الدروس . فالاسلوب هو ارشاد التلميذ لاستعمال قواهُ حتى يمكنهُ ان يرى في نفسهِ الاختبارات التي سمعها من المعلم عن اسلافهِ . واسلوب المعلم يتوقف على معرفتهِ طبائع التلميذ . فعليهِ ان يعرف الاشياء التي يلتذ بها الولد ويقف على مداركهِ واستعدادهِ ونشاطهِ . وعليهِ قبل ذلك ان يعرف موضوعهُ الذي يعلمهُ حق المعرفة وكيفية القائهِ في ذهن السامع

صعوبتنا الحاضرة

قضية التعليم الحالية قائمة باعطاء كل جيل اختبارات الاجيال السابقة وذلك بان ينتقي المعلم منها ما هو مفيد ونافع وينبذ ما يراهُ ضاراً ثم يمحّص تلك الاختبارات ويكيفها ليجعلها ملائمة للجيل الحاضر . هذا ما يتعلق بالمعلم اما ما يتعلق بالهيئة الاجتماعية فهو ان لا تضن على المعلم بما تراهُ ضرورياً ولازماً لحياتهِ بل تدعمهُ وتشرف مقامهُ وتزيل كل الصعوبات التي تراها في طريقهِ لكي يهذب الاحداث والناشئة التي اودعت في يدهِ تهذيباً حقيقياً لا يتخللهُ نقص ولا خطاء الى غاية ما يجد اليهِ السبيل بولس شحاده

الخطر الاصفر

لا تذكر هذه الكلمة «الخطر الاصفر» التي يراد بها نهوض اهالي الصين واليابان ومزاحمتهم للشعوب البيضاء الاَّ ارتعدت لها فرائص الفريق الاكبر من الاوربيين والاميركيين رغماً عمَّا يرونهُ من ازدياد قوتهم الحربية وتفوقهم في العلوم والفنون على كل امم الارض ورغماً عمَّا يقيمهُ بعض كتَّابهم من الادلَّة على ان الخطر الاصفر وَهْمٌ لا حقيقة لهُ ·

فقد نشرنا في مقتطف يونيو الماضي مقالة للورد كرومر لخَّص بها كتاباً وضعهُ احد كتَّاب الانكليز الباحثين في امور الصين وبيَّن فيهِ ان ما يروى عن انتظام الامور في تلك البلاد بعيد عن الصحة وان الرشوة والصنيعة متأصلتان فيها وانهُ اذا أُحسنت ادارتها وانتشرت سكك الحديد فيها رأى الصينيون في بلادهم متسعاً لهم فلا يضطرون ان يهاجروا الى غيرها ولا يبقى سبيل للخوف من مزاحمتهم لغيرهم لان الولايات القليلة السكان من الصين اوسع من الولايات المزدحمة بسكانها الى غير ذلك ممَّا تراهُ في مقالة لورد كرومر المشار اليها

لكن كثيرين من الخبيرين بامور الصين يذهبون الى ضد ذلك ويقولون ان الصينيين ناهضون الآن نهضة حقة وان اليابانيين آخذون بيدهم رغماً عمَّا بين الامتين من المنافسة ومتى رأوهم قد صاروا بحيث يصحُّ الاعتماد عليهم حالفوهم ونقضوا عهدهم مع الانكليز ووقفت الامتان معاً في وجه الدول الاوربية والجمهوريات الاميركية · وقد رأينا ان نثبت هنا ادلة هذا الفريق كما اثبتنا ادلة الفريق الاول

بلاد الصين في بقعة من اطيب بقاع الارض ممتدة من المنطقة الحارَّة الى الباردة لكن اكثرها في المنطقة المعتدلة لا تتطرَّف الى الشديدة الحر ولا الى الشديدة البرد فانها بين الدرجة العشرين والدرجة الخمسين من العرض الشمالي واذا اضفنا اليها كوريا واليابان وسيام بلغ اتساعها من الدرجة العاشرة من العرض الشمالي الى الدرجة الخمسين · وفي الصين وحدها اكثر من ٤٠٠ مليون من النفوس والشعب الاصفر كلهُ اكثر من خمس مئة مليون فهو اكثر من الشعوب البيضاء عدداً

ولا شبهة في ان الصين استيقظت الآن من سبات العصور الغابرة ولاستيقاظها اسباب اولها قهر دول اوربا لها في حروبهم معها · فان انغلابها نبهها من رقادها وجعلها تكره الاوربيين وتحقد عليهم وتلا ذلك ابتزاز الامتيازات منها بالقوة وتهديدها بالتقسيم ثم فوز اليابان على الروس وهو اول فوز للشعوب الصفراء على الشعوب البيضاء وقد كان لهُ دوي عظيم لدى

الشعوب الصفراء كلها ولدى الشعوب السمراء سكان الهند ايضاً . فكأن اوربا علَّمت الصينيين ان الحق للقوة وان القوي ينال ما يشاء من الضعيف فصرفوا همهم الى اصلاح حربيتهم وبحريتهم واتوا بالضباط الالمانيين لتدريب جنودهم وابدلوا مدافعهم القديمة بمدافع جديدة من طراز كروب وانشأوا محطات التلغراف اللاسلكي والتلغراف العادي وجعلوا يتعلمون ركوب الهواء وانشأوا ثلاثة معامل كبيرة لسبك المدافع وعمل البنادق وسائر الاسلحة وانشأوا مجلساً للبحرية وشرعوا في انشاء السفن الحربية

واذا جروا في تجنيد رجالهم على قاعدة الالمان بلغ جيشهم ثلاثين مليونًا اي اكثر من الجيوش الاوربية كلها . وقد شهد القواد الكبار مثل غوردن ومكي هربوت انهُ ما من جندي في الدنيا يفوق الجندي الصيني في بسالتهِ . وشهد آخرون ان تجَّارهم من الطبقة الاولى بين تجارة الامم . والجندي الصيني يكتفي بما لا يكتفي بهِ الجندي الاوربي من المأكل والمشرب . وقد اخذ الحماس من الجنود الصينية كل مأخذ في هذه الايام كما يظهر من نشيدهم الذي ينشدونهُ وهذا تعريبهُ

كم يهزأ القوم بنا وقصدهم قسمتنا
كأننا بطيخة لا عزوةٌ لا وطنا

من الملايين اذا ما أُحصيت جموعنا
اربع مئة فهل من امة تروعنا

الاتحاد قوةٌ يحيي النفوس الهامده
بغيرهِ الشعوب شتَّى كالخرافِ الشارده

دليلنا الهند نراها بقيود راسفه
وجزُرُ اليابان من حوض المعالي راشفه

ولم يكتفوا بتعليم الجنود وانشاء المعامل لعمل الاسلحة بل تراهم يرسلون البعثة بعدالبعثة الى اوربا واميركا واليابان من الفتيان والفتيات للتعلُّم والتفقه . وقد بلغ عدد الفتيان الصينيين الذين كانوا يطلبون العلم في بلاد اليابان سنة ١٩٠٧ ثمانية آلاف وعدد الفتيات مئتين وهنَّ من صميم الاسر الصينية الشريفة

ولم يكد الصينيون يقلبون الحكومة الملكية وينادون بالجمهورية حتى انشأوا كثيراً من

الجرائد اليومية واقتبسوا نظام اتحاد الصناع واخذوا يبطلون الضرار وتصغير اقدام النساء وقطعوا الذوائب التي كانت دليلاً على خضوعهم للمنشو وانتظم نساؤهم في سلك الجندية ولبسنَ لبس الرجال وطلبن ان يساوين بالرجال في حقوق الانتخاب واخترعوا خمسين حرفاً ليكتبوا بها لغتهم بدل مشجَّر الصين . واقروا على جعل اللغة الانكليزية لغة تعليم العلوم والفنون في كل البلاد وجعلوا تعلُّمها الزامياً لكل طالب علم او صناعة حتى لا يفوتهم الوقت بترجمة الكتب الاوربية الى لغتهم وطبعها فيها

ولا شبهة بوجود الرجال في الصين فلا ينقصها الا الآلات والادوات . وعندها لها معادن غنية جدًّا فتألفت فيها شركات كبيرة لاستخراج معادنها وقد قال بيت من اشهر بيوت الهندسة الانكليزية انهُ ما من بلاد اغني من الصين بالفحم الحجري . وترى الآن معامل الحديد والقطن والحرير والزجاج والبارود وما اشبه تنشأ في كل مكان على ضفاف الانهر وستبرى اوربا منها مناظرة صناعية وتجارية عنيفة جدًّا . وقد ظهرت نتيجة هذه النهضة في زيادة صادرات البلاد وواردتها فانها زادت نحو سبعة اضعاف منذ سنة ١٨٦٧ الى الآن

وقد رأت جمهورية الصين انها لا تستطيع ان تصلح بلادها ما لم تربطها بسكك الحديد والتلغراف والتلفون فقررت ان تنشئ في العشر السنوات التالية سبعين الف ميل من سكك الحديد تتصل بالخط الرئيسي الذي مدتهُ من بكين الى كنتون . وستصير عواصم ولاياتها مراكز لسكك الحديد و يتفرع منها خطوط اخرى حتى تتصل كل عاصمة بثمانية خطوط او تسعة و يتيسر لها نقل بضائعها وجنودها على اسهل سبيل . وكانت قد اعطت نصف الخط من هنكو الى كنتون لشركة اميركية فاستردتهُ منها واعطتهُ لشركة صينية . اما التلغراف العادي فربط كل الولايات بعضها ببعض وكذلك التلغراف اللاسلكي

وترى الصينيين يدأبون الآن على تنظيم جنودهم وتعليم اولادهم وتوسيع معاملهم ومتاجرهم يعملون بلا ملل نهاراً وليلاً . ومتى تمَّ لهم ما يبغونهُ طردوا البيض من بلادهم لا بالقوة الفعلية بل بالمناظرة الصناعية والمزاحمة التجارية فتبقى ابواب البلاد مفتوحة للاجانب كما هي اليوم ولكن الاجانب لا يجدون فيها رزقاً ينالونهُ فيضطرون الى تركها لاهلها . ولا بدَّ من ان يطلب الصينيون ان يباح لهم الدخول الى اوربا واميركا واستراليا كما يباح لغيرهم لانهم جعلوا شعارهم من الآن المساواة

ومن المحتمل ان تضطرهم الدول الاوربية الى الحرب قبلما يتم تنظيم جيشهم فان الولايات المتحدة الاميركية تغاضبهم في امر المقيمين منهم في بلادها والفرنسويين يغاضبونهم

في امر الرسالات الدينية الكاثوليكية والانكليز في امر بلاد تبت والروس في امر منغوليا · والذين يعرفون اخلاق الصينيين يقولون انهم سيتذرعون بالصبر ولا يستفزهم امر الى محاربة دولة اوربية قبلما تتم معداتهم الحربية

فالخطر الاصفر لا يقوم بان تجيش الصين جيوشها لغزو اوربا بل بارسالها الالوف والملايين من شعبها الى سائر البلدان ليزاحموا اهلها في اعمالهم · فان الصيني يقتات في يومهِ بغرش واحد ويعمل مثل اربع عامل · ولذلك منعت بعض البلدان دخول العمّال الصينيين بلادها خوفاً من مناظرتهم اهلها ولكن متى صار وراء هؤلاء العمّال ثلاثون مليون رجل شاكي السلاح لم يبقَ سبيل لهذا المنع لاسيما وان اليابان ترى ان مستقبلها قائم بمحالفة الصين وعندها الآن ثمانمئة الف من الجنود المدربين وخمسون الفاً من البحارة الذين خاضوا المعارك ولا يبعد ان تبني هي والصين اسطولاً من اقوى الاساطيل البحرية وتمتلكا استراليا وجزائر فيلبين

فهل تُترك الجمهورية الصينية حتى تقوى ويشتد ساعدها او يحسّن لها اهل المطامع من الاوربيين والاميركيين سلوك سبل الاسراف ويدسون لها الدسائس حتى تقع الشحناء بين رجالها ويقتال بعضهم بعضاً كما فعل العثمانيون · وهل آداب الصينيين كافية لان تقيهم من الوقوع في اشراك الهوى وتعصمهم في مواقع الزلل او تنخر سوس الفساد عظامهم وسوف تعبث بهم عواصف الدهر وتمزقهم شماطيط ذلك ستبينهُ الايام بعد عهد غير بعيد

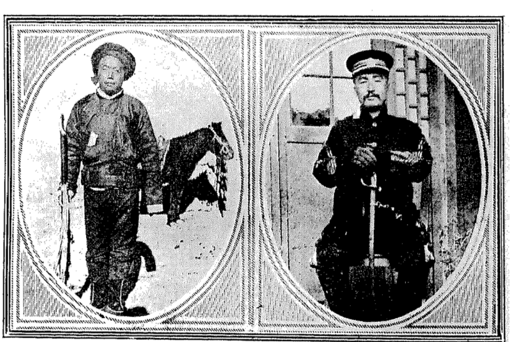
هذا وقد نشرنا مع هذه المقالة بعض الصور الفوتوغرافية الاصل لتظهر منها بعض احوال الصين الحاضرة ففي اسفل الصورة الاولى رسم يوان شه كاي رئيس جمهورية الصين مع كاتم اسرارهِ ورسمهُ وحده · وهو شيخ مسن وقائد محنك قبض على الجمهورية بيدين من الحديد لكي يمنع الثورات الداخلية · وفي اعلاها من الجهة اليمنى صورة تسيان شيه باو الوزير الصيني المقيم في لاسا عاصمة تبت ومن الجهة اليسرى صورة تانغ شاو يي رئيس وزراء الصين وبينهما صورة الدكتور تان جن تون وزير الحقانية

وفي اعلا الصورة الثانية رسم الدوق نرمو اره من وجوه منغوليا والوالي شن من ولاتها وقد اوفدهما الاهالي الى عاصمة الصين لكي تحميهم الجمهورية من الروس · وتحتها صورة ضابط من ضباط الجيش الجديد وصورة رجل من الفرسان · وترى في صورة رئيس النظار وصورة الضابط والوالي والدوق المغولي ان الصينيين اقتبسوا الملابس الاوربية تماماً ورئيس الجمهورية الذي تراهُ هنا باللباس الصيني القديم انما يلبسهُ متفضلاً اذا اراد الراحة في مكتبهِ واما في الديوان والمقابلات الرسمية فيلبس لبس قواد الجيش مثل القواد الاوربيين



رئيس الجمهورية وبعض نظاره

مقتطف اغسطس سنة ١٩١٣ صفحة ١٤٦



مقتطف اغسطس سنة ١٩١٣ صفحة ١٤٦

الرحلة القطبية

قضي على سكوت الرحالة القطبي ودفنت رفاتهُ ورفات رفاقهِ حيث تبرّد تراكم الثلوج الدائمة على مر الايام والاعوام ولكن ما كتبهُ عن رحلتهِ وصل سالماً ووصلت معهُ صورهُ وصور رفاقهِ في حلهم وترحالهم. «تمضي الحقائق والرسوم تقيم». وقد جعلت اندية السينماتوغراف تعرضها في اقطار المسكونة حتى كأن تلك الرحلة كانت لاجل تلك الصور. رأيناها في هذه العاصمة وفيها من المدهشات ما يستوقف النظر ولاسيما حيث ترى الحيوانات البحرية تزحف على الثلج وتخوض في المياه وتسرح وتمرح «وريعان الصبا يستفزّها وتأرن احياناً كما يأرن المهر». ولكن في الرحلة اموراً اغرب ومخاطر مهما بالغ واضعو القصص في الاختراع لم يأتوا باعجب منها

قال المستر ليونرد هكسلي ابن المرحوم الاستاذ هكسلي الشهير ان سكوت لم يقصد من رحلتهِ ان يبلغ القطب الجنوبي قبل غيرهِ مع انهُ كان يتمنى ان يكون لهُ السبق اليهِ او كان واثقاً انهُ سيكون السابق ولكن المعدات التي اعدّها لرحلتهِ كان يقصد منها اكتشاف كل ما يمكن اكتشافهُ من الامور العلمية التي توسّع معارف الناس سواء تمكَّن من الوصول الى القطب او لم يتمكَّن. فكان يقصد ان يعرف ماهية الجبال التي في تلك الاصقاع وتاريخها الجيولوجي وما يتعلّق بالبراكين التي هناك والعصر الجليدي في حاضرهِ وماضيهِ وكل ما يمكن ان يعلم من اختلاف الحر والبرد وضغط الهواء ومجاريهِ والكهربائية الجوية والمغنطيسية وتكوُّن الجليد وحركاتهِ وطبائع الحيوانات التي تعيش هناك والحلميات التي تعيش عليها. ولذلك تألفت بعثةٌ من العلماء واخذت معها كل ما يلزم لها من الآلات والادوات الرياضية والفلكية والبيولوجية واستعانت لنقل امتعتها على الجليد بالكلاب والخيول الصغيرة القد والمزالق الموطرية (١) ونحو ذلك مما يطول شرحهُ

لكن هذه الرحلة كانت محفوفة بالمتاعب والمخاطر من اولها فلم تكد السفينة واسمها ترّا نوفا تقلع يمين فيها في اول دسمبر سنة ١٩١٠ حتى ثارت العواصف واشتدَّت الانواء وعلت الامواج وانصبَّت على ظهر السفينة وعبثت بما هنالك من صناديق البترول واكياس الفحم وحزم العلف وكلها من الزم اللوازم. فعانى الرجال اشد المشاق في تخليصها ونقلها الى اماكن امينة واعملوا

---

(١) لا نرى لنا مناصاً من تعريب كلمة موطر Motor او Moteur كما عربنا كلمة ميكروب وهي لحسن الحظ منطبقة على الاوزان العربية و يسهل استعمالها اسماً وفعلاً ومعناها الالة التي تحرك بحرك داخلي فيها

المضخات لرفع المياه من السفينة لكن المضخات غصّت ووقفت عن العمل فدخلت المياه الى بيت الآلة البخارية واحاطت بالمرجل فسخنت وصار يعسر لمسها واضطرّ الرجال ان يستعملوا الادلي وصاروا كمن يحاول تفريغ البحر بالصدفة ولكن الصبر والجلد يغلبان كل المصاعب فواظب بعضهم على نزح المياه بالدلاء واحتال البعض الآخر على الطلمبا الكبيرة حتى وصلوا اليها واصلحوها وتمكّنوا بعد اللتيا والتي من نزح المياه كلها وتخليص السفينة من الغرق. كل ذلك ولم تفارقهم بهجتهم ولا خامرهم شيء من اليأس ولم يخسروا في هذا النوء الأ فرسين وكلباً و٦٥ جالوناً من البترول وصندوقاً من السبيرتو

وتكررت الانواء والعواصف الى ان بلغت السفينة بحراً متجمداً ودخل عام ١٩١١ بيوم من ابدع الايام يوم يستطيع فيهِ الانسان ان يقف في الشمس الساعة الحادية عشرة ليلاً(٢). وفي اليوم التالي شاهد سكوت ورفاقهُ بركان ارِبوس على مئة وخمسين ميلاً منهم والنار تتأجج فيهِ وهو قائم في جزيرة كبيرة مثلثة الشكل طول كل جانب من جوانبها الثلاثة ٤٠ الى ٤٥ ميلاً فنزلوا عند رأس من رؤوسها وهو رأس ايڤانس واقاموا هناك كوخاً كبيراً نقلوا اليهِ كل ما معهم من الامتعة والادوات والاقوات لكن الجليد الذي كان يغطي البحر بين السفينة والراس لم يلبث ان تشقق ووقع موطر من مواطرهم في شق منهُ وغاص في البحر

واجتمعت الحيتان حول السفينة وهي من النوع المعروف بالقتّال (انظروا وصفهُ في الصفحة ٤٦٠ من المجلد ٣٨ من المقتطف) من كبيرة وصغيرة وكان سبب اجتماعها انها رأت الكلاب على الثلج المتصل بالسفينة فارادت افتراسها واقبل المصور الشمسي بآلتهِ ليصورها واذا بالجليد قد تكسّر تحت قدميهِ وجعلت تلك الحيتان تخرج رؤوسها من كسرهِ وهي التي كسّرتهُ بسباحتها تحتهُ وضربها اياهُ بظهورها مع ان سمكهُ كان قدمين ونصف قدم. ولحسن الحظ بقيت الكلاب على قطعة كبيرة من الجليد فلم تسقط في الماء. ورؤوس هذه الحيتان كبيرة وعيونها صغيرة واشداقها واسعة وفيها اسنان كالخناجر لا اكبر منها بين اسنان الوحوش. والظاهر انهُ أُسقط في يدها لما رأت انها لم تنل من الكلاب ولا من المصور مأرباً فعادت ادراجها. وأُنقذ المصور والكلاب وصناديق البترول التي كانت قد انزلت ووضعت على الجليد

(٢) لان الشمس تدور حول الافق اياماً ولا تغيب او تغيب وقتاً قصيراً ثم تشرق

ومضت اشهر الخريف الثلاثة من اواخر يناير الى اواسط ابريل ورجال سكوت يقيمون المستودعات للزاد في طريقهم واول مستودع منها عند رأس ارميتاج على الطرف المقابل لراس ايفانس . وكان لا بدَّ من الوصول اليهِ على الجليد الطافي على وجه الماء لان ساحل الجزيرة هناك عالٍ جدًّا يتعذر الصعود عليهِ والجليد الذي يغطي البحر عرضة للانكسار في كل لحظة وبعدهُ نهر من الجليد منحدر من جبل اريبوس وطاعن في البحر ولا بدَّ من الوصول اليهِ لانهُ مرقاة يرقى بها الى ما فوقهُ فوصلوا ونقلوا ما معهم من الزاد والمتاع والخيل والكلاب الى الحاجز وهو سهل مرتفع جدًّا يغطيهِ الجليد على مدار السنة ويمتد الى القطب . وكان الرجال اثني عشر والخيول ثمانية والكلاب ٢٦ ومعهم من الزاد والامتعة ما ثقلهُ ثمانية اطنان فاختاروا بقعة تبعد اربعة عشر ميلاً عن موقف السفينة واقاموا فيها مستودعًا كبيرًا وسموهُ مستودع الامان وهو المخيم الثالث بعد السفينة ونقلوا اليهِ امتعتهم وزادهم وكان النقل بمزالق تجرها الخيل والكلاب . ويظهر من الصور المتحركة التي عرضت بالسينماتوغراف ان اختيار الكلاب والخيل للنقل لم يكن من الحكمة في شيء وانها اتعبت سواقها تعبًا غير قليل . اما سكوت فيقول في تقريره انها كانت تجرُّ الاثقال على ما يرام ولم يشذَّ الاَّ القليل منها . لكنهُ ذكر مرة بعد اخرى ما كان يعتريها من الجزع فتجفل وتشرد لاقل سبب لا تلوي على احد ولعلَّ المصور كان ينتبه لها حينئذٍ ويصورها وهي تتجاذب وترمح

قال سكوت « وكان اثنان من الكلاب قد ربيا على ان ينبحا كلَّ غريب ويهجما عليهِ فلا يأْنسان الاَّ بالذي يسوقها وينبحان كل احد غيرهُ . واتفق اني اشرت مرة الى سائقهما ليقف فهجم احدهما عليَّ وعقرني في ساقي ولو لم يكن السائق هناك لتبعتهُ الكلاب كلها واوقعت بي لان الجوع كافر ولا سيما في الكلاب ولا اشرس من الكلب الجائع »

وكانت تلك الكلاب تسير بانتظام وهي مقرونة الى المزالق لكنها تتخاصم وتتهارش لاقل سبب والطبع غلاَّب . واتفق مرة ان فرسًا من الافراس زلق وكان متعبًا فسقط على الارض ولما رأتهُ هجمت عليهِ وجعلت تنهشهُ وهو يعضها ويرفسها واسرع الرجال اليها بعصيهم فكسروها عليها قبلما ابعدوها عنهُ

واستمروا يقيمون المستودعات في طريقهم وينقلون اليها بعض زادهم ثم يعودون وينقلون غيرهُ الى ما امامهُ . وكان الجليد في طريقهم صلبًا في بعض الاماكن ورخوًا متخلخلاً في غيرها فيسهل عليهم السير تارةً ويعسر اخرى وكانوا يرون كل يوم من العقبات ما ليس في الحسبان لتقلب احوال الجو وصادفهم في الطريق نوءُ ثلج من اشد الانواء واخيرًا وصلوا

الى آخر مستودع ووضعوا فيهِ ما يكفي اربعة رجال وخيلهم وكلابهم سبعة اسابيع

وكانوا يسيرون ليلاً وينامون نهاراً لان الجليد يزيد صلابة في الليل فيسهل السير عليهِ والبرد يشتد حينئذٍ فيدفأون بالحركة واما في النهار فيقل البرد نوعًا فلا يخافون ان يبرأهم اذا ناموا وقد وصف سكوت حلهم وارتحالم قال ما خلاصتهُ :—

كنا نخرج من الاكياس التي ننام فيها الساعة التاسعة بعد الظهر وبعد ساعتين ونصف ساعة نكون قد تهيأنا للسفر فرفعنا امتعتنا وقرنَّا الخيل والكلاب الى مزالقها واخذنا في سيرنا من غير توقُّف الاَّ اذا زلق احد الخيول وسقط فنقف لنقيمهُ . ونستريح ساعة في منتصف المرحلة ثم نعود الى السير الى ان ننتهي فنقف ونضع اثقالنا وننصب خيامنا ونسخن طعامنا ونقيم سوراً لخيلنا من الثلج يقيها من عصف الرياح

ولما وصلوا الى ابعد مستودع ووضعوا فيهِ زادهم عادوا ادراجهم ليجلبوا زاد الطريق ورأوا ان يفترقوا فيذهب المسرعون وحدهم والمبطئون وحدهم لان خيلهم وكلابهم لم تكن على درجة واحدة من السرعة . وكان سكوت وثلاثة من رفاقهِ من المسرعين وقبلما وصلوا الى مستودع الامان بليلة كثر الضباب وقلَّ النور رويداً رويداً حتى تعذرت عليهم رؤية طريقهم . قال سكوت وبينما نحن سائرون مسرعين صرخ ولس (احد رجالهِ) قائلاً امسكوا المزلقة فاسرعت اليها ولم ارَ شيئًا وكان يجرها ١٤ كلبًا ولم يكن الاَّ خمس دقائق حتى سقطت الكلاب في هوَّة فان الثلج انقدَّ تحتها الى هوَّة عميقة جدًّا وكان الكلب المقدم كبيراً قويًا فامسك بالثلج بيديهِ ورجليهِ ولم يسقط معها وبقيت المزلقة على الثلج على حافة الهوة . واتضح لنا حينئذٍ اننا كنا سائرين على شفا جرف هارٍ ولولا قليل لسقطنا كلنا في تلك الهوة فابعدنا المزلقة عن الحافة واوثقناها بمرساة والتفتنا لنرى ما حدث للكلاب فرأيناها معلقة في الهواء بالسيور التي كانت مربوطة بها وقد انفك اثنان من سيورها ووقعا على جرف آخر في قاع الهوَّة واما الكلاب الباقية فكانت لا تزال معلقة بسيورها في الهواء وهي تزعق وتحاول الافلات وكان معنا حبل معقد وهو المعروف بسلم جبال الالب وكنت قد سألت عنهُ قبلما اخذنا في السير فطلبتهُ حينئذٍ وفككنا المزلقة وابعدناها عن موقع الخطر هي واكياس النوم والخيمة والموقد . وكانت الهوَّة شقًّا في الجليد غير واسع فوضعت عمودَي الخيمة على حافتيها من جانب الى جانب وكان الحبل قد حزَّ في الجليد والصق الكلب المقدَّم بما تحتهُ حتى كاد يقتلهُ فتمكنا من رفعهِ قليلاً وفككنا الكلب واطلقناهُ . ثم ربطنا الحبل بالسلَّم الالبي وجعلنا نحاول انتشال بقية الكلاب فانتشلنا كلبًا واحداً وتعذَّر علينا

انتشال البقية فبسطنا المزلقة فوق الهوة وامسك واحد منا بمرساتها لكي لا تفلت ور بطنا السلم الالبي بالحبل الذي كانت الكلاب معلقة بهِ وجعلنا ننتشلها اثنين اثنين ونفكهامن ر باطها وكاد يتعذَّر علينا انتشال الكلاب الاخيرة لانها كانت قد اندفعت الى تحت حافة الجليد فانقذنا احد عشر كلباً و بقي الاثنان اللذان افلتا من سيورهما وكان طول السلم تسعين قدماً فادليناهُ الى ان وصل الى الجرف الاسفل فاذا عمقهُ تحتنا ٦٥ قدماً فر بطت انشوطة في الحبل وامسكت بها وجعلت الرجال يدلونني الى ان وصلت الى الجرف الاسفل فامسكت الكلبين ور بطتهما فانتشلها الرجال واحداً بعد الآخر . وكانت الكلاب التي انقذت قد افلتت وعادت الى المزلقة الثانية وجعلت تتهارش هي وكلابها فاضطرَّ الرجال ان يتركوني و يسرعوا اليها ليفصلوا بينها لكنهم عادوا اليَّ مسرعين وانتشلوني وانا لا اصدق بالنجاة . وقد اقتضى تخليص الكلاب على هذه الصورة نحو ساعتين

وتحوَّل سكوت ورفاقهُ عن ذلك الطريق لاتساع الشقوق فيهِ وعادوا الى الطريق الذي ذهبوا فيهِ اولاً لان شقوق الجليد فيهِ اضيق ووصلوا مخيم الامان في ٢٢ فبراير فوجدوا ايفانس ورجالهُ قد سبقوهم اليهِ ومعهم فرس واحد واما الفرسان الاخران فكانا قد ماتا من شدَّة البرد وعصف الثلج

وعاد احد رفاقهم حينئذٍ واخبرهم انهُ رأى امندسن في خليج الحيتان وهو اقرب الى القطب من آخر محطة وصل سكوت اليها بمئة وستة وعشرين ميلاً ومعهُ كلاب كثيرة وهو على اهبة الاسراع الى القطب وسيسير اليهِ قبلما تصير خيولهم قادرة على السير . قال المستر هكسلي ولو كان سكوت ورجالهُ من صغار الاحلام لتركوا ما هم فيهِ من البحث العلمي واخذوا كلابهم واسرعوا الى القطب حتى لا يدعوا امندسن يسبقهم اليهِ اما هم فكان لهم اغراض اسمى ولذلك لم يبالوا بما سمعوا . واشتدَّ البرد حينئذٍ وخيف ان يودي ببقية الخيل فرأى سكوت ورجالهُ ان لا بدَّ لهم من العودة الى المكان المسمَّى هت بوينت عند الطرف الشمالي الشرقي من الحاجز والوصول اليهِ شديد المشقة فاذا مشوا على الحاجز فالبر فيهِ فوق الطاقة واذا ساروا على الجليد الذي يغطي البحر ففيهِ شقوق كثيرة يخشى السقوط فيها . وكان بين طرف الحاجز وهت بوينت خمسة اميال فلما وصلوا اليها وجدوها مغطاة بكسر الجليد وكان بعض رفاقهم قد سبقوهم بالخيل والكلاب فلم يقفوا لهم على اثر فداروا ليسيروا فوق جليد الحاجز واذا الشقوق قد بدأَت بينهم و بينهُ فابعدوا عنها . وكان رفاقهم الذين افتقدوهم قد ساروا امامهم فوق الجليد الذي يغطي البحر فظهرت الشقوق في طريقهم وكانوا يعبرون فوقها بمشقة عظيمة

الى ان وصلوا الى شق كبير واذا بالجليد الذي امامهم قد انفصل وجعل يسير فعادوا ادراجهم ولكنهم رأوا ان الجليد الذي كانوا عليهِ قد اخذ يسير بهم ايضاً فاسرعوا الى الشق الذي يفصل بينهُ وبين ما يليهِ قبلما يتسع ووثبوا فوقهُ هم والخيل والمزالق فنجوا ولكن بعد مشقة عظيمة وكان التعب قد انهكهم فنصبوا خيمتهم وانطرحوا فيها كالقتلى وغلب عليهم النعاس فناموا وبينما هم نيام سمعوا صوتاً شديداً ايقظهم فان الجليد الذي كانوا نائمين عليهِ انقدَّ ايضاً حيث نصبوا خيمتهم وغار فرس من خيلهم في الشق واحاط بهم الماء من كل ناحية فنهضوا حالاً وجمعوا امتعتهم وجعلوا يثبون من قطعة جليد الى قطعة اخرى هم وخيولهم واحمالهم وظلوا كذلك خمس ساعات اشرفوا فيها على الهلاك مراراً وهم يعلمون انهم لو تخطوا كل قطع الجليد ووصلوا الى الحاجز لتعذر عليهم تسلقهُ لارتفاع جدارهِ على ساحل البحر. وكانت الحيتان القتَّالة تخوض البحر حولهم تحاول افتراسهم ومع ذلك كلهِ لم تخر عزائمهم لانهم كانوا يعلمون ان نجاح البعثة في عملها متوقف عليهم فاذا فشلوا عادت بالفشل. واخيراً تبرَّع واحد منهم ان يخاطر بنفسهِ ويثب الى الحاجز ويفتش عن رفاقهم ليأتوا لمعونتهم فجعل يثب من قطعة جليد الى اخرى الى ان وصل الى قطعة التصقت حينئذٍ بالحاجز فوثب اليها وتسلق الحاجز ووصل الى سكوت ورفاقهِ واخبرهم بما حلَّ برفيقيهِ فاسرعوا لاغاثتهما ومعهم السلم الالبي فنجوهما وانقذوا فرساً من الافراس الثلاثة ولكن بعد تعب يفوق الوصف مدة ثلاثة ايام

فهذه المشاق بل هذه الارزاء تثبط العزائم ولذلك صدق سكوت في ما كتبهُ في يوميتهِ حيث قال ان فشلنا لم يكن لاننا اخطأنا في تدبير امورنا بل لانهُ نزلت بنا نوازل لم تكن منتظرة فاولاً فقدنا دواب النقل في مارس سنة ١٩١١ فاضطررت ان أُوَخر سفرنا وان اقلل المؤُونة التي اخذناها معنا. وثانياً اشتدَّ البرد وثارت العواصف كل مدة السفر ولاسيما حينما كنا عند الدرجة ٨٣. وقد قاومنا هذه العوائق بهمة ونشاط وتغلبنا عليها ولكنها فلّت مؤُونتنا ولولا مصيبة اخرى حلت بنا لوصلنا الى القطب ورجعنا منهُ ومعنا زاد كاف لاننا كنا قد استعددنا لهذه الطوارىء. ثم شرح هذه المصيبة كما ترى في ما كتبناهُ عنهُ في صدر مقتطف مارس الماضي

العقل الباطن

رجل ابيض الوجه اشقر الشعر كبير الرأس مستديرهُ عالي الجبين بارزهُ تحسبهُ من كبار الفلاسفة ثم تكلمهُ في امور الدنيا فتجدهُ ابله لا يدرك شيئًا وكيف لا يكون كذلك وعملهُ الوحيد الذي يعيش بهِ حمل جرتين من الماء من العين الى المدرسة كأَنَّهُ دابَّة من دواب الحمل . عرفناهُ في صبانا ونحن نطلب العلم في مدرسة عبيه يأْتي بجرار الماء ساعة بعد اخرى ومتى انتهى التلامذة من طعامهم دخل المطبخ واكل من فضلاتهم

قد يقول القارئُ ان رجلاً مثل هذا لا يستحق ان نفتتح بهِ مقالة فلسفية . لكن اسأَلهُ في اي يوم من الاسبوع وقع اليوم الثامن عشر من شهر يوليو سنة ١٨٥٢ مثلاً فيقول لك يوم الاحد على الفور . واسأَلهُ في اي يوم من الاسبوع وقع اليوم الثامن من شهر دسمبر سنة ١٨٣٠ فيقول لك يوم الاربعاء . تأْخذ القلم لتحسب فيتعذَّر عليك الحساب ولكنك ترجع الى النتائج والازياج فتجد ان ذلك السقَّاء الابله مصيب في كل ما قال — وقد عمل عقلهُ الباطن عملية حسابية عويصة جدًّا واتمَّها في بضع ثوانٍ واسحق نيوتن لا يستطيع ان يتمها في بضع دقائق ولو استعان بالقلم والقرطاس وجداول اللوغرثمات

قد تقول ما هو هذا العقل الباطن واين مقرهُ وما هي خواصهُ ومزاياهُ وهل هو شيءٌ موجود حقيقة ولماذا لا نراهُ في كل الناس

الموضوع جليل والبحث فيهِ حديث والقول بهذا العقل اهم ما قال بهِ الفلاسفة في هذه الايام . وقد نعتوهُ بالسبلمنال Subliminal ومعناهُ الذي تحت العتبة اي تحت عتبة الوجدان او وراء الوجدان لان الوجدان لا يتصل اليهِ . والاستعارة غريبة ولكن الالفة تزيل الغرابة ونرى ان ترجمة ذلك بالعقل الباطن تنطبق على المراد . فان حلّ الرجل المشار اليهِ آنفًا للمسائل الحسابية من غير قلم ومن غير ان يتعلم قواعد الحساب او يجري عليها ومن غير ان يدرك ما هو فاعل يدلُّ دلالة قاطعة على ان فيهِ عقلاً يحسب على اسلوب لا نعلمهُ وبسرعة لم نعتدها ويصل الى النتيجة المطلوبة كأَنهُ يرى السنين مكتوبة امامهُ في جدول وامام كل يوم من كل شهر اسم اليوم من الاسبوع الذي يقع فيهِ . يرى ذلك ويعلمهُ بعين هذا العقل وهو امي لا يعرف الكتابة ولا القراءة

وقد يظن لاول وهلة اننا مبالغون في ما نرويهِ عن هذا الرجل وقد يكون فيهِ شيءٌ من المبالغة اذ قد مضى عليهِ الآن نحو نصف قرن ونحن نروي معتمدين على الذاكرة وهي قد تخدع

صاحبها ولكن غيرنا شاهد اناساً مثل هذا الرجل وكتب ما شاهده حال مشاهدته . ومن هذا القبيل ما يروى عن بعض الحسَّاب الذين يضربون بضعة ارقام ببضعة ارقام اخرى في ذهنهم ويستخرجون حاصل الضرب باسرع مما يستخرجه امهر الحسَّاب بقلمه . وقد رأينا واحداً منهم في باريس منذ سنتين وظاهر الامر انهُ غير خادع . ولماذا نبعد ونفتش عن الشواذ وهذا النوع من العقل الباطن او الشعور الباطن موجود في كل احد . فالخطيب الذي يرتجل خطبة طويلة مفعمة بالادلة والشواهد . والشاعر الذي تجود قريحتهُ في بعض الاحيان فينظم البيت بعد البيت من غير توقف ويستحضر ذهنهُ المعاني والقوافي . والمجادل الذي تحرجهُ فيسرد لك الدليل بعد الدليل من غير توقف . والمحرر الذي يدعى فجأَةً لانشاء مقالة كبيرة في دقائق قليلة فيسبق فكرهُ قلمهُ وهو لو حاول انشاءها في وقت آخر لتعذَّر عليهِ ان يأتي بربعها في ذلك الوقت . كل هؤلاء يعتمدون على عقلهم الباطن وهم لا يدرون فهو شيطانهم الذي يوحي اليهم او قريحتهم التي تتنبَّه فتستيقظ وتجود

كتب بعضهم في مجلة المعرفة الانكليزية يقول اذا وقعت على يدك ذبابة صغيرة فقد لا تشعر بها مطلقاً . اي ان الشعور بها صفر او لا شيء ولكن اذا وقع على يدك ست ذبابات مثلها فانك تشعر بها حالاً مع ان مجموع ستة اصفار صفر اذ انهُ لا يتكون شيء من لا شيء . وهذا يدل ان للشعور الظاهر بالمؤثرات حدًّا لا يتجاوزهُ فاذا ضعف المؤثر عن ذلك الحد لم نعد نشعر بهِ . ولكن عدم شعورنا بهِ لا ينفي وجودهُ ولا ينفي انهُ اثَّر فينا وان فينا قوة باطنة قد تشعر بهِ . والادلة على ذلك كثيرة . قال الدكتور ملن برامول انهُ نوَّم بعض الناس تنويماً مغنطيسياً وامرهم ان يفعلوا بعض الافعال بعد ما يستيقظون . ولما استيقظوا لم يكن عقلهم الظاهر يدري شيئاً مما أُمروا بهِ واما عقلهم الباطن فكان مدركاً ما أُمروا بهِ وعمل بهِ في الميعاد المعين . مثال ذلك انهُ امر امرأةً ان ترسم رسماً معلوماً على ورقة بعد ٢٤ ساعة و ٢٨٨٠ دقيقة وقد امرها بذلك في الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين بعد الظهر من اليوم الثامن عشر من شهر دسمبر. فرسمت ذلك الرسم في الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين بعد الظهر من اليوم الحادي والعشرين من شهر دسمبر اي في الدقيقة المعينة تماماً . وعيَّن لها اوقاتاً اخرى وكلها بالوف الدقائق ففعلت ما امرها بهِ وهي لا تدري ان عقلها الباطن يحوّل الدقائق الى ساعات وايام ويجعلها تفعل ما أُمرت بهِ وهي نائمة ولو شاءت ان تحول تلك الدقائق الى ساعات وايام في يقظتها لتعذر عليها تحويلها من غير قلم وقرطاس كما يتعذر على غيرها . فعقلها الباطن كان يدرك ويحسب وهو امهر من عقلها الظاهر .

ومن المحتمل ان الذين يضعف فيهم العقل الظاهر يقوي فيهم العقل الباطن كما تقدم في امر السقاء الذي ذكرناهُ آنفاً وفي كثيرين من المختلي الشعور

ومما لا شبهة فيهِ ان ذاكرة العقل الباطن احفظ من ذاكرة العقل الظاهر فكم من امرٍ ننساهُ ثم نتذكرهُ ونحن نيام او اذا أصبنا بحمَّى او أُعطينا البنج . كأن ما يضعف سلطة العقل الظاهر يفتح باب العقل الباطن . ويعلم المؤلفون والمصنفون انهم يخترعون اكثر معاني ما يكتبونهُ وهم بين النوم واليقظة او وهم سكارى او تحت فعل المخدرات كالحشيش والافيون . واذا صحوا لم يستطيعوا شيئاً . هؤلاء النوابغ يذهل الواحد منهم فيتدفق كالسيل في ما ينظمهُ او يصنفهُ حتى اذا استيقظ من ذهولهِ بلدت قريحتهُ وعصت اوامرهُ بل هي تكره الامر ولا تفعل الا مختارة

واننا نعرف اكثر من شاعر وناثر بين الاحياء والاموات لا يجيدون النظم والنثر الا اذا شربوا مسكراً او تخدَّر دماغهم بمخدر ما . ونعرف شاعراً كبيراً كان يملأ معدتهُ بالقهوة ودماغهُ بدخان التبغ قبلما يُفتح عليهِ لينظم ما يريد نظمهُ من الشعر . وكاتباً آخر كان يتعاطى الحشيش فيصير وهو تحت فعلهِ من ابلغ المحدثين وارباب الجدل يسرد لك اقوال رسو وشو بنهور مع انهُ عربي ومعرفتهُ بالفرنسوية المام الا انهُ طالع كثيراً فيها واذا زال فعل الحشيش صار كأنهُ من عامة الناس . ومحامياً كان يتعاطى الافيون فاذا كان تحت فعلهِ صار فصيح اللسان قوي العارضة بالغ الحجة حتى اذا انقضى فعلهُ عاد من اضعف الناس واخملهم . وطبيباً كانت تعتريهِ السوداء فيجلس مطرقاً كاسف البال لا يتكلم الا عمَّا هو فيهِ من المرض والبؤس ثم تزول النوبة فلا يشق لهُ غبار في البداهة وخفة الروح وحسن المحاضرة

كل هؤلاء يمكن تفسير ما يعتريهم بتنبه عقلهم الباطن حينما يتولى الضعف عقلهم الظاهر وبان في خزائن العقل الباطن محفوظات كثيرة كما في خزائن العقل الظاهر او اكثر

من الحوادث التي تجري هذا المجرى ان والتر سكوت الكاتب الانكليزي المشهور املى روايتهُ المعنونة بعروس لمرمور وهو مريض جسداً وعقلاً ثم لما شفي وقرئت لهُ استغربها ولم يصدق انهُ هو الذي املاها . وقال الكاتب ستفنصن مؤلف رواية جزيرة الكنز انهُ كتب خمسة عشر فصلاً منها في خمسة عشر يوماً وفرغ جرابهُ . قال « ووقفت هناك كأن لم يبقَ في ذهني كلمة اكتبها » . ثم علا المدُّ بعد هذا الجزر وجرت القريحة وجعل ينشئ فصلاً كل يوم الى ان اتمَّ الرواية . وقال انهُ كان يحلم بوقائع هذه القصة ثم ينهض ويكتبها

وما يقال عن الشعراء والكتَّاب عموماً يقال عن المصورين والموسيقيين وكل اهل

القرائح فانهم كلهم يستنبطون ويخترعون كأنهُ يوحى اليهم ولا يدركون كيف يفعلون ذلك واذا تعمَّلوا عجزوا عن المجيء بمثل ما يجيئون بهِ على البداهة

والظاهر ان لهذا العقل الباطن قوى مختلفة كما للعقل الظاهر فيشعر ويدرك ويحفظ ويتخيَّل ويستنبط وافعالهُ تفوق افعال العقل الظاهر . وترى الفلاسفة يبحثون اليوم في ما كنَّا نعدهُ بالامس من اوهام اهل التصوُّف او اهل الباطن وبحثهم فيهِ جديد ابتدأ بهِ ميرس منذ خمس وعشرين سنة وقال فيهِ الاستاذ وليم جمس انهُ « اعظم ما شادتهُ الفلسفة العقلية حديثًا وكل يوم نرى لهُ دعامة جديدة تدعمهُ »

ومن رأي بعض الباحثين ان هذا العقل الباطن جوهر عام يشترك فيهِ جميع الناس اي انهُ كالاثير الذي يتخلل الاجسام الارضية . وهو رأي في غاية الغرابة ولكن تفسَّر بهِ امور كثيرة ممَّا يعسر تفسيرهُ بغيرهِ واذا اثبتتهُ المباحث التالية اثباتًا ينفي الريب ثبت منهُ ان الناس كلهم عائلة واحدة او اعضاء جسم واحد مشتركون في نفس واحدة . واذا رسخ هذا الاعتقاد في جميع الناس صارت الارض سماء وانتفت منها الشرور والمظالم والمطامع ولكن هيهات ثم هيهات . واذا تحققت هذه الامنية فلا يكون تحققها في ايامنا ولا في ايام اولادنا وقد لا ينجلي القرن العشرين الاَّ عن مثل حروب البلقان وثوران البركان

الطيران فوق الالب

لقد كان عبور جبال الالب الغاية التي سعى اليها كبار الفاتحين مثل هنيبال ونبوليون وتجشموا في سبيلها اشد المشاق . اما وقد تيسَّر ركوب الهواء فلم يشأ الطيارون ان تقف تلك الجبال في سبيلهم فقطع فوقها اول طيار منذ سنتين لكنهُ لم يصل الى الارض سالمًا وهو المسيو جورج شاڤه فقام احد ابناء بلادهِ واخذ بثارهِ فطار من بريغ Brigue الى دومودسولا Domo d'Ossola فوق الطريق الذي يمر فيهِ سرب سمبلن في ٢٦ دقيقة لا غير وقد وصف كيفية طيرانهِ قال: —

لقد منَّيت نفسي منذ زمن بالطيران فوق جبال الالب. وكانت امور كثيرة تدفعني الى هذا العمل المحفوف بالمخاطر اخصها ان ابيّن ان ما كان يعدُّ ضربًا من المحال سنة ١٩١٠ صار امرًا ميسورًا الآن بعد ان اتقنت آلات الطيران ذات السطح الواحد وصار الخطر في ركوبها اقل ممَّا كان قبلاً . ثم اني كنت اود ان آخذ بثار ابن وطني جورج شاڤه الذي طار فوق تلك الجبال منذ اكثر من سنتين ولكنهُ وقع الى الارض وهو يحاول النزول فقضي عليهِ

ويمكنني الآن ان اقول ان الطيران فوق جبال الالب او فوق اية سلسلة كانت من الجبال ليس اشد خطراً من الطيران فوق السهول على شرط ان تكون الطيارة من اجود الانواع وان يكون الطيَّار عارفاً بالجبال التي يريد الطيران فوقها معرفة نظرية وعملية وعارفاً كيف يستفيد من احوال الجو. والشرط الاهم ان يكون الطيَّار نفسهُ راغباً في عملهِ مهتماً بهِ

اما الطيارة فيجب ان تكون قادرة على الصعود بسرعة اي يجب ان تكون متينة لا تتكسَّر اذا اسرعت وتكون آلتها قوية . وقد يقال ان اجتماع هذين الشرطين ضرب من المحال لان الطيارة المتينة يجب ان تكون ثقيلة والطيارة الثقيلة تقتضي آلة ثقيلة لكي تكون قوية فيتعذر ارتفاعها بسرعة

ولكن هذا خطأ فان الطيارة التي طرت بها لم تكن احسن الطيارات الموجودة ومع ذلك بلغت بها ارتفاع عشرة آلاف قدم في اربع عشرة دقيقة من الزمن وهي من النوع العادي الذي تستعملهُ الجنود الآن وفيها آلة قوتها ٢٤ حصاناً فقط وثقل الطيارة والآلة وما فيها عشرة قناطير (مصرية) ومساحة سطحها ١٥ يرداً مربعاً اي انها كانت ثقيلة بالنسبة الى قوة آلتها المحركة

فالطيارة كانت متينة ومن النوع الثابت الذي يعسر انقلابهُ وكنت قد الفت الطيران بها مراراً وفي اوقات يشتد فيها عصف العواصف فكنت واثقاً بها

وقد اخترت ان ابتدئ طيراني من بريغ Brigue كما اختار سلفي شافه. وصلتها في ٦ يناير فانتقد كثيرون عليَّ اختياري فصل الشتاء والزمهرير لهذا الطيران اما انا فاخترت ذلك الوقت عمداً لاني عارف بجبال الالب ولاسيما تلك الجهة منها وعارف ان رياحاً حارَّةً تهبُّ من ايطاليا في كل شهور السنة الاَّ في دسمبر ويناير وفبراير . وزد على ذلك ان الجبال والاودية التي بينها تتغطى بالثلج في فصل الشتاء على حدٍ سوى فتكون حرارة الهواء فوقها متعادلة واما في الصيف فتتغطى الاودية بالخضرة وتنكشف الجبال لحرارة الشمس وتشعها الى الهواء . ثم ان حرارة الشمس الواصلة الى الارض تكون في الشتاء اقل منها في الصيف والارض المغطاة بالثلج لا تحفظ الحرارة ولذلك فالاروبلان الذي يطير فوق جبل شاهق ثم فوق وادٍ عميق ثم ينتقل الى ما فوق جبل ثم الى ما فوق وادٍ لا تصادفهُ الزوابع في الشتاء كما تصادفهُ في الصيف لانها تتكوَّن من اختلاف درجات الحر والبرد باختلاف الاماكن

وقد كانت النتيجة كما قدرتُ تماماً وفي اول الامر صادفتني ريح شمالية باردة جدًّا ولكنها لم تتعبني كثيراً ولم تصادفني الزوابع التي اودت بصديقي شافه في شهر سبتمبر سنة ١٩١٠

قلت اني وصلت في السادس من يناير . وفي الحادي عشر منهُ جرَّبت الطيران فاتبعتني الآلة جدًّا وكسرت ضلعًا من اضلاع الطيارة لما نزلت ثم وقع الثلج وقوعًا مستمرًّا . وفي الرابع والعشرين من الشهر اتيت بالعمال فجرفوا ٥٥٠ يردًا مكعبًا من الثلج من بقعة طولها ١٠٩ يردات وعرضها ٣٨ يردًا وكنت قد اخترتها لاطير منها وفي اليوم التالي وهو الخامس والعشرون من يناير طرت نصف النهار من بريغ وكان الجو مطبقًا بغيوم كثيفة تعلو ١١٥٠٠ قدم والمكان هناك يعلو ٢٦٢٤ قدمًا فوق سطح البحر

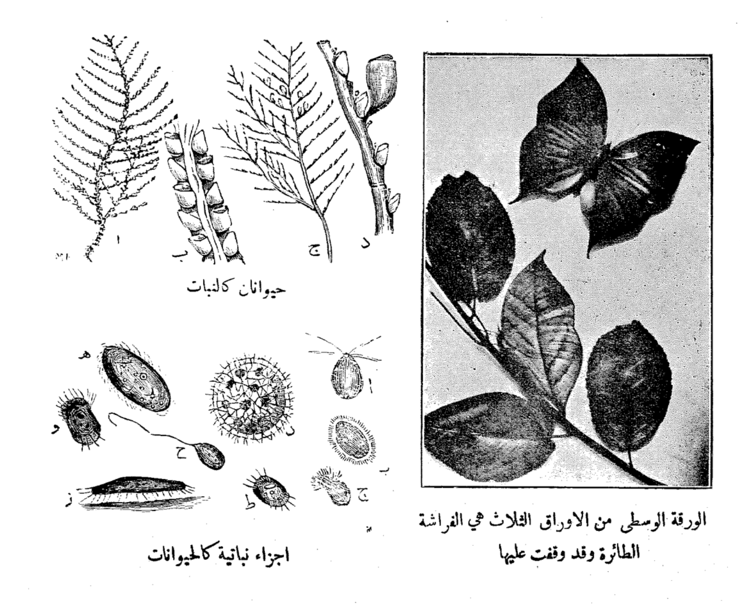
فارتفعت اولاً في شكل حلزوني وفي الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة بلغت ارتفاع ٩٥٠٠ قدم فوق سطح البحر وحدث حينئذٍ شيء من الاضطراب في الآلة فوقفت في موقف حرج جدًّا ولكن الآلة اصطلحت حالاً وبعد خمس دقائق اخرى صرت فوق كول ده سمبلون وبلغ ارتفاعي ٨٥٠٠ قدم وبلغ قلقي حينئذٍ اشدَّهُ ثم فُرّج عني لما صرت فوق قرية سمبلون وكان ارتفاعي حينئذٍ ٩١٨٠ قدمًا لاني دخلت منطقة من الهواء الساكن سكونًا تامًّا ومن ثم سرت في الطريق الذي سار فيهِ شافه ولكنني علوت الى ١٠٥٠٠ قدم وهذا اعلى ما بلغتهُ

وفي الساعة الثانية عشرة والدقيقة الثانية والعشرين اوقفت آلتي عن الحركة ونزلت بالطيارة على سطح مائل اربع دقائق فبلغت الارض على بضعة امتار من التذكار الذي اقيم لشافه وكان واحد من اصدقائي في انتظاري هناك فرآني عن بعد وللحال اجتمع الناس حولهُ حتى لم اجد مكانًا انزل فيهِ لشدة ازدحامهم الاَّ الفسحة التي اعدت لنزولي قرب التذكار فنزلت فيها وقابلني الجمع بالهتاف والتصفيق

وكنت وانا طائر لا التفت الى ما حولي من المناظر البديعة بل كان همي كلهُ موجهًا الى آلتي ولا سيما في القسم الاول من الطريق الى ان صرت فوق قرية سمبلون لاشتداد الريح الشمالية فيهِ واما باقي الطريق فكنت فيهِ اقل قلقًا وكنت ارى جبال الالب تحتي كبحر واسع تغطيهِ الامواج ويعلو فوقها الزبد وهي الغيوم الطافية فوقهُ

ولم ابرد قط في طريقي لان درجة الحرارة لم تهبط في اعلى مكان وصلت اليهِ عن الدرجة ٤١ بميزان فارنهيت . انتهى

ويظهر لنا انهُ اذا اضيف الى الطيارات المختلفة جهاز كالدوَّامة يمنع انقلابها صار السفر فيها امينًا كالسفر في المراكب الشراعية او كالسفر في السفن البخارية . وقد آلى المخترعون والمستنبطون ان لا يكفوا حتى يصلوا الى هذه الغاية وحينئذٍ يقال انهم تمكنوا من ركوب الهواء كما تمكنوا من ركوب الماء



الورقة الوسطى من الاوراق الثلاث هي الفراشة الطائرة وقد وقفت عليها

حيوانان كالنبات

اجزاء نباتية كالحيوانات

مرض الجماد وتلقيحهُ ونموهُ

جرت العادة من قديم الزمان ان نقسم الاجسام الارضية الى حيوان ونبات وجماد. ومميزات كل قسم من هذه الاقسام الثلاثة واضحة جدًّا الاَّ عند الحد الذي يدنو فيهِ القسم الواحد من الآخر فان انواع الحيوان الدنيا تلتبس بانواع النبات العليا وانواع النبات الدنيا تلتبس بانواع الجماد العليا حتى لقد يتعذر عد بعض الموجودات من الحيوان او من النبات ومن النبات او من الجماد

وزد على ذلك ان بعض الانواع العليا من الحيوان تظهر فيها خواص النبات كما ترى في تشعُّب المرجان والاسفنج وكثير غيرها من الحيوانات البحرية التي تماثل النبات في نموها وتشعُّبها وكما ترى في الاشكال التي تتشكل بها بعض انواع الفراش والديدان حتى تماثل الازهار والاوراق والاغصان وكما ترى في النبات الحساس والنبات المفترس اللذين يتمثلان بالحيوان

وقد يظن لاول وهلة ان الجماد لا يماثل الحيوان والنبات في شيء ولكن هذا غير الواقع فان بعضهُ يتبلور باشكال تشبه اشكال النبات واغرب من ذلك ان بعضهُ يمرض او تظهر فيهِ ظواهر مثل ظواهر المرض في الحيوان وبعضهُ يتغير من حال الى اخرى اذا تلقَّح وبعضهُ ينمو نموًّا محسوسًا واليك بيان ذلك

مرض الجماد

ذكر ارسطوطاليس ان القصدير الذي يؤْتى بهِ من بلاد السلت اسهل ذوبانًا من الرصاص العادي بدليل انهُ يذوب في الماء ويذوب ايضًا اذا اشتدَّ البرد وجلدت الارض. وقد ابان الاستاذ كوهن حديثًا انهُ اشتدَّ البرد مرة في مدينة من مدن المانيا الشمالية وكان في كنيستها ارغن انابيبهُ من القصدير فتخرقت من نفسها وصار قصديرها قصمًا حول الخروق تفركهُ بيدك فيتحول الى مسحوق ناعم. وقيل ان البرد اشتدَّ مرة في بطرسبرج وكان في دار جمركها قطع كبيرة من القصدير فتفتتت من نفسها

واذا اشتدَّ البرد على القصدير ظهرت على وجههِ كُلَف كالحبوب والثآليل ثم جعلت تنتشر حتى تغطي وجههُ كلهُ ولذلك سميت بمرض القصدير او بوباء القصدير. ويستحيل القصدير بعد ذلك الى مسحوق وهذا المسحوق قصدير صرف اي انهُ ليس مثل صدإ الحديد وزنجار النحاس

مركبًا من المعدن وعنصر آخر بل هو قصدير صرف والفرق بين القصدير المعدني الابيض اللامع وهذا القصدير الرمادي المسحوق ان ثقل الاول النوعي ٧٫٢٨ وثقل الثاني النوعي ٥٫٧٩ ويستحيل الواحد الى الآخر عند الدرجة ١٨ بميزان الحرارة وذلك ليس شرطًا لازمًا لان القصدير المعدني قد يبرد الى هذه الدرجة او ما تحتها ولا يمرض ولا ينسحق . ولكن اذا ظهر فيهِ المرض ولو في بقعة صغيرة جدًّا امتدَّ حالاً وشملهُ كلهُ فهو كالمرض الذي يصيب الحيوان والنبات

تلقيح الجماد

المعروف ان الماءَ اذا برد الى درجة الصفر بميزان سنتغراد او ٣٢ بميزان فارنهيت جمد واستحال جليدًا . ولكن يحدث كثيرًا ان الماءَ يبرد الى الدرجة الرابعة او الخامسة تحت الصفر ولا يجمد وقد يمكن تبريدهُ الى الدرجة العاشرة او العشرين تحت الصفر ولا يجمد بل يبقى سائلاً وذلك اذا كان موضوعًا في اناءٍ زجاجي نظيف وكان سطحهُ مغطًّى بقليل من الزيت حتى لا يصل اليهِ الغبار من الهواء . ولكن اذا طرحت فيهِ حينئذٍ قطعة صغيرة من الجليد جمد كلهُ حالاً كأن تلك القطعة لقحتهُ كما يلقح اللقاح البيضة في الحيوان والثمرة في في النبات . ويحدث مثل ذلك في كثير من الجمادات كالفصفور والحامض الكربوليك والثيمول والبتول . فاذا برد الثيمول الى الدرجة التي يجمد فيها ولم يحرَّك اناؤُهُ ولا وقع فيهِ غبار بقي سائلاً واذا طرح فيهِ حينئذٍ بلورة صغيرة من الثيمول الجامد جمد كلهُ حالاً وتبلور . وكذلك خلات الصوديوم يبرَّد الى ما تحت الدرجة التي يتبلور عندها فلا يتبلور ثم تطرح فيهِ بلورة صغيرة من خلات الصوديوم فيتبلور كلهُ حالاً . اي ان القطعة الصغيرة التي تطرح في السائل المبرد تفعل فعل اللقاح في الحيوان والنبات

واغرب من ذلك ان تلقيح بيضة الحيوان قد يتم بفعل كيماوي مثل هذا كما ثبت حديثًا في بيوض بعض الحيوانات البحرية

ثم ان خلات الصوديوم الذي برِّد كثيرًا ولم يتبلور يتبلور حالاً اذا وضع في غرفة سُحق فيها شيءٌ قليل من بلوراتهِ بهاون كأنَّ الذرات الدقيقة التي تطير في الغرفة من خلات الصوديوم حين سحقهِ تكفي لتلقيح السائل المبرَّد كما ان لقاح السمك الذي يكون منتشرًا في ماء البحر يكفي احيانًا لتلقيح بيضهِ . واللقاح الذي تحملهُ الرياح اللواقح يكفي احيانًا كثيرة لتلقيح النخل والصنوبر

وكما ان القليل من لقاح الحيوان والنبات يكفي لتلقيح ما كان من نوعهِ كذلك القليل جدًّا من لقاح الجماد يكفي لتلقيح ما كان من نوعهِ . فاذا لمست بلورةً من بلورات التيمول بشعرة من شعر رأسك ثم لمست بتلك الشعرة سائلاً مبرَّداً من التيمول كفت لتلقيحهِ وبلورتهِ مهما كان ما علق بها قليلاً

نمو الجماد

اما النمو فشامل لكل الاجسام التي تتبلور . ولكل نوع من البلورات درجة خاصة من النمو وشكل خاص . اذب ملح الطعام في قليل من الماء حتى يشبع منهُ ثم صبَّ من الماء على لوح من الزجاج وانظر اليهِ بعدسية مكبرة فتراهُ يتبلور بلورات مربعة قائمة الزوايا مجوفة في وسطها كأنها مركبة من طبقات متراكزة وتراها تنمو وتكبر امام عينيك . وقد حسبوا ان بلورات الفصفور تنمو بسرعة مئتي قدم في الدقيقة وبلورات الجليد عند الدرجة ٢ تحت الصفر تنمو بسرعة ثماني عقد في الدقيقة . والغالب ان يكون نمو البلورات في الطبيعة بطيئًا جدًّا مثل نمو الحيوان بل ابطأ منهُ

وقد يتغير شكل البلورات من وقت الى آخر مثال ذلك ان بلورات الكبريت المصهور اذا برد رويداً رويداً تكون في اول الامر ابرية لامعة ثم يزول لمانها وتستحيل الى اشكال معينة مما يدلُّ على ان الجماد يتغير احيانًا كما يتغير النبات والحيوان

فالشبه شديد بين الجماد والنبات والحيوان في امور كثيرة واذا كان الامر كذلك فهل هي كلها من اصل واحد تولدت منهُ انواعها واشكالها تولداً . وهل نستطيع ان نولدها بعضها من بعض . والجواب عن القسم الاول ان العلوم الحديثة تميل الى القول بانها كلها من اصل واحد وهو مذهب فلسفي لا يصل العلم الطبيعي الى اثباتهِ او نفيهِ . وعن القسم التالي مثل الجواب عن استحالة انواع الحيوان وانواع النبات بعضها الى بعض او تولُّد بعضها من بعض . اي ان ما اقتضى حدوثهُ ملايين كثيرة من السنين لا ينتظر اننا نحدثهُ في سنة او بضع سنوات او ان يحدث الآن في وقت قصير يقدَّر بالعشرات او بالمئات من السنين ولكن ظهور الصفات المتماثلة في الحيوان والنبات والجماد يشير الى ان الموجودات كلها تتمشى على اسلوب واحد وانها كلها خاضعة لنواميس واحدة

القديس اوغستينوس

وناموس النشوء والتحوُّل

القديس اوغستينوس من اعظم احبار القرون الاولى المسيحية ومن اعظم اقطاب الكنيسة اللاتينية واسع المعرفة كثير التبحر في اللاهوت والعلوم الدينية ولهُ فيها مصنفات كثيرة يرجع اليها علماء الدين في التعليم والاستشهاد واهمها كتابهُ في تفسير سفر التكوين الذي بسط فيهِ آراءهُ الفلسفية وطبقها على التعاليم الدينية وسماهُ « سفر التكوين بالمعنى الحرفي [1] » ومن يطالعهُ يخيَّل لهُ انهُ يطالع مصنفاً لعلماء هذا العصر

عاش هذا الحبر في اواخر الرابع واوائل الخامس (٣٥٤—٤٣٠) وكان اسقفاً على هيپون (من سنة ٣٩٥ الى ٤٣٠) من اعمال الجزائر وآراؤهُ الفلسفية التي يقول بها علماء هذه الايام دُفنت في خزائن رجال الدين ورجال الدين انفسهم يجهلونها بدليل انهُ كلما ظهرت حقيقة علمية وكان ظاهرها يخالف الدين بمعناهُ الحرفي رموا مكتشفها وناشرها بسهام التقريع واتهموهُ بالمروق من الدين وهذا شأنهم مع كل علماء الطبيعة ولو رجعوا الى ذلك الحبر النابغة وهو حجتهم في التعاليم الدينية لعرفوا خطاءهم ورجعوا الى الصواب واجتهدوا اجتهادهُ في تطبيق العلم على الدين

واني لا ادعي الشرف باكتشاف هذه الكنوز من مصنفاتهِ ولكني اطلعت على شذرات منها في مجلة الاخبار الطبية للدكتور كابانس وهو حجة في التاريخ ينقّب عن كنوزهِ المدفونة في خبايا الازمنة وقد طالع تلك المصنفات على كثرتها واستخرج منها كنوزاً نشرها في مؤلف خاص ونشر نتفاً منها في مجلتهِ فنقلتها عنهُ لتكون نوراً للمفكرين وعبرةً للمكابرين

مهما تقلبت الآراء في نشوء المادة فانها لا تخرج عن احد امرين لا ثالث لهما اي ان المادة اما ان تكون ازلية او لا وبعبارة اخرى ان النشوء اما ان يكون لهُ بداية او لا

فالفلاسفة الاقدمون يزعمون ان المادة ازلية الاَّ ان النشوء فيها حادث ولذلك قالوا بوجود سبب واجب الوجود لذاتهِ ومشترك في الازلية مع المادة وهو وان يكن مستقلاًّ عنها فقد ايقظها من سباتها الازلي واكسبها قوة الحركة . وفي هذا من التكلُّف والإشكال ما

(١) التكوين بالمعنى الحرفي الكتاب ١٢ من مجلد ٤ من مجموعة القديس اوغستينوس ترجمة سينولو الفرنساوية بادارة رول و بارلدوك وغارين وشركاهم طبعة ١٨٦٦

يوجب عدم التسليم بهِ لانهُ لا يعقل وجود كائنين مشتركين في الازلية وبكونان مستقلين احدهما عن الآخر . والمتأخرون ومنهم الماديون يخطئونهم ولا يسلمون بازلية المادة وحدوث النشوء فيها لانهم لا يفصلون المادة من خواصها النشوئية ويوجبون بوجودها وجود قوة فيها عملت على نشوئها منذ الازل اي ان النشوء ازلي في مادة ازلية

اما الرأي الثاني اي ان المادة حادثة ونشوءها حادث فيقضي بوجود سبب اولي خارج عن المادة اي سبب خالق لها وللقوات التي تنميها وهو لا ينافي حقائق النشوء . واذا سلمنا بهِ بقي تاريخ النشوء واحداً . والظاهر ان احبار الكنيسة في القرون الاولى لم يروا فيهِ ما ينافي الايمان وان القديس اوغستينوس كان من اكبر مؤيديهِ

ذهب القديس اوغستينوس الى ان الله خلق المادة اولاً ووضع فيها قوة للنمو وجعل لها نظاماً للارتقاء فظهرت بعد مرور القرون على صورها الحاضرة فاتفق بذلك مع دارون صاحب مذهب النشوء الحديث

وذهب ايضاً الى ان الكائنات الحية بعد ان بلغت حدها من النمو تسلحت بوسائل الدفاع للمحافظة على كيانها وقامت حياة القوي منها على نفقة الضعيف وكان ذلك داعياً لتحولها بنظام عجيب بعضها الى البعض الآخر فاثبت بذلك ناموس الانتخاب الطبيعي

وذهب ايضاً الى ان المادة هي اصل لكل الموجودات الآلية وغير الآلية وانها لا تنفصل عن القوة المودعة فيها فتسير بالنظام الموضوع لها سيراً قانونياً ومطرداً بحيث ان كل ما في الكون من التركيب والتنويع هو نتيجة تلك القوة فاتفق بذلك مع الماديين

وقد توسَّع في هذا البحث وطرقهُ من كل ابوابهِ ولم يستثنِ الانسان والنفس من هذا الناموس وكل ذلك بعبارات واضحة وجلية كما سترى

قال بخنر ان « القوة خاصة لازمة للمادة وان المادة لا تنفصل عن القوة » وهذه الحقيقة يعتبرها العلماء ويعدونها من اعظم الاكتشافات العصرية وقد شرحها بخنر في كتابهِ « القوة والمادة » شرحاً وافياً واستشهد باقوال كثير من العلماء اتخذها قاعدة لبحثهِ وقال « انها حقيقة من ابسط الحقائق ولكن ما اقل الذين يعرفونها وما اكثر الذين يجهلونها فلا مادة بدون قوة ولا قوة بدون مادة » . ويدعي الماديون ان هذه الحقيقة هي منهم ولهم وان لا تعليم غير تعليمهم يتفق معها . ولو اطلع بخنر على كتابات القديس اوغستينوس لجعلها في راس الشواهد التي استشهد بها لاسيما وانها سبقت اقوال الماديين بقرون عديدة

قال القديس اوغستينوس في شرح الآية الاولى الواردة في سفر التكوين « في البدء خلق الله السماء والارض » « ان معنى ذلك هو خلق المادة الاولى والنواميس التي تفعل بها وان ما حصل بعد ذلك فبطول الزمن وبالطريقة الطبيعية بدون ان يكون لاي شيءٍ آخر خلق مباشر »

واما عن ارتباط المادة بالقوة فقال

« ان مبادئ النواميس التي تحدث فعل العناصر توجد في العناصر نفسها وقد خلقت معها ولكل من العناصر خصائص تولّد النتائج التي يمكن ان تصدر من تلك العناصر وهي لا تفعل ابداً خارجاً عنها [1] »

فالخلق الاولي بحسب القديس اوغستينوس كان مضمراً وكل ما جاء في الازمنة كان نتيجة سنّة سنّها الله منذ البدء ويتضح ذلك مما يأتي قال

« ان الخليقة في البدء كانت كجرثومة وضعت في العالم لكي تكون مبدا لكل الخلائق المعدة للظهور كلٌ في حينهِ وفي ما يلي من القرون [2] »

« عمل الله السماء والارض كمادة قابلة للتحسُّن [3] »

« يراد بالارض الخاوية الخالية وبالظلام المادة غير الكاملة المعدة لتكوين المواد المختلفة في مستقبل الازمنة [4] »

« انما في اصل الازمنة خُلق العالم وفي الوقت نفسهِ اودعت فيهِ الجراثيم التي يجب ان تخرج منها النباتات والحيوانات المختلفة في الازمنة الآتية [5] »

« وبالنتيجة ان ما تجريهِ الخلائق الآن من الحركة لتقضي وظائفها المعينة لها هو نتيجة للمباديءِ الاولى وحالة لنمو الجراثيم التي بثها الله فيها حينما خلق الكون [6] »

« فالنظام الالهي اذاً يقوم بداءةً بخلق الاصل الذي منهُ تولدت النباتات والاشجار وبعبارة اخرى خلق السبب الذي يكسب الارض مبدأً الخصب . وفي هذا المبدإ واريد ان اقول

(١) القديس اوغستينوس تفسير سفر التكوين كتاب ٩ فصل ٧ فقرة ٣٢ وجه ٣٦٣

(٢)	كتاب	٦	فصل	٥	فقرة	٧	وجه	٢١٥
(٣)	"	٥	"	٥	"	١٦	"	٢٠٣
(٤)	"	١	"	٩	"	١٥	"	١٤٩
(٥)	"	٦	"	١	"	٣	"	٢١٣
(٦)	"	٤	"	٢٣	"	٥١	"	١٩٧

في هذه الاصول قد ترك لعمل الزمان كل ما يتلو ذلك (١) »

وهو يعتبر التاريخ الموسوي كبيان لتغيرات المادة على توالي القرون ويعتبر ان الاعمال المتعاقبة التي تمت في ستة ايام ليست نتيجة عمل مباشر لله تمَّ في ستة اوقات كل وقت منها ٢٤ ساعة بل في سلسلة « معقولة من السبب الى النتيجة (٢) » . ويذهب في تفسيره سفر التكوين الى ان الكتاب لا يقول بالخلق من العدم بل بعد كل تصور بهِ لان الآية الدالة على ذلك واضحة العبارة حيث تقول « لتنبت الارض نباتاً . . و لتفض المياه زحافات » وتفسيرهُ لايام الخليقة الستة يجيز اعتبارها ادواراً متعاقبة وهي في احوال النمو قال

« ان الاقرب احتمالاً هو ان السبعة الايام الاولى رغماً عن مشابهة الاسم والعدد تدل على تغيير يختلف في الوقت عن التغيير الحالي وتفسَّر بتغيير داخلي في الكائنات تدل فيهِ كلمات مساء وصباح وظلام ونور وليل ونهار على تعاقب يختلف عن التعاقب المحدود بدورة الشمس (٣) »

فهذا هو المبدأ الطبيعي وهو نفس ما يقول بهِ علماء الطبيعة وقد سبقهم اليهِ القديس اوغستينوس بقرون كثيرة ويظهر انهُ كان راسخاً في ذهنهِ لانهُ يرد كثيراً في كتاباتهِ قال

« ان النهار والليل لم يستعملا هنا الاَّ لكي يعين احدهما المادة بصفاتها الخصوصية (المادة في حال النمو) ولكي يعين الثاني المادة العديمة الهيئة (المادة بغير حال النمو) . اي ان الليل يدل على المادة العديمة الهيئة التي يجب ان تصدر منها الكائنات . والمساء والصباح لا يدلان على توقيت محدود يتوالى بذهاب واياب بل على حدّ يقف فيهِ نمو مادة ويبتدئ نمو اخرى (٤) . . . اذا وجهنا نظرنا الى الظروف الاولى للاعمال التي استراح الله منها في اليوم السابع لا يجب ان ننظر الى حركة الشمس اليومية بل الى الكائنات التي كونها الله لتحديد سير الوقت والى تكوينهِ كل شيء دفعة واحدة ووضعهِ في الوقت نفسهِ نظاماً عاماً ليس باقسام من الوقت بل بارتباط النتائج بالاسباب . فالمادة العديمة الصورة اذاً لم تخلق بسلسلة من الاوقات بل بنظام معقول خلقت فيهِ اولاً وجعلت قابلة لاتخاذ الصور المختلفة (٥) »

(١)	كتاب	٥	فصل	٤	فقرة	٢	وجه	٣٠٢
(٢)	«	٥	«	٣٢	«	٤٦	«	٣١٢
(٣)	«	٤	«	١٨	«	٣٣	«	١٩٠
(٤)	«	٣	«	١٨	«	٣٣	«	١٩٠
(٥)	«	٥	«	٥	«	١٢ و١٣	«	٣٠٢

اذا كان ارتباط القوة بالمادة هو الفاعل في نموها وارتقائها وظهور انواعها المتباينة وجب ان يكون الانسان ايضاً خاضعاً لهذا الناموس لانهُ يشمل كل الكائنات ولم يستثنهِ القديس اوغستينوس بل قال بتدرجهِ في النمو والارتقاء ومما قالهُ في هذا الصدد

« هل ان الله عند ما خلق كل شيء صنع الانسان بالمبدإ كما صنع النبات والارض قبل ان يظهرا ؟ فاذا كان كذلك فيكون قد صنع الانسان كجرثومة في قلب الطبيعة فاخذ بمرور الزمن هذه الهيئات التي يقضي بها اليوم حياتهُ بعمل الخير او الشر على نفس الطريقة التي صنع بها النبات قبل ان ينبت من الارض فنما مع الزمن[1] »

وقال ايضاً وهو يخشى ان لا يفهمهُ الناس حق الفهم

« اذا قلت ان الانسان لم يكن في الخلق الاولي المشترك نامياً نمو البالغ وكان اقل من طفل مولود حديثاً واقل من جنين في جوف امهِ واقل من الجرثومة المنظورة التي يولد منها . يتوهمون ان ذلك تخيل مما فوق الطبيعة ولكنني اقول ذلك بصرف النظر عن كل تخيل طبيعي لاني اجرد البزور من قشورها فالانسان لم يكن حتى ولا ذرية[2] »

وقال ايضاً « في الخلق الاولي والمشترك صُنع الانسان ككائن ممكن اي كمبدإ يجب ان يخرج منهُ ولم يُصنع على الحالة التي ظهر عليها اخيراً فتكوينهُ هو نتيجة الاسباب التي كانت كامنة فيها فعند ما يقال خُلق الانسان نفهم من ذلك ان الله خلق السبب الذي يجب ان يخرج الانسان منهُ في زمن معين[3] »

ولم يقف القديس اوغستينوس عند هذا الحد من الايضاح والوضوح بل توسَّع الى ما وراء ذلك وذهب الى ان الحياة والقوى العاقلة هي ايضاً خاضعة لهذا الناموس وسارت فيهِ سيراً تدريجياً متعاقباً فقد ورد في سفر التكوين ان روح الله كان يرف على وجه المياه ففسر هذه العبارة بما يأتي قال

« تدل هذه العبارة على ان الله عنى بالماءِ الخاصة الطبيعية والمبدأ المولّد للاشياء التي نرى انواعها الآن او يقصد بها الاستدلال على نوع ما على تموجات الحياة العقلية قبل ان ترتبط بغايتها[4] »

(١) كتاب ٦ فصل ١ فقرة ١ وجه ٢١٢
(٢) " ٦ " ١٦ " ١٠ و١٢ " ٢١٥ و٢١٦
(٣) " ٦ " ١٥ " ٣٦ " ٢٢٠
(٤) " ١ " ٥ " ١٤٧ و١٤٨

ان ترجمة هذه الآية لا تفيد المقصود من اصلها لان الترجمة العربية تقول ان روح الله كان يرف على وجه المياه والترجمة الفرنساوية تقول ان روح الله كان محمولاً على وجه المياه واما الاصل العبراني فيفيد معنى التسخين او التدفئة كانهُ يقول ان روح الله كان يسخن او يدفئ وجه المياه ولهذا يقول القديس اوغستينوس ان هذه العبارة « تدل على نوع من الحضانة التي يجوز ان نشبهها بحضانة الطيور لبيوضها [1] » الاَّ ان كلمة البيض هنا ليست الاَّ للتشبيه والقديس اوغستينوس يذهب الى ان « مبادئ الحياة كانت مختلطة بالمادة وان الماء كان يحتوي على الجراثيم قبل ان يحتوي على البيوض [2] »

واما النفس فيذهب الى خلقها من سببها وانها لم تظهر بمظهرها الاَّ بعد ظهور الانسان قال « قبل ان تتكون المادة الحية التي تفسدها الرذيلة وتجملها الفضيلة يحتمل كثيراً ان النفس كان لها مبدأ هو قوة روحية ولكنها ليست النفس ذاتها كما ان الهيكل الذي يجب ان يتكون لحمهُ كان مادة قبل ان يصير لحماً بالفعل [3] »

« هل كانت القوة المولدة للنفس مغلَّفة باحدى المواد التي خلقها الله في الخلق المشترك؟ وما هي تلك المادة [4] »

« لا ينكر مطلقاً ان الله يستطيع ان يعمل دفعة واحدة ما يظن انهُ يعمل تدريجاً فاذا كانت المادة هي مبدأ النفس الخالية من العقل فلا عبرة بكيفية الانتقال ووجب ان نعلم دائماً ان المادة هي العنصر الاولي للنفس البشرية على انهُ ما من احد على ما اعلم تجاسر ان يرتأي هذا الرأي الاَّ اذا كان يعتبر النفس تنوعاً من المادة [5] . اما كون مادة تتحول الى اخرى فقد قيل بهِ مراراً كثيرة واما ان مادة في السماء او على الارض تتحول الى نفس وتصبح مادة خالدة فلم يقل احد بذلك على ما اعلم والايمان لا يساعد على القول بهِ [6] »

اذا كانت النفس نتيجة نمو مادي وجب ضرورة ان يكون لها في سير نموها دور من الحياة خالٍ من التعقل فقال في ذلك

(١)	كتاب	١	فصل	١٨	فقرة ٣٦		وجه	١٥٥
(٢)	«	٤	«	٣٣	«	٥٢	«	١٤٧
(٣)	«	٧	«	٦	«	٩	«	٢٢٨
(٤)	«	٧	«	٢٢	«	٣٣	«	٢٣٤
(٥)	«	٧	«	٩	«	١٣	«	٢٢٩
(٦)	«	٧	«	١٣	«	١٩	«	٢٣٠

« هل كانت النفس مدركة بالقوة وليس بالفعل ؟ ولمَ لا نسلم بان المادة التي تكونت منها النفس كان العقل كامناً فيها ككمونهِ في نفس الطفل مع كونها فيهِ نفساً بشرية[١] ؟ »

لو كانت هذه الاقوال لاحد المعاصرين لقلنا انهُ من تلامذة داروين وسبنسر واذا نخصنا آراء داروين وقابلناها باراء القديس اوغستينوس رأينا بينهما اتفاقاً مدهشاً رغم ما بينهما من بعد الزمن

فالتحول بحسب مذهب داروين يحصل بالانتخاب الطبيعي الذي ينتج من تنازع البقاء لان في كل تنازع تكون الغلبة دائماً للاصلح اي لمن كان في احوال وجودهِ اكمل تكويناً واقوى سلاحاً ويهلك بهِ الضعيف ومَن كان جهاز الدفاع فيهِ اقل منعةً . وقد يطرأ على الكائنات الحية بعض التغيرات في احوال معلومة فتنقل احياناً كثيرة الى النسل وتزيد على التمادي وضوحاً وثبوتاً في الذرية فينشأ ضرورة من ذلك انسال جديدة وهذا هو النشوء الذي يفسرهُ علماء الطبيعة بالانتخاب الطبيعي الذي تجريهِ الطبيعة بدون قصد وتعقل ويحصل كما يحصل بالانتخاب الصناعي بواسطة التربية والتلقيح . وعليهِ فكل الكائنات الموجودة الآن مما يحيا ويزحف ويسبح ويطير هو اصلح للبقاء من كل ما امكن ان يتكون طبقاً لنواميس الطبيعة

وللقديس اوغستينوس في هذا المعنى فصل في كتابهِ المشار اليهِ آنفاً « سفر التكوين بالمعنى الحرفي » بعنوان لماذا الاجناس الحيوانية هي اعداء بعضها لبعض قال فيهِ

« ان الحيوانات من الفيل الى احقر دودة تبذل كل ما لها من وسائل الدفاع وكل ما عندها من طرق الدهاء لكي تحافظ على كيانها الذي يعين موضعها في النظام الذي خلقت فيهِ . وهذا الجهاد لا يظهر الاَّ عند الضرورة اي حينما تسعى لتنمي اعضاءها على نفقة مادة الحيوانات الاخرى وهذه تدافع عن نفسها للمحافظة على حياتها او تهرب او تختبئ في المغاير . والحس الطبيعي في كل الكائنات هو مصدر قوة عجيبة منتشرة في الجسم باتحاد مستتر فيجعلهُ مجموعاً حيًّا ويحافظ على وحدتهِ ويتغلب على الجمود بنوع ان كل كائن لا ينظر الى ما يسري الى جسمهِ من الانحراف او الانحلال الاَّ ويشعر بحركة باطنية للمقاومة

« ورب معترض يقول لماذا تتقاتل الحيوانات وليس لها ذنوب لتكفر عنها ولا فضائل تكملها في المحن ؟ فاجيب اذ ذلك حق الأ ان الانواع يعيش بعضها على نفقة البعض

(١) كتاب ٧ فصل ٧ فقرة ١٠ وجه ٢٣٨

الآخر ولا يحق لنا ان نتمنى ناموساً يسمح للحيوانات ان تعيش بدون ان يأ كل بعضها بعضاً لان الكائنات ما دامت موجودة لا بد ان يكون لوجودها نسبة وتناسب ونظام في المجموع وهو نظام بديع لذاتهِ لانهُ ناموس للموازنة والنمو ومن محاسنهِ تجديد الحيوانات وتحويلها بعضها الى بعض الاَّ ان الجهال يجهلونهُ وهو لا ينكشف الاَّ بالتبحر في العلم فيصبح واضحاً للعلماء (١) »

هل اتى العلماء المعاصرون باجلى واوضح مما اتى بهِ القديس اوغستينوس في القرن الرابع من التاريخ المسيحي ؟ فاذا حذفنا من الاصل عبارة « ان الحيوانات ليس لها ذنوب لتكفر عنها ولا فضائل لتكملها في المحن » صح ان يكون لكتابهِ « سفر التكوين بالمعنى الحرفي » افضل محل بين المصنفات الحديثة وصح ان يكون هو واضع مذهب النشوء وان ينسب لهُ وليس لسواهُ . واذا وجد بينهُ وبين دارون بعض الاختلاف فهو كالاختلاف بين دارون وبعض اتباعهِ على بعض المسائل لان هذا العلم حديث الوضع ولا يزال كثير من مسائلهِ موضوع البحث والخلاف بين علمائهِ . الاَّ ان ما يستلفت النظر ويستحق الاعتبار هو ان القديس اوغستينوس يطلق للفكر العنان ويجيز لهُ التحري في البحث عن اصل الاشياء بكل حرية وجسارة على شرط ان لا يمس التعليم بالخالق الالهي حيث يقول تعقيباً على ما سبق من التفاسير

« اذا سبق ووجد شيء مادي وروحي قابل للنمو فذلك الشيء هو عمل الله الذي عمل كل شيء (٢) »

وهذا لا يناقضهُ الماديون لانهُ سواء عندهم خلقَ المادة خالق او وجدت لذاتها اذ يقتصر بحثهم على القوة المرتبطة بالمادة وعلى النواميس الطبيعية التي تفعل بها

ولغير القديس اوغستينوس من اباء الكنيسة الاولين ما يتفق معهُ في كثير من نظرياتهِ الاَّ اني اقتصرت على النقل عنهُ لما في اقوالهِ من الجلاء والوضوح ولما لهُ من المنزلة في الكنيسة الكاثوليكية ومن الشهرة الواسعة في العالم المسيحي

الدكتور
امين ابو خاطر

(١) كتاب ٣ فصل ١٦ فقرة ٣٥ وجه ١٧٦
(٢) « ٧ « ٢٧ « ٢٩ « ٣٣٦

بطرس الاكبر واصلاح روسيا

لم يذكر في تواريخ البشر ان ملكاً عانى في اصلاح بلادهِ وتمدينها ما عاناهُ بطرس الاكبر . فقد شرحنا في الجزء الماضي كيف انهُ طاف في مدن اوربا ودخل مصانعها وعمل فيها كاحد العمَّال واختار الصنَّاع منها وعاد بهم لكي يعلّموا شعبهُ الصنائع المختلفة . لكن الشعب نقم عليهِ فعصت الجنود وقال الكهنة انهُ هو الدجال الذي يظهر في آخر الزمن وزعموا ان امهُ لم تكن زوجة شرعية لابيهِ فصدق عليهِ ما قيل عن الدجال واستدلوا على شرهِ بحلقهِ اللحى ولبسهِ لباس الالمان . وقالوا مَن رأى قيصر موسكو يغادر روسيا المقدَّسة ويتيه في بلدان الاجانب ويتعرَّض للمخاطر في بلدان الترك والالمان في اطراف المسكونة . وزعموا انهُ تزيَّا بزي تاجر وذهب الى بلاد الدنمارك فدرت بهِ الملكة وقبضت عليهِ وطرحتهُ في السجن ثم سلمتهُ الى اعدائهِ فارادوا ان يضعوهُ في برميل مبطن بالمسامير الحادة ويطرحوهُ في البحر لكن واحداً من الجند الروسي وضع نفسهُ بدلاً منهُ فانقذهُ . وبقوا الى سنة ١٧٠٥ يعتقدون انهُ لا يزل مسجوناً في بلاد الدنمارك وان الذي يحكم البلاد باسمهِ رجل آخر

وعصت الجنود القديمة مراراً وشاركهم بعض وجوه المملكة حتى اضطر ان يقبض عليهم ويعذبهم ويقتلهم وذبح مرةً بيدهِ اربعة وثمانين منهم . ولكن كل الثورات الداخلية لم تكن شيئاً مذكوراً في جنب ما فعلهُ ملك اسوج كارلس الثاني عشر فانهُ كاد يفعل بروسيا ما فعلهُ الاسكندر المكدوني ببلاد الفرس . وكان كارلس هذا بطلاً مغواراً لا يصطلى لهُ بنار خلف اباهُ كارلس الحادي عشر وعمرهُ ١٥ سنة لا غير وللحال اتفق عليهِ ملك الدنمارك وملك بولندا مع بطرس الاكبر لكي يسلبوهُ بعض بلادهِ فحارب الدنمارك واضطرها الى طلب الصلح على ما اراد وعاد الى الروس وكانوا تحت اسوار نارفا بخمسين الف محارب فهاجمهم بثمانية آلاف من رجالهِ وقهرهم واضطرهم الى الهزيمة بعد ان اثخن فيهم . ثم خلع ملك بولندا ونصب عليها غيرهُ . فهابتهُ اوربا كلها وارتجفت منهُ فرائص ملوكها . ولم يكتفِ بما نالهُ من النصر المبين بل جمع ٤٣٠٠٠ من الجنود وزحف بهم على روسيا فهرب القيصر من وجههِ بعد ان كاد يقع اسيراً في يدهِ ولجأ الى تخريب البلاد لكي لا يجد فيها طعاماً ولا اواء كما فعل القيصر اسكندر الاول لما غزاها نبوليون . واما هو فلم يعبأ بذلك بل واصل السير الى ان التقى بالجنود الروسية في سمولنسك وشتت شملهم ومن ثم انفتحت لهُ الطريق الى موسكو ولكنهُ دار جنوباً منتظراً ان يقابلهُ رئيس القزاق بثلاثين الفاً من رجالهِ كما وعدهُ .



كارلس الثاني عشر محمولاً في معركة بلتاوى



اكادمية العلوم في بطرس برج

واتفق ان الشتاء تلك السنة كان شديد الزمهرير جدًّا ورجاله غير مستعدين له فهرأهم البرد واعوزهم الطعام وماتت دوابهم فاضطروا ان يتركوا مدافعهم في الطريق · وحال بطرس الاكبر بينهم وبين بلادهم فلم تأتهم النجدات منها ولا انجدهم القزاق · ووصل كارلس الى مدينة بلتاوى بثلاثة وعشرين الفًا من رجالهِ لا غير فوقف هناك لانهُ كان ينتظر نجدة من الاتراك والبولنديين وخطر لهُ ان يشاغل المدينة ويهاجمها بدلاً من الانتظار وحاول قوادهُ ان يصرفوهُ عن ذلك لقلة ما لديهم من الميرة فلم ينصرف بل قال اني لا ادع ما انا فيهِ ما لم يأتني ملاك من السماء باوامر من الله · وكان القيصر يخشى صولتهُ لاسيما وان روسيا كانت مضطربة في داخلها وقد طلب منهُ ان يعود الى بلادهِ وانهُ هو (اي القيصر) يكتفي بمرفإٍ واحد على البطليك فقال لهُ كارلس انني لا اتفق معك الاَّ في موسكو نفسها · وكان جواب القيصر لهُ حينئذٍ « ان كان اخي كارلس يحسب نفسهُ الاسكندر فليعلم اني لست داريوس »

ووصل القيصر الى بلتاوى في الخامس عشر من شهر يونيو سنة ١٧٠٩ بستين الف مقاتل فنزل بهم امام جيش كارلس وحفر خندقًا حولهم في ليلة واحدة وكان معهُ ٧٢ مدفعًا ولم يكن مع كارلس سوى ٢٣ الفًا من الجنود واربعة مدافع وكان جنودهُ خائري القوى من الجوع والعري ومشقة السفر · واتفق انهُ كان خارجًا ذات ليلة بنفر من رجالهِ ليقلق الروس فاصيب بجرح في عقب رجلهِ اضطرهُ الى عملية جراحية وتعذر عليهِ ركوب جوادهِ حتى اذا حدثت المعركة الفاصلة في الثامن من يوليو حملهُ رجالهُ حملاً

وكان القيصر يخشى ان تدور الدائرة عليهِ فيقضى على روسيا فخاطب رجالهُ قبل المعركة قائلاً « جاءت الساعة ومستقبل روسيا في يدكم لا تقولوا اننا نحارب لاجل بطرس كلاَّ بل انكم تحاربون لاجل بلادكم نعم اننا نحارب لاجل بلادنا ومذهبنا الارثوذكسي ولاجل كنيسة الله اما انا فاني مستعد ان اضحي حياتي لاجل خير روسيا ومستقبلها المجيد »

واتخذ الاسوجيون خطة الهجوم لانهم اذا هجموا لم يكن احد يقف في وجههم فهزموا فرسان الروس · وحاول القيصر ان يجمع شملهم فلم يفلح واصابتهُ رصاصة في قبعتهِ · لكن الكثرة تغلب الشجاعة فان القائد منشيكوف الروسي دار برجالهِ من وراء الاسوجيين وكانت المدافع الروسية لا تنفك عن اطلاق قنابلها فقتلت الخيول التي كانت تجر مركبة كارلس حتى اضطر رجالهُ ان يحملوهُ بين ايديهم وكانوا اربعة وعشرين فقتل منهم واحد وعشرون · وتراجعت فرسان الروس وتبعهم المشاة وهجموا على الاسوجيين فخرقوا صفوفهم واوقعوهم بين نارين حاميتين القيصر برجالهِ من امامهم والجنرال منشيكوف برجالهِ من ورائهم فاختلَّ نظامهم

واركنوا الى الفرار واركبوا كارلس على جواد رغماً عنهُ واخذوهُ معهم . وقتل من الاسوجيين في هذه المعركة عشرة آلاف وأُخذ منهم ثلاثة آلاف اسير والباقون واصلوا السير وراء ملكهم لكن منشيكوف ادركهم واضطرهم الى التسليم . وفي المساء استقبل القيصر قواد الاسوجيين الذين اسرهم وكانوا اشهر القواد الاوربيين في ذلك العصر فاكرمهم ودعاهم الى العشاء معهُ هو والوزير غراف بيبر وردَّ للقائد رنسكولد سيفهُ وشرب نخب الملك كارلس قائلاً اني اشرب نخب استاذي في صناعة الحرب

اما كارلس فسار بشرذمة من رجالهِ الى ان وصل الى مدينة بندر وكانت في املاك الدولة العلية . وحمل الدولة على محاربة روسيا كما سيجيء . ثم تمكَّن من العودة الى بلادهِ ومواصلة الحروب الى ان قُتل سنة ١٧١٨ وعمره ٣٦ سنة فقط

وكان لفوز بطرس الاكبر على كارلس الثاني عشر اكبر شأْن في مستقبل روسيا وبهِ صارت من الدول الاوربية العظمى كما ان اسوج انحطت من الدرجة الاولى الى الدرجة الثالثة

هذا ولنعد الى الاصلاح الذي ادخلهُ بطرس الاكبر في روسيا فقد حاول ان يجعل الروس يقتدون بالالمان والانكليز والفرنسويين في كل شيءٍ في المأْكل والمشرب والملبس والعادات وكانوا الى ذلك الحين مثل سائر الامم الشرقية في كل ذلك فالزمهم ان يحلقوا لحاهم ويخلعوا الجبة والقفطان ويلبسوا السترة والبنطلون حاسباً ان ما يمكن ان يتم في مئة سنة يجب ان يتم في بضع سنوات وانهُ ما من معرَّة عليهِ ولا على رجالهِ اذا تشبهوا بالامم التي سبقتهم في ميدان الحضارة بل العار كل العار اذا تشبثوا بعاداتهم ولم يغيروها الاَّ رويداً رويداً بحكم الزمن

واتى بالرجال من ممالك اوربا ليستعين بهم في ما هم متفوّقون بهِ وفتش عن النوابغ في بلادهِ وعلَّمهم ورقاهم سواءٌ كان اصلهم وضيعاً او رفيعاً فاسكندر منشيكوف كان خادماً عند حلواني فاكتشفهُ وعلَّمهُ وصيرهُ اميراً ومشيراً واميرالاً وميخائيل غالتسوين الذي صار مرشالاً كان من نسل الامراء وقس عليهما كثيرين من الرجال الذين اشتهروا في عصرهِ وحازوا الشهرة الواسعة عن استحقاق

واقتدى بالانكليز في حصر ميراث الكبراء بالبكر من اولادهم او بالوارث الاكبر اكي لا تتوزع ثروة الاغنياء ولا يعيش اولادهم بالاسراف والتبذير بل يضطرون الى السعي والكدح . ومنع اولاد الاشراف من التزوج والانتظام في خدمة الحكومة ما لم يتعلموا وينالوا درجة عالية من العلم

وكان نساء الروس يحتجبن مثل سائر النساء الشرقيات فابطل الحجاب والزم الوالدين ان يعدوا بقسم ان لا يزوجوا بناتهم على غير ارادتهنَّ . والزم الخطيبة ان تجالس خطيبها وتعاشرهُ قبل الزواج فاذا توافقت طباعهما تزوجا والاَّ بطلت الخطابة . واقام الاحتفالات العمومية ودعا اليها الرجال والنساء فاتوها بثيابهم الاوربية واختلطوا بعضهم ببعض ورقصوا معاً كما يفعل الالمان والفرنسويون والاسوجيون . ومنع رجالهُ من السجود لهُ كما كانوا يسجدون لاسلافهِ

وانشأ مجلساً للحكومة من كبراء رجالهِ واعطاهُ سلطة تماثل سلطتهُ وانشأ نظارات تتولَّى شؤُون البلاد كالخارجية والحربية والبحرية والمالية والعدلية والمعامل والمعادن والتجارة . وقد اتبع في ذلك مشورة الفيلسوف ليبنتز . ووضع في كل نظارة رجلاً اجنبياً ليديرها ويعلم الروس كيفية ادارتها . واستخدم الاسرى الاسوجيين في ادارة بلادهِ واستدعى السلاف من بوهيميا وسليسيا ومورافيا لانهم اقدر من غيرهم على تعلُّم اللسان الروسي وارسل اربعين شابًّا الى كونسبرج لكي يتعلموا الادارة المالية واباح للنظارات المختلفة ان تنتخب رؤساءها

وقسم البلاد الى ولايات ومراكز ووضع لادارتها نظاماً محكماً وعاقب العمال المرتشين عقاباً صارماً لكنهُ عاقب ايضاً المتهمين بالسحر والتجديف فكان يحرق من يتهم بالسحر ويسلّ لسان مَن يتهم بالتجديف ويعذبهُ الى ان يموت . ولكثرة ما ارهق الناس بالضرائب زاد دخل الحكومة من ثلاثة ملايين روبل سنة ١٧١٠ الى عشرة ملايين روبل سنة ١٧٢٥ لكن الجنود الذين صرفهم والرجال الذين ضاقت في وجوههم ابواب المعيشة اعتمدوا على الغزو والنهب والَّفوا عصابات تسلحت بالبنادق والمدافع وجعلت تغزو البلاد وتنهب كل ما تجدهُ واستمرت هذا العيش لانها لم تجد مَن يقاسمها كسبها فاضطرَّ ان يحاربها حتى تمكن من كفّ شرها عن البلاد

واهتمَّ اهتماماً شديداً بامر التعليم لانهُ قال ان الامة لا تقدر الاصلاح قدرهُ ولا تحتفظ بهِ ما لم تتعلَّم فاذا تعلمت رضيت عنهُ وعاً ابتدعهُ . واوجب تعليم اولاد الاعيان وخدمة الدين وامر ان كل من لا يحسن القراءة والكتابة ولغة اجنبية من اولاد الاعيان يحرم من ميراث والديهِ . وانشأ مدارس عمومية في كل الولايات واوجب على اولاد الموظفين ان يدخلوها كلهم بين السنة العاشرة والخامسة عشرة وجعل التعليم في هذه المدارس محصوراً في ما تدعو الحاجة اليهِ . وانشأ مدرسة للملاحة ومدرسة للهندسة ومدرسة لمسك الدفاتر وامر بترجمة الكتب من اللغات الاوربية علمية كانت او ادبية لكي تذيع الافكار الاوربية

والمعارف الادبية بين شعبهِ فترجمت كتب التاريخ والجغرافيا والحقوق والاقتصاد السياسي وسلك الابحر والعلوم الحربية والزراعية وعلم اللغات . وكان هو يقابل المترجمين ويوصيهم كيف يترجمون قال لزوتوف ذات يوم « لا تترجم حرفيًّا من غير ان تفهم معنى المؤلف بل تصفح ما تريد ترجمتهُ وانعم نظرك فيهِ حتى تدرك معناهُ جيداً ومتى رأيت انك صرت قادراً ان تعبر عنهُ باللسان الروسي فترجمهُ » . وامر المترجمين ان يتركوا الشروح المطولة والتدقيقات التي لا طائل تحتها مما يملأ الالمان كتبهم بهِ ويقتصروا على ايراد الجوهر لكي لا يملّ القارىء . واراد احد المترجمين ان يحذف كلاماً يوصف بهِ الروس كبرابرة فمنعهُ من ذلك قائلاً يجب ان نعرف حقيقة انفسنا وما يقولهُ الناس فينا لان من لا يعرف داءهُ لا يعرف دواءهُ . واستنبط حروفاً جديدة للسان الروسي من الابجدية اليونانية واصلح آلات الطباعة التي جلبها من هولندا ووضع مطبعتين في موسكو واربعًا في بطرسبرج ومطابع اخرى غيرهما وانشأ جريدة في بطرس برج وهي اول جريدة باللسان الروسي

وانشأ المستشفيات والمتاحف وبعث رسالة علمية الى كمشتكا اجابةً لطلب الفيلسوف ليبنتزلترى هل اسيا متصلة باميركا . وانشأ مدرسة لعمل الخرائط واصلاحها . وامر بجمع السجلات القديمة ونسخها لكي يحفظ تاريخ روسيا . والف واحد تاريخًا لروسيا في القرن السادس عشر فاعطاهُ مئتي روبل . وكان عضواً مراسلاً لاكادمية باريس فانشأ اكادمية بطرس برج سنة ١٧٢٤ على مثالها ووهبها مئتي الف روبل ودخلاً سنويًّا قدرهُ ٢٤٩١٢ روبلاً تأخذهُ من جمارك نارڤا ودربات وبرناڤا وجعل غرضها الاول ترجمة الكتب الى اللسان الروسي وتعليم اللغات والعلوم العملية . ولم يكن من الروسيين حينئذٍ من يؤهلهُ علمهُ لينتظم عضواً في تلك الاكادمية فكان كل اعضائها من الاجانب مثل ولف وهرمن الالمانيين ودانيال برنوبلي وجوزف دليل الفرنسويين . وقد خدم اعضاء هذه الاكادمية العلوم اجل الخدم بما اكتشفوهُ وحققوهُ كما لا يخفى

ومن اعظم اعمالهِ بناء مدينة بطرس برج عاصمة روسيا الجديدة بناها عند مصب نهر ناڤا ولهذا النهر هناك فروع كثيرة تقسم بها الارض الى تسع عشرة جزيرة وكلها مواطئ تغمرها المياه في بعض الاحيان ولا مزية لها الاّ انها واقعة على رأس خليج كبير يصلح ان يكون مرفأً امينًا ولكنهُ لم يحفر حتى يصل اليها الاّ منذ خمس وعشرين سنة فصارت بهِ مرفأً بحريًّا كبيراً . وقد نمت هذه المدينة بسرعة فائقة حتى صارت من اعظم العواصم الاوربية وزاد عدد سكانها سنة بعد سنة ولاسيما في السنين الاخيرة كما ترى في هذا الجدول

السنة	عدد السكان
١٨٥٢	٥٣٢٢٠٠
١٨٦٩	٦٦٧٢٠٠
١٨٨٠	٨٦١٣٠٠
١٨٩٠	٩٥٤٤٠٠
١٨٩٧	١١٣٢٦٧٧
١٩٠٥	١٤٢٩٠٠٠
١٩١١	١٩٦٢٤٠٠

وهي من اشهر العواصم في كثرة قصورها جمال مبانيها وفخامتها وكثرة اهل الجاه والثروة المقيمين فيها فانها مدينة اغنياء الروس

اما حربهُ مع الدولة العثمانية المشار اليها آنفاً فكان المحرك لها كارلس ملك اسوج ووكلاؤُهُ وسفير فرنسا وخان التتار وغيرهم فانهم كلهم رغَّبوا الباب العالي في محاربة الروس وكان السلطان احمد الثالث راغباً في هذه الحرب ليسترد ازوف فاستردها وسيجيء تفصيل ذلك في الجزء التالي



ذهولي

الى المقتطف الاغر

لفظة الهيئة الاجتماعية اقدم من ان تختص بالمقطَّم خلافاً لما ذكرت بدليل ورودها في مقدَّمتي الاولى لبخنر المطبوعة سنة ١٨٨٤ صفحة ٥٨ من فلسفة النشوء ولا بدَّ اني اخذتها عن سواي ممَّن لا اذكر دلالةً على انها كانت مستفيضة في الشيوع . والذي اوقعني في هذا الخطإِ انصراف فكري من الجزء الى الكل . فقد اعجبني من المقطم يوم صدرت مقدمتهُ استعمالهُ الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة . فبقي اثر الاستحسان في نفسي وذهب عنها الشيء المستحسن . فلما جالت بي الذاكرة تولاَّني شيء من الذهول . فذهب عني المعيَّن الاخص

وارتسم امامي الأعمّ ولم أُطل الروية · فان كنت قد عرفت اليوم خطائي واعترفت بهِ

فاني لأخشى ان تطول إقامتي وأُمسيَ لا أستطيعُ ان أعرف الخطَا
فيطربهم مني الذهول عساي ان أُجاريهم فيهِ وان زلَّت الخُطَى

الدكتور شبلي شميل

مجلة لغة العرب

حضرة العالمين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

اقراراً من جمهور ادباء هذه الانحاء بفضل حضرة العالم الفاضل الاب انستاس ماري الكرملي ومزيّة مجلتهِ الموسومة « بلغة العرب » استأذنكم في نشر السطور الآتية في مجلتكم الوضاءة وذلك ايذاناً بسمو منزلتهِ في عالم العلم والادب ووفاء بلهجتهِ الصادقة نحو مقتطفكم الانور والفضل لوليّهِ

اذا حقّ للقطر العراقي ان يدوّن بين الواح سجلاتهِ مجلةً أُرصِدَت لهتك الستار عمّا في مناكبهِ من البقاع والبطاح المترامية الاكناف والكشف عن مغيّبات ربوعهِ وآثارهِ الداثرة ومحجبات انقاضهِ وصروحهِ الغابرة لِما توفرلها من ذرائع التحقيق والتدقيق · بل اذا استتبّ للقابضين على ازمّة الادب ان ينوّهوا بصحيفةٍ من صحف هذه الارجاء لتنكبها عن التراكيب الركيكة واللفظ المبتذَل وتحدّيها الاساليب الفصيحة التي لا غبار عليها حتى ادركت اللغة بها حياةً جديدة بعدما اوشكت ان تلفظ آخر انفاسها بين عامة طبقات الامة عندنا · لا بل اذا تسنَّى لارباب النظر والنقد ان يردّدوا في محافلهم ذكر ديوانٍ عراقيّ يستشف من تضاعيف سطورهِ تدرّجٌ حثيثٌ في سلّم الصحافة الحقّة جرياً على ناموس النشوء والارتقاء فاحرِ بمجلة « لغة العرب » التي تصدر في مدينة بغداد ان تكون ما منزلتها تلك لانهُ لو لم يكن لها سوى هذه المزايا لكفى · الاّ انها والحالة هذه قد اضافت الى ذلك عدم التخلّف عن الطريقة المثلى التي رسمتها لنفسها الا وهي التجافي عن سبل المماحكات والمشاحنات في تنوّع اغراضها وتشعّب ابحاثها لاسيما فيما عنّ لها في بعض التآليف العصرية من مواضع النظر والذود عن حياض الادب دون ان يعترضها في ذلك اثرَة او يجذب اعنّتها الميل مع الهوى · فصفت مواردها عن النزعات والنزغات وطهرت من شوائب التعسّف والتبجحات فتسنّى لها ان تقطع العامين من شوطها وهي اليوم في فاتحة عامها الثالث تسير فيهِ إثر هاتيك المعالم والآثار وتجدّ في وجهتها تلك الى الامام على ما جاء في مقدمة الجزء الاول من سنتها الثالثة · ولا

بدع في ذلك مع ما اشتهر لمديرها وناسج بردها حضرة العالم الفاضل الاب انستاس ماري الكرملي من الاجتهاد في احياء كثير من دقائق المسائل وغوامضها التي خاض عبابها في صفحات مجلات وجرائد القطرين الشامي والمصري زهاء ٢٠ عاماً وسبره غورها بادلتهِ القاطعة المنتزعة من اوثق المصادر العلمية واللغوية والتاريخية واكبابهِ آخراً على توسيع نطاق محيط المحيط فضمَّ اليهِ حتى الآن ما يربو على الخمسة آلاف مادة وهي خدمة للغة تنطق بفضلهِ ما نطق عربيٌّ بالضاد . والله المسؤول ان يأخذ بيدهِ للبلوغ الى ما ارصد لهُ نفسهُ من احياء رسوم السلف لما يترتب عليها من النفع لعمران الخلف ومأمولنا في مواطنينا الفضلاء ان يقبلوا على المجلة المشار اليها بما يزيد في رواجها ويكفل بثباتها وان يرصدوا بعض اوقاتهم لمن وقف عليهم جلَّ اوقاتهِ فانَّ المجلة بقرَّائها لا بحروفها وان جودتها بجودة استيعابها لا بجودة ترصيفها وان قطراً قد تردَّى ادباؤُه باردية التمدن المقبول لحقيق بان تكون البضاعة العلمية افضل ما تردَّت بهِ تلك العقول

بغداد يوسف يعقوب مسيح

القومسيون الدولي للتعليم الرياضي

International Commission on the teaching of Mathematics

انشئَ هذا القومسيون بطلب مؤتمر الرياضيين الدولي الرابع الذي عقد بمدينة رومية سنة ١٩٠٨ وقد كلفهُ المؤتمر بالبحث عن تقدم العلوم الرياضية في مدارس كل البلدان على اختلاف انواعها وعن طرق التعليم المتبعة الآن وما يلزم ادخالهُ فيها لتحسينها

وهو مؤلف من مندوبين ينوبون عن البلاد التي اشتركت في مؤتمر الرياضيين الدولي مرتين على الاقل و يعين البعض منهم حكومة بلادهم والبعض الآخر لجنة القومسيون المركزية

وهذه اللجنة مكلفة بتأليف القومسيون وتنظيمهِ واعطاء الاستعلامات اللازمة لاعضائهِ ووكلائهِ في ما يختص بتقاريرهم عن تعليم العلوم الرياضية في بلادهم

ولدي القومسيون كثير من المجموعات المفيدة وهي تحتوي على اكثر من ٢٨٠ تقريراً وبحث في تعليم الرياضيات وانتشارها في انكلترا والمانيا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة وروسيا وبلجكا واسبانيا وسويسرا واسوج ونروج والنمسا وهولندا والدنمارك ورومانيا وتقع في ١٦٠ مجلداً وفيها فوائد جمة تعود على الرياضيين والاساتذة بالنفع الكبير . وهناك تقارير اخرى عن بلدان اخرى والعمل جارٍ في تحريرها وطبعها

وبديهي ان اشغال هذا القومسيون تفيد اساتذة الرياضيات فيعرفون منها ما هو جارٍ خارج بلادهم فوق ما هو جارٍ في بلادهم نفسها . ولا شبهة ان المقارنة بين بلادهم وغيرها والنظر في الاساليب التي يجري عليها معلمو الرياضيات تساعد كثيراً في ترقية هذه العلوم

وقد مضى على هذا القومسيون اكثر من خمس سنوات وهو قائم باعماله بنجاح باهر وتأتيه المساعدات المالية والادبية من كثير من الحكومات والمعاهد العلمية لنشر اعماله . ونظراً الى اهمية هذه الاعمال قرر مؤتمر الرياضيين الدولي الخامس الذي عقد في مدينة كمبردج في شهر اغسطس الماضي توسيع نطاقهِ حتى يشمل بلداناً اخرى الى ان يعقد المؤتمر التالي في مدينة استكهلم سنة ١٩١٦ فتمَّ لهُ ما اراد من اشتراك البلدان التي لم تكن مشتركة فيهِ الاَّ القطر المصري فان نظارة المعارف المصرية لم تقبل الاشتراك فيهِ حتى الآن مع ان هذا القطر منشأ العلوم الرياضية

ولما كنت من المشتغلين بالعلوم الرياضية وكنت مشتركاً في مؤتمر كمبردج المذكور آنفاً وفي المؤتمرين اللذين عقدا في مدينة ليل سنة ١٩٠٩ وفي مدينة تولوز سنة ١٩١٠ وقد نشرت كثيراً من المباحث الرياضية في بعض المجلات منذ عشر سنوات الى الآن وقدمت مقالات رياضية للمؤتمرات قررت اللجنة المشار اليها آنفاً تعييني رسميًّا عضواً عاملاً من قبلها في هذا القومسيون وكلفتني بان اقدم لها تقريراً عن سير العلوم الرياضية في القطر المصري منذ عهد محمد علي باشا الى الآن . فارجو من اخواني الذين لديهم معلومات في هذا الباب ان يوافوني بها فاذكرها تحت اسمائهم ولهم الفضل

فريد بولاد
مهندس بقلم كباري مصلحة السكة الحديد

مستقبل مصر والدفاع عنها

سيدي محرر المقتطف

قرأتُ في صحيفة المؤيد جملة مقالات في موضوع «الدفاع الوطني» عن مصر اختلف كاتبوها في وجوب التفكير الآن في هذا الموضوع وعدمهِ . وتناقش بعضهم في افضلية المطالبة والسعي في جعل مصر على الحياد مثل سويسرا بدل بقائها على حالتها السياسية الحاضرة الى اجل غير معلوم وبدل استقلالها بصورة تضطرها الى تكوين جيش عظيم والى بناء اسطول للدفاع عن نفسها . كما تناقشوا في ايهما الاصلح تقوية الجيش ام بناء

الاسطول ام كلاهما . ولا حاجة لان اعيد لكم هنا اجمال ما كتب في هذا الموضوع الذي لا تزال جريدة المؤيد تخوض فيهِ فلا ريب انكم قد اطلعتم على ما كتب في هذا الباب كما انهُ من السهل ان تحصلوا على اعداد المؤيد التي نشرت وتنشر فيها تلك المقالات لمراجعتها عند الحاجة . ولست اقصد هنا ان انتقد رأيًا من تلك الآراء لان هذا ليس من شأن مجلة المقتطف ان تُعنىَ بهِ . وانما كل غرضي هو رجاؤُكم ان تتفضلوا بنشر خلاصة تاريخية لما كتب في مستقبل المسألة المصرية خصوصًا باقلام كبار ساسة الانكليز وما قيل في البرلمان الانكليزي قديمًا وحديثًا في هذا الموضوع . كذلك ان تذكروا الظروف الطبيعية المعقولة التي تدعو امة مثل مصر للتفكير في الدفاع الوطني عن نفسها وان تقدّروا باستشارة الفنيين ما يمكن ان تحتاج اليهِ من القوة ونوعها . وما يجرّهُ هذا على البلاد من الفائدة والخسارة . وان لا تقتصروا على ابداء رأي واحد بل اكثر من ذلك مع بيان حجج كل رأي حتى يكون للباحثين في هذا الموضوع الخطير من افاداتكم مادة يعتمدون عليها ويختارون منها ما يرونهُ الاصوب وحتى يتنور الرأي العام بتلك المعلومات ولا يُغَشّ بكلام اجمالي يقال جزافًا في الصحف السيارة لانهُ لا يخفى عليكم انَّ تفصيل تاريخ مصر الحديث يكاد يكون مفقودًا في اللغة العربية كما انَّ المعلومات الحربية عن الدفاع الوطني ولوازمهِ ونسبة ذلك لكل امة لا أثر لها في المطبوعات العربية وليس كل القراء عندنا بالعارفين باللغات الاوربية . وعلى هذا اعتقد انهُ ليس من المروءة ترك الرأي العام يتخبط في هذا الموضوع بلا حقائق واضحة امامهُ ليبني عليها . ولاعتقادي انَّ مجلة المقتطف تضارع اعظم مجلة اوربية من نوعها . وانَّ لدى قلم تحريرهِ البيانات الكافية في كل موضوع خطير . قدمت لكم هذا الرجاء واثقًا باني لا اطالبكم بشيءٍ يخالف مبادئ مجلتكم بل كلّ ما اطلبهُ منكم ان تضعوا امام القارئ مختلف آراء الثقات في هذا الموضوع حتى يكون على هدًى في فهم ما تكتبهُ الصحف اليومية وليختار من تلك الآراء ما يراهُ اقرب للحقيقة . وكيفما كان الحال فالسكوت عن ارشاد الرأي العام في موضوع خطير كهذا لا يحمد اثرهُ

قارئ
George's Hospital Hyde Park Corner
London, S. W.

[المقتطف] لم نقرأ المقالات التي اشرتم اليها ولا رأيناها ولا يهمنا امرها . وقد يظهر لاول وهلة ان اقتراحكم غاية في الاهمية لدى الامة المصرية ولكن الذين يجولون في بنادر القطر المصري وكفورهِ بل الذين يجولون في البلدان الاوربية والاميركية حتى اكثرها اهتمامًا بامر الدفاع الوطني كفرنسا وانكلترا والمانيا لا يجدون لهذا الاهتمام شأنًا يذكر لدى

جمهور الشعب وقلَّ من يُعنى بهِ غير المستفيدين منهُ مالاً او جاهاً او كليهما كأصحاب المعامل التي تصنع البنادق والمدافع والسفن الحربية وكالضباط والقواد واصحاب الجرائد السيارة ومورّدي الميرة للجيش والذين يقرضون الاموال للممالك لكي تستعين بها على اثارة الحروب. انزع هؤلاء كلهم من الدنيا بطاعون جارف او بمركبة نارية تحملهم الى السماء كما حملت ايليا على ما في التوراة فتزول الحروب ويبطل اعتداء الدول بعضها الى بعض ولا يبقى داعٍ للهجوم ولا للدفاع. وقد جاهرنا بهذا الرأي منذ اعوام كثيرة ونرى كل يوم من الدلائل ما يؤيدهُ. والخلاصة ان الرأي العام المصري لا يهتم بالدفاع الوطني ويجب ان لا يهتم بهِ. وليس في القطر اصحاب مصالح مالية كبيرة ينتفعون من بناء الحصون وسبك المدافع حتى يخوّفوا الناس من قرب الاعداء ويلجئوا الحكومة الى اعداد عدتها. ولا نقول ان مصر بمأمن من كل غارة تغار عليها ولكننا نرتاب جدًّا في ان دولة تطمع بها لذاتها لان افقر فلاح في ايطاليا لا يقبل ان يحل محل الفلاح المصري ويعيش على خبز الذرة ويعمل من شروق الشمس الى غروبها بغرشين او ثلاثة. والبلاد قد ضاقت بسكانها وموارد الرزق فيها قليلة فلا تزيد قيمة ما يستغل منها في السنة على سبعين مليونًا من الجنيهات فيبلغ متوسط دخل النفس من السكان ستة جنيهات في السنة على الاكثر ودخل النفس في ممالك اوربا من عشرين جنيهاً الى اربعين او اكثر. وهي مديونة لاوربا باكثر من مئة وخمسين مليونًا من الجنيهات ولولم يلجئ اصحاب هذه الديون الحكومة الانكليزية الى احتلالها حفظاً لديونهم لما اهتمت باحتلالها. ولولا ترعة السويس وكونها طريق الهند لما رغبت في البقاء فيها. نعم لو كان سكان القطر المصري مليونين او ثلاثة فقط لطمعت فيهِ بعض الدول التي تطلب منتجعاً للذين يزيدون من شعبها اما وهو مكتظ بسكانهِ فلا رزق فيهِ الاَّ لآحاد قلائل من غيرهم وهؤلاء لا يبقى لهم رزق فيهِ بعد ما يتعلَّم سكانهُ ويتقنوا الصناعة والتجارة والادارة. وقد تحاول دولة اخرى اجتياحهُ لكي تخرج طريق الهند من يد الانكليز فينتقل من كنف دولة الى كنف دولة اخرى والمرجح عندنا ان الحكومة الانكليزية ستهتم بحمايتهِ دفعاً لذلك واذا استعانت بجزيتهِ في هذا السبيل فلا جناح عليها لانهُ استفاد منها فوائد مالية وادبية لا تنكر. وهي تعمل ما يحسن في عينيها ولا يحتمل انها تستشير السكان في ما تريد عملهُ. فعلى مَ نحملهم على البحث في موضوع لا رأي لهم فيهِ وعلى مطالعة آراء لا تجديهم معرفتها نفعاً اللهم الاَّ اذا اريد تفكيههم بما يقولهُ فلان الوزير وفلان السياسي. وهذه اذا جاءتنا ممَّن لم نزود فالغالب انما ننشرها اذا كانت مختصرة محكمة. اما نحن فلا نرى لنا متسعاً من الوقت لجمع هذه الآراء سواء كانت لكبار

ساسة الانكليز او لغيرهم ولا نميل الى اقلاق السكان وحملهم على التفكير في الدفاع عن وطنهم مخافة ان تجتاحهُ دولة اجنبية فقد كان لهذا القطر من العدد والعدد في التل الكبير ما لا يأمل ان يكون لهُ اكثر منهُ الآن ومع ذلك لم يستطع الوقوف امام خصمهِ . وقد صرّح الانكليز الآن انهم لا ينوون الخروج منهُ وما داموا فيهِ فهم مكلفون بالدفاع عنهُ . هذا ما نراهُ الآن والمستقبل مجهول



الشمام والبطيخ

كتب المستر براون في مجلة مصلحة الزراعة فصلاً ضافياً يتعلق بزراعة الشمام والبطيخ وتفضل المقتطف بتعريب شيءٍ منهُ في عددهِ الماضي . وقد قرأت كل ذلك قراءة رغبتني في ان اثبت ما عرفتهُ في زراعة هذين النوعين بمنطقتنا تتميماً للفائدة لان الانواع التي ذكرت في هذا الفصل وفي غيرهِ من الفصول مخالفة لما لدينا فاذا تفضل حضرات المزارعين وشاركونا في الانتفاع بتلك الانواع فانهم يحصلون منها على شيء جيد جديد وان كان مخالفاً لما عندهم في طريقة الزرع وفي كل شيء

الانواع التي تزرع هنا قديمة جدًّا وحافظة لخصائصها الاصلية مع تحسُّن في بعض الصفات وذلك راجع الى تنبه المزارعين لاختيار البذور فكل مزارع يحفظ لب (بزر) البطيخة او الشمامة التي يجد ان مذاقها حلو وانها تمتاز عن نوعها بصفات اخرى مرغوب فيها وهم كذلك شديدو الاعتناء بزراعة تلك الانواع لاختصاصهم بها من اجيال يتوارثها الخلف عن السلف فضلاً عما هي عليهِ من البساطة مع مساعدة الطبيعة لهم

ولبيع هذه الانواع سوق كبيرة في بلدة كفر البطيخ يأتي اليها الكثير من التجار لشرائها وتصديرها بمقادير كبيرة جدًّا

وحيث انهُ لا فرق هنا في الزراعة بين البطيخ والشمام فسأتكلم عنهما معاً بكلام واحد

تقع منطقة زراعتهما في الشمال من مديرية الغربية يحدها البحر الابيض المتوسط من جهتيها الشمالية والغربية وتبلغ مساحتها نحو ٣٢ الف فدان وكلها ارض رملية بجهة صفاتها الكيماوية والحيوية رديئة جدًّا ولكن بعض صفاتها الطبيعية موافقة للنبات مثل درجة

الحرارة وسهولة اختراق الهواء والجذور لها وعدم تشبعها بالماء ووظيفتها المهمة حفظ النبات عليها لانها بدون ما يضاف اليها من السماد والماء لا تنبت الاَّ بعض الاعشاب ولقربها من البحر الابيض وسهولة اختراق الماء لها تشبعت جزئياتها بمائهِ الملح الذي يبعد منسوبهُ بها عن سطح الارض في المتوسط نحو متر نصفهِ الاعلى خالٍ بالمرة من الماء ومجرد عن كل الصفات اللازمة للارض الزراعية ولذلك فانهم عند تهيئة الارض للزراعة يبحثون عن منسوب الماء ثم يتركون فوقهُ طبقة سمكها نصف متر بالضبط وذلك بتكويم الجزء الزائد على جانبي مساحة عرضها نحو مترين وتختلف في الطول باختلاف المساحة المراد زرعها وهذه الاكوام تأخذ شكلاً مائلاً بنسبة ٢ : ١ فيكون الشكل كلهُ كشبه منحرف وهذه العملية يفعلونها كل سنة او سنتين لان الارض التي تزرع سنة او سنتين على الاكثر لا تزرع الاَّ بعد زمن لا يقل عن عشر سنين فهم بذلك في تنقل مستمر سببهُ فقدان الارض لخاصية التماسك بعد الزرع لان الارض قبل زراعتها تضغط عليها مياه الامطار عند نزولها فتقرّب جزئياتها بعضها من بعض وتقلل نوعاً من سعة المسام وكذلك تساعد بعض الاعشاب على النمو فتقوم بنفس الوظيفة التي يزول تأثيرها بعد زرع الارض مرة او مرتين وهذا هو سر تنقلهم

وتجري هذه العملية قبل زمن الفيضان حتى اذا جاء النيل اطلقوا ماءهُ العذب على هذه الحفر التي يجعلون سمك قاعدتها في هذا الوقت عشرين سنتمتراً فيضغط على ماء الارض المالح فيغوص في الطبقات السفلى ويرتفع في القطع المجاورة لهذه البقاع المحفورة ويتأكدون عذوبة الارض بحفر حفر صغيرة بجانبها ينبع منها الماء فيذوقونهُ فاذا جاء وفق ارادتهم حجبوا عنها ماء النيل واضافوا طبقة من الرمل سمكها ٣٠ سنتمتراً ليكون الفرق بين منسوب الماء وسطح الارض نصف متر ثم يأخذون في العمل للزرع بحفر حفر عمقها ٢٥ سنتمتراً وعرضها ١٥ وموضع هذه الحفر عند تقابل ضلعي شبه المنحرف بقاعدته وبُعْد كل واحدة عن الاخرى نحو متر يضعون في قاعها مخلوطاً من زرق الحمام والطين يبلغ ارتفاعهُ بها نحو عشرة سنتمترات وللذك مقدر بثمن كيلة واضافة الطين للسماد نافعة لتخفيف مفعولهِ لان هذا النوع من السماد غني جداً بعناصرهِ الغذائية التي تسبب استمرار النبات في النمو وتكوين فريعات واوراق ولا تعطي غير الثمر الضعيف لو اضيف بمثل هذه المقادير الكبيرة تحت جذور النباتات مباشرة وفي بعض الاحايين تميت الحرارة الناشئة من انحلالهِ جذور النباتات لقوتها وهذا الامر معروف عند المزارعين لانهم يعيرونهُ جانب الالتفات . وبعد وضع السماد يرجعون الرمل الى الحفر

وقت الزرع وكيفيتهُ ومقدار التقاوي

تزرع البذور في النصف الاخير من امشير والاول من برمهات (مارس) وذلك بوضع اللب (البزر) بعد تغطيتهِ بالماء مدة اثنتي عشرة ساعة ثم يصفى الماء ويغسل بماء دافيء لازالة ما عليهِ من المواد اللزجة ويوضع على ارض مستوية ويغطى بقليل من البرسيم او الرمل الرطب حتى يبتدئ الجذر في الخروج فيوضع في كل حفرة من ٦ — ١٠ لبات تغطى بنحو سنتمتر او اثنين من الرمل

والمقدار اللازم للفدان من تقاوي البطيخ يختلف من نصف كيلة الى كيلة وذلك باختلاف نوع البطيخ لان لبهُ متفاوت في الحجم

اما الشمام فلقلة تقاويهِ وارتفاع ثمنهِ لا يوضع في الحفرة الاَّ لبتان او ثلاث لبات يضاف اليها خمس لبات من لب البطيخ حتى اذا عاق نبات الشمام عائق عن النمو فلا تبقى الارض خالية غير مشغولة بشيءٍ بل يحل البطيخ محلهُ وبعد ٤٠ يوماً من الزرع يضعون على بعد ٢٥ سنتمتراً من الجفر مخلوطاً من السماد والطين كما فعلوا اولاً ولكن لا يكون في حفر بل تشقُّ الارض شقوقاً بالفأس عمق الواحد منها ١٥ سنتمتراً ويوضع السماد داخلها ويغطى وذلك امر لا بد منهُ لتغذية النباتات ولانهُ بدونهِ لا يجود بل يقل طرحهُ كثيراً وحكمة عدم وضعهِ تحت الجذور او قريباً منها هو فقدان الارض لما فيها من قوة التماسك الضعيفة ولتغيير سير العصارة ونسبة المواد الغذائية بها تغييراً فجائياً يسبب ضعف النبات . وبعد الفراغ من هذا التسميد يخفّون النباتات فلا يترك في كل بركة اكثر من نباتين احدها يقيمونهُ على ضلع شبه المنحرف والآخر على قاعدتهِ فيساعد ذلك النبات على النمو الجيد لانهُ يجد المسافة الكافية لنموهِ وكذلك يمنع الهواء من نقل رمل الضلع المائل لشبه المنحرف الى قاعدتهِ فيميت الزرع او يضعفهُ . ولا يروى الزرع مطلقاً لان الرمل يحفظ الرطوبة الخفيفة الموافقة لنمائهِ مدة حياتهِ وذلك بفضل ارتفاع منسوب الماء الملح لانهُ لولا ذلك لغاضت المياه العذبة المضافة الى الطبقات السفلى التي لا يمكن للجذور الوصول اليها فتصير الارض جدباء لا تنبت الاَّ نكدا

الجني — يجنى بعد ثلاثة شهور من زرعهِ ويستمر في الجني مدة تختلف من شهر الى شهرين وذلك بحسب النوع المزروع

انواع الشمام

المنسوري — هذا النوع احلى الانواع مذاقاً في هذا الوقت وماؤُهُ كثير وهو مستطيل كالباسوس غير انهُ اصغر منهُ في الحجم ولهُ الوان كثيرة ولكن الغالب فيهِ الاخضر الفاتح

ولحمهُ ناعم وجلدهُ املس غير مضلع

الشهابي — يقرب جدًّا في الحلاوة من المنسوري ولهُ رائحة ذكية شكلهُ اصفر غالبًا وجلدهُ شبكي رفيع جدًّا ولحمهُ اخضر ووزنهُ ثقيل

الشهد — كالشهابي في كل شيء غير ان جلدهُ ناعم غير شبكي ولهُ الوان كثيرة احمر فاتح واصفر ومخطط بخطوط قصيرة سوداء ويختلف كثيراً في الحجم قطر الصغرى منهُ ١٥ سنتي والكبرى ٣٥ سنتي وهو اكثر الانواع وجوداً

القاوون السناني — سمي بالسناني نسبة الى البلدة التي يزرع فيها وهو اقدم الانواع واكبرها حجماً واقلها حلاوة كروي الشكل شبكي الجلد قليل اللحم بالنسبة الى حجمهِ لونهُ احمر فاتح ذو ضلوع غير غائرة

الصعيدي — حجمهُ كبير يقرب من القاوون السناني غير ان شكلهُ مستطيل وضلوعهُ بارزة ولونهُ احمر وجلدهُ سميك ولحمهُ كذلك

الازميرلي — او الافرنجي — هذا النوع فاخر لحلاوتهِ غير انهُ لا رائحة لهُ وهو يختلف كثيراً في الحجم واللون فبعضهُ قطرهُ يقرب من عشرة سنتمترات وبعضهُ عشرون سنتمتراً وجميعهُ كروي الشكل مجعد الجلد ولونهُ اما ابيض او اخضر او احمر ولكن الاحمر اكثر شيوعًا وجلدهُ سميك وصلب ولذلك يقيم طويلاً (من ستة شهور الى سنة) يخزنهُ بعض الناس في منازلهم هذه المدة ولحمهُ ناصع البياض

انواع البطيخ

الكفراوي — اكثر الانواع زراعة وسمي بذلك نسبة الى كفر البطيخ حجمهُ كبير بيضاوي الشكل لونهُ اخضر ولكن اذا حفظ يأخذ في التغير الى الابيض وذلك من علامات استوائهِ . جلدهُ غليظ غير مضلع ومحل الضلوع خطوط سوداء لحمهُ احمر وردي كثير الماء غير صلب يتفق وجود عروق بيضاء فيهِ غير قابلة للمضغ ولكن ذلك نادر ومذاقهُ حلو لذيذ ويمكن حفظهُ مدة سنة ولبهُ كبير

وللكفراوي ثلاثة انواع

(الاول) النبهاني نسبة لاول من زرعهُ وهو اخضر غامق وطولهُ اقل من عرضهِ ولا يمكث طويلاً وهو اقل انواع الكفراوي حلاوة

(الثاني) الرضاوي نسبة كذلك لمن زرعهُ بيضاوي الشكل لونهُ ابيض ومخطط بخطوط خضراء ويمكث طويلاً وهو احسن انواع الكفراوي

(الثالث) نمس — مستطيل الشكل اخضر غليظ الجلد حلو المذاق وردي اللحم

الزرده — كروي الشكل مخطط بخط ابيض وخط اخضر

الديمي — كالكفراوي في الحجم واللحم غير ان جلده دائماً ابيض وغليظ جدًّا ولذلك يعيش سنة او اكثر ولا يزرع الاَّ نادراً لعدم طلبهِ لسماكة جلدهِ ولحمهُ حلو كالكفراوي

ومن الانواع الجيدة التي أُدخلت زراعتها في تلك الجهة من مدة طويلة ونجحت الانواع الآتية

اليافاوي — متوسط الحجم ذو ضلوع بارزة ولونهُ اخضر خفيف جدًّا مستدير الشكل جلدهُ رقيق احمر ارجواني صلب كثير المادة السكرية وهو اكثر الانواع طلباً ويزرع هنا بمقادير كبيرة وفوق ذلك فالوارد منهُ الى دمياط كثير جدًّا يصدر غالبهُ للبلاد المجاورة

العكاوي — كبير الحجم لونهُ اخضر غامق مستدير الشكل لحمهُ احمر وردي صلب كثير المادة السكرية جلدهُ رقيق لا يمكث طويلاً ولذلك قلَّ الوارد منهُ لتلفهِ في الطريق

الحجازي — متوسط الحجم بعضهُ مستدير الشكل تقريباً وبعضهُ مستطيلهُ ظاهرهُ اخضر ولحمهُ اصفر فاتح متوسط الحلاوة وقليل الوجود

واتماماً للموضوع ابين مقدار ما يصرف على الفدان والناتج منهُ. يؤَجر الفدان من الحكومة بمبلغ ٢٧٥ قرشاً ثم يصرف عليهِ خمسمائة قرش اجرة نحت ويضاف اليهِ نحو عشرة ارادب زبل تجلب من الوجه القبلي ثمن الاردب مائة وعشرون قرشاً فيكون المجموع في المتوسط عشرون جنيهاً ويتحصل منهُ من ٢٠ الى ٤٠ جنيهاً

هذا ما عرفتهُ في زرع هذين النوعين بعد ان شاهدت بنفسي الارض وسمعت من افواه المزارعين ما استخلصت منهُ هذه المعلومات التي اتمنى ان يكثر انتشارها بين جميع المزارعين

محمد مختار الجمال .

احد متخرجي مدرسة الزراعة المصرية

القطن وصناعتهُ

للسر تشارلس مكارا من مقالة لهُ نشرت في جريدة التيمس

ان العمل الذي قُسم لي منذ عشرين سنة الى الآن دعاني الى البحث في المسائل المتعلقة بالصناعة التي لها اليد الطولى في كساء الناس ولذلك اجبت طلب جريدة التيمس عن طيب نفس لاكتب لها مقالة عن صناعة القطن حاسباً ان الناس عامةً يستفيدون اذا عرفوا كيف

ارتقت الصناعات الكبيرة وكيف تحل المسائل الهامة التي يُطلب حلها من وقت الى آخر

ولانكلترا شأن خاص في صناعة القطن لان تجارتها بهِ اوسع من تجارة غيرها من البلدان مع ان القطن نفسهُ لا يزرع فيها . ويغزل القطن وينسج في ٢١ بلاداً اخرى ولكن كل بلدان العالم تشتري من المنسوجات القطنية الانكليزية . وثلث صادرات البلاد الانكليزية من المنسوجات والمغزولات القطنية

تاريخهُ القديم

عُرف القطن في بلاد الهند قبل التاريخ المسيحي بقرون كثيرة وهناك ادلة تدلُّ على ان الهند لم تكن بالوطن الوحيد لهُ بل انهُ كان ينمو بريًّا في كثير من البلدان الحارَّة كالصين ومصر وغيرهما من البلدان الافريقية . وكان القدماء يعرفون استعمال القطن لنسج المنسوجات وكان الهنود ينسجونهُ ويصنعون الثياب منهُ قبل المسيح بخمسة قرون . واشتغلت بلاد الهند بغزل القطن ونسجهِ وصبغهِ قبلما عرفت اوربا ذلك باكثر من الفي سنة

وكذلك زرع القطن وغزل ونسج في مصر منذ زمن قديم جدًّا . ولما كنت في مصر منذ عهد قريب رأيت الاولاد ينسجون القطن بانوال مثل الانوال القديمة

وكان نبات القطن معروفًا في بلاد الصين قبل التاريخ المسيحي ولكن الصينيين لم يكثروا من استعمالهِ ولذلك ذكر في القرن الخامس المسيحي ان ملكاً من ملوك الصين لبس حلة قطنية وقت تتوجيهِ

وجود القطن في اميركا

والادلة قاطعة على ان القطن كان ينمو بريًّا في اميركا قبلما كشفها كولمبس سنة ١٤٩٢ ولما ذهب كورتس لفتح المكسيك سنة ١٥١٩ اهدى اليهِ اهلها في جملة هداياهم اثوابًا من القطن . وكان اهل المكسيك يلبسون الثياب القطنية . وواضح من ذلك انهم كانوا يزرعون القطن ويستعملونهُ والمظنون انهُ دخل الولايات الجنوبية من المكسيك

ادخال صناعة القطن الى اوربا

ادَّعت بلدان مختلفة انها هي الاولى في ادخال صناعة غزل القطن ونسجهِ الى اوربا فقد قال السنيور كافت الذي كان نائبًا عن اسبانيا في لجنة القطن الدولية في مؤتمر برشيلونة منذ سنتين ان اسبانيا اول بلاد اوربية اشتغلت بغزل القطن ونسجهِ . والمرجح انها كانت مركز صناعة القطن في اوربا منذ ٣٠٠ سنة . ولما قابل ملك اسبانيا جمعية القطن الدولية في

قصره قال انهُ يخشى ان لا تسترد اسبانيا الشأن الذي كان لها في صناعة القطن فاجبت جلالتهُ قائلاً ان تاريخ الصناعة كثير التقلُّب فيستحيل علينا ان ننبيءَ بما يكون من امرها في مستقبل الايام . وتدعي ايطاليا انها هي التي ادخلت صناعة غزل القطن ونسجهِ الى اوربا ولما استقبل الملك فكتور عمانوئيل لجنة القطن الدولية سنة ١٩٠٩ في قصر الكورينال قال ان القطن كان يزرع بكثرة في البلاد التي حول رومية وفي جنوب ايطاليا . وكيفما كانت الحال فمن المعلوم ان غزل القطن ونسجهُ كانا في اوربا منذ قرون مضت وان الفضل في ادخالها اليها راجع الى المسلمين

ولا اطيل الكلام في هذه المباحث التاريخية مع ما فيها من الطلاوة بل انتقل الى العصور الحديثة وانما اقول انهُ لما كان غرب اوربا آخذاً في الانتقال من الحالة الاقطاعية الى الحالة الحاضرة كان بعض القطن ينسج باليد في بلدان مختلفة ولكن منسوجاتهِ كانت غالية الثمن لا يستطيع ابتياعها الاَّ اهل السعة

الصناعة الحديثة

ابتدأت صناعة القطن في النصف الاخير من القرن الثامن عشر ونبغ فيها رجال اخترعوا المخترعات الكبيرة مثل كاي واركريط وهارغريفس وكرمبتن (وكلهم من الانكليز) فرخصت بها المنسوجات القطنية وصارت افضل المنسوجات وارخصها

والبلاد التي اخترعت هذه المخترعات في تلك المدة الوجيزة استفادت منها طبعاً . والآلات التي صُنعت في انكلترا اولاً استُعملت في انكلترا اولاً وانتشرت مصنوعاتها في اسواق الدنيا وكثر الطلب عليها قبلما انتبهت سائر البلدان الى ما حدث في صناعة الغزل والنسج من التقدم العظيم . فان الاخبار لم تكن تنتشر سريعاً في القرن الثامن عشر وكانت بلدان اوربا في ذلك العصر مهتمة بقصف المدافع وصلصلة السيوف اكثر من اهتمامها باصوات الانوال . وقد اخبرنا نائب سويسرا سنة ١٩١٠ ان بلادهُ كانت تتلو انكلترا في المصنوعات القطنية منذ مئة سنة

وكان القطن يرد الى انكلترا في اول الامر من جزائر الهند الغربية وحتى سنة ١٧٩٠ لم يصدر زارعو القطن في الولايات الاميركية الجنوبية سوى ٣٠٠ بالة وزن كل منها ٥٠٠ ليبرة وسنة ١٨٠٠ بلغ ما اصدروهُ ٣٦٠٠٠ بالة ومن ثم جعل القطن الصادر الى اوربا يزيد سنة بعد سنة وبقي السبق للانكليز في تناول هذا الصادر ولو حاول غيرهم مباراتهم في هذا المضمار

الموسم الاميركي

ويرى من الجدول التالي كيف زاد موسم القطن الاميركي منذ نحو مئة سنة الى الآن

موسم سنة	١٨٢٦ — ١٨٢٧	٩٥٧٢٨١	بالة كل منها ٥٠٠ ليبرة
« «	١٨٥٠ — ١٨٥١	٢٤١٥٢٥٧	« « «
« «	١٨٦ — ١٨٦١	٣٨٢٦٠٨٦	« « «
« «	١٨٧٠ — ١٨٧١	٤٣٥٢٣١٧	« « «
« «	١٨٨٠ — ١٨٨١	٦٥٨٩٣٢٩	« « «
« «	١٨٩٠ — ١٨٩١	٨٦٥٥٥١٨	« « «
« «	١٩٠٠ — ١٩٠١	١٠٤٢٥١٤١	« « «
« «	١٩١٠ — ١٩١١	١٢١٣٢٠٠٠	« « «
« «	١٩١١ — ١٩١٢	١٦٠٤٣٠٠٠	« « «

وكان مقدار الموسم يختلف من سنة الى اخرى بزيادة او نقصان · ومن المواسم الناقصة الموسم الحاضر فانهُ سينقص عن الموسم الماضي مليون بالة وثلاثة ارباع المليون على ما يقدر الآن والموسم الماضي كان اكبر موسم جني من اميركا حتى الآن · ولكن اذا حسبنا المواسم عشر سنوات عشر سنوات رأينا الزيادة مضطردة فيها · وحدث تغير كبير في الاسعار ايضاً وكان لهذا التغير تأثير كبير في نجاح صناعة القطن فمنذ عهد غير بعيد انخفض ثمن الليبرة من القطن الاميركي الى ثلاثة بنسات وارتفع الى تسعة · وسعر القطن الاميركي متحكم في اسعار القطن في الدنيا لانهُ خمسة اثمان القطن التي يستغل من المسكونة كلها فاذا فرق السعر ربع غرش في الليبرة بلغ الفرق في ثمن القطن كلهِ عشرين مليون جنيه

ولا يصلح ان يغلو السعر كثيراً ولا ان يهبط كثيراً وشر الامور ان يعلو او يهبط بغتة بالمضاربة

الموسم المصري

ان الحرب الاهلية التي تأججت نارها في الولايات المتحدة منذ خمسين سنة كانت من اشد الضربات على المشتغلين بصناعة القطن فاشتدَّ بهم الضيق ولكن تلك البلية مثل كل البلايا التي يعقبها الفرج ويأتي منها النفع ومن منافعها انها دفعت المصريين الى الاكثار من زرع القطن بما رأوهُ من الارتفاع الفاحش في سعرهِ واستمروا في هذا المضمار من ذلك الحين · ويرى تزايد الموسم المصري من الجدول التالي

موسم سنة	١٨٦٦ — ١٨٦٧	١٦١١٢٨	بالة وزن كلٍّ منها ٧٠٠ ليبرة
« «	١٨٧٦ — ١٨٧٧	٣٦٢٥٧٥	« « « «
« «	١٨٨٦ — ١٨٨٧	٤١٨٨١٣	« « « «
« «	١٨٩٦ — ١٨٩٧	٨٣٩٩٦١	« « « «
« «	١٩٠٦ — ١٩٠٧	٩٢٦٠٠٠	« « « «
« «	١٩١٠ — ١٩١١	٩٨٤٠٠٠	« « « «

والتوسع السريع في زراعة القطن المصري كان من حسنات الدهر لصناعة القطن الانكليزية . فان الآلات التي اخترعها المخترعون الانكليز تحسنت كثيراً على توالي الايام . واستنبط المحدثون اموراً لم تخطر على بال المتقدمين . والآن صار يمكن ان تغزل خيوط القطن دقيقة كخيوط الحرير والفضل في ذلك لدقة الياف القطن ولاسيما القطن المصري ولدقة الآلات واتقانها

لما ذهب نواب اتحاد اصحاب معامل القطن الى القطر المصري في الخريف الماضي سرَّني ما سمعتهُ من المستر لورنس بولز العالم النباتي في الحكومة المصرية وهو « ان مصلحة الغزالين ان يخبروا النباتيين عن الصفات التي يتطلبونها في القطن وشغل النباتيين ان يوجدوا تلك الصفات » . فالنباتي يوجد الصفات اللازمة والميكانيكي يصنع الآلة التي تنسج ادق الخيوط والغزال يغزل الخيوط التي يطلبها النساج دقيقة كانت او غليظة

ولانكلترا سهم كبير من المغزولات الدقيقة فان مغازلها تغزل نصف القطن المصري ويبقى النصف الآخر لمغازل سائر البلدان . والغزل الذي يغزل من القطن المصري لا يتم غزلهُ الاَّ بعد عمل كثير ولذلك تغزل مغازل انكلترا من القطن اقل مما تغزل غيرها فاذا اريد اعتبار المغازل بنسبة فائدتها وجب ان لا يبني الحكم على وزن ما تغزلهُ من القطن لئلاَّ يكون مثل من يقدّر قيمة المعمل الذي يصنع زنبلكات الساعات بنسبة وزنها الى وزن قضبان الحديد التي يصنعها معمل آخر

القطن الهندي

ويتلو القطن الاميركي في كبر موسمه القطن الهندي ويظهر من الجدول التالي مقدار هذا القطن وازديادهُ سنة بعد سنة

موسم سنة	١٨٨٦ — ١٨٨٧	٢٦٥٧٠٠٠	بالة وزن كل منها ٤٠٠ ليبرة
« «	١٨٩٦ — ١٨٩٧	٢٩٩٩٠٠٠	« « « «

موسم سنة ١٩٠٦ — ١٩٠٧ ٥١٩٧٠٠٠ بالة وزن كل منها ٤٠٠ ليبرة
« « ١٩٠٩ — ١٩١٠ ٥٣١٧٠٠٠ « « « «

وينتظر ان يبلغ الموسم الحالي ٦ ملايين بالة والامل بازدياده في السنين القريبة اشد من الامل بازدياد موسم القطن في اية بلاد اخرى . والآن لا تستعمل بريطانيا الاَّ جزءا صغيراً من القطن الهندي اقل من نصف ما تستعملهُ فرنسا منهُ واقل من خمس ما تستعملهُ المانيا منهُ . واذا صلح نوعهُ فمن المحتمل ان تتغير الحال كثيراً . ولكن كوننا لا نأخذ الاَّ القليل من موسم الهند لا يدلُّ على انهُ غير مهم لنا فان البلدان التي تعتمد عليهِ مثل المانيا والنمسا وايطاليا وتغزل الغزل الثخين يقلُّ طلبها للقطن الاميركي الذي نأخذ منهُ خمسة اسداس مقطوعية معاملنا

ان اكثر القطن ينتج من البلدان المذكورة آنفًا وينتج ما بقي من غيرها ولكنهُ قليل جدًّا . ثم ان جمعية زرع القطن الانكليزية مهتمة بزرعهِ في المستعمرات والبلدان التابعة للامبراطورية الانكليزية ومن جملة اعمالها انها جعلت الحكومة تضمن ربا ثلاثة ملايين من الجنيهات تنفق في السودان لاجل زرع القطن فيهِ بعد ان ثبت انهُ من اصلح البلدان لذلك . وقد اقتدت حكومات اخرى بالحكومة الانكليزية ولكن لا يزال العمل في بداءتهِ

موسم القطن في العالم

يقدر متوسط محصول القطن السنوي في العالم الآن بعشرين مليون بالة وزن البالة منها ٥٠٠ ليبرة (نحو خمسة قناطير مصرية) او ثلاثة اضعاف المحصول كما كان منذ اربعين سنة ولكنهُ لا يزال قليلاً تجاه ما يحتاج اليهِ الناس الآن وما سيحتاجون اليهِ بزيادة السكان واتساع نطاق العمران

واذا شاءت انكلترا ان تحتفظ بما لها من السبق في صناعة القطن فلا بدَّ لها من ان تساعدها بسن القوانين المعقولة التي تنشط هذه الصناعة ولا تضعفها وبتقوية اسباب التجارة على مبدإِ الصداقة واشتراك المصالح والتوفيق بين العمال واصحاب الاموال وعمل الاعمال اللازمة لزيادة كمية القطن والتصرُّف في كل المسائل الضرورية لهذه الصناعة بغيرة وطنية . ويجب على العمال واصحاب الاعمال ان يقوموا بما يطلب منهم بالهمة والمهارة والاقتصاد في النفقات . وهذه الشروط ضرورية كلها لحفظ هذه الصناعة عندنا واتساعها لاننا نصدر ثلاثة ارباع مصنوعاتنا القطنية . والفرق بيننا وبين اميركا كبير جدًّا من هذا القبيل لان اميركا لا تصدر الاَّ خمسة في المئة من كل مصنوعاتها القطنية

صناعة القطن في اميركا

ان الاحصاءات التالية منقولة عن تحقيقات الاتحاد الدولي لارباب معامل القطن ففي الجدول الاول ازدياد عدد المغازل في بلاد الانكليز منذ تسع سنوات الى الآن ولم تذكر فيهِ مغازل التثنية ولا مغازل النفاية لانها لا تغزل قطناً خاماً

سنة ١٩٠٥	٤٦٠٠٠٠٠٠ مغزل
« ١٩٠٦	٤٧٥٠٠٠٠٠ «
« ١٩٠٧	٥٠٦٧٠٦٤١ «
« ١٩٠٨	٥١٩٧٦٦٥٠ «
« ١٩٠٩	٥٣٣١١٦٣٠ «
« ١٩١٠	٥٣٧٢٩٩٨٢ «
« ١٩١١	٥٣٨٥٩٢٤٧ «
« ١٩١٢	٥٥١٦٤٧٩٤ «
« ١٩١٣	٥٥٥٧٦١٠٨ «

والثاني يتضمن عدد المغازل في البلدان المختلفة ومجموعها ١٤٢٠٠٠٠٠٠ وهي

بريطانيا	٥٥٥٧٦١٠٨
المانيا	١٠٩٢٠٤٢٦
روسيا	٨٩٥٠٠٠٠
فرنسا	٧٤٠٠٠٠٠
الهند	٦٤٠٠٠٠٠
النمسا	٤٨٦٤٤٥٣
ايطاليا	٤٥٨٠٠٠٠
اسبانيا	٢٢٠٠٠٠٠
اليابان	٢٢٥٠٠٠٠
سويسرا	١٣٩٨٠٦٢
بلجيكا	١٤٦٨٨٣٨
اسوج	٥٢٩٧٧٣
البرتغال	٤٨٢٠٠٠

هولندا	٤٧٠ ٩٥٦
الدنمارك	٨٦ ٨٣٦
نروج	٧٤ ٥٦٤
الولايات المتحدة	٣٠ ٥٧٩ ٠٠٠
كندا	٨٥٥ ٢٩٣
المكسيك وبرازيل وغيرها	٣ ١٠٠ ٠٠٠

وقد زاد النسج في بلاد الانكليز على نسبة زيادة الغزل فكما زادت المغازل فزادت الانوال فكان عدد الانوال ٦٦٠٠٠٠ سنة ١٩٠٥ فبلغ ٧٥٠٠٠٠ سنة ١٩١٢

زراعة التبغ في القطر المصري

ابنا في الجزء الماضي انهُ لا بدَّ للقطر المصري من الاعتماد على زراعات اخرى مع القطن يمكن اصدار محصولاتها بسهولة وتكون سوقها رائجة في الدنيا و يمكن زرع اطيان كثيرة منها ونكون قيمة محصول فدانها مساوية لمحصول فدان القطن . وان الحاصلات التي تتوفَّر فيها هذه الشرط قليلة وهي الكتان وقصب السكر والتبغ وقد تكلمنا على الكتان وقصب السكر في الجزء الماضي و بقي الكلام على التبغ

قدرت غلة التبغ في الدنيا سنة ١٩٠٥ بنحو ٢١٧٥ مليون ليبرة (رطل) وهي حاصلة من البلدان المختلفة كما ترى في هذا الجدول

اميركا الشمالية	٧٢١ ٤٩٢ ٠٠٠ ليبرة
اميركا الجنوبية	١٠٨ ٥٧٥ ٠٠٠ «
اوربا	٦٣٠ ١٣٣ ٠٠٠ «
اسيا	٦٩٠ ١٦١ ٠٠٠ «
افريقية	٠٢٣ ٣٤٦ ٠٠٠ «
استراليا وفيجي	٠٠١ ٤٨٦ ٠٠٠ «
والجملة	٢ ١٧٥ ١٩٣ ٠٠٠ «

وقدرت سنة ١٩١٠ بنحو ٢٧٥٦ مليون ليبرة هكذا

الولايات المتحدة الاميركية	١١١٣٤٠٠٠٠٠
الهند الانكليزية	٠٤٥٠٠٠٠٠٠٠
روسيا	٢٠٠٧٠٠٠٠٠
النمسا والمجر	١٨٤٨٠٠٠٠٠
املاك هولندا في الشرق	١٢٨٦٠٠٠٠٠
اليابان	٠٩٢٧٠٠٠٠٠
برازيل (الصادر منها)	٠٧٥٣٠٠٠٠٠
المانيا	٠٦٣٦٠٠٠٠٠
توكيا في اوربا	٠٤٩٢٠٠٠٠٠
كوبا	٠٤٦٠٠٠٠٠٠
سنت دومنو	٤٢٠٠٠٠٠٠
جزائر فيلبين (١٩٠٩)	٤٠٢٠٠٠٠٠
فرنسا	٣٦٤٠٠٠٠٠
المكسيك	٣٤٧٠٠٠٠٠
بقية البلدان	١٩٨٤٠٠٠٠٠
والجملة	٢٧٥٦٠٠٠٠٠٠

والمرجح ان هذا الاحصاء اقل من الحقيقة اي ان التبغ الذي يستغل في الدنيا سنويًّا الآن يبلغ نحو ثلاثة آلاف مليون رطل مصري او اكثر . وقد كان المتوسط السنوي بين سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩٠٩ نحو ٢٤٢٣ مليون رطل فالزيادة السنوية اكثر من مئة مليون رطل الى مئة وثلاثين مليونًا فاذا زادت زراعة هذا الصنف حتى زاد المحصول مئة مليون رطل لم تؤثر هذه الزيادة تأثيراً يذكر في المقطوعية . ويمكن ان تستمرّ الزيادة اربع سنوات متوالية حتى تبلغ اربع مئة مليون رطل . واذا فرضنا ان متوسط غلة الفدان في القطر المصري الف رطل فالاربع مئة مليون رطل تقتضي اربع مئة الف فدان اي ان هذا الصنف من المزروعات يحتمل ان يزرع في القطر المصري حتى يبلغ زمام زراعته فيهِ اربع مئة الف فدان ولا يزيد على المقطوعية

واذا فرضنا ان التبغ زرع في هذا القطر حتى بلغت زراعتهُ اربع مئة الف فدان وأُصلح

حتى يغني عن التبغ التركي واليوناني الواردين الى هذا القطر وهما نحو عشرين مليون رطل في السنة باكثر من مليون جنيه توفّر للقطر المصري اكثر من مليون جنيه يدفعها ثمن التبغ الوارد اليهِ وامكنهُ ان يبيع بقية محصولهِ بنحو ١٢ مليوناً من الجنيهات اذا فرضنا ثمن الرطل ثلاثة غروش فقط

والامر المهم في ذلك كلهِ ان يكون التبغ المصري جيداً كالتبغ التركي . وهذه مسألة يحلها علماء النبات بالبحث والامتحان لانهُ اذا جاء قليل الخواص اللازمة للتبغ الجيد كما كان قبل ان ابطلت زراعتهُ فلا يمكن تصديرهُ وبيعهُ . فعلى الحكومة ان تهتم بهذه المسألة اي بامتحان زراعة الانواع المختلفة من التبغ عساها ان تصل الى الغرض المطلوب

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

فوائد منزلية

اذا عُلّق اللحم في مجرى الهواء حتى جفَّ فذلك اصلح لبقائهِ سليماً في زمن الحر من وضعهِ في صحن وماؤُهُ تحتهُ . وعلى كل حال لا يجوز وضعهُ في مكان فيهِ آثار لحم قديم منتن لئلاَّ يتصل الفساد اليهِ حالاً ولاسيما في زمن الحر

النمليات التي يوضع فيها اللحم لكي لا يصل اليهِ النمل يجب ان تنظف من آثار اللحم من وقت الى آخر لان الآثار التي تبقى فيها تفسد ويتصل الفساد منها الى اللحم الجديد حالاً

اذا اغليت اللحم المملح في الماء او اذا زدت الملح في مرق اللحم خطأً فضع فيهِ جزرتين او ثلاثاً الى ان يبرد فان الجزر يمتص الملح الزائد ويصير المرق صالحاً لان تصنع منهُ الشوربا

اذا صعد الدخان من قنديل البترول فالغالب ان يكون السبب ان فتيلتهُ قديمة وقد جفَّ الزيت فيها فانزعها وابدلها بفتيلة جديدة او اغسلها بالماء السخن والصودا حتى تنظف من آثار الزيت فلا يعود الدخان يخرج من القنديل

الاحذية الجديدة تكون نعالها صقيلة يزلق من يمشي بها فاذا البست طفلاً حذاءً جديداً

فافرك نعلهُ بالصنفرة (الورق الرملي) او بمبرد حتى يخشن ولا يزلق الطفل حينما يمشي بهِ

اذا رسبت الرواسب في ابريق الشاي وكان من الفضة واردت تنظيفهُ فضع فيهِ قطعة من كربونات الصودا واملأهُ بالماءِ الغالي وضعهُ على قنديل السبيرتو واتركهُ يغلي قدر ساعة فينظف داخلهُ جيداً

غرائب هدايا العرس

لما تزوجت ابنة داريوس اغدن ملس المثري الاميركي بارل غرانارد اهديت اليها هدايا بلغت قيمتها مئة الف جنيه وفي جملتها بيت من جدها وعشرون الف جنيه . ولما تزوجت ابنة صاحب النوفي ڤرميا الجريدة الروسية المشهورة اهدى اليها ابوها دخل صفحة من صفحات جريدتهِ مخصصة لنشر الاعلانات يبلغ ريعها السنوي ثلاثة آلاف جنيه . واهدى المستر هنري هوجسن الاميركي الى ابنتهِ الكبرى وقتما تزوجت ثقلها ذهباً والى ابنتهِ الثانية ثقلها فضة

وقد اخذ الناس الآن يستعفون من قبول هدايا العرس لانهم وجدوها عبئاً ثقيلاً على اصدقائهم وقال بعضهم ان الهدايا يجب ان تهدى من العريس والعروس الى اصدقائهما اظهاراً لفرحهم لا ان تهدى من الاصدقاء اليهما

وفيات الاطفال

مما يستوقف النظر في اخبار الحكومة المصرية كثرة الوفيات في اشهر الصيف فانها تزيد على المواليد فاذا بلغ عدد المواليد في القاهرة ٦٠٠ في الاسبوع بلغ عدد الوفيات سبع مئة او حواليها وهذا اسراف فاحش في حياة السكان وكان الواجب ان يقل عدد الوفيات عن عدد المواليد في كل شهر من شهور السنة . واذا دققنا النظر وجدنا ان زيادة الوفيات حادثة من كثرة وفيات الاطفال في اشهر الصيف ولا يبعد ان يموت في العاصمة كل سنة عشرة آلاف طفل من الاطفال الذين لو اعتني بهم الاعتناء الواجب لعاشوا و بلغوا اشدهم فهذه خسارة فادحة سببها الاكبر الجهل والفقر وسببها المباشر الاسهال الذي يصيب الاطفال . ويحسن ان ننقل هنا ما ذكرهُ المرحوم الدكتور ورتبات في هذا الشأن في كتابهِ كفاية العوام قال

« يجب ان يخرج الطفل ثلاث مرات او اربعاً في اليوم وان يكون برازهُ ليناً اصفر اللون

خاليًا من الرائحة النتنة والحامضة . واما الاسهال فيهم فاغلب اسبابهِ التسنين والمواد الحرّيفة في الامعاء كالطعام غير المهضوم والدود. وكثيرًا ما يصحبهُ القيء والريح والمغص الذي يستدل عليهِ من بكاء الطفل وقبض رجليهِ نحو بطنهِ عند حدوث الألم . ومتى كان البراز اصفر كان الاسهال بسيطًا . ومتى كان اخضر ورائحتهُ حامضة ومعهُ كتل بيضاء متجمدة من اللبن الذي لم ينهضم او مخاط فذلك يدل على تهيج معوي . وان كان ابيض فتكون الكبد غير عاملة . ومتى كان هناك مخاط ودم فيكون الاسهال من النوع الدوسنطاري

« العلاج . القاعدة الغالبة عدم قطع الاسهال دفعة واحدة ولا سيما في مدة بروز الاسنان لانهُ يكون حينئذٍ مفيدًا . فان كان الاسهال خفيفًا ولون البراز طبيعيًّا فالاولى تركهُ . وان كان شديدًا فيعطى من نصف ملعقة صغيرة الى ملعقة من زيت الخروع لاجل تنظيف الامعاء من المواد الحريفة . وان كانت رائحتهُ حامضة فيعطى مقادير صغيرة من المغنيسيا او ماء الكلس . وان تضمن خثر الحليب بكثرة وكان الاسهال مفرطًا يُبدَل الحليب بمرق اللحم او الدجاج بعد نزع الدهن عن سطحهِ . ومن انسب الادوية واسلمها عاقبة في جميع انواع الاسهال الحاد مسحوق غريغوربوس الانكليزي وهو مركب من الراوند والمغنيسيا والزنجبيل فيعطى منهُ من قمحتين الى ثلاث كل ساعتين او اربع ساعات الى ان يصير البراز طبيعيًّا . وان كانت اللثة وارمة فتشق . واذا طال الاسهال ووجب قطعهُ فمن الادوية البسيطة الفعالة كربونات البزموت يعطى منهُ من قمحتين الى خمس قمحات كل ثلاث ساعات »



Proceedings of the Tifth international Congress of Mathematicians.

اعمال مؤتمر الرياضيين الخامس

عقد هذا المؤتمر في مدينة كمبردج ببلاد الانكليز في شهر اغسطس الماضي برئاسة السر جورج دارون وقد نشرت لجنة تنظيمهِ ملخص جلساتهِ والمحاضرات التي القيت فيهِ في مجلدين كبيرين وفيهِ الخطبة الوجيزة التي افتتحهُ بها السر جورج دارون فابّن صديقهُ رياضي عصرهِ هنري بوانكاره ثم لحق بهِ بعد اشهر قليلة . ويتلو ذلك محاضرات الاعضاء وهي

بلغات مختلفة اكثرها بالانكليزية ولكن بعضها بالفرنسوية والالمانية والايطالية وغيرها من لغات اوربا واكثرها في مواضيع رياضية عويصة جدًّا ولكن بعضها في مواضيع عمومية لا يصعب على غير الرياضيين فهمها مثل خطبة السر وليم هويت التي موضوعها محل الرياضيات من الاعمال الهندسية . ومما رأيناهُ في هذين المجلدين محاضرة القاها حضرة المهندس الرياضي فريد بك بولاد في هذا المؤتمر وقد شرح فيها طريقة مبتكرة مبنية على المطابقة الدوالية يمكن ان تجرى بها عملية انفصال المتغيرات في المعادلات التي فيها اربعة متغيرات من اية رتبة كانت ويمكن بيانها بأباك او نوموغرام مزدوج الخطين . وبيَّن تطبيق طريقتهِ المذكورة على المعادلات ذات الرتبة السادسة والشكل الاعم المحتوي على قوانين كثيرة ممَّا يقع في علم السائلات . وقد اشار فيها الى حساب سرعة جريان المياه في الترع المبين بأباك في الشكل الثالث من الاطلس المحتوي على اشكال المسيو وولف مدرس الرياضيات في مدرسة المهندسخانة سابقاً . كما رأينا لهُ مقالات شتى في بعض المجلات الرياضية وهي تدل على انهُ من النوابغ في العلوم الرياضية وتطبيقها على الامور العملية

قاموس عربي انكليزي

Arabic English Dictionary.

للمرحوم وليم ورتبات الذي كان استاذ الانكليزية في المدارس المصرية قاموس عربي وانكليزي مسهب عني بتنقيحهِ والدهُ المرحوم الدكتور يوحنا ورتبات والاستاذ هرڤي بورتر وطبع اولاً في مطبعة المقتطف في مصر ولما نفدت نسخهُ اعيد طبعهُ في بيروت وقد نقحهُ الاستاذ بورتر الآن وزاد فيهِ مئات من الكلمات والتعاريف الجديدة وطبعهُ طبعة ثالثة في بيروت فجاء غزير المادة محكم الوضع والطبع لا يستغني عنهُ الذين يريدون الترجمة من العربية الى الانكليزية

التقرير السنوي لدار العلم السمثسونية

Annual Report of the Smithsonian Institution 1911.

اهدي الينا هذا التقرير النفيس لسنة ١٩١١ وفيهِ مقالات كثيرة باقلام مشاهير العلماء مثل مركوني ورمزي وجولي ومكنامارا واودبيون وملك ولوجندر وغيرهم وهي في

المواضيع التي اختص بها اولئك العلماء فمقالة مركوني عن التلغراف اللاسلكي ومقالة رمزي عن آراء المتقدمين والمتأخرين في العناصر ومقالة جولي عن عمر الارض

وممَّا جاء في مقالة الاستاذ جولي ان مقدار الملح الموجود في ماء البحار كلها يمكن معرفتهُ بالتقريب ويمكن ان يعرف ايضاً مقدار الماء الذي تصبهُ الانهار في البحار سنويًّا وما فيهِ من الملح فاذا قسم مقدار الملح الذي في ماء البحار على مقدار الملح الذي يدخلها سنويًّا مع مياه الانهر فالخارج يعادل عدد السنين من حين تكوَّنت بحار الارض الى الآن وقد وجد السر جون مري هذا العدد ٩٩ مليونًا واربع مئة الف سنة ثم اصلح الاستاذ جولي الحساب فوجد ان عمر البحار يقع بين ثمانين مليون سنة وتسعين مليون سنة . وبعد بحث طويل في هذا الموضوع وصل الاستاذ سولاس الى ان عمر البحار بين ثمانين مليون سنة و١٥٠ مليون سنة

وطرق الاستاذ كلارك هذا الموضوع من جهة اخرى وهو مقدار ما تجرفهُ الانهر سنويًّا من طبقات الارض وما في هذا المجروف من الصوديوم ثم قسم ما في ماء البحر من الصوديوم عليهِ فبلغ عدد السنين ثمانين مليونًا و٧٢٦ الف سنة

مطبوعات اخرى

المسامرات الادبية — في اخلاق الامة وعللها الاجتماعية من انشاء ابرهيم افندي مصطفى الوليلي من معاوني الادارة طبع بمطبعة الشرق بشارع الجامع الاحمر بمصر

اسباب هزيمة الجيش العثماني والارنؤوط — بقلم اليوزباشي احمد حمدي قائد البلوك الاول من الاي مدفعية الصحراء الحادي والعشرين التابع للفيلق العثماني السابع وقد ترجمها الى العربية حضرة محب الدين افندي الخطيب

نشوء فكرة الله — وهي خلاصة كتاب لجرانت الن الكاتب الانكليزي المشهور استخلصها سلامه افندي موسى مؤلف مقدمة السرمان

رأينا كتاب جرانت الن حينما طبع فوجدنا فيهِ ما يمجهُ الذوق ولم يخطر ببالنا ان احداً يترجمهُ الى العربية او يلخصهُ بها . وغرانت الن كاتب مشهور ولكنهُ ليس من اهل التحقيق حتى يؤْخذ قولهُ واستنتاجهُ حجة ولاسيما اذا خالف كبار المحققين

عزة الامس ذلة اليوم — خطبة القاها حضرة الحاج ميرزا محمد رحيم من اهالي بلباله من توابع باكو في النجف الاشرف في محضر المجتهدين وعامة الاهلين باللغة الفارسية وترجمها حضرة الشيخ محمد ابن الشيخ مهدي الكاظمي وطبعت في مطبعة الولاية ببغداد

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) لغة الاسفار الكروزية

بورت سعيد · مينا افندي راغب ·

ما قولكم في كتاب التحفة البستانية في الاسفار الكروزية ترجمة المعلم بطرس البستاني اذ شرعت اليوم في قراءتهِ واريد ان ادفعهُ بعدئذٍ الى ابنتي وهي في الثالثة عشرة من عمرها لتطالعهُ وهل ترون اسلوبهُ الانشائي العربي ممَّا يحسن ان ينسج على منوالهِ الطالبات

ج · قرأنا هذه الترجمة منذ نحو خمسين سنة ولم نرها بعد ذلك ولا نتذكر ان فيها شيئاً لا تليق بالبنات مطالعتهُ · وليس لدينا نسخة منها الآن لننظر في لغتها ولكننا نرجح ان لغتها حسنة لاننا لا نزال نتذكر بعض الاشعار التي قرأناها فيها وقلما يستشهد بالاشعار من ليس لهُ المام باللغة · ثم ان الكتب التي كانت تترجم وتطبع في ذلك العهد كانت تنقح غالباً قبل طبعها · ويظهر لنا من لغة سؤالكم انهُ لا يصعب عليكم الحكم في لغة الكتاب فان كان انشاؤُهُ مثل انشائكم فهو ممَّا يحسن ان ينسج البنات على منوالهِ

(٢) نفقات المدارس الابتدائية

اسيوط · صموئيل افندي عبد الملك ·

صدر الامر الى مجالس المديريات بتخصيص ٣٠ في المئة من مال التعليم بقصد صرفها على المدارس الابتدائية وما فوقها · فما مقدار هذه القيمة وهل هي كافية لحاجة تلك المدارس وخصوصاً مدارس المعارف التي ستتولى امرها قريباً

ج · نرجح ان المبلغ الذي يخص المدارس الابتدائية وما فوقها لا يقل عن ستين الف جنيه في السنة واذا جرت مجالس المديريات في انفاقها على ما تجري عليهِ فرنسا كفى هذا المبلغ لتعليم ٣٨٠٠ تلميذ وتلميذة لان نفقة تعليم التلميذ في مدارس فرنسا الابتدائية والعالية نحو ١٦ جنيهاً في السنة فقد كان عدد التلامذة في تلك المدارس منذ سنتين ١٠٢٠٦٣ والمال المقطوع لها ٤٤ مليون فرنك · ثم ان التعليم عندنا ليس مجانياً واكثر التلامذة يدفعون اجرة تعليمهم فاذا فرضنا ان النصف يدفعون

والنصف لا يدفعون وجب ان يكفي هذا المال لتعليم ٧٦٠٠ تلميذ اي لاقل من عشر التلامذة الذين يتعلمون الآن في المدارس الابتدائية في القطر المصري او نحو سبع التلامذة في المدارس المصرية الابتدائية ولذلك لا بدَّ لنظارة المعارف وديوان الاوقاف من ان يستمرا على الانفاق على المدارس الابتدائية

(٣) خسارة صك الذهب

ومنهُ . يقال ان انكلترا تخسر سنويا من ضربها العملة الذهبية كالجنيه الانكليزي المنتشر في معظم الممالك فكيف ذلك وما هي الفائدة الناتجة لها

ج . ليس من صك النقود الذهبية الانكليزية شيءٌ من الخسارة بل منها شيءٌ من الربح فان لكل احد حقًّا ان يعطي دار الضرب رطلاً من الذهب مثلاً ويأخذ بدلاً منهُ رطلاً من الجنيهات وكل ٢٣ رطلاً من الذهب يضرب منها ٢٤ رطلاً من الجنيهات اذ يضاف اليها رطلان من النحاس . ولكن دار الضرب تخسر من اعادة ضرب انصاف الجنيهات فان هذه تبرى بالاستعمال فيقل وزنها قليلاً والحكومة الانكليزية مضطرة ان تستردها بقيمتها الاصلية وتصهرها وتعيد ضربها وخسارتها من ذلك غير قليلة

(٤) عدد الاصوات المقطعية

مديات . كم عدد الاصوات المقطعية او الحروف المختلفة التي يلفظها البشر في لغاتهم

ج . لا نعلم ان احداً احصاها وليس احصاؤُها بالامر السهل ولو في اللغات المعروفة كالعربية والفرنسوية فان الحرف الواحد الذي نظن ان لهُ صوتًا واحداً كالالف والباء والتاء لهُ اصوات كثيرة حسب الحروف التي تتصل بهِ والحال كذلك في سائر اللغات حتى ان لسان الفونوغراف الذي يرسم اصوات الحروف قلما يرسم شكلاً واحداً للحرف الواحد في كلمات مختلفة . ثم ان لغات المتوحشين لم تكتب كلها حتى الآن ولا حصرت اصواتها كلها ولو بالتقريب

(٥) مؤَسس ديار بكر

ومنهُ . هل يعرف بالتحقيق من هو مؤَسس مدينة آمد او ديار بكر

ج . لا نعلم واقدم ما نعرفهُ انها جعلت كولونيا رومانية سنة ٢٣٠ للمسيح باسم آمدا واقيم عليها اسقف مسيحي سنة ٣٢٥

(٦) اصل الابجر ملك الرها

ومنهُ . الى اية امة ينسب المؤَرخون المحققون الملك الابجر ملك الرها

ج . لما ضعفت شأن الملوك السلوقيين كثر العرب في بلاد الجزيرة (ما بين النهرين) وقد ظن فون غتشمت ان دولة الاباجرة نشأت هناك سنة ١٣٢ قبل المسيح في عهد

انطيوخس السابع وجعلوا الرها عاصمتهم وتوالى منهم فيها نحو ثلاثين ملكاً ومن اسمائهم الابجر ومعن وبكر وهي اسماء عربية ولذلك يظن انهم عرب ولكن ليس كلها كذلك . ولم نرَ لاحد من المحققين كلاماً مقنعاً على جنسهم

(٧) لا جديد تحت الشمس

فراشة . شيخ العرب ابو هاشم علي قريظ . اصحيح ما يقال انهُ لا جديد تحت الشمس

ج . في القول مبالغة و يراد بهِ ان اكثر ما نظنهُ جديداً ليس بالجديد . ولكن لا شبهة في انهُ جدَّت اشياء كثيرة جدًّا لم تكن معروفة قبلاً . والمخترعات الجديدة منذ خمسين سنة الى الآن تفوق كل ما اخترعهُ البشر في كل العصور الغابرة

(٨) مدينة بلغار

ومنهُ . في اي جهة مدينة بلغار التي ذكرها ابن بطوطة في رحلتهِ وهل الليل فيها قصير كما ذكر وهل هي بلغاريا المعروفة اليوم

ج . لا نظن انها بلاد البلغار المعروفة الآن لانهُ سافر اليها من قرب مدينة ازاق او ازوف فوصلها في عشرة ايام فبعدها عنها نحو مئتي ميل فيحتمل انها مدينة بِلْغُرُد في روسيا وهي في عرض ٥١ درجة فيكون اقصر ليل فيها نحو ثماني ساعات

ومنهُ . ما هي ارض الظلمة التي ذكرها ابن بطوطة حيث ذكر بلاد البلغار

ج . لعلهُ اراد بها انحاء روسيا الشمالية ولكن قولهُ و بينهما اربعون يوماً لا يستفاد منهُ شيء محدود واذا فرضنا انهُ اراد اربعين مرحلة والمرحلة ٢٠ ميلاً فبعد البلاد التي ارادها عن مدينة بلغرد حينئذٍ ٨٠٠ ميل فهي الى الشمال من اركنجل و يصدق عليها ما قالهُ من طول الليل فيها



السبيرتو بدل البترول

اذا امكن ايقاد السبيرتو بدل البترول واكتشفت طريقة لاستخراجهِ تجعل ثمنهُ رخيصاً كثمن البترول قبلما غلا انحلَّ مشكل من اكبر المشاكل الصناعية والمنزلية لان السبيرتو مادة كيماوية يمكن استخراجها من نفاية السكر والدقيق والبطاطس والخشب ومواد كثيرة وليست مقيدة بما قد يوجد في باطن الارض وقد لا يوجد كالبترول . ولاسيما بعد ما كثر استعمال البترول وقوداً في الآلات البخارية . فمنذ سبع سنوات كان

الوارد منهُ الى انكلترا ١٨ مليون جالون في السنة والآن يبلغ ٨٠ مليون جالون مع ان المستخرج منهُ في الدنيا كلها كان ٢٨ مليون طن منذ سبع سنوات فيبلغ الآن ٥٠ مليون طن فقط . وكانت شركات البترول تنقيهِ جيداً حتى يصير خفيفاً ثقلهُ النوعي ٦٨ر٠ اما الآن فصارت تبقي فيهِ مواد ثقيلة حتى صار ثقلهُ النوعي ٧٢ر٠ ومن رأي بعض الباحثين في هذا الموضوع ان السبيرتو سيقوم مقام البترول بعد ان يضاف اليهِ ١٠ في المئة من البنزول

ميكروب الحديد

استخلص بعضهم ميكروباً يفعل بالمذوبات التي فيها حديد فيرسب الحديد منها في شكل عصيدة كما ترى احياناً في قاع البرك . وهذا الميكروب قصير طولهُ ميكرونان (اي جزءان من الف من المليمتر) ويعيش بسهولة على البطاطس فيكوّن عليهِ نقطاً سمراء مخضرّة . وقد استخرجت منهُ مادة خميرية تفعل فعلهُ في ترسيب الحديد من مذوباتهِ ولا بدَّ لهُ ولخميرتهِ من وجود النيتروجين حتى يحلاَّ الحديد من مذوب املاحهِ

الاشجار وقطرنة الشوارع

لما ضُربت الاشجار في شوارع القاهرة بالحشرات التي يبسّتها اتجهت الانظار الى قطرنة الشوارع كسبب مهيءٍ لنمو الحشرات وتغلبها على الاشجار . وقد حدث مثل ذلك في فرنسا فاتفق ان يبست اشجار كثيرة على اثر قطرنة الشوارع فبحث المسيو جيراند سنة ١٩١١ في تأثير متصعدات القطران بالاشجار فوجد انها تسود اوراقها وتيبسها ومن ثم رسخ الاعتقاد ان قطرنة الشوارع تيبس اشجارها ولكن قام كثيرون من الباحثين الفرنسويين ونقضوا ذلك وبينوا ان شوارع مدينة بوردو قطرنت منذ سنوات كثيرة ولم يظهر لقطرنتها اقل ضرر في اشجارها . ويحتمل ان تضر القطرنة بالاشجار اذا منعت ماء المطر من الوصول الى جذورها اما في القاهرة فالاشجار لا تروى بماء المطر فلا تفعل القطرنة بها من هذا القبيل . وقد تناول الالمان هذا الموضوع وبحثوا فيهِ وسنرى ما اوصلهم اليهِ البحث

تقليد اللؤلوء بالجلاتين

عُلم منذ زمان ان الجلاتين يمتصُّ بعض الاملاح فتدخل فيهِ وتمتزج بهِ وقد استخدم الدكتور ليسغانغ ذلك لعمل لؤلوء صناعي شبيه باللؤلوء الطبيعي وذلك بان يغمس الخرز العادي في مذوب سخن من الجلاتين ثم يوضع على لوح من الزجاج مدهون بالجلاتين وتدهن كل خرزة منهُ بمحلول فصفات فلوي او تدهن من الاول بمزيج من الفصفات

والجلاتين فيخترق الفصفات الجلاتين ويجعلهُ براقًا كاللؤلؤ · ثم يعرَّض هذا الخرز لابخرة الفورم الدهيد فيتصلَّب الجلاتين ولا يعود قابلاً للذوبان

اصل الفيروز

وُجد الفيروز في جبال برو بنيومكسكو وهو فيها عروق صغيرة في الصخور النارية وقد ذهب احد العلماء الى انهُ تكوَّن فيها من تأكسد كبرتيد النحاس وكبرتيد الحديد وانحلالهما مع «الخدَّاع» (الاباتي المركب من فصفات الجير وكلوريده او فلوريده) فيتولَّد من ذلك الفيروز الذي هو مركب من النحاس والالومنيوم والفصفور

اشعاع البوتاسيوم والصوديوم

ثبت منذ مدة ان البوتاسيوم يشع اشعة كهربائية من نوع البيتا كالراديوم اي تطير منهُ دقائق فيها قوة الاشعاع · وقد تعذر وجود هذه الصفة في الصوديوم قبلاً مع انهُ مماثل للبوتاسيوم في كثير من خواصهِ ولكن يرجح من بعض الاعتبارات الجيولوجية ان هذه الصفة موجودة فيهِ ايضًا ولو كانت اقل منها في البوتاسيوم

عمر الارض

ذكرنا في باب التقاريظ ان الاستاذ جولي حسب عمر الارض من حين ابتدأت البحار تتكون فيها الى الآن بنحو ثمانين مليون سنة وذلك بقسمة مقدار الملح الذي في بحارها على المقدار الذي تحملهُ الانهر اليها سنويًّا الآن ولكن ظهر من حساب آخر مبني على وجود الهليوم والاورانيوم في صخور الارض ان عمرها اكثر من اربع مئة مليون سنة ولذلك فمقدار الملح الذي كانت الانهار تحملهُ الى البحار في العصور الغابرة كان اقل من المقدار الذي تحملهُ اليها الآن

القسوة على العجماوات

من السخافات التي يصعب تعليلها اهتمام بعض الاوربيين بمنع التجارب العلمية في العجماوات · فلدى مجلس النواب الانكليزي الآن قانون يمنع التجارب العلمية في الكلاب مهما كانت غايتها ولو بُنّجت الكلاب حتى فقدت الشعور تمامًا قبل اجراء العملية فيها · والذين يلجّون بسن هذا القانون لا يتأخرون لحظة عن دوس الديدان والصراصير والنمل والذبان وكل انواع الحشرات · الرفق بالحيوان الاعجم حسن لذاتهِ ولا تطيق النفوس الكريمة تأليمهُ ولكن لا دليل على ان الحيوان الاعجم يتألم كما يتألم الانسان لان كونهُ حيوانًا ذا اعصاب حاسَّة لا يستلزم كونهُ يتألم ويشعر بالالم لان الناس انفسهم لا يشعرون بالالم على السواء والشخص الواحد

لا يشعر بالالم دائماً ولا تشعر بهِ اعضاؤُهُ كلها على حدّ سوى . فبأي قياس يستنتج اصحاب هذا القانون ان الكلاب تتألم مثلهم . ترفع يدك بحجر لتضرب بهِ كلباً فتظهر عليهِ علامات الالم كما لو ضربتهُ حقيقةً . وتضربهُ فعلاً على غفلة منهُ حتى لا يراك فلا تظهر عليهِ علامات الالم كما ظهرت اولاً دليلاً على ان ما ظهر عليهِ اولاً انما كان من آثار الخوف . وهب ان الكلاب تتألم كالناس تماماً او اشد فالبنج يزيل الشعور بالالم منها كما يزيلهُ من الناس

الانوال المصرية واليونانية القديمة

بحث بعضهم عن الانوال المصرية واليونانية القديمة فوجد ان المصريين الاقدمين كانوا يحبكون على نوعين من الانوال الواحد مبسوط امامهم والثاني قائم . واما اليونان القدماء فكان عندهم نول واحد وهو القائم ولكنهُ يختلف عن النول المصري . والنولان المصريان اكثر اتقاناً من النول اليوناني

وقف السلم

كتب المستر كارنجي الى النظار الذين اقامهم على الوقف الذي وقفهُ لاجل ايجاد السلم في العالم ومنع الحروب منهُ يقول « لقد حوّلت الى اسمكم سندات قيمتها مليونا جنيه ريعها السنوي خمسة في المئة وهي مضمونة برهن اول لكي تنفقوا هذا الريع على ما يسرع توطيد السلم في العالم وابطال الحروب التي هي اقبح وصمة على عمراننا . نعم اننا لا نأكل ابناء نوعنا الآن كما كان اسلافنا يفعلون ولا نعذب اسرانا ولا ننهب المدن ونقتل سكانها ولكننا لا نزال يقتل بعضنا بعضاً في الحرب . ولا يعذر على ذلك الاّ الوحوش البرية في هذا القرن من التاريخ المسيحي . وجريمة الحرب لا تغتفر لان الحكم فيها للقوة دائماً لا للحق »

اعلى المباني

يبنى الآن بناء كبير في اميركا فيهِ ٥٥ طبقة وستبلغ نفقتهُ مليونين وسبع مئة الف جنيه هكذا : ثمن الارض التي يبنى فيها تسع مئة الف جنيه ونفقات حفر الاساس ودكهِ مئتا الف جنيه ونفقات البناء نفسهِ مليون وستمئة الف جنيه

بترول برازيل

لم يكد اصحاب مناجم البترول يرفعون اسعارهُ حتى اخذ كثيرون يبحثون عن مناجمهِ و يستنبطونهُ منها . ومن البلدان التي جرت في هذا المضمار بلاد المكسيك فقد استخرجت مليون برميل من البترول سنة ١٩٠٧ ونحو ثلاثة ملايين ونصف سنة ١٩٠٨ واربعة

عشر مليونًا سنة ١٩١١ وستة عشر مليونًا ونصف مليون سنة ١٩١٢

مشي النمل على الماء

كتب بعضهم الى جريدة نانشر من ريو ده جنايرو يقول وضعت سكرًا ذات يوم في كأس ووضعت الكأس في صحفة كبيرة فيها ماء فشم النمل رائحة السكر وقصده حتى وصل الى الماء فدار حوله ولما لم يجد له ممرًّا اليهِ مشى على سطح الماء وصعد الى السكر وحمل شيئًا منهُ وعاد الى قريتهِ وكرَّر ذلك مرارًا وهو كل مرة يمشي على سطح الماء

جنون المطالبات بالانتخاب

قام بعض النساء في بلاد الانكليز يطالبنَ بحق الانتخاب لمجلس النواب . والطلب عادل وقد يكون من تخويلهنَّ حق الانتخاب نفع كبير ولكنهنَّ لم يكتفين بالمطالبة بل توسلن اليها بوسائل المشاغبة ومما فعلنهُ اخيرًا انهنَّ اضرمن النار في معمل البحث العلمي في الحيوانات والنباتات البحرية التابع لجامعة سنت اندروس فاتلفن مجموعات علمية كبيرة الفائدة

الدكتور شوغورو صوبوي

هو استاذ الانثروبولوجيا في جامعة طوكيو باليابان واكبر ثقة في علم الانثروبولوجيا في تلك البلاد وقد انشأ فيها جمعية انثروبولوجية سنة ١٨٨٤ . ذهب الى بطرسبرج لحضور مجمع الاساتذة الدولي فتوفي بها وعمره ٥١ سنة وكان عضوًا في الجمعيات الانثروبولوجية في لندن وباريس وبرلين

العمى اللوني

يراد بالعمى اللوني عدم المقدرة على تمييز بعض الالوان وكنا نظن ان المصابين بهذه الآفة قليلون جدًّا لاننا لم نرَ الا اثنين من المصابين بها لكن ظهر من فحص ١٦٨٩ نفسًا في بلاد الانكليز ان ١٠٥ منهم مصابون بها اي ان المصابين اكثر من ٦ في المئة

الهبة الاميركية الكبرى

نقلت الينا الانباء البرقية ان احد الاميركيين الكرماء اعطى عشرين مليونًا من الجنيهات لاجل البحث في امراض البلدان الحارَّة وهي اكبر هبة علمية على الاطلاق

هبات اميركية

نال جامعة بايل من تركة الدكتور فرنسيس باكون الذي توفي في العام الماضي ٩٥ الف جنيه ووهبت مسز ماري امري مدرسة باسي الطبية ٢٥ الف جنيه . واعطى المستر كارنجي القسم الطبي من جامعة فندربلت مئتي الف جنيه واعطي الاخوان ديوك كلية ترنتي ١٦٠ الف جنيه . ووهبت مسز ماري بل جامعة كولمبيا ٢٠٠ الف جنيه

وكلية رتجرس ٢٠٠ الف جنيه · واعطت مسز رسل ساج عشرين الف جنيه لجامعة برنستن لتبني بها قاعة كبيرة للاكل

جامعة الهند

يظهر مما كتبهُ مهرجا در بهنجا ان المال الذي اكتتب بهِ لاقامة جامعة للهنود في الهند بلغ ٥٣٣٣٣٣ جنيهاً والمبلغ الذي جمع منهُ او لاشبهة في جمعهِ لا يقل عن اربع مئة الف جنيه · وقد لا تسمح حكومة الهند باقامة هذه الجامعة الاَّ بعد ان تقيدها بشروط كثيرة

سكَّر النخل

لا يخفى ان التمر من اكثر الاثمار حلاوةً واذا كثر النخل في بلاد فمن استخراج السكر من تمرهِ ربح كبير فانهُ يستخرج من حمل النخلة الواحدة سكر يساوي سبعة اضعاف السكر الذي يستخرج من شجرة القيقب · واهالي بنغالا في الهند يستخرجون السكر من التمر ويراد الآن ان يزرع النخل التدمري عندهم لان تمرهُ اكثر سكراً من غيرهِ

النساء في جامعات المانيا

بلغ عدد النساء الطالبات في جامعات المانيا ٣٢١٣ واكثرهنَّ المانيات فان الالمانيات منهن ٢٩٠٠ · والباقيات ثلثهنَّ روسيات ورُبعهن اميركيات وعدد النساء في هذه الجامعات كما يأتي

في جامعة برلين	٩٠٤
« بون	٣٨٩
« مونخ	٢٦٢
« غوتنجن	٢٣٧
« هيدلبرج	٢١٩
« فريبرج	١٨٩
« منستر	١٧٣
« برسلو	١٥٠
« ليبسك	١٢٩
« ماربرج	١٢٦
« كونجسبرج	١٠٧
« غريفسولد	٠٨٣
« هال	٨١
« يانا	٦٥
« ستراسبرج	٥٢
« كيل	٤٠
« توبنجن	٣٨
« جسن	٢٤
« ارلنجن	٢١
« ورزبرج	١٦
« روستوك	٠٦

وطالبات الطب منهنَّ ٧٠٢ والعلوم الطبيعية والرياضية ٥٧٩ والزراعة والعلوم المعاشية ٩١ وطب الاسنان ١٧ والصيدلة ٨ والباقيات غير مختصات بعلم مخصوص

الخرسانة المسلحة

صنع بعضهم حوضاً كبيراً من الخرسانة المسلَّحة لاجل السباحة طولهُ ٢٥ متراً وعرضهُ ١٢ متراً ويسع ٥١٠ امتار مكعبة من الماء وهو قائم على اعمدة قصيرة . وصنعوا قنطرة فوق نهر طول الحنية الوسطى منها ٣٠ متراً وكل ذلك من الخرسانة وقضبان الحديد

كتاب ارسترخس في الفلك

وجدت نسخة من كتاب ارسترخس في الفلك وترجمت الى الانكليزية ويظهر منها ان ذلك الفيلسوف الرياضي الذي نشأ قبل المسيح بثلاثمئة سنة قال بدوران الارض حول الشمس ولم يكن علم حساب المثلثات معروفاً في عهده ولا كانت نسبة محيط الدائرة الى قطرها معروفة بالتقريب عند اليونان ومع ذلك استطاع ان يقيس الاضلاع والزوايا من غير معرفة الجيوب ونظائر الجيوب وقاس نسبة بعد الشمس عن الارض الى بعد القمر عنها لكنهُ اخطأ في النتيجة اذ جعل نسبة بعد الشمس الى بعد الارض كنسبة ١٩ الى ١

نيزك ياباني شوهد ساقطاً

شاهد احد الفلاحين اليابانيين نيزكاً ساقطاً من السماء في ٧ ابريل سنة ١٩٠٤ وكان ابيض من شدة حموهِ فاسرع الى المكان الذي رآهُ سقط فيهِ فوجدهُ هناك واذا هو قطعة كبيرة من الحديد وقد غار جانب منهُ في الارض ثمانين سنتمتراً ورآهُ معلم مدرسة ايضاً فالتقطاهُ وحلَّلهُ اثنان من العلماء تحليلاً كيماويًا فوجداهُ مركبًا من العناصر التالية ٨٥,٩٤ من الحديد و٤,٤٤ من النكل و٠,٤٨ من الكوبلت و٠,٢٣ من الفصفور واثر من النحاس . وهذا النيزك من النيازك النادرة التي رآها الناس ساقطة ثم وجدوها وهو يشبه في تركيبهِ كثيراً من النيازك المعدنية التي وجدت قبلهُ

التماثيل المصرية

نرى البلدان المرتقية تهتمّ باقامة التماثيل لعظمائها تنويهاً بقدرهم وتخليداً لذكرهم ومهما بالغت في التفتيش عن العظماء الذين نشأُوا فيها يتعذَّر عليها ان تمتد في تاريخها الى ما يبلغهُ القطر المصري او ان تجد بين ملوكها من كان اعظم من ملوك مصر ولذلك نرى انهُ يحسن ان تنصب بعض التماثيل القديمة مثل تماثيل رعمسيس الثاني ونحوهِ في الساحات العمومية كساحة باب الحديد التي يراد توسيعها الآن بدلاً من وضعها في دار المتحف المصري . وان كانت العواصم الكبيرة مثل القسطنطينية ورومية وباريس ولندن ونيويورك تباهي بنصبها المسلات المصرية في ساحاتها العمومية فاحرِ بعاصمة الديار المصرية ان يكون فيها اكثر من نصب من انصاب عظمائها الاقدمين

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثالث والاربعين

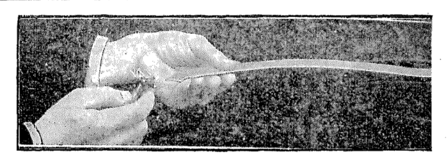
اعلانات المقتطف

المقتطف اقدم المجلات العربية واوسعها انتشاراً فيطالَع ويحفظ في كل بلاد تقرأُ فيها اللغة العربية وكل اعلان ينشر فيهِ يطَّلع عليهِ الوف من قرَّاء العربية في كل اقطار المسكونة

وفائدة الاعلانات في ترويج البضائع والاشغال من كل الانواع اشهر من ان تذكر حتى ان محلاَّت كثيرة في اوربا واميركا تنفق سنويًّا الوفاً من الجنيهات على نشر الاعلانات وترى انها تربح من ذلك ربحاً كبيراً واذا قلَّلت اعلاناتها في سنة من السنين قلَّ بيع بضائعها ومصنوعاتها وقلَّ ربحها كثيراً

وقد رأَينا ان نعيد نشر الاعلانات في المقتطف لاسيما وان كثيرين من قرَّائهِ يسأَلوننا من وقت الى آخر عن الاماكن التي تباع فيها بعض الكتب وبعض المواد وعن اثمانها ونحو ذلك فنهمل الاجابة على اسئلتهم غالباً لضيق المكان في باب المسائل ولان مسائلهم خاصة بهم · ففي باب الاعلانات مجال واسع لاصحاب الكتب واصحاب المواد المختلفة لنشر اعلاناتهم عنها

والمخابرة في اجرة النشر مع ادارة المقتطف بمصر

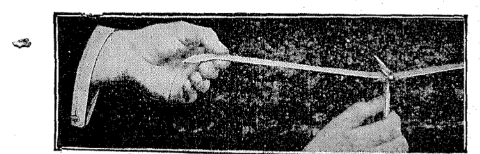


ان ادخال القايش في الموسى لا يستغرق سوى ثانية او ثانيتين من الوقت

ان موسى الاوتوستروب المأمون الذي لا يجرح من يحلق بهِ يمتاز على سائر انواع الامواس سواء كانت اعتيادية او من نوع الامواس المأمونة التي لا يجرح الانسان باستعمالها بانهُ الوحيد الذي لهُ عملية سن ملحقة بهِ فهو الموسى المأمون الوحيد الذي لا يجرح من يحلق بهِ و يبقى مع ذلك ماضياً طول الوقت فيوفر على من يستعملهُ مشترى شفرات جديدة · وهو يكفي من يستعملهُ طول عمرهِ · ومن جربهُ مرة شعر بلذة في الحلاقة لا يشعر بها عند استعمالهِ سائر الامواس الاخرى

AutoStrop
SAFETY RAZOR

ويباع في المخازن المعتبرة في اطقم اثمانها من ٢١ شلناً الى ١٥ جنيهاً · والطقم مؤلف من موسى ملبس بالفضة تلبيساً رباعيا يسن نفسهُ و١٢ شفرة من اجود الفولاذ (الصلب) وقايش من احسن جلد من جلد الخيل · وكل ذلك موضوع في علبة مغطاة بالجلد وبطنة بالقطيفة وثمن الطقم ٢١ شلناً



جر الموسى على القايش بضع مرات الى الامام والوراء تصبح شفرتهُ ماضية جداً وتحلق حلاقة بديعة كل مرة · وهذا الموسى يوفر عليك مشترى شفرات جديدة وهو ما لا بدَّ منهُ اذا استعملت الامواس الاخرى التي من نوع الامواس المأمونة التي لا تجرح من يحلق بها

يجب على كل سيدة ان تستعمل

غذاء بومروي للجلد



POMEROY

Skin Food

ان نضارة الوجه وحسنه

مصونان باستعمال مستحضرات بومروي

ويحسن بكل سيدة ان تستعمل على الدوام غذاء بومروي للجلد لانهُ مستحضر بديع يحسن الجلد ويكسبهُ رونقاً ويزيل من مسامهِ حبيبات الغبار التي تلصق بها ويرد اليها قوتها الطبيعية

وعلاوة على ذلك فانهُ يعين على ازالة الغضون ويضعف فعل القشف الناشىء عن التعرض للشمس والرياح الحارة

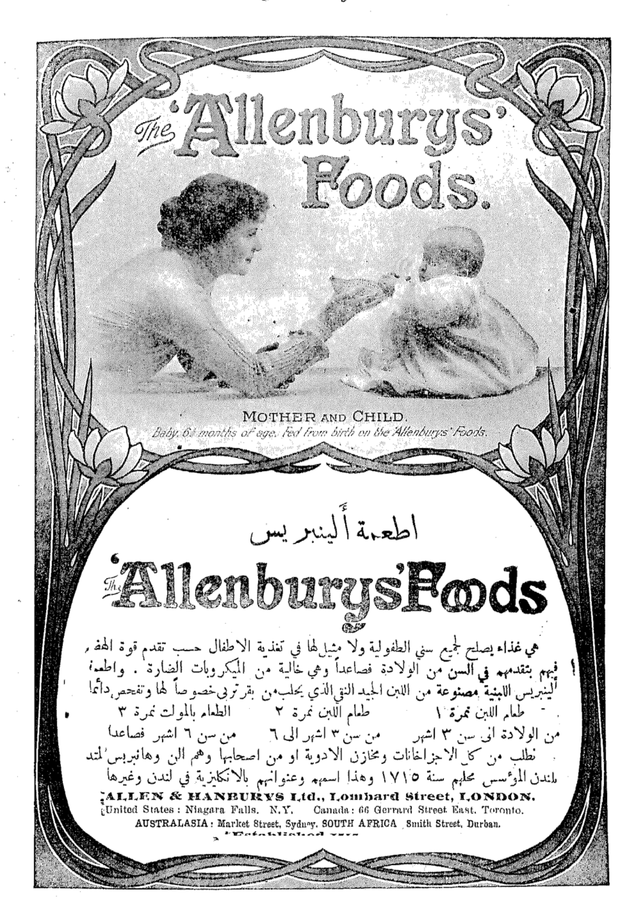
ان استعمال حق واحد من هذا المركب يكفي لاقناع من يجربهُ بمفعولهِ وحسن نتائجهِ

جرّبي حقاً واحداً تري التحسين العظيم

يباع في جميع الاجزاخانات ومخازن الادوية ويطلب ايضاً من السيدة ب. و. سمسن نمرة ٥ شارع شريف بالقاهرة ومن

Mrs Pomeroy Ltd., 29 Old Bond St., London.


E.R.SKINNER.


The 'Allenburys' Foods.
MOTHER AND CHILD.
اطعمة ألينبريس
The 'Allenburys' Foods
هي غذاء يصلح لجميع سني الطفولية ولا مثيل لها في تغذية الاطفال حسب تقدم قوة الهضم
فيهم بتقدمهم في السن من الولادة فصاعداً وهي خالية من الميكروبات الضارة . واطعمة
ألينبريس اللبنية مصنوعة من اللبن الجيد النقي الذي يحلب من بقر تربى خصوصاً لها وتفحص دائماً
طعام اللبن نمرة ١ طعام اللبن نمرة ٢ الطعام بالمولت نمرة ٣
من الولادة الى سن ٣ اشهر من سن ٣ اشهر الى ٦ من سن ٦ اشهر فصاعداً
تطلب من كل الاجزاخانات ومخازن الادوية او من اصحابها وهم الن وهانبريس لمتد
بلندن المؤسس محلهم سنة ١٧١٥ وهذا اسمهم وعنوانهم بالانكليزية في لندن وغيرها
ALLEN & HANBURYS Ltd., Lombard Street, LONDON.
United States: Niagara Falls. N.Y. Canada: 66 Gerrard Street East, Toronto.
AUSTRALASIA: Market Street, Sydney. SOUTH AFRICA Smith Street, Durban.

احسن دواء يصفه الاطباء

للمصابين بالروماتزم والنقرس والاوجاع المفصلية

هو

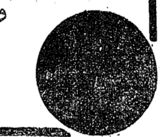
بيبرازين ميدي

Pipérazine MIDY

لانه اقوى دواء يذيب الحامض البوليك

ويسهل احتماله على متعاطيه

يطلب من كل صيدليات العالم

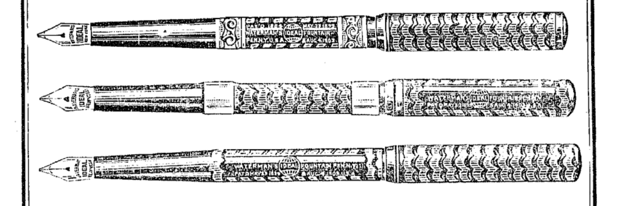



لارولا
BEETHAMS
La-rola
خير ما صنع لحفظ نضارة الشباب وحسنهِ وليس بين مواد
العطرية المستعملة في التوالت ما يعادل لارولا في حفظ لون البشرة
الصحي ونعومتها ووقايتها من فعل الشمس والهواء والماء القاسي
فانها تمنع الخشونة والاحمرار والقشف وتكسب الجلد لينًا ونعومة
وتحفظهُ سليمًا على الدوام
اشترِ زجاجة من الاجزاخانة اليوم تجد فيها ما يسرك
اطلب لارولا من جميع الاجزاخانات والمخازن او من اصحابها وهم
بيتام وولده شلتنهام في انكلترا وهذا اسمهم وعنوانهم
بالانكليزية M. Beetham & Son, Cheltenham,
England.
La-rola
FOR THE SKIN AND COMPLEXION

Waterman's Ideal Fountain Pen

قلم واترمان البديع

احسن قلم بتجربته



لماذا لا تشتري قلم واترمان البديع وتتمتع برفاهية الكتابة بقلم لا يرشح حبرهُ ولا يزرقهُ ولا يخدش الورق ولا يحتاج الى هز لاسالة حبرهِ ولا يبرى بطول المدة ٠ وقد استعملهُ عدد كبير من اكبر كتاب العالم واشهرهم عشر سنوات واثنتي عشرة سنة ولم يضطروا الى تغيير الريشة (البنّه)

يطلب من جميع المكاتب والجواهرجية في العالم ومن

L. & C. HARDTMUTH Ltd., Koh-i-noor House, London, England.

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثالث والاربعين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩١٣ — الموافق ٣٠ رمضان سنة ١٣٣١

المؤتمر الطبي

عقد المؤتمر الطبي السابع عشر في مدينة لندن في السادس من اغسطس ويقال ان اعضاءهُ بلغوا ٧٥٠٠ ورحبت بهِ الحكومة الانكليزية ترحيباً رسمياً وافتتحهُ البرنس ارثر اوف كنوت حاملاً اليهِ التحية من ملك الانكليز فقال

« لا حاجة بي الى الاعراب عمَّا يخامرني من السرور اذ قد اتيح لي ان اقوم بينكم وارحّب باسم الملك بممثلي كل فروع العلوم الطبية الذين اتوا من اقطار المسكونة واجتمعوا الآن في هذا المكان . وقد سرَّ جلالتهُ ان امرني بالاعراب عن رجائهِ الوطيد ان يأول هذا الاجتماع العام الى تقدُّم علم الطب الجليل ونفع نوع الانسان . لما كان جلالة المرحوم الملك ادورد وليَّاً للعهد افتتح هذا المؤتمر بلندن سنة ١٨٨١ وانهُ يسرني جدًّا ان اتشرَّف بالاقتداء بهِ وافتتح هذا المؤتمر العظيم الآن . كان رئيس المؤتمر سنة ١٨٨١ السر جمس باجت وحضرهُ المسيو باستور الذي اصبح العالم كلهُ مديوناً لمكتشفاتهِ العجيبة. ولكن المكتشفات التي اكتشفت حديثاً مثل اشعة رنتجن والراديوم وهما من افعل الوسائل في ايدي الاطباء للتشخيص والعلاج لا يقلان عن مكتشفات باستور فائدة . ولا يخامرني ريب اني انطق بلسان كل الحاضرين اذا قلت ان عندنا هنا خير خلف لخير سلف بالسر توماس بارلو رئيس هذا المؤتمر و بالنواب الذين يمثلون البلدان الاجنبية والاملاك البريطانية عبر البحر . واسمحوا لي ان اذكركم انهُ وان كان هذا المؤتمر مجتمعاً في لندن فهو ليس ضيفاً على لندن وحدها بل على كندا واستراليا وزيلندا الجديدة وجنوب افريقية والهند لانها كلها لها نواب في لجان المؤتمر المختلفة اي ان الامبراطورية كلها مشتركة فيهِ وهو حلقة اخرى من الحلقات التي تربطها بعضها ببعض

واظنني على شيءٍ من الالمام بالمعارض العمومية وبما لها من النفع الجزيل في تقوية

العلاقات بين البلدان المختلفة ولذلك اثق ان النفع العام يكون اوفر جدًّا من مؤتمر عامٍ مثل هذا لانهُ يسهل لاعضائهِ ان يفيدوا و يستفيدوا من تبادل الافكار ووقوف كل منهم على آراء غيرهِ ومكتشفاتهِ . مؤتمر يضم نحو ثمانية آلاف من الاعضاء هو غاية في العظم . ولا بد ما تحصل منهُ فوائد كثيرة عمومية ولو كان كثير من مباحثهِ خاصًّا بالاطباء لاسيما وان المختارين للكلام فيهِ هم من نخبة علماء المسكونة . ولا أُطيل الكلام بذكر المسائل التي يطلب منكم البحث فيها فان ذلك سيوضحهُ السر توماس بارلو ولكنني اغتنم هذه الفرصة لتهنئة لجنة الاستقبال على نجاحها بعملها الذي نرى ادلتهُ امامنا اليوم ولا شك عندي انها تجد عند ختام المؤتمر ما يوفيها حقها من الشكر

واقول في الختام اني مسرور اعظم سرور بالترحيب بكم الآن وقد طُلب مني ان اخبركم بان جلالة الملك يسرُّ بان تكونوا ضيوفة في قصر وندزر · وارجو ان تشعروا بان البلاد بلادكم وان كانت بلاد البعض منكم بعيدة جدًّا عن هذه البلاد . و يسرني الآن ان افتتح هذا المؤتمر باسم الملك

ثم طلب السر توماس بارلو من السر ادورد غراي وزير الخارجية أن يرحب بالنواب الاجانب فوقف وقال

ان ترحيبي بهذا المؤتمر بالنيابة عن الحكومة بعد ان فتحهُ صاحب السمو الملكي لمن الواجبات التي اقوم بها عن طيب نفس واني غني عن القول ان ترحيبي هذا تشترك فيهِ كل جوانحي . ولقد عبَّر لورد مورلي عن عواطف الحكومة نحوكم بكلام كلهُ بلاغة وحسن بيان يتعذَّر عليَّ ان آتي بمثلهِ فانا أُشاركهُ في ما ابداهُ من الاحترام لكم والاعجاب بالاعمال التي يشترك فيها مؤتمركم وبالتقدم العظيم الذي نقدمهُ علم الطب في عصرنا . واننا لنحسب اجتماعهُ عندنا فخراً لنا لما يحويهِ من الرجال الذين يشار اليهم بالبنان . وفوق ذلك اننا نرحب بكم لانكم لا تحتاجون الى « مداخلتنا » (ضحك لان الاشارة الى المداخلات السياسية) . والعلم بمعناهُ الحقيقي حق مشاع لكل الامم يتناظر اربابهُ ولكن مناظراتهم ليست دولية فان الرجال الذين وصلوا الى درجة من المعرفة تحسن ان تسمى علماً لا يختلفون باختلاف شعوبهم ومناظراتهم مهما كان اشتراكهم في سياسة بلادهم وتحزبهم لها شديداً

ونحن العامَّة يهمنا امر الطب والجراحة اكثر ممَّا يهمنا امر علم آخر من العلوم . اننا ننتظر من بعض العلوم ان تزيد مسرات الحياة وتزيل الساءمة منها واما علمكم فقد تدربنا على ان ننتظر منهُ اشياء اهم من ذلك لكل واحد منا فاننا ننتظر منهُ ان يزيل آلامنا ان ينقذنا ممَّا

نعدهُ أكبر بليَّة علينا . وكما ننظر الى الطب والجراحة افراداً ننظر اليهما اجمالاً ايضاً ولا نفضل عليهما علماً من العلوم. ومن رأيي ان علمي الطب والجراحة لا يقصران عن غيرهما من العلوم في البحث عن سر الحياة او سر الكون . والناس ينظرون اليكم متوقعين منكم ان ترفعوا طرفاً آخر من اطراف الستار الذي يحجب الخفايا ويستر الغوامض

ويظهر لي ان علم الطب اصلح حالاً من غيره من حيث علاقتهُ بالجمهور فقد قلَّ استخفافهم بهِ وصاروا اميل الى الترحيب بالمكتشفات العلمية منهم الى مقاومتها بالاغاليط القديمة او على الاقل صاروا يرحبون بالمكتشفات المتعلقة بعلم الطب اما سائر العلوم فلا اجسر ان اقول عنها مثل ذلك بهذا التأكيد فاذا حسبنا السياسة علماً مثلاً ترددت كثيراً في الحكم على رأي الجمهور فيها لانهُ لا يرجى تعليم علم لمن يحسب ان كل الناس يعرفون ذلك العلم (ضحك). اما الطب والجراحة فاعتقد ان عقل الجمهور ميال الى تعلمها وراغب فيهِ وشاكر لمن يفيدهُ شيئاً فيهما ولذلك فالملك والحكومة والشعب يودون ان يرحبوا بكم اشد ترحيب قلبي وكلنا مسرور سروراً حقيقياً . ان لندن تشرفت بصيرورتها مكاناً لمؤتمركم وبحضور هذا العدد العديد من اشهر رجال الارض الذين جاءوا من اماكن بعيدة لحضور هذا المؤتمر وللاشتراك في ما يزيد مذاكراتهِ علماً وقدراً

تقدم علم الطب في ثلاثين سنة

وهي خطبة رئيس المؤتمر السر توماس بارلو

انقضى جيل كامل منذ اجتمع هذا المؤتمر اجتماعهُ الاخير في مدينة لندن . ما اعظم تلك الحلقة من علماء الطب والجراحة التي احاطت حينئذٍ بولي العهد. جدير بنا ان نعمل بقول الحكيم ونمدح العظماء والذين ولدونا . كان رئيسنا السر جمس باجت باثولوجيّاً عظيماً . كان عقلهُ مفعماً بكل ما كان يعرف من التشريح والامراض الجراحية والاستعداد المرضي . كان معلماً من الطبقة الاولى فصيح العبارة شديد الغيرة لا يفوقهُ احد من معاصريهِ. وكان معنا جنر وغل وولكس وغيردنر معلمينا العظام في الطب العلاجي. لا امل لنا ان نجد امثالهم الآن لانهم كانوا قبلما صار الاخصاء في الطب وفيهم انتهى تاريخ الاطباء العظام الذين كانوا يتقنون كل فروع الطب ولا ينقطعون لفرع واحد منها. وكان معنا جكسن الموضح لعلم الاعصاب الجديد الذي اثبت داود فرير كثيراً من آرائهِ بالامتحان وكان معنا ايضاً يوناثان هتشنصن المسجل المدقق لتاريخ الامراض الطبيعي في جهات عديدة وهو المنظم لمؤتمر معرضنا الكلينيكي

والباثولوجي . وكان معنا روَّاد الجراحة الباطنية سبنسر ولس وتوماس كيث ولوصن تايت . وخطب فينا هكسلي اعظم موضحي العلوم الطبيعية في علاقة الطب بعلم البيولوجيا . وكان بيننا ايضاً وليم بومن الذي ادَّت مباحثهُ الدقيقة في تشريح العين الى وضع علم طب العيون الجديد . واختم الكلام على رجالنا بلستر الذي كان حينئذٍ في اوج عملهِ العظيم . لقد فقدناهُ منذ عهد قريب شيخاً شبعان من الايام ونحن نتذكرهُ اليوم بوسام مؤتمرنا

واخواننا الذين اتونا من البلاد الاخرى لم يكونوا اقل اشتهاراً من رجالنا في الطب والجراحة . فرخو نسطور التشريح المرضي الذي يحبهُ اهل هذه البلاد ويكرمونهُ كما يحبهُ اهل بلادهِ ويكرمونهُ خطب خطبة نفيسة في فائدة التجارب الباثولوجيَّة . وفلكمان تكلم عن تقدُّم الجراحة . وكوخ انتقل بنا الى سبيل جديد اذ تكلم عن الميكروبات التي وجدها في كثير من الاحوال المرضية وابان اساليب نموها التي تمتاز بها . وفن لنجنبك واسمرخ تكلما على الجراحة الحربية . ودندرس وسنلن على طب العيون وبشلي ومرّي وبنتليوني كانوا يمثلون الطب الايطالي . وجاء من الولايات المتحدة استن فلنت الطبيب الشهير ومعلم التشخيص الطبيعي وبلنس امير المكاتب الطبية وبغلو الجراح الشهير . وكانت المدرسة الفرنسوية العظيمة ممثلة ببرون سيكار وشاركو ولانسرو وبوشار وفرناي وكثيرين غيرهم ولكن كان بيننا فرنسوي آخر فاق كل معاصريهِ ولمكتشفاتهِ الاثر الاكبر في علم الطب ولو لم يكن طبيباً وهو لويس باستور . خطب في التطعيم وعلاقتهِ بكوليرا الدجاج والحمى الطحالية فحملهُ ادبهُ على تعليق مكتشفاتهِ الحديثة بما فعلهُ ادودجنر بالجدري البقري . واذا اردت ان اتكلم عن كل اولئك العظام اعوزني الوقت . حقًّا انهُ كان في الارض جبابرة في تلك الايام

ان المؤتمر الذي التأم سنة ١٨٨١ اثبت لنا ان الطب سار في سبيل جديد فان عصر الخرافات والتقاليد كان قد زال ولكن عصر البحث العلمي الدقيق لم يكن قد انحطّ ولا انتهى بل كان قد تقوى وتشعب الى شعب مثمرة بواسطة اساليب الامتحان الجديدة . ولولا اشغال باستور ولستر وكوخ التي كُشفت لنا منذ ثلاثين سنة لكان ما نبديهِ في مؤتمرنا هذا الآن حقيراً ضئيلاً

ان الرجال العظام الذين ذكرتهم الآن كانوا مثل قنن الجبال الشامخة فوق سهل جمهور الاطباء . وقد نسأل الآن اين القنن في عصرنا . والسؤَال ضئيل مضلّل لاننا صرنا من فضل رجالنا الذين طرقوا كل سبل الطب واشتغلوا بكل فرع من فروعهِ من غير ملل ولا ضجر في مستوى من الارض العالية لا جبال فيهِ ولا اودية بل هو سهل واسع فسيح عظيم الارتفاع من المعارف المحققة المنظمة . انظروا الى فروع هذا المؤتمر التي كانت ١٥ فرعاً سنة ١٨٨١

فصارت الآن ۲۳ فرعاً واضيف اليها ثلاثة فروع تحتها وقد اضطررنا الى زيادة هذا التفريع بما تولّد من زيادة البحث واتساع نطاقهِ . واضطرنا حب الاشتراك في العمل الى تنظيم اربعة عشر اجتماعاً تجتمع فيها الفروع المختلفة وتتذاكر في مواضيعها المختلفة

وان قيل ما هي السبل التي اتبعناها ووسعنا بها اعمال اسلافنا . قلت ان اول هذه السبل بلا جدال البكتيريولوجيا علماً وعملاً . فان اكتشاف كوخ العظيم لميكروب السل نُشر في السنة التي تلت موءتمر لندن . وما اوسع المعارف التي عرفناها على اثر هذا الاكتشاف . ونحن آخذون الآن في التمييز بين الجوهري والعرضي من فواعل الامراض وملابساتها . ومعلوم ان الطبيعة تولّد من الميكروبات مواد تبطل فعلها وتولّد لها اعداء تهلكها كما يشاهد في الامراض الحادّة التي تشفى لذاتها فاستُخدم هذان الامران المهان في علاج الادواء اي العلاج بالمصل (سيروثرابيا) والعلاج بالتطعيم (ڤكسينثرابيا) . وما من حاجة بي لاطالة الكلام على باشلس كلبس لفلر وسبب الدفثيريا ولا على فائدة اهم انواع المصل الدوائي (المضاد للدفثيريا) ولا على المشابهة بين الاشياء الميكروبية التي توجد في النفث وبين الاعراض التي تظهر في البحث العلاجي ولا على استطراد البحث الميكروبي في التيفويد الذي كان من ثمارهِ اكتشاف الطعم الواقي منها . ولا نزال نجهل اموراً كثيرة من حيث الميكروبات التي تسبب الامراض الحادة النوعية . وقد عرفنا حديثاً ان المرض المعروف بشلل الاطفال هو من الامراض المعدية وعرفنا كثيراً من خواص ميكروبهِ الخدّاع والفضل في ذلك لفلكسنر . وتقدم علم الحلميات (البروتوزولوجيا) وعلم الديدان (الهلمنثولوجيا) وكل ما يتعلق بهذه الفضوليات تقدماً عظيماً

الامراض الاستوائية

كان لهذه المباحث شأن كبير في امراض البلدان الحارّة مثل حمّى مالطة والطاعون والملاريا ومرض النوم فقد كشفت غوامضها كلها او بعضها ففي بعضها كشفت درجات الداء كلها فعرفت الطريقة الشافية لعلاجهِ وفي بعضها كما في الملاريا ومرض النوم والحمّى الصفراء عرف جانب فقط من سير المرض الطبيعي ولم يعرف كلهُ حتى الآن ولكن ما عرف كفى لاستعمال الوسائل الصحية التي تقي منهُ ولو كانت نفقاتها كثيرة . وهنا علينا ان نقدم واجب الشكر لاخواننا الاميركيين لاجل عملهم الهيجيني البديع في كوبا وبناما وجزائر فيلبين وكوستاريكا ولما يبذلونهُ من الجهد لمكافحة الانكيلستوما Ankylostoma في الدنيا كلها . وقد وسّعت الباثولوجيا الكيماوية نطاق معارفنا وزادت وسائلنا وعرفت حقيقة المناعة على

نوع ما· والبحث الدقيق في بناء الاعضاء وصفات الدم الكيماوية وغيرهِ من سوائل الجسم دعت الى تنقيح كتبنا الفسيولوجية وتوسيع معارفنا الباثولوجية فاصلح تشخيص كثير من الامراض وعلاجها· ومنذ ثلاثين سنة ابان اورد لهذا المؤتمر امثلة من المرض الذي سماه Myxœdema اي الايزيميا المخاطية وقد اثبت غل بعد ذلك انهُ حالة بله في البالغين · وما عرف من امر الغدة الدرقية وعدم كفاءتها وما ينتج عنهُ من الاحوال المرضية انما عرف بالاستقراء العلمي فكان سبباً لدرس الافرازات الداخلية ولاستعمال الخلاصات الآلية التي آخرها واهمها خلاصة الغدة النخامية

وقد نتج من درس الاختلافات الصغيرة في طعام البالغين والصغار والاطفال في درجات الهيئة الاجتماعية المختلفة وفي بلدان مختلفة فوائد جمة من حيث لا ينتظر · ولم يزل البحث جارياً في مسألة اللبن ولقد عرفنا خطأ احكامنا السابقة وصار للنظافة في نقل اللبن من اول حلبهِ الى حين استعمالهِ معنًى اكثر مما كان لها قبلاً · واتضح ان المرض الغريب المعروف باسم بري بري الذي نظنهُ من قبيل الاسكربوط يحدث بين اكلة الارز من قشر الارز ونزع الغلاف الداخلي من بزورهِ · ونتج من التدقيق في درس افعال الالكحول المزمنة ان فُتح باب جديد لدرس الامراض العصبية · واهمل استعمال الالكحول في الامراض على طول زمان استعمالهِ وصار لمعالجة الامراض التدرنية بالهواء المطلق تأثير كبير في معالجة امراض أُخرى مزمنة وفي احوال الناس اليومية

ثم ان علاج التعفن الذي يحدث في اللثة من جراء آفة في الاسنان كان لهُ فائدة كبيرة لانهُ ادَّى الى معرفة اسباب عسر الهضم لآفة تقع في الامعاء . وما استفدناهُ في تشخيص الامراض بواسطة اشعة رنتجن بمثابة حاسَّة سادسة . وما في هذه الاشعة واشعة الراديوم من القوة الشفائية فتحا باباً جديداً في العلاج . وقد تجاسرت وقلت سابقاً ان علم الطب دعا الى ان تُعاد كتابة بعض الفصول في علم الفسيولوجيا واضيف الى ذلك الآن ان البحث في امراض القلب قد دعا الى تنقيح ما كتب عن بناء القلب وحركاتهِ المنتظمة وغير المنتظمة

فوز الجراحة

واذا اردت ان اتكلم على الفوز العظيم الذي فازتهُ الجراحة في هذا العصر لم اجدني قادراً على ايفاء الموضوع حقهُ فاكتفي بالاشارة الى المجال الواسع الذي فتح امام الجراحين بفضل الوقاية التي اشار بها لستر . وانا لنعجب من جسارة اخواننا الجراحين حينما يبلغنا انهم يفتحون الجمجمة ويفرغون جيوبها ويستخرجون الخراجات الدماغية وينزعون الاورام الدماغية

ويبحثون في الجسم النخامي ويزيلون التصاق البليورا بالتامور فيستريح القلب ويصلون الى اجزاء الامعاء ويزيلون الاحشاء المأوفة . وقد اوصلنا اتفاق الجراحين والاطباء الى ما سماه موينيهام وغيره بالباثوجيا الحية . ونحن نرحب بما جمعه الجراحون من الاعراض والعلامات والاحصاءات واضافوه الى خزانة المعارف الطبية فان فائدة ذلك واضحة في اننا صرنا ننقذ من الموت اكثر ممن كنا ننقذهم في الجيل الماضي وفي اننا تجاسرنا على دخول حرم القبر ومعهد الامراض العقيمة وان الخطر من العمليات الكبيرة قد تقلص ظله وكاد يزول تماماً

الصحة العمومية

ويتعذر علي ان اعدد الاساليب المختلفة التي اشترك فيها علم الطب مع معايش الناس وشرائعهم ومنافعهم وما اشبه مما يعبر عنه بالصحة العمومية . فالمدارس والتلامذة ومساكن الفقراء والمناجم والمعامل والصنائع المضرة بالصحة كلها استفادت من العلوم الطبية ولا تزال تستفيد . واجسر واقول انه لا تمضي سنون كثيرة حتى نرى كل اساليب الحياة وكل فروع الاعمال قد تقوت وتطهرت واستنارت بواسطة العلوم الطبية . لقد ابنت لكم في ما تقدم اننا ورثنا ميراثاً كبيراً وان هذا الميراث مثل سهل مرتفع من العلوم والمعارف وقد ملئت الثغور التي فيه ونحن لا نشتغل فيه الآن كآحاد مستقلين بل كلٌّ منا يشترك مع غيره في شغله ومواضيعنا متصلة ملتحمة وكل يوم تمتد الينا يد المساعدة من العلوم الاخرى ونرى ما يثبت لنا وحدة العلوم الطبية وشمولها

اخواني الذين اتونا من البلدان الاخرى نشكركم على معارفكم واختباراتكم التي جئتمونا بها الى هذا المؤتمر لكي نشترك كلنا في النفع العام واجسر واقول ان نتيجة اعمال المؤتمر في اسبوع اجتماعه المتضمنة في ٢٣ مجلداً ضخماً ستدهش العالم المتمدن بغزارتها ومنافعها واني ارحب بمجيئكم الى بلادنا العزيزة علينا الى هذا الوطن القديم للحرية . واتكلم بالنيابة عن الاطباء الذين من الجزائر البريطانية وعن اخوانهم الذين جاؤوا من سائر الممالك البريطانية فانهم كلهم يشاركونني في الترحيب القلبي بكم فليزد هذا المؤتمر كنوز المعارف المفيدة والوفاق والوئام بين الناس وليهدم كل ما يفصل الامم والبلدان بعضها عن بعض في سعيها وراء تقدم علم الطب ونفع الامم به

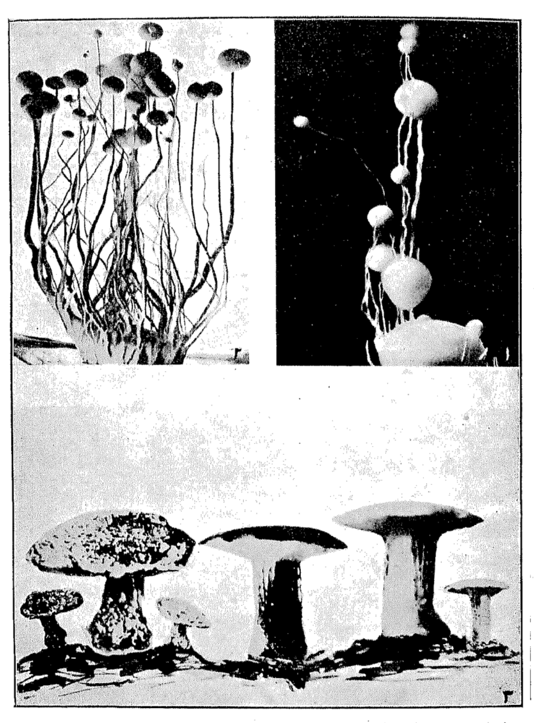
جوامد كالنبات

ان من ينظر الى الصور المقابلة لا يسعهُ الاَّ ان يحكم انها اشكال من النبات بعضها من نوع العفن المكبَّر وبعضها من نوع الفطر لانها تشبه النبات تماماً في شكلها . واذا رآها تنمو وتتفرَّع زاد اعتقادهُ انها من انواع النبات الحي لا انها مواد كيماوية اي جوامد لا حياة فيها . وقد اشرنا الى كيفية تولُّد هذه المواد في مقتطف يوليو سنة ١٩٠٩ حيث قلنا « ان الاستاذ لدوك الفرنسوي ادخل نقطة من مذوَّب السكر فيها شيءٌ قليل من فروسيانيد البوتاسيوم في مذوَّب كبريتات النحاس الخفيف فوجد ان نقطة مذوب السكر تتغطَّى بغلاف رقيق من فروسيانيد النحاس وهذا الغلاف يدخلهُ الماء ولكن لا يدخلهُ السكر فهو مثل الحويصلة النباتية من هذا القبيل فيجعل ينمو وينشأ منهُ فرع كبرعم النبات فيحيط بهِ غلاف من فروسيانيد النحاس يدخلهُ الماء وينميهِ فيطول ويتولَّد منهُ فرع آخر وهلم جرًّا . وهذه الفروع تمتص السوائل التي حولها وتنمو بها . والغالب ان الفرع الذي ينمو كذلك يتولد في اعلاه انتفاخ كروي او مخروطي »

وقد تمكن الاستاذ لدوك حديثاً من تقليد مواد نامية مثل هذه بوضعهِ نقطة من مذوب كلسي في محلول الكربونات او الفصفات او السلكات فالملح الكلسي ينتشر في المحلول ويكوّن كربوناتاً او فصفاتاً او سلكاتاً من الكلسيوم غير قابل الذوبان فيصير منهُ غلاف هلامي حول الملح الكلسي الذي بقي ذائباً ويخترق الماء هذا الغلاف بسهولة ويمددهُ وينميهِ كما تنمو الخلية النباتية بدخول الغذاء اليها والصور المقابلة منقولة عمَّا ولَّدهُ

والظاهر ممَّا تقدم وممَّا فعلهُ الاستاذ باستيان واشرنا اليهِ مراراً ان العلماء سيتمكنون يوماً ما من توليد اجسام تنمو وتتوالد مثل ادنى الاحياء ان لم يكونوا قد اتصلوا الى ذلك فعلاً كما تمكن الكيماويون من تركيب الاجسام الآلية كاليوريا وسيانيد الامونيا من اجسام غير آلية ولكنهم اذا فعلوا ذلك لا يكونون قد حلُّوا مسألة الحياة العليا اي مسألة النفس والوجدان

ثم ان تركيب الكون يدلُّ على انهُ محكم احكاماً مبنيًّا على تدبير عقلي فالعقل الذي ركَّب الكون على هذه الصورة اوجد فيهِ القوى التي تتباين بها انواعهُ المختلفة وقد يحتمل اننا نكتشف القوى التي تتكوَّن بها الاجسام الحية كما اكتشفنا القوى التي تتكوَّن بها الاجسام الكيماوية وقد يحتمل اننا لا نكتشفها ابداً ولكن ان اكتشفناها فيكون اكتشافنا لها بالقوة المودعة فينا من العقل الذي اوجدنا



مواد كيماوية تشبه الفطر منقولة صورها اصلاً من كتاب « بناء الحياة » للاستاذ لدوك

المقتطف مجلد ٤٣ صفحة ٢١٦

الدكتور كارل

تجديد الاعضاء وحفظ الانسجة وتطعيمها ونقلها

المحاضرة التي القاها الدكتور كارل في عيادة الاستاذ بوزي في مستشفى بروكا في باريس

تمهيد

الدكتور الكسيس كارل مدير معهد روكفلر في نيويورك هو محدث طريقة حفظ الانسجة الحيوية في آنية زجاجية مع حفظ حياتها على حالة البطء وادّخارها للاستعمال عند الاقتضاء فتنقل الى الجسم للتعويض بها عن عضو او عن قسم منهُ مريض فترجع اليها الحياة النشيطة برجوع الدورة الدموية الى اوعيتها التي تتفمّم مع اوعية الجسم

اصبح هذا العالم علَماً في العالمَين القديم والجديد وذكرتهُ مجلات اوربا واميركا وكان لهُ بعض النصيب في مجلاتنا الوطنية ولاسيما المقتطف الذي تكلم عليهِ اكثر من مرةٍ . القى محاضرة على جمهور كبير من نخبة الاطباء والعلماء والادباء والاعيان فكان لها وقع عظيم ونقلتها مجلة العالم الطبي فرأيت ان اترجمها واقدمها الى المقتطف خادم العلم ليطّلع عليها الجمهور الذي يتشوف الى الوقوف على اسرار الحياة . قال الخطيب

المحاضرة

ان التجارب التي ساشرحها لكم في هذه المحاضرة قد اجريت منذ خمس سنوات ويهمنا الآن ان نطلع على الفوائد التي حصلت منها

كانت الغاية من هذه التجارب ان نعوّض عن الاعضاء المريضة باخرى سليمة وللوصول الى ذلك وجب ان نبحث عن طريقة نتمكن بها من حفظ الدورة الدموية ثم نتدرج الى الطرق التي نتمكن بها من نقل الاعضاء بدون ان نتعرض للخطر . وقد وجدنا في اثناء هذه الابحاث مسائل كثيرة سانتكلم عليها الآن

المسألة الاولى هي وصل الاوعية وارجاع الدورة الدموية اليها بدون وقوع عوارض يخشى منها كتخثّر الدم (ترمبوز) والنزف الدموي . وقد وصلنا الى هذا الغرض ببساطة كلية بمراعاة المبادئ التي كنا نعرفها منذ مدة طويلة . نعرف ان الفازلين يمنع تخثّر الدم ونعرف ايضاً ان الوخزات الصغيرة في جدران الاوعية لا تضر بها فاذا روعيت هذه المبادئ

البسيطة امكن بدون شك وصل اطراف الاوعية الدموية بعضها ببعض بدون حصول نزف ولا جلط دموية ولا تضيق

لا اطيل الشرح عن الطرق العملية التي اجريناها في الحيوانات والتي اجريت بعدئذٍ في الانسان بنجاح باهر لان عندنا الآن كلاباً عملت فيها هذه العمليات منذ اربع سنوات او خمس ولا تزال الدورة الدموية فيها جارية مجراها الطبيعي . فهذه العمليات التي كانت تعتبر سابقاً غير ممكنة قد اجريت كثيراً في جراحة الانسان . وقد خاط الدكتور براون الشريان الاورطي بعد قطعهِ ونجح

بعد ان اصبح وصل الاوعية الدموية مستطاعاً توسعنا في ابحاثنا ونجحنا في عملية التعويض عنها في جامعة شيكاغو منذ سنة ١٩٠٥

فالاوعية الدموية تنقل الآن بسهولة من حيوان الى آخر وقد تمكنت في ذلك الوقت من قطع الاورطي البطني وعوضت عن القطع المفصولة بقطع من شريان آخر او من وريد . ثم قطعت الاورطي الصدري وعوضت عن القطعة المفصولة بقطعة من وعاء آخر ونجحت

كانت التجربة هي الغاية الاولى المقصودة من هذه العمليات فلما نجحت جرأتني الى اجرائها في معالجة الانفرسم (تمدد الشرايين) وقد ظهر لنا في ذلك الحين ايضاً امر كبير الفائدة وهو اننا اذا عوضنا عن قطعة من شريان بقطعة من وريد فالجدار الوريدي الدقيق يكتسب سماكة الجدار الشرياني وبعد بضعة اسابيع يتخذ هيئة الشريان ويدوم عليها

وظهر لنا ايضاً اننا اذا وضعنا اي نسيج كان على الشريان وكان ذلك النسيج سليماً اخذ بسبب الضغط الشرياني هيئة الشريان المطلوب التعويض عنهُ . فبعد هذا اصبح من الواجب للحصول على الفائدة العملية ان نوالي البحث في هذه المسئلة اي مسألة قطع الاوعية لنشاهد باعيننا كيف تتجدد وظيفة العضو

فمن هذا القبيل علمنا اننا نستطيع ان نصلح على نوع ما شرياناً بواسطة نسيج موصل وان نعوض عن شريان بوريد . ولهذا الاكتشاف اهمية كبرى لانهُ لا يتيسر دائماً الحصول على قطعة شريانية ننقلها الى الانسان اما الاوردة فمتيسرة لاننا نستطيع مثلاً ان نأخذ قطعة من الوريد الصافن وننقلها الى الشريان الفخذي فنرى بعد بضعة اسابيع ان الجدار الوريدي ثخن وشرع الوريد يعمل وظيفة الشريان

فالفوائد التي تحصل من نقل الاوعية قد تحققت نهائياً مهما كان نوع الوعاء المستعمل وسواء أُخذ من الشخص نفسهِ او من شخص آخر من جنسهِ او من شخص يختلف عنهُ في

الجنس لان التجدد يحصل عملياً باستعمال كل اصناف الاوعية . اما الاعضاء فيحصل فيها التجدد بعد نقلها كما يحصل بعد نقل الاوعية الاَّ ان للشخصية فيها اهمية كبرى فوجَّهنا اذ ذاك اهتمامنا لدرس مسألة تطعيم الاعضاء

المسألة هنا تختلف اختلافاً جوهرياً عن سابقتها اذ يجب ان ننظر فيها من الوجهة الجراحية والوجهة البيولوجية . اما من حيث الجراحة فيستطاع بسهولة نقل كلية او عضو كامل كالفخذ مثلاً . وقد حققنا ذلك منذ خمس سنوات او ست ويمكننا ان نحكم الآن بان عملية نقل الكلية او نقل الفخذ اصبحت مقررة تقريباً كعملية الزائدة الدودية . الاَّ ان ذلك لا يعني اننا نستطيع ادخال هذه العمليات في دائرة الاستعمال اليومي بل لا بدَّ من مواصلة البحث والمراقبة للوقوف على نتائجها بعد ثلاث سنوات

يستعمل لنقل الكلية طريقتان الاولى ان تنزع الكليتان وقطعة من الاورطي ومن الوريد الاجوف والحالبان وقسم من المثانة دفعة واحدة من حيوان وتنقل كلها الى التجويف البطني في حيوان ثانٍ يكون قد قطع اورطيهُ ووريدهُ الاجوف . ثم تخاط قطع الاورطي والوريد الاجوف بالاورطي والوريد الاجوف في الحيوان الثاني وقطعة المثانة بمثانتهِ فالافراز البولي ينتظم سريعاً وبعد وقت قصير وغالباً بعد الظهر يعود الحيوان الى عادتهِ فيمشي ويعوي ويأكل ويبول طبيعياً

والطريقة الثانية هي ان تنزع الكلية واوعيتها والحالب وتغسل جيداً بحيث لا يبقى دم داخل الاوعية يخشى من تخثرهِ بعد انتظام الدورة ثم تطلى الاوعية بالفازلين وتوضع جانباً ريثما تحضر اوعية الحيوان الثاني ثم توضع الكلية او الكليتان في التجويف البطني وتخاط الاوعية فتنتظم الدورة ويظهر على الحيوان انهُ يتمتع بصحة جيدة جدًّا

ان النتائج الحاصلة مباشرةً حسنة دائماً وتبقى متشابهة في الطريقتين مدة ثمانية ايام اي لافرق بين ان تعاد للحيوان كليتهُ او كليتاهُ او تنقل اليهِ كلية او كليتان من حيوان آخر فانهُ يبقى بصحة جيدة جدًّا يأكل ويمشي ويفرز بولهُ بكمية تقرب من الطبيعة ويكون خالياً من الزلال . فالنتيجة الحاصلة اذاً هي بحسب الظاهر حسنة جدًّا ولكن بعد مرور تلك المدة اي بعد اليوم السابع او الثاني عشر او الخامس عشر تختلف النتيجة باختلاف نوع النقل اي بحسب كون الكلية قد اعيدت الى الحيوان الذي اخذت منهُ او نقلت اليهِ من حيوان آخر من جنسهِ

ففي الحالة الاولى اي عندما تنزع كلية او كليتان من كلب ثم تعاد اليهِ احداهما او كلتاهما فبالرغم من صدمة العملية وغسل الكلية وقطع الاوعية والاعصاب يبقى الحيوان عائشاً

ويتمتع بصحة جيدة الى ما شاء الله . وقد امكننا ان نراقب حيوانات اكثر من سنتين ومنها كلبة ولدت بعد العملية اثني عشر جرواً وماتت بمرض لا علاقة لهُ بالعملية على الاطلاق وقد تحققت بالفحص التشريحي ان كليتها كانت في حالة صالحة جدًّا

فمسألة نقل عضو كالكلية قد حُلَّت من الوجهة الجراحية واما من الوجهة البيولوجية فلا لانهُ بعد نقل الكليتين من حيوان الى آخر يصير البول حالاً زلاليًّا وبعد ثلاثين يوماً يموت الحيوان بالتهاب كلوي منتشر . فالنقل اذاً على هذه الصورة يحدث عللاً مضرة بحياة الاعضاء . وقد شاهدنا الشرايين في هرّ نقلت اليهِ كليتا هرّ آخر قد دبّ فيها الحؤُول ومات الهرّ بعد ثلاثين يوماً بتكلُّس جهازهِ الشرياني . فيجب اذاً ان نبحث عن الاسباب التي تجعل جسماً ما نوعيًّا وان نفهم اهمية هذه النوعية بالنظر الى تغيرات الانسجة لنتمكن من معرفة القرابة بين الاشخاص ونستطيع الحكم بامكان تبادل الاعضاء . وقد جربنا الطرق المعروفة حاليًّا فيجب ان نفتش على طرق اخرى لان نقل الكلية قد يوصلنا الى نتائج اكثر اهمية من النتائج التي كنا نتأمل الحصول عليها قبلاً ولا اعلم الآن كيف وباية طريقة نتوصل الى حل هذه القضية

قال الاستاذ بوزي في التقرير الذي قدمهُ الى الجمعية الطبية اني استطعت ان احفظ الانسجة خارج الجسم حفظاً دائماً وانها تسير سيرها الحيوي وهي في آنية الزجاج (اي خارج الجسم) . فهذه الانسجة الحويصلية اذا عاشت عدة اشهر خارج الجسم نمت بسرعة مطردة في وسط معين وسرعة نموها تختلف باختلاف الوسط الذي توضع فيهِ

مثال ذلك اذا اخذنا نسيجاً سبق فنما خارج الجسم بنشاطٍ مدة اربعة اشهر وقسمناهُ الى قسمين وضعنا احدهما في مصل (بلاسما) دجاجة عمرها خمس سنوات ووضعنا الآخر في مصل فرخةٍ عمرها خمسة اشهر فنرى ان كمية النسيج الذي يتكون في ٤٨ ساعة تكون اكبر في مصل الفرخة التي عمرها خمسة اشهر مما هو في مصل الدجاجة التي عمرها خمس سنوات

وعليهِ قد يمكننا ان نتوصل الى تعيين العمر او الصفات الاخرى في حيوان من النظر الى كيفية عمل الانسجة بعد وضعها في مصل ذلك الحيوان . ونستطيع بهذه الواسطة ان نكشف الفروق التي بين الافراد . فاذا جعلنا المصل على انواعهِ يعمل في انواع الحويصلات فربما استطعنا الوصول الى اكتشاف بعض خصائصهِ التي لا تزال مجهولة

تكلم بوزي في الشتاء الماضي في الجمعية الطبية عن الطريقة التي تساعد على حفظ اجهزة الاعضاء حية وهي مستقلة عن الجسم الذي فصلت عنهُ . فهذه الطريقة التي توصلتُ اليها من

التجارب الاولى التي عملتها في الاوعية الدموية ومن التجارب التي اجريتها في جراحة الاوعية ساعدتنا على نزع الاعضاء دفعة واحدة من حيوان بدون ان تفقد حياتها

اما النتيجة الراهنة لهذه العمليات فلا يمكن عرضها الأ بعد بضع سنوات لانها لا تزال حتى الآن في دور الترقي واما من حيث الاستعمال فيمكننا فقط ان نذكر العمليات التجربية التي عملت منذ عدة سنين

واريد ان اطلعكم الآن على تطبيق هذه العمليات على نوعين سهلي الاستعمال وهما حقن الدم وتطعيم الجلد

في السنة الماضية وفي مثل هذا الوقت تيسر لي ان اخاطبكم في عيادة الاستاذ بوزي عن حقن الدم بحسب طريقة كربل وختمت المحاضرة بقولي ان حقن الدم نشأ في فرنسا وان مهارة الجراحين الفرنسويين مهلت عملياتنا في اميركا وجعلت عملية نقل الدم بسيطة جدًّا بحيث يمكن اجراؤُها في كل العالم وحصلت النتيجة المطلوبة باقل من سنة.

فهذا النجاح يوجب علينا ان لا نتأخر عن اعلان النتائج التي عرفت انتظاراً للنتائج النهائية التي نتأمل ان تأتي بها الابحاث في المستقبل بل ان نسرع باعلانها للجمهور ليتمكن العلماء والجراحون من ممارستها وزيادة التحسين فيها

في اثناء عمليات نقل الاوعية الدموية رأينا من الواجب ان نضع تحت طلب الجراحين الاشياء التي يمكن ان يحتاجوا اليها في عملياتهم لانهُ اذا طلب عضو او نسيج للتجارب الجراحية امكن اخذهُ من حيوان آخر واما في جراحة الانسان فهذا غير ممكن ولهذا يجب ان نجد وسيلةً لجمع مجموعة من الانسجة كالجلد والعظام والغضاريف حتى والقرنية . ومن هذا القبيل لم اخترع شيئاً لاني استعملت الطرق المعروفة منذ زمن طويل

اننا نعرف التطعيم الذي كان يجريهِ بول برت في الجرذان وطريقتهُ الرشيدة لحفظ بعض اقسام من الاعضاء بواسطة التبريد

اذا جعلنا الانسجة في حالة حياة بطيئة فاننا لا نكسبها قوةً على مقاومة الموت الى ما لا نهاية لهُ بل نبقيها عدة اسابيع في حالة حيوية صالحة للاستعمال . ففي سنة ١٩٠٦ ابتدأت ان اطبق امتحانات بول برت على القواعد الجراحية فقطعت الشريانين السباتيين من كلب ووضعتها في مكان مبرَّد على درجة ٣ الى ٤ وتوصلت بنقلها الى حيوانات اخرى الى نتائج حسنة جدًّا

وعملت بعدئذٍ امتحانات كثيرة في الجلد والقرنية والغدد . وسنة ١٩٠٧ و ١٩٠٨ عملت تجارب كثيرة توصلت بها الى معرفة الاوساط الاكثر موافقة لحفظ الانسجة على حالة

حياة بطيئة وهي مفصولة عن الجسم فوجدت من هذا القبيل ان القازلين الاصفر (الفازلين الابيض المستعمل هنا لا يوازيه) هو افضل عامل لحفظ الانسجة كالاوعية الدموية والجلد

ان تطبيق هذه العمليات على الانسان صار معروفاً وقد عملت عمليات كثيرة من هذا النوع واذكر منها بنوع خصوصي تطعيم الدكتور توفيه بالأنسجة المحفوظة في مبرّد وتعويض الدكتور ماجيتو عن القرنية المصابة بالكراتيت (تسمُّك القرنية) بقرنية محفوظة في مبرد الدكتور ماجيتو مدة عشرة ايام

وبعد هذه التجارب اهتممت ان اعرف كيف يمكن ان يحفظ الجلد في المبرّد لنستطيع بذلك ان نعطي منهُ للجراحين الذين يحتاجون اليهِ فبحثت في استخدام الاشياء التي تطرح من الموالد (مستشفيات التوليد) كالاسقاط الذين يكونون بحالة حسنة والاطفال الذين يموتون حال الولادة فوفي بحثي بالغاية المطلوبة

تؤخذ الجثة الطرية وتغسل بالايثير ثم ينزع الجلد كلهُ بالبستوري او بالموسى فيتحصل من ذلك على مطاعيم مختلفة السماكة توضع في انابيب واسعة وتوضع الانابيب في مبردات تكون درجة حرارتها دائماً ٣ . وفي الوقت نفسهِ تفحص المطاعيم بطريقة واسرمان للتحقق من عدم وجود آثار السيفلس في الام وتفحص ايضاً فحصاً بكتوريولوجياً

الجلد المحفوظ على هذا النسق يحفظ في حالة حسنة جدًّا لاني فحصت اقطاعهُ بعد اكثر من اربعين يوماً فشاهدت الدم في الاوعية الصغيرة لا يزال سائلاً واحمر

وفي الوقت نفسهِ درست كيفية مؤاساة القروح واتجه فكري الى المادة التي حضَّرها الدكتور بارثساندفورد ولست اعرف تركيبها وظننت مما علمت من فعلها انها افضل علاج ممكن لتطعيم الجلد فاخذنا نفتش على مادة يكون لها قوام تلك وتوصلنا الى تركيب مزيج من البارافين القابل الذوبان على درجات مختلفة من الحرارة ومن شمع العسل وزيت الخروع فوجدناهُ افضل ما استعمل الى الآن لهذه الغاية لاننا اذا بسطناهُ بفرشاة واسعة على الجروح لصق واثبت المطاعيم على الحبيبات ولصقهُ ليس شديداً فلا تمنع بهِ المفرزات من التسرُّب بين طبقتهِ وسطح الجلد . وبعد درسهِ وتحقق فائدتهِ اجرينا التطعيم بالجلد المحفوظ في المبرّد على ما يأتي

توضع المطاعيم على سطح الجرح كما يوضع ورق البوسطة على ظروف المكاتيب وتغطى بطبقة مركبة من الشمع والبارافين وكل يوم تنزع الطبقة وتبدل باخرى فيساعد ذلك على مراقبة سير المطعوم مراقبة تامة . وقد وجدنا ان هذه المطاعيم من الجلد المحفوظ يمكن استعمالها بعد

حفظها بستة اسابيع او سبعة على الاقل وهو وقت كاف لامكان ارسالها الى الجراحين وعليه نكون حققنا اجمالاً مسألة محفوظات الجلد

اقتصرت الآن على تقديم بعض الامثلة لأُبيّن لكم ان الاقدام على العمليات يتولد من التجارب الاولية كتجارب بول برت التي لم يكن لها في وقتها من الفائدة ما يتخطى دائرة المعمل

الغاية من هذه التجارب هي ترقية الجراحة وتقدمها فيتعين علينا ان لا نقف عند حد من البحث او العمل وكلما بدت لنا حقيقة يجب ان نتجاوزها لنكشف ما بعدها لاننا اذا توغلنا في البحث وتوسعنا في طرق العمل زادت معارفنا واصبحت كما اصبحت معارفنا السابقة قاعدة لمداواة الانسان . انتهى

تذييل

الدكتور كارل طبيب فرنساوي لا يتجاوز الخمس والثلاثين سنة من العمر دُعي لادارة معمل روكفلر في نيو يورك فقام بعمله افضل قيام وانقطع للبحث في المسائل التي وقفت عندها الافهام فكشف غوامضها وحل رموزها بسهولة و بساطة

يظهر من محاضرته وبساطة عبارته وسهولة تعبيره انهُ وديع ولين الجانب لا اثر فيه للادعاء او ميل للمظاهرة فهو يعتقد ان اكتشافاته العجيبة والمدهشة هي من البساطة بمكان وفي استطاعة كل انسان ان يأتي بمثلها

وهو من نوابغ الفرنسويين ومن افراد العصر المعدودين يشرع في البحث في مسألة فتعرض لهُ مسائل فيحلها الواحدة اثر الاخرى فترتبط ابحاثهُ بعضها ببعض وتظهر نتائجها متماسكة وآخذاً بعضها برقاب بعض

تدرّج من وصل الاوعية بالخياطة الى التعويض عن المريض منها بالسليم الى التعويض عن الشريان بالوريد الى نقل الدم الى نقل الاعضاء الى اذخار الانسجة وحفظ حياتها في آنية من الزجاج لاستعمالها عند الطلب . وفي كل ذلك من الاهمية ما يرفعهُ الى اعلى منزلة من منازل العلماء . فهو لا يقف عند حد الاكتشاف العلمي بل يستطرق الى استنباط الطرق لتطبيق العلم على العمل كما يتضح من الاطلاع على محاضرته وتتبع بياناته المتسلسلة . ومن امثلتها التعويض بالوريد عن الشريان ولولا ذلك لبقي الاكتشاف عقيماً لان الحصول على قطع شريانية سليمة يُعوَّض بها عن القطع المريضة غير متيسر واما الحصول على الاوردة فمتيسر فاصبح اكتشافهُ ذا اهمية مضاعفة من حيث العلم والعمل

وقد وجه الانظار الى مسألة مهمة لم يحلها بعد وهي باقية تحت البحث واعني بها نوعية

الفرد او نوعية المصل (البلاسما) التي تتوقف عليها نوعية الفرد فقد ابان جليًا في محاضرته ان العضو المنقول من فرد الى آخر من نوعهِ تلتئم حياتهُ في بادىءِ الامر بحياة ذلك الفرد ولكنهُ بعد مدة يفقد حيويتهُ ويكون سببًا لموت الفرد الذي نقل اليهِ. وهو ينسب ذلك الى نوعية المصل في كل فرد من افراد النوع ويظن ان كشف سر هذه النوعية يقود الى معرفة القرابة النوعية بين الافراد ومن ثم الى معرفة الفرد الذي يمكن ان تلتئم اعضاؤهُ مع حياة الفرد الذي تنقل اليهِ. وهذا من الغرابة والغموض بمكان بحيث يظهر لاول وهلة انهُ بعيد الحل او مستحيلهُ. الاَّ ان ما يعهد بكارل من الصبر والجلد والاستعداد والمثابرة على العمل يجعلنا نتأمل انهُ يحل هذه العقدة ويصل الى ابعد مما وصل اليهِ حتى الآن. وان الجراحة سوف ترتقي الى درجة سامية جدًّا لاسيما وان العلماء يجارونهُ في البحث ويعضدونهُ في العمل على نحو ما فعل توفيه وماجيتو

الدكتور
امين ابو خاطر

التجارة والحرب والمال

اولم محافظ لندن وليمة فاخرة للمستر لويد جورج ناظر المالية الانكليزية ولاصحاب البنوك والتجار في دار المحافظة (منشن هوس) في ١١ يوليو الماضي وكان عدد الحضور في الوليمة ٤٠٠ وشرب المحافظ نخب ناظر المالية راجيًا ان يبقى اليسر حليفًا للخزينة والصحة حليفة للناظر واشار الى فداحة الضرائب الجديدة ولكنهُ قال هب ان الضرائب بقيت على حالها ولم تخفف او هب انها زيدت عمَّا هي عليهِ فالامة مستعدة لحملها اذا كان الغرض منها بقاء البلاد في المقام الذي هي فيهِ من القوة والمنعة ولكن اذا وجد ناظر للمالية يستطيع ان يخفف الضرائب ويعدل في توزيعها ويبقي للبلاد قوتها ومنعتها استحق زيادة الشكر من الامَّة

فاجابهُ المستر لويد جورج بخطبة مسهبة قال فيها ما خلاصتهُ

اشكرك لانك شربت نخبي ويحق لناظر المالية ان يفتخر باجتماعهِ بتجار اعظم مدينة تجارية مالية في الدنيا واصحاب بنوكها ويسرنا اننا اذا شربنا نخب دوام اليسر للخزينة لا نشرب نخب شيءٍ وهمي بل شيءٍ حقيقي. ثم اشار الى ما قالهُ لورد غوشن في ذلك المكان لما كان ناظرًا للمالية سنة ١٨٨٧ واستطرد الى حال التجارة الانكليزية فقال

تجارة انكلترا

ان لورد غوشن لما اشار الى ثقته بنجاح التجارة الانكليزية بعد سني الضيق التي توالت حينئذٍ لم يخطر له انها تبلغ ما بلغتهُ الآن فقد كانت قيمة تجارة انكلترا كلها من صادر ووارد سنة ١٨٨٧ نحو ٥٦١ مليونًا من الجنيهات فبلغت في العام الماضي ١٢٣١ مليونًا. وكانت قيمة الشكات (التحاويل) التي تبودلت في دار تصفية حسابات بنوك لندن في تلك السنة ستمئة مليون جنيه فبلغت في العام الماضي ١٦٠٠ مليون . واذا ظلت الاحوال في النصف الثاني من هذا العام سائرة على نحو ما كانت سائرة عليهِ في النصف الاول منهُ بلغت قيمة هذه الشكات في آخر العام ١٧٠٠ مليون من الجنيهات ومفاد ذلك ان الاشغال المالية صارت ثلاثة اضعاف ما كانت عليهِ حين قام اللورد غوشن في هذا المكان واجاب على كلام المحافظ الذي طلب دوام اليسر للخزينة . ومما يسرُّ ذكرهُ ان هذا النجاح العظيم ليس فيهِ طفرة يطول ظلها ثم يتقلص سريعًا بل هو وطيد الاركان حليف للنمو والارتقاء . ولا اقول ان دخل الحكومة من الضرائب هو دائمًا الدليل الاقوى على الحالة المالية ولكنهُ من جملة الادلة عليها . ومنذ تكلم لورد غوشن الى الآن زادت الارباح التي اطلع عليها جابو الضرائب ٧٥ في المئة . فثروتنا زادت زيادة حقيقية وكذلك ثروة المسكونة كلها التي نصيبنا منها يكاد يكون النصيب الاوفر

الاسواق الجديدة

وقد حدث ذلك لانهُ فتحت اسواق جديدة في العالم بمساعي اصحاب الاموال الذين مقر اعمالهم في الدائرة التي لا يزيد مسطحها عن ميل مربع حول هذه الدار وقد عملت هذه البقعة الصغيرة على ترقية تلك الاسواق وتقدمها اكثر من كل مكان آخر في العالم. فلا غرو اذا دعا ذلك اهل لندن الى المباهاة والافتخار بانهم زادوا موارد الثروة في العالم . فقد كان في تلك الاسواق الكبيرة — في الولايات المتحدة والبرازيل والجمهورية الفضية وكندا والهند واستراليا — ما طولهُ ١٧٥ الف ميل من سكك الحديد في سنة ١٨٨٧ فصار طول هذه السكك الآن بفضل الاموال الانكليزية ومساعي ماليي لندن ٤٠٠ الف ميل . واصبحت مئات الملايين من الافدنة التي كانت قفاراً في تلك البلدان تدر الخيرات والبركات . واتسع نطاق التعدين اتساعًا عظيمًا جدًّا فبعد ما كانت قيمة المستخرج من الذهب في سنة ١٨٨٧ نحو ٢١ مليونًا ونصف مليون جنيه صارت الآن نحو مئة مليون جنيه ومدَّ العلم والاختراع يديهما لا ليخلقا ثروة جديدة بل ليكشفا كنوز العالم التي تصل اليها يد الانسان . ولذلك

زادت الثروة العمومية زيادة عظيمة اكيدة بسعي هذه المدينة العظيمة ولان لهذه البلاد نصيباً وافراً منها. و يسرني انهُ أُتيح لي ان أُقابل بين ما كانت عليهِ احوالنا المالية لما تكلم لورد غوشن في هذا المكان وما هي عليهِ الآن

الاموال المضمونة والتجارة والحرب

وقد قلتم ان التجارة راجت هذا العام رواجاً لم يسبق لهُ مثيل فاشتد الطلب على المال فاحدث ذلك اضطراباً في الاسواق المالية أدى الى ضيق شديد. والعامل الاكبر في الازمة المالية التي انتابت العالم هذا الاوان ناتج عن كثرة المقطوعية وزيادة الطلب على المنسوجات والمصنوعات والمواد غير المشغولة. وليس في العالم الآن نول او مصنع او ورشة الأ ودولاب الاعمال دائر فيها على اعظم ما يكون. والمال للتجارة والصناعة كالوقود للآلة البخارية فكما ان الآلة البخارية لا تعمل عملها بلا وقود كذلك التجارة والصناعة لا تقوم لها قائمة بلا مال

نعم ان التجارة استنزفت جانباً كبيراً من الاموال التي في اسواق العالم ولولم تستنزفها كلها. ولكن هنالك عاملاً آخر زاد الضيق المالي الذي سببهُ رواج التجارة شدةً وهو حرب البلقان. ولم تكن هذه الحرب السبب الحقيقي في تحرُّج الحالة المالية بل ملابساتها وما كان يخشى ان ينجم عنها من الاخطار

انتهت الحرب البلقانية الاولى وانقضت اهوالها و بينما محبو التقدم والفلاح يعللون النفس بان ممالك البلقان تنهج خطة الحكمة والسداد فتعمد الى اصلاح البلاد التي افقرتها الحرب وتعمل على تعميرها اذا بهن قد اخذن بعضهن بخناق بعض ودارت بينهن رحى حرب ضروس طاحنة

الدول والحرب

واسهب في الكلام عن الحرب البلقانية فقسمها الى قسمين الحرب الاولى التي نشبت بين الدولة العلية والتحالف البلقاني. والحرب الدائرة الآن بين الحلفاء انفسهم وقال عنهما ما خلاصتهُ :

خلصت اوربا من الحرب الاولى ونجت من عواقبها الوخيمة بتآزر الدول العظمى واشتراكها في العمل. وقد كان لحكومة جلالة الملك ولاسيما لصديقي وزميلي السر ادورد جراي فضل كبير في الوصول الى تلك النتيجة الحسنة

واذا كانت الدول قد تمكنت باتفاقها من تذليل الصعاب التي اعترضتها في الحرب الاولى ونجت من عواقبها بما بذلتهُ من المساعي المشتركة فلا ارى مانعاً يمنعها الآن من تذليل

صعاب الحرب الحاضرة بفضل ذلك الاتفاق والاشتراك وببذل المساعي الحميدة التي تعود بالفائدة والخير على المتحاربين انفسهم وبالسلام على العالم اجمع . وما دامت ممالك البلقان لا تعمل عملاً يمس قرارات الدول بسوءٍ — كقرارها بشأن البانيا — فلا يحتمل ان تضطر دولة من هذه الدول الى الانفراد بعمل يؤدي الى وقوع الخلاف بين سائر الدول

والامل وطيد بان الدول التي شرعت ان تعمل معاً على احسن منوال والتي ترغب اشد رغبة في الاحتفاظ بالسلم ومنع اتساع نطاق الحرب تتمكن من اقرار الامن في بلدان البلقان التعيسة وتوطيد السلم فيها على وطائد ثابتة لا تتزعزع ولا تزول . ومتى تم ذلك زال اكبر سبب لاضطراب الاسواق المالية في العالم

الضرائب والتسلح

وهناك سبب ثالث للازمة المالية الحالية وهو زيادة الضرائب زيادة كبيرة من اجل التسلح فالدول صارفة همها الآن الى الاستزادة من معدات الحرب وآلات الهلاك والدمار ومندفعة الى ذلك بعامل المنافسة والمناظرة اندفاعاً هو اقرب الى الجنون منهُ الى التعقل كما قلتم . وقد اثر ذلك في الاسواق المالية تأثيراً سيئاً فزاد حلقات الضيق فيها استحكاماً

وقررت بعض دول اوربا منذ بضعة اشهر ان تزيد جيوشها زيادة تستغرق اموالاً طائلة ونفقات باهظة وجاءت قرارتها في حين اخذ فيهِ الضيق المالي يشتد فزادت الطين بلة والغمة شدة

ولا مشاحة في ان كل واحد منا يود تقليل الضرائب ويرغب في تخفيفها من صميم فؤادهِ ولكن اذا لم نوفق الى ايجاد وسيلة تحول دون الاستزادة من التسلح في جميع البلدان معاً لا في بلاد واحدة فليس ثم سبيل الى تقليل الضرائب او تخفيفها فلا يخطرن ببالكم والحالة هذه ان يأتيكم ناظر مالية يخفف عنكم عبء الضرائب

ولقد زادت نفقات التسلح في العالم من سنة ١٨٨٧ الى الآن نحو اربعمائة مليون من الجنيهات في السنة وكنت اراجع نفقات اساطيل الدول قبل حضوري الى هذه المأدبة فرأيت ان نفقات عمارة انكلترا قد زادت وحدها عشرة ملايين على مجموع ما كنا ننفقهُ نحن والدول كلها على الاساطيل في سنة ١٨٨٧

وعبثاً نحاول ان نلقي تبعة هذه الحال المحزنة على عاتق دولة دون اخرى او نلوم الدول كلها عليها . ولا يجدينا البحث عن الدولة التي كانت سبباً في ذلك ولكن يخلق بنا ان نبحث عن الوسيلة التي توقف هذه الحال عند حد فلا تتعداهُ الى ما هو اعظم منهُ

هب ان دولة بدأَت هذا العمل المشكور فتوقفت عن الاستزادة من التسلح واقترحت على سائر الدول ان تحذو حذوها فلا يبعد ان تجيبها الدول « انت وشأنك اما نحن فلا نوافق على ذلك على الاطلاق لانهُ خطر علينا » فتقول تلك الدولة « ما دام الامر كذلك فلا بد لي من زيادة الانفاق على التأهب والاستعداد والاستزادة من التسلح » وهكذا تشتد المنافسة بين دولة واخرى وبين الفريق الواحد من الدول والفريق الآخر وتكون النهاية شرًّا من البداية

واني بكوني ناظر المالية لا أَكون قائمًا بحق وظيفتي اذا لم اخبركم انتم ماليي هذه البلاد ان هذه المنافسة تزيد بين الدول شدة من يوم الى يوم ومن عام الى آخر وان مئات الملايين من الجنيهات تنفق في هذا السبيل الجهنمي

ويجدر بي في هذا المقام ان اقول ان مصالح اوربا المالية حالت دون نشوب حرب كبيرة منذ عامين وان لا شيء آخر في العالم غير هذه المصالح (المصالح المالية) يستطيع ان يحول دون التمادي في الاستزادة من المعدات الجهنمية تماديًا فظيعًا . ومتى شعر ارباب المال في اوربا ان هذا التمادي يهدد مصالحهم اهتموا بتلافي الامر كما فعلوا منذ عامين فمنعوا حربًا هائلة . متى فعلوا ذلك نالوا بغيتهم وهي توطيد دعائم السلم في العالم

ارتباط العالم من الوجهة المالية

وليس في الوجود شيء يربط بلدان العالم بعضها ببعض مثل الامور المالية . فاذا نزلت نكبة في بلاد تأثرت لها مالية البلاد المجاورة وهكذا على التوالي الى ان يعم التأثير سائر بلدان العالم كما يتأثر وجه الماء اذا سقط فيهِ حجر . واقرب شاهد على صحة هذا القول هو الحرب الحاضرة في البلقان فقد امتد تأثيرها الى البلدان المجاورة لها أولاً ثم الى سائر البلدان فاحدث اضطرابًا في أسواقها المالية وأفلست من جرائهِ بنوك عديدة في بلدان اوربا حتى في الولايات المتحدة النائية . اما كون الشؤون المالية هي دولية اذا تأثرت منها دولة تأثرت لها سائر الدول ففيهِ فائدة كبيرة للعالم لانهُ يربط اجزاءهُ بعضها ببعض ربطًا محكمًا فلا يعود في استطاعة بلاد ان تنفرد عن غيرها

علت أَصوات الماليين العقلاء هذه الايام بالنصيحة لزملائهم بان يتروَّوا في الامور ويقدروا لارجلهم مواضعها قبل ان يقدموا على أمر منها ولكن اصواتهم لم تتعدَّ النصيحة الى الانذار والارهاب . وقد استطلعت في الايام الاخيرة آراء كثيرين من الذين لهم علاقة بالصناعة والتجارة وسائر الاعمال في الحالة الحاضرة فايدوا ما سبقت فذكرتهُ آنفًا واخبروني

ان لا دافع يدفع الى الخوف وانهُ اذا انتابت العالم ازمة مالية فتوقُّع الناس لها يخفف شدتها كثيراً ويجردها من الغوائل العديدة التي تجرها باذيالها

والسبب الحقيقي في الضيق المالي الذي يشكو العالم منهُ الآن راجع الى القلق والاضطراب اللذين استحوذا على الاسواق في الاسابيع بل الشهور الماضية فاضطرا ارباب المال الى اعمال الروية والحذر فسحبوا اموالهم وقبضوا ايديهم استعداداً لما قد يطرأ عليهم من الطوارىء . ومثلهم في ذلك مثل من يحمل نفسهُ فوق طاقتها فينذرهُ طبيبهُ بان يربأ بنفسهِ لئلا تنفد موارد قوتهِ فاذا اعتبر بهذا الانذار واحتفظ بهذهِ الموارد من النفاد نجا وسلم . وهذا ما يفعلهُ الماليون الآن في اميركا والمانيا وروسيا وفرنسا فانهم يجمعون شعثهم ويأخذون أُهبتهم للخطر الداهم الذي انذرهم بهِ اطباء المال منذ اسابيع بل منذ اشهر وهو امارة حسنة تبشر بحسن المآل

غرائب الافلاك

قلَّ من لا ينظر الى قبة السماء في فصل الصيف ويراقب نجومها ويودُّ ان يعرف ما حققهُ العلماء من امرها ولا سيما في السنين الاخيرة

شرع الناس في رصد الافلاك منذ الوف من السنين لغايات مختلفة ووصلوا في سالف عهدهم الى امور يعسر على اكثر ابناء هذا العصر الوصول اليها من تلقاء انفسهم . فقد ذكرنا في الجزء الماضي في باب الاخبار العلمية ان ارسترخس الفيلسوف اليوناني الذي نشأ منذ الفين ومئتي سنة وجد بالقياس ان نسبة بعد الشمس عن الارض الى بعد القمر عنها كنسبة ١٩ الى ١ . ونحن نعلم الآن ان الشمس ابعد من ذلك كثيراً ولكن القاعدة التي بنى عليها ارسترخس حسابهُ صحيحة ولو استطاع ان يعرف الدقيقة التي يبلغ فيها القمر التربيع ويقيس الزوايا بالضبط لعرف نسبة بعد الشمس الى بعد القمر من غير خطإٍ . وطريقتهُ على بساطتها لدى علماء الفلك قلما يدركها احد من عامة الناس بل من خاصتهم ايضاً

وتقلبت على علم الفلك ادوار كما تقلبت على كل العلوم الرياضية والطبيعية فكان يرتقي تارةً الى الاوج ويهبط اخرى الى الحضيض الى ان كانت سنة ١٦٠٦ حينما صنع غليليو الايطالي نظارة صغيرة واستعان بها على رصد الكواكب ثم اتقنها وكبرها حتى كشف بها اقمار المشتري . ولكن كان لتكبيرها واتقانها حدٌّ لا تتجاوزهُ ولو قُصر الامر عليها لما تقدم علم

الفلك تقدمهُ العظيم. لكن لم تمضِ سنون كثيرة حتى صُنعت النظارات الفلكية من البلورات المحدبة فقط ثم من البلورات المحدبة والمرايا المقعرة فامكن تكبيرها جدًّا وصنع هرشل نظارتهُ التي طول انبوبها ار بعون قدماً ورأى بها نجوماً لا يصل النور منها الينا الاَّ في الوف وملايين من السنين لبعدها الشاسع عنا مع ان النور يسير نحو مئتي الف ميل في الثانية من الزمان وكل نجم منها اكبر من ارضنا ومن شمسنا مراراً كثيرة

ورب قائل يقول كيف استطاع الفلكيون ان يقيسوا ابعاد هذهِ النجوم واجرامها وهي على هذا البعد الشاسع . والجواب انهم قاسوها على نفس المبدإِ الذي نقيس بهِ بعد جبل وطولهُ وارتفاعهُ من غير ان نصل اليهِ . وقد فعلوا ما هو اغرب من ذلك جدًّا وهو انهم قاسوا ايضاً سرعة حركتها وعرفوا العناصر التي تتألف منها كأنهم حللوها تحليلاً كيماويًّا . واخترعوا آلات تريهم كل ذلك بالدقة التي ما وراءها دقة كما سيجيء

وقد ظهر من بحثهم ان النجوم التي نراها بالعين اكثرها شموس كبيرة جدًّا وهي مختلفة لونًا واشراقًا وبعضها مؤَلف من نجمين او اكثر ولو رأيناهُ بالعين نجماً واحداً وقليل منها جامد واكثرها غازي او مؤَلف من دقائق صغيرة منتشرة بعيد بعضها عن بعض . وفي هذا الكون الواسع شموس كثيرة مظلمة غير الشموس المنيرة ومواد وقوى منتشرة فيهِ تربط اجزاءهُ بعضها ببعض

في صورة فرساوس نجم سماهُ العرب بالغول كأنهم رأوهُ يتغير حتى يصدق عليـهِ قول عنترة العبسي حيث قال

والغول بين يديَّ يظهر تارةً ويكاد يخفى مثل ضوء المشعل

لانهُ يظهر احيانًا مشرقًا متألقًا ثم يضؤُل نورهُ حتى يكاد يختفي . وقد علم الآن سبب ذلك وهو ان لهذا النجم تابعاً مظلماً يدور حولهُ كما يدور القمر حول الارض فيحجب بعض نورهِ عنا من وقت الى آخر

ونجم القطب مؤَلف من نجم قليل الاشراق وثلاثة نجوم كثيرة الاشراق . والنجم المسمَّى بالعيوق لهُ تابع و يدور كلٌّ منها حول الآخر مرة كل مئة يوم . والشعرى العبور لها تابع يماثلها مرتين و يدوران مرة كل خمسين سنة . ولقلب العقرب تابع اخضر اللون ورجل الجبار شمسان احداها بيضاء والاخرى زرقاء .

و يعلم الآن ان النجوم المزدوجة او المؤَلفة من اكثر من نجمين لا يقل عددها عن ١٤٠٠٠ نجم والمرجح ان ثلث نجوم السماء مزدوج . وهذهِ النجوم المزدوجة او المؤلفة من

اكثر من نجمين عوالم مثل عالمنا الشمسي ولكنها تخالف عالمنا في ان نجوم كل عالم منها متقاربة حجماً واكثرها تبايناً يزيد اكبره على اصغره اربعة اضعاف اما شمسنا فانها اكبر من اكبر سياراتها المشتري ١٠٤٧ مرة واكبر من سياراتها كلها واقمارها ٧٤٦ مرة

وقد غلب على الظن ان كل نجم من النجوم شمس مثل شمسنا تدور حولها سيارات مثل سياراتنا . اما كونها شموساً مثل شمسنا واكبر جدًّا فلا خلاف فيه واما كونها ذات سيارات تدور حولها فلا دليل عليه حتى الآن بل الادلة تنافيه كأن شمسنا ممتازة على كل الشموس بتوابعها . ومن هذا القبيل ارضنا فانها ممتازة بكبر قمرها على كل السيارات لان جرمه ثمن جرم الارض واقمار السيارات صغيرة جدًّا بالنسبة اليها . وتمتاز الارض ايضاً في انها السيار الوحيد الذي يصلح لسكن الانسان . افليس في امتيازها من هذا القبيل وفي كبر قمرها واتصالها بشمس تدفئها دليل على انها وجدت عن قصد لتكون داراً للاحياء

كتبنا منذ بضع عشرة سنة مقالة موضوعها عين العلماء وكواكب السماء ابنا فيها استخدام رجال الرصد لآلة التصوير الشمسي في رصد الاجرام السموية فانهم قلما يجلسون الآن امام نظاراتهم يرقبون بها وجه السماء بل يوجهون اليه النظارات المتصلة بآلات التصوير وهي تصور ما يرى بالنظارات تصويراً تعجز العين عنه وتدور النظارة مع الجرم السموي المسددة اليه وتدور آلة التصوير معها ساعة بعد ساعة الى ان تظهر صورة الجرم في لوح التصوير مهما كان الجرم بعيداً ونوره ضئيلاً

وقد ابنا غير مرة ان عند العلماء آلة أخرى اسمها السبكترسكوب يحللون بها نور الجسم المنير او المشتعل او الموضوع في اللهيب فيرون فيه خطوطاً تدل على مادة الجسم فان كان نحاساً ظهر له خط اخضر وان كان زنكاً ظهر له خط ازرق وخط اخضر ولكل عنصر خطوط خاصَّة به يمتاز بها عن غيره . وزد على ذلك ان السبكتروسكوب يدل على قوام الجسم هل هو جامد او غاز وهل هو عارٍ او تحيط به قشرة غازية . والصور التي تظهر فيه ترتسم بآلة التصوير كما ترسم صور الاجرام السموية

وهناك شيء آخر وهو ان النور الآتي من الاجرام السموية يدلُّ على حركتها هل هي مقبلة او مدبرة وكم هي سرعتها كما ان صوت صفارة القطار يدل على كونه آخذاً في الاقتراب او في الابتعاد وعلى السرعة التي هو سائر فيها ومن ثمَّ على بعده عنا وعن غيره من النجوم

والرصد بالسبكتروسكوب ليس بالامر السهل لان لبعض العناصر خطوطاً كثيرة

تعد بالالوف كالحديد فتمييزها بعضها من بعض ليس ميسوراً دائماً ولاسيما اذا اختلطت ولكن دلالة هذه الخطوط لا شبهة فيها

وقد اتضح من السبكتروسكوب ان الشعرى تبتعد عنا بسرعة ٢٦ ميلاً في الثانية وبعد يوم ونصف تقترب منا بسرعة ٢٦ ميلاً في الثانية وهي على ملايين من الاميال منا . واتضح منهُ ايضاً ان الحلقة القربى من حلقات زحل اسرع دوراناً حولهُ من الحلقة البعدى على ضد ما يقتضيهِ الراي السديمي حسب قول لابلاس

وقد صوّروا بالعين الفلكية خمسين مليوناً من النجوم وهي مقسومة الى مجاميع مختلفة تندرج تحت فريقين كبيرين يدل السبكتروسكوب على انهما جاريان في جهتين متقابلتين وان شمسنا وسياراتها سائرة ١٣ ميلاً في الثانية من الزمان في جهة السماك الرامح والسماك نفسهُ سائر نحونا لملاقاتنا . ومن النجوم السائرة معنا المراق والدب من بنات نعش الكبرى (وبعض نجوم الدب الاكبر مبعدة عنا) والشعرى العبور واشرق نجوم الاكليل الشمالي ونجم من نجوم الاسد ونجم من صورة النهر ونجم من صورة ممسك الاعنَّة والغول والسماك الرامح والنسر الواقع

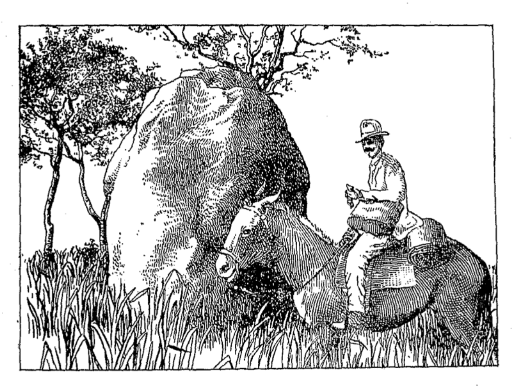
وهذا الاكتشاف اعظم الاكتشافات العصرية في علم الفلك لان بهِ تفسَّر امور كثيرة ممَّا تعذر تفسيرهُ قبلاً كما سيجيء . وقد قال بهِ اولاً الاستاذ كابتين سنة ١٩٠٤ واستصوبهُ كثيرون من علماء الفلك مثل سي وبكرتن وادنجتن وبلر وقد اشرنا اليهِ في مقتطف فبراير سنة ١٩١١ في مقالة موضوعها النجوم الجديدة وتعليلها نقلاً عن الاستاذ بكرتن حيث قلنا

«ولا يخفى ان النجوم منتشرة في الفضاء على ابعاد شاسعة فيندر جدًّا ان يلتقي نجم بآخر منها ولكن يظهر من اكتشاف كابتين ان اكثرها سائر في جهتين متقابلتين فاذا دنت شمس من أُخرى في سيرها المتقابل جذبت احداها الاخرى فتتقاربان وتتصادمان ولولا التجاذب بين الشموس لسارت كلها في خطوط مستقيمة وهذا مخالف للواقع

وعدد الشموس نحو الف مليون ولذلك لا يستحيل ان يقع شيءٌ من الاصطدام بينها مهما كانت ابعادها شاسعة بعضها عن بعض واذا تجاذبت شمسان وتقاربتا زادت سرعتهما فبلغت اربع مئة ميل في الثانية من الزمان على قول ارهنيوس فاذا كان الامر كذلك فالشمسان تتقابلان وتفترقان في اقل من ساعة . فيالها من سرعة ويالها من حرارة تتكون من هذا الاصطدام فينفصل جانب من الشمسين حيث تمر احداهما بجانب الاخرى ويصير شمساً ثالثةً او نجماً ثالثاً ويشتعل من شدة الحرارة المتولدة فيهِ كما يشتعل الشرر من ضرب الصوان بالصوان»



تلة نمل من النوع المسمى فورميكاده منديوكا في ولاية باهيا ببرازيل
عن صورة فوتوغرافية صورت سنة ١٩٠٧



تلة نمل ابيض من برازيل عن صورة فوتوغرافية صورت سنة ١٩٠٩

منافع النمل ومضاره

تمهيد

لم يكد فراش دود القطن يبيض على ورق القطن في شهر يونيو الماضي في زراعة لنا قرب بنها حتى وافاه نوع من النمل الاحمر وسطا على البيض وامتصَّ ما فيهِ وتركهُ خاوياً. وقد بلغنا انهُ حدث عند غيرنا ما حدث عندنا فكان لهذا النمل اليد الطول في نجاة القطن من آفة الدود

وقد ذكرنا غير مرة ان الباحثين عن مصادر النيل الازرق في بلاد الحبشة وجدوا الارض هناك مغطاة بقرى النمل وهي تلال مخروطية الشكل من التراب المستخرج من جوف الارض تقع عليها الامطار فتحللها وتجرفها الى مسايل النيل فتجري مع مياه الفضيان الى ربوع مصر حاملة الغضار والنضار

هذا النمل يجلب الخصب الى ارض مصر وذاك يقي اثمن مزروعاتها من التلف. ولا نتذكر اننا رأينا في هذا القطر نملاً يخشى اهل الزراعة شرَّهُ او يضيق الناس بهِ ذرعاً الاَّ في المساكن حيث يكثر ولا يترك طعاماً الاَّ ويشارك اصحابهُ فيهِ

وليس النمل كذلك في كل البلدان ولاسيما الحارَّة منها بل قد يكون منهُ نفع وقد يكون منهُ ضرر والغالب انهُ ينفع من جهة ويضرُّ من اخرى. وقد اطَّلعنا الآن على مقالة في افعال النمل الجيولوجية القائمة بما يحفرهُ في الارض من القرى وما يقيمهُ عليها من التلال وما يعرضهُ من اتربتها وصخورها لفعل الحوامض والرياح والامطار تلاها العالم برنر في الجمعية الجيولوجية الاميركية وضمنها كثيراً من الاخبار والنوادر التي وقعت لهُ او لغيرهِ من الباحثين في طبائع النمل وجعل مدار الكلام فيها على نمل بلاد برازيل وما اليها قال ما خلاصتهُ :—

ان النمل كثير في اميركا الجنوبية ولاسيما في بلاد برازيل حتى قال بيزو العالم الطبيعي منذ سنة ١٦٤٨ ان البرتغاليين لقبوهُ بملك البلاد. وقال طبيعي آخر ان برازيل كلها قرية كبيرة من قرى النمل. وقال آخر ان النمل اكبر ضربة من ضربات اميركا الاستوائية. وقال احد السياح عن ريو العليا وبراغواي ان ارضها ملك للنمل. وقال غيرهُ ان وادي نهر الامازون ملك للنمل لا للانسان الاحمر ولا الابيض

وهذه الاقوال لا تخلو من المبالغة ولكنها لا تخلو ايضاً من الدلالة على كثرة النمل في تلك البلاد وعلى انهُ شديد الوطأة فيها والعلماء الباحثون في طبائع الحيوان لم يخالفوهم في ذلك

فقد قال الدكتور اغسطس فورل[1] ان انواع النمل المعروفة في الدنيا كلها ٢٠٠٠ نوع وقد وصف في برازيل وحدها ٤٤٠ نوعًا منها . وكثرة الانواع لا تقابل بكثرة افراد النوع الواحد فان النمل قد يكثر في برازيل ولو من نوع واحد حتى يملأ السهل والوعر . ذكر العالم بايتس انهُ رأى النمل الناري على ضفة الامازون وكان قد طار ووقع في الماء وقذفتهُ الامواج والرياح فاجتمع على الشاطيء سطراً واحداً عرضهُ عقدتان وعلوهُ عقدتان وطولهُ اميال . وقيل لهُ ان ذلك يحدث كل سنة وان طول خطهِ قد يبلغ خمسة عشر ميلاً . وقال في مكان آخر انهُ رأى هذا النمل يغطي الارض حتى لم يرَ منها مساحة اصبع خالية منهُ . وقدَّر احد علماء الاسبان ان عدد نمل القرية الواحدة يختلف من ١٧٥٠٠٠ الى ٦٠٠٠٠٠ نملة

ضرر النمل

اكثر ضرر النمل في برازيل زراعي فاذا انتاب مزرعة فقد يضطر اصحابها ان يتركوها لهُ . ويكثر نوع منهُ اسمهُ سوباس في مزارع البن حتى يضطر اصحابها ان يكافحوهُ مكافحة مستمرَّة . ولا يقتصر ضررهُ على مزارع البن بل هو يسطو على جنائن الليمون والبرتقال ويقطع اوراقها ويفعل مثل ذلك بكل الخضر والبقول وقلما ينجو نبات من شرهِ . وتراهُ يسير في طرق يختطها ويطرقها حتى تصير كمسالك القطعان في المراعي . ويقال ان نفقات مكافحتهِ من النفقات الكبيرة التي يحسب حسابها زارعو البن في تلك البلاد . وقد قال العالم بايتس ان هذا النمل يكثر في بعض البلاد الزراعية حتى يضطر اهاليها ان يبطلوا زرعها ويهجروها

وسمي هذا النمل بالنمل الناري *Formiga de fogo* لان لسعهُ يحرق كالنار واذا كان كثيراً فلا قبل للانسان بهِ ولا بدَّ لهُ من الهرب من وجههِ . وهو يسطو على الحيوانات كلها كما يسطو على الانسان والنبات . ذكر بايتس ان قرية اقفرت من سكانها بسببهِ ولم يعودوا اليها الاَّ بعد ما قلَّ فيها . دخلها اولاً وجعل يحفر تحت بيوتها حتى خدد الارض كلها وملأ البيوت واغتصب كل ما رآهُ فيها من الطعام واتلف ثياب السكان . ولما قلَّ منها وعادوا اليها جعلوا يضعون اطعمتهم في سلال ويعلقونها بحبال يدهنونها ببلسم الكوبيبا وهو المادة الوحيدة التي لا يقربها هذا النمل . وهو يسطو على الانسان لمجرد العداء لا لسبب آخر واذا وقفتَ في الشارع بضع دقائق ولو بعيداً عن قرية من قراهُ هجم عليك واوسعك لسعاً . يعلق بالجلد بفكيهِ ويلسع بكل قوتهِ وكنا اذا اردنا الجلوس ندهن قوائم الكراسي بالبلسم ونضع اقدامنا على كرسي آخر دُهنت قوائمهُ بالبلسم حتى لا يصل النمل الينا

(١) Forel وهو من اكبر الثقات في معرفة طبائع النمل

نفعهُ

من النمل ما هو نافع كما ان منهُ ما هو ضار . والنافع يأكل دود القطن في براز يل كما يأكلهُ و يأكل بيضهُ في القطر المصري . ولهُ في براز يل نفع آخر لم ننتبه اليهِ في هذا القطر وهو انهُ يزور البيوت احياناً جيشاً جراراً يفتش عما فيهامن الخنافس و بنات وردان ولا يترك منها شيئاً ثم يغادر البيوت كما جاءها فكأنهُ مسخَّر لتنقيتها من حشراتها . ولكل شيءٍ آفة من جنسهِ . قال الدكتور سبروس في هذا الصدد ما تعريبهُ

استيقظت ذات يوم عند طلوع الشمس فاذا الكوخ الذي انا فيهِ قد امتلأ بغتة بالنمل الاسود الكبير وكان هناك عنقود كبير من الموز فلم يبقِ عليهِ وجعل يفتش عن العناكب والخنافس و بنات وردان فلم يبقِ ولم يذر والذين لم يتعرضوا لهُ منا سلموا من شرهِ واما انا فحاولت كنسهُ فهجم عليَّ واوسعني لسعاً اليماً

وقال توما بلت في كتابهِ المعنون (طبيعي في نكارغوى) ان هناك نملاً صغيراً كانت جيوشهُ تدخل بيتنا وتملأُ الارض والجدران وتفتش عن العناكب والخنافس في كل ثقب وكلما وجدت واحداً منها اخرجتهُ وقطعتهُ ارباً ارباً وحملتهُ وسارت بهِ . وما رأيتهُ في البيت رأيتهُ في الغاب فقد شاهدت فيهِ النمل يغطي الارض وهو يبحث في شقوقها وتحت كل ورقة ساقطة عن الجنادب والعناكب والخنافس و بعضها يطير خوفاً منهُ ولكنهُ لا يلبث ان يقع بين جنودهِ فتلتهمهُ

وكما يتبع النمل الجنادب والخنافس ليغتذي بها يتبعهُ نوع من الطير الصغير و يغتذي بهِ . وكلٌّ مسخَّر لخدمة غيرهِ . قال بايتس في وصف النمل المسمى اسيتون اذا مشيت في ارض تكثر فيها طوائف هذا النمل رأيت فوقها عصائب طائر صغير وسمعتهُ يزقزق و ينتقل من غصن الى آخر قلقاً كأنهُ يقول لك احذر ما انت فيهِ . فاذا غضضت الطرف عنهُ ومشيت بضع خطوات أُخرى وقعت في ورطة لانك لا تشعر الاَّ والنمل قد غطى رجليك وغرز مشافرهُ في لحمك ولا بدَّ لك حينئذٍ من ان تعود ادراجك هارباً الى ان تصل الى محل الامان وكل نملة تحاول نزعها تنقطع رقبتها و يبقى رأسها عالقاً بجلدك

وكان هنود اميركا يفعلون بالنمل كما يفعل بهم كانوا يجمعونهُ و يأكلونهُ و بعضهم يستعملهُ كالتوابل والبهارات الاَّ انهم اقلعوا الآن عن هذهِ العادة او قللوا من استعمالها

قرى النمل

يراد بقرى النمل الاوجار التي يحفرها في الارض وما فيها من السراديب والمخادع لصغارهِ

وطعامهِ ويراد بها ايضاً مبانٍ عالية يبنيها فوق الارض داخل تلال من الطين والتراب وهذه التلال لا تقام في وقت واحد ولا في جيل واحد بل تبتدئ صغيرة جدًّا ثم تكبر رويداً رويداً جيلاً بعد آخر بما يضاف اليها من التراب الذي يحفر من باطن الارض فان النمل لا يحلو لهُ التزاوج الاَّ في الهواء فتنبت لهُ اجنحة يطير بها ويتزاوج ثم تقع الاناث حيثما اتفق وتقطع كل انثى جناحيها حالما تقع على الارض لئلا يعوقاها عن العمل وتفتش عن قرية تدخلها او مكان تحفر حفرة فيهِ وتبيض بيضها فيها فاذا وجدت قرية من قرى نوعها دخلتها وباضت فيها وصارت من اهلها والاَّ فاذا وجدت مكاناً صالحًا ابتدأت بانشاء قرية جديدة فيهِ او هلكت. ولهذا لا توجد قرى النمل الاَّ في الاماكن التي تصلح لها ولا يسلم منها الاَّ القليل ولولا ذلك لملأ النمل الدنيا. فقد رأيت مرة اناث النمل سقطت في بقعة كبيرة جدًّا مساحتها مئات من الافدنة ولم يكن متر من الارض خالياً منها فلو عاشت كلها وانشأت القرى لملأت البلاد. واذا اتفق ان وقعت على قرية من قرى النمل فإما ان يتبناها نملها ويشركنها معهنَّ وإما ان يقتلنها وإما ان تموت. واذا وقعت في مكان لا قرية فيهِ حفرت حفرة صغيرة في الارض والقت ترابها عند بابها من غير انتظام. قال الدكتور هوبز في وصف نمل بارا ببرازيل انهُ راقب نملةً انثى نزلت الى الارض وحفرت حفرة صغيرة وضعت فيها بيضها فخرجت العمَّال منهُ بعد اربعين يوماً وجعلن يخرجن التراب ويلقينهُ على باب القرية الى ان صار حولهُ اكمة مخروطية مجوفة وهذا التراب يقع المطر عليهِ فيبلهُ ثم تشرق عليهِ الشمس فتجففهُ ويصير صلباً كالآجر

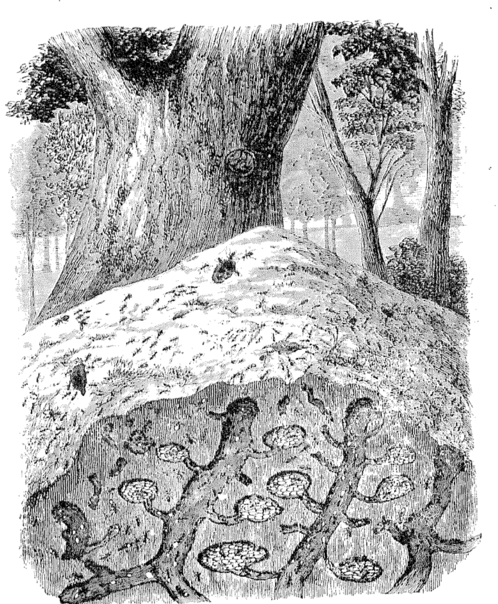
وما دام الاناث يدخلن القرية ويبضن فيها ويخرج اولادهنَّ ويحتفرن التراب منها ويلقينهُ على التلة التي على بابها فالتلة تزيد سنة بعد سنة ما دام التراب قابلاً للالتصاق بعضهُ ببعض وليس في الارض سيول تجرفهُ

واكبر تلال النمل رأيتها في ولاية باهيا من بلاد برازيل وهي كثيرة في بعض الاماكن حتى تغطي نصف الارض او اكثر من نصفها ويبلغ ارتفاع التلة منها احياناً خمسة امتار وقطر قاعدتها ١٥ متراً الى ١٦ وتنمو الاشجار في هذه التلال وتكبر كثيراً. وقد تدنو التلال بعضها من بعض حتى تتماس قواعدها. اخترت بقعة قُطعت الاشجار منها طولها مئة متر وعرضها مئة متر فوجدت فيها ٥٣ تلة يختلف ارتفاعها من اربعة امتار ونصف متر الى متر وخمس متر وقطر قاعدتها من ١٥ متراً الى ٣ امتار ووجدت بالقياس ان مساحة الارض التي تغطيها هذه التلال ٢٠٦٥ متراً مربعاً ومساحة ترابها ٢٢٢٥ متراً مكعباً واكبرها علوهُ

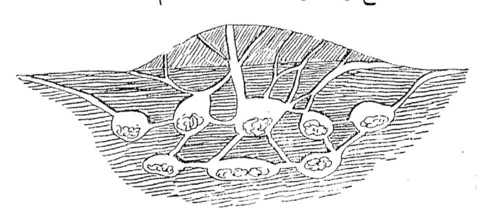


صورة نمل ابيض من برازيل صوّرت سنة ١٩٠٩

تلال النمل الابيض من رسم فردرك سمث



مقطوع قرية النمل فور ميكا روفا من رسم فردرك سمث



مقطوع قرية من قرى النمل الذي يقطع اوراق الشجر

اربعة امتار ونصف متر وقطر قاعدتهِ ١٥ متراً ومساحتها ١٧٧ متراً مربعاً ومساحة تراب التلة ٢٦٥ متراً مكعباً. ورأيت في مكان آخر تلالاً علو الواحدة منها خمسة امتار وقطر قاعدتها ١٧ متراً . ويقال ان التلال الكبيرة تدل على قدم القرية حتى ان التلة التي علوها متران لا يقل عمرها عن مئة سنة .

وقد قُطعت تلة صغيرة والقرية التي تحتها فظهر مقطوعها كما ترى في الشكل المقابل . ففي الاكمة ثقب واسع ينزل منهُ الى مخدع كبير متصل باربعة مخادع على مستواهُ وبثلاث مخادع تحتهُ. واعمق ما رأيت المخادع واصلة اليهِ متران ونصف متر ولكن الثقات في البحث عن النمل اكدوا ان عمق القرية الكبيرة يبلغ عشرة امتار اما الاسراب فتمتد الى ابعاد شاسعة فقد كنت ادخل الدخان فيها فاراهُ ينفذ من مكان آخر بعدهُ عن الاول ٣٠٠ متر . وقد حفر النمل سرباً تحت نهر براهيبا من ضفة الى اخرى وهو من الانهر الكبيرة وحفر سرباً في سد خزان كبير فاتلفهُ . وذكر القس وود ان نمل السوباس اتلف منجماً من مناجم الذهب لانهُ حفر سرباً اليهِ طولهُ ٨٠ متراً فاتصل بنبع غزير وجرى بهِ الماء اليهِ وملأهُ

نسبة النمل الى التربة

ويستدلُّ من انتشار قرى النمل في مكان على نوع تربتهِ فاذا كانت التربة غير صالحة لحفر الاسراب فالاناث التي تقع فيها تموت حالاً من غير ان تتمكن من حفر مكان تبيض فيهِ. فالارض الندية دائماً والتي تغمرها المياه من وقت الى آخر لا تصلح وكذلك الارض الشديدة الصلابة والصخرية والرملية . ولذلك فاختيار المكان متوقف على صلاحية التربة لا على ارادة النمل . والظاهر ان التربة الطفالية اصلح من غيرها

النمل الابيض

النمل الابيض ليس نملاً حقيقياً بل هو الارضة نفسها ولكنهُ يشبه النمل شكلاً فيطلق عليهِ اسمهُ . وقد ذُكر هنا لان فعلهُ الجيولوجي بالارض يشبه فعل النمل . ومن طبائعهِ انهُ يكره النور ويعمل عملهُ في الظلام حتى اذا اضطرَّ ان يسير فوق وجه الارض بنى لنفسهِ ازجاً يسير فيهِ . والغالب انهُ يبني بيوتهُ ملاصقة للاشجار او الصخور ولكنهُ قد يبنيها على وجه الارض غير مسنودة الى شيء . وكثيراً ما تكون كبيرة مثل تلال النمل العادي او اكبر منها وهي مختلفة الاشكال

وضرر النمل الابيض في الجهات الاستوائية من اميركا الجنوبية اقل من ضرر النمل العادي ولذلك لا ينتبه لهُ كثيراً كما ينتبه للنمل العادي لكن بيوتهُ حيث يوجد كثيرة جدًّا

اكثر من بيوت النمل العادي ويقال ان الانثى الواحدة من نوع منهُ تبيض ٦٠ بيضة في الدقيقة فيبلغ بيضها ٨٠٠٠٠ في اليوم ومن ثم تعلم كثرتهُ

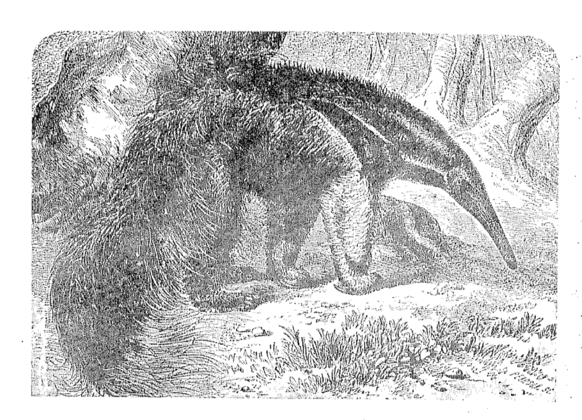
وليس لهذا النمل سلاح يتقي بهِ اعداءهُ ولذلك يكثر في اميركا الجنوبية نوع من الحيوان يغتذي بهِ وهو آكل النمل المعروف ويقال ان طعامهُ كلهُ من النمل الابيض وهو كبير الجسم طول رأسهِ ١٦ عقدة وطول بدنهِ ٤ اقدام وطول ذنبهِ ٤ اقدام اخرى وارتفاعهُ قدمان فيماثل الكلب الكبير جرماً ولهُ خرطوم طويل متين يحتفر بهِ الارض ويخترق بيوت النمل ولسان طولهُ متر يلتقط بهِ النمل عن بعد

وهناك حيوان آخر يغتذي بالنمل الابيض وهو الارمديل فانهُ يسطو على بيوتهِ ويحتفرها بيديهِ ويلتقط ما فيها . والنعامة الاميركية تأكل النمل الابيض ايضاً وكذلك طيور أُخر وكثير من الزحافات كالضفادع والافاعي والعظايات . والنمل العادي من اكبر اعداء النمل الابيض وهو يغتذي بهِ كما يغتذي بالجنادب والخنافس . وفي بيوت النمل الابيض جنود تحارب حروبهُ ولكنها لا تحارب النمل العادي وجهد ما تفعلهُ انها تخرب الاسراب التي يحفرها ليصل بها الى بيوت النمل الابيض فهي للدفاع لا للهجوم ولذلك لا يكثر هذان النملان في مكان واحد . ولكثرة اعدائهِ اضطرَّ ان يقي نفسهُ بالاختفاء وقلة الظهور فلا يسير على الارض الاَّ في ازج يخفيهِ ويجعل ظاهر الازج وظاهر بيوتهِ مثل ما حولها من الارض حتى يعسر تمييزها من غيرها ولا يظهر عليها اثر الحياة

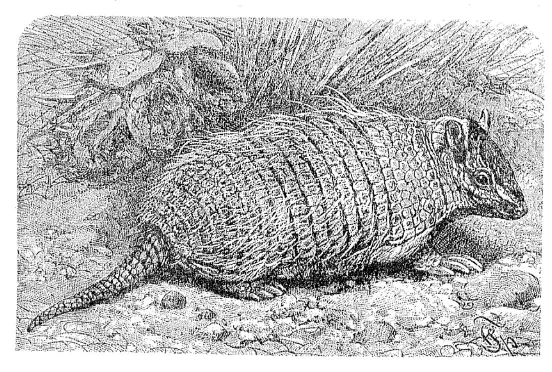
وبيوتهُ اكوام عالية مخروطية كالصخور لا باب لها من الخارج . اذا كانت جديدة لم يكن ترابها شديد التماسك فيسهل حفرهُ بالعصا ولكنها اذا قدمت صارت صلبة كاللبن المجفف في الشمس . وسمك جدارها الظاهر نصف قدم الى قدم وهي مقسومة من الداخل الى مخادع كثيرة جدرانها رقيقة جدًّا كالورق

ويبني هذا النمل بيوتهُ من الاتربة وقطع الخشب ممَّا يأكلهُ ويفرزهُ او يجبلهُ بلعابهِ وبعضها مما يجمعهُ ممَّا حولهُ اذ قد يكون فيها قطع صغيرة من الصوان ممَّا لا يحتمل ان يكون النمل قد اكلهُ . ومهما كان اصل مواد البناء فهو يلصقها بعضها ببعض بمبرزاتهِ ومفرزاتهِ والغالب انهُ يمضغ ورق النبات وقطع الخشب حتى يصنع منها مادة لزجة تتماسك بها اجزاء التراب

والغالب ان يكون البيت مخروطاً مقبباً علوهُ مضاعف عرضهِ وقد يكون طويلاً دقيقاً كجزع النخلة وقد رأيت بيوتاً علو البيت منها ستة امتار ومحيطهُ ثمانية امتار ولكن البيوت التي تبلغ هذا الحد من الكبر قليلة نادرة والغالب ان يكون علو البيت مترين او ثلاثة



آكل النمل الكبير



الارمديل آكل النمل

وقد ثبت لي ان كبر البيت دليل على عمرهِ واقدم البيوت التي رأيتها لا يزيد عمرها على خمسين سنة . ولكل بيت اسراب ومخادع تحت الارض لها جدران من التراب ومن مادة سمراء نباتية مضغها النمل وجبل بها التراب او الصقهُ بها . وابعد ما رأيت هذه الاسراب غائرة اليهِ متر تحت وجه الارض ولكن الدكتور يوا كيم لوستوزا وجد انها تغور في الارض الى عمق ثلاثة امتار

ولا يتوقف وجود النمل الابيض على نوع التربة كما يتوقف وجود النمل العادي لانهُ يلصق الاتربة بعضها ببعض بالطلاء الذي يصنعهُ مهما كان نوعها . وكثيراً ما يوجد في الارض الندية التي لا يقيم فيها النمل العادي ولعلهُ يختارها لقلَّة ما يلاقيهِ من الاعداء فيها

ويكثر النمل الابيض في الحراج والغابات وهو ينخر الاشجار اليابسة ولكنهُ لا ينخر الاشجار النامية وقد يبني بيتهُ بين اغصان الشجرة والمواد التي يبنيهِ بها حينئذٍ تكون خشبية كلها لا تراب فيها الاَّ اذا كانت قريبة من الارض فتكون مواد البناء حينئذٍ مزيجاً من الخشب والتراب

فعل النمل الجيولوجي

لقد حسب داروين ان الخراطين (دود الارض الاحمر) في بعض جهات انكلترا تخرج من جوف الارض الى ظاهرها كل سنة ١٠٥١٦ كيلوغراماً من التراب لكل فدان من الارض . فاذا قدَّرنا ان عمر التلة الكبيرة من تلال النمل العادي مئة سنة في المتوسط امكننا ان نقابل بين فعلهِ وفعل الخراطين في اخراج التراب من باطن الارض الى ظاهرها في مئة سنة في كل هكتار من الارض (وهو نحو فدانين ونصف فدان) ويبين من هذه المقابلة ان الخراطين تخرج في انكلترا ٢٥٩٨٥٠٠ كيلوغراماً من التراب في السنة لكل هكتار والنمل في برازيل يخرج ٣٢٢٦٢٥٠ كيلوغراماً في السنة لكل هكتار اي ان النمل اكثر فعلاً في تخصيب الارض واكبر فائدة للزراعة من الخراطين

وليس لديَّ حساب مدقق عما يفعلهُ النمل الابيض من هذا القبيل ولكن مساحة البيت من بيوتهِ الكبيرة لا تقل عن ٣٠ متراً مكعباً ومن بيوتهِ الصغيرة قد تبلغ ١٥ متراً مكعباً ولا يعلم مقدار البيوت في الفدان ومقدار انتشارها في البلاد غير ان تراب بيوت النمل الابيض ممضوغ وبعضهُ مهضوم وقد فعلت بهِ الفواعل الكيماوية ولعلهُ اصلح للزراعة من تراب النمل العادي

والنمل العادي يدخل الى قراهُ مواد نباتية وحيوانية تتكوَّن منها حوامض تؤَثر في

الاتربة والحجارة التي تتصل بها وكذلك المواد النباتية التي يدخلها النمل الابيض الى بيوته تتولد منها حوامض آلية وتفعل بالاتربة والحجارة فعلاً كيماويًّا . واسراب النمل العادي يدخلها الهواء وتجري فيها المياه احيانًا فتساعد على تحليل الاتربة والحجارة ولو لم يبحث احد حتى الآن عن مقدار هذا الفعل

الخلاصة

اولاً ان النمل العادي والنمل الابيض اكثر في الاقاليم الاميركية الاستوائية منهما في الاقاليم المعتدلة

ثانيًا انهما يفضلان الارض الطينية على الارض الرملية

ثالثًا انهما يؤثران في التربة بما يحفرانهِ فيها من الاسراب التي يجري فيها الهواء والغازات وباخراجها كثيرًا من التراب من باطن الارض الى ظاهرها وبادخالها الى باطن الارض كثيرًا من المواد الآلية التي تتولد منها حوامض وغازات تؤَثر في تراب الارض وحجارتها فمنهما فوائد جزيلة للزراعة اكثر من فائدة الخراطين

عدوى السرطان

المذهب الشائع عند الاطباء كالمُجمَع عليهِ ان السرطان لا يعدي لكن قام الآن احد علماء الالمان وقال انهُ من الامراض المعدية . وتداول هذا الموضوع الدكتور بشفورد الانكليزي وكتب فيهِ فصلاً في مجلة نانشر قال

من المقرَّر انهُ لم يوجد حتى الآن اقل تماثل بين السرطان وغيرهِ من الامراض المعدية لكن لا يزال البعض يقولون بعدواهُ من غير دليل وهم من علمائهِ الباحثين في موضوعهِ والذين يقصدون التحذير منهُ . وقد تليت بالامس خطبة تدل على ما قد يكون لهذا الرأي من التأثير في الجمهور بنوع عام ولو قال الخطيب « انهُ ما من خطر من ان تحدث العدوى مباشرة ولكن الاسلم تجنب الاتصال بالمريض بالتقبيل وباستعمال صحافهِ على المائدة وبلبس ثيابهِ والنوم في فراشهِ» فاني ارتاب في جواز المجاهرة بهذه الاقوال امام اناس يتعذَّر عليهم تمحيص الاقوال ومعرفة الراجح منها من المرجوح

والخطيب الدكتور كزرني الجراح الشهير قد تلا هذه الخطبة في الاورانيا ببرلين وبيَّن فيها الاسباب التي تدعوهُ الى التمسك بان السرطان مرض معدٍ وذلك بعد ما مارس

الجراحة اربعين سنة. وعنده ان عدواه لا تصل مباشرة من المصاب الى السليم بل بواسطة وطالما تصل العدوى تتغير الخلايا السليمة وتميت صاحبها باحداثها الخلل في الوظائف الضرورية لحياته وبأخذها الغذاء اللازم له وافرازها مواد سامة تضر به . اي انها تفعل فعل الميكروبات المرضية . وأيد رأيه بأدلة من حيث كثرة الداء وقلته في البلدان المختلفة وفي جهات مختلفة من البلاد الواحدة وما يقال عن حدوثه احياناً كوافدة منتشرة وحدوثه في اجفان المواشي وفي الفيران المحفوظة في الاقفاص . ولكنه لم يبين اغلاط المؤلفين الذين استشهد بهم في الاحصاء وفي تشخيص المرض ولا اهتم بما قاله المؤلفون الذين نظروا الى هذه المسائل بالتروي واظهروا ما بين الوافدات التي ذكرها من الفروق . وكل ما يلزم من التدقيق والحذر في احصاء حوادث السرطان الذي يصيب الانسان يلزم اضعافه في احصاء حوادث السرطان الذي يصيب الحيوان لانه يمكن التحكم فيها . ولا يمكن ان يبنى حكم على ما يروى عن حوادث السرطان ما لم يستوفِ البحث فيها حقه من التمحيص

والاشياء التي ذكرت كوسائط لنقل « ميكروب السرطان الموجود في كل مكان » (١) هي البق واللعاب والقراد والدود والخنافس والبلهارتسيا والفلاريا وما اشبه . وهذا الميكروب إما انه من نوع البروتست (اي الاحياء التي لم يثبت كونها حيواناً او نباتاً) او من الاحياء التي لا ترى بالميكروسكوب لصغرها وهو الارجح . قال «ومن افعالها انها تفرز دائماً مادة كيماوية مهيجة فاذا تصور المرء ان هذه الميكروبات تصيب خلايا الجسم ثم تنتشر مع مصل الدم في البدن كله اتضح له كيف يفعل السرطان بالانسان . ومن المحتمل انه يوجد اكثر من نوع واحد من الميكروبات التي تنتج هذه المواد المهيجة ولذلك لا يكون للسرطان سبب واحد»

وهذا « الميكروب الموجود في كل مكان » يجد له سبيلاً الى الجسم في منافذ القروح التي تسببها اشعة رنتجن . وفي الالتهابات المزمنة من كل الانواع مثل التهاب الثدي وتقرح اللسان الناتج عن فركه بسن مكسورة وزكام المعدة الناتج من فعل المسكرات والتبغ وقرحة المعدة وقرحة المعى الغليظ او زكامه الناتجين من القبض

ولم يذكر الدكتور كزرني دليلاً على صحة هذه الاقوال ولكنه قال ان كثيرين من علماء الباثولوجيا ابطلوا البحث عن ميكروب السرطان بسبب ما وقع في هذا البحث من الخطإ

(١) وضع هذه العبارة بين علامات الاقتباس ليدل على انها من قول الخطيب اي ان الدكتور كزرني يعتقد ان ميكروب السرطان موجود في كل مكان

سابقاً واكتفوا برأي محكم يرضي الباحث علمياً ولكنهُ لا يفيد عملياً . غير ان القول بان السرطان معدٍ لم يفد عملياً ايضاً ولو بنيت عليهِ احصاءات غير صحيحة . اما ما اثبتهُ الاختبار من تأثير التهييج المستمر في احداث السرطان فقد بني عليهِ حكم بمنع تشغيل العمال في ما يعرّض بعض اعضائهم للتهييج المستمر لئلاً تصاب تلك الاعضاء بالسرطان

والتفت الدكتور كرزني الى الوسائل التي استُعملت حديثاً للتأثير في الاورام السرطانية كاشعة الراديوم واشعة رنتجن والفواعل الكيماوية وانواع المصل وذكرها كلها متفائلاً بها خيراً. ولكن اختبارهُ الطويل كجرّاح واسع الشهرة مدة اربعين سنة يجعل لقولهِ التالي اهمية كبرى وهو « ان مبادئ السرطان خدّاعة جدًّا لسوء الحظ فتخفى حتى على المصاب نفسهِ ولذلك لا يلجأ الى الطبيب الأ بعد ما ينبههُ اليهِ التقرُّح والورم الكبير او الالم الذي هو حارس الصحة الامين والاضطراب المستمر في الهضم والنحول والذبول. وافضل وسيلة لاعادة الصحة والتخلص من العواقب الوخيمة انما هو المبادرة الى تشخيص الداء قبل تمكنهِ وازالة العلة ما دامت موضعية ولذلك يفتش الجراح عن الاورام في كل اعضاء الجسم حتى في الدماغ والحبل الشوكي ويزيلها مستعيناً بالمنجات ومضادات العفونة . واذا عسر الوصول الى مركز السرطان تأخر نزعهُ حتماً . فسرطان الجلد يشفى منهُ بالجراحة ٨٠ الى ٩٠ في المئة وسرطان الثدي يشفى منهُ ٤٠ في المئة شفاء تاماً وسرطان المعدة والامعاء يشفى منهُ ٢٠ الى ٣٠ في المئة وبديهي ان حوادث الشفاء من سرطان الدماغ والحبل الشوكي نادرة»

لم يكد ما قيل عن شفاء السرطان الذي ينقل الى الفيران بالوسائل الكيماوية يشتهر حتى نشر كثيرون في الجرائد العلمية انهم اكتشفوا علاجات مثل هذا العلاج مع ان ما قيل عنهُ كان مبهماً غير جلي . ومن رأيي انهُ كان الاولى بالذين نشروا ما نشروهُ في الجرائد ان لا ينشروا شيئاً فان النتائج التي نشروها لم يكن اكثرها من الشفاء في شيءٍ بل كان سببها خطأ في معرفة حقيقة الورم او جهل في معرفة طبائع الاورام المنقولة بنوع عام والاورام التي حصلوا عليها واستعملوها بنوع خاص ولا بدَّ من التلمُّس في الظلام الى ان تعرف حقيقة السرطان وتعرف افعالهُ الكيماوية والحيوية ويعلم حقيقةً هل هو معدٍ او غير معدٍ ولكن ان كان ما ينشر من وقت الى آخر عن شفاء السرطان الذي تعدى بهِ الحيوانات يزيد عدد الذين يرفضون رأي الاطباء ويفضلون التداوي بالعلاجات التي تذاع الآن قبل ان يثبت فعلها فيكون ذلك من الامور الكبيرة الضرر الداعية الى الاسف

الثروة المعدنية

الثروة الزراعية اوسع ابواب الثروة بلا ريب وهي ثروة حقيقية لانها مبنية على ما يتناولهُ الانسان من الارض وتتلوها الثروة المعدنية ان لم يكن في مقدارها ففي انها مبنية على ما يستخرج من الارض ايضاً . وقد وقفنا الآن على احصاء للثروة المعدنية في الولايات المتحدة الاميركية وبلاد كندا المجاورة لها وذلك سنة ١٩١١ فاذا مقدار ما استخرج من الارض في الولايات المتحدة الاميركية تلك السنة بلغ ثمنهُ ١٩١٨٣٢٦٢٥٣ ريالاً او نحو ٣٨٤ مليون جنيه فيخص كل نفس من سكانها اكثر من ٢١ ريالاً او اكثر من اربعة جنيهات . وثمن ما استخرج في بلاد كندا ١٠٣٢٢٠٩٩٤ ريالاً او نحو ٢١ مليون جنيه فيخص كل نفس من سكانها نحو ١٤ ريالاً ونصف ريال او نحو ثلاثة جنيهات

والمواد المعدنية منها ما هو معدني صرف كالذهب والفضة والنحاس والحديد ومنها ما هو غير معدني كالفحم الحجري والبترووليوم والجبس والسمنت والملح وحجارة البناء وما اشبه . وهاك قيمة ما استخرج من كلٍ من هذه المواد

الحديد	١٢ ٣٠٧ ١٢٥	٣٢٧ ٣٣٤ ٦٢٤
الفضة	١٧ ٣٥٥ ٢٧٢	٠٣٢ ٦١٥ ٧٠٠
الذهب	٠٩ ٧٨١ ٠٧٧	٠٩٦ ٨٩٠ ٠٠٠
النحاس	٠٦ ٨٨٦ ٩٩٨	١٣٧ ١٥٤ ٠٩٢
الرصاص	٠٠ ٨٢٧ ٧١٧	٠٣٦ ٥٥٣ ٣٢٠
الزنك (التوتيا)	٠٠ ١٠١ ٠٧٢	٠٣٠ ٩٦٤ ٧٩٤
النكل	١٠ ٢٢٩ ٦٢٣	٠٠٠ ١٢٧ ٠٠٠
الفحم الحجري	٢٦ ٤٦٧ ٦٤٦	٦٢٧ ٣٦٦ ٨٧٦
الغاز الطبيعي	٠١ ٩١٧ ٦٧٨	٠٧٤ ١٢٧ ٥٣٤
البترووليوم	٠٠ ٣٥٧ ٠٧٣	١٣٤ ٠٤٤ ٧٥٢
البيت	٠٠ ٠٠٣ ٨١٧	٠٠٠ ٢٧٢ ١١٤
الطفال	٠٨ ٣٥٩ ٩٣٣	١٦٢ ٢٣٦ ١٨١
السمنت	٠٧ ٦٤٤ ٥٣٧	٠٦٦ ٧٠٥ ١٣٦

الجبس	٠٠٩٩٣ ٣٩٤	٠٠٦٤٦٢ ٠٣٥
الجير	٠١ ٥١٧ ٥٩٩	٠١٣ ٦٨٩ ٠٥٤
تراب الآجر	٠٠ ٤٤٢ ٤٢٧	٠٠٠ ٨٩٧ ٦٦٤
الواح الحجر	٠٠٠٠٨ ٢٤٨	٠٠٥ ٧٢٨ ٠١٩
الحجارة	٠٤ ٤٢٨ ٧٥٧	٠٧٧ ١٠٨ ٥٦٧
السفباذج والكركند	٠٠ ١٦١ ٨٧٣	٠٠٠ ٠٠٦ ٧٧٨
حجر الجلخ	٠٠٠٠٥٢ ٩٤٣	٠٠٠ ٩٠٧٣١٦
الزرنيخ	٠٠ ٠٧٦ ٣٣٧	٠٠٠ ٠٧٣٤٠٨
الفصفات	٠٠ ٠٠٥ ٢٠٦	٠١١ ٩٠٠ ٦٩٣
البيريت	٠٠ ٣٦٥ ٨٢٠	٠٠١ ١٦٤ ٨٧١
الاسبستس	٠٢ ٩٢٢ ٠٦٢	٠٠٠ ١١٩ ٩٣٥
الميكا	٠٠ ١٢٨ ٦٧٧	٠٠٠ ٣٥٥ ٧٠٤
المياه المعدنية	٠٠ ٢٢٣ ٧٥٨	٠٠٦ ٨٣٧ ٨٨٨
البلباجين	٠٠ ٠٦٩ ٥٧٦	٠٠٠ ٢٨٨ ٤٦٥
الملح	٠٠ ٤٤٣ ٠٠٤	٠٠٨ ٣٤٥ ٦٩٢
الطلق	٠٠ ٠٢٢ ١٠٠	٠٠١ ٦٤٦ ٠١٨

والظاهر ان ما يستخرج من كندا آخذ في الازدياد فقد زاد سنة ١٩١٢ عما كان عليهِ سنة ١٩١١ نحو ٣٠ مليون ريال كما ترى في هذا الجدول وقد رتّبت فيهِ المواد المختلفة حسب قيمتها

الفحم الحجري	٣٦ ٣٤٩ ٢٩٩
الفضة	١٩ ٤٢٥ ٦٥٦
الحديد	١٤٥٥٠ ٩٩٩
النكل	١٣ ٤٥٢ ٤٦٣
النحاس	١٢ ٧٠٩ ٣١١
الذهب	١٢٥٥٩ ٤٤٣
الطفال	٠٩ ٣٤٣ ٣٢١
السمنت	٠٩ ٠٨٣ ٢١٦

الحجارة	٤ ٦٧٥ ٨٥١
الاسبستس الطبيعي	٢ ٩٧٩ ٣٨٤
الغاز	٢ ٣١١ ١٣٦
الجير	١ ٧١٧ ٧٧١
الرصاص	١ ٥٩٧ ٥٥٤
الجبس	١ ٣٢٠ ٨٨٣

وكنا نودُّ ان نذكر قيمة الثروة المعدنية في القطر المصري وان تكون نسبتها الى السكان نسبة الثروة المعدنية في اميركا الى سكانها . والمعادن موجودة في هذا القطر ولكنها غير غنية فلا تفي بنفقات استخراجها الاَّ البترول فقد ثبت الآن انهُ كثير في جهات جبل الزيت غربي البحر الاحمر ومن استخراجهِ ربح كثير ولكن ليس للقطر فائدة منهُ على ما يظهر بل فائدتهُ خاصة بالشركات التي نالت امتيازهُ . والاَّ الذهب فان الظاهر من استمرار الذين نالوا امتياز مناجمهِ على استخراجه ان قيمة المستخرج منهُ تزيد على نفقات استخراجهِ . وفيهِ الفصفات وطين الخزف والرخام والمرمر والمستخرج منها كلها قليل لا يكفي لحاجة البلاد ولا نرى في جداول الجمارك اسمًا لمعدن صادر من القطر الاَّ قليلاً من الذهب بلغت قيمتهُ في العام الماضي ٨٨ الف جنيه وفي العام الذي قبلهُ ٦٨ الف جنيه . ولذلك يقال ان الثروة المعدنية في هذا القطر قليلة جدًّا حتى لا يعتمد عليها بوجه من الوجوه

وللثروة المعدنية قيمة اضافية غير قيمتها الذاتية وهي انها مصدر الصناعة فلو كان في البلاد مناجم غنية من الحديد والفحم الحجري لصار من الاقطار الصناعية كما هو من الاقطار الزراعية ولاتَّسع باب الرزق فيهِ

الاَّ ان ما ينقص القطر المصري من هذا القبيل تفوق بهِ الولايات العثمانية فانها كثيرة المعادن غزيرة الثروة المعدنية

فمعدن الكروم لهُ ثلاثة مناجم قرب مرسين يصدر كرومها الى اوربا . وللفضة مناجم عديدة يستخرج من بعضها الآن ٢٦٠٠ كيلو غرام من الفضة و٤٠٠ طن من الرصاص المحتوي على الفضة . والزنك كثير في ولاية ايدين وفي كراسو على البحر الاسود . والمنغنيس في قونية وايدين . والنحاس في ارمينية وقرب ديار بكر وهو هناك من اكبر مناجم النحاس في الدنيا واغناها . والبورق قرب بحر مرمرا ويصدر منهُ نحو ٨٠٠٠ طن كل سنة . والسنباذج في ازمير وايدين وقونية واطنه . والحمر في سورية ووادي الفرات والفحم الحجري في هرقلية على البحر

الاسود وفي ازمير . والبترول في وادي دجلة وغور الاردن وجهات مختلفة في بر الاناضول . والملح كثير في اماكن مختلفة ولاسيما في اليمن . وتوجد مناجم الذهب والفضة في سنجق ازمير . وتراب الخزف الصيني في رودس . والزرنيخ في ايدين . والحديد في حلب واطنه ولبنان . وحجارة الطبع الحجري قرب بروصه . وقد بلغت قيمة المعادن والمركبات المعدنية التي صدرت من ولايات الدولة العثمانية منذ سنتين نحو مليون ومئتي الف جنيه . وفيها قوى مائية لا حدّ لها لكثرة جبالها واوديتها وغزارة المطر فيها . وهي فوق ذلك غنية زراعة واذا توطَّد الامن فيها كما يجب فلا نرى ما يمنع رجوع الذين هاجروا من اهلها بل لا نرى ايضاً ما يمنع جانباً كبيراً من سكان القطر المصري من المهاجرة اليها لانها كافية لاضعاف سكانها الحاليين

حقيقة التبنيج

اخبرنا من نثق بهِ ان احد الاوربيين المستشرقين وجد في دار الكتب الخديوية كتاباً قديماً في طب العيون يقال فيهِ ان اطباء العرب كانوا يبنجون من يريدون ان يعملوا لهُ عملية في عينهِ كالقدح ونحوهِ فان كان الامر كذلك فقد سبقوا كل احد الى التبنيج

وقد وقفنا الآن في مجلة العلم الاميركية على خطبة للاستاذ رلف للي في المبنجات الم فيها بهذا الموضوع من كل جهاته فاقتطفنا منها ما يأتي

يراد بالتبنيج معالجة المرء بدواء كالكلوروفورم يخدر اعصابهُ ويبطل شعورهُ بالالم . وهو المعروف عند علماء الطب الآن بكلمة Anæsthesia اي زوال الشعور . ثم يعود الشعور بعد زوال فعل الدواء . وهذا التبنيج غير خاص بالانسان بل يشاركهُ فيهِ الحيوان والنبات اي ان الخلايا التي يتركب منها جسم الحيوان والخلايا التي يتركب منها جسم النبات تتبنج على اسلوب واحد فيتوقف تأثُّرها بالمؤثرات برهة طويلة او قصيرة الى ان يزول فعل البنج فتعود الى حالها الاولى . وفعل البنج بالحيوان اظهر من فعلهِ بالنبات الاَّ اذا كان النبات مما يظهر تأثرهُ بالمؤثرات الخارجية

فالتبنيج يوقف قوة التأثر بالمؤثرات عن عملها مدة من الزمن الى ان يزول فعلهُ فتعود هذه القوة كما كانت . فاذا عُرّضت عضلة لبخار الاثير بطل انقباضها بالمؤثرات وكذلك اذا عرض عصب لبخار الاثير بطل نقلهُ للتأثيرات واذا كان النبات حساساً كالسنط الحساس وعُرض لبخار الاثير بطلت حركتهُ . وقس على ذلك كل الحركات التي يقال انها ذاتية كالحركة

الاميبية والحركة الهدبية وجريان البروتوبلازم وانقسام الخلايا ونموّها كل هذه الحركات تؤثر فيها المبنجات وتوقفها . وقد ابان كلورد برنارد منذ زمن طويل ان البزور تقف عن النمو اذا كان الهواء حولها مشبعاً بالاثير وتعود الى نموها حينما يزول الاثير منهُ وخلايا البيضة الملقحة تتوقف عن الانقسام اذا احيطت بمادة مبنجة مع انها تبقى حية وتعود الى النمو والانقسام حالما تزول المادة المبنجة

وهذا النوع من التخدر او النوم ليس مقصوراً على فعل المنبهات بل يحدث لذاتهِ في حياة الاحياء وهو من جملة الافعال الفسيولوجية ومن هذا القبيل النوم الطبيعي كأن سببهُ مواد تتراكم في الدم والانسجة فيتوقف بها تأثر الاعضاء بالمؤثرات مدة. ومنهُ خمول الاعضاء مدة وجيزة على اثر انفعالها بالمؤثرات . ومنهُ ايضاً التعب فان العضو المتعب يقل تأثرهُ ولذلك فللتبنج او التخدُّر درجات مختلفة

ويحسن بنا ان نبحث الآن عن الفواعل الطبيعية التي تزيل تأثر الاحياء بالمؤثرات او تضعفهُ . ومن هذه الفواعل البرد فان الاحياء تبقى حية ضمن درجات محدودة من الحرارة فاذا قلَّت الحرارة عن ذلك كثيراً او زادت بطلت الافعال الحيوية . واكثر الانسجة تهيجاً يقل تأثرها بالمؤثرات اذا بلغت الحرارة درجة الصفر . واذا كان الحيوان من ذوات الدم البارد فعضلاتهُ واعصابهُ قد لا يقل تأثرها اذا زاد البرد زيادة معتدلة وقد يزيد بازدياد البرد ولكن معدل التأثر يقل حسبما تقل الافعال الكيماوية بقلة الحرارة حتى اذا بلغت درجة الصفر لم يعد الحيوان يتأثر الاَّ بالمؤثرات الشديدة وبعضهُ يزول تأثرهُ قبل الوصول الى تلك الدرجة ثم يعود التأثر اذا زادت الحرارة

ومنها قلة الاكسجين فان قلتهُ تضعف التأثر او توقفهُ فالخلايا العصبية في ذوات الفقار تنفعل جدًّا بزوال الاكسجين وكذلك انقسام الخلايا في البيوض الملقحة يقف اذا قل الاكسجين والاعضاء التي تنقبض يقل انقباضها او يتوقف اذا قلّ فيها الاكسجين . ولكن من الاحياء ما لا يتأثر كثيراً بفقد الاكسجين مع انها تتأثر جدًّا بالمبنجات وهذا يدل على ان فعل المبنجات ليس من قبيل ازالة الاكسجين نعم ان التأكسد يقل وقت التبنيج ولكن قلتهُ نتيجة لا سبب

وهناك بعض الافعال الفسيولوجية التي تزيل التأثر من الخلايا ولو وقتيًّا فالصدمة الفجائية الشديدة قد تزيل الشعور ويحتمل ان يكون زوال الشعور حينئذٍ ناتجًا من الافراط الوقتي فيهِ وتستنزف القوَّة وقتيًّا . ومثل ذلك فقد الشعور الناتج عن فعل المجاري الكهربائية الشديدة

فان المجاري الكهربائية قد تفعل في بعض الاحوال فعل المبنجات كما اذا مرَّ مجرى كهربائي ضعيف في نسيج قابل التهيج كالعضل والعصب فان الشعور يختلف حينئذٍ باختلاف القطبين الكهربائيين فيزيد عند القطب السلبي ويضعف عند القطب الايجابي حتى لقد ينقطع تأثر الاعصاب هناك تماماً . وقد استعملت هذه الكهربائية لازالة الم عرق النسا (الشيا تكا) ويمكن توقيف قلب الضفدع عن الحركة بواسطة الكهربائية

الاَّ ان المواد الكيماوية افعل من غيرها في التبنيج اي ابطال التأثر بالمؤثرات او تقليله . وهذه المواد مختلفة لا تشترك في صفاتها فقد تكون من الحوامض وقد تكون من القلويات وقد تكون من الغازات كاكسيد الكربون الثاني والاكسيد النيتروس . وقد تكون من السوائل كمحاليل املاح المغنيسيوم والكلسيوم والسترنتيوم فانها تبنج عضلات الضفدع ومثل ذلك مذوب السكر النقي فان التهيج في الانسجة متوقف على وجود مواد فيها ناتجة من الحل الكهربائي مثل املاح الصوديوم فاذا زال اعيد بوضع الانسجة في محلول هذه الاملاح . ولكن اخص مزايا المبنجات المهمة هو انها تشترك في انها تذيب الادهان او تذوب فيها . وهذه المبنجات تشمل الاثير والكلوروفورم وكلوريد الاثيل واليوريثين وقد انتبه ببرا وهرلس الى العلاقة بين ذوبان الدهن والتبنيج منذ سنة ١٨٤٧ وهي تدلُّ على ان للمبنجات فعلاً خاصاً في مواد الخلايا ويظهر فعلها بالتأثير في المواد الدهنية او الشبيهة بالدهنية التي فيها وعلى ان درجة شعور هذه الخلايا تتوقف على المواد الدهنية التي فيها . وهذه المواد على اختلاف تراكيبها موجودة في كل الخلايا ومنها ما هو دهن فعلاً ومنها ما يشبه الدهن ولكنهُ ليس منهُ في شيء وكلها من المواد الاساسية في بناء الخلايا لا من الدهن الذي يخزن في بعض الاعضاء . والظاهر انها لازمة للتهيج واذا تغيرت حالتها تغير تهيج الخلايا التي هي فيها

وهنا فصَّل الخطيب تركيب الخلايا وقال ان المواد الدهنية كثيرة في اغشيتها وان المبنجات تفعل بهذه الاغشية فتتنوَّع قابليتها للتأثر بالمؤثرات فتضعفها او توقفها تماماً واثبت كون قابلية التأثر بالمؤثرات هي في اغشية الخلايا من انفعالها بالكهربائية . وقال ان هذه الاغشية مسامية وتنفذ منها المواد دخولاً وخروجاً فتزيد قابليتها لذلك او تقل حسب فعل المبنجات بها وكذلك يزيد استقطابها للكهربائية او يقل . والظاهر ان المبنجات تقلل قابليتها لنفوذ الجواهر فيها دوائية كانت او كهربائية فلا تعود تنفذ وتؤثر في باطن الخلية اذا كانت مما يؤثر فيها عادةً . وسواء كان هذا هو التعليل الحقيقي او لم يكن فلا شبهة في ان المبنجات تفعل باغشية الخلايا فتقلل تأثرها بالمؤثرات او تزيلهُ

وقد ذهب جمهور من كبار الفسيولوجيين الى ان اساس التبنّج هو توقف فعل الاكسدة او زوالهُ لان الاكسدة تقل وقت فعل المبنجات ولكن ثبت الآن ان المبنجات تفعل بعض الاحيان فعلاً تاماً ويبقى التأكسد على حالهِ وهذا دليل على ان ليس بين الاثنين علاقة سببية وان المبنجات تفعل بالخلايا سواء كانت محتاجة الى الاكسجين او غير محتاجة اليهِ

بطرس الاكبر

والحرب بين العثمانيين والروس

وعدنا في الجزء الماضي ان نفصل ما جرى في هذه الحرب وانجازاً لذلك نقول

كان السلطان احمد الثالث يود استرجاع ازوف (ازاق) من دولة الروس فجاء ترغيب كارلس الثاني عشر ملك اسوج لهُ موافقاً لغرضهِ . فامر الصدر الاعظم (محمد باشا البلطه جي) بتعبئة الجيوش والاساطيل وذلك في شهر اغسطس سنة ١٧١٠ . وفي ٢١ نوفمبر من تلك السنة اعلن الحرب على روسيا والقى سفيرها تولستوي في سجن الابراج السبعة . وبلغ القيصر ان الصدر الاعظم جيَّش الجيوش في سهول ادرنه فامر البرنس ميخائيل غالستوين ان يسير الى حدود البغدان بعشرة الايات من الدراغون لمراقبة حركات العثمانيين والتتار وامر غيرهُ من القواد باعداد الجيوش وفي الثامن من شهر مارس التالي أُعلنت الحرب وشمل الفرح بلاد الروس كلها . وفي السابع عشر منهُ سار بطرس الاكبر الى بولندا ومعهُ زوجتهُ كاترينا وكان قد اقترن بها سرًّا منذ سنة ١٧٠٧ واشهر الآن اقترانهُ بها . وزار اغسطس ملك بولندا واستعان بهِ على محاربة الاتراك فوعدهُ بان يمدَّهُ بثلاثين الفاً من رجالهِ . ثم اسرع الى دار الحرب معتمداً على معاضدة اميري الفلاخ والبغدان اكثر من اعتمادهِ على ملك بولندا لكنَّ اكثر اعيان البغدان لم يطيعوا اميرهم بل انحازوا الى الاتراك واخذوا معهم كل ما عندهم من المؤونة ولم يكن مع عساكر الروس زاد يكفيهم اكثر من اسبوع . واتبع القيصر مشورة الجنرال رون وعبر نهر الدنستر وسار في قفر لا نبات فيهِ ولا ماء سبعة ايام الى ان بلغ نهر بروث وكانت الجيوش العثمانية قد بلغت نهر الدنيوب (الطونه) وعبرتهُ على جسرين اقامتها عليهِ وحاول الجنرال رون نزع الجسرين ففصلت الجيوش العثمانية بينهُ وبين سائر الجيش الرومي فامسى موقف القيصر محفوفاً بالخطر ولم يكن معهُ زاد ولا عليق لخيلهِ وكان الجراد قد التهم كل عشبة خضراء في تلك البلاد حتى الجذور

واتضح للقيصر حينئذٍ ان لا قبل لهُ بمحاربة الجيوش العثمانية فعزم على الفرار من وجههم . وكان عدد الجيش الذي عبر بهِ نهر الدنستر ٣٨ الفاً فعدهُ حينئذٍ فوجدهُ ٢٤ الفاً فقط فامرهم بالصعود الى اكمة فيها اصول اشجار مقطوعة ليحتموا بها منتظراً سبيلاً للفرج لكن خان التتار سبقهم الى الاكمة وهاجم ساقتهم في اليوم التالي . واتصلت حينئذٍ جيوش العثمانيين بجيوش التتار فبلغ عدد الفريقين اكثر من مئتي الف واجتمعت كلها في سهل فسيح هناك وكان مع الصدر الاعظم القائد سبار الاسوجي وهو من القواد المعدودين فاشار عليهِ ان يقيم حاجزاً من التراب وينصب عليهِ ما معهُ من المدافع وهي خمس مئة مدفع ويصلي الروس ناراً حامية . ولو فعل لما ابقى على احد منهم لكنهُ لم يفعل

ومرض القيصر مما اصابهُ من الهم ورأى ان الدائرة ستدور عليهِ لا محالة فيفقد في لحظة واحدة ما انشأهُ في سنين كثيرة . ولم يجد وسيلة للهزيمة ولا للدفاع ولا للبقاء من غير زاد الى ان تأتيهُ النجدات فكتب الى مجلس الامة يخبرهُ بالخطر المحدق بهِ وبانهُ يئس من النجاة ويوصيهِ ان يختار خليفة لهُ رجلاً من اقدر الرجال على ادارة شؤُون المملكة وامر قوادهُ ان يعقدوا مجلساً حربياً ويقرروا الخطة التي يجب ان يجروا عليها . فعُقد المجلس في خيمة شافيروف وحضرتهُ الامبراطورة كاترينا وقرَّ القرار على ان يرشوا الصدر الاعظم وكانوا يعلمون انهُ حباب للمال فجمعوا للحال مئتي الف ريال واضافت اليها الامبراطورة كل حلاها ثم عادت الى خيمة القيصر واخبرتهُ بما قرَّ عليهِ رأي قوادهِ فلم يوافق على قرارهم الاَّ مرغماً وكتب الى شافيروف ان يقبل شروط الصلح مهما كانت ويعطي العثمانيين البلاد التي يطلبونها . وان يخبرهُ دوماً بسير المذاكرة في امر الصلح حتى اذا لم تفلح يقوم برجالهِ ويحاول اختراق صفوف العثمانيين

اما الصدر الاعظم فلما رأى المال ابرقت اسرتهُ وصالح الروس على شروط اخف كثيراً مما قدَّروا فانهُ لم يطلب سوى استرجاع ازوف (ازاق) وهدم بعض الحصون والسماح لملك اسوج بالرجوع الى بلادهِ وعلى ذلك وضعت معاهدة هُش المشهورة . ولما عُلمت في روسيا شمل السرور البلاد كلها وكتب دوق ليون وكان مع الجيش الروسي يقول — « لو اتانا احد في الصباح وقال لنا ان الصلح سيعقد على هذه الصورة لحسبناهُ مجنوناً او مصاباً بخبال في عقلهِ . ولما ارسل القائد العام عَلَم الامان والكتاب الى قائد الجيوش العثمانية قال لنا ان الرجل الذي اقنع جلالة القيصر بالدخول في هذه الحرب يجب ان يحسب من اشد الناس حمقاً ولكن ان كان الصدر الاعظم يقبل بعقد الصلح وهو يعلم المأزق الذي نحن فيهِ

فيكون اشد منهُ حمقاً وعسى الله ان يعمي بصيرتهُ بالمال فينجو رجالنا بعد ان صاروا في قبضة يدهِ »

وعقد الصلح وسلم القيصر ورجالهُ ولكنهُ لم ينسَ بقيـة عمرهِ ما حلَّ بهِ من الخذلان

وعقد جودت باشا فصلاً في تاريخهِ لهذه الحرب قال فيهِ ما نصهُ

« وكان بطرس الكبير المشهور قيصر الروسية هجم على قلعة ازاق في القريم وانهزم شر هزيمة كما ذكرناهُ فاغتنم فرصة الحروب الواقعة منذ سنين عديدة بين الدولة العلية والبندقية ولهستان والنمسا فاعاد الهجوم على قلعة ازاق واستولى عليها ثم اغتنمها ايضاً في حرب اسوج والدانيمرك فاشهرها على اسوج وكان قارلوس الثاني عشر ملك اسوج المعروف بين اهل الاسلام (بتيمورباش) على غاية من الحكمة والتدبير والشجاعة فتغلب على اخصامهِ مرات كثيرة وان يكن طمع في تنزيل بطرس عن تخت ملكهِ ولكن هذا لم يلحقهُ من ذلك اقل ضعف بل ثابر على حربهِ في اطراف حدود لهستان المجاورة للدولة العلية فنال الغلبة وكاد ان يأخذ ملك اسوج اسيراً ففرَّ ملك اسوج الى بندر ملتجئاً لكهف الامان للسلاطين والملوك وهي الدولة العلية فظهر حينئذٍ الاختلال في بلاد اسوج وضمت روسيا قطعة عظيمة منها الواقعة في ساحل بحر البلطيق الى ممالكها

« وفي اثناء هذه الحرب تجاوز العسكر الروسي بعض الحدود السلطانية في حال تعقبهِ عسكر اسوج وكان تيمورباش (اي كارلس الثاني عشر) قبل ذلك انذر الدولة العلية بما يتوقعهُ من الدولة الروسية من الضرر والشر لها فاعلنت الدولة العلية الحرب عليها فشيد محمد باشا البلطه جي الصدر الاعظم والسردار الاكرم جسراً على نهر الطونه وقطع بعساكرهِ ايالة (بسارابيا) من جهة يساقجي وكان الروس قطعوا قبل ذلك نهر بروث فنزلوا على ساحل الطونه في اراضي البغدان فلم يلتفت السردار اليهم بل استمر سائراً من الجانب الآخر وحاذاهم من غير ان يعبأ بهم بل بقي سائراً الى ان بلغ ممر فالجي وحاول عبور نهر بروث منهُ فعلم بذلك بطرس فارسل فرقة من الجند تمانعهُ العبور اعتقاداً منهُ بان منعهُ للعساكر العثمانية من العبور في ممر فالجي يلجئهم الى اقامة جسر جديد يستغرق بناؤُهُ اياماً واعتقد ايضاً ان العثمانيين بعد مرورهم النهر لا بد ان يصرفوا بضعة ايام في ترتيب شؤُونهم فيكون هو قد انتهز الفرصة اللازمة في الاستعداد لمقابلتهم فاخطأَت سهامهُ الغرض وذلك لان العساكر الاسلامية لم تنتظر تشييد جسر آخر بل تجشمت النهر وقطعتهُ واكرهت الروس على الفرار

وفي الليل شيدت ثلاثة جسور مشى عليها القسم الاكبر ممن بقي منها عند السحر فتعقبوا الروس وهزموهم شر هزيمة والحقوهم بمعسكرهم وفي الصباح عند مرور العساكر الهمايونية جميعاً على تلك الجسور ومع كون المسافة التي بينهم وبين المعسكر الرومي كانت نحو ست ساعات قطعوها غير مبالين بالسهر ومشاق الطريق فبلغوا المعسكر الروسي بغتة عند العصر ولم يطلبوا الراحة من التعب بل فاجأُوا الاعداء بالهجوم فلما رأى ذلك بطرس تحير وارتبك حيث انهُ كان يتوقع هذه الحال بعد خمسة او ستة ايام فانهزم بجنوده فعارضهُ النهر من جهة وكان خان القريم في الجهة الاخرى فقطع عليهِ خط الرجوع من البر فبات محصوراً واجبرهُ الحال على طلب الامان وهو في غاية الغلبة والقهر . وقد ثبت بعد ذلك ان عسكر الروس في اثناء هذا الحصار اكلوا قشور الاشجار . ولذلك التمس الصلح والامان من السردار الاكرم معلناً لهُ انهُ يرضخ لجميع مطالبهِ مهما كانت فاجابهُ الى ذلك السردار الاكرم وربطهُ بشروط شاقة لا تستطيع دولة ما على قبولها منها عدم تداخلهِ في احوال الدولة وان يرد قلعة ازاق (ازوف) للدولة العلية وان يعطيها ما شيدهُ على الحدود من القلاع وان لا يكون لهُ سفير في الاستانة وان يقبل بتنازلهِ عن مقام سائر الملوك . فالجأتهُ الضرورة الى قبول هذه الشروط المنيفة وانعقد الصلح واخذ منشور الوزير البلطه جي وسار الى مملكتهِ

« وكان السردار المشار اليهِ صاحب حيل ودهاء دقيق الفكر في اعمالهِ وحركاتهِ حتى انهُ نال مسند الصدارة العظمى بما اجراهُ من الدسائس الكثيرة ثم لما وقف حضرة السلطان احمد خان على حقيقة حالهِ اعرض عنهُ وعزلهُ غير انهُ لما ظهرت اخيراً حوادث روسياواسوج اقتضت المصلحة توليتهُ مقام الصدارة مرة ثانية فاحسن فيها العمل وتغلب على ذلك الرجل الكثير الحيل وهو بطرس الاكبر وكان في امكانهِ محو عسكر الروس عن آخرهِ ولكنهُ لم يرَ من الحكمة تتبع اثر الاعداء الميئُوسين الذين قبلوا بشروط هذا الصلح فرضي بالظفر الذي وقع لهُ وقنع قناعة مبنية على قاعدة الحزم والاحتياط وشعار المروءة فكان من ذلك ان بعض المؤرخين نسبهُ الى الغفلة وكان رجال السلطنة في الاستانة غير آمنين منهُ فسعوا في عزلهِ زاعمين ان الفرصة قد سنحت لهُ فكان ينبغي لهُ ان يمحق عسكر الروس عن آخرهِ وادعوا عليهِ انهُ اخذ رشوة من الروسيا فلذلك قبل بالصلح الاَّ ان حضرة السلطان احمد خان رد كلام الوشاة بقولهِ انهُ لا يرى من الصواب عزل مثل هذا الوزير الذي وجد في مثل هذه الغزوات بل من الصواب ان يحسن اليهِ و يتلطف بهِ ولكن الافتراء في حقهِ كان قد بلغ مبلغاً لا يمر في خاطر وخيال فتمكنوا اخيراً من عزلهِ ونفيهِ قبل ان يصل الى الاستانة وهو وان كان

بريء الذمة من هذا الافتراء ففي صدارتهِ الاولى ارتكب كثيراً من الدسائس على كثيرين فظهر بهِ الآن سر قولهم الجزاء من جنس العمل »

وهاك صورة منشور الصدر الاعظم الذي اشار اليهِ جودت باشا منقولة عن تاريخهِ

« الباعث لتحرير الكتاب الصحيح النصاب هو انهُ بتوفيق الله الملك العلام انتهت حرب عساكرنا المنصورة مع قيصر الموسقوف وعساكرهِ في ظرف نهر بروت وبعد التضييق عليهِ فبلطفهِ تعالى الكريم وفضلهِ العميم طلب القيصر المرقوم اجراء المصالحة وعند ذلك عقدت وربطت قيود وشروط الصلح والصلاح على الوجه الآتي بيانهُ وهو ان قلعة ازاق مع اراضيها وسائر ملحقاتها يجري تسليمها كالاول للدولة العلية. والقلعة الجديدة الكائنة في اعالي طيغان وقمانكه وصمار المختصة بالقيصر تهدم بالكلية والمدافع والجبخانة الموجودة ضمن قمانكه يجري تسليمها بتمامها للدولة العلية وفيما يأتي من الزمن لا يبنى في المحل المذكور قلعة ولا تحصل مداخلة بعد الآن من طرف القيصر المرقوم مع اللهوبين والتابعين لهم وهم رایاش والبورنقال ولا مع القزاق التابعين لحضرة صاحب السعادة دولتكر اي خان خان القريم بل يرفع القيصر يدهُ عن جميع تلك المواضع بحيث تعود كما كانت قبل الآن . وبعد اليوم لا يحق للقيصر ان يقيم سفيراً في استامبول من طرفه واما التجار الروسيون الذين يأتون برًّا للممالك المحروسة لاجل التجارة فانهم مأذونون في الاقامة فيها. والاسرى من المسلمين الذين اسروا من قبل ومن بعد يلزم ويجب على القيصر ان يسلمهم للدولة العلية مهما كان عددهم. وملك اسوج حيث انهُ التجأ ووقع تحت جناح عناية الدولة العلية فبعد الآن يتوجه الى مملكتهِ بالامن والسلامة ولا يحصل لهُ التعرض والمانعة من طرفهم قطعيًّا واذا وجد بينهم عدم توفيق ورضاء اتحاد فعليهم ان يجريا المصالحة. وانا ارجو من كمال افضال مولانا وسلطاننا صاحب الشوكة والعناية والعظمة ومن فيض مكارمهِ الملوكانية غض النظر من طرف الدولة العلية عن الحركات الخارجة عن الادب التي سبق وقوعها في جانب رعايا الدولة وسائر المنسوبين الى الممالك المحروسة وان لا يصير عليهم فيما يأتي من الزمان تعدي كما تقرر ذلك في الشروط والعهود . وبحسب الوكالة المطلقة حرر هذا الصك وأُعطي لطرف القيصر الى ان يعقد العهد والميثاق ان شاء الله تعالى في دار السعادة بالوجه المشروح وتعطى صورتهُ لهُ. وبعد ان يأخذ القيصر صك العهد فلا تكن حينئذ ممانعة ومداخلة في امر ذهاب عساكرهِ الى بلادهِ في الطرقات المستقيمة لا من طرف العساكر المنصورة ولا من فرد من افراد طوائف التاتار وجماعتهم . واما امين اسرار القيصر قدوة اعيان الملة المسيحية قبارون قانجلير بترو شافروف والجنرال

ميخائيل اولدبورس حفيد شرمت ختمت عواقبها بالخير حيث انهما كانا حضرا من طرف القيصر للعسكر المنصور ليكونا رهناً فمن بعد تسليم المواد المذكورة واعطاء صك العهد من طرف القيصر واتمام خدمتها يعطى لها الاذن والرخصة من طرف الدولة العلية بذهابهما الى بلادها بلا تأخير ولبيان ذلك حرر هذا في اليوم السادس من جمادى الاخيرة سنة ثلاث وعشرين ومئة والف »

بيورلدي صحراء

خوش كچدی

اما القيصر فعاد الى عاصمتهِ وجهز مئتي سفينة حربية وغزا بها بلاد اسوج واجتاح ابو عاصمة فنلندا ونقل مكتبتها الكبيرة الى بطرس برج وعاد الى اسوج في السنة التالية وكاد يدخل عاصمتها ثم انقلب على شمالي المانيا وحاول ان يصطلح مع ملك اسوج ويستعين بهِ على ملك انكلترا ويعيد آل ستورت الى الملك فيها وان يحالف ملك فرنسا لويس الخامس عشر ويزوجهُ بابنتهِ ثم عزم على زيارة فرنسا ثانية فجاءها ولكن ليس كما جاءها اولاً لانهُ صار الآن بطل بلتاوى وهنكول وصاحب البلطيق وشمالي المانيا ومصلح بلاد الروس الكبيرة ومؤسس عاصمة من اكبر العواصم

ورآهُ سان سيمون ووصفهُ فقال « لقد ادهش هذا الملك باريس بمسائلهِ عن كل فرع من فروع الحكومة والتجارة والتعليم والبوليس فانهُ كان يسأل عن كل كبيرة وصغيرة ويستقصي كل شيء. وكل ما بدا منهُ يدل على بُعد نظرهِ وقوة استدلالهِ . يظهر من سلوكهِ انهُ من اعاظم الرجال واشدهم انفةً واعلاهم كعباً واقلهم ارتباكاً . وفيهِ شيءٌ من ظرف الناتج عن سلامة الطبع ولكنهُ لا يخلو من سذاجة البداوة ولذلك تراهُ لجوجاً بعيداً عن المجاملة لا تعلم اغراضهُ ولا يطيق ان يعارضهُ احد. اذا جلس للطعام لم يجرِ على آداب المائدة واذا شرب بعدهُ افرط في الشرب وخرج عن الآداب المألوفة . وقلما يخفي انهُ ملك مطلق الارادة . وغرامهُ بمشاهدة المناظر الجديدة وكراهتهُ للسير في موكب حيث يكون قبلة للناظرين وحبهُ للحرية والتخلص من كل قيد كلُّ ذلك يجعلهُ يفضل ركوب مركبة عادية مأجورة على الركوب في مركبة ملكية فيثب الى اول مركبة يصادفها في طريقهِ ويقول للسائق ان يذهب بهِ في المدينة او خارج الاسوار . وهو طويل القامة مجدول العضل اميل الى النحافة منهُ الى السِمَن مستدير الوجه عالي الجبين مقوس الحاجبين قصير الانف غليظ الشفتين اسمر الجلد عيناهُ كبيرتان سوداوان برّاقتان طلعتهُ مهيبة ووجههُ بشوش اذا اراد ولكنهُ عابس في غالب الاحيان . وكثيراً ما تنقلب سحنتهُ فجأَةً فتزول طلاقة وجههِ ويظهر مخيفاً شاحباً ولكنهُ لا

يلبث كذلك اكثر من لحظة · وسيماؤهُ الذكاء والتفكير والعظمة مع شيءٍ من الدعة · وهو على بساطة لبسهِ وركوبهِ المركبات العادية لا تخفى عظمتهُ على الناظر اليهِ »

ولم يحفل مدة اقامتهِ في باريس بالرسميات الفارغة بل كان همهُ البحث في شؤون الحكومة والتجارة والعلوم والامور الحربية · لم يزر الامراء الذين من بيت الملك بل زار معامل المركبات وحوانيت الصاغة ومستشفيات مرضى الجنود وذاق طعامهم وعاملهم كما يعامل الجندي رفاقهُ · وأُعجب برأى انوال الغوبلين والمرصد الفلكي وبستان الملك ومجموعة رسوم الحصون والآلات التي يرفع بها الماء ويرسل الى فرساليا · وضُرب لهُ وسام في دار الضرب كُتب عليهِ عبارة لاتينية لفرجيليوس الشاعر الروماني وهي Vires acquirit eundo ومعناها « بالاسفار احراز القوى » وحضر اجتماع اكادمية العلوم فانتخبتهُ عضواً فيها وأُري خريطة لمملكتهِ فاصلحها بيدهِ ورأى تمثال رشليو في مدرسة السربون فاعتنقهُ · وزار مدام منتنون كأثر باقٍ من عهد لويس الرابع عشر وكانت طريحة الفراش فرفع سجف سريرها ونظر اليها ولم يفه بكلمة ولا هي قالت شيئاً

وكان غرضهُ ان يحالف فرنسا على جورج الاول ملك انكلترا ليرد الملك الى بيت ستورت كما تقدم فلم يفلح لان فرنسا كانت تعد محالفتها مع انكلترا اساس سياستها الخارجية · وقد ذكر ذلك سان سيمون مخطئاً فرنسا وقال انها ندمت بعدئذ على انحيازها الى انكلترا واحتقارها لروسيا ولات ساعة مندم

وأُصيب في اخريات ايامهِ برزيئة عائلية فانهُ تزوج وعمرهُ سبع عشرة سنة فتاة من اسرة قديمة تحب القديم وتكره الجديد فلم يوافق طبعها طبعهُ ورُزق منها ولداً سماهُ الكسس فربتهُ على حب القديم وكراهة الجديد فاضطر ان يطلقها ويتزوج بغيرها فزادت تكريه ابنهِ بهِ · وأتى بالمعلمين الاكفاء لابنهِ فتعلم وتفقه رغماً عنهُ لانهُ كان يفضل معاشرة القسوس والرهبان على معاشرة العلماء ورجال السياسة ولا يقبل في مجلسهِ الاَّ الناقمين على ابيهِ وعلى القوانين التي سنها والاصلاحات التي ادخلها الى البلاد . وحاول ابوهُ ان يصرفهُ عن ذلك بالنصح والارشاد على غير جدوى · ومما قالهُ لهُ في هذا الشأن · « ان خوفي من المستقبل ينغص عيشي ويزيل بهجة النجاح الذي نجحتهُ في عملي لاني اراك تحتقر كل ما يجعلك اهلاً للملك بعدي واني لاحسب اهمالك هذا عصياناً عليَّ لانك لا تستطيع ان تعتذر بضعف عقلك او نحافة جسمك . ونحن كنا مختفين فظهرنا بعد الجهاد الطويل بواسطة الحروب التي علَّمت الامم الاخرى ان تعرفنا وتحترمنا ومع ذلك اراك تكره ان تسمع اسم

الحرب . ولا بد ان اموت فلن اترك ما انشأتهُ . ان كنت لا تغير سلوكك اضطررت ان احرمك من ولاية عهدي . اني لم ابخل على بلادي بحياتي فهل تظن اني ابخل عليها بك . البعيد الصالح للحكم خير من القريب الذي لا يصلح لهُ » . ثم ارسلهُ في كثير من مهام المملكة فقضاها مكرهاً وكان يقول ان صحتهُ نحيفة وذاكرتهُ ضعيفة وانهُ يفضّل ان يصير راهباً على ان يصير ملكاً فامهلهُ ستة اشهر لكي ينصرف على عزمهِ . واشار عليهِ احد خواصهِ ان يذهب الى الدير ويترهب ومتى مات ابوهُ يعود الى الملك لان القلنسوة لا تسمَّر برأسهِ . ثم استغفل اباهُ وهرب مع خليلتهِ الى المانيا وسار الى ڤينا ونزل على امبراطورها وطلب حمايتهُ من ابيهِ . فبعث ابوهُ واتي بهِ وحاكمهُ فوجد انهُ كان محور دسيسة كبيرة يراد بها قلب النظام الحاضر وارجاع النظام القديم . فاضطرهُ حينئذٍ ان يوقع عهداً بالتنازل عن حقهِ في الملك ثم اوقع العقاب الصارم بالذين ثبتت عليهم الخيانة . وقولنا العقاب الصارم لا يؤدي جزءًا من المعنى المراد فان الجنرال غليوف مثلاً سُلخ جلدهُ وهو حي ورئيس الاساقفة كسّرت عظامهُ وغيرهما عُذب ثم قتل . وحُكم على الكسس بالقتل فجلد ٢٥ جلدة بسوط لا يعيش من يجلد بهِ ثلاثين جلدة وجلد في اليوم التالي ١٥ جلدة فمات ولم يظهر على ابيهِ انهُ حزن عليهِ او ندم على ما فعل وهي قساوة نادرة المثال

قلنا ان بطرس الاكبر تزوج بخليلتهِ كاترينا وهي فتاة أُسرت من مرينبرج سنة ١٧٠٢ فباعها المرشال شرمتيف للبرنس منشيكوف ورآها القيصر في بيتهِ فاحبها وتزوج بها سرًّا وكان اسمها مرتا فلما تعمدت في الكنيسة الارثوذكسية سميت كاترينا ومنحها لقب الملك سنة ١٧١٠ ثم لما طلق زوجتهُ الاولى اقترن بها علانية سنة ١٧١١ ومن ثم لم تعد تفارقهُ وكان ينسب اليها نجاتهُ من معركة بروث المذكورة آنفاً . ثم جعلها ولية لعهدهِ سنة ١٧٢٢ وفي ٧ مايو سنة ١٧٢٤ تُوّجت في كنيسة موسكو امبراطورة على روسيا ووضع على رأسها تاج فيهِ ٢٥٦٤ حجراً من الحجارة الكريمة وفي اعلاهُ ياقوتة قدر بيضة الحمامة وفوقهُ صليب من الماس

وتوفي بطرس الاكبر في ٢٨ فبراير سنة ١٧٢٥ وهو كهل في الثالثة والخمسين من عمرهِ وكانت الامبراطورة كاترينا تمرضهُ وبقيت معهُ الى آخر نسمة من حياتهِ واغمضت عينيهِ بعد موتهِ . ولا شبهة في انهُ كان من اعظم الملوك وانهُ هو الذي رقى روسيا وجعلها من الممالك العظيمة وبذل في ترقيتها كل قوى جسدهِ وعقلهِ ولم يضن عليها بنفسهِ وولدهِ

احكام انكليزية في العمولة والسمسرة

يراد بالعمولة او السمسرة اجرة العميل او السمسار او الدلال وكل مَن يتوسط بين البائع والشاري والمالك والمستأجر والدائن والمستدين وما اشبه . وليس لها عند الانكليز قانون للسمسرة اقرَّهُ البارلمنت ولكن عندهم احكام حكم بها القضاة او اقرَّها العرف والاستعمال ومدار الاحكام فيها اثبات ما نواهُ السمسار ومن استخدمهُ حين استخدامهِ لهُ والعمل بهِ

وقد تكون السمسرة جزءا كبيراً او صغيراً من المال المتعامل بهِ ويرجع فيها الى الشرط او الاتفاق الذي تم بين السمسار ومن استعملهُ واذا لم يكن بينهما شرط فالرجوع فيها الى العرف فيجوز مثلاً ان يقول مالك لسمسار اعطيك خمسة جنيهات اذا وجدت لي مشترياً يشتري بيتي بالف جنيه او يقول لهُ اعطيك كل ما يزيد من الثمن عن الف جنيه او اعطيك واحداً في المئة على الالف الاولى من ثمنهِ واثنين في المئة على كل ما يزيد من الثمن فوق الف جنيه . واما اذا قال لهُ فتش لي عن مشترٍ يشتري بيتي بالف جنيه فاعطيك ما يقابل اتعابك فلا حق للسمسار الأَّ بما يقابل اتعابهُ اذا وجد المشتري

والاتفاق بين السمسار ومستخدمهِ اما ان يكون شفاهاً او كتابةً . والاتفاق الكتابي يجب ان يحسب حاوياً كل شيء صريحاً فلا يجوز تأويلهُ ولا حسبانهُ ناقصاً

هذا ولما كان ذكر الاحكام ادلَّ على المراد من هذه القواعد المجردة نقتطف الاحكام التالية من كتاب ولسن في السمسرة

طلب تاجر من سمسار ان يستأجر لهُ سفينة بالفي جنيه ولم يشارطهُ على السمسرة ثم عرض عليهِ خمسين جنيهاً اي ٢½ في المئة فابي وطلب مئة جنيه اي ٥ في المئة ورفعت الدعوى الى القاضي الدرسنِ واجتمع المحلفون وسمعوا اقوال الخصمين واخيراً لخص القاضي وقائع الدعوى بالكلام الآتي

« المسألة ما هي الاجرة العادلة لسمسار استأجر سفينة لوسق البضاعة بالفي جنيه . دفع المستأجر لهُ ٢½ في المئة فقال المدعي ان السمسرة يجب ان تكون ٥ في المئة واتى بشهود كثيرين قالوا انهم يأخذون دائماً خمسة في المئة على استئجار السفن وقال المدعى عليهِ بل هي ٢½ في المئة واتى بشهود لتأييد قولهِ . وحبذا لو سُنَّ قانون صريح يعمل بهِ دائماً الا حيث يتفق الفريقان اتفاقاً خاصاً . فاذا كان ما سمعتموهُ قد اقنعكم ان السمسرة يجب ان

تكون ٥ في المئة فاحكموا للمدعي بخمسين جنيهاً اخرى وان كان قد اقنعكم انها يجب ان تكون ٢½ في المئة فاحكموا للمدَّعى عليهِ بسقوط دعوى المدعي واذا وجدتم ان المسألة لا تدخل تحت العرف وان المدعي يستحق اكثر من ٢½ في المئة فاحكموا لهُ بالزيادة

ورفعت دعوى مثل هذه الى القاضي لورد النبورو فحكم المحلفون ان السمسرة خمسة في المئة بناء على العرف

واذا وجد في الاتفاق شرط يخالف العرف وجب العمل بهِ مثال ذلك انهُ تم الاتفاق بين تاجر وعميلهِ على ان يعطيهُ التاجر خمسة في المئة على كل البضائع التي يبيعها لهُ وعلى كل « الطلبيات » التي يرضى بها التاجر ويرسلها . وادَّعى التاجر بعدئذٍ ان العرف يقضي بان لا تدفع العمولة اذا لم يدفع المشتري ثمن ما اشتراهُ . فصدر الحكم بوجوب اعطاء العمولة حسب نص الاتفاق سواء دفع المشتري ثمن ما اشتراهُ او لم يدفعهُ

واذا كان في العرف شيء غير جائز قانوناً لم يعمل بهِ مثال ذلك ان الذين يستلمون ما يشترى للجيش الانكليزي يزيدون الثمن ويأخذون الزيادة لانفسهم ويقال انها عادة متبعة دائماً . ورفعت دعوى من نوعها الى القضاء فقال القاضي انهُ يجب ابطال هذه العادة حالاً ولو كانت متبعة وحكم بان لا حق للمستلم ان يزيد الثمن

اذا لم يفوض رجل الى سمسار ان يعمل لهُ العمل الذي عملهُ فلا حق للسمسار ان يطالب بالسمسرة . مثال ذلك ان سمساراً ادَّعى انهُ عرَّف زيداً بعمرو وكانت نتيجة هذا التعارف ان اشترى عمرو من زيد بيتاً فادَّعى السمسار بالسمسرة ولكنهُ لم يقدم بينة على ان زيداً كلفهُ بايجاد من يشتري بيتهُ فحكم لورد وطسن ان لا حق للسمسار بطلب السمسرة الاَّ اذا كان البائع قد اتفق معهُ على ان يعرفهُ بزيد لكي يبيعهُ البيت

اذا عمل سمسار عملاً من غير ان يكلَّف بهِ شفاهاً او كتابة ثم وافق على العمل من عُمل لهُ اعتبرت الموافقة كأنها اتفاق سابق مع السمسار . مثالهُ اذا عرف سمسار اني أُريد ان ابيع بيتي ووجد لي مشترياً يشتريهِ واتاني بهِ فرضيت بذلك وبعتهُ البيت حقت السمسرة للسمسار كأني انتدبتهُ لبيع بيتي

واذا انتدب واحد سمساراً لعمل ثم تمَّ العمل ولكن ليس كما صار الاتفاق عليهِ اولاً مع السمسار فذلك لا يبطل حقهُ . فاذا انتدب سمساراً ليجد لهُ مشترياً يشتري بيتاً لهُ بالفي جنيه فيعطيهِ ٢½ في المئة من الثمن فوجد المشتري ولكنهُ لم يشترِ البيت بالفي جنيه بل باقل من ذلك حقت لهُ السمسرة على الثمن الذي اشتراهُ بهِ بمعدل ٢½ في المئة ولكن اذا انتدب

ليبيع لهُ خمسة آلاف متر من ارضهِ فوجد لهُ مشترياً لالف متر فقط ولم يشإِ المالك ان يبيعها وحدها فلا حق للسمسار بالسمسرة

وتستحق السمسرة حالما يتم عمل السمسار ما لم يكن الشرط بينهُ وبين من انتدبهُ مخالفاً لذلك او ما لم يكن العرف مخالفاً لذلك · فاذا حصل عميل على طلب بضاعة لتاجر من معمل وقبل صاحب المعمل الطلب حقت العمولة للعميل ولو اهمل صاحب المعمل ارسال البضاعة التي طُلبت منهُ

وكذلك تستحق السمسرة للسمسار اذا لم يتم العمل تعنتاً من الذي انتدبهُ او لخلل في ما انتدبهُ لهُ · مثال ذلك ان رجلاً كلَّف سمساراً ان يجد لهُ مَنْ يقرضهُ مبلغاً من المال ويرتهن ملكاً حرّاً لهُ · فوجد لهُ رجلاً مستعدّاً ان يقرضهُ المبلغ المطلوب ولكن هذا الرجل وجد ان الملك غير حر فلم يقبل بهِ رهناً وابى ان يقرض صاحبهُ وابى هذا دفع السمسرة ورفعت الدعوى الى القضاء فقال رئيس القضاة ان السمسار عمل كل ما يطلب منهُ هنا اذ قد طلب المالك منهُ ان يأتيهُ بمن يقرضهُ المال الذي طلبهُ على رهن مثل الرهن الذي وصفهُ لهُ ففعل فحقت لهُ الاجرة حسب الاتفاق والخلل من المالك لانهُ قال ان البيت حر

وحدثت حادثة اخرى شبيهة بهذه وهي كلَّف رجل سمساراً ان يجد لهُ من يقرضهُ ٢٠٠٠ جنيه ويرتهن بيتهُ واعطاهُ كتابة يقال فيها اذا وجدت لي الفي جنيه او اي مبلغ آخر ارضى بهِ فاني ادفع لك على المبلغ الذي اقبضهُ ½٢ في المئة سمسرة · فاتاهُ السمسار باناس عرضوا عليهِ ١٦٢٥ جنيهاً فقط فرضي بها ولكن الدائنين طلبوا منهُ ان يستخرج لهم صورة عقد المشترى فابى تخلصاً من دفع النفقات اللازمة لذلك فبطل الرهن وابى ان يدفع شيئاً للسمسار بناء على انهُ لم يقبض شيئاً · ورفعت الدعوى الى القضاء فقال القاضي برامول يحتمل ان غرض كاتبيَ الاتفاق ان المدَّعَى عليهِ لا يدفع للمدعي سمسرة الاَّ على النقود التي يستلمها فعلاً وانهُ حرٌّ ان يستلم النقود او لا يستلمها سواء كان عدم استلامهِ لها تعنتاً منهُ او لسبب صحيح · ويحتمل ان يكون المعنى ان السمسار لا تحق لهُ السمسرة اذا ابى الدائن ان يدفع المال · او ان يكون معنى قولهِ « المبلغ الذي اقبضهُ » المبلغ الذي ارضى بهِ · ويظهر لي ان مراد المستدين هو اذا وجدتَ لي من يدينني الفي جنيه دفعت لك السمسرة · ويحتمل ان يكون طالب الدين قد وضع كلمة « اقبضهُ » لكي يدل على انهُ لا يدفع سمسرة الاَّ على المبلغ الذي يقبضهُ فعلاً · اما انا فارى الاحكام في هذه المسألة وامثالها متجهة الى

اعطاء السمسار حقهُ من السمسرة اذا عمل العمل الذي كُلّف بهِ ولا يحرم منها اذا لم يتم العمل فعلاً لخطإٍ من الذي انتدبهُ

ومن هذا القبيل ان مالكاً كلَّف سمساراً بان يجد مشترياً لارضهِ فوجد المشتري ولكن المالك طلب ان يكتب في عقد البيع عبارة لم يرضَ محامي المشتري ان تكتب فيهِ فبطل البيع وابى المالك ان يدفع سمسرة ورفعت الدعوى الى القضاء فحكم القاضي ان السمسرة غير واجبة لان البيع لم يتم ولكن يحق للسمسار ان يأخذ اجرة عملهِ والاجرة هنا تساوي السمسرة

وطلب مالك من سمسار ان يجد مشترياً لبيتهِ فوجد لهُ المشتري المطلوب وتم الاتفاق على الثمن بينهُ وبين المالك في ١٦ يناير وطلب المشتري ان يستلم البيت في ١٥ مارس على الابعد فلم يقبل البائع ان يتعهد بتسليمهِ لهُ الاَّ بعد انتهاء الفصل في مدينة لندن فالغي البيع وطلب السمسار سمسرتهُ فابى المالك دفعها وحجتهُ ان البيع لم يتم وحجة السمسار ان المالك لبيت يجب ان يكون قادراً على تسليمهِ لمن يشتريهِ منهُ ولو بعد مدة كافية وحكم المحلفون لهُ بالسمسرة بناءً على ان المدة من ١٦ يناير الى ١٥ مارس كافية لتسليم البيت

ولا تحق السمسرة الاَّ اذا عرض مَن يأتي بهِ السمسار مبلغاً قبلهُ الطالب او هو منطبق على الشروط التي اشترطها. قال لورد اشر في احد احكامهِ ان السمسار لا يستحق السمسرة الاَّ اذا اتى بمشترٍ حقيقيٍ مستعد ان يرتبط بالمشترَى نعم اذا احضر مشترياً مثل هذا ولم يتم المشترى لخلل وجدهُ في ملكية ما يراد مشتراهُ او لانهُ وجد البائع غير راضٍ بالبيع حقت لهُ السمسرة ولو لم يتم البيع اما في هذه القضية فالشروط التي اشترطها المشتري اولاً لاتمام المشترى من حيث دفع الثمن والنفقات لم يقبل بها البائع ولا تنازل عنها المشتري وطالت بينهما المخابرة ولكنهما لم يتفقا ولم يرتبط المشتري بمشترى البيت ولذلك فالسمسار قد عجز عن اثبات حقهِ

وطلب بعضهم من سمسار ان يجد لهم من يسلفهم ١٢٠٠٠٠ جنيه لانشاء سكة حديدية فعرض عليهم ثلاثة مشروعات للحصول على المال المطلوب فلم يقبلوها ثم اخذوا المال بواسطة اخرى فطلب منهم السمسرة مدعياً ان عدم نجاحهِ كان منهم فكان الحكم انهم غير مكلفين بدفع السمسرة لهُ لانهُ لم يقم بما ندبوهُ لهُ حسب الاتفاق بينهم وبينهُ

واذا وقف العمل عند المخابرة لم تجب السمسرة مثال ذلك ان شركة من شركات السوكرتاه طلبت من بعض السماسرة ان يجدوا لها من يسلفها مبلغاً من المال على رهن ترهنهُ لهُ واعطتهم كتابة تقول فيها انها تعطيهم السمسرة اذا تمت السلفة بواسطتهم مباشرة او بواسطة تعريفهم باصحاب المال. فاحضروا لها اناساً يسلفون الاموال برهن ولكنهم ابوا ان

يسلفوا المال للشركة ثم حلّت تلك الشركة وطلب السماسرة سمسرتهم بناء على انهم فعلوا ما طُلب منهم · فقال القاضي شيتي في حكمهِ ان السماسرة لم يأخذوا من اصحاب المال سنداً اوعقداً يربطهم باتمام السلفة نعم ان الناس الذين احضروهم كانوا يريدون تسليف النقود وجرت المذاكرة بينهم وبين الشركة في الشروط المطلوبة ولكنهم لم يتفقوا عليها فبطل العمل. واحضار شخص مستعد ومريد لعمل من الاعمال لا يكفي بل يجب ان يبقى على ذلك الاستعداد وتلك الارادة الى ان يتم العمل · فلو اتى السماسرة بتعهد مكتتب من اصحاب الاموال انهم مستعدون لتقديم المال المطلوب ثم ظهر خلل في امتلاك الشركة للملك الذي تريد رهنهُ فعدلوا عن تسليف المال بسبب ذلك فالشركة مسؤولة بالسمسرة · اذا كان لزيد فرس واستخدم عمراً ليجد لهُ مشترياً فاتى بخالد فرأى الفرس وابى ان يشتريهُ لسبب او لغير سبب لم تحق السمسرة لعمرو على زيد ·ولا حق للسماسرة باتعاب تقدَّر لهم عن جزء عملوهُ من العمل لان هذا العمل واحد لا يتجزأ ولا يمكنهم ان يطالبوا بعطل وضرر بناء على ان الشركة اقامت العقبات في سبيل اتمام السلفة لان الشركة كانت تود اتمامها حتماً

ان العمل الذي يعملهُ السمسار يجب ان يكون مثل ما طلب منتدبهُ حتى يستحق السمسرة وان اختلف عنهُ يجب ان لا يكون الاختلاف جوهريًّا· مثال ذلك ان مالكاً طلب من سمسار ان يجد لهُ من يشتري منهُ ارضاً تصلح للبناء بثلاثة آلاف جنيه فاحضر لهُ رجلاً اتفق معهُ على ان يبني في الارض ويدفع لهُ ايجاراً لها ١٥٠ جنيهاً في السنة كأن ثمنها ٣٠٠٠ جنيه كما طلب والربا خمسة في المئة وذلك على ٩٩٩ سنة ولهُ الحق ان يدفع الثمن كلهُ قبل مضي عشرين سنة ويمتلك الارض· ولم يشإِ المالك ان يدفع السمسرة بناء على ان السمسار لم يجد من اشترى الارض منهُ فعلاً لكن احد القضاة قال ان ما حدث هنا هو كالمشترى تماماً· وقال آخر اذا لم نحكم على المدَّعى عليهِ في هذه الدعوى حدثت مشاكل كثيرة ولم تكد توجد حادثة واحدة يستحق السمسار فيها السمسرة . وعندي ان السمسار وجد مشترياً او من هو في حكمهِ فعلى المالك ان يدفع السمسرة

اراد رجل ان يبيع ملكاً بخمسة واربعين الف جنيه وكلّف سمساراً ان يجد لهُ مشترياً بهذا الثمن فوجد مشترياً دفع ٤٠٠٠٠ جنيه فقط ثم زادها الى ٤١٠٠٠ جنيه فقبل بها المالك ولكنهُ ابى دفع السمسرة مدَّعياً انهُ فوَّض السمسار بالبيع بخمسة واربعين الف جنيه لا بواحد واربعين الفاً· ورفعت الدعوى الى القضاء وحُكم فيها بوجوب دفع السمسرة · لكن كان يحق للمالك ان لا يبيع ملكهُ بواحد واربعين الفاً فلا يأخذ السمسار

حينئذٍ شيئاً . قال القاضي وطسن في حكم من احكامهِ « اذا اراد مالك ان يبيع ملكاً وطلب من سمسار ان يجد لهُ مشترياً وذكر لهُ الثمن الذي يرغب في البيع بهِ فقد استخدم ذلك السمسار بنوع عام حتى اذا باع الملك المشار اليهِ الى الشخص الذي احضرهُ لهُ حقت السمسرة ولو كان الثمن اقل مما عينهُ المالك حينما انتدبهُ لهذا العمل . وتحديد الثمن انما يمنع السمسار من البيع باقل منهُ اذا لم يرض المالك بالثمن الاقل . ولكن اذا كان الثمن الذي حُدد هو اساس تبنى عليهِ المساومة فالثمن الاخير الذي يرضى بهِ المالك هو المراد . واذا طلب مالك من سمسار ان يؤجر لهُ بيتهُ فقال لهُ السمسار هل تبيع البيت اذا وجدتُ لك مشترياً فاجاب نعم ابيعهُ ولكن بعشرة آلاف جنيه ولا اقبل ثمناً اقل من ذلك ولو غرشاً واحداً . فهنا سمسار مفوض بالبيع بثمن محدود اذا لم يأتِ بهِ لم تحق لهُ سمسرة في رأيي »

ولا ندري ما يكون حكم لورد وطسن ان احضر السمسار مشترياً بتسعة آلاف جنيه ورضي المالك ان يبيعهُ البيت بهذا الثمن افلا تحق لهُ السمسرة

ومن الاحكام المفيدة الحكم التالي وذلك ان مالكاً طلب من سمسار ان يجد لهُ مشترياً ويعطيهِ سمسرة ٢½ في المئة حينما يتم المشترى فاحضر لهُ مشترياً اتفق معهُ على الثمن وهو ١٨٥٠٠ جنيه ودفع عربوناً ٩٢٥ جنيهاً ثم دفع ٣٠٠٠ ثم دفع مبلغاً آخر حتى صار كل ما دفعهُ نحو ٧٠٠٠ جنيه وعجز عن دفع بقية الثمن وبطل البيع . وطلب السمسار سمسرتهُ عن الثمن كلهِ او عن المبلغ المدفوع منهُ على الاقل وابى المالك ورفعت الدعوى الى المحكمة فقال لورد لندسي ان السمسار لا يستحق السمسرة الاَّ اذا اثبت ان البيع تمَّ فعلاً او انهُ لم يتم لسبب من البائع اما هنا فالبيع لم يتم لعلة من المشتري وقد اعترف المشتري انهُ لم يعد قادراً على دفع بقية الثمن فلا لوم على البائع بل هو قد سهَّل الدفع على المشتري بتقسيط الثمن . وقد قال السمسار انهُ يفهم من التفويض ضمناً انهُ يستحق السمسرة على ما دفع من الثمن ولكن حيث يوجد نص صريح لا يعمد الى التأويل

وطلب رجل من سمسار ان يشتري لهُ ارضاً واعطاهُ تفويضاً يقال فيهِ اعطيك مئة جنيه سمسرة اذا وافق محاميَّ على عقد المشترى . وبعد المساومة في الثمن أُبطل الشراء فطالبهُ السمسار بالسمسرة فلم يحكم لهُ بها لانهُ لم يثبت انهُ قدَّم عقداً للمحامي لكي يوافق عليهِ وقيل في الحكم انهُ لو قدَّم عقداً للمحامي ورفض الموافقة عليهِ لسبب غير معقول لحقت لهُ السمسرة ايضاً

يزيد بن عبد الله التركي

جاءتنا نسخة من كتاب الولاة والقضاة الذين تولوا القطر المصري في الاربعة القرون الاولى وهو لابي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري المتوفى في اواسط القرن الرابع للهجرة وقد نقلنا عنهُ الفصل التالي وسنذكرهُ في باب التقاريظ

وليها يزيد بن عبد الله من قِبَل المنتصر وليّ عهد ابيهِ على صلاتها. قدمها يوم الاثنين لعشرٍ بقينَ من رجب سنة اثنتين واربعين ومائتين فجعل على شُرطهِ ابنهُ خالداً وجعل خالد عليها عليّ بن اسحاق المونسيّ ثمَّ ولّى على الشُرطه يحيي بن احمد بن عبد الله بن دينار فامر يزيد بن عبد الله حين قدمها [باخراج [1]] المؤنَّثين من مصر وضربهم ونفيهم و (ان) يُطاف بهم ومنع من النداء على الجنائز وضرّب فيهِ وامر بالخثارين فجُعلوا في الكُوَر وهو اوَّل من جعلهم (فيها) وامر يزيد بضرب رجلٍ من الجُند في شيء وجب عليهِ فضربهُ عشرةً فاستحلف يزيد بحقّ الحسن والحسين إلاَّ عفا عنهُ فزادهُ ثلاثين دِرّة. ورفع ذلك صاحب البريد الى المتوكّل فورد كتاب المتوكّل على يزيد بضرب ذلك الجُنديّ مائة سوط فضُربها وحمل الجنديّ الى العراق لثمان خلونَ من شوّال سنة ثلاث واربعين

وخرج يزيد بن عبد الله الى دمياط مرابطاً في المحرَّم سنة خمس واربعين ورجع الى الفُسطاط في ربيع الاول فلما كان بينها بلغهُ ان الروم نزلوا الفرَما فرجع في جيشهِ الى الفرَما فلم يلقهم

وامر يزيد في شوّال ببيع الخيل التي تُتخذ للسلطان وعطّل الرِهان فلم تجرِ الى سنة تسع واربعين. وتتبّع يزيد بن عبد الله الروافض فحملهم الى العراق وورد كتاب المتوكل بابتناء [2] المقياس الهاشميّ للنيل وبعزل النصارى عن قياسهِ فجعل يزيد عليها ابا الرَدّاد المعلم واجرى عليهِ سليمان ابن وهب صاحب الخراج سبعة دنانير وذلك في سنة سبع واربعين ومائتين

وظهر يزيد في شعبان سنة ثمان واربعين على رجل يقال لهُ محمد بن عليّ بن عليّ بن الحسين بن ابي طالب يُعرف بابي حدري [3] بُويع لهُ فبعث يزيد الى الموضع الذي كان فيهِ فاخذهُ فاقرّ واقرّ على جمع من الناس بايعوهُ فأُخذ بعضهم فضُربوا بالسياط ثمَّ أُخرج بالعلويّ

(1) هذه الزيادة عن الخطط (ج ١ ص ٣١٢) (٢) بالهامش بخط غير الناسخ : اي باتمام بنائهِ اذ من المقرر ان المأمون هو الذي أسسهُ ولم يتمهُ (٣) ما امكننا تحقيقهُ

هو وجمع من آل ابي طالب الى العراق في شهر رمضان سنة ثمان واربعين

وتوفي المتوكل ليلة الخميس لخمس خلونَ من شوَّال سنة سبع واربعين ومائتين وبويع محمد المنتصر وتوفي الفتح بن خاقان . واقرَّ المنتصر يزيد بن عبد الله عليها ثمَّ ورد كتاب المنتصر [بان لا يقبل علويّ [1] ضيعة [2]] ولا يركب فرساً ولا يسافر من الفسطاط الى طرف من اطرافها وان يمنعوا من اتخاذ العبيد الاَّ العبد الواحد وان كانت بينهُ وبين احد من الطالبيين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمهِ فيهِ ولم يطالب ببينة وكتب المنتصر الى العمال بذلك

وتوفي المنتصر في ربيع الاول سنة ثمان واربعين ومائتين

وبويع المستعين في ربيع الآخر وورد الكتاب الى مصر بذلك يوم السبت لست بقين من ربيع الآخر سنة ثمان واربعين . وورد كتاب المستعين الى يزيد بن عبد الله يأمرهُ (ان) يستسقي الناس لقحط كان بالعراق وكتب بذلك الى الآفاق فخرج الناس معهُ يوم الاربعاء لسبع عشرة خلت من ذي القعدة سنة ثمان واربعين فاستسقوا واستسقى اهل الآفاق في يوم واحد

واخرج يزيد ستَّة رجال من الطالبيين الى العراق في شهر رمضان سنة خمسين ومائتين ثمَّ اخرج بثمانية منهم في رجب سنة خمس وخمسين

وعزل المؤنسيّ عن الشرط في رجب سنة احدى وخمسين وولّى محمد بن إسبنديار [3] وخلع المستعين في المحرَّم سنة اثنتين وخمسين ومائتين وبويع المعتزّ لخمس خلونَ من المحرَّم وكان بيعتهُ بمصر يوم الاحد لثلاث خلونَ من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين

وخرج جابر بن الوليد المدْلجيّ من بني الهجيم بن عثوارة بن عمرو بن مُدْلج بارض الاسكندرية في ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين واجتمع اليهِ جمع كثير من بني مُدْلج الصلبية والموالي فبلغ ذلك والي الاسكندرية محمد ابن عبيد الله [4] بن يزيد بن مَزْيد الشيبانيّ فبعث اليهِ برجل من اصحابهِ يقال لهُ نصر الطحاوي وعقد لهُ على ثلاثمائة رجل فنزل الكرْيون وسأل [5] عن جابر واصحابهِ فأُخبر بانهم بارض صا فزحف اليهم فقاتلهم فهزمهم

(١) في الاصل ثلاث كلمات لا تقرأ ممحية بخط عوَّضنا عنها الذي في الخطط (ج ٢ ص ٣٣٩)

(٢) في الاصل : صعنة . واتبعنا الخطط

(٣) في الاصل هنا : محمد ابن اسبيدياد . وورد فيما يأتي اسبياياد واساياد فليراجع اسبنديار

(٤) في الاصل هنا : عبد الله . وفي الموضع الآخر الذي ذكر فيهِ : عبيد الله كما في الخطط

(٥) في الاصل : مال

جابر فرجع نصر الى جنبويه[١] فنزلها وأتاهم جابر اليها فحاربهم فهزمهم ايضاً وبعث نصر الى الاسكندرية يسأل المدد ففرض محمد بن عبيد الله فروضاً وبعث عليهم بُرد بن عبد الله وابو العوا وهو مقيم بالكِرْيَون فذهبوا جميعاً الى دِسُونِس[٢] فاتاهم جابر فقاتلهم قتالاً شديداً فانهزم نصر وبُرد وظفر جابر بعسكرهم وجميع ما فيهِ ورجع الفلّ الى الاسكندرية فتحصنوا بها وقوي امر جابر بن الوليد وأتاهُ الناس من كل ناحية وضوى اليهِ كل من يومي اليهِ بشدة ونجدة فكان ممَّن اتاهُ عبد الله المريسي وكان رجلاً خبيثاً ولحق بهِ جُرَيج النصرانيّ الحارس وكان من شرار النصارى ولحق بهِ ابو حرملة النوبي[٣] وكان رجلاً فاتكاً فعقد لهُ جابر على سنهور وسخا وشرقيون وبَنا فمضى ابو حرملة في جيش عظيم فضمّ هذه الاعمال واخرج منها العُمال وجبي خراجها ولحق بهِ عبد الله بن احمد بن محمد[٤] بن اسمعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب يقال لهُ ابن الارقط[٥] فقوَّدهُ ابو حرملة وضمّ اليهِ كثيراً من الاعراب ووجوه اصحابهِ وضمّ اليهِ (ابن) عسّامة المعافريّ وولاهُ بَنا وبوصير وسمنود وابو حرملة مقيم بشَرقيُون فبعث يزيد بن عبد الله بابي احمد محمد بن عبد الله الدبرانيّ في جمع كثير من الاتراك فنزل بدمسيس[٦] في جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين ومائتين

وبعث رجلاً من الترك يقال لهُ غُلبك ومعهُ محمد بن العبّاس بن مُسلم بن السراح[٧] فلقي عبد الله بن الأرقط فيما بين بوصير[٨] وبنا فقتل ابن الأرقط من اصحاب غُلبك نحواً من عشرين رجلاً وثبت غُلبك ومحمد ريش فقاتلاهُ فهزماهُ سلخ جمادى الآخرة وقتل من اصحاب ابن الارقط مقتلةً عظيمةً وأُسر منهم كثير فبعث الدبرانيّ بالاسرى والرؤوس الى الفُسطاط ومضى ابن الارقط الى شرقيون فلحق بابي حرملة ونزل الدبرانيّ مدينة بنا وترك عسكرهُ فيما بين بنا وسمنود واقبل ابو حرملة ومعهُ ابن الارقط قاصداً من شرقيون الى بنا وبعث ابو حرملة بكمين لهُ فهجموا على عسكر الدبرانيّ مع المغرب فحمل عليهم اصحاب

(١) في الاصل: بلا نقط · وجنبويه بالبحيرة مذكورة في التحفة السنية
(٢) في الاصل: بسونس وصححناهُ بالتخمين
(٣) في الخطط (ج ٢ ص ٣٢٩) ابو حرمله فرج النوبي فلعلهُ فرج الاسود الذي مر
(٤) في الاصل: محمود · وقد ظهر من عمدة الطالب (ص ٢٤٣) ان الصواب محمد · كما روي في الخطط (ج ٢ ص ٣٢٩) (٥) في الاصل: طباطبا · وهو غلط والارقط هو عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب في قول (ابن خلدون ج ٤ ص ١١٤) (٦) في الاصل: به مسيس واصلحناهُ بالتخمين (٧) هكذا في الاصل ولم نحققهُ فلعل صوابهُ السراج (٨) في الاصل ابو صير وليس بصواب

الدبراني فانهزم ابو حرملة ومن معهُ الى شرقيون ومضى الدبراني فنزل سندفا وضربها بالنار ونهب اهلها وانهزم ابو حرملة فيمن معهُ وتشاغل اصحاب الدبراني بالنهب فكرّ ابو حرملة فقتل ابا حامد الدبراني ورجع اصحاب الدبراني الى سندفا وبُعث من العراق[1] بمزاحم بن خاقان مُعيناً ليزيد بن عبد الله فقدمها في جيش كثير يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين فبعث برُسُل من اصحابهِ الى جابر بن الوليد يأمرهُ بالرجوع الى طاعة السلطان فاحتبس رسله اياماً ثمّ اجازهم[2] بجوائز عظيمة وردّهم وقدم واخذ[3] في كتابهِ ولم يجمع على امر واحد

ومضى الدبراني في طلب ابي حرملة لمستهل شعبان فالتقى مع ابي حرملة بسمنود فانهزم ابو حرملة وعاد الى شرقيُون ثم رجع الى سندفا واتاهُ الدبراني بسندفا فواقعهُ فتفرّق عن ابي حرملة اكثر اصحابهِ ولحقوا بجابر بن الوليد وبعث ابن عسّامة ابنهُ يطلب الامان فآمنهُ يزيد فقدم الفُسطاط ولبس السواد وبعث الدبراني برأس نصر بن حكيمة وبرأس اخيهِ وبرأس ابي هانئ وعاد الدبراني الى محاربة ابي حرملة فأسر ابو حرملة ثم أُدخل بهِ الفُسطاط وبجمع كثير من الأسرى في شهر رمضان في سنة اثنتين وخمسين ومائتين وواقع سلتق التركي بمن في صا وشباس[4] من اصحاب جابر فقتلهم ونفاهم عن تلك البلاد ثم استأمن عبد الله بن احمد بن الارقط العلوي وأُومن[5] في شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين ودخل الى مُزاحم فبعث بهِ مُزاحم الى عرق صاحب البُرد فكان عندهُ ثمّ امر مُزاحم باخراجهِ في جمع معهُ الى العراق فأُخرج بهم لمستهلّ ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين مع اخي مُزاحم فهرب عبد الله بن الارقط ورجع اخو مُزاحم لسبع خلونَ من ربيع الاول ثم ظفر بهِ بعد ذلك فحُبس ثمّ حمل بكتاب ورد على احمد بن طولون في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين وخرج (ابن) عزيز بالحوف فخرج اليهِ مُزاحم بن خاقان لمستهلّ ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين ثمّ ورد كتاب نصر[6] بصرف يزيد بن عبد الله عنها فكانت ولايتهُ عليها عشر سنين وسبعة اشهر وعشرة ايام وخرج يزيد عنها يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من شوال سنة خمس وخمسين ومائتين

---

(١) في الاصل : من العدول (٢) في الاصل : اجازوهم (٣) لعلهُ : وقدّم واخر

(٤) في الاصل بخط مبهم وكذا في الخطط (ج ١ ص ٧٣) في الكور بعد كورة صا

(٥) في الاصل : واوس (٦) لعل صوابهُ : المعتز

الغرض من الانذار الطبي

من الخطب النفيسة التي تليت في اليوم الاول من ايام المؤتمر الطبي الذي عقد في مدينة لندن خطبة للاستاذ شوفار الفرنسوي من اساتذة مدرسة باريس . ومما قالهُ في خطبتهِ ان المريض كان دائماً يسأل الطبيب سؤالين مهمين الاول هل اشفى من مرضي والثاني ما هو الدواء الذي يشفيني . ومنذ مئة سنة او نحوها جعل المرضى يهتمون بسؤال ثالث وهو ما هو الانذار في هذا المرض اي ما هي عواقبهُ التي يأول اليها . ويحق ان يكون لعصر ابقراط دائماً محل واسع في تاريخ الطب . ففي ذلك العصر لم يكن لدى الاطباء وسائط آلية للبحث والاستقصاء فكانوا يعتمدون على ما يرونهُ بعيونهم ويلمسونهُ بايديهم اي على المشاهدة والجس حتى قال ابقراط ان امهر الاطباء هو الذي يعرف ما يأول اليهِ حال المريض . وقولهُ هذا يصدق الآن كما كان يصدق في عصرهِ بل هو اصدق اليوم لزيادة المعارف الطبية

ثم ذكر كيف تقدَّم الاستقصاء والانذار وعدَّد اسماء الاطباء الذين كان لهم شأن كبير في تقدمها الى ان وصل الى كلود برنار الذي صار الطب في يدهِ نظراً في وظائف الاعضاء بعد ان ايفت او انقلبت عن حالتها الطبيعية . قال وقد علَّمنا كلود برنارد اننا لا نستطيع ان نعرف الحالة المرضية ونعير مجراها ونتائجها الاَّ اذا كنا عارفين بما سببتهُ من انحراف الوظائف . وما الآلات والاساليب التي وضعت في يد الطبيب لفحص المريض سوى طرق لفحص الافعال التي تجري في جسمهِ ومعرفة كونها صحيَّة او مرضية . وقد نتج عن ذلك ان صار الطبيب فسيولوجيًّا اي صار يبحث في وظائف الاعضاء بل صار بيولوجيًّا اي صار يبحث في وظائف اعضاء الجسم من حيث كونهُ جسماً حيًّا

هذا من حيث الانذار القريب اي ما يأول اليهِ المرض وحال المريض في المستقبل القريب . اما الانذار البعيد فمن الامور التي يهتم بها الاطباء الآن جزيل الاهتمام . ففي القرن الماضي كان الاطباء يعتقدون ان المرض عرَض مفارق فاذا شفي انتهى امرهُ . ولكن هذا خطأٌ وكل يوم نرى ادلة على ان للمرض فعلاً بعيداً كما لهُ فعل قريب مثال ذلك الحمَّى الروماتزمية (المفصلية) وعلاقتها بمرض القلب واول من انتبه لذلك جمس جنصن سنة ١٨١٨ ولكن لم تعرف اهميتهُ تماماً الاَّ منذ عهد قريب . اذا اصيب ولد بالحمى الروماتزمية فالانذار القريب حسن لان الاولاد يشفون من هذه الحمَّى دائماً تقريباً ولكن ليس كذلك

الانذار البعيد واول شيء يهتم بهِ الطبيب الآن هو هل اثَّرت هذه الحمى في القلب لانها توءثر فيهِ غالباً. والشفاء من الحمى نفسها موءكد في الغالب ولكن الطبيب ينظر الى بعيد ويخشى من تأثيرها في القلب ويحاول منع هذا التأثير ويصير اهتمامهُ بالمستقبل اشد من اهتمامهِ بالحاضر

واذا انتقلنا من الامراض الحادَّة الى الامراض المزمنة صار الاهتمام بالانذار البعيد اعظم شأناً لكثرة العواقب الوخيمة الناتجة عنها حتى لقد صار الاطباء ينظرون الى بعض الآفات العادية كنتائج بعيدة من ادواء سابقة . وفي بعض الامراض مثل السل والسفلس قد يشفى المريض ولكن ما من طبيب يستطيع ان يوءكد ان المرض الذي شفاهُ منهُ لا تكون لهُ عواقب سيئة بعد سنة او سنين ولذلك فحياة الانسان من حيث الصحة والمرض غير موءلفة من ايام صحة وايام مرض منفصلة بعضها عن بعض بل هي سلسلة واحدة متصلة ولو اختلفت حلقاتها وعلى الطبيب ان يتبيَّن هذا الاتصال ويعرف مواقع الخلل وعللهُ ويتتبعها ومن ثم يعرف ما سماهُ القدماء بالمزاج ويبنيهِ على اسس علمية

واستطرد الاستاذ شوفار الى تأثير امراض الانسان في نسلهِ وهو الانذار الابعد واثنى على السر فرنسيس غلتن الذي وضع علم اصلاح النسل واشار الى الذين يحملون ميكروبات الامراض ولا يُضَرون بها بل يضرون الذين يتصلون بهم وقال ان لا بد من ان تتخذ الوسائل الفعالة لوقاية الشعب منهم . فالانذار الطبي الذي يحاول الطبيب معرفتهُ من فحص المريض يتصل الى مستقبل المريض وعائلتهِ وشعبهِ والى العالم اجمع

ثم التفت الى امر آخر وهو تأثير علم الطب في الانذار اي تغيير مجرى الامراض وجعلها تنتهي بالشفاء بعد ان كانت نهايتها الموت دائماً او غالباً فابان ان علم الطب غيَّر الانذار في كل الامراض فقلل وفياتها وضعف نتائجها . ومما فعلهُ حديثاً من هذا القبيل اكتشافهُ دواء يشفي من مرض النوم الذي كان يحسب داء عقاماً لا شفاء لهُ وهذا الدواء هو الاتوكسيل Otoxyl الذي اكتشفهُ الدكتور لويس مارتن من اطباء باريس ودواء يشفي من الدوسنطاريا الاستوائية اكتشفهُ الدكتور ليونارد رجرس من اطباء كلكتا وهو الاميتين Emetine

ثم قال لكن الانذار الطبي لا يسير دائماً حسب ما يعلم عنهُ اي ان العمل لا يوافق النظر دائماً لان فيهِ امراً مجهولاً وهو تأثُّر اعصاب المريض بمسببات المرض فان هذا التأثر يختلف باختلاف الاشخاص ولا يمكن ان توضع لهُ قاعدة مضطردة

وجملة القول ان الانذار الطبي تقدم كثيراً بتقدم العلوم الطبية وبتقدم سائر العلوم والفنون المتعلقة بها وان مداهُ اتسع جدًّا ولكن الطبيب لا يستطيع ان يجزم بهِ جزماً تامًّا

غرائب العادات

اديان الملاناز يين وشعائرهم

ذكرنا في بعض الاجزاء الماضية طرفاً صالحاً من عادات هؤلاء الاقوام وقد بقي ان نذكر شيئاً عن اديانهم فنقول

ثبت للذين اقاموا بينهم زماناً طويلاً وبحثوا في عاداتهم وشعائرهم انهم لا يعتقدون بوجود إله فرد صمد بل يعتقدون بوجود ارواح او قوى غير منظورة تفعل بالموجودات المنظورة خيراً كان او شرًّا . ويعتقدون ايضاً ان للناس نفوساً تخرج منهم في نومهم وتعود اليهم في يقظتهم ثم تخرج منهم بتاتاً متى ماتوا وتبقى في الارض تؤثر في الاحياء

ويعتقدون ايضاً بوجود قوة فوق الطبيعة تظهر بالقوى الطبيعية او بما يفوق بهِ بعض الناس غيرهم يسمونها مانا وبها يحدث كل ما يفوق طاقة الانسان العادية . وهذه القوة او المانا موجودة في الهواء وتتصل بالناس ولا ترى الاَّ بافعالها . وما من روح الاَّ وفيها شيء منها وقد توجد ايضاً في بعض النفوس

وعندهم انهُ اذا فاز انسان في الحرب ففوزهُ ليس ناتجاً من قوتهِ الطبيعية بل من ان مانا روح من الارواح او مانا احد الابطال الاموات ايدتهُ حتى فاز على خصومهِ وقد نال تأييدها بعوذة كانت حول عنقهِ او ضمة اوراق كانت في منطقتهِ او سن كانت معلقة في سية قوسهِ او بعبارة نطق بها . واذا مات رجل فيهِ هذه المانا بقيت في نفسهِ وزادت قوتها وسهلت عليها الحركة والانتقال من مكان الى آخر

الاَّ ان المانا لا تنحصر في الارواح والنفوس والاشخاص بل قد تكون في الحيوانات والنباتات والجمادات ايضاً فاذا رأى انسان حجراً غريب الشكل يخالف الحجارة التي رآها قبلاً قال ان فيهِ مانا فيدفنهُ في الارض التي يزرعها او يضعهُ عند جذور شجرة من الاشجار التي يرى مشابهة بين شكلهِ وشكل ثمرها فاذا اخصب زرعهُ او كثر جنى شجرتهِ ثبت لهُ انهُ كان مصيباً في ظنهِ اي ان ذلك الحجر فيهِ مانا . بل ان المانا توجد في بعض الكلمات ولذلك يكون لها قوة سحرية فعَّالة

ومصدر المانا الاصلي الارواح ولكن الارواح تتخلى عنها فتنتقل الى النفوس والاشخاص والحيوانات والنباتات والجمادات تنتقل من الواحد منها الى غيرهِ . ومانا الانسان تنتقل اليهِ

من الروح او من نفس احد الابطال الذين ماتوا ومانا الحجر تنتقل منهُ الى حجر آخر

وليس للمانا خاصة ذاتية بها ولكنها تفعل بواسطة ذاتية غيرها فمانا الحجر متصلة بالروح التي في الحجر ومانا عظم الانسان متصلة بنفسهِ المتصلة بالعظم ومانا الكلمة الملفوظة متصلة بالروح او النفس التي تستدعيها تلك الكلمة. وفلاح الانسان في اعمالهِ انما يكون بواسطة المانا التي فيهِ وسلطتهُ على قومهِ تقوم بتأثير ماناهُ فيهم فهي التي تسوّدهُ عليهم ولذلك تراهم يبذلون جهدهم للحصول على المانا . وكل ما يمارسونهُ من الشعائر الدينية بل كل اعمالهم الدينية انما الغرض منها الحصول على المانا او على ارشادها

وينقسم هؤلاء الاقوام من حيث اديانهم الى قسمين كبيرين الواحد تتجه عبادتهُ الى نفوس الاموات مع اعتقادهِ بالارواح . والثاني تتجه عبادتهُ الى الارواح مع اعتقادهِ بوجود النفوس . اي ان الاول يهتم بالنفوس اكثر من الارواح والثاني بالارواح اكثر من النفوس . ويظهر الفرق بين الفريقين جليًّا في ان الفريق الذي يقدم تقدماتهِ للنفوس يحرق بعضها ويأكل البعض الآخر واما الذي يقدم تقدماتهِ للارواح فلا يحرقها قبلما يأكلها

وكل هؤلاء الاقوام يطلبون من النفوس والارواح بعبارات يكررونها ولا يعرفها الاَّ كهنتهم او الممتازون منهم وعندهم ايضاً طلبات عامَّة يطلبونها وقت الاستغاثة . والضحايا التي يضحونها بعضها للافتداء كأن يضحوا حيوانًا فدية عن صاحبهِ وبعضها للتوسُّل كأن يتوسلوا الى الروح او النفس لكي تصرف عنهم مكروهاً وبعضها للاستعانة كأن يستعينوا بها لنيل امر مرغوب فيهِ وبعضها لمجرد الاحترام

وليس عندهم كهنة مختصون باقامة شعائر الدين بل كل انسان يستطيع ان يعبد ما يراهُ اهلاً للعبادة وكل احد يعبد معبوداً ما هو كاهن لذلك المعبود يقدم لهُ المحرقات والقرابين . فرئيس القبيلة الذي يقوم بالفرائض الدينية لا يقوم بها لانهُ رئيس القبيلة بل لان قيامهُ بها جعلهُ رئيساً للقبيلة . والنساء والاولاد محرومون من القيام بالفرائض الدينية

وابسط ما تقوم بهِ عبادة النفوس ان يطرح لميت قليل من اليام (وهو جذر نبات يؤْكل كالبطاطا الحلوة) او غيرهِ من الطعام او يصبّ لهُ قليل من شراب الكاڤا اذا كان الناس يشربونهُ حاسبين ان ما يطرحونهُ لهُ هو نصيبهُ من طعامهم فيترضونهُ بهِ . وقد تفرَّع من ذلك وضع الطعام في المقابر او امام تمثال الميت وهذا الطعام لا يحرق بل يترك مدة وجيزة ثم يؤْكل ولكن اهالي جزائر سليمان يحرقونهُ قليلاً ثم يأكلونهُ

واذا اريد ان تعمل القبيلة عملاً كبيراً كأن تشن الغارة على قبيلة اخرى او تشتبك

في حرب مع غيرها فالشعائر التي تقوم بها ليست على ما تقدم من البساطة مثالهُ ان اهالي جزيرة سان كرستوفال من جزائر سليمان اقدموا على امر مثل هذا فقرّبوا ذبائحهم الى نفس رجل اسمهُ هرومي توفي منذ عهد قديم ولا يتذكرهُ الاّ بعض شيوخهم وهم يعتقدون ان نفسهُ جبَّارة في الحرب مع ان الذي يروونهُ عنهُ يدلُّ على انهُ كان كريمًا وفيهِ مانا ولكنهُ لم يكن من رجال الحرب

ومعبد هرومي بيت صغير في القرية فيهِ آثارهُ فيجتمع فيهِ كل رجال القرية ويخنقون خنزيراً ويضعونهُ في قصعة لكي لا ينصبَّ شيءٌ من دمهِ على الارض ثم يقطعونهُ ويأتي المضحي الاكبر ويتناول قطعة من لحمهِ ويغرف بعض الدم بقشرة من جوز النارجيل ويدخل المعبد ويغسل يديهِ اولاً وينادي يا هرومي رب القتال نضحي لك هذا الخنزير لكي تساعدنا على الايقاع باعدائنا . وكل ما نغنمهُ فهو لك ونحن نكون لك ايضاً . ثم يضع قطعة اللحم على حجر ويحرقها ويصب عليها الدم فتزيد النار احتداماً ويمتلئُ المعبد من رائحة المحرقة دلالة على ان نفس هرومي سمعت الدعاء واستجابت ثم تؤكل بقية اللحم

هذا من حيث العبادة العمومية اما العبادة الخصوصية فيلجأ اليها كل من يريد ان يقتل خصمًا او يذهب الى الحرب فيستعين بنفس حجر او شجرة او نجم ويقدم لها شيئًا من الطعام الذي تحبهُ ويطلب عونها قبلما يُقدم على شيءٍ

والتوسل الى النفوس لا يكون دائمًا بالضحايا والتقادُم بل قد يكون بمجرد الدعاء كما اذا اراد احدهم ان يسرع بهِ قاربهُ او ان ينجو من الغرق او ان يشفى من مرض او ان يوفَّق في الصيد او ان يجود زرعهُ . واذا لبَّت النفس طلبهُ حمدها على ذلك بكل جوارحهِ

الاَّ ان النفوس التي تستدعى ويلتجأ اليها انما هي نفوس الناس الذين كان فيهم مانا اما الذين لم يكن فيهم مانا فهم لا شيء ويتلاشون حالما يموتون . والرجل صاحب المانيا تصير نفسهُ بعد موتهِ اقوى مما كانت في حياتهِ

اما الارواح فلم تكن بشراً كالنفوس وليس لها معابد مبنية تعبد فيها ولا صور تمثَّل بها ولكن معابدها طبيعية ويستدلُّ عليها بالحجارة ذات الاشكال النادرة . وبعض هذه الحجارة كُرّس لارواح مخصوصة منذ ازمان طويلة . والغالب ان طريقة التقرُّب من حجر من هذه الحجارة لا يعرفها الاَّ رجل واحد وهي موروثة من الاب الى ولدهِ وكل من يريد ان يستعين بتلك الروح او يسترضيها او يتقرَّب منها ويجب عليهِ ان يفعل ذلك بواسطة الرجل المختص بالتقرب منها فيهدي اليهِ هدية من الخنازير او الحصر او النقود الوطنية او

نحو ذلك فيأخذها ويقدمها للروح اي يضعها على الحجر المقدس ويتوسل الى الروح ولكنهُ لا يعطي الروح كل ما اخذهُ بل يبقي النصيب الاكبر لنفسهِ

ولا صحة لما قيل من ان هؤُلاء الاقوام يعبدون الاصنام فان الذين رأوهم اولاً من المبشرين والبحارة رأوا عندهم تماثيل ومنقوشات ورأوهم يقربون القرابين لها فحسبوا انها اصنام وانهم يعبدونها مع انهم يقربون قرابينهم ويضحون ضحاياهم للنفوس والارواح لا غير واما التماثيل والمنقوشات التي عندهم فلا شأن لها الاَّ من حيث انها تذكرهم بالنفس او الروح الحالَّة فيها او المتصلة بها

وسكان غينيا الجديدة يمتازون عن الاقوام المتقدم ذكرهم بان النفوس والارواح التي يعبدونها او يترضونها لدفع اذاها شريرة كلها او اكثرها ولكنهم لا يميزون نفوس الرجال العظام عن غيرها

ويعتقد الكويتا بوجود ارواح شريرة في اماكن مخصوصة فعلها خاص بالاماكن التي هي فيها فاذا اصيب فريق منهم بالمرض او الموتان وهم نازلون في بقعة من الارض او اذا اصابتهم فيها الحشرات فآذتهم قالوا ان ما اصابهم انما اصابهم من روح شريرة في تلك البقعة وعدلوا عن النزول فيها في المستقبل . وكثيراً ما يعلقون الارواح بينابيع المياه فيقولون انها تسكن السراطين التي يجدونها فيها او بالادغال ويقولون انها تسكن الافاعي التي فيها واذا رأوا حية في بئر قالوا انها هي الروح التي تجعل الماء يخرج منها واذا قتلت نضب ماء البئر . وعلى مقربة من بورت مور اكمة شكلها غريب فيقولون ان الارواح تسكنها ولا يدنون منها ويختارون نبابيتهم ورماحهم مماَّ ينبت قريباً منها معتقدين انها تكون اقوى من غيرها على ايذاء الاعداء . واذا اصطاد احدهم حيواناً قرب هذه التلة حذر لئلاَّ ينصبَّ شيءٌ من دمهِ على ترابها واذا انصبَّ جفف التراب الملوث بالدم ورماهُ في النهر والاَّ فكل من يأكل من ذلك الحيوان يصاب باذًى . ويلفون ورقة شجر كبيرة في شكل قمع مخروطي يستقون بها ليشربوا فاذا كان في البئر روح خرقوا هذا القمع حتى ينصب منهُ جانب من الماء قبلما يشربونهُ فتذهب الروح مع الماء المصبوب والاَّ دخلت جوفهم ونفختهم واماتتهم

ويعتقدون ان الروح تختطف نفس الانسان احياناً فاذا أُصيب احدهم بحمًّى وبرداء او اذا اغمي عليه قالوا ان الروح اختطفت نفسهُ وحاولوا استرجاعها وذلك بان يربطوا الى طرف قناة طويلة بعض الحلي الثمينة ويذهبوا بها الى المكان الذي أُغمي فيهِ على ذلك الرجل او أُصيب فيهِ بالحمى وفقد شعورهُ ومعهم القنا واناءٌ فيهِ عيدان مشتعلة فيضعون الاناء على

الارض ويقفون حولهُ ومع كل واحد منهم حجر حتى اذا سمعوا صوت العيدان وهي تحترق رشقوها بالحجارة ثم يعودون بالقنا الى القرية والحلي معلقة فيهِ و يعلقونها فوق المريض وهم يعتقدون ان الروح التي اختطفت نفس الرجل تختار نفس الحلي بدلاً منها وترد نفس الرجل فتدخل الحلي حتى اذا علّقت فوقهُ عادت اليهِ فيشفى واذا لم يشفَ استدلوا على ان نفسهُ لم تُرَدّ. واذا نام احدهم فارقتهُ نفسهُ واذا استيقظ عادت اليهِ واذا عطس انسان قالوا ان نفسهُ كانت قد فارقتهُ فعادت اليهِ واذا مرّت عليهِ ايام لم يعطس قالوا ان ذلك علامة رديئة . واذا مات انسان ذهبت نفسهُ الى جبل سكنت فيهِ كما كان الانسان ساكناً في قريتهِ . وللنفوس هناك بيوت و بساتين ونساء . واذا لم تخرق وترة انف رجل في حياتهِ وجب ان تخرق حالما يموت والاَّ اضطرت نفسهُ ان تضع في انفها حيواناً كالافعى . وحالما تصل النفس الى وطنها الجبلي تعود ومعها نفوس اخرى لتنقل نفوس امتعتهِ التي يود ان تكون معهُ . ولا تؤذي نفسهُ نفس احد من اقاربهِ ما لم يكن ذلك القريب قد اذاهُ في حياتهِ او خالف عادة من عادات القبيلة . وتتردد النفوس على بيوت اصحابها بعد موتهم ولهذا يهجر بيت الميت . والاولاد الذين يلعبون قرب بيت مهجور يمرضون والطعام الموضوع في بيت مات فيهِ احد يمرض من يأكلهُ من غير اعضاء عائلة الميت

اما شعب الرورو والميكو فيحسنون الظن بنفوس الموتى و يودون رجوعها الى قراهم ويقولون انها اذا هجرت القرى تولاها النحس فيتوسلون اليها لترجع ولكن هذه النفوس تعاقب من يغيظها

وسكان جبال المغولو بغينيا الجديدة يعتقدون ان نفوس الشبان والكهول تبقى على الارض وهي الانوار التي ترى احياناً على الارض وفي الادغال الكثيفة التي تخترقها اشعة الشمس ولا يأكلون الفطر على الاطلاق . وقد تعود هذه النفوس الى القرى ليلاً طلباً للطعام فيسد السكان كل خرق في بيوتهم خوفاً من دخول النفوس منها ولما رأوا المرسلين ينامون فاتحين كوى بيوتهم عجبوا من جرأتهم على ذلك . وعندهم ان كل مكان غير مألوف هو مسكن للنفوس وكذلك بعض الاشجار والانجم والمتعرشات . واذا وصلوا الى مكان مسكون بالنفوس وكانوا يتكلمون صمتوا كلهم الى ان يجتازوهُ ويستعد كل منهم لذلك بشيءٍ من العشب يقطعهُ قبل ذلك و يربطهُ ويرميهِ هناك لكي تلتهي النفوس بهِ

وهذه العقائد كانت متمكنة من السكان قبلما تنتصروا او قبلما دخل المرسلون بلادهم واختلطوا بالاوربيين . اما الآن فقلّت كثيراً وكادت تزول من بعض الاماكن



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

مستقبل مصر والدفاع عنها

سيدي محرر المقتطف

سرّني كثيراً الاطلاع في العدد الماضي على جوابكم في هذا الموضوع لأني بالرغم عن مخالفتي لكم في بعض ما ذكرتم أرى ان ردّكم الممتلئ حكمةً المبني على اطلاعٍ وتفكيرٍ حريٌّ بفخر كل غيور على ترقية تحرير الصحافة العربية

واني اسألكم التفضُّل بنشر ملاحظاتي الآتية والاجابة عليها خدمة للمصلحة العامة والوطنية المصرية التي عُرفت مجلتكم العظيمة بخدمتها من وجوه كثيرة

اعترفتم بان القطر المصري ليس يأمن من كل غارة وانهُ من الجائز ان تحاول احدى الدول اجتياحهُ لكي تُخرج طريق الهند من يد الانكليز وتكون النتيجة انتقالهُ من كنف دولة الى كنف دولة اخرى

وهذا يدفعني لسؤالكم عما اذا كان من الصواب ازاء هذا ان يجمد المصريون (وفيهم الوطني المتطرف والوطني المعتدل وكلاهما يطالب باستقلال بلدهِ وردّ دستور سنة ١٨٨٢ ، كما ان فيهم مَنْ اذا اعتبر الاحتلال الانكليزي مصيبة على مصر فهو في نظرهِ اخف من غيرهِ ، ومَن اذا اعتبرهُ نعمة كاملة وهو الفريق الجاهل قيمة الحرية الوطنية فهو لا يحب زوالها)

أقول أيحسن بالمصريين وهم على هذه الحالة ان يجمدوا عن التفكير في موضوع الدفاع عن بلادهم في الوقت الذي تقول مثل صحيفة « التيمس » عند تعليقها على تقرير اللورد كتشنر انهُ آن للمصريين ان لا يتنصلوا من الدفاع عن بلادهم المهدَّدة لمركزها الجغرافي اكثر من غيرها بالغارة الاجنبية اذا كانوا يريدون ان يحفظوا لهم مركزاً بين امم العالم

هذا التنبيه وحدهُ من مثل جريدة «التيمس» كافٍ لتحريك البحث في هذا الموضوع. ولا أظن انهُ يوجد واحد بين من يحثوا فيهِ طالبَ الفلاح الغارق في جهلهِ ودَينهِ وهموم معاشهِ ان يترك شؤونهُ الحيوية ويقول لنا رأيهُ فيهِ لان مثل هذا الطلب ظلم وارهاق لهُ. الفلاح الجاهل لا نسألهُ اكثر مما اذا كان يقدر على دفع ضريبة اكثر مما يدفعهُ الآن ام لا. وليس في اقتدارهِ ان يجيبنا أو يفهم كلمة عن دفاع وطني او اجنبي اذا كان هو غير قادر مع الاسف الوافر ان يفهم ما يُقال لهُ من النصائح الاصلاحية الحديثة في شؤون حرفتهِ ذاتها

وانما المسئول عن ضمان المصالح الوطنية في كل مشكلة سياسية وغير سياسية هو الفريق المتعلم في الامة وان كان اقلية صغرى. فكون الفلاَّح المصري غير مهتم بهذا الموضوع كعدم اهتمامهِ بشؤون كثيرة لا يدفعنا لان نقول للاقلية المتعلمة — المسئولة عن سهرها على المصلحة الوطنية امام امة الغد — قلدوا هذا الفلاح الجاهل الذي لا تفترق اغلب احوالهِ عن احوال البهائم لانهُ ادرى منكم انتم المتعلمين الذين درستم التاريخ والسياسة والاقتصاد والفنون والعلوم بسلامة الوطن والمصلحة العامة، وكون الامر في الدفاع عن مصر موكولاً لغيرنا لا يستلزم من رجال الصحافة المصرية وكل مَن يسمح لهُ وقتهُ من المتعلمين للاشتغال بالسياسة ان لا يبذلوا وسعهم نجحوا ام لم ينجحوا في اشراك الاهالي الوطنيين في البتّ في الموضوع وليس مما يدعوهم لاغفال تنبيه الرأي العام المتنور الى مزايا الدفاع الوطني وتأثيرهِ على مستقبل المسألة المصرية والى مضار استمرار الدفاع الاجنبي عن بلادنا. ويكون من الظلم انتقاد مَن يبحث في ذلك الآن بعد تنبيه «التيمس» لاننا اعتدنا ان تكون هذه التنبيهات مقدَّمة لترويج مشروعات الانكليز السياسية فيخلق باهل السياسة المصريين ان لا يتركوا الوقت يمرُّ دون درس الموضوع والدفاع عن مصالحنا مقدماً اتقاءً لمفاجأةٍ بمشروع حربي لا يُخدَم بهِ مبدأ «مصر للمصريين». وليس المهم ان ننجح في دفاعنا وانما المهم ان نعمل الواجب علينا نحو انفسنا وان لا نقبل الاذى بغير دفاع. على اني واثق من انَّ كل حركة وطنية في مصر مهما اظهر العمال الانكليز عدم اكتراث بها لها هنا تأثيرٌ غير قليل في صالح المسألة المصرية بشرط ان تكون تلك الحركة داخلة في دائرة القانون. ويظهر لي من كل ما قرأتهُ في «المؤيد» في موضوع الدفاع الوطني عن مصر انهُ غير مبني على اساس وطني بحت لان الخلاصة الاجمالية لما يقولونهُ هي انهُ اذا كانت انكلترا لا يمكنها ان تترك مصر ما دام قنال السويس غير مضمون لها واذا كان لا مفرَّ في المستقبل القريب من مطالبتها المصريين بالمساعدة المالية لاجل الدفاع عن مصر والادلة على ذلك كثيرة فلماذا لا نطالب بانفاق ما سيُطلب منا انفاقهُ على

انشاء اسطول مصري تدريجيًّا وكذلك ترقية الجيش المصري وزيادتهِ وتحسين حالة الضباط المصريين فتربح مصر من وراء ذلك فائدتين : الفائدة الاولى انها تضع بذلك حجراً من اساس استقلالها بصورة دائمة وثانيًا انها تقصّر اجل الاحتلال وذلك ان من رأي اولئك الكاتبين انهُ ينبغي ان يُعطى لانكلترا الضمانات الكافية من المصريين على صيانتهم قنال السويس لها وان يتحالفوا معها فتكفل انكلترا استقلال مصر وتكفل مصر المعتزة حينئذٍ بجيشها واسطولها صيانة المصالح الانكليزية والدفاع عن طريق الهند جنبًا لجنب مع الانكليز وعلى هذا لا يكون من صالح المسألة المصرية قولكم : « والمرجَّح عندنا ان الحكومة الانكليزية ستهتم بحمايتهِ — اي القطر المصري — دفعاً لذلك واذا استعانت بخزينتهِ من هذا السبيل فلا جناح عليها لانهُ استفاد منها فوائد مالية وادبية لا تنكر » وكان يخلق بمثلكم ان لا ينسى ايضًا ان الانكليز استفادوا من احتلالهم لمصر فوائد لا تحصى وان اصلاحهم الاقتصادي لمصر لم يُحَطْ بالضمانات التي تكفل للفلاح المصري التمتع اكثر من الشركات الاجنبية بمزايا ذلك الاصلاح . قلتم : « وقد صرَّح الانكليز الآن انهم لا ينوون الخروج منهُ وما داموا فيهِ فهم مكلَّفون بالدفاع عنهُ » وهو كلامٌ حق ولكن كان يحسن بكم ان تعدلوا فتزيدوا عليهِ انهُ ينبغي لهم على قاعدة المصلحة المشتركة ان ينفقوا من جيوبهم على ما يريدون زيادتهُ في قوة الدفاع ويكفينا ما ننفقهُ الآن من جيوبنا على جيش الاحتلال وعلى الجيش المصري في السودان التي لم يعطَ لنا منها غير النصف (لو صحَّ ذلك ايضاً) وما سننفقهُ على عمارة النسَّافات في الاسكندرية او ان تروّجوا آراء القائلين بالدفاع الوطني

ولقد اوهشني وانتم سيّد العارفين بقيمة الاستقلال الوطني (حتى ولو كانت الدولة المحتلة اعدل واصلح امم الارض) ان تذكروا كلاماً مشجّعاً على الجمود السياسي مُيئسًا للراجين في يوم استقلالٍ غير بعيدٍ لهذه الامة التي كان لها في سابق الزمن شأنٌ يذكر من الحضارة والقوة . وليس من الصواب ان تقولوا (ولا نميل الى اقلاق السكان وحملهم على التفكير في الدفاع عن وطنهم مخافة ان تجتاحهُ دولة اجنبية فقد كان لهذا القطر من العدد والعُدد في التل الكبير ما لا يأمل ان يكون لهُ اكثر منهُ الآن ومع ذلك لم يستطع الوقوف امام خصمهِ) ولا يمكنني ان اتصور ان مثلكم يخفى عليهِ كيف وقعت واقعة التل الكبير او يقول غير مازحٍ ان حالة الجيش المصري الآن في نظامهِ ومهماتهِ ليست احسن من قبل بكثير او انهُ ليس في الاستطاعة ان نؤلف في المستقبل القريب اذا دعت المصلحة جيشاً وطنيًا مؤلفًا من نصف مليون جندي وقت السلم

هذه الملاحظات التي اذكرها لكم باختصار كلي وما كنت أعنى بذكرها لولا صورة ردكم السابق وحسن ظني بكم بقولها رجل يعتبره هنا كثيرون من زملائهِ المصريين من اهل الجمود السياسي لاني اعتقد (ولا اظن اني سأتحول في المستقبل عن اعتقادي) ان خير ما تخدم بهِ الامة المصرية لاجل بلوغها درجة الحكم الذاتي التي يحنُّ اليها كل مصري متنوّر انما هو تكوينها علميًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا على اساس وطني مأمون. لذلك قلتُ ان الوطنية المصرية مدينة لمجلتكم بخدم كثيرة كما تدين لها بذلك بقية الامم العربية المنتشرة فيها مجلة المقتطف

لتعتقد يا سيدي الفاضل اني لست مَن يجهل ما كان عليهِ القطر المصري من السيئات والحسنات قبل الاحتلال كما اني لا اجهل ما ادخلهُ الانكليز في مصر من الاصلاحات العديدة، ولتثق باني أُعجب بالعقل الانكليزي وبالحضارة والحرية الانكليزية بما لا يقل عن اعجابكم، ولتتأكد كذلك من اني لست من اهل الاحزاب ولا ممن ينادون في الشوارع بقولهم «ليحيَ الدستور» ولكني مصريٌّ متعلم لا ينسى مهما قال ان الاصلاح الاجتماعي هو أَولى بمعظم عنايتنا انهُ من الخطإِ الفاحش اغفال الجهاد السياسي، واري انهُ واجب عليَّ مهما لاحظتُ من العقبات الهائلة في سبيل استقلال بلادي ان ابذل ما في وسعي لتحقيق ذلك وان فشلتُ المرة بعد الاخرى، ولا اظن مثلكم الذي عرفتُ عنهُ قبل الآن تفضيل استقلال وطنهِ الثاني (سوريا) مهما بلغ اضطراب الحكومة الوطنية على احتلالها برجال حكومة اجنبية صالحة — يرضيهِ ان نُربي ابناءنا على الارتماء في احضان الانكليز ونسيان فكرة تكوين امة مصرية متعلمة مفكوكة من الاسر المالي قوية في كل ما يضمن لها الحياة قادرة على الحصول على استقلالها وصيانتهِ

عذراً اذا كنت اطلت في رسالتي لانها آخر ما اكتبهُ لكم في موضوعها اللهم الاَّ اذا تلقَّيت منكم دعوة خاصة (وهو ما استبعدهُ) وعندي لذلك سببان: اولها انهُ يوجد لديكم ما هو انفع واحق بالنشر من هذا الموضوع وان مجلتكم هي صحيفة علمية قبل كل شيء، وثانيهما اني مهما خالفتكم وانتقدتُ فاني من يحترم آراءكم الاحترام الكلي ولا يمكنهُ الاستغناء عن مُحصَّل خبرتكم وواسع علمكم في كل موضوع، ولعلَّ شعوري واستقلال رأيي وكرهي للتعصب الاعمى يشفع لي عندكم بالردّ على كتابي هذا بما فيهِ المصلحة العامة وتنوير الاذهان

لوندرة قاريٌ

[المقتطف] اذا نظرنا الى مسائل القطر المصري بعين الغيرة الوطنية واغفلنا النظر الى حال القطر المعاشية والاجتماعية لم نجد ما ندفع بهِ حجة واحدة من حجج حضرة الكاتب

الفاضل صاحب الرسالة المتقدمة. ونحن لا نجهل ان الاستقلال السياسي خير نعمة من نعم الحياة وانهُ الاولى بالامة ان تكون مستقلة وهي فقيرة جاهلة من ان يكون قيادها في يد غيرها وهي غنية عالمة . وان ترك الامة لنفسها حتى تدبر خلاصها بيدها فتقع وتقوم وتقع وتقوم الى ان تنهض وتسير مع الناهضين لافضلُ لها من ان يحملها غيرها على ذراعيهِ او يضعها في اوربلان ويحلّق بها في طبقات الجو . ونحن نفضل ان تبقى سورية كما هي جزءًا من البلاد العثمانية وان نترك لتحك جلدها بظفرها على ان تصير تابعة لدولة اجنبية ولو كانت اعظم دول الارض . ونظن ان معنانا واضح من حيث الفرق بين ان تكون البلاد جزءًا من مملكة مكملاً لها وبين ان تكون تابعة لمملكة . نعم لو خيرنا بين ان تكون سورية جزءًا من البلاد الفرنسوية مثلاً او جزءًا من البلاد العثمانية لفضلنا الاول على الثاني لاعتبارات شتى ولكن لو خيرنا بين ان تكون مستعمرةً لفرنسا او جزءًا من البلاد العثمانية لفضلنا الثاني على الاول حتماً

هذا ولنعد الى القطر المصري فنقول ان اتصالهُ بالبلاد العثمانية صار اسميا لا غير . فهل يعود جزءًا متمماً للبلاد العثمانية او لا يعود هذه مسألة يصعب حلها او التكهُّن بها ولا محل لها هنا . بقي وجهان لا نرى لها ثالثاً اما ان يستقل القطر المصري استقلالاً سياسيًّا كاستقلال فرنسا وايطاليا وبلجكا او يبقى في الحالة التي هو فيها من حيث احتلال انكلترا بهِ وحمايتها لهُ . واذا استقلَّ اما ان يكون استقلالهُ بيدهِ او بغير يدهِ . والاول اي استقلالهُ بيدهِ لا نرى سبيلاً اليهِ الآن ونرجح انكم توافقوننا على ذلك فاتخاذ العدَّة لهُ ضرب من العبث ويظهر لنا انهُ ضرب من المحال لاننا لا نقدر ان نستقل بالقوة الحربية الاَّ بجيش كبير كل ضباطهِ من الوطنيين او من غير الانكليز ونفقاتهُ السنوية لا تقل عن اربعة ملايين او خمسة ملايين من الجنيهات ومن اين لنا ذلك ونحن مديونون لاوربا ديناً تستغرق فوائدهُ واقساطهُ كل ما يمكننا توفيرهُ من دخلنا بل تزيد عليهِ فتزيد ديوننا سنة بعد سنة . ولنفرض جدلاً ان عثر السكان على كنوز مدفونة او اهتدوا الى زراعات كثيرة الربح فصاروا يستطيعون ان ينفقوا على اقتناء الاسلحة والتمرُّن على استعمالها فاذا كانت انكلترا تكره ذلك فمن اسهل الامور عليها منع دخول الاسلحة الى القطر وهي ممنوعة الآن فعلاً . واكبر بلية على الانسان ان يبتاع بندقية من الخارج ويحاول ادخالها الى القطر المصري . ولا يؤْذن بجلب البارود الاَّ لاناس مخصوصين وعليهم ان يبينوا في دفاترهم كل رطل جلبوهُ وكل رطل باعوهُ ولمن باعوهُ . والتشديد في منع حمل الاسلحة واقتنائها يزيد يوماً بعد يوم . ولا نظن انكم تطلبون من الوطنيين ان يتمرنوا على استعمال النبابيت ومقاومة البنادق والمدافع بها .

والخلاصة ان استعداد البلاد الحربي في الاحوال الحاضرة للاستقلال السياسي ضرب من المحال ولا نرى دليلاً على انهُ يصير ممكناً بعد عشر سنوات او عشرين سنة

اما ما قالتهُ جريدة التيمس فلا تعني بهِ استعداد البلاد للاستقلال كلا بل هو من قبيل التمهيد لزيادة الضرائب اللازمة لبناء البوارج والحصون اي لمساعدة الحكومة الانكليزية في النفقات الحربية التي تراها لازمة لحماية القطر المصري

ولا بدَّ من ان يقول حضرة الكاتب الفاضل وغيرهُ من الوطنيين الالباء اننا نحن طلاَّب استقلال فكيف ننالهُ . والجواب اننا جاهرنا برأينا مراراً وهو انهُ يجب علينا اولاً ان نستقل في امورنا المالية اي يجب ان نزيد دخلنا ونقلل نفقاتنا حتى نتخلص من الديون الاجنبية على قدر الامكان

وثانياً ان نربي انفسنا واولادنا على حب العمل والصدق والامانة وكل الاخلاق التي ترفع شأن المرء في الهيئة الاجتماعية

وثالثاً ان نعلم كل الذين يستطيعون ان يتعلموا منا تعليماً عالياً حتى اذا خدموا بلادهم في مناصب الحكومة او غيرها من الاعمال العمومية لا يكونون دون احد من الاوربيين علماً واجتهاداً بل يكونون فوقهم بمراحل

اذا فعلنا ذلك كلهُ — وفعلهُ منوط بنا وحدنا لا بغيرنا وميسور لنا ولا يمنعنا منهُ احد — اضطر الانكليز وغيرهم من الاوربيين ان ينظروا الينا كما ينظر بعضهم الى بعض او كما ينظرون الى البوير فننال الاستقلال الشخصي ثم يتبعهُ الاستقلال الاداري . لانهُ سواءٌ بقينا تابعين لتركيا او صرنا تابعين لانكلترا او غيرها يُنظر الينا حينئذٍ كاناس مستقلين فعلاً وننال الاستقلال الاداري التام واذا دعت احوال السياسة الى استقلالنا السياسي ايضاً فنكون اهلاً لهُ ويقل الخوف حينئذٍ من اجتياح دولة اجنبية بلادنا لان الاسباب التي تدعو الى استقلالنا السياسي تدعو الى حمايتنا السياسية

ولا بدَّ من ايضاح بعض الامور التي نراها محتاجة الى الايضاح فاولاً اننا نعني بالفلاحين جمهور السكان لا المشتغلين بحرفة الفلاحة وحدهم اي اننا نعني الفلاحين والمشايخ والعمد واكثر من تسعة وتسعين في المئة من السكان فهؤُلاء كلهم لا يهتمون بامر الدفاع مثقال ذرة وهذا شأن اكثر الناس في اكثر البلدان ولولا الفريق الذي يستفيد من الحرب مالاً او جاهاً او كليهما لتلاشت الحروب من الدنيا

وثانياً ان فائدة الانكليز من هذا القطر محصورة في المستخدمين منهم فيهِ اما الشعب

الانكليزي فمسخَّر لاغنيائهِ مثل كل شعوب الارض وكل الاموال التي يأْخذها الانكليز الآن اجوراً لموظفيهم لو حسبناها صدقة تأْتيهم من القطر المصري عفواً من غير عمل يعملونهُ فيهِ ما وازت فائدة الاموال التي انفقها الشعب الانكليزي في حرب السودان فانهُ انفق اكثر من عشرة ملايين من الجنيهات وهي مبتزة من دماء الشعب الانكليزي ولو بقيت في يدهِ لنال منها ربحاً سنويًّا لا يقل عن خمس مئة الف جنيه فهل تزيد اجور كل الموظفين الانكليز على هذا المبلغ

هذا ونعيد ما قلناهُ سابقاً وهو اننا لا نشير بالاستعداد الحربي للدفاع او للاستقلال لاننا نرى ان هذا الاستعداد ضرب من المحال في الاحوال الحاضرة. وفوق ذلك فان جمهور الشعب في هذا القطر وفي كل الاقطار لا يهتم بالحرب والدفاع ولا يهتم بهما الاَّ الذين ينتفعون منهما من ارباب المال والجاه ولولاهم ما احتل الانكليز مصر ولا اهتموا بالدفاع عنها

العنكبوت الكاذب

سيدي الجليل منشيء المقتطف الزاهر

سلاماً واجلالاً . بديهي انَّ كل شيء لم يألفهُ النظر من الانواع الغريبة الدنيا من الحشرات ذوات الارجل العديدة والزغب المصغر يروع الانسان ويدهشهُ وان من غرائب هذه الحشرات نوعاً اظنهُ من جنس العنكبوت ذات عشرة ارجل ومنقارين يشابهان حمة العقرب وسرعتهُ متناهية في الجري (ها هي مرسولة لكم طيهُ لفحصها) وهذه الحشرة قد راعتني على صغرها لما هي عليهِ من الخشونة والشكل الغريب وقد احتلت على قتلها بدون ان ابيدها حبًّا في معرفة شيء عن طبائعها وهل هي من النوع السام ام هي من جنس العنكبوت لا ضرر ولا خوف منها. اني لم ارَ في حياتي ولا رأى الذين سألتهم مثلها فاذا رأيتم فائدة في نشر شيء عنها ارجوكم المبادرة في ذلك لفائدة القراء والباحثين في طبائع الحشرات ولكم الشكر

سواكن عبد العزيز صالح

[المقتطف] وصلت الحشرة التي ارسلتموها وهي مثل اكبر انواع العناكب جرماً وقلما تفرق عن العناكب شكلاً حسب الظاهر وتعرف عند علماء الحشرات باسم العنكبوت الكاذب لانها من فرقة السليفوجي لا من فرقة الاراني واكبر مميز لها طول زبانيها فانهما اطول من ارجلها الستة القريبة منها وطول رجليها الخلفيتين ولها مخلبان في طرف كل رجل

من ارجلها الست المؤخرة وفي بطنها عشرة مفاصل وليس فيها غدد للنسج ومشفراها كل منهما مزدوج ومسنن وذكورها اصغر من اناثها واقوى

وهذه الحشرة موجودة في آسيا واوربا وافريقية واميركا . وهي ليلية ونهارية واكثرها سريع الجري واكثر طعامها الخنافس ونحوها من الحشرات وقد تهاجم العقرب وتفتك بها ولم يذكر انها سامَّة

عقدة التوحيد

حضرة الافاضل اصحاب مجلة المقتطف الغراء المحترمين

بعد السلام ارجو من حضرتكم ادراج ما يأتي ولكم مني الشكر سلفاً

قرأت في مقتطفكم الاغر مجلد ٤٢ سنة ١٩١٣ رد الاستاذ الفاضل محمد ابي الفضل شيخ علماء الاسكندرية على جوابكم في عقيدة التوحيد وما ضمنهُ حضرتهُ من الشروح المسهبة في ذلك الى ان وصلت الى قولهِ « والدليل على لزوم العلم الصحيح وعدم انفكاكهِ عنهُ ان من علم ان العالم متغير وان كل متغير ممكن اذا استحضر هاتين المقدمتين ولاحظ ترتيبهما استحال ان لا يعلم ان العالم ممكن » . فارجو من حضرة الشيخ الاستاذ الدليل على ان العالم متغير وما البرهان على ذلك مع ان معلوماتنا العلمية توضح لنا بان كل ما في الكون غير متغير اي ان مادتهُ واحدة والتغير هو في الصور

انطونيوس يافث

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مسامرات طبية وفوائد اجتماعية

المسامرة الاولى

في الاسباب المرضية

كل ما في هذا الكون من قوى الطبيعة ونتاج الارض وبدائع الصناعة ومحاسن المدنية هو من العوامل النافعة للانسان التي يجب ان تعمل لتقوية بنيتهِ وتحسين صحتهِ واطالة حياتهِ .

وهي ايضاً من العوامل المضرة التي تضعف البنية وتفسد الصحة وتقصر العمر . وهذا التناقض في افعالها ينتج من سوء ادارة الانسان الذي لا يحسن استعمالها ولا يعرف كيف يستفيد منها . فهو اشبه بمدير محل كبير يعمل تحت ادارتهِ عمال كثيرون فاذا كان عاقلاً حكيماً حدد ساعات العمل ووزع الاعمال على العمال فيقوم كل منهم بما يُعطى لهُ ولم يهمل وقتاً ما مراقبة الاعمال والاشراف على العمال واذا وجد واحداً لم يحسن العمل عزلهُ واستبدلهُ بآخر فتحسن بذلك ادارتهُ وينجح محلهُ والاَّ فسدت الادارة وتشوش العمل وانتهى المحل بالافلاس . والانسان اذا لم يراعِ هذه الاحوال مع العوامل المحيطة بهِ انقلبت عليهِ وعملت على تقويض اركان بنائهِ

المغزى ظاهر ومع ذلك فيحسن ايراد بعض الامثلة تأييداً للمبدإِ وزيادة للايضاح

١ً المعدة يجتمع فيها الغذاء فتهيئهُ وتجعلهُ صالحاً لان يتحول الى دم ويغذي الاعضاء والانسجة على انواعها فالاحساس بالجوع ليس خاصًّا بالمعدة بل هو في الجسم كلهِ وهو يدل على طلب الطبيعة لقوة جديدة تعوض بها عن القوة التي خسرتها الاعضاء بقضاء وظائفها فتكلف المعدة بجلب ما يلزم لها من الخارج . فالمعدة اذاً رسول الطبيعة ولا تأخذ مما تحصلهُ الاَّ ما يصيبها منهُ بنسبة بقية الاعضاء . واذ انها مكلفة ايضاً باعداد ما تجلبهُ ليكون صالحاً لتغذية الاعضاء فلا يجوز ان نعطيها اكثر مما تطلبهُ الطبيعة او ان نحملها اكثر من استطاعتها والاَّ ناءت تحت الحمل وعجزت عن ايصال الامانة الى صاحبها ويظهر عجزها بالقيء والاسهال والحمى الخ

٢ً الرئة عضو التنفس تستنشق الهواء من الخارج وتأخذ منهُ احد عناصرهِ وهو الاكسجين فتطهر بهِ الدم وتصلح كرياتهِ التي ضعفت قوتها بدورانها في تيار الدم لتغذية اقسام الجسم المختلفة فاذا لم يكن هواء الاستنشاق نقيًّا ولم يحتوِ على ما يكفي من الاكسجين لاصلاح كريات الدم كهواء القهوات والمحلات التي يحتشد فيها خلق كثير فسدت وظيفة الرئة وفسدت تغذية الاعضاء فتتوانى عن قضاء وظائفها وتحصل عوارض متنوعة كفقر الدم والانزفة الخشوية

٣ً يحتاج كل كائن حيّ الى درجة معينة من الحرارة ويقوم حسن كيانهِ بالمحافظة عليها فاذا زادت او نقصت وقع عبث على حياتهِ لان زيادة الحرارة المحيطة ونقصانها وتغييراتها الفجائية تحدث من العوارض مايفسد الصحة ويفضي احياناً كثيرة الى الموت كالاحتقانات الدماغية وضربة الشمس وداء الجنب الخ

٤ً ان الطبيعة مجهزة بكل وسائل الدفاع لدفع المرض وحفظ الصحة . ومن هذه الوسائل الكائنات الصغرى الحية التي تعيش في سوائل الجسم وانسجته واغشيته ويطلق عليها اسم الميكروبات الصحية . فهي جنود قائمة على خفارة الاعضاء والمحافظة على سلامتها فاذا رأت عدوًّا مفاجئًا دافعت عن مواقعها دفاعًا حسنًا ومنعت العدو من الدخول والاحتلال ولكن اذا ضعفت بسبب ما ولم يكن عندها من معدات الدفاع ما تقاوم بهِ العدو المفاجئ فانهُ يتغلب عليها ويحتل مواقعها ويفعل بها فعل الغزاة الظالمين . وهذا هو الغالب في حدوث الامراض الميكروبية كالسل والتيفويد وغيرهما لان اهم السبل المفتوحة للميكروب هي فقر الدم والعادات السيئة وكل الاسباب المهيئة لضعف البنية

فالاسباب المرضية اذاً كثيرة وما تقدم منها يكفي للدلالة عليها وعلى وجوب الاحتياط لها ويمكننا ان نحصرها في اربعة انواع

١ً الاسباب الطبيعية

لحياة الانسان علاقة قوية بالقوى الطبيعية التي تحيط بهِ كالحرارة والنور والكهربائية والهواء والضغط الجوي الخ فاذا اختلت تلك العلاقة بزيادة او نقصان اختلت وظيفة العضو او الاعضاء وانحرفت عن سيرها فيحصل المرض

٢ً الاسباب الكيماوية

يتناول الانسان من الخارج العناصر اللازمة لغذائهِ فاذا دخل جوفهُ منها ما من شأنهِ ان يحدث تغييراً كيماوياً في انسجتهِ حدثت فيها اضطرابات متنوعة وقد تتعطل وظيفتها ويكون ذلك سبباً للموت

٣ً الاسباب الميكروبية

يعيش الانسان في وسط مملوء بالكائنات غير المنظورة بعضها صديق ومسالم لهُ والبعض الآخر عدو من اشد الاعداء فعلاً واكثرها ضرراً فاذا دخل جسمهُ احد الاعداء عاش على نفقة عناصرهِ ونما في سوائلهِ نموًّا عظيمًا وتوالد وكثر حتى ينهك النسيج الذي يحتلهُ وينهك البنية ويكون غالبًا سببًا للموت

٤ً الانفعالات النفسانية

الغضب والجزع والخوف والحزن وغيرها اسباب لامراض كثيرة ودواعٍ لاستفحال امراض سابقة ولا يبعد ان تكون مورداً للموت

وقد قدمنا آنفاً مثالاً لكل منها وقلنا ايضاً ان الجسم الضعيف تضعف فيهِ قوة الدفاع

فيُغلَب على امره ويقع تحت سلطة المرض ولهذا كان الاطفال والاحداث اكثر تعرضاً لها من الشبان والكهول فيجب ان يعتنى بهم عناية شديدة الى ان يجوزوا طور الحياة الضعيف وتقوى فيهم وسائل الدفاع ليتقوا بها الطوارىء المرضية

واعلم ان اتقاء المرض خير من شفائهِ وقال المثل الانكليزي ان رطل منع خير من قنطار دواء. وتقوم الوقاية باجتناب الاسباب المرضية وذلك بالاعتناء التام بنظافة الجسم والاعتدال في الطعام والشراب واجتناب العادات السيئة لان الوسخ والشراهة والانغماس في السيئات اسباب لاكثر العلل التي تنتاب الانسان

اما الوقاية من الامراض الوبائية فهي من عمل الادارة الحاكمة فهي التي تعتني بتوزيع مياه الشرب النقية وتراقب الاغذية الجيدة وتشرف على الاماكن التي يجتمع فيها خلق كثير كالمدارس والمعامل والمراسح وهي التي ترشد الاهالي الى السبل القويمة التي يجب ان يتخذوها في تلك الاحوال وبذلك توقف سير الوباء وتمنع تفشيهُ

الدكتور
امين ابو خاطر

النساء الغنيات

من الغريب ان اغنى الالمان امرأة واغنى الفرنسويين امرأة فالالمانية ابنة كروب صاحب معمل المدافع المشهور وتقدَّر ثروتها بنحو ١٦ مليون جنيه والفرنسوية مدام لابودي ام المسيو لابودي الذي لقب نفسهُ امبراطور الصحراء فان ثروتها تبلغ ثمانية ملايين من الجنيهات وهي عبء ثقيل عليها فانها ساكنة في فرساليا في بيت حقير منتحلة اسماً مستعاراً وليس عندها الاَّ خادمة واحدة ولكنها تتصدق بكل دخلها سرًّا ويقال انها تنفق على جريدة ملكية ١٦٠٠٠ جنيه كل سنة . اما الغنيات الاميركيات فاغنى من ذلك كثيراً فان ثروة مسز رسل ساج تبلغ الآن ٢٨ مليون جنيه

وصايا في الاستحمام

ذكر الدكتور تبصن في المجمع الطبي البريطاني الذي عقد في مدينة بريطن بعض الوصايا الصحية لاجل الاستحمام وهي

(١) افضل الاشهر للاستحمام في البحر يوليو واغسطس وسبتمبر

(٢) افضل الساعات للاستحمام بعد الفطور وقبل الغداء ولا بد من الخروج من الماء قبلما يبتدئ رد الفعل في الجسم

(٣) مدة البقاء في الماء من خمس دقائق الى ١٥ دقيقة ويكون الاستحمام مرة واحدة في اليوم

(٤) التباطوء في الاستحمام وفي لبس الثياب بعدهُ مضران · ولا بد من فرك البدن بنشفة خشنة حال الخروج من الماء

(٥) لا تبقَ في الماء حتى يزول منك الشعور بالحر و يبتدئ الشعور بالبرد

(٦) لا يجوز لاحد ان يقدم على حمامات البحر قبلما يستشير طبيبهُ

(٧) يحسن بالمرء ان يستحم اولاً بماء البحر المسخن ثم يتدرج الى الاستحمام بالماء البارد

(٨) الاستحمام مفيد ولا سيما للناقهين والمنهوكين والمصابين بالسل

فوائد منزلية

لزق الزنجبيل مفيدة مثل لزق الخردل ولا تنفّط الجلد مثلها وهي تصنع كما تصنع لزق الخردل

اذا اضيف قليل من السكر الى البازلاً وقتما تطبخ جاد طعمها واذا اضيف اليها قليل من كربونات الصودا لانت و بقي لونها الاخضر فيها

اذا وضع قليل من الدقيق او النشا الناعم على الجرح انقطع نزف الدم منهُ

اذا كثر عرق الكفوف في البلاد الحارَّة فاغسلها مراراً بماء حار اضيف اليهِ قليل من الشب الابيض او الخل فيقل العرق او يزول

اقراص النعنع تقلل الشعور بالجوع فاذا اضطرَّ احد ان يقيم بلا طعام مدة واكل قرصين او اكثر من اقراص النعنع زال شعورهُ بالجوع او خف · والسكر الذي فيها وكل انواع الملبس تغذي تغذية كافية لازالة الشعور بالجوع

الآنية المدهونة بالدهان الياباني لا يصلح ان تنظف بالماء السخن اذا اتسخت بل تدهن بقليل من الزيت ثم تفرك بخرقة ناعمة من الفلانلا

يخف الم الضرس بالوضعيات السخنة كصرَّة فيها ملح ناعم سخن او بطاطس مشوي او اي مادة اخرى سخنة جافَّة تحفظ حرارتها مدة طويلة

الغالب ان الغراء والصمغ العربي يتصلبان سريعًا والورق المغرى او المصمَّغ يلتوي ويتشقق ما عليهِ من الغراء او الصمغ و يمنع ذلك بان يضاف اليهما قليل من الغليسرين



محصول القطن المصري

احصت مصلحة الزراعة بزرة القطن التي بيعت للزارعين بذاراً هذه السنة فبلغت ٣٣٩٨٩٦ اردبًّا وقدرت مساحة الاطيان التي زرعت قطناً هذا العام ١٧٥٠٠٠٠ فداناً واصناف القطن المزروعة كما ترى في هذا الجدول وهي فيهِ عن هذه السنة والسنة الماضية

	سنة ١٩١٢		سنة ١٩١٣	
	اردب	فدان	اردب	فدان
ميت عفيفي	١٠٠٦٢٦	٥٢٢٩٦٧	٦٨٠٧٢	٣٥٠٠٠٠
اصيل	١٦٥٠٣	٨٥٣٢٦	٣٦٥٥١	١٨٩٠٠٠
يانوفتش	٥٥٨٧٦	٢٩٠٣٨٤	٤٠٠٨١	٢٠٦٥٠٠
نو باري	٤٦٥٠٦	٢٤٢٢١٦	٤٨٦٦٧	٢٥٠٢٥٠
سكلاريدس	٣٣٤١٣	١٧٣٤٠٥	٦٠٤٠٥	٣١١٥٠٠
عباسي	٥٧٨٨	٣٠٢٧٦	٣٨١٧	١٩٢٥٠
ڤولتس وانواع اخرى	٦١٣٠	٣١٦٥٢	٩٨٠٥	٥٠٧٥٠
اشموني	٢٣٤٩١	٣٤٥٥٨٩	٧٢٤٩٨	٣٧٢٧٥٠
المجموع	٢٨٨٣٣٣	١٧٢١٨١٥	٣٣٩٨٩٦	١٧٥٠٠٠٠

وعليهِ فالمساحة التي زرعت قطناً هذه السنة زادت عن المساحة التي زرعت في العام الماضي نحو ٢٨ الف فدان كلها في الصعيد حيث يزرع القطن الاشموني . ومعلوم ان تقدير المساحات ليس بالامر السهل ولا معرفة التقاوي التي تباع بل الذي يملك ٥٠٠ فدان لا يعرف تماماً مساحة الاطيان التي يزرعها قطناً سنويًّا فكيف تعرف المساحة من خمسة ملايين فدان لاسيما وان ميل المزارعين هو الى تقليل المساحة التي زرعوها اذا كانت زائدة عن ثلث اطيانهم خوفاً من مؤاخذتهم بمخالفة قانون الري الذي يحسبون انهُ يقضي بان لا تزيد الزراعة على ثلث الاطيان . وكيفما كانت الحال فالمرجح ان المساحة المزروعة هذا العام مثل المساحة التي كانت مزروعة في العام الماضي ان لم تكن اكثر منها

اما المحصول الماضي فقد قدرتهُ مصلحة الزراعة بثمانية ملايين وربع مليون حينما لم يكن منظر القطن احسن من منظرهِ هذا العام فجاء الموسم الماضي اقل من سبعة ملايين ونصف مليون . وقد يقال ان دودة القطن اضرَّت بالموسم الماضي وهو قول وجيه ولكن ضررها لم يكن عامًّا ولا كثيراً والذي اضرَّ اكثر منها هو دودة اللوز

اما الموسم الحاضر فلم يصب بدود القطن او كانت الاصابة قليلة ومحلية ولكنهُ اصيب بشيءٍ من الندوة العسلية ويقال ان العطش اضرَّ بهِ فاوقع بعض طرحهِ . ووقوع الطرح صحيح لا شبهة فيهِ ولكننا لا نظن ان سببهُ قلَّة الري لان عندنا قطنًا يروى بوابور من النيل وقد روي في مواعيد الري تمامًا ولم يعطش ومع ذلك سقط بعض طرحهِ وكان يبس بعض لوزهِ وسقوطهُ اول شيءٍ انتبهنا لهُ حينما رأيناهُ . فان كان وقوع الطرح عامًّا فلا بد من تأثيرهِ في المحصول والغالب ان التأثير قليل لا يزيد عن خمسة في المئة الى عشرة في المئة . ولا يزال القطن معرضًا لدودة اللوز الرمادية وللدودة الحمراء فاذا سلم منهما ومن كل آفة اخرى فلا يبعد ان يبلغ المحصول ثمانية قناطير ولكن اذا لم يسلم منهما فالمرجح انهُ لا يزيد على سبعة قناطير وربع الى سبعة ونصف اي انهُ يكون مثل الموسم الحاضر

وقد سلم الموسم من دود ورق القطن لا بفعل الحكومة ولا بفعل احد بل بمرض ميكروبي اصاب دود القطن كما اصاب دود الحرير . هذا هو الفاعل الاكبر في نجاتهِ ومن المحتمل ان يكون للنمل الذي يأكل البيض والدود الصغير يد في ذلك ايضًا

وقد جاء فيضان النيل هذه السنة من اوطإِ الفيضانات المعروفة ولولا المياه التي كانت مخزونة في الخزان من الفيضان الماضي لما امكن ري القطن . ويقال انهُ مهما كان الفيضان واطئًا لا يمنع ملء الخزان للعام المقبل فلا خوف على الموسم التالي ولكن اذا بقي الفيضان منخفضًا كما هو الآن خيف من قلة المياه في الآبار الارتوازية وهي التي ساعدت مياه هذه السنة فتعجز عن مساعدتها في العام المقبل . وكيفما كانت الحال فضعف الفيضان هذه السنة سيوجب بقاء جانب من اراضي الحياض من غير ري فترتفع اسعار الحبوب ويكثر الناس من زرعها في الوجه البحري وقد يقلل مساحة الاطيان التي تزرع قطنًا في العام المقبل

والظاهر ان المشتغلين بالقطن يتوقعون ان يقلل الناس زراعة القطن في العام المقبل لاسيما وان الحكومة عازمة ان تشير على المزارعين لكي لا يزرعوا اكثر من ثلث اطيانهم قطنًا لان مصلحة الري لا تستطيع ان تعطيهم ماء صيفيًّا لاكثر من ثلث الاطيان . ومعلوم ان كثيرين يزرعون الآن نصف اطيانهم قطنًا فاذا زرعوا ثلثها فقط فلا بدَّ من ان تقل المساحة

التي تزرع قطناً مئة الف فدان او مئتي الف فدان فيقل المحصول المقبل من قلة المزروع ان لم يقل من العطش. فاذا ثبت ذلك فلا بد من ارتفاع سعر القطن و بلوغهِ الحد الذي يجب ان يبلغهُ بالنسبة الى سعر القطن الاميركاني

الزراعة تحت الارض

من النباتات ما لا يجود الاَّ اذا زرع في مكان مظلم لا تصل اليهِ اشعة الشمس كالفطر والهليون والراوند فتحفر لزرعهِ الاسراب تحت الارض او يفتش عن الكهوف الكبيرة ويزرع فيها ومن هذا القبيل كهف في مكان باميركا اسمهُ سبرنجفيلد عمقهُ ٧٥ قدماً تحت وجه الارض يزرع فيهِ الراوند والفطر اما الراوند فيزرع خارجاً حتى اذا نبت وامتدت جذورهُ نقل الى داخل الكهف فتكبر جذورهُ جدًّا. والفطر يزرع في الكهف رأساً ويستغل رطلان منهُ في السنة من كل ما مساحتهُ قدم مربعة

ومن فوائد الكهوف للزراعة ان الحرارة فيها واحدة على مدار السنة فيجود الزرع فيها دائماً ولا تنقصهُ الاَّ الالوان التي يكتسبها بفعل نور الشمس

المواسم في الولايات المتحدة

اصدر قلم الاحصاء في نظارة زراعة الولايات المتحدة تقريراً عن حالة مواسم الحبوب في الولايات المتحدة في اول اغسطس الجاري هذه خلاصتهُ

الذرة — تقدر حالة الموسم بخمسة وسبعين وثمانية اعشار مقابل ٨٦٫٩ في شهر يوليو السابق و٨٠ في اول شهر اغسطس من العام الماضي و ٩٩٫٦ في مثل هذا التاريخ من عام ١٩١١ و ٨٢٫٣ متوسط المحصول في السنوات العشر الاخيرة

الحنطة الشتوية — تدل الدلائل على ان المحصول من هذا الصنف سيبلغ ١٦ بشلاً ونصفاً الفدان او نحو ٥١١ مليون بشل في البلاد كلها مقابل ١٥ بشلاً وعشر البشل في الفدان في العام الماضي و ٠٠٠ ٩١٩ ٣٩٩ بشل في البلاد كلها بموجب آخر تقدير قدر بهِ محصول العام الماضي . وتقدر رتبة المحصول في هذا العام بثمانية وتسعين وسبعة اعشار مقابل ٩٠٫٧ في العام الماضي . وقد كان متوسط محصول الفدان في السنوات العشر الاخيرة ١٤٫٦ البشل وكل خمسة ابشال وربع تعادل اردبًّا

الحنطة الربيعية — نقدر حالة موسم هذا الصنف الآن باربعة وسبعين وعشر مقابل ٧٣٫٨ في اول اغسطس من العام الماضي و٥٩٫٨ في مثل هذا التاريخ من عام ١٩١١ و٨٠٫٤ متوسط المحصول في السنوات العشر الاخيرة

الشعير — نقدر حالة موسم الشعير باربعة وسبعين وتسعة اعشار مقابل ٧٦٫٦ في الشهر السابق و٨٩٫١ في اول شهر اغسطس من العام الماضي و٦٦٫٢ في سنة ١٩١١ و٨٣ متوسط المحصول في السنوات العشر الاخيرة

وزيادة في الايضاح نذكر في الجدول التالي متوسط ما نقدر بهِ غلة الفدان ومتوسط غلة البلاد كلها من كل صنف بالبشل

الحنطة الشتوية

	الآن	في الشهر السابق	في العام الماضي
غلة الفدان	١٦٫٥	١٥٫٦	١٥٫١
غلة البلاد	٥١١٠٠٠٠٠٠	٤٨٣٠٠٠٠٠٠	٣٩٩٩١٢٠٠٠

الحنطة الربيعية

	الآن	في الشهر السابق	في العام الماضي
غلة الفدان	١٢٫٥	١١٫٧	١٧٫٧
غلة البلاد	٢٣٣٠٠٠٠٠٠	٢١٨٠٠٠٠٠٠	٣٣٠٣٤٨٠٠٠

الشعير

	الآن	في الشهر السابق	في العام الماضي
غلة الفدان	٢٣٫١	٢٢٫٨	٢٩٫٧
غلة البلاد	١٦٨٠٠٠٠٠٠	١٦٥٠٠٠٠٠٠	٢٢٣٨٢٤٠٠٠

الذرة

	الآن	في الشهر السابق	في العام الماضي
غلة الفدان	٢٥	٢٧٫٨	٢٩٫٣
غلة البلاد	٢٦٧٢٠٠٠٠٠٠	٢٩٧١٠٠٠٠٠٠	٣١٢٤٧٤٦٠٠٠

محصول الحنطة في العالم

نشرت جريدة دورن بوش في ملحق أصدرتهُ في ٢ اغسطس الماضي احصاء تمهيديًّا لمحصول الحنطة في العالم واردفتهُ بالمحصول الحقيقي لكل سنة من السنوات السبع الماضية والى القارىء تقدير المحصول عن السنة الحاضرة ومقابلة ذلك مع السنتين الماضيتين « بالكوارتر » او ربع الطن

اوربا	١٩١٣	١٩١٢	١٩١١
فرنسا	٠٤ ٠٠٠ ٠٠٠	٤١ ٧٤٦ ٠٠٠	٣٨ ٠٦٠ ٠٠٠
روسيا باوربا	٩٨ ٩٠٠ ٠٠٠	٧٨ ٠٩٠ ٠٠٠	٥٥ ٩٦٤ ٠٠٠
روسيا باسيا	٢٤ ٠٠٠ ٠٠٠	٣٢ ٢٥٠ ٠٠٠	١٤ ٥٧٧ ٠٠٠
المجر	١٨ ٠٠٠ ٠٠٠	٣١ ٢٥٠ ٠٠٠	٢١ ٩١٣ ٠٠٠
كرواشيا وسلفونيا	٠٠ ٥٠٠ ٠٠٠	٠١ ٨٥٨ ٠٠٠	٠١ ٩٠٤ ٠٠٠
النمسا	٠٠ ٧٠٠ ٠٠٠	٠٨ ٧١٧ ٠٠٠	٠٧ ٣٧٤ ٠٠٠
بوسنيا والهرسك	٠٠ ٤٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٣٧٤ ٠٠٠	٠٠ ٣٥٠ ٠٠٠
ايطاليا	٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٠ ٤٢٥ ٠٠٠	٢٤ ٠٤٢ ٠٠٠
المانيا	١٨ ٥٠٠ ٠٠٠	٢٠ ٥٨٩ ٠٠٠	١٨ ٦٧١ ٠٠٠
لكسمبرج	٠٠ ٩٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٨٣٠ ٠٠٠	٠٠ ٧٨٠ ٠٠٠
اسبانيا	١٤ ٠٠٠ ٠٠٠	١٣ ٧٤٤ ٠٠٠	١٨ ٥٥٧ ٠٠٠
بورتغال	٠١ ٠٠٠ ٠٠٠	٠١ ٠٠٠ ٠٠٠	٠١ ٤٨٣ ٠٠٠
رومانيا	١٠ ٥٠٠ ٠٠٠	١١ ١٩٤ ٠٠٠	١١ ٣٥٣ ٠٠٠
بلغاريا	٠٨ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٧ ٩٨١ ٠٠٠	٠٩ ٠١٤ ٠٠٠
سربيا	٠١ ٦٠٠ ٠٠٠	٠١ ٨٠٠ ٠٠٠	٠١ ٩١٧ ٠٠٠
تركيا	١٠ ٠٠٠ ٠٠٠	١٧ ٠٠٠ ٠٠٠	١٧ ٠٠٠ ٠٠٠
اليونان	٠٠ ٦٥٠ ٠٠٠	٠٠ ٧٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٧٠٠ ٠٠٠
بريطانيا العظمى	٠٧ ٥٠٠ ٠٠٠	٠٧ ١٧٥ ٠٠٠	٠٨ ٠٣٩ ٠٠٠
البلجيك	٠١ ٩٠٠ ٠٠٠	٠١ ٩٢١ ٠٠٠	٠١ ٨٣٠ ٠٠٠
هولندا	٠٠ ٦٥٠ ٠٠٠	٠٠ ٦٩٠ ٠٠٠	٠٠ ٦٨١ ٠٠٠
سويسرا	٠٠ ٤٤٠ ٠٠٠	٠٠ ٣٩٨ ٠٠٠	٠٠ ٤٤١ ٠٠٠
اسوج	٠٠ ٩٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٩٥٠ ٠٠٠	٠١ ٠٣١ ٠٠٠
نروج	٠٠ ٠٣٥ ٠٠٠	٠٠ ٠٣٩ ٠٠٠	٠٠ ٠٣٣ ٠٠٠
دانيمارك	٠٠ ٤٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٤٦٩ ٠٠٠	٠٠ ٥٣٧ ٠٠٠
قبرص ومالطة	٠٠ ٣٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٣٢٠ ٠٠٠	٠٠ ٣٥٠ ٠٠٠
المجموع	٢٩١ ٣٦٥ ٠٠٠	٢٨٠ ٧٣٣ ٠٠٠	٢٥٨ ٨٩٩ ٠٠٠

اميركا			
الولايات المتحدة	٩١ ٠٠٠ ٠٠٠	٩١ ٢٨٧ ٠٠٠	٧٧ ٦٦٧ ٠٠٠
كندا	٢٧ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٤ ٩٠٥ ٠٠٠	٢٦ ٩٨١ ٠٠٠
المكسيك	٠١ ٢٠٠ ٠٠٠	٠١ ٢٠٠ ٠٠٠	٠١ ٣٠٠ ٠٠٠
الارجنتين	٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٤ ٩٠٠ ٠٠٠	٢٠ ٨٠٦ ٠٠٠
شيلي	٠٢ ٢٠٠ ٠٠٠	٠٢ ٢٥٠ ٠٠٠	٠٢ ٢٨٣ ٠٠٠
ارغواي	٠١ ٢٠٠ ٠٠٠	٠١ ٢٥٠ ٠٠٠	٠ ٧٤٨ ٠٠٠
بيرو	٠٠ ٦٥٠ ٠٠٠	٠٠ ٧٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٦٥٠ ٠٠٠
المجموع	١٤٨ ٢٥٠ ٠٠٠	١٤٦ ٤٩٢ ٠٠٠	١٣٠ ٤٣٤ ٠٠٠
آسيا			
الهند	٤٤ ٧٨٥ ٠٠٠	٤٥ ٧٩٧ ٠٠٠	٤٧ ٠٦٤ ٠٠٠
ايران	٠١ ٨٠٠ ٠٠٠	٠٢ ٠٠٠ ٠٠٠	٠١ ٧٠٠ ٠٠٠
اليابان	٠٣ ٤٠٠ ٠٠٠	٠٣ ٢١١ ٠٠٠	٠٣ ١٠٦ ٠٠٠
الصين	٠٠ ٧٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٧٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٧٠٠ ٠٠٠
المجموع	٥٠ ٦٨٥ ٠٠٠	٥١ ٧٠٨ ٠٠	٥٢ ٥٧٠ ٠٠٠
افريقية			
الجزائر	٠٤ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٣ ٤٠٢ ٠٠٠	٠٤ ٥٨٢ ٠٠٠
تونس	٠ ٧٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٥٣٠ ٠٠٠	٠١ ٠١٠ ٠٠٠
مصر	٠٤ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٣ ٨٦٩ ٠٠٠	٠٤ ٧٦٣ ٠٠٠
بلاد الرأس	٠٠ ٣٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٣٠٠ ٠٠٠	٣٠٠ ٠٠٠
المجموع	٠٩ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٨ ١٠١ ٠٠٠	١٠ ٦١٥ ٠٠
استراليا ونيوزيلند			
استراليا ونيوزيلند	١١ ٩٠٠ ٠٠٠	١١ ٤٤٢ ٠٠٠	١٠ ٠٤٣ ٠٠٠
المجموع كله	٥١١ ٢٠٠ ٠٠٠	٤٩٨ ٤٧٦ ٠٠٠	٤٥٩ ٦٠١ ٠٠٠

اذا صح هذا التقدير كان محصول الحنطة في هذا العام اعظم محصول عرف الى الآن

موسم القطن وصادراتهُ

بلغ الوارد الى الاسكندرية من موسم هذه السنة حتى ٢٢ اغسطس ٣٩٣ ٤٦٠ ٧ قنطاراً وكان في العام الماضي حتى هذا التاريخ ٦٩٩ ٢٦٢ ٧ قنطاراً. ولا ينتظر ان يرد في الاسبوع الاخير من هذا الشهر الآ نحو الفي قنطار او ثلاثة آلاف ولذلك ثبت الآن ان الموسم الاخير اقل من سبعة ملايين ونصف مليون قنطار

ومما يهمُّ النظر فيهِ من امر الموسم الماضي ان اوربا واميركا اخذتا منهُ اكثر مما اخذتا من الموسم الذي قبلهُ ومن موسم سنة ١٩١٠ الذي كان اكبر من الموسم الحاضر كما ترى في هذا الجدول

	ما اخذتهُ اوربا	ما اخذتهُ اميركا	الجملة
موسم ١٩٠٢ — ١٩١٣	٣١٢٤٦٥٣	٩٦٣٥٥٥	٤٠٨٨٢٠٨
« ١٩١١ — ١٩١٢	٢٩٨٩٣٩٦	٩٣٢١٥٩	٣٩٢١٥٥٥
« ١٩١٠ — ١٩١١	٣٠٩٣٩٣٥	٩٧٧٢٠١	٤٠٧١١٣٦

فزيادة مقطوعية اوربا واميركا من القطن المصري تدلُّ على انهما انتبهتا لمزيتهِ كما انتبهت لها انكلترا ولذلك ينتظر ان تزيد مقطوعيتهما منهُ سنة بعد سنة. اما انكلترا فقد نقص ما اخذتهُ من القطن المصري هذه السنة عمَّا اخذتهُ في السنة الماضية ولكن لا ينتظر انها تقف عند هذا الحد ولاسيما اذا خافت من قلة الموسم المقبل والذي بعدهُ بسبب ضعف الفيضان الحاضر

بزرة القطن

وقد بلغ الوارد الى الاسكندرية من بزرة القطن المصري حتى ٢٢ اغسطس اكثر مما ورد من بزرة الموسم الماضي والذي قبلهُ. وبلغ الصادر منها اكثر مما صدر في العام الماضي والذي قبلهُ كما ترى في هذا الجدول

موسم سنة	الوارد الى الاسكندرية	الصادر منها
١٩١٢ — ١٩١٣	٤٦٣٧٧٠٠	٤١٦٦٢٣٣
١٩١١ — ١٩١٢	٤٣٨٠٢٢٢	٣٩٢٩٧٠٥
١٩١٠ — ١٩١١	٤٦٠٢٣٩٥	٤٠٠٨٦٧٢

فازدياد الطلب مستمر على البزرة كما هو على القطن وحبذا لو بذلت الهمة لاستخدام البزرة في القطر نفسهِ كأن يعصر زيتها ويعمل منهُ الصابون او المرجرين ويطعم الكسب للمواشي حتى تعاد عناصرها الى الارض مع زبلها

طب الاشجار

كثيراً ما ينخر الدود الاشجار فتعالج بادخال سلك في النخر واماتة الدودة التي نخرتها وسد مكانها بشيء من الجبس او نحوهِ كما يسد نخر السن وقد يضرب خشب الشجرة مادة فطرية فيبلى ويصير هشاً حتى اذا عبثت بها الرياح قصفتها. فاذا ظهر ان البلى اخذ في خشب شجرة فانزع الخشب البالي ونظف مكانهُ جيداً وادهنهُ بمحلول السليماني واملأهُ بالسمنت وابق السمنت في الفتحة منخفضاً عن سطح القشر حتى يتيسر للقشر ان ينمو ويسد الفتحة ويلتحم بعضهُ ببعض فتعود الشجرة سليمة متينة كما كانت قبل ان بلي خشبها

فائدة النمل الزراعية

نشرنا في هذا الجزء مقالة مسهبة موضحة بالصور الكثيرة في فائدة النمل الزراعية وقد عثرنا الآن على تحليل كيماوي لتلال النمل وللتربة من السهل الذي فيهِ هذه التلال وهما كما ترى في هذا الجدول

	تراب السهل	تراب تلال النمل
حصى بغربال خروبهُ ٣ مليمترات	٨,٦٦	٠٠٠٠
رطوبة	١,٩٨	٠٣,٣٨
مواد تحترق	٤,١٤	١٣,٠٣
مواد لا تذوب (رمل وما اشبه)	٨٢,٨٦	٧٤,٥٩
اكسيد الحديد والومينا	٩,٨٩	٨,٧٩
كلس	,١٢	,٣٠
مغنيسيا	,١٨	,٤٠
بوتاسا	,٢٥	,٣٩
حامض فصفور يك	,٠٦	,٠٦

والعبرة بالمواد التي تحترق والمواد التي لا تذوب فالمواد التي تحترق هي مواد آلية تحتوي على النيتروجين وبها خصب الارض وهي كثيرة في تلال النمل تبلغ ١٣ في المئة وقليلة في بقية تراب السهل بالنسبة اليها · والمواد التي لا تذوب مثل الرمل ونحوه لا فائدة عنها لغذاء المزروعات وهي كثيرة في تراب السهل تبلغ نحو ٨٣ في المئة وقليلة في تراب تلال النمل بالنسبة اليها تبلغ نحو ٧٤ ونصف في المئة

ضرر المصارف

المصارف ضرورية لاصلاح الارض التي فيها املاح تضرُّ بالزراعة او متولدات آلية ضارَّة ولكن اذا كانت الارض خالية من الاملاح الضارة ومن المواد الآلية الضارة فالصرف يضرُّ بها لانهُ يذيب منها الاملاح النافعة وينزحها منها ولاسيما اذا كانت غير مزروعة · وقد وجد بالامتحان مدة عشرين سنة في حقول الامتحان في روثهمستد ببلاد الانكليز ان المصارف تنزح من الفدان الواحد في السنة نحو ٣٤ رطلاً من النيتروجين وهي تعادل ٢١٦ رطلاً من نيترات الصودا · وفي حقول الامتحان في غرينيون قرب باريس تنزح ١٩٠ رطلاً من الفدان · اما الارض المزروعة فالذي تنزحهُ المصارف منها كان قليلاً جدًّا لا يزيد على رطلين وثلث

وتنزح المصارف من الارض مواد اخرى مختلفة ولكن ليس من نزعها خسارة الاَّ اذا كان في الارض سماد كثير فان المصارف تنزح جانباً كبيراً منهُ

والمرجح ان نزح المصارف للمواد النيتروجينية لا يكون منهُ ضرر كثير لانها تعدُّ الارض لنمو الميكروبات التي تأخذ النيتروجين من الهواء وتركب منهُ مركبات نيتروجية تذوب في الماء وتمتزج بالتربة فتضر من جهة وتفيد من اخرى

الاملاح الضارة بالارض

اكثر الاملاح وجوداً في الارض هو كلوريد الصوديوم اي ملح الطعام وكبريتات الصوديوم اي الملح الانكليزي وكربونات الصوديوم اي القلي والاخير اشدها ضرراً لان الاول اي ملح الطعام يذوب بالماء وينزح مع مياه الصرف والثاني يذوب ايضاً ويزول فلا يضر واما الثالث فيذوب بصعوبة ويضرُّ كثيراً ويزال ضررهُ باضافة الجبس الى الارض الاَّ ان الاشجار والنباتات المختلفة تحتمل هذه الاملاح في الارض على درجات مختلفة

كما ترى في الجدول التالي وقد ذكرت فيهِ اكبر كمية يمكن ان تحتملها الى عمق قدم

	ملح الطعام	كبريتات الصودا	كربونات الصودا
العنب	٩٦٤٠	٤٠٨٠٠	٧٥٥٠
التين	٠٨٠٠	٢٤٤٨٠	١١٣٠
البرتقال	٣٣٦٠	١٨٠٠٠	٣٨٤٠
الكمثرى	١٣٦٠	١٧٨٠٠	١٧٦٠
التفاح	١٢٤٠	١٤٢٤٠	٠٦٤٠
الخوخ (الدراقن)	١٠٠٠	٠٩٦٠٠	٦٨٠
المشمش	٠٩٦٠	٨٦٤٠	٤٨٠
الليمون	٨٠٠	٤٤٨٠	٤٨٠
التوت	٢٢٤٠	٣٣٦٠	١٦٠
اليوكالبتوس	٢٩٦٠	٣٤٧٢٠	٢٧٢٠
الجميز	٢٠٣٢٠	١٩٢٤٠	٣٢٠٠
الفجل	٠٠	٥٥٠٠	٢٨٠٠
الطرطير	١٢٥٢٠	١٢٥٦٤٠	١٨٥٦٠
البرسيم الحجازي الجديد	٧٦٠	١١١٢٠	—
« « القديم	٥٧٦٠	١٠٢٤٨٠	٢٣٦٠
عباد الشمس	٥٤٤٠	٥٢٦٤٠	١٧٦٠
الفجل	٢٢٤٠	٥١٨٨٠	٨٧٢٠
الجزر	٢٣٦٠	٢٤٨٨٠	١٢٤٠
القمح	١١٦٠	١٥١٢٠	١٤٨٠
الشعير	٥١٠٠	١٢٠٢٠	١٢١٧٠
الترمس	٣٠٤٠	٥٤٤٠	٢٧٢٠

ووزن تراب الفدان الى عمق قدم ٤٠٠٠٠٠٠ فاكثر كمية من ملح الطعام في التربة يحتملها الكرم هي ٩٦٤٠ رطلاً من كل ٤٠٠٠٠٠٠ رطل او نحو واحد من ٤٠٠ او ٢½ في الالف وهلمَّ جرًّا بقسمة العدد الموجود على اربعة ملايين · والطرطير يحتمل كبريتات الصودا ولو كان ٢١ في المئة من التربة

باب التقريظ والانتقاد

ولاة مصر وقضاتها

تأليف ابي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري

اهدى الينا الاوصياءُ الذين يطبعون الكتب العربية النفيسة على نفقة تذكار المرحوم المستر جب نسخة من هذا الكتاب منقولة عن نسخة كُتبت للامير سعد الدين ابي عبد الله محمد بن الامير حسام الدين سنقر . وقد نقلها وصححها المستر رفن غست وقدَّم لها مقدمة انكليزية ادمج فيها تاريخ القطر المصري من زمن الفتح الى زمن وفاة المؤَلف وما انقلب عليهِ من الشؤُون السياسية والدينية واتبعها بفصل في ترجمة المؤَلف و بكلام مسهب على مؤَلفاتهِ واسانيدهِ في الرواية والملحقات التي الحقت بهذا الكتاب والزمن الذي كُتبت فيهِ النسخة التي نقل عنها وهو سنة ٦٢٤ للهجرة (١٢٢٧ للمسيح) والذي كُتبت لهُ وكان قائداً لجيوش الملك المعظم ابن الملك العادل الايوبي الذي حكم في دمشق من سنة ٦١٥ الى سنة ٦٢٤ للهجرة (١٢١٩ — ١٢٢٧ للمسيح) ثم نقلت الى مصر وكانت فيها سنة ٨٠٥ للهجرة

وطريقة المؤَلف في ذكر اخبار الولاة والقضاة الذين كانوا في مصر من زمن الفتح الى اواخر المئة الثانية طريقة اهل الحديث في جمع الاخبار من افواه المحدّثين وذلك مطلق في اخبار القرن الاول والنصف الاول من الثاني دلالة على انهُ لم يكن لديهِ تواريخ مكتتبة عن تلك المدة وهذا يؤَيد ما قيل من انهُ لم يكن تدوين في الاسلام قبل القرن الثاني. وايضاحاً لذلك نذكر الفقرات التالية

«حدثنا محمد بن زبّان بن حبيب الحضرمي اخبرنا الحارث بن مسكين قال اخبرنا ابن وهب قال اخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب ان عمرو بن العاص قدم مصر بثلاثة آلاف وخمسمائة ثلثهم غافق ثم مُدَّ بالزبير بن العوَّام في اثني عشر الفاً

حدثنا عبد الملك بن يحيى بن عبد الله بن بكَيْر قال حدَّثني ابي عن الليث بن سعد قال اقام عمرو بن العاص محاصر الحصن الى ان فتحهُ سبعة اشهر

وحدثني يحيى بن ابي معاوية التجيبي قال حدَّثني خلف بن ربيعة الحضرمي عن ابيهِ عن ابن لهيعة عن يزيد ابن ابي حبيب قال فتحت مصر في يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين»

وسائر الكتاب الى اواسط القرن الثاني للهجرة على هذا النسق من النقل المعنعن وبعد ذلك يصير الكلام مرسلاً كأنهُ منقول عن تواريخ المعاصرين كما ترى في الفصل الذي نقلناهُ من هذا الكتاب

والكتاب مطبوع طبعاً متقناً جدًّا وخوفاً من ان تضيع المزية التي يراها الباحثون في كتب الخط القديمة من حيث اصطلاحات الخطاطين طبعت فيهِ صفحات منقولة عن النسخة الخطية بالتصوير الشمسي

وقد اضيفت اليهِ فهارس مختلفة فجاء من خيرة الكتب طبعاً ووضعاً فللناشر بهِ ومنقحهِ الشكر الجزيل

كتاب العقود اللؤلؤية

في تاريخ الدولة الرسولية

هذا الكتاب ايضاً طبع على نفقة تذكار جب وهو تأليف الشيخ علي بن الحسن الخزرجي وقد عُني بتصحيحهِ وتنقيحهِ الشيخ محمد بسيوني عسل مدرسة اللغة العربية في جامعة كمبردج ·

والدولة الرسولية من الدول التي ملكت بلاد اليمن من اواخر القرن السادس الهجري وكان اسلافها من قواد جيوش بني ايوب فقد جاء في هذا التاريخ ان الملك المسعود الايوبي جعل نور الدين الرسولي اتابك عسكرهِ بعد ان اعتقلهُ · ثم تركهُ في اليمن وعاد الى الشام لان عمهُ الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب توفي الى رحمتهِ تعالى فكتب اليهِ ولدهُ الملك الكامل السلطان يستدعيهِ اليهِ ليعطيهُ دمشق فطلب اتابكه نور الدين عمر بن علي بن رسول وقال لهُ قد عزمت على السفر وقد جعلتك نائبي في اليمن فان مت فانت اولى بملك اليمن من اخوتي لانك خدمتني وعرفت منك النصيحة والاجتهاد وكان ذلك سنة ٦٢٦

قال المؤلف وذكر ابو المظفر سبط بن الجوزي في كتابهِ مرآة الزمان ان الملك المسعود تجهز بجهاز عظيم لم يسبقهُ اليهِ ملك · من جملتهِ الف خصي وخمسمائة صندوق من فاخر الاقمشة والملبوس وثلثمائة بهار من العود الرطب ومن العنبر الفاخر وار بعمائة سرية · ومن الجواهر واللآلئ والاحجار النفيسة ما لا ينحصر وسبعون الف ثوب صيني معلم بالذهب ومن الصنائع مالا ينحصر عددهُ · حتى قيل ان المراكب التي اقلت هذا سبعون مركباً · وذلك انهُ صاح في البنادر من اراد السفر الى الديار المصرية فليسافر مع الملك المسعود قبل سفرهِ بمدة · فاقبلت التجار من كل ناحية بأنواع التجارات والبضائع فاجتمع بهم في ثغر عدن وقال لهم

يبعوني هذه البضائع التي عندكم لتسلموا من العشور . فباعوا عليهِ فاخذها منهم وكتب لهم باثمانها الى اليمن واحال لهم بحوالات الى كل ناحية . فصاحوا بالويل والثبور . فلم يلتفت اليهم ولم يحصل لاكثرهم شيء»

وذكر ما يماثل ذلك من حيث كثرة البضائع في حوادث سنة ٧٠٤ قال

« وفي شهر شوال اقطع السلطان ابن بهرام مدينة ابين واعمالها . وتجهز ابن نور نحو الديار المصرية في اول شوال وقد اقطعهُ السلطان القحمة فسار في اوائل الشهر المذكور بانواع التحف السنية من الفضيات على اختلاف انواعها كالطشوت والاباريق والصلاحيات والجامر والاكر والقرابات وسواري العود والصندل والقطع الكبار من العنبر ونوافج المسك وما عظم شأنهُ من نخار الصيني واليشم من الصحون والزبادي ما لم يكن شرحهُ من الحسن . ومن الخدام الحبش والقنا الهندي والمراقد الصينية ومن المراتب المذهبة والشاشات الرفاع والسلقانيات . ومن الثياب المذهبة الصينية ما عظم شأنها ومن الاواني والاطباق والصناديق مملوءة بالمسك المفرغ والشاه صيني والكافور التيار جملة أخرى . وما يتعلق بالحوائج خاناة كالفلفل والقرنفل والزنجبيل واللك والبقم أبهرة . ومن الوحوش كالفيل وحمار الوحش والزرافة كلها مكسوة بالحرير والاطلس الملمع بالذهب ومن الخيل المسومة العربية الاصائل اللائقة بحال المرسل اليهِ . نقل ذلك مركبان عظيمان . ومثل هذه الهدية لا تكاد تتأخر بين عامين او ثلاثة طلباً للمودة والمحبة واستمرار على ما يعهد من الصحبة »

تاريخ جهانكشاي

الجزء الاول

وهو يتضمن تاريخ جنكيز خان واعقابهِ الفهُ بالفارسية علاء الدين الجويني سنة ٦٥٨ للهجرة وطبع على نفقة تذكار جب باهتمام مصححهِ حضرة محمد بن عبد الوهاب القزويني وقد قدَّم لهُ الاستاذ ادورد برون مقدمة انكليزية قال فيها انهُ اصدق تاريخ للمدة التي يتناولها وهي من اهم مدد التاريخ لان فيها قام المغول واجتاحوا الممالك وانتشروا في اقل من اربعين سنة من بلاد الصين شرقاً الى سواحل بحر الروم غرباً ومن جنوب روسيا شمالاً الى خليج فارس وبحر عمان جنوباً وبلغت وطأتهم اشدها في بلاد فارس

والمقدمة مسهبة تقع في ٩٣ صفحة والذي صحح الكتاب اضاف اليهِ حواشي وتوضيحات كثيرة يشكر عليها جزيل الشكر وحبذا لو تُرجم الى العربية

تاريخ آداب اللغة العربية

الجزء الثالث

يحتوي على تاريخ آداب اللغة العربية من دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ ﻫ الى دخول الفرنسويين مصر سنة ١٢١٣ ﻫ (١٧٩٨ م) ويدخل فيهِ ثمار القرائح والعقول في العصر العباسي الرابع والعصر المغولي والعصر العثماني . وهو في نحو ٣٥٠ صفحة حافلة بالفوائد التاريخية والآراء الفلسفية مما لو اريد اشباع الكلام عليهِ لملأ مجلدات كثيرة . وحسب المؤلف الفاضل جرجي بك زيدان فخراً انهُ جمع تاريخ الآداب العربية مدة ثمانمئة سنة في نحو ٣٠٠ صفحة يجد فيها الطالب بغيتهُ . وحبذا لو اتبعهُ بالحواشي التي ترشد من يريد التوسع في مواضيعهِ الى المظان التي يجد فيها مرادهُ كما فعل في بعض الاجزاء السابقة . وهو في حالهِ الحاضرة خزانة جامعة لزبدة مئات من الكتب ولا شبهة في ان كثيراً من منقولاتهِ واحكامهِ يفتقر الى التحقيق والتمحيص ولكن ذلك يكون بعد هذا الجمع والتبويب . وقد لا يتاح لآداب اللغة العربية ان يشتغل بها احد اكثر مما اشتغل مؤلف هذا الكتاب فلهُ فضل كبير لا ينكر على ابناء العربية

تاريخ الصحافة العربية

صدر الجزء الثاني من هذا السفر الجليل وهو يحتوي على اخبار كل جريدة ومجلة عربية ظهرت في العالم شرقاً وغرباً مع رسوم اصحابها والمحررين فيها وتراجم مشاهيرهم لحضرة واضعهِ الفيكونت فيليب دي طرازي

وهذا الجزء مفتتح بصورة السلطان عبد الحميد وفيهِ صور كثيرين من رجال الصحافة والذين لهم بعض الشأن فيها . وهو كالجزء الاول من حيث الجمع اي انهُ في الدور الاول من ادوار التأليف ومن اتى دور التحقيق والتمحيص والتنسيق فلا بد من حذف اسماء كثيرة من الذين لا شأن لهم في الصحافة وتبويب من بقي منهم حسب تاريخ صحفهم او اهميتها . اما الجمع فلا شبهة في انهُ اهم الادوار كلها واكثرها مشقة واوفرها نفقة ويظهر لنا ان حضرة المؤلف الفاضل قد اوفاهُ حقهُ ففي هذا الجزء مثلاً جدول عام يحتوي على اسماء كل الصحف العربية التي ظهرت في السلطنة العثمانية وبلاد اوربا من سنة ١٧٩٩ الى ١٨٩٢ وتاريخ ظهورها

واسماء منشئيها وهاك ما جاء فيهِ عن المجلات التي ظهرت في مدينة بيروت في هذه المدة

اسم المجلة	منشئوها	تاريخ اول صدورها
مجموع الفوائد	المرسلون الاميركيون	١ كانون الثاني ١٨٥٢
اعمال الجمعية السورية	الجمعية السورية	٦ « « ١٨٥٢
الشركة الشهرية	يوسف الشلفون	١ « « ١٨٦٦
اعمال شركة مار منصور	ميخائيل فرج الله	١ حزيران ١٨٦٧
مجموعة العلوم	الجمعية العلمية السورية	١٥ كانون الثاني ١٨٦٨
المجمع الفاتيكاني	الاباء اليسوعيون	١ « « ١٨٧٠
الجنان	بطرس البستاني	١ « « ١٨٧٠
النحلة	القس لويس صابونجي	١١ ايار ١٨٧٠
النجاح	« « ويوسف الشلفون	٩ كانون الثاني ١٨٧١
الطبيب	الدكتور جورج بوست	١ « « ١٨٧١
المقتطف	يعقوب صرُّوف وفارس نمر	١ حزيران ١٨٧٦
المشكاة	خليل سركيس	١ نيسان ١٨٧٨
سلسلة الفكاهات	نخلة قلفاط	١ تشرين الثاني ١٨٨٤
ديوان الفكاهة	سليم شحاده وسليم طراد	١ كانون الثاني ١٨٨٥
الصفا	علي ناصر الدين	١ « « ١٨٨٦
الكنيسة الكاثوليكية	خليل البدوي	١ « « ١٨٨٨

ولا يخفى ان اكثر هذه المجلات كراريس دورية صدرت وقتاً قصيراً ثم غابت اما المقتطف فصدر اول جزء منهُ في اول ايار (مايو) سنة ١٨٧٦ وتوقفنا شهراً لنرى عدد المشتركين واصدرنا الجزء الثاني في اول تموز (يوليو)

محاسن الطبيعة وعجائب الكون

للورد افبري كتب ادبية كثيرة مثل مسرات الحياة ومعنى الحياة والسعادة والسلام وقد عرب بعضها غير واحد من ادبائنا ومنهم الكاتب المجيد وديع افندي بستاني وقد اتحفنا الآن بمعرب كتاب محاسن الحياة وهو مطبوع طبعاً متقناً جدًّا وثمنهُ ٦ غروش

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كاف

(١) عمل الصابون

مصر. الدكتور يوسف زعرب. ان عملية الصابون عملية كيماوية محضة ولكن انواعهُ مختلفة فهل يمكن لكم ان تكتبوا لنا مقالة مسهبة في طرق اصطناعهِ عمليًّا وعن المواد الاولية التي يصنع منها ومقدارها وتكاليف الطبخ وعدد الساعات او الايام اللازمة للطبخة الواحدة

ج. لقد كتبنا فصولاً كثيرة في عمل الصابون في بعض الاجزاء الماضية وسنكتب ايضاً في هذا الموضوع بالتفصيل

(٢) حمل الزيتون سنويًا

ومنهُ. هل من طريقة عملية لجعل شجر الزيتون يثمر كل سنة بدلاً من كل سنتين وهل السباخ يفيد ذلك

ج. اذا قسم حقل الزيتون الى قسمين ونزعت حبوب القسم الواحد حالما تظهر وهي زهر فانهُ يحمل في السنة التالية ويصير نصف الحقل يحمل هذه السنة والنصف الآخر في السنة التالية دواليك. وخير من ذلك ان تقلّم طرابين (اغصان) الزيتون كل سنة ولا يترك منها الاَّ بعض الاغصان التي تحمل ثمراً فتحمل ثمراً معتدلاً ويطرد غيرها اغصاناً تحمل في السنة التالية فتصير الشجرة تحمل كل سنة حملاً معتدلاً ولا تحمل مرة واحدة كل سنتين كما هي الحال في سورية. والسباخ يفيد شجر الزيتون ولا بدَّ لهُ منهُ

(٣) عصر الزيت في ايطاليا

ومنهُ. ما هي الطريقة المستعملة في ايطاليا لعصر الزيتون واستخراج الزيت منهُ

ج. هي الطريقة الشائعة الآن في ساحل بيروت اي ان يسحق الزيتون بحجر اسطواني كبير يدور عليهِ او باسطوانات من الحديد ثم يوضع في قفف من الخيش ويضغط بالمضغط المائي فيعصر الزيت منهُ. ويسخن الجفت ويضاف اليهِ قليل من الماء ويضغط ثانية فلا يبقى فيهِ الاَّ شيء قليل جدًّا من الزيت

(٤) الكهربائية في الضعف العصبي

الاسكندرية. احد المشتركين هل يضر استعمال الكهربائية علاجًا لمن أصيب

بالضعف العصبي

ج . كلاَّ ولكن لا بدَّ من ان يكون الطبيب الكهربائي خبيراً باستعمالها والاَّ فقد يضر المريض اذا لم يحسن استعمال اشعة رنتجن

(٥) محلول عنبرخام

ومنهُ . اخبرني احدهم ان صديقاً لهُ استعمل محلول عنبرخام الهندي للدكتور زوكرفاتي بفائدة فهل ترون ان هذا الدواء مفيد حقيقة

لا يمكن الحكم في هذه الادوية الاَّ بعد معرفة المواد التي تتركب منها او بعد تجربتها في عدد كبير من المرضى ومراقبة فعلها بهم . وليس لدينا ما نعرف منهُ المواد التي يتركب منها هذا المحلول ولا احصاء مثبت عن الذين عولجوا بهِ ولذلك لا يمكننا الحكم بانهُ نافع او غير نافع

(٦) حبات الغذاء

ومنهُ . سمعت ان الاميركان اخترعوا ثلاث حبات كافية لغذاء الانسان فاين تباع هذه الحبوب وما اسمها وهل من ضرر او نفع اذا ابتلع الانسان اكثر من معدلها

ج . لا يستحيل ان تركَّب ثلاث حبات من الطعام وتكون كافية لغذاء الانسان ولكن يلزم ان تكون كل حبة منها كالبيضة الكبيرة على الاقل وتكون موءلفة من الاطعمة النيتروجينية والهيدروكربونية او يكون تركيبها مثل تركيب الخبز او الفول على الاقل فان كلاً منهما يكفي لغذاء الانسان كما يغتذي المسجونون . ولكن يظهر من سوءالكم انكم تعنون انها حبوب صغيرة كحبوب الادوية العادية وزن كل حبة منها قمحة او قمحتان فان كان الامر كذلك فتركيب حبوب على هذه الصفة يكفي ثلاث منها لغذاء الانسان ضرب من المحال لان الانسان يحتاج الى نحو ٤٠٠ غرام من الطعام على الاقل كل يوم

(٧) عمل اقلام الرصاص

كفر الطوير . حامد افندي السيد الطنطاوي . كيف تصنع اقلام الرصاص

ج . يسحق البلمباجين جيداً ويضاف اليهِ كثير من الماء في حياض واسعة الواحد فوق الآخر حتى ترسب منهُ الاجزاء الكبيرة الثقيلة وتبقى الاجزاء الدقيقة الخفيفة محمولة بالماء ثم ترسب منهُ اخيراً في الحوض الاخير مسحوقاً ناعماً جدًّا . ويسحق التراب الجيد الخالي من الرمل والحديد ويعالج كما عولج البلمباجين حتى يرسب منهُ اخيراً راسب ناعم جدًّا . ويمزج راسب البلمباجين براسب التراب على نسب مختلفة حسب ما يراد من كون الاقلام شديدة السواد او قليلتهُ وشديدة الصلابة او قليلتها . ويطحن مزيجهما معاً ويوضع في اكياس ويضغط بالضغط المائي حتى يصير من ذلك طين شديد القوام فيوضع هذا الطين في اسطوانة كبيرة مجوفة

من الحديد لها خروب مربعة او مستديرة ويضغط فيها فيخرج من الخروب خيوطاً دقيقة فتقطع هذه الخيوط بالاطوال المطلوبة وتحمى بضع ساعات فتصير صالحة لان توضع في الخشب المعد لها

والخشب للاقلام الجيدة من الارز او الشربين وللاقلام العادية من الصنوبر وتختار الالواح وسمك كل لوح منها نحو نصف قطر القلم وعرضهُ كقطر ستة اقلام وعندهم آلات تصقلهُ وتقطعهُ اقلاماً وتحفر فيها الحفرة التي يوضع فيها خيط البلمباجين فيوضع ويجمع بين نصفي القلم بالغراء و يدهن

والبلمباجين معدن طبيعي وهو نوع من الفحم او الكربون

(٨) حبر الختم

ومنهُ . مماً يصنع حبر الخنامة

ج . من حبر الانيلين العادي الذي اضيف اليهِ قليل من الغليسرين

(٩) انكماش الصوف

ومنهُ . ما بال الثوب من الصوف البلدي اذا وقع عليهِ شيء من الماء يتقلص والصوف الافرنجي لا يحصل فيهِ شيء من ذلك بل يبقى على حالهِ بغير تغير

ج . لان الصوف الافرنجي يعالج على اسلوب يضغط اليافهُ ويزيل منها المادة الزيتية وسنكتب فصلاً مسهباً عن غسل الصوف وغزلهِ وصبغهِ ونسجهِ

(١٠) علة القلب

مصر . كامل افندي جرجس ما هي اسباب علة القلب وما الذي يقويهِ وما الذي يضعفهُ

ج . علل القلب كثيرة كالتضخم والتمدد والضمور والتهاب بطانتهِ والتهاب نسيجهِ ونقصان صماماتهِ وتضيق فوهاتهِ وحوُولهِ والألم الفوآدي او نفرالجيا القلب . والغالب انكم تريدون الاخير فاذا كان ناتجاً عن ضعف وجب ازالة السبب واستعمال المقويات مثل صبغة الحديد . ويضعفهُ كل ما يضعف الجسم كفقر الدم والشبق وما اشبه

(١١) النوم في مجرى الهواء

ومنهُ . ينام شخص في غرفة ذات شباك يفتحهُ وقت النوم ليدخل منهُ الهواء ولها باب يقفلهُ فهل الاصلح ان ينام في الجهة المواجهة للشباك او في الجهة الاخرى وما هو التأثير الذي يحصل لهُ اذا نام في الجهة الاولى

ج . اذا استغرق في النوم وهو امام شباك مفتوح برد الجانب المواجه منهُ للشباك اكثر من الجانب الآخر فتزول موازنة الحرارة في جسمهِ ويتقلص بعض اوعيتهِ الدموية ويتّسع البعض الآخر فيصاب بزكام او تقلص في العضلات . واذا كان مستيقظاً قاوم ذلك بالحركة او بتغيُّر وضعهِ امام الشباك . ولذلك يفضل ان ينام حيث لا يصيبهُ الهواء البارد من جهة دون اخرى . واذا اصاب جسمهُ كلهُ

على حدٍّ سوى لم يضرَّ بهِ

(١٢) التاريخ الهجري

بني سويف . زكي افندي يوسف غبريال . متى وضع التاريخ الهجري

ج . يقال انهُ وضع في عهد الامام عمر بن الخطاب

(١٣) استعمال السنة القمرية

ومنهُ . هل كانت السنة القمرية مستعملة قبل الهجرة وان كان الامر كذلك فما هي اسماء الشهور في الجاهلية

ج . نعم كانت مستعملة عند اليونانيين والعبرانيين والعرب . واسماء الشهور في الجاهلية على ما في المخصص كما ترى

محرم	المؤتمر
صفر	ناجر
ربيع الاول	خوّان
ربيع الآخر	بُصان
جمادي الاولى	حنين وشيبان
جمادي الثانية	رُبّى وملحان
رجب	الاصم
شعبان	عاذل
رمضان	ناتق
شوال	وعل
ذو القعدة	ورنة
ذو الحجة	بُرَك

(١٤) التاريخ القمري

ومنهُ . لماذا اختصت دول الاسلام بالتاريخ القمري

ج . لان للشهور القمرية علاقة دينية ومع ذلك فقد كانت الحكومات الاسلامية في مصر تعتمد على السنة القبطية وهي شمسيَّة وكانت دول الاسلام الاولى تعتمد على تاريخ الاسكندر وهو شمسي ثم استنبطت الحكومة العثمانية السنة المالية العثمانية وهي شمسية ايضاً

(١٥) قاموس الالفاظ الفنية

المغرب الشرقي . السيد محمود سايب هل يوجد قاموس عربي في الالفاظ الفنية . والاَّ فهل شرع احد العلماء في تأليف قاموس مثل هذا

ج . لا يوجد وقد الفنا قاموساً مختصراً مثل هذا وطبعنا منهُ في المجلد الثامن والتاسع من المقتطف من حرف الالف الى آخر حرف الكاف واتفق حينئذٍ اننا انتقلنا بالمقتطف الى مصر وفقدت الاوراق التي فيها بقيتهُ وحتى الآن لم نجد فرصة لاتمامهِ وها كم مثالاً منهُ

الكبريتيد Sulphide مركب من الكبريت وعنصر آخر مثل كبريتيد الانتيمون اي الكحل الاسود وكبريتيد الزرنيخ اي طعم الفار

الكلوروفورم Chloroform سائل طيب الرائحة استنشاقهُ يزيل الشعور بالالم وهو المستعمل للتبنيج يستحضر باستقطار الالكحول وكلوريد الكلس والماء

الكالومل Calomel هو الكلوريد الزيبقوس ويسمّى ايضاً تحت كلوريد الزيبق وبروتوكلوريد الزيبق . وهو مسحوق ابيض ثقيل لا يذوب في الماءكثيرالاستعمال في الطب

واذا مكنتنا الصحة والفرصة فسنعيد الكرة على هذا المعجم فنوسعهُ ونتممهُ لاننا نرى الحاجة ماسّة اليهِ

(١٦) حاسة الشم

جونديا هي بالبرازيل . الخواجه حبيب ابو خلف . يقولون ان حاسَّة الشم كانت في انسان العصور الاولى اقوى ممَّا هي في انسان هذا العصر فهل ذلك صحيح واذا كان صحيحاً فما هو سبب ضعفها

ج. لم نقرأ ان احداً اثبت ذلك ولا نظنهُ صحيحاً بل المرجح عندنا انهُ غير صحيح وان حاسَّة الشم كانت قوية في الحيوانات السابقة للحيوانات اللبونة ثم ضعفت في الحيوانات اللبونة وقويت بدلاً منها حاسَّة البصر وهي التي قوَّت الجزء الجوهري من الدماغ. راجعوا ما نشرناهُ في هذا الموضوع من خطبة الاستاذ اليوت سمث في المجلد الحادي والاربعين من المقتطف

(١٧) معرفة جنس الجنين

ومنهُ . هل يمكن للاطباء ان يعرفوا كون الجنين ذكراً او انثى باشعة رنتجن وهل تضرُّ اشعة رنتجن في الجنين

ج. كلاَّ لا يمكن معرفة جنس الجنين واذا طال استعمال اشعة رنتجن فمنها ضرر للحامل ويبعد ان يتصل ضررها الى الجنين مباشرة

(١٨) انقراض الاحياء

ومنهُ . هل يأتي زمن لا يبقى فيهِ حي على وجه الارض

ج. نعم فانهُ لا يحتمل ان تبقى الارض صالحة لمعيشة الحيوانات الى ما لا نهاية لهُ من الزمن فاذا لم يصدمها نجم ويكسرها فلا بدَّ من ان يزول الماء منها بعد ازمان طويلة كما زال من القمر

(١٩) الشيب من المشاق

ومنهُ . هل التعب والمشقات تعجل الشيب فقد ذكرتم في المجلد ٢٩ من المقتطف عن السر هنري ستنلي ما نصهُ « لكنهُ ذهب الى افريقية اسود الشعر فرجع شائبهُ لكثرة ما عاناهُ من المشاق وما اقتحمهُ من المخاطر

ج . نعم وقد رأيناهُ وقتما رجع من افريقية وكان الشيب قد وخطهُ وكاد يبيض لمتهُ اما كيف يحدث الشيب على اثر التعب الشديد والهم والقلق فغير معروف تماماً ولكننا نظن ان الخلايا التي تأكل المادة الملونة من الشعر مقيدة بالفعل العصبي فاذا زال هذا القيد بضعف الاعصاب او بانتهاك القوى اطلق سبيلها فتأكل المادة الملونة من الشعر

(٢٠) فائدة الكتابة

ومنهُ . اي اختراع من هذين الاختراعين افاد الناس اكثر من الآخر هل الحروف

الهجائية وما بني عليها او الدولاب (العجل) وما بني عليهِ

ج · اننا لا نرى اختراعاً تقابل فائدتهُ بفائدة الكتابة بالحروف الهجائية

(٢١) مرض شجر التوت

دير البلمند · الخوري اغناطيوس خوري يطرأ على الاشجار عندنا من كل الاجناس وعلى الاخص شجر التوت داء يسمى في شمالي سورية حميرا وفي لبنان مالوش فتفقد الشجرة زهوتها السابقة وتظهر كأنها حزينة على نفسها وتذبل اوراقها قليلاً في اول الامر ثم تزيد ذبولاً مع الايام الى ان تيبس مكتسبة لوناً احمر فاتحاً وتكتسي جذورها وما فوقها مادة بيضاء تشبه الدقيق الناعم وهي حامية كالجير ويسرع الانحلال في الجذور وما حولها حتى يسهل قلع الشجرة بدون معول فما هو هذا الداء وهل من دواء لهُ وما هو

يظهر من وصفكم ان الداء فطر ينمو على جذور الاشجار فيمتص الغذاء منها ويميتها او نوع من الحشرات الصغيرة الضارة كالفيلكسرا ولا يمكن وصف العلاج الشافي الاَّ بعد فحص الداء فحصاً علميًّا مدققاً ولكننا نظن انهُ اذا حفرت حفرة قرب الشجرة وصبَّ فيها قليل من بي كبرتيد الكربون انتشر غازهُ في التربة وامات الفطر والميكروبات الضارة · والجفاف التام في فصل الصيف قد يفيد بقتل الميكروبات ونحوها

(٢٢) اتباع الميل الطبيعي

اسيوط · عزيز افندي رزق · لي صديق والدهُ تاجر كبير يريد ان يستفتيكم هل الاحسن لهُ ان يدخل احدى المدارس المصرية ليحصل منها على شهادة تخولهُ الدخول في احدى مدارس الطب باوربا مع العلم بانهُ لا ينتهي منها قبل سنة ١٩٢١ او ان يفتح محلاً تجاريًّا من مال والدهِ ويأخذ ٢٥ في المئة من ربح محلهِ ومحل والدهِ وهي لا تقل عن ٩٠٠ جنيه في السنة وهو على المام بالتجارة

ج · ليتبع ميلهُ الطبيعي فاذا كان يميل الى التجارة فليتعاطَ التجارة واذا كان يميل الى العلم ولاسيما العلوم الطبية فليطلب العلم ومن العبث ان يجري المرء على خلاف ميلهِ الطبيعي لانهُ يتعب حينئذٍ كثيراً ويستفيد قليلاً

(٢٣) محل درس الهندسة

ومنهُ · هل الافضل للطالب المصري ان يدرس علم الهندسة المائية في مدرسة المهندسخانة المصرية او في اوربا

ج · الدرس في اوربا كثير النفقة جدًّا لا يستطيعهُ كل احد ولكن الذي يدرس في اوربا يبتدئ براتب اكبر من الراتب الذي يبتدئ بهِ من يدرس في مصر · اما النجاح في المستقبل فمتوقف على الرجل نفسهِ لا على المدرسة التي تعلَّم فيها



مؤتمر الطب الدولي العام

ذكرنا اجتماع هذا المؤتمر في صدر هذا الجزء من المقتطف والخطبة التي فتحت بهِ وخطبة رئيسهِ السر توماس بارلو وسنترجم بعض الخطب التي لها فائدة خاصة وننشرها في بعض الاجزاء التالية . وقد وقفنا الآن على وصف لاعمال المؤتمر كتبهُ الدكتور صلبي السوري نزيل انكلترا لمجلة نانشر الانكليزية فرأينا ان نترجمهُ عنها لانهُ جمع خلاصة اعمال المؤتمر قال

عاد المؤتمر الطبي العام الى مدينة لندن بعد ان فارقها اثنين وثلاثين عاماً فافتتحهُ البرنس ارثر اوف كنوت نيابة عن ملك الانكليز وقد كاد عدد اعضائهِ يبلغ ثمانية آلاف وكان عددهم في الاجتماع السابق في مدينة لندن ٣١٨٢ . وقبلما اجتمع الاعضاء قُدّم النواب الاجانب الى البرنس ارثر وقال كلٌّ منهم كلمات قليلة وكان اقل هذه الكلمات واوقعها في النفوس كلام الدكتور ويو نائب جمهورية الصين . وتكلم السر ادورد غراي مرحباً بالنواب الاجانب وخطب السر توماس بارلو رئيس المؤتمر خطبة جمعت زبدة ما تقدمتهُ العلوم الطبية منذ سنة ١٨٨١ . وذكر اسماء العظام مثل باستور واستر وورخوف وهكسلي وكوخ وابان ان العمل الذي كانوا روادهُ قد تناولهُ كثيرون من ابناء عصرنا وعكفوا عليهِ . ودافع عن الذين يجربون التجارب في الحيوانات الحية وبرأهم من تهمة القسوة التي يتهمهم بها البعض عن جهل او خبث . ثم تليت سائر الخطب في ايام الاجتماع المتوالية ومنها خطبة الاستاذ شوفار من اساتذة باريس في الانذار الطبي وخطبة الاستاذ هرفي كشنج من اساتذة جامعة هارفرد في العلاقة بين الجراحة والطب دافع فيها اشد الدفاع عن الذين يجربون التجارب العلمية في الحيوانات . وقد اقرَّ اعضاء المؤتمر في اقسامهِ المختلفة على قرار بوجب مواصلة التجارب في الحيوانات لانها لازمة جدًّا لعلم الطب ولا غنى عنها بوجه من الوجوه . وخطبة الاستاذ اهرلخ وهي اسمًا في العلاج الكيماوي وفعلاً في اهم المواضيع العلاجية كلها واكثرها نفعاً . وخطبة الاستاذ باتصن في الوراثة وقد كان لها وقع عظيم في

المؤتمر وخطبة المستر برنز رئيس مجلس الصحة في الصحة العمومية . وهو من المقاومين لاجراء التجارب العلمية في الحيوانات الحية ولكن خطبتهُ كانت نفيسة وكان اكثر الاعضاء الاجانب لا يعلمون انهُ من المقاومين للتجارب في الحيوانات

وقد قُدّم الى المؤتمر نحو ٦٠٠ خطبة ومقالة في مواضيع مختلفة وجرت فيهِ نحو مئة مذاكرة ولكن الخطبة التي كان لها الوقع الاعظم هي خطبة الاستاذ اهرلخ التي جعل موضوعها العلاج الكيماوي . والذين سمعوا خطبتهُ كانوا مستعدين للمذاكرة في ما يجب على الحكومة من حيث الاهتمام بمعالجة المصابين بالسفلس وجرت هذه المذاكرة في اجتماع حضرهُ الاطباء الذين يعالجون امراض الجلد والذين يعالجون السفلس والاطباء الشرعيون برئاسة السر ملكم موريس وكانت نتيجة المذاكرة ان اقرَّ الاطباء على الطلب من كل الحكومات التي لها اعضاء في المؤتمر لكي تعد المعدات اللازمة لتشخيص هذا الداء عند اول ظهورهِ ولمعالج المصابين بهِ اذا لم يتعالجوا هم

وجرت المناظرة في معالجة السفلس بالسلفرسان افتتحها الاستاذ اهرلخ وتلاهُ الاستاذ وسرمن الذي اكتشف طريقة تشخيص السفلس ثم الدكتور هاتا الياباني الذي ساعد الاستاذ اهرلخ حتى وصل الى السلفرسان . وتكلم الملازم جبرد عن فعل السلفرسان في علاج المصابين في الجيش الانكليزي وتكلم كثيرون غيرهُ من كل انحاء المسكونة . والظاهر ان عدد الذين عولجوا بالسلفرسان وشفوا بلغ الآن عشرات الالوف . ومن سيئات الدهر ان شودين الذي اكتشف ميكروب السفلس منذ سبع سنوات فنبه اهرلخ الى اكتشاف علاجهِ توفي قبلما اكتشف اهرلخ هذا العلاج . والآن انحلت مشكلة هذا الداء الخبيث والفضل في ذلك لشودين واهرلخ ووسرمن . ولا يطلب من الاطباء الآن الاَّ ان يعالجوا كل المصابين بهِ ويشفوهم فيمنعوا انتشارهُ

وجرت المذكرة ايضاً في داء آخر من الادواء الاجتماعية وهو داء السكر وتأثيرهُ في انحطاط النسل ولكن كان للبحث فيهِ وجه واحد . وتناظر الجراحون في مواضيع جراحية مختلفة وتكلم الدكتور بشفورد عن السرطان وهو رئيس البحث فيهِ والدكتور فروند النمسوي الذي وجد في الخلايا الخبيثة مواد تسم الخلايا السليمة وفي الخلايا السليمة مواد تسم الخلايا الخبيثة واكتشافهُ هذا قد يفضي الى اكتشاف علاج للسرطان

وخُتم المؤتمر يوم الاربعاء وقد فاق في عدد اعضائهِ وسعة معارفهِ وارتقاء مباحثهِ على ما بلغهُ في اجتماعاتهِ الماضية ولكنهُ سيفوق ما بلغهُ الآن بعد زمن قصير وسيبطل

اهتمام الناس بالصحة والمرض والقوة والضعف والحياة والموت قبلما تنسى زيارة اهرلخ هذه وما يرجى من قريحته الوقادة

قرارات موئتمر الطب الدولي العام

القرار الاول. لما كان داء السفلس من الادواء الخبيثة الفتاكة بصحة الجمهور ولما كانت الوسائل المستعملة الآن غير كافية لتوقيف ضرره فالموئتمر الطبي العام قرَّر ان يُطلَب من الحكومات التي لها نواب فيهِ اولاً ان تنشئ نظاماً لتبليغ احد موظفي ادارة الصحة بطريق سري عن كل اصابة بهِ اذا لم يكن هذا التبليغ موجوداً فيها الآن. وثانياً ان تعدّ المعدات اللازمة لتشخيص كل حادثة ومعالجتها اذا لم تكن هذه المعدات متخذة فيها الآن

القرار الثاني من رأي قسم الموئتمر الذي بحث في مرض البري بري انهُ حادث من اكل الارز الذي ازيلت قشرتهُ وما تحتها حيث اكثر طعام السكان من الارز فهذا القسم يلحُّ على كل اولياء الامر الذين تناط بهم صحة الاهلين لكي يمنعوا استعمال هذا الارز طعاماً للحمالين والعمال الهنود. واذ قد ثبت ان هذا المرض غير معدٍ وجب على اولياء الامر ان يرفعوا الحجر الصحي من كل المرافيء التي اقاموهُ فيها منعاً لانتشارهِ

القرار الثالث ان الموئتمر مقتنع ان التجارب في الحيوانات الحية افادت علم الطب فوائد عظيمة جدًّا في الماضي ولا غنى عنها لنجاحهِ في المستقبل ومن رأيهِ انهُ لا يحسن ان تقيَّد حرية الرجال الاكفاء في اجراء هذه التجارب لانها مفيدة لنوع الانسان ولانواع الحيوان ايضاً ولكنهُ يطلب ان لا يؤْلَم الحيوان وقت اجراء التجارب آلاماً يمكن منعها

التلفون اللاسلكي الياباني

استنبط توريكاتا الكهربائي الياباني تلفوناً يُسمَع الصوت بهِ جليًّا على ستين ميلاً من غير سلك وقد اوجبت حكومة اليابان استعمالهُ في كل سفن الشركات التجارية اليابانية ونال المخترع امتيازاً باختراعهِ في بلاد اليابان وفي انكلترا وفرنسا. وهو طالب الامتياز الآن في المانيا والولايات المتحدة ويقال ان استعمالهُ بسيط جدًّا مثل استعمال التلفون العادي

البركان اساما ياما الياباني

ثار البركان اساما ياما الياباني ثوراناً شديداً جدًّا في ١٧ يونيو الماضي يقال انهُ لم يذكر في تواريخ اليابان ثوران يضاهيهِ وجرى منهُ نهران من الحمم ثم ثار في ٢٠ يونيو و٢٦ منهُ وقذف بالرماد الكثير في ٢٠ يونيو فسقط على ثلاثين ميلاً منهُ وقد تشقق النصف الاعلى منهُ في اماكن كثيرة وتدل الدلائل على انهُ سيتكون لهُ فوهة جديدة

الخشب المنير

كتب بعضهم الى مجلة نانشر يقول كنت مارًّا في ارض شجراء معشبة في ليلة حالكة الظلام فرأيت شيئًا يلمع عند قدميَّ كأنهُ قطعة من الفضة الصقيلة انعكس عنها نور القمر فمددت يدي ورفعت ما رأيت النور صادراً منهُ واذا هو قطعة من الخشب البالي زال لمعانها حالاً

وهذا النور فصفوري فانهُ ينمو على الخشب البالي انواع من الفطر المنير فاذا رفع من مكانهِ تغيرت الحال على الفطر فزال نورهُ

غينيا الجديدة

غينيا الجديدة جزيرة كبيرة الى الشمال من استرليا وهي من اكثر جزائر الاوقيانوس خصبًا قصدها جماعة من اهل السياحة سنة ١٩٠٩ من قبل الجمعية الجغرافية الملكية وجمعية علماء الطيور وجالوا في الطرف الجنوبي منها التابع لهولندا وجمعوا منهُ كثيراً من الطيور والحيوانات اللبونة والزحافات والفراش والخنافس والنباتات ورأوا فيها جيلاً من الاقزام لم يكن معروفًا وجبالاً شاهقة يغطيها الثلج وانهاراً كبيرة

نقل الفاكهة

يظن البعض انهم اذا لفوا المشمش والتفاح والخوخ بالورق كما يلف البرتقال سهل نقلهُ من بلد الى آخر من غير ان يهترئ وهذا خطأ لان ما كان من الاثمار مثل المشمش والتفاح يتنفس بسرعة فتتولد منهُ غازات تتلفهُ اذا كان ملفوفًا بورق يحفظ هذه الغاز حولهُ وخير من ذلك ان لا يلف بالورق بل يوضع في سلال يتخللها الهواء بسهولة واذا وضع بينهُ شيء فليكن من ورقهِ فيبقى سليمًا

آثار مروي

خطب الاستاذ غارستان في دار العلم الملكية بمدينة لندن عمَّا اكتشفهُ من آثار مروي بالسودان فبيَّن انها كانت عاصمة كبيرة وقد كُشف الآن سورها وبابهُ وكثير من مبانيها العمومية ومن اعظمها هيكل الشمس وفيهِ كثير من الاروقة والماشي المتدرجة الى ان تصل الى القدس على الدكة العليا في وسط الهيكل · واعظم منهُ هيكل امون وطولهُ ٤٣٠ قدمًا ولا يزال مذبحهُ ومحرابهُ على حالها · ومن المباني التي كشفت قصر فسيح جدًّا يظن انهُ من عهد الرومانيين وهيكلان صغيران احدهما لعبادة اله الاسد والآخر لعبادة ايسس وكل هذه المباني خارج الحرم الداخلي الذي فيهِ قصر الملك · ومالم يكشف من مروي اكثر كثيراً مما كشف منها حتى الآن وقد انحصر البحث في الفصلين

الاخيرين في الحرم الملكي ووجد في قصر من قصوره كثير من الكنوز الذهبية والحلى وكشفت الحمامات الملكية وفيها تظهر صناعة مروي على اجلى بيان

اما تمثال رأس اغسطس قيصر الذي وجد هناك وهو الآن في دار التحف البريطانية فعلى مقربة من المكان الذي كان مدفوناً فيهِ هيكل روماني صغير ومن رأي الخطيب ان الجند الروماني اقام في مروي مدة بقيادة بترونيوس وكان يعبد في هذا الهيكل ووضع فيهِ تمثال القيصر اغسطس ثم اضطرَّ ان يرتحل عن المدينة بغتةً بامر اغسطس فاخفى تمثالهُ في المكان الذي وجد فيهِ الآن . ويظهر من فقرة في تاريخ بلينيوس ان الجند الروماني وصل الى مروي وتجاوزها مسافة مئة ميل جنوباً تابعاً مجرى النيل

ويمكن الاستدلال من الآثار التي وجدت حتى الآن ان هذه المدينة مُصّرت في القرن السابع قبل المسيح في عهد الملك اسبلت والشأن فيها حينئذٍ للعمران المصري ثم وصل اليها العمران اليوناني في القرن الثالث قبل المسيح . وقد ذكر المؤرخ ديودورس ان العمران اليوناني دخلها حينئذٍ على يد ارغامنس الذي درس في مدرسة الاسكندرية . واكثر مبانيها من ذلك العهد . ثم جاءها الرومان ولم يبقوا فيها آثاراً ذات شأن واجتاحها الغزاة من ارثريا في القرن الرابع المسيحي وتوالت غزواتهم بعد ذلك فانتقلت رويداً رويداً من العمران الى البربرية

الرياضيات الصينية واليابانية

الَّف يوشيو ميكامي كتاباً موضوعة نشوء العلوم الرياضية في الصين واليابان بيَّن فيهِ انهُ كان عند الصينيين شبكة يحسبون بها منذ عهد قديم جدًّا وانهم ميزوا الاعداد الايجابية من الاعداد السلبيَّة باللون فجعلوا لون الاعداد الايجابية احمر ولون الاعداد السلبية اسود وكانوا يعرفون قواعد الكسور الدارجة في القرن السادس المسيحي اي انهم سبقوا اوربا بالف سنة. وحسبوا نسبة محيط الدائرة الى قطرها كنسبة ٣٥٥ الى ١١٣ تقريباً وقالوا انهُ بين هذين العددين وهما ٣,١٤١٥٩٢٦ و٣,١٤١٥٩٢٧ وقالوا ان نسبة المحيط الى القطر تعادل الجذر المالي من ١٠ وكان ذلك قبل المسيح بمئة وتسع وثلاثين سنة

الفصفات في القطر المصري

ان فصفات الجير من اجود الاسمدة وقد وجدت كميات كبيرة منهُ على ساحل البحر الاحمر في ارض مساحتها اربعة عشر كيلومتراً مربعاً ومقدار الفصفات فيها من ٢٠ في المئة الى ٧٠ في المئة وكان ما استخرج منها ٧٠٠ طن سنة ١٩٠٨ فبلغ ٧٠٠٠٠ سنة ١٩١٢ وقد مدَّ خط حديدي بينها و بين البحر

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثالث والاربعين

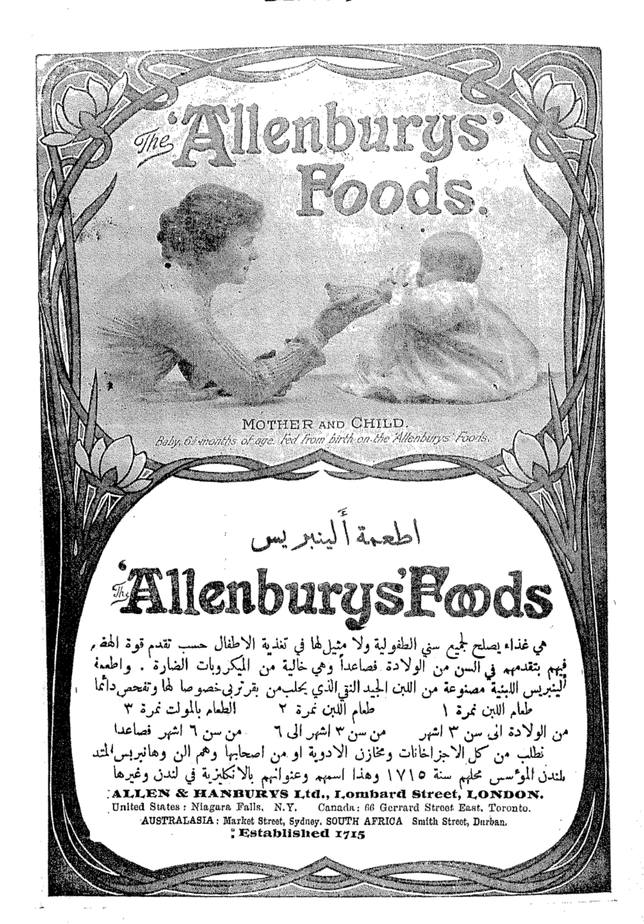
اعلانات المقتطف

المقتطف اقدم المجلات العربية واوسعها انتشاراً فيطالَع ويحفظ في كل بلاد تقرأُ فيها اللغة العربية وكل اعلان ينشر فيهِ يطَّلع عليهِ الوف من قرَّاء العربية في كل اقطار المسكونة

وفائدة الاعلانات في ترويج البضائع والاشغال من كل الانواع اشهر من ان تذكر حتى ان محلاَّت كثيرة في اوربا واميركا تنفق سنويًّا الوفًا من الجنيهات على نشر الاعلانات وترى انها تربح من ذلك ربحًا كبيراً واذا قلَّلت اعلاناتها في سنة من السنين قلَّ بيع بضائعها ومصنوعاتها وقلَّ ربحها كثيراً

وقد رأينا ان نعيد نشر الاعلانات في المقتطف لاسيما وان كثيرين من قرَّائهِ يسألوننا من وقت الى آخر عن الاماكن التي تباع فيها بعض الكتب وبعض المواد وعن اثمانها ونحو ذلك فنهمل الاجابة على اسئلتهم غالبًا لضيق المكان في باب المسائل ولان مسائلهم خاصَّة بهم · ففي باب الاعلانات مجال واسع لاصحاب الكتب واصحاب المواد المختلفة لنشر اعلاناتهم عنها

والمخابرة في اجرة النشر مع ادارة المقتطف بمصر


The 'Allenburys' Foods.
MOTHER AND CHILD.
Baby, 6½ months of age, fed from birth on the 'Allenburys' Foods.
اطعمة ألينبريس
The 'Allenburys' Foods
هي غذاء يصلح لجميع سني الطفولية ولا مثيل لها في تغذية الاطفال حسب تقدم قوة الهضم
فيهم بتقدمهم في السن من الولادة فصاعداً وهي خالية من الميكروبات الضارة . واطعمة
ألينبريس اللبنية مصنوعة من اللبن الجيد النقي الذي يحلب من بقر تربى خصوصا لها وتفحص دائما
طعام اللبن نمرة ١
طعام اللبن نمرة ٢
الطعام بالمولت نمرة ٣
من الولادة الى سن ٣ اشهر
من سن ٣ اشهر الى ٦
من سن ٦ اشهر فصاعدا
تطلب من كل الاجزاخانات ومخازن الادوية او من اصحابها وهم الن وهانبريس المتحد
بلندن المؤسس محلهم سنة ١٧١٥ وهذا اسمهم وعنوانهم بالانكليزية في لندن وغيرها
ALLEN & HANBURYS Ltd., Lombard Street, LONDON.
United States: Niagara Falls, N.Y. Canada: 66 Gerrard Street East, Toronto.
AUSTRALASIA: Market Street, Sydney. SOUTH AFRICA Smith Street, Durban.
Established 1715

البودرة الصحية الوردية

صنع وولي

للتوالت والاطفال

WOOLLEY'S "Sanitary" ANTISEPTIC & SOLUBLE Rose Powder"

هي البودرة المفيدة لمنع خشونة الجلد والقشف والتهييج الناتج عن تلويح الشمس والرياح الباردة ونحوها

نالت شهادة مجمع حفظ الصحة بلندن بجودتها وفائدتها · واليك ما قالتهُ صحف السيدات فيها

قالت جريدة كوين « هي بودرة عطرية نظيفة تجلب الراحة » . وقالت جريدة النرس « وقد جربناها كثيرا فالفيناها عظيمة الفائدة » . وقالت جريدة لادي « وهي عطرية مبردة » . وقالت جريدة ومان « هي الكمال بعينه للتوالت والاطفال »

وهي مصنوعة في ثلاثة الوان ابيض ووردي وكريم وثمن العلبة شلن

تطلب من الاجزاخانات ومخازن الادوية او من اصحابها وهم جيمس وولي واولاده وشركاهم بمنشستر وهذا اسمهم وعنوانهم بالانكليزية James Woolley, Sons & Co. Ltd., Manchester.

الدكتور محمد رشدي بك

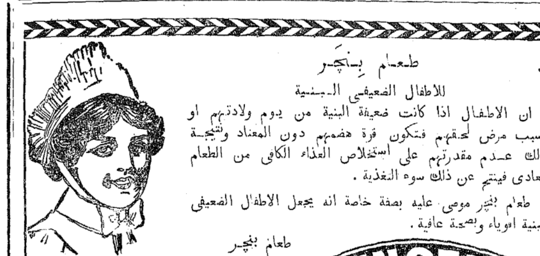
حكيمباشي محافظة مصر

Dr. MOHAMMED ROUCHDY BEY

Medecin en Chef du Gouvernorat du Caire

يقبل زيارة المرضى بعيادته بالعمارة الجديدة بشارع حسن الاكبر تجاه شارع جامع عابدين (ابتدا) شارع غيط العدة من الساعة ٣ الى الساعة ٦ يومياً

ما عدا يوم الجمعة



للاطفال و للمرضى وللمتقدمين في السن .
ويباع بالاجزاخانات و خلافها في جميع الجهات .
كتاب بنجر — هو كتاب صغير من اهل الثقة على التغذية الخاصة للاطفال وللمرضى وللمتقدمين في السن ويرسل خالصا اجرة البريد لمن يطلبه من (طعام بنجر ليمتد بمدينة مانشستر بانجلترا)



الماركة المسجلة

BENGER'S FOOD, LTD., MANCHESTER, ENGLAND.

المحلات الفرعية NEW YORK (U.S.A.) 92, William Street. SYDNEY (N.S.W.) 117, Pitt Street.

الوكلاء بكندا **National Drug and Chemical Co., Ltd., 34, St. Gabriel Street, Montreal.**

وفروع كثيرة في جميع انحاء كندا

الدكتور الحاج علي لبيب بك

طبيب مستشار الحضرة الفخيمة الخديوية ومستشار جراح باسبتالية القصر العيني
ورئيس صحة ديوان الاوقاف ومدير مستشفى عباس وحكيمباشي قسم الجراحة فيه

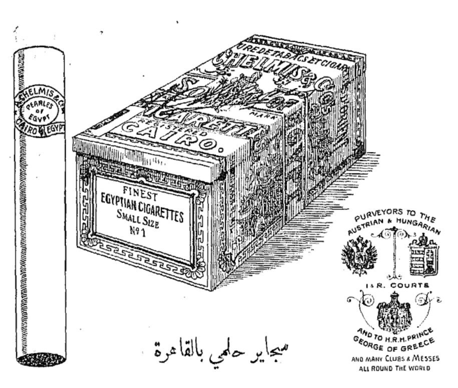
Dr ALY BEY LABIB

Medecin-Conseil de S. A. Le Khedive, Chirurgien-Conseil a l'hopital Kasr-el Aini,

Directeur du service Sanitaire des Wakfs, Directeur et Chirurgien en chef de l'hopital Abbas

يقابل المرضى في عيادته بشارع الشيخ يوسف بجهة المالية نمرة ٣٢ بجوار نظارة الداخلية وامام مصلحة الصحة العمومية يومياً من الساعة ٨ الى الساعة ٩ قبل الظهر ومن الساعة ٣ الى الساعة ٥ بعد الظهر


لا رولا
BEETHAMS
La-rola
خير ما صنع لحفظ نضارة الشباب وحسنهِ وليس بين مواد
التطرية المستعملة في التوالت ما يعادل لا رولا في حفظ لون البشرة
الصحي ونعومتها ووقايتها من فعل الشمس والهواء والماء القاسي
فانها تمنع الخشونة والاحمرار والقشف وتكسب الجلد ليناً ونعومة
وتحفظهُ سليماً على الدوام
اشترِ زجاجة من الاجزاخانة اليوم تجد فيها ما يسرك
تطلب لا رولا من جميع الاجزاخانات والمخازن او من اصحابها وهم
بيثام وولدهُ بشلتنهام في انكلترا وهذا اسمهم وعنوانهم
بالانكليزية M. Beetham & Son, Cheltenham, England.
La-rola
FOR THE SKIN AND COMPLEXION.



محل لتصدير السجاير للخارج والمبيع بالقطاعي بشارع المناخ

E. CHALHOUB

Ameublement, Menuisierie, Objets d'Art Arabes et Japonais.

—— RUE EL MAGHRABY AU CAIRE ——

الياس شلهوب

محل مفروشات وموبيليات وتحف شرقية ويابانية وافرنجية

بشارع المغربي بمحل البورصة سابقاً

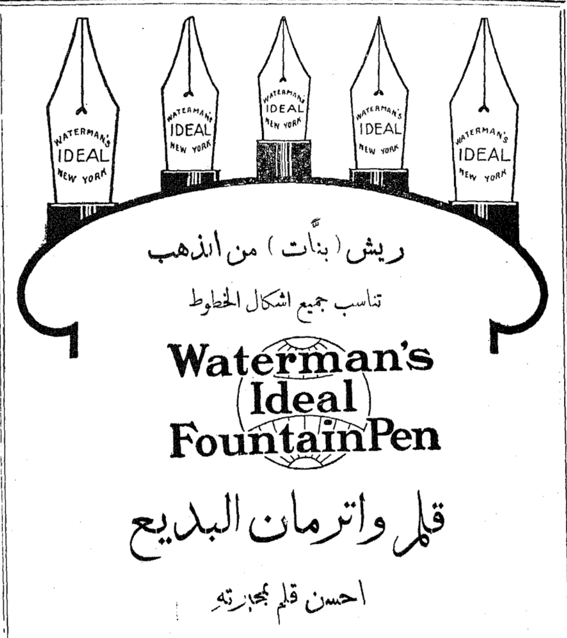
ان كنت ترغب ان تفرش بيتك او تزينه فعليك ان تزور هذا المحل الذى اشتهر بجودة اصناف بضائعه ورخص اثمانها حتى انهُ سمي بمحل

"الفرص الحقيقية"



هو افضل جميع المركبات المستعملة لتغذية الاطفال و يشير بهِ جميع اطباء العالم فهو حاوي لكل المواد المغذية سهل الهضم يقوي الجهاز العصبي والعظام وهو بالحقيقة احسن غذاء للاطفال

يباع في جميع الاجزاخانات ومخازن الادوية والبقالة في جميع انحاء القطر المصري



تصنع مصانعنا اكثر من مليون ونصف مليون ريشة (بنَّه) ذهب في السنة لاجل سدّ حاجات الجماهير الغفيرة التي تستعمل قلم واترمان البديع وتختلف هذه الريشات (البنَّات) بين رفيع ومتوسط العرض وعريض وكلها من ذهب عيار ١٤ قيراطاً ورؤوسها ملبسة بمعدن الاريديوم

يباع اكثر من ١٠٠٠٠٠٠ (مليون) قلم واترمان البديع في كل عام

يطلب من جميع المكاتب والجواهرجية في العالم ومن

L. & C. HARDTMUTH. Ltd., Koh-i-noor House, London, England.

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثالث والاربعين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩١٣ — الموافق ١ ذي القعدة سنة ١٣٣١

مبدأ الاتصال

من خطبة الاستاذ السر اوليفر لدج رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني الذي عقد في برمنجهام في ١٠ سبتمبر الماضي

أبتدئُ بالاسف الشديد لوقوع الفاجعة التي جعلتني اتبوأُ هذا المنبر ألآن وهي وفاة السر وليم هويت فانهُ كان صديقاً حميماً لكثيرين من الحضور ههنا وكنت اود ان يتعرَّف بهِ اهالي برمنجهام ويسمعوا من لسانهِ عن العمل العظيم الذي عملهُ منفذاً رغائب السلطنة في انشاء معدات الدفاع عنها [1]

ثم ان خطبة رئيس هذا المجمع ليست سجلاًّ لتدوين الربح والخسارة ولكن لا يليق بنا ان نبتدئ سنة جديدة من سني مجمعنا من غير ان نشير الى ثلاث خسائر اخرى خسرناها في السنة الماضية الاولى ذلك الشهم الذي تعلَّق على العلوم الطبيعية تعلُّق غاوٍ وقد رأس مجمعنا لما اجتمع في مدينة يورك منذ اثنتين وثلاثين سنة [2] وهو السر جون لبُك الذي صار لورد افبري فانهُ خدم العلم خدمة نصوحاً عن شغف بهِ كأنهُ فن من الفنون الجميلة . و بذل قواهُ العقلية ومقامهُ في الهيئة الاجتماعية في خدمة الذين لم يولدوا في نعمة مثلهِ

وخسر العالم بوفاة السر جورج داروِن عالماً فلكيًّا رياضيًّا خلَّد ذكرهُ باشتغالهِ في حل

(١) [المقتطف] كان السر وليم هويت منتخباً رئيساً للمجمع فتوفي منذ عهد قريب واختير السر اوليفر لدج رئيساً بدلاً منهُ

(٢) [المقتطف] تجد خطبة السر جون لبك حينئذٍ في المجلد السادس من المقتطف والصفحة ٥٣٠ وما بعدها وموضوعها تقدم المعارف في خمسين سنة اي منذ انشاء المجمع البريطاني الى ذلك الحين

مسائل المد والجزر ونحو ذلك من الاحداث الطبيعية . ولقد كان رئيساً لجمعنا حينما زرنا جنوب افريقية منذ عهد غير بعيد

والخسارة الثالثة الكبرى هنري بوانكره ذلك الرياضي النابغة من نوابغ جيراننا الذي غاص في اعوص مسائل الرياضيات فاستجلى كنهها بعقلهِ الفلسفي وستبقى بلاغتهُ في ايضاح النواميس الطبيعية وما ترتَّب عليها من التنوُّع بتقدم المعارف قبلةَ الذين يسهل عليهم فهم هذه المواضيع العويصة. ولا اقول اني اوافقهُ على كل ما كتبهُ او قالهُ في الطبيعيات ولكن ما من احد من المشتغلين بالعلوم الطبيعية الاَّ ومباحث بوانكره تستهويهِ وسأُشير الى بعضها في ما يلي

ولا بدَّ لنا الآن من ان نغضي عن ذكر كثيرين غير هؤُلاء وعن الاشارة الى اعمالهم ونحصر كلامنا في العلم نفسهِ فنسأل اولاً ما هي الميزة التي يمتاز بها عصرنا وبماذا يبشر رغماً عمَّا فيهِ من الاضطراب . يختلف الجواب عن هذا السؤَال باختلاف الذين يجيبون عنهُ اما انا فاقول انهُ يبشر بتقدم سريع ممزوج بشك اساسي

فان التقدُّم السريع لم يكن من مميزات النصف الاخير من القرن التاسع عشر او على الاقل لم يكن من مميزاتهِ في الطبيعيات . وُضعت فيهِ اسس راسخة متينة بُنيت عليها مباني المعارف محكمةً متماسكةً ولكن لم تفتح فيهِ ارض جديدة لتقام عليها مباني جديدة . « وظهر كأَن حقائق الطبيعة عُرف كل ما هو جوهري منها وقلَّ الامل باكتشاف حقيقة اخرى جديدة وانحصر عمل الباحثين في الفصل بين الآراء المتباينة والتفريق بين الفاضل والمفضول منها او في اكتشاف شيءٍ عرَضي يقوّي هذا الرأي او ذاك » كما قال شستر

لما ثبت سنة ١٨٨٨ وجود امواج الاثير التي قيل بها قبلاً واكتُشفت اشعة رنتجن سنة ١٨٩٥ والاشعاع الذاتي سنة ١٨٩٦ واستفرد الالكترون سنة ١٨٩٨ قويت الآمال باكتشافات مهمة فكثرت الامور الجديدة امتحانية كانت او نظرية او حدسية منذ ابتداء قرننا هذا ولذلك قلت ان التقدم سيكون سريعاً

وسيكون كلامي على هذا التقدم وجيزاً لانهُ لا يعلم في اي جهة يتجه واما الشك الاساسي فسأَتكلم عنهُ بالتفصيل

ولا اعني بالشك هنا الشك الديني الذي كثر الكلام عليهِ والجدال فيهِ لان سَوْرة ذلك الجدال قد خمدت الآن والحصون التي لجأَ الخصوم اليها لا تحتمل الهجوم. ودارت رحى الحرب بين رجال العلم انفسهم وشاركهم فيها رجال الفلسفة فوقف الخصم القديم وقفة المتربص

المتحفز راجياً ان يستفيد من هذا الخصام . وهو يحسب ان بعض الحصون هُجر لغير سبب كافٍ ولا بدّ من استرداده . واذا تركنا المجاز وعدنا الى الحقيقة الناصعة قلنا ان الخصم يحسب ان بعض ما انكرهُ لان ليس لهُ ادلة كافية قد يكون حقيقياً ولذلك قلّت الكراهة اللاهوتية القديمة واشار اصحابها باستعمال اللين والمسالمة

ولو اردتُ ان اشرح كلّ المسائل العلمية والفلسفية التي وقع الخلاف فيها لاضطررت ان اتلو من الخطب اكثر مما يتلى في هذا المجمع ولكني اشير الى اهم هذه المسائل بكلمة او كلمتين على كل مسألة منها

ففي الفسيولوجيا مدار الخلاف على مسألة الحياة وقد بسط سَلفي الكلام عليها في الاجتماع الماضي (١)

وفي الكيمياء على بناء الاجسام الجوهري وسلفهُ ادرى الناس بعقبات هذه المسألة (٢)

وفي البيولوجيا على الوراثة والمرجح ان خلفي سيتناول هذا الموضوع ويبسطهُ احسن بسط هذا من حيث الخلاف في المواضيع الجوهرية الكبرى ويتلوهُ الخلاف في مواضيع اخرى كفصول التعليم في علم التعليم وحقوق الملكية وكل المسائل المعاشية في علم الاقتصاد والسياسة حتى حقوق النساء

واخيرًا مسألة الاتصال في العلوم الرياضية والطبيعية . وقلما يفهم المراد بهذه الكلمة ولذلك ساشرحها مفصلاً

وهناك امر اخر اهم من هذه المسائل كلها وموضوع جوهري اساسي وهو البحث الدقيق عن صحة الاسس العلمية والشكّ الفلسفي الذي نراهُ آخذاً في الازدياد ومن نتائجهِ الريب في صحة الاحكام العقلية والاعتراف بقصور المدارك العلمية . فان العلم من اشغال العقل ويجب ان يُنظَر فيهِ الى الامور كلها بعين العقل والتمعن فليس لهُ ما يحبّ وما يكره ولا لهُ غرض يرمي اليهِ الاَّ الحق اوكما قال برتران رَسِل واجاد « ان محور البحث العلمي ان لا يلتفت المرء الى ما يحبهُ ويرضيهِ اذا اراد ان يدرك الحقائق »

وهذا القيد هو الذي يجعل للعلم شأناً وقوةً ولكنهُ اذا بُولغ فيهِ حتى تجاوز حد النفع ووصل الى ربوع التحكُّم والسفسطة صار سبباً لضعف العلم لان طبيعة الانسان شيءٌ كبير وعقلهُ جزءٌ صغير من طبيعتهِ والعقل حديث النشأة ولذلك يصيبهُ ما يصيب الاشياء الحديثة

(١) هو الاستاذ شفر وتجد خطبتهُ في مقتطف اكتوبر ونوفمبر ودسمبر من السنة الماضية وفبراير من هذه السنة (٢) هو السر وليم رمزي وتجد خطبتهُ في مقتطف دسمبر سنة ١٩١١

ويجب عليهِ ان لا يحسب انهُ هو الانسان كلهُ ولعلهُ ليس افضل شيء في الانسان

ومن المحقق ان بعض الاشياء المهمة جدًّا لا محل لها في العلم بل محلها في الشعر والآداب ولذلك ساء ظن البعض بالعلم وكرهوهُ . العلم يستلزم القياس والنظام فاذا دخل مرتعاً لا محل فيهِ للقياس فمدارهُ فيهِ قليل او كما قال المستر بلفور بالامس حينما فتح جناحاً في المعمل الطبيعي الوطني « ان مدار العلم القياس فالاشياء التي لا تقاس لا محل لها فيهِ او لا يلتفت اليها ولكن الحياة والجمال والسعادة امور لا تقع تحت القياس ولو وجد مقياس للسعادة لابتدأت السياسة تصير علماً »

والعواطف والبديهيات والسلائق اقدم من العلم جدًّا ولا يمكن اغضاء الطرف عنها اذا اردنا ان ندرك كل ما في الوجود . وقد يجوز للعلماء ان يغضّوا الطرف عنها في مباحثهم العلمية ولكن هذا لا يجوز للفلاسفة . ولذلك اخذ الفلاسفة يرتابون في كليات العلم ويقولون اننا تطرفنا في تعميم النتائج العملية التي نجحت في معاملنا مثل ناموس حفظ القوة فهل هو مضطرد دائماً أوَ لا يوجد ما يخالفهُ احياناً

وقد جرى العلماء مجرى الفلاسفة في نقض القضايا العلمية القديمة واخذ الطبيعيون والرياضيون يرتابون في صحة قوانين الميكانيكيات وانطباقها دائماً في كل مكان . ومن المحتمل ان يبدلوا قوانين نيوتن بقوانين اخرى ادق منها

بل قد اشار بعضهم بقوانين للميكانيكيات غير قوانين نيوتن اساسها ما كُشف حديثاً من حدوث التغير في الاجسام اذا كانت متحركة بسرعة فائقة تماثل سرعة النور فقد ظهر ان شكل الاجسام وجرمها هما من ملابسات سرعتها فاذا زادت السرعة زاد الجرم وتغير الشكل ولكن ذلك قليل جدًّا في الاحوال العادية حتى لا يشعر بهِ

الى هنا لا ارى ما اعترض عليهِ اي اني لا اعترض على تقرير الواقع ولكنني لا اراهُ موجباً لتغيير علم الميكانيكيات المبني على قواعد نيوتن . ولا تنتقض قاعدة نيوتن الثانية اذا كان جرم الجسم متغيراً فان جرم نقطة المطر يتغير في وقوعها وجرم الارض يتغير بسبب ما يقع عليها من الغبار النيزكي وجرم الشمس يتغير بالاشعاع وجرم القاطرة بخروج البخار وجرم الانسان دائم التغير واذا لم يوجد غير الفرك فكفى بهِ مغيراً لجرم الجسم حتى لقد يجعلهُ من الاجسام الميكروسكوبية

فلا داعي لترك قوانين نيوتن ولا ما يمنع الاحتفاظ بها كلها على شرط ان نضيف اليها ما اوصلتنا اليهِ المباحث الجديدة

ولقد حاول البعض ترك هندسة اقليدس وقالوا انها تلتفت الى وجه واحد من وجوه البحث . وحاول غيرهم نفي حفظ المادة او بقاءها الذي كان عمدة الكيمياء في القرن التاسع عشر . ونفي وجود الاثير من الفضاء الذي كان مدار الطبيعيات في القرن التاسع عشر

ولقد اشار الاستاذ شستر الى ترحيب رجال العلم بكل مذهب جديد فقال

« ان مرونة الافكار العلمية في هذا العصر حتى توافق كل امر جديد ظاهرة من ان الآراء التي كان لها شأن كبير عند آبائنا تركناها الآن عن طيب نفس فقد كان اباؤنا يقولون ان عدم تغير جرم الاجسام امر لازم لا انفكاك عنهُ اما الآن فلا يجد التلامذة اقل صعوبة في قولهم ان الجرم يتغير بتغير السرعة ولو لم يدركوا نتائج هذا الامر »

وهذه السرعة في قبول الاقوال الجديدة في الطبيعيات قد تكون سبباً لزيادة الشك العلمي لاجل اعادة الموازنة

وهناك نوع آخر من الشك وهو اوسع نطاقاً . فقد قال البعض ان كل النواميس التي اثبتها علماء الطبيعية وشرحوها ليست من الحقائق في شيء وانما هي اصطلاحات لا غير والانسان لا يستطيع ان يعرف حقيقة الاشياء ولا ارتقى عقلهُ الى هذا الحد وكل ما نستطيعهُ انما هو التعبير عن الاشياء تعبيراً كافياً لاغراضنا ولتفسير المراد بها

وقد نفى البعض هذا التفسير وقالوا اننا لا نستطيع تفسير شيء وغاية ما نستطيعهُ هو وصف الاشياء والافعال . قال غستاف كرشوف « ان غرض العلم وصف الظواهر الطبيعية لا تفسيرها فاذا عبَّرنا عن النسبة بين ظاهرتين طبيعيتين بمعادلة جبرية فقد فعلنا كل ما نستطيع فعلهُ واذا تجاوزنا ذلك دخلنا معرض الحدس والتخمين »

ولكن آراء الذين يرتابون في مقدرة الانسان على تفسير الظواهر الطبيعية لا تكفي للاقناع وقد انتقدهم الاستاذ شستر بقوله

« ان الابهام الذي كنا نعدهُ اكبر اعداء العلم صار الآن الهاً يُعبَد . قد لا نصل ابداً الى معرفة تركيب الجوهر الفرد وحقيقة بناء الاثير ولذلك يقولون لنا لماذا تتعبون انفسكم في البحث عنهما أفليس الاجدر بنا ان نتكلم كلاماً عامًّا عن تبدُّد القوة والخطوط المنيرة والاشارات المبهمة التي يعبَّر بها عن بعض الملابسات الطبيعية وما اساس هذا التعليم الجديد سوى الجبن والخوف من ظهور الخطإ ... وعندي ان منهُ خطراً اكيداً على تقدُّم العلم واذا سلمنا انهُ يستحيل علينا ان نصل الى ابعد من الامور السطحية في الظواهر الطبيعية يبقى الفرق بين الاسلوبين المشار اليهما ان الواحد يفتخر بجهلهِ والثاني يأسف عليهِ »

وتظهر الشكوك الحديثة باجلى بيان في قول بوانكاره حيث قال « ان المبادئ ليست سوى حدود ومصطلحات لكنها مستنتجة من قواعد مثبتة بالامتحان وقد جُعلت هذه القواعد مبادئ ينسب اليها العقل قيمة مجرَّدة . فاوليات اقليدس في الهندسة ليست سوى قضايا اصطلاحية اتفق الناس عليها ولا يجوز ان نسأل هل هي صحيحة او غير صحيحة كما لا يجوز ان نسأل هل المقياس المتري صحيح او غير صحيح ولكن هذه المصطلحات حسنة مناسبة

« وسواء كان الاثير موجوداً حقيقة او غير موجود ليس بالامر الجوهري والامر الجوهري ان كل الحوادث تحدث كأَنَّ الاثير موجود وفرض وجوده صالح لتفسير الظواهر الطبيعية . وهل لدينا سبب آخر للاعتقاد بوجود الاجسام المادية . اننا نفرض وجودها لمناسبته »

وهانذا اقتبس من السر جمس لامور كلاماً يعدُّ ترياقاً للكلام المتقدم قال « مالت الافكار حديثاً الى القول بان مباني العلم الطبيعي النظرية اكثرها وهمي وهي ليست سوى سراب بقيمة بعد ان كان يقال انها صورة حقيقية تبين نسبة الاشياء بعضها الى بعض . . وخير وسيلة لتقليل الشكوك ان يعرف الانسان حقيقة هذه التصورات وطرق تطبيقها فقلما تخفى عليهِ سخافتها اذا كانت سخيفة »

ومما يستحق الالتفات ان هذا النوع من الشك العلمي المشار اليهِ نتيجةُ التدقيق العلمي وان النواميس البسيطة التي كنا نعتمد عليها كانت بسطية وسهلة الكشف لان عدم تدقيقنا في البحث عنها اخفى عنَّا ما في الطبيعة من الغوامض المتصلة بها . فقوانين كبلر لا تخلو من الخطإ ولو عرف كل ما نعرفهُ الآن مما يتعلَّق بها لما اكتشفها فالسيارات لا تسير في افلاك اهليلجية بل في نوع من الهيبوسيكلويد او ما يشبه الهيبوسيكلويد ويقال مثل ذلك عن ناموس بويل (لانضغاط الغازات) وغيرهِ من قوانين الكيمياء الطبيعية فانها لا تجري بالدقة التي ظهرت لها اولاً . والنواميس البسيطة صحيحة لذاتها ولكن تتصل بها بعض الملابسات فتغير مجراها . قال بوانكاره في هذا المعنى ما يأتي واني اوافقهُ على اكثرهِ

« خذ مثلاً لذلك قواعد انكسار النور فان فرزنل وضع لها نظرية بسيطة اثبتها الامتحان ثم ظهر من البحث المدقق ان صحتها تقريبية وانها تختلف احياناً . ثم عرفت اسباب هذا الاختلاف فبقيت كل الامور الجوهرية في نظرية فرزنل على حالها . وقد قيل انهُ لو كان عند تيخو آلات فلكية ادق من آلاتهِ عشرة اضعاف لما وُجد كبلر ولا نيوتن ولا علم الفلك . ولا يحسن بعلم من العلوم ان يتأخر ظهورهُ الى ما بعد اتقان آلاتهِ وهذا نفس ما هو حادث

الآن في علم الكيمياء الطبيعية فان واضعيه يرون ما يلبكهم من دقة الارقام حيث تصل الى كثير من المنازل العشرية ولكنهم شديدو الامل بحسن الختام. ومتى زادت معارفنا بخواص المادة رأينا الاتصال متسلطاً على كل شيء. و يصعب علينا ان نثبت وجود الاتصال ببرهان قاطع ولكن اذا لم يكن الاتصال موجوداً فالعلوم كلها محال »

فهنا اشار بوانكاره الى موضوعي اي الاتصال لانهُ اذا اردنا ان نلخص مناظرات العلماء الطبيعيين في هذه الايام رأينا انها قائمة بين الذين يثبتون الاتصال و بين الذين ينكرونهُ و يثبتون الانفصال

وظاهر الامر ان الاجسام كلها منفصلة بعضها عن بعض ولكن الهواء يوصل بينها ثم نرى جواهر كل جسم منها منفصلة بعضها عن بعض فنفرض وجود الاثير ليوصل بينها. فالاجسام الارضية غير متصلة ولكن هل نقف عند هذا الحد وهل للاشياء حد او هي غير متناهية

العلوم متجهة الآن الى ان كل شيء موءلف من اجزاء منفصلة بعضها عن بعض فالمادة موءلفة من الجواهر كما ان نوع الانسان موءلف من افراد الناس اي من رجال ونساء واولاد يعدون عدًّا فرداً فرداً او نفساً نفساً . فالاتصال امرٌ وهمي نرى الماء جسماً واحداً فنحسب ان دقائقهُ متصلة متلاصقة ولكنهُ مركَّب في الحقيقة من دقائق منفصلة سابحة في الاثير الذي يوصل بينها لان الاثير متصل الاجزاء. ومن هذا القبيل رمل البحر اوشعر الرأس وطوائف الناس فانها كلها موءلفة من افراد لا تحصى لا لان احصاءها مستحيل بل لانهُ صعب . وهذا شأن دقائق قطرة الماء فان عددها يفوق عدد قطرات الماء في البحر المحيط ولكن عدَّها غير مستحيل كما ان عد حبوب الرمل غير مستحيل ولو كان صعباً . وكل ما يمكن عدهُ فهو مركب من اجزاء منفصلة بعضها عن بعض . ولذلك يمكنك ان تعد النقود والايام والسنين والناس واذا اردت ان تعد شيئاً متصلاً وجب ان تجزئهُ قبلاً الى اجزاء و بغير ذلك لا يمكن اطلاق العدد عليهِ كحرارة البيت وسرعة الطائر وشد الحبل وقوة التيار ولكنك اذا جزأتهُ بقيت منهُ بقية صمَّاء لا تجزأ

وقد يقال كيف تطلق الانفصال على العدد فالاعداد الطبيعية ١ و٢ و٣ تظهر منفصلة ولكن توجد كسور تصل بينها فكيف نعلم انها غير متصلة حقيقة بواسطة هذه الكسور(١)

(١) اراد بالعدد العدد المنطق الذي يمكن قسمتهُ من غير باقٍ لا العدد الاصم الذي اذا قسم بقي منهُ باقٍ

وكل فصل وجد بين الاشياء اتسع بهِ نطاق المعارف فاكتشاف دالتن لوجود نسبة عددية بين عناصر المركبات الكيماوية كان لهُ اكبر شأن في علم الكيمياء ثم ابان بروت ان عدد الجواهر في كل عنصر هو عدد منطق فالجواهر مؤلفة من وحدات معدودة . ومن المحتمل ان القوة مؤلفة ايضاً من وحدات . وقد وجد فراداي ان الكهربائية تتحد بالمادة كشيء معدود بشيء معدود اي ان كمية محدودة منها تتحد بكمية محدودة من المادة ومن ثم ثبت ان الكهربائية مؤلفة من دقائق محدودة معدودة اي ان لها جواهر فردة كما ظن فراداي ومكسول وهي التي سماها جنستن ستوني بالالكترونات ودرسها كروكس في الانانيب المفرغة ووزنها وقاسها هو والسر جوزف جون طمسن واعلن ذلك في هذا المجمع لما اجتمع في دوفر[1] سنة ١٨٩٩

والالكترون هو الجوهر الفرد من الكهربائية السلبية وقد لا يمضي وقت طويل حتى يكتشف الجوهر الفرد من الكهربائية الايجابية . والعلماء مختلفون الآن في جوهر الكهربائية الايجابية فيقول فريق منهم انهُ كرة متماثلة الاجزاء تدور فيها الالكترونات في مدارات منتظمة وحجم هذه الكرة يماثل حجم الجوهر الفرد من المادة . وقال غيرهم ان جوهر الكهربائية الايجابية مؤلف من نواة ايجابية تحيط بها الكترونات اكبر منها . وقال آخرون ان الجواهر السلبية والجواهر الايجابية هي مثل الشيء وصورتهِ التي تظهر في المرآة . ولا يعلم حتى الآن كيف تتجمع جواهر الكهربائية حتى تتكون منها جواهر المادة

والمظنون ان المغنطيسية مؤلفة من جواهر فردة وقد سمي كل جوهر منها مغنطون قبل ان يكتشف

والظاهر ان هذا التجزُّء الى جواهر او دقائق شامل للاجسام الحية ايضاً فان دقائقها هي الخلايا التي يتركب منها جسم الحيوان والنبات ولكل خلية اجزاء معلومة كالنواة والنوية والجدران وهي تشير الى وجود الانفصال . وقد ثبت الانفصال بناموس مندل في الوراثة وتنوُّع النسل بتنوع الخلايا التي تنتقل اليهِ

فما يقال من ان الطفرة في الطبيعة محال مردود والثابت نقيضهُ اي ان كل شيء يحدث بالطفرة والوثوب من شيء الى آخر ومن حالة الى اخرى لكن لا شبهة ايضاً بوجود الاتصال وهو اساس النشوء كما يقول كل علماء البيولوجيا فلا فاصل بين الانواع والتسلسل متصل من ادنى انواع الاميبا الى الانسان

ستأتي البقية

(١) تجد خطبتهُ حينئذٍ في مقتطف نوفمبر وديسمبر سنة ١٨٩٩

الجنسية واللغة

يراد بالجنسية الانتساب الى قوم تضمهم جامعة واحدة ويخضعون لقانون واحد بدون التفات الى وحدة الاصل وكثرة العدد واختلاف اللغة والدين كالجنسية الفرنساوية والالمانية والانكليزية والعثمانية والنمساوية الخ · وهي في عرف الناس وفي نظر رجال الحكومات صفة لازمة للقومية وقوة مقوّمة لكيان المملكة وحفظ المجتمع وفي نظر بعض علماء الاجتماع ضلال من ضلالات الزمان التي استولت كما استولى غيرها على الاذهان ولا بد ان يقضي الزمان بالغائها كما قضى على غيرها من الاوهام والخرافات

يظهر لاول وهلة ان هذا الرأي الاخير بدعة تزعزع اركان الوطنية وتبدد عناصر القومية وتضعف روابط الجامعة وتهدم بناء المملكة · ولكن يتضح بعد الامعان والتمعن في ما يلي انهُ حقيقة لا بد من ثبوتها في المستقبل البعيد

اذا استولى الوهم على الذهن كان اشد تأثيراً فيهِ من العقل واذا اندسّ في اخلاق الامم وعاداتها كان شديد المراس لا يزحزح الاّ بعد جهد وعناء شديدين · واذا طال الزمن على عقيدة فاسدة شقّ على العقل والعلم نقضها واقناع الجمهور بفسادها لان الخرافات اعلق بالاذهان من الحقيقة واشد منها تمكناً واستمساكاً بدليل ما نرى منها الى الآن في عادات ارقى الامم مدنية واعلاها علماً وادباً · ومن قبيلها اجماع الناس على الاعتقاد بالجنسية اعتقاداً غلب فيهِ الوهم على الحقيقة فيعطونها ما ليس لها من الحدود والصفات والمميزات التي لا تعتبر في نظر علماء الاجتماع الاّ حيلاً سياسية لاستعباد الاقوام الصغيرة وتعضيد القوة الحاكمة · وهي تظهر باشد مظاهرها في البلاد التي تقوى الروح الوطنية فيها وتصبح خطراً على البلاد المجاورة وحيث الرغائب والاميال والحذر من المستقبل والاستنكار من تقدم الامم الاخرى وتفوقها والانفعال من خسارة بعض الامتيازات تحوّل الاذهان عن فهم الحقيقة وتميل بها الى تفسير القضايا الاجتماعية تفسيراً يوافق تلك الرغائب والاميال · نرى ذلك في فرنسا التي خسرت سيادتها في اوربا بعد وحدة المانيا ووحدة ايطاليا · وفي النمسا حيث تطالب الشعوب المظلومة بحقوقها · فاذا خلا الذهن من تلك الاكدار حسب الروح الوطنية ظاهرة من الظواهر الطبيعية تؤثر في الفرد كما تؤثر في العموم ولها حد من النمو لا يمكن توقيفهُ او منعهُ كما انهُ لا يمكن توقيف المد والجزر او منع حرارة الشمس في ابان الحر · على ان من الضلال الفاضح ان يكون اساس الجنسية الاساس الذي وضعتهُ السلطات الحاكمة وتحاول ان ترسّخ

في الاذهان ان اقل جنوح عن نظامها يفقد الانسان جنسيتهُ ويجعلهُ شريداً طريداً في مجاهل الانسانية

فما هو اساس الجنسية ؟ وما هي علامتها المميزة ؟

اذا رجعنا الى الانثروبولوجيا وهو العلم الوحيد الذي يرجى منهُ حل المسئلة لم نجد فيهِ ما يفي بالغاية لان علماء الانثروبولوجيا فريقان الواحد يقول بتعدد اصول الانسان والآخر يقول بوحدة الاصل فالقائلون بالتعدد يزعمون ان الاسباب التي ساعدت على ظهور الانسان في بقعة من الارض ساعد مثلها على ظهوره في بقعة اخرى وان ما بين الانسال البشرية من الاختلافات الجوهرية كاختلاف اللون والصفات والتركيب مسبب عن اختلاف الاصول وليس عن تحول الصورة الاصلية وتطبيق الحياة على الاحوال المحلية . فهذا الرأي لا يحل المسئلة حلاً شافياً عدا عن انهُ لا يخلو من النقد ولم يتفق عليهِ علماء الانثروبولوجيا . اما الفريق الثاني فيقول ان التغييرات التي تحصل في النسل الواحد بفعل الاحوال المحيطة وتأثير العوامل المحلية هي حدود للجنسية وينسب لكل شعب صفات خاصة تميزهُ عن بقية الشعوب ولو كانت من نسل واحد . على ان تلك الصفات ليست الاَّ صفات خارجية لا تدل دلالةً صريحة على وجود حدود فاصلة بين الهيئات الوطنية لان في كل شعب ولا سيما في النسل الابيض افراداً كباراً وصغاراً وشعراً اشقر واسود وعيوناً زرقاً وسوداً ومزاجاً بارداً وحاراً . واذا تغلبت بعض الصفات في شعب والبعض الآخر في شعب آخر فالعلامات الجسمية والعقلية اقرب ان تكون واحدة وليس فيها من الصفات الخصوصية ما يمتاز بها شخص عن آخر وتعرف بها جنسيتهُ كما يعرف النسل الاسود بالجلد الاسود والشعر الاجعد وهيئة القحف والوجه

فهذه الصفات التي يعلقون عليها اهمية كبرى ليست بيولوجية لتحدث تغييراً في ذاتية الانسان ولا جوهرية لتضع حدوداً فاصلة بين الجنسيات لانها تكتسب بالتعليم والتهذيب والتدريب وتزول بعد البلوغ وفي ظروف معلومة . تدلنا على ذلك احوال الولد الذي ينقل طفلاً من قومهِ وينمو ويعيش في وسط آخر بعيد عن اهلهِ فانهُ يكتسب صفات ذلك الشعب الغريب ولا يظهر فيهِ اثر من صفات قومهِ لان تلك الصفات اعراض قابلة الزوال حتى لقد يخسر البالغ صفات قومهِ ويكتسب صفات قوم يخالطهم كما اكتسب البرامكة صفات العرب وضرب المثل ببلاغة تواقيعهم وكما ان الايوبيين وهم اكراد صاروا اشد نعرة للعرب من العرب انفسهم وكان منهم شعراء وعلماء واجازوا الشعراء ووقف منهم على ابوابهم ما لم يقف على ابواب غيرهم من ملوك العرب . والسموأل وابن سهل يهوديان وهما شاعران عربيان تتدفق

الروح العربية من انفاسهما · والامثلة على ذلك كثيرة يروى منها عند كل الامم فقد قام كتبة المانيون من اصل فرنساوي تفتخر بهم المانيا وقام المانيون في فرانسا وايطاليون في انكلترا وقس عليهِ · فالرابطة الدموية اذاً ليست شرطاً جوهريًّا لتحديد الجنسية فالهيغونوت (وهم البروتستانت الفرنساويون الذين هربوا من الاضطهاد) الذين هاجروا الى براندبورج اصبحوا من افضل الالمان والهولانديون في امستردام الجديدة صاروا اميركيين لا غبار على وطنيتهم · اي ان الحرب والمهاجرات الكبرى والاسفار مزجت الناس بعضهم ببعض حتى لم يبقَ فارق يفرق العناصر القومية بعضها من بعض عدا عن ان التشريع لا يعير القرابة الدموية اقل اهمية لانهُ يسهل للغرباء ان يتجنسوا بجنسية المملكة اي يصيروا وطنيين لهم ما لاهل الوطن من الحقوق وعليهم ما على مواطنيهم من الواجبات · فالانثروبولوجيا ليست اساساً للجنسية وكل ما يقال فيها واهن من هذه الجهة وغير ثابت

وقد حاولوا ان يجعلوا اساس الوطنية الاشتراك في المنافع والمرافق وقالوا ان ما يجعل الناس اعضاء امة واحدة هو الماضي المشترك والمستقبل المشترك وكونهم تحت سلطة واحدة وخضوعهم لشرائع واحدة واشتراكهم في الافراح والاتراح · الاَّ ان ذلك نظرية سفسطية تصح قولاً ولا تثبت فعلاً لان الروماني في غاليسيا لا يشعر على الاطلاق بكونهِ بولونيًّا مع ان الرومان والبولونيين اشتركوا في الشرائع والنظامات السياسية منذ اكثر من الف سنة · والفينلاندي يعتبر جنسيتهُ غير جنسية السويدي رغماً عن انهما يؤلفان شعباً واحداً ويسيران على سياسة واحدة منذ اكثر من الف سنة ايضاً · لا ريب في ان الشرائع والنظامات واتفاق العادات والاخلاق وارتباط الاعمال تقرب العناصر بعضها من بعض وتولد فيها شعوراً بالتضامن الاَّ انها لا تنزع جنسية من صدور قوم ولا تخلق اخرى في قوم آخرين

كل ذلك فن احتيالي تضرب بهِ الحقيقة عرض الحائط · فالجنسية لا تعرف من صفات الفرد الاَّ ما ندر والشرائع والنظامات لا تحدد الجنسية حدًّا صحيحاً فاصلاً بالرغم عمَّا لها من التأثير في الاخلاق بل ما يحددها هو اللغة لان بها وحدها يصبح الانسان عضواً من شعب خاص وبها يتولد فكرهُ وشعورهُ وبها يقتبس منهج الشعب الذي كوَّنها وانماها ووضع فيها اسرار عقلهِ ونفث فيها نسمات روحهِ وكساها بادق خصوصياتهِ العالمية · وبها يصبح ابناً ووارثاً لكل المفكرين والشعراء ولكل النبغاء وقواد الشعب وبها يشابه قومهُ فكراً وعملاً لانها تستهوي الافراد بتاريخها وآدابها · وهي بالحقيقة الانسان كلهُ لانها سلك الايصال للمدركات الخارجية والآلة الجوهرية التي تساعد على العمل في العالم الخارجي · فمن

بين الملابين بقوم مفكر واحد يفكّر في قومهِ فيكتب لهم لاصلاح مجتمعهم فيأخذ الملابين عنهُ ما انتجهُ قريحتهُ الذكية وينالون باللغة ما لا ينالونهُ باية آلة او واسطة اخرى. فاللغة هي اقوى رابطة تربط الناس بعضهم ببعض لان اخوين لا يتكلمان لغة واحدة يكونان بعيدين احدهما عن الآخر اكثر من غريبين يتعارفان ويتبادران السلام بلغة واحدة

كنت وبعض الزملاء في الاستانة وكنا نختلف الى بعض الاندية ونتكلم بلغتنا العربية فابتدرنا شيخ يناهز الستين تتقاذفهُ عوامل الفرح واليأس والقنوط والامل والحب والبغض قال بالحرف «يا اشقاوتي هنا ابناء وطني يتكلمون العربية وانا اموت حسرة في الاستانة» قلنا ومن اين الشيخ قال من بغداد قلنا واين سورية من بغداد قال تجمعنا اللغة

وقعت بين الانكليز والاميركان حروب طاحنة وحصلت مشاكل شتى زادت شقة البعد بين الشعبين ولكنهما تجاه غير الانكليزي واحد ويشعران بانفسهما انهما ابناء بريطانيا العظمى

لما قامت الحرب بين الانكليز والبوير خفق قلب الهولنديين وتفتّت المًا رغمًا عن انقطاع العلاقة السياسية بين هولاندا والكاب منذ نحو قرن. وفي حرب ١٨٧٠ تشيَّع اهل سويسرا والبجيكا للفرنساويين وحنوا اليهم بكل جوارحهم رغمًا عما بينهم وبين الفرنساويين من الفرق العظيم في الشرائع والاخلاق والجنسية السياسية والتذكارات التاريخية. وفي حرب الشلسويك هولشتين فزع النروجيون للدنمارك وتطوع بعضهم لمساعدتهم مع انهم يكرهونهم ويقبحونهم وقد تحرروا من سلطتهم بعد حروب طويلة ولا شيء يربطهم بهم سوى اللغة الآن هذا اللاشيء هو كل شيء

رقي اللغة عنوان رقي الامة وانحطاط اللغة دليل على انحطاط الامة لانها تتخذ اهمية اذا استخدمتها الامة آلة لنهوضها ورقيها وتقل اهميتها اذا كانت الامة منحطة ومستعبدة للفئة الصغرى منها المستبدة باحكامها لان في مثل هذه الحال لا تحتاج اليها الهيئة الحاكمة لانها لا تتنازل الى مخاطبة الافراد ولا يحتاج اليها الافراد ايضًا لانهُ لا يحق لهم ان يفرغوا ما في قلوبهم في قالب من الكلام الحسن ولا يبقى منها الآ ما يلزم القرويين للتفاهم او للهذر والمزاح او للتأوه والتحسر والشتم. وقانون الاستبداد يقضي باظلام البصائر فيحب الظلام ويقبح النور ويسد سبل التهذيب ويقفل ابواب المدارس ويجعل السوط قاموس اللغة ومتنها وكل علومها وآدابها. والشريف في الامة لا يرى ما يدعوهُ الى التعلُّم لان حقوقهُ يؤيدها شرف الولادة فهو سيد بدون ان يفتح فمًا او ان يغمس قلمًا في دواة

فالجنسية في هذه الحالة واطئة لان علامتها الرئيسية واطئة الآ ان الاحوال تغيَّرت في

هذه الايام حتى في روسيا وتركيا واصبح لكل فرد من افراد الرعية حق الدفاع عن نفسهِ وان يعلو فوق الحد الذي وضعتهُ فيهِ احوال ولادتهِ . وفتحت ابواب التعليم وانتشرت الجرائد واعطيت حرية الخطابة فاتسع نطاق اللغة ورفت حواشيها وسمت آدابها وامعن فيها الكبير والصغير والغني والفقير حتى الملوك انفسهم اذ علموا ان لا بد لهم من سهولة الكلام في كثير من الاحوال واصبح كل عقبة تقف في سبيل استعمال اللغة الخاصة بالامة او كل ضغط يوجب استعمال لغة اجنبية عاراً وعنفاً لا يحتملان . ومن كانت جنسيتهُ الصغرى في البلاد التي يتوطنها وكانت لغتهُ غير اللغة الرسمية وحُظر عليهِ استعمال لغتهِ وأُجبر على استعمال لغة اجنبية فانهُ يشعر بألم لا يعرفهُ الاَّ من مرَّ بهذه الشقة وعانى مشقاتها لانهُ يكون كعبد من عبيد القرون الوسطى او كمجرم محكوم عليهِ بالنفي . وما من احد في الكون يرضى بحرمانهِ من اهم قوة في الحياة بها يبث شعائرهُ ويعبر عن افكارهِ . وما الحرمان من القاب الشرف بشيء بالنسبة الى الحرمان من اللغة الخاصة . وتقييد الارجل بالقيود ليس بشيء بالنسبة الى تقييد اللسان الذي بهِ تحبس قوى العقل في قفص يمنعها من الظهور والانتشار ويشل حركتها ويقتلها في المحيط المفسد بسياسة الظلم . فنكران اللغة نكران اللانانية لا يرضى بهِ الاَّ من سفلت طباعهُ وتدنى الى ان ينحني ويعفر وجههُ بالتراب امام الهيئة الحاكمة المستبدة ويضحي حقوقهُ ويدوس على اقدس عاطفة من عواطف الجنسية . على ان مثل هذا السافل او الجبان قليل في العالم لان الاكثرية تتمسك بلغتها وتدافع عنها كما تدافع عن حياتها وتقاوم كل قوة تعمل لاذلالها . ويمكن للامة الحاكمة ان تجعل لغتها اللغة الرسمية وان تمنع لغة الامة المحكومة من المحاكم والمدارس والكنائس والجمعيات والمعاملات ولكنها لا تستطيع ان تمنع حركة الافكار التي تتهيأ لنسف بناء تلك السياسة بعد ان اصبح سجناً لا مسحة عليهِ من الانسانية بدلاً من ان يكون ملجأ لتقوية الضعيف وتخفيف آلامهِ

لا يمكن ان نقنع انساناً ذا عقل سليم بقطع رأسهِ ولا تستطيع شريعة ان تقنع امة حيَّة بترك لغتها ومظهر عقلها الخاص . وكل مملكة تحتوي على جنسيات متعددة لا بد من وقوع التنافر والشقاق فيها واذا تكافأت فيها القوات تجزأت وانحلت فما هو العلاج الشافي لذلك . هذه مسئلة من اعقد المسائل الاجتماعية التي حارت في حلها الافهام وهي لا تحل الاَّ بالطرق الراهنة التي لا اشكال فيها ولا تمويه

افضل حل يرتأيهِ رجال السياسة هو اللامركزية بكل معانيها المتسعة . وهو حل مقبول يجب التسليم بهِ الى ان يظهر افضل منهُ لانهُ نظري اكثر مما هو عملي فاللامركزية قد يمكن

تطبيقها والعمل بها في المملكة التي تحتوي جنسيتين متساويتين عدداً وقوة وارتقاء بحيث يستطاع التساوي والتفاهم بينهما كما في البجيكا ويعسر او يستحيل في المملكة التي تكثر فيها الجنسيات كما في النمسا التي تحتوي على اكثر من عشر جنسيات متباعدة ومتنافرة بحيث لا يتألف منها مجموع مندمج في جسم المملكة لان التساوي بين العناصر المتعددة يقضي باستعمال كل لغات البلاد في كل الادارات من مكتب بوسطة القرية الى الوزارة ومن غرفة قاضي الصلح الى محكمة النقض والابرام ومن اللجان البلدية الى المجالس النيابية عدا ما يوجب من انشاء المدارس الابتدائية والثانوية والعالية لكل عنصر والسعي لتهذيب آداب كل لغة ومكافأة النبوغ في كل منها . وتلك مطالب لا يمكن تحقيقها والعمل بها لان ذلك تجزئة للمملكة وتفكيك للروابط التي تربط عناصرها بعضها ببعض

ولا يمكن لمملكةٍ تكثر فيها العناصر ان تستغني عن لغة للمملكة تكون اللغة الرسمية فالعنصر الذي تكون هذه لغتهُ يصبح سائداً والعناصر الاخرى مسودة فتتفاوت الحقوق وتمتنع المساواة لان الشريعة تطلق لسان البعض وتخرس لسان البعض الآخر وتقسم ابناء الوطن الواحد الى قسمين احدهما وطني حميم والآخر نصف وطني

رأينا مما تقدم ان اللغة مطلب حيوي لا ينال بالاتفاقات المبرقعة والعقود المعوجة وان عقدة الاشكال فيها لا تحلّ بالطرق التي ذكرناها حلاً يرضي الجنسيات على اختلافها لما ظهر لنا فيها من الاشكال والتعقيد وصعوبة التطبيق فالحل الصادق الصحيح هو القوة لان كل ما عداها لا يفيد الاَّ لتهدئة ثائرة الخواطر الى اجلٍ معلوم لان تنازع اللغة كتنازع البقاء لا بد من ان يجري مجراهُ وينتهي بالهزيمة او بالموت او بالفوز ويجب على المطالب بهذا الحق الحيوي ان لا يقبل الوعود بالامتيازات وان يرفض الاقتراحات للتسوية والتراضي فاما لا شيء واما كل شيء

بدا تنازع الجنسيات منذ آلاف من السنين وكمن في ما مضى من الزمان كما تكمن النار في الحطب وقد هبَّ من سباتهِ ليسترد القوة التي سُلبت منهُ لان الجنسية المساوية الحقوق لا تقيم على الضيم الى الابد الاَّ اذا ضعفت حيويتها وقضى الناموس الطبيعي عليها بالموت . يغير شعب نشيط على بلاد فيفتحها عنوةً ويستولي على اهلها ويستبد باحكامها الاَّ انهُ اذا لم يكن لهُ قوة كافية يوهن بها المغلوب ولم يمحُ لغتهُ بقي دائماً في خطر من القيام عليهِ واذا كان المغلوب اكثر منهُ عدداً قد يطردهُ من البلاد او ينزع السلطة منهُ ويرغمهُ على انكار جنسيتهِ

واما في المهاجر فتغلب القوة بطريقة لا تبعد عن طريقة الفتح لان المهاجرين اذا كانوا

اقوياء وكثيرين طردوا السكان الاصليين وحلوا محلهم والاَّ فاما ان ينكروا جنسيتهم ويندمجوا في جنسية البلاد او ان يرحلوا عنها ويطلبوا مهجراً يستقلون بهِ ويحافظون فيهِ على جنسيتهم

وعلى ذلك يكون افضل حلٍّ لتنازع الجنسيات اما الادماج والاندماج واما الفصل والانفصال وكلاهما لا يتمان الاَّ بالقوة والشواهد على ذلك كثيرة في التاريخ القديم والحديث

هذه هي مسئلة الجنسيات في نظر بعض علماء الاجتماع وهي الفصل الاخير من فصول المأساة التي بدأ تمثيلها منذ بدء المهاجرات او بعدها بمدة وكانت الفترات بين الفصول طويلة الاَّ انها لا تطول الى الابد فقد ارخي الستار على المشهد الاخير ليحضَّر بعدهُ مشهد من اشد المشاهد هولاً تمثل فيهِ معارك عنيفة بين الحق والقوة وتنتهي بانتصار القوة

لا يوجد ناموس في الدنيا يحظر على الكائن الحيّ الاحتفاظ بشروط كيانهِ ولم يوجد في الدنيا من قال للاسد وهو يفترس خروفاً تخلَّ عن هذا الخروف . لان الاسد يقبض على الخروف بدافع يدفعهُ الى ذلك وهذا الدافع هو الحق الذي يخوّلهُ افتراسهُ . على ان للخروف ايضاً حقًّا بان يقتل الاسد اذا استطاع الى ذلك سبيلاً . فالحق والقوة يجتمعان في حالة الدفاع عن الحياة او في ما كان باهميتها . والشريعة المدنية نفسها تخوّل الانسان حق الدفاع عن نفسهِ اي تجيز لهُ في بعض الظروف ان يدافع عن حقهِ بالقوة . والحرب ليست الاَّ دفاعاً بالقوة عن حق للامة . يرى شعب ان شيئاً يلزم لحياتهِ او لكمالياتهِ فيمد يدهُ الى ذلك الشيء ويكون حقهُ بهِ كحق الاسد بالخروف وصاحب ذلك الشيء يمنعهُ من اخذهِ اي يستعمل القوة للدفاع عن حقهِ وليس للمغلوب منهما ان يشكو بل عليهِ ان يستعد لاستئناف القتال في المستقبل . واذا غُلب ايضاً وحكم عليهِ بالانكسار الى الابد وجب ان يرضى بما حكمت عليهِ الطبيعة وان يعلم انهُ خروف وليس اسداً فيطبق احوالهُ الحيوية على احوال الخروف لانهُ لا يستطيع ان يحارب الطبيعة التي لم تلدهُ اسداً

للامة التي تُسلَب لغتها منها حق شرعي بالدفاع عن اثمن ملك لها واذا لم يكن لها قوة كافية للاحتفاظ بهذا الملك سقط حقها بهِ . وللامة السائدة حق بالاحتفاظ بشرف لغتها ومنع كل امتياز يضرّ بها او يضعف اهميتها واذا لم تستطع ان تؤيد حقها هذا بالقوة وجب ان تذعن لمطالب الامة المسودة فتساويها بحقوقها وتتنازل عن سلطتها المطلقة وتحتفظ بما يستطاع من السيادة لانها اذا كانت شرطاً لازماً لحياتها اصبح زوالها قاضياً عليها بالموت لا محالة

لا يتوهمن احد اني ارمي في هذا البحث الى غاية مخصوصة او ان اعني فيهِ امة مخصوصة

اذ لا غرض لي بالسياسة ووجهتي فيهِ الوجهة العلمية الاجتماعية فالمّ بالمسئلة من كل اطرافها واطلقهُ على كل الجنسيات المختلطة على الالمان في النمسا وبوهيميا وعلى الدنماركيين في الشلسويك الشمالية والبولونيين في پوزن والرومانيين في ترانلسلفانيا والطليان في الترانتين ولا استثني العرب في تركيا . فالخمس الملايين من المجر لهم الحق ان يحوّلوا الى مجر الاحد عشر مليونًا المغايرين لهم الذين في هنكاريا وكأنهم بذلك يستمرون على العمل لاستقرار الفتح الذي بدأ سنة ٨٨٤. الاَّ ان الالمان والسلاف والرومان الذين في هنكاريا لهم الحق ايضًا بان يدافعوا عن انفسهم فاذا فازوا على المجر ونزعوا منهم جنسيتهم سقط حق المجر وقُضي عليهم ان يرضخوا لما قُدّر لهم منذ اكثر من الف سنة . والتشك لهم حق بان يطلبوا مملكة لانفسهم يتحررون فيها من الالمان وكأنهم بذلك يستأنفون المعارك القديمة التي جرت بينهم وبين الالمان في المارش والجبال البيضاء . وللالمان حق ايضًا بان يقاوموا بالقوة قوةً اكبر وان يشهروا حربًا ثالثة تكون الفاصلة بعد الحربين التاريخيتين السابقتين فيبرهنوا للتشك نهائيًا انهم ليسوا اكفاء لمقاومة الفاتحين الذين دخلوا البلاد منذ اثني عشر قرنًا ولم يقاومهم فيها احد

بقيت لي الكلمة الاخيرة عن تركيا وهي البلاد التي تهمنا اكثر من سواها لانها الوطن الذي نحنّ اليهِ ونحافظ على وحدتهِ وكيانهِ فاقول . ان انفصال بعض الجنسيات عن تركيا في الحرب الاخيرة قد يكون في مصلحتها ومنفعتها لانها كانت سوسًا ينخر في جسم المملكة وبقي فيها جنسيتان كبيرتان متكافئتان هما الترك والعرب وما عداهما فجنسيات صغيرة ليس لاحداها او لمجموعها من القوة ما يخشى منهُ على نزع السيادة من الامة السائدة ويُقدَّر لها اما الرضوخ للقوة واما الاندماج في احدى الجنسيتين الكبيرتين . فاذا اذعن الاتراك لمطالب العرب وساووهم بانفسهم واشركوهم في الاحكام والادارات اشتد ساعدهم وصلح حالهم وقوي ملكهم والاَّ كان القول الفصل للقوة وانتهى بها الاشكال على احد امرين اما الاذعان واما الانفصال وسيبرهن المستقبل صحة هذه النظرية ان لم يكن عاجلاً فآجلاً تلك سنة الكون لا تنقضها سياسة الرياء ولا تحولها عن مجرها الوعود الكاذبة والعقود المرقعة

ان مأساة الجنسية التي بدأ تمثيلها منذ الوف من السنين على مرسح العالم لا بد ان تختم بمشهد تشهدهُ اوربا تمثل فيهِ المذابح والشرور والجرائم وبجانبها الشجاعة والشهامة والشرف . تلك مظاهر الطمع والجشع وهذه مظاهر القوة الحيوية لان الفروع المنفصلة عن جذوعها تحنّ الى الرجوع الى اصلها فتجاهد ما استطاعت الى ذلك سبيلاً فاما ان تموت في جهادها او ان تفوز فتجتمع باصولها . ذلك جهاد عنيف تموت فيهِ الامم الصغيرة وتباد الفروع التي

ليس لها قوة كبرى من جنسها تفزع اليها وتخلصها من نير عبوديتها وتثبت الامم الكبرى التي لا يقوى عليها منازع . وقد ينقضي القرن العشرون قبل تمثيل هذا المشهد المؤلم ومن يعش بعده يكن في امن من حفظ جنسيته والتمتع بها حيثما كان

تلك سنة الحياة العامة والقوة تكسبها الحق بالبقاء وهي سنة تحكم على الشموس في الفضاء كما تحكم على النقاعيات في الماء واذا هلكت بها امة فلأن ليس لها قوة تساعدها على البقاء كالكائنات البيولوجية التي تهلك في ادوار النمو

الدكتور
امين ابو خاطر

العلاج الكيماوي

من خطبة الدكتور ارلخ في المؤتمر الطبي الدولي السابع عشر

ان اجتماعنا هذا في البلاد الانكليزية لغرض علمي حتى نشترك في عمل يعود بالنفع العميم على نوع الانسان يسرّنا كلنا و يولينا شرفاً عظيماً لاننا مجتمعون في البلاد التي نبغ منها رجلان من اعظم الرجال في كل عصر ادورد جنّر ولورد لستر. فان العمل العظيم الذي عمله جنّر فكسر بهِ شوكة الجدري ذلك الوباء الرهيب لا يزال يتلألأ ببهاء منقطع النظير مع انهُ بدا في عصر كلهُ ظلمات . ولما اجتمعنا آخر مرة التففنا حول لورد لستر معجبين بهِ لانهُ باستعمالهِ مزيلات العدوى حوّل الجراحة من حال الى حال تحويلاً لا مثيل في تاريخ الطب . في البلاد التي أُنشئ فيها اول معهد للبحث عن امراض البلدان الاستوائية برئاسة السر فردرك منسن فجاء مثالاً لما انشئ على منوالهِ من المعاهد . والتي نشأ فيها روس الذي تناول اكتشاف لافران لسبب الملاريا وعمل من الاعمال المهمة ما فتح سبلاً صحية جديدة لمقاومة الامراض التي تنتشر في البلدان الحارة والبلدان المجاورة لها . وكلنا يعلم كيف اثبت كاستلياني ان سبب داء النوم نوع من الحلم المعروف باسم التريبانوسوم Trypanosome وكيف بحث بروس في الامراض الحادثة من انواع التريبانوسوم وبحث لشمن في سبب المرض المعروف بالكلا ازار . وقد ثبت فعل الاتوكسيل العلاجي في الامراض التريبانوسومية اولاً في معهد الامراض الاستوائية بلفربول اثبتهُ توماس وبرينل . وقال يلمر حديثاً بالطرطير المقيء كواسطة فعالة في معالجة الامراض المسببة عن الحلميات داخل الجسم

وكلنا يعلم ايضاً ما اشتغل بهِ السر المورث ريط مدة حياتهِ اي بحثهُ في المعدَّات[1] وفي العلاج الواقي من التيفويد . وقد جرى العمل بهِ فافاد فائدة كبيرة جدًّا . وهذه الاسماء القليلة التي ذكرتها وفي طاقتي ان اذكر كثيراً غيرها ترينا المنزلة العليا التي حازتها انكلترا في مقاومة الامراض المُعدية . ولقد كان شفاء هذه الامراض ومنع انتشارها اسمى الاغراض التي سعى اليها الاطباء في كل العصور ولكن السير في هذا السبيل على خطة قانونية منتظمة لم يصر ممكناً الاَّ منذ عهد قريب لاننا صرنا نعرف شيئاً عن حقيقة العدوى وسبب الامراض والوسائل التي تنتقل بها. والفضل في وصولنا الى هذه المعرفة عائد الى كل الذين اشتغلوا فيها من كل الامم المتمدنة . وبذلك تمكنا من ايصال الامراض الى الحيوانات وامتحان العلاجات فيها على اسلوب علمي . ولقد كان العلاج الكيماوي معروفاً منذ نشأَت صناعة الطب لان كل العلاجات التي نستعملها مواد كيماوية . ولكن لم تتهيأ الوسائل للتجارب العلمية في العلاجات الكيماوية الاَّ لما مُهّد السبيل لها على ما تقدَّم وبقي لنجاحها اربعة شروط وهي الصبر والحذق والسعد والمال ولعلَّ هذا الاخير اهمها

والآن يا سادتي اسمحوا لي ان ادخل بكم معملاً من معامل العلاج الكيماوي فاقول ان المبدأَ الذي بني عليهِ هذا العلاج طبيعي بسيط جدًّا وهو ان بعض المواد الكيماوية تفعل بالميكروبات فتقتلها وقد لا تقتلها بل تبطل فعلها فسميت كلها قاتلات الميكروبات توسعاً . مثال ذلك السلفرسان (العلاج ٦٠٦) او املاح الزيبق فانهُ لا يقصد بها قتل الميكروب مباشرة بل ابطالــــ فعلهِ بجعلها الجسم يفرز مادة مضادة للميكروب . فاذا مزج السلفرسان الجديد بميكروبات مرضية مثل ميكروبات الداء الزهري بقيت هذه الميكروبات حيَّة متحركة ولم تضعف حركتها لا لان السلفرسان لم يؤَثر فيها بل لان تأْثيرهُ لا يظهر بقتلها. ولكن اذا مزجت هذه الميكروبات بمصل لا يضرُّ بها في انبوبين من انابيب الكشف واضيف الى احدها شيءٌ قليل من السلفرسان ثم نزع المصل منها وغسلت جيداً وغسلت التي في الانبوب الآخر وحقن بكل منهما فارة فالفارة التي حقنت بالميكروب الذي كان معهُ السلفرسان تبقى سليمة واما الفارة الثانية التي حقنت بالميكروب الذي لم يكن معهُ سلفرسان فتصاب بالمرض الذي يسببهُ ذلك الميكروب . وهذا دليل قاطع على ان السلفرسان ابطل فعل الميكروب ولو لم يقتلهُ

---

[1] المعدات Opsonin كلمة وضعها السر المورث ريط لمواد تعد الميكروبات المرضية لتأْثير العلاج فيها كما يعد الطبخ الطعام للهضم

فكيف فعل السلفرسان بالميكروب اي ما هي حقيقة هذا الفعل . بحثنا في ذلك بحثاً طويلاً قبل ان انجلت لنا الحقيقة لاننا لم نرَ من الصواب ان نكتفي بما ظهر لنا بل رأينا انهُ يجب ان نستقصي فعل العقاقير لنرى كيفية تأثيرها في الميكربات والقاعدة التي تجري عليها فوجدنا ثلاثة انواع من العقاقير تصلح لتجار بنا

الاول المركبات الزرنيخية وهي الحامض الزرنيخوس (او طعم الفار) والحامض الارسنيليك (او الاتوكسيل) والارسينوفنيلغليسين (او السلفرسان والنيوسلفرسان)

والثاني الاصباغ الازوية مثل التريبان الاحمر والتريبان الازرق

والثالث الاصباغ التي من نوع الفخسين وبنفسجي المثيل

فاذا اكتسب نوع من الميكروبات عدم التأثُّر من الفخسين لم يعد يتأثر من كل ما كان من نوع الفخسين من العقاقير ولكن هذا لا يمنع تأثرهُ من عقاقير النوعين الاخرين اي المركبات الزرنيخية والاصباغ الازوية ولذلك فالمناعة على انواع مختلفة مستقلة حسب العقاقير الكيماوية التي تسببها فهي اذاً فعل كيماوي . والبحث في التكسين والانتيتكسين ادَّى الى هذه النتيجة ايضاً فان التكسين اي المادة السامة تفعل فعلها بقبضها على النواتئ التي تنتأ من حواشي الخلايا وقد سميتها بالقوابل[1] وهذه القوابل هي المواد التي تعارض دقائق السم في فعلها وتكونها الخلية الحية بكثرة فتشبع السم وتزيد عليهِ فيكتسب الجسم بها المناعة . وقد ارتبت اولاً في حسبان فعل المواد الكيماوية من قبيل فعل القوابل المشار اليها ولكن مباحث لنغلي ازالت هذا الريب من نفسي . والمرجح الآن ان القوابل الكيماوية مثل القوابل الفسيولوجية وان في الميكروبات ونحوها من الخلميات قوابل كيماوية مختلفة . فالقوابل الزرنيخية منها تؤثر في مركبات الزرنيخ والقوابل الخلّية تؤثر في مركبات الحامض الخليك والقوابل الارثواميدوفنول تؤثر في السلفرسان وهلمَّ جرًّا . واذا عرفنا ما هي قوابل كل الميكروبات حق لنا ان نقول اننا عرفنا فسيولوجيتها الدوائية وهذا امر لازم للعلاج الكيماوي . ولا بدَّ لي من القول ان بعض القوابل الكيماوية غير خاص بنوع واحد من الميكروب بل يوجد في انواع مختلفة . ومعرفة ذلك ضرورية جدًّا لان الدواء الذي يفيد في الواحد يفيد في غيرهِ ايضاً ممَّا فيهِ تلك القوابل . وكلما كثرت القوابل وتنوعت زاد الامل بوجود دواء كيماوي لها

فاذا فتشنا عن الادوية النوعية لمرض من الامراض وجب ان نفتش عن العقاقير التي فيها ما يناسب قوابل ميكروبات ذلك المرض وهذا شرط ضروري ولكنهُ غير كافٍ وحدهُ

(١) انظر تفصيل ذلك في المجلد ٣٨ من المقتطف والصفحة ١٥٢ وما بعدها

لان المادة قد تلصق بالميكروب ولكنها لا تميتهُ فيجب ان تكون جامعة للشرطين ولو بتركيبها من مواد مختلفة فتصير مثل السهم المسموم فالتصاقها بقوابل الميكروب بمثابة نصل السهم الذي ينشب في البدن واماتتها للميكروب بمثابة السم الذي في النصل . وقد جمعت هاتان الخاصتان في السلفرسان فانهُ مركَّب من الاميدوفنول وهو بمثابة نصل السهم والزرنيخ وهو بمثابة سم السهم وفيهِ ايضاً شيء من البنزول وهو بمثابة صدر السهم اي الخشب الذي بين الريش والنصل وهو لدفع النصل في البدن

والسم الذي في نصل السهم المسموم مركَّب من مواد قلوية ونحوها تؤَثر في بعض اعضاء البدن تأثيراً ضارًّا وكذلك المادة السامة التي في الدواء تسم خلايا الميكروب المرضي بما فيها من الالفة الكيماوية لتلك الخلايا . ومن المعلوم ان كل مركبات الزرنيخ التي فيها خمسة جواهر من الاكسجين تكون مشبعة منهُ فلا فائدة علاجية منها واما المركبات التي فيها ثلاثة جواهر من الاكسجين كالحامض الزرنيخوس ونحوهِ فلا تكون مشبعة من الاكسجين فتبقى لها الفة لغيرهِ وتكون منها فائدة علاجية اي يكون لها فعل في قتل الميكروبات . ومن هذا القبيل فعل اكسيد الكربون الاول واكسيدهِ الثاني فان الاول سام كثيراً لانهُ غير مشبع من الاكسجين واما الثاني فغير سام على نوع ما لانهُ مشبَّع من الاكسجين . ومن هذا القبيل بعض الاصباغ فانها قبلما يظهر لونها تكون مشبعة فلا تسم كما تسمُّ بعد ما يظهر لونها . والخلاصة ان المركبات غير المشبعة يكون فيها عناصر غير مكتفية بما حولها فتفعل بما يتصل بها

من العادات المتبعة عند بعض المتوحشين انهم لا يكتفون بطلي نصال سهامهم بسم واحد بل يطلونها بسمين او ثلاثة من السموم المختلفة الانواع لكي لا تبقى شبهة في انها تصير قتَّالة وعلينا ان نجري مجراهم ونحضر ادويتنا القتالة للميكروبات من سموم مختلفة لكي لا تبقى شبهة في فعلها . وهذا الذي يجب ان نفعلهُ في استحضار الادوية الكيماوية او السموم الدوائية التي تقتل الميكروبات . ولو اريد قتل الميكروبات خارج الجسم لما كان في الامر صعوبة ولكن اذا اريد قتلها داخل الجسم فهناك الصعوبة الكبرى فاذا اريد تطهير غرفة فارغة وقتل ما فيها من الميكروبات المرضية فالامر سهل الآن ولكن اذا كانت الغرفة مملوءة من الاثاث وكان اثاثها ممَّا يتأثر جدًّا بفعل المطهرات كما تتأثر الخلايا الحية زادت الصعوبة جدًّا كما لا يخفى . وقد علم ان المواد التي تفعل بالميكروبات فعلاً شديداً جدًّا وهي ذائبة في الماء حتى ولو كانت مخففة جدًّا لا تفيد فائدة دوائية لانها تسم خلايا البدن كثيراً او قليلاً فهي تسمُّ الميكروبات وتسم الجسم ايضاً

سيأتي البقية

الرغبة سر النجاح

ما من احد ولاسيما اذا كان كهلاً او شيخاً الاَّ وهو يعرف اناساً نجحوا في اعمالهم نجاحاً كبيراً واناساً نجحوا نجاحاً متوسطاً لا هو بالكبير ولا هو بالصغير واناساً فشلوا ولم يفلحوا فبقوا على حالة واحدة او كانوا في حالة اصلح من الحالة التي صاروا اليها

اذا التفت الى الذين عرفهم منذ ثلاثين سنة مثلاً وكانوا شباناً فصاروا كهولاً رأى بينهم اناساً كانوا من عامَّة الطلبة الذين لا يؤبه لهم او من صغار المستخدمين او صغار العمال او صغار التجار او صغار الملاك وهم الآن إمَّا من نظَّار الحكومة او من كبار موظفيها او من اصحاب الاشغال الكبيرة او الاملاك الكثيرة او المتاجر الواسعة . ورأى ايضاً اناساً من اترابهم كانوا مثلهم او ارقى منهم وهم الآن على ما كانوا عليهِ او احط شأناً . واذا سألت الذين نجحوا عن اسباب نجاحهم والاساليب التي جروا عليها او بحثت عن هذه الاسباب بنفسك ودونتها في كتاب ولخصتها في قواعد كلية وسلمتها لمئة شاب ليعملوا بها فالغالب ان قليلين منهم يفلحون كما افلح الذين نقلتها عنهم والباقون يقرأُون تلك القواعد وقد يحاولون العمل بها ولكن تتولاَّهم السآمة حالاً فلا يفلحون واذا بحثت ودققت وجدت لذلك سبباً جوهريًّا وهو ان نجاح الذين ينجحون لا يكفي فيهِ اتباع القواعد التي دونتها بل لا بدَّ لهُ من سبب آخر لا يدخل تحت قاعدة وقانون وهو الرغبة في العمل

من شروط النجاح في كل عمل معرفة قواعد ذلك العمل والجري عليها والمهارة في ادارة العمَّال والتدقيق في حساب الدخل والخرج والاحتفاظ باوقات العمل ومواعيدهِ وترتيب كل ما يتعلَّق بهِ ونحو ذلك ممَّا يشمل كل الاعمال او يختلف باختلافها . ولكن القيام بهذه الشروط كلها يفضي الى نجاح عادي معتدل واما النجاح الكبير التي يتفوَّق بهِ البعض على اقرانهم فيصيرون رؤَساء يشار اليهم بالبنان فلا بدَّ لهُ من شرط آخر كما تقدم وهو رغبة فائقة في العمل تمتلك صاحبها حتى تصير هوَساً فيهِ وقد تصرفهُ عن الاهتمام بسائر الشؤُون

اذا كان القارئ من سكان هذه العاصمة وقد بلغ الثلاثين او الاربعين من عمرهِ وادار نظرهُ الى ما حولهُ رأى امثلة كثيرة تنطبق على ما تقدم رأى وزراء كانوا بالامس وكلاء نيابة والذين كانوا رؤَساءهم لم يتزحزحوا عن مراكزهم وتجاراً عندهم مئات الالوف من الجنيهات ولم يكن عندهم منذ ثلاثين سنة عشر معشار ذلك وغيرهم من جيرانهم لم يزالوا في

الحالة التي كانوا فيها وملاَّكاً اشتروا الوف الافدنة او بنوا عشرات البيوت ولم يكونوا شيئاً مذكوراً منذ ثلاثين سنة ومئات من معارفهم لم تزد ثروتهم شيئاً او قلَّت عمَّا كانت عليهِ . واقلُّ بحث يريبهِ ان كل واحد من هؤُلاء الناجحين لم ينل ما نالهُ الاَّ بالتعب والنصب والجد والاجتهاد واغتنام الفرص. وما منهم من جرى على الطريق المطروق الذي يجري عليهِ سائر الناس بل حاد عنهُ واختطَّ نفسهِ طريقاً جديداً . فان كان الموظف العادي يأتي الى ديوانهِ في الميعاد المعين او بعدهُ ولا يتأخر لحظة عن الميعاد المحدَّد للانصراف بل يتوقعهُ بفروغ صبر وهو يفتح ساعتهُ دقيقة بعد اخرى حتى اذا حان الوقت رأيتهُ مسرعاً الى بيتهِ فيأكل وينام ويقضي بقية يومهِ في قهوة او ملعب ولا يحيد عن الخطة المحددة لهُ لحظة . فالموظف غير العادي يباكر ديوانهُ ويعمل اعمالهُ واعمال غيرهِ ويأسف لضيق وقت العمل فلا يكتفي بما يعملهُ في الديوان بل يعمل اضعافهُ في بيتهِ ويغوص في عملهِ حتى يستجلي اسرارهُ ويذلّل صعابهُ ويمتلك قيادهُ ويصير بحيث يتعذَّر الاستغناء عنهُ . ويشغل وهو في المركز الواحد مراكز اعلى منهُ حتى اذا فرغ مركز منها كان هو الكفوءُ المستعدّ لهُ . وقد يرتقي البعض الى المراكز العالية على غير هذا النمط ولكن ذلك نادر لا يقاس عليهِ

والتاجر الذي بلغ درجة عالية من النجاح لم يبلغها الاَّ لانهُ كان يلازم مخزنهُ من الصباح الى المساء وينتبه لكل ما يروّج بضائعهُ ولا يترك فرصة تضيع سدًى . ويبث الغيرة والنخوة في نفوس مستخدميهِ فيعمل الواحد منهم اضعاف ما يعملهُ لو كان رئيسهم كسولاً مهملاً . واذا وجد مَن يعتمد على رأيهِ او حكمهِ منهم قرَّبهُ اليهِ ورقاهُ واستعان بهِ على توسيع عملهِ

وقس على ذلك كل الذين نجحوا في الاشغال المختلفة من الحرف العادية الى ارقى مراتب العلم والفلسفة

يحكى عن لورد كلفن العلاَّمة الانكليزي المشهور انهُ كان شديد الرغبة في كل اشغالهِ مهما كان نوعها وفاق الثمانين وبقي على هذه الرغبة كأنهُ شاب في مقتبل العمر. اتاهُ ذات يوم رجل اميركي يستشيرهُ في امر ولما قرع الباب وطلب مقابلتهُ قال لهُ الخادم انهُ مشغول الآن جدًّا ويتعذَّر عليهِ ان يقابل احداً فقال للخادم قل لمولاك اني اتيت من اميركا لاستشيرهُ في امر لهُ شأن كبير عندي فدخل الخادم واخبرهُ فقال لهُ ايتني بهِ

وكان هذا الرجل قد خطر لهُ خاطر في اصلاح السمنت وكاد يبلغ مبتغاهُ ولكن اعترضتهُ مشكلة تعذَّر عليهِ حلها فاستعان بارباب الفن من الكيماويين والطبيعيين ونحوهم وانفق في هذا السبيل النفقات الطائلة ولم يعد بطائل . وكثيراً ما كان يتعذَّر عليهِ فهم الذين استشارهم

لكثرة ما يستعملونهُ من المصطلحات العلمية اما لورد كلفن فللحال اهتمَّ بالموضوع فسأَلهُ بعض المسائل بلغة بسيطة خالية من التعقيد ثم قال لهُ ان المادة التي تطلبها سائل موجود في المانيا وهو هناك الآن من النفايات التي لا قيمة لها بل هو عبء ثقيل على الذين يخرج من معاملهم فيودُّون التخلص منه باية وسيلة كانت . ثم اخبرهُ اين يجد ذلك السائل فذهب الى المانيا وملأ منهُ صندوقاً من الصفيح وعاد بهِ الى لورد كلفن فقال لهُ اللورد ضعهُ الليلة في اناء كبير من الماء وفي الصباح يصير الماء صالحاً للعمل . فذهب الرجل وثقب الصندوق ليصبَّ السائل منهُ فلم ينصب فعاد الى لورد كلفن يشكو اليهِ امرهُ فقال لهُ ان السائل قد تبلوَر الآن ولا بد من شق الصندوق حتى يُخرَج منهُ . ففعل وافرغ هذه البلورات في اناء كبير من الماء واتى بهِ في الصباح الى لورد كلفن والظاهر انهُ ماء صرف لا شيء فيهِ فابان لهُ لورد كلفن ان المواد التي كانت ذائبة في الماء وتمنع تجمد السمنت قد رسبت منهُ الآن في قاع الاناء . وكان كما قال وصار الماء صالحاً للغرض الذي ارادهُ واثبت لهُ ذلك بالامتحان واستمرَّ يعاونهُ في الامتحان من الصباح الى ما بعد الظهر واخيراً فتح الاميركي ساعة فوجد انهُ مضى خمس ساعات مرَّت عليهِ كانها خمس دقائق لشدَّة رغبتهِ في العمل ولم يكن لورد كلفن اقل رغبة منهُ . ولما رأَى هذا الرجل انهُ فاز بمرادهِ عرض على لورد كلفن مبلغاً طائلاً من المال جزاء خدمتهِ لهُ فابى ان يأْخذ منهُ شيئاً . ولولا الرغبة الشديدة في المباحث العلمية ما انقطع هذا العلامة وهو شيخ كبير السن للعمل خمس ساعات متواليات في موضوع ليس لهُ منهُ اقل فائدة ومنهُ لغيرهِ فائدة تقدر بمئات الالوف من الجنيهات

لقد كانت رغبة الناس مصروفة في العصور الغابرة الى التفوُّق في العلوم والفنون والسياسة . فكان اقصى ما يتمناهُ الرجل لابنهِ ان يصير اميراً او وزيراً او قائد جيش او حبراً جليلاً او عالماً كبيراً ولم يكن للزراعة والصناعة والتجارة شأن كبير عندهم حتى يُرغب فيها اما الآن فصار لارباب هذه الاعمال الشأن الاكبر والقدح المعلَّى بل صار الملوك يتنافسون في اقتناء الضياع والاشتراك في المعامل اي صار المال قيمة لكل الاعمال وصار كسبهُ الغاية التي يسعى اليها كل احد . فاذا استطاع الاميران يقتني الخيول المطهمة ويبني القصور المشيدة ويجمع حولهُ الخدم والحشم فالتاجر الذي اثرى من تجارتهِ او العامل الذي اغتنى من عملهِ يستطيع ذلك واكثر منهُ . وكثيراً ما ترى ملوك اوربا الآن ووزراءها وقوادها في ضيافة رب تجارة او رب معمل ينظرون الى قصرهِ مدهوشين من فاخر اثاثهِ ورياشهِ ويعجبون بغناهُ ويودُّون ان يكون عندهم مثلهُ

وقد يظن لاول وهلة ان النجاح في العمل اساسهُ التوفيق والصدف وانهُ لا يقتضي مهارة فائقة في ادارة العمال ومعرفة طبائع الناس واخلاقهم لان كثيرين نجحوا وهم ليسوا على شيءٍ من المهارة او لا يفوقون غيرهم في شيءٍ وانما خدمهم السعد على حد ما قيل

يخيب الفتى من حيث يفلح غيرهُ   و يعطى الفتى من حيث يحرم صاحبهُ

و يظن غيرهم ان هذا النوع من النجاح محصور في كسب المال وجمعهِ وان الاعمال كلها امست ولا شيءَ فيها ممَّا يستحق ان توجَّه اليهِ همة الاماجد الاماثل او يرفع النفس عن حطام الدنيا فاين عبيد المال من الذي مدحهُ ابو تمام بقولهِ

لم يؤثرِ الذهب المربي بكثرتهِ   على الحصا وبهِ فقرٌ الى الذهبِ

ان الاسود السود الغاب همتها   يوم الكريهة في المسلوب لا السلبِ

ولكن مطالب الحياة كلها اصبحت في هذه الايام اشغالاً تدار كما تدار الاعمال الصناعية والتجارية حتى الامارة والامامة واصبح العلم والاختراع خادمين لها وهي محور العمران وعليها مدار المسائل الاجتماعية كالصحة العمومية ومساكن العمال واساليب النقل والانتقال ونشر العلوم والمعارف بل عليها يتوقف الاستقلال السياسي والدفاع الوطني · ولا يفلح في هذه الاعمال الأَّ من تملكتهُ الرغبة الشديدة فيها · وقد يتقلَّب المرءُ في انواع مختلفة من الاعمال ولا يفلح فيها الى ان يصل الى العمل الذي لهُ رغبة فيهِ فيطمئن اليهِ ويجري فيهِ جري السوابق

يحكى انهُ اجتمع مرةً جماعة من ارباب الاشغال الكبيرة للبحث فيما يتعلق باشغالهم وتوسيعها واجتمع معهم شاب لهُ معمل صغير جدًّا لا يكفي لما فُطر عليهِ من حبّ التوسُّع في الاعمال فانصرف الى السياسة وجعل يخطب الخطب السياسية في الانتخابات العمومية انتصاراً لمن يودُّ انتخابهُ · وكان من المجتمعين رجل من اهل الانانية مشهور باستبدادهِ في رأيهِ وايثارهِ نفسهُ على غيرها وكان قد اشتغل سنين كثيرة وكسب مكاسب طائلة وجعل يضرب في الاقطار و يعود الى معاملهِ آونة بعد اخرى باساليب جديدة فيغيرها و يقلبها رأْساً على عقب ولا يبالي بما يلاقيهِ العمال ومديروهم من العناء · فلما اتمَّت الجماعة حديثها وتمكنت منها السآمة واستولى عليها النعاس لان المتكلمين لم يتكلموا الأَّ كلاماً عاديًّا وصل الدور الى ذلك الشاب وكانت خطابة السياسية قد جعلتهُ طلق اللسان قوي الحجة فكه العبارة فاختلب لبهم بحديثهِ وما قصَّهُ عليهم من القصص وانتقل بهم من موضوع الى آخر وابان لهم علاقة اشغالهم بسياسة بلادهم وعزتها ومجدها ومستقبلها فاصغوا اليهِ معجبين بهِ ومؤْمنين على كل ما قالهُ · وللحال خطر لذلك المثري المشهور بالانانية ان يستخدمهُ مديراً لمعاملهِ وكان كذلك واعطاهُ

راتباً كبيراً جدًّا فوجدت رغبتهُ في ادارة الاشغال قبلتها التي تود الاتجاه اليها والقطب الذي تدور حولهُ فاحسن ادارة المعامل وسياسة العمال وصار صاحبها طوع بنانهِ فانتظمت امورها وزادت ارباحها

وتختلف اميال الناس ورغباتهم اختلافاً كبيراً فبعضهم يرغب في ادارة الاعمال وتنظيمها فينشئ سكك الحديد ويرى بزكانتهِ ما تصير اليهِ حال البلاد بعد عشرين سنة وما تقتضيهِ حينئذٍ من وسائل النقل . وبعضهم تقتصر رغبتهُ على تنظيم دفاتر المحل وحساباتهِ . وبين هذين الطرفين درجات كثيرة ورجال مختلفون وكل منهم يفلح في العمل الذي يتعاطاهُ برغبة . واما الذي لا رغبة لهُ فلا يفلح في شيءٍ وانما هو لسد الفراغ وتقاضي الراتب في آخر الشهر وكأنهُ آلة تعمل ما تدار لهُ ولا تعمل غيرهُ . والفرق بينهُ وبين الآلة ان الآلة لا تتعب من عملها واما هو فيتعب من كل شيءٍ ويلتمس الراحة في كل لحظة ويكره المناظرة ويبعد عن المنافسة ولا يحيد قيد شبر عن الخطة التي خُطَّت لهُ او خطها لنفسهِ

وممَّا يمتاز بهِ اهل الرغبة ميلهم الى الاستنباط فتراهم ينتبهون لكل امر فتقوى فيهم قوة الملاحظة وقد يقوى شمهم وسمعهم وبصرهم . يحكى عن رجل من مستخرجي العطور في باريس ان حاسَّة شم الروائح الطيبة وتمييزها بعضها من بعض قويت فيهِ حتى لم يعد يشم الروائح الخبيثة . وعن صائغ من الصاغة الماهرين ان احدى عينيهِ تمرَّنت على رؤْية الاشياء الدقيقة حتى استغنى بها عن استعمال الزجاجة المكبرة

ثم ان الرغبة في العمل قد تكون خاملة وتحتاج الى من يوقظها وهنا تظهر مزية مديري الاعمال فان المدير الماهر الذي ينجح عملهُ في يدهِ هو الذي يستطيع ان يوقظ الرغبة في عمالهِ ويبث الحمية فيهم ويجعل في العمل لذةً لهم . والغالب ان ذلك يحصل عفواً من غير تعمُّل اي اذا كان المدير راغباً في عملهِ شديد الاهتمام بهِ شاركهُ العمَّال في هذه الرغبة وهذا الاهتمام ولو عن غير قصد منهم

والناس شتَّى مختلفون في مطالبهم ومناحيهم وقواهم العقلية فلا يساقون بقضيب واحد ولا يستمالون على طريقة واحدة . والمدير النذب هو مَن يعرف هوى كل واحد من الذين يتولَّى ادارتهم ويغريهِ بما يفيدهُ ويزيد سعيهُ وينبذ الكسول المهمل الذي لا يرجى منهُ نفع لئلاَّ يعدي غيرهُ بكسلهِ كما يعدي السليم الاجرب

وزبدة القول ان الرغبة في العمل سرُّ النجاح فيهِ والمحور الذي تدور عليهِ الاعمال الكبيرة الناجحة ولا نجاح بدونها

غرائب العادات

في بولينيزيا

اذا غادر الانسان شبه جزيرة ملقا والجزائر المجاورة لها وضرب شرقاً وجد جزائر كثيرة منتشرة في الاوقيانوس الباسيفيكي مقسومة الى مجاميع مختلفة من اشهرها جزائر ساموى وتهيتي وهواي وزيلندا الجديدة

وقد اتصل الاوربيون بسكان هذه الجزائر منذ مئة سنة ونصَّروهم فاهملوا شعائرهم الدينية وابطلوا الكثير من عاداتهم القديمة الاَّ اذا اجتمعوا في حفلة واخذهم الهوس فان عواطفهم تتغلَّب حينئذٍ على عقولهم فيعودون الى بعض العادات التي ابطلوها

ومن اشهر عاداتهم القديمة واكثرها شيوعاً الوشم الذي كانوا يغطون ابدانهم بهِ ويحسبونهُ من الكماليات ومن لوازم الرؤَساء فانهم كانوا يتفننون في اشكالهِ وكان لهُ عندهم صنَّاع ماهرون في رسم رسومهِ . ولا يتم وشم بدن الانسان في اقل من بضعة اشهر ومتى اخذ الوشام يشم بدن انسان وقف البنات حولهُ ينشدون الاناشيد لكي يستهوينهُ ويخففنَ آلامهُ

وكان اهالي جزائر مرشال يشمون ابدانهم جماعات في وقت واحد وتقدَّم التقادم حينئذٍ لآلهة الوشم وهي من ارفع الالهة مقاماً . ومتى وشم الرئيس من اهالي زيلندا الجديدة بدنهُ امتلأَ قداسة وحُرّم عليهِ ان يمس شيئاً حتى طعامهُ اذا مسهُ تنجس منهُ فلا يأْكل بيدهِ ولا يشرب بل يطعمهُ رجل من اتباعهِ ويسقيهِ بقمع مزخرف يضعهُ في فمهِ ويصب فيهِ الماء .

وكان لوشم الرؤَساء شان في ما جرى بينهم وبين الاوربيين حينما نزلوا بلادهم من الامور الرسمية فان الحجج التي كانت تكتب لابتياع الاراضي كان يوقعها الرئيس برسم شكل الوشم الذي على وجههِ كأَنهُ العلامة المميزة لهُ فهو بمنزلة الختم والتوقيع (الفرما)

وكان سكان زيلندا الجديدة يعلقون باعناقهم تمثالاً صغيراً من اليشب Jade يمثل طفلاً قبيح المنظر يعتقدون انهُ صورة جدهم الاعلى ويتوارثونهُ خلفاً عن سلف كذخيرة مقدسة . ولم يزل عند بعضهم من هذه التماثيل وهم يغالون بها جدًّا . وعندهم اقراط من حجر اليشب يشنفون بها آذانهم

ويبالغ سكان جزائر مرشال في لبس الاقراط ويثقبون شحمة الاذن ثقباً كبيراً يوسعونهُ رويداً رويداً حتى يمر رأس الانسان في ثقب اذنهِ . ويلبس اهالي ساموى عقوداً من اسنان الحيتان

ويشترك اهالي هذه الجزائر كلها في حب الازهار والتجمل بها ولاسيما اهالي جزائر

هواي فانهم يضفرون اكاليل من الازهار كل يوم يكللون بها رؤوسهم . واذا اراد واحد منهم السفر وخرجوا لوداعهِ غمروهُ بالازهار . وكانوا يضفرون الاكاليل من ريش الطيور المزوقة وينظمون العقود من الصدف ويتحلون بها . وافخر حلية عند اهالي جزائر غلبرت اسنان احد الاسلاف تنظم عقداً . وكان اكثر لباسهم مقاطع مضفورة ضفراً من لحاء الاشجار او محبوكة كالحصر . ولا يزالون يلبسون ثياباً مثل هذه اذا رقصوا اما الآن فثيابهم العادية من المنسوجات الاوربية . والظاهر ان لبس الثياب الاوربية اضرّ بهم لانهم كانوا قبلاً لا يلبسون شيئاً من وسطهم فما فوق وكانوا يطلون ابدانهم بزيت النارجيل تخفيفاً لوطأة الحر فلما ابطلوا ذلك فشت فيهم النزلة الوافدة وذات الرئة

اما اهالي زيلندا الجديدة فكانوا ينسجون الكتان ويصنعون ثيابهم منهُ حينما دخل الاوربيون جزيرتهم وكان لباسهم فوطة تغطي العورة ورداءً مزداناً بريش الطيور يلقى على الكتفين . وكان عندهم ستون نوعاً من الكتان وكانت صناعة الحياكة من الصنائع المقدسة يتعاطاها النساء وقلما يتعاطاها الرجال وتعليمها منوط بالكهنة وهم كلما علموا فرعاً منها تلوا الصلوات والتراتيل والعزائم . وسواءٌ حاكوا ثيابهم من الكتان او ضفروها ضفراً من الخوص ونحوهِ تفننوا في نقشها وتوشيتها

والعادة عندهم انهُ اذا دنا وقت ولادة المرأة عادت الى بيت ابيها لتتنفّس فيهِ ومدة النفاس قصيرة جدًّا فلا يمضي عليها بضع ساعات بعد ولادة طفلها حتى تنهض وتذهب بهِ الى البحر وتغتسل معهُ . واول شيء يطعمهُ الطفل عصار جوز الهند بعد مضغهِ ولا يطعم غيرهُ بضعة ايام حتى يصير لبن امهِ صالحاً لهُ على رأيهم وذلك بان يمزجوا شيئاً من لبنها بالماء ويرموا فيهِ حصاة محماة فاذا تخثر ولو قليلاً قالوا انهُ لا يزال غير صالح . وكانوا في الزمن القديم يئدون البنات ولاسيما في تهيتي حيث بلغ من حب بعض السكان للقصوف ان صاروا يكرهون تربية اولادهم فيقتلونهم حال ولادتهم ذكوراً كانوا او اناثاً . اما اهالي ساموى فيهتمون بتربية اطفالهم ويحتفلون بكل طور من اطوار نمو الطفل اي اذا ابتدأ يجلس واذا ابتدأ يدب واذا ابتدأ يقف واذا ابتدأ يمشي وهلمَّ جرًّا

وكان اولاد الرؤساء في زيلندا الجديدة يتعلمون في مدرسة كبيرة يعلمهم فيها احد الكهنة انسابهم واقاقيص دياناتهم وتاريخ امتهم . وعمل الصبيان مساعدة والديهم في الصيد والزرع وعمل البنات مساعدة امهاتهنَّ في جمع المحار من ساحل البحر واستقاء الماء من الآبار ونسج المنسوجات وضفرها . ويتعلم الصبيان الطبخ في ساموى

وكلهم مولعون بالرقص ولهم فيهِ تفنن عجيب فيحركون ابدانهم كلها او يكتفون بحركات اياديهم وهم جلوس · ويدعو اهالي البلد الواحد اهالي بلد آخر للاجتماع والتنافس في الرقص وحينئذٍ تلبس ابنة الرئيس لمّة كبيرة من الشعر على رأسها مزدانة بصدف اللؤلوء فوق جبهتها كما ترى في الشكل المقابل ويجلس وراء الراقصات جماعة من المغنيات يوقعن الحانهنَّ بالنقر على عقد القنا الهندي · ويتلو رقص الجالسات رقص الواقفات فيمثّلن بهِ الاعمال المختلفة كصيد السمك وقنص الزلاحف وما اشبه

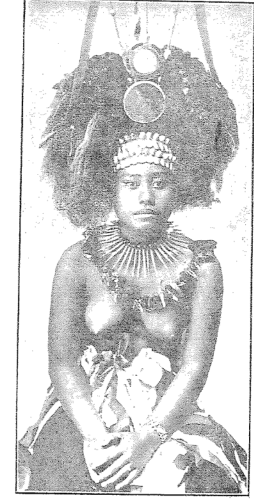
وحركات الراقصات غاية في اللباقة وقد تمتد شهرة البارعات منهنَّ في الاقطار · ويسلك الراقصات الزيلنديات ازراراً من الكتان معلقة بخيوط قصيرة يضربن بها اذرعهنَّ وسوقهنَّ لتقسيم الوقت وتوقيع الرقص · وعندهم رقصة يشترك فيها اربع بنات يجلسن في شكل مربع ومعهنَّ عصي يتجاذفن بها من الواحدة الى الاخرى على اشكال منتظمة وهنَّ يغنين · ويرقص البنات في هواي لابسات مآزر الاوراق واكاليل الازهار كما كنَّ يلبسين قبلما اتصل اللباس الاوربي الى تلك البلاد · اما رقص الرجال فمن الرقص الحربي تبدو فيهِ القوة مع المهارة والرشاقة

وعندهم العاب كثيرة غير الرقص كاطارة الطيارات وادارة الدوامات وطرح الاحاجي ورمي الاكر والكجات والترجح بالاراجيح · والغالب ان تجلس فتاة في الارجوحة و بينما هي تترجح ذهاباً واياباً بسرعة فائقة يثب فتىً ويتعلق بالارجوحة و يصعد معها حتى اذا عادت الارجوحة بها الى قرب الارض تركها ووثب غيرهُ مكانهُ

ومن اشهر العابهم واشدها خطراً سباق القوارب ووثبها فوق الحواجز فانهم ينصبون خشبتين قائمتين في النهر و يعارضونهما بخشبة ثالثة تعلو قدماً فوق الماء و يصنعون القوارب لهذا السباق طويلة قريبة القاع فيركب الشبان القارب ويسرعون بهِ وهم يجذفون بكل جهدهم الى ان يصلوا الى الحاجز فيتكئ واحد منهم على مؤخرهِ فيرتفع مقدمهُ فوق الحاجز و يشتد الباقون في التجذيف فيثب القارب من فوق الحاجز وقد ينقلب بهم او يعجز عن الوثوب · و يشترك الفتيات مع الفتيان في هذا السباق فيبارينهم فيهِ · ولهم العاب اخرى بحرية يطول شرحها وتدلُّ كلها على انهم كانوا اهل ظرف وطرَب يقضون اوقاتهم في اللهو واللعب واغتنام فرص الزمان لا همَّ بدنيا يشغلهم ولا خوف من آخرة يقلقهم

ومن عاداتهم القديمة في الخطبة والزواج ولاسيما اذا كان الخطيبان من اولاد الرؤساء ان يذهب الخاطبون من قبَل اهل الخطيب الى بيت الفتاة التي يريدون خطبتها لينقدوها فاذا


امرأة من المواري اهالي زيلندا الجديدة


التو بو او المضيفة


التقبيل بفرك الانف

راقت في اعينهم عادوا واتى وفد آخر ومعهُ الهدايا فاذا قبلها ابو الفتاة ولم تبدِ الفتاة اقل ممانعة حسب ان الغاية قد تمت واستعد الفريقان لولائم العرس واذا رفض الوالد اخذ الهدايا ولكن الفتاة لم تظهر الاباء جاء وفد ثالث اعلى شأناً من الوفد الاول والثاني واتى معهُ الخطيب نفسهُ. فاذا اصرَّ ابو الفتاة على الرفض جاء ابو الخطيب باعوانهِ واتباعهِ وحينئذٍ يضطر ابو الفتاة ان يرضى بتزويج ابنتهِ . ويعدُّ اقارب الخطيب الهدايا الكثيرة لاقارب الخطيبة ويهيئُ اهل الخطيبة لها جهازاً فاخراً من الثياب ونحوها ويتبادل الفريقان الهدايا وتولم الولائم ويعود الخطيب الى اهلهِ وعروسهُ معهُ ويبنى لهُ بيت في مكان مرتفع مواجهٍ لبيت ابيهِ

والزواج في كل هذه الجزائر مدني محض لا اثر للشعائر الدينية فيهِ يقوم بالهدايا والولائم وبعض الرسوم . ففي جزائر كارولين يختار الفتى عروسهُ ويأتي بها الى بيت ابيهِ فتفرك امهُ ظهرها بزيت النارجيل وتضع اكليلاً على رأسها فيكون ذلك بمثابة عقد شرعي . واهالي جزائر غلبرت شديدو الغيرة على نسائهم حتى اذا كلَّم رجل امرأةً فقد لا يسلم من يد زوجها ولذلك ترى كثيرين منهم وفي ابدانهم ندوب الجراح من خصام سببهُ الغيرة . واذا صعد رجل منهم الى رأس نخلة اضطر ان يغني وهو فيها باعلى صوتهِ ويقال ان سبب ذلك ان رئيساً من رؤَسائهم رأى رجلاً في رأس نخلة فظن انهُ صعد اليها ليشرف على نسائهِ وكن يغتسلنَ فرماهُ وقتلهُ ومن ثم جرت العادة ان كل من يصعد الى رأس شجرة يغني باعلى صوتهِ حتى يسمعهُ نساء الرؤَساء ويحتجبنَ . والرجل الذي يتزوج هناك بامرأةٍ يحق لهُ ان يتزوج بكل اخواتها اللواتي هنَّ اصغر منها اذا شاء وعلى كل حال لا يجوز لاحد ان يتزوج بواحدة منهنَّ الاَّ برضى من تزوج باختها الكبرى

والتقبيل غير معروف عندهم فاذا التقى اثنان اختان او اخوان او صديقان فرك احدهما انفهُ بانف الآخر وذلك بمثابة التقبيل عندنا

وكانوا يدفنون موتاهم دفناً قبل مجيء الاوربيين ويجمعون عظام الرؤَساء من اسلافهم ويضعونها في سلال متقنة الصنعة . والغالب ان تكون قبورهم منتظمة في قرافاتهم وعلى كل قبر منها اكمة كبيرة او صغيرة حسب درجة الميت . وقد يضعون على القبر بعض امتعة الميت الثمينة فلا يمسها احد . ويعتقدون ان نفس الميت تبقى في الارض قريبة من بيتهِ ويخافون منها خوفاً شديداً ويقتني بعضهم الكلاب حتى تطرد نفوس الموتى بنباحها ليلاً ولكن اهالي برين لا ينظرون الى نفوس موتاهم بعين الخوف بل يبنون اكواخاً فوق القبور ينامون فيها لكي تزورهم ليلاً في احلامهم

ولموت الرؤساء شأن كبير عندهم حتى لقد تتعطل مصالح الناس بموت رئيسهم . واذا اجتمع اقارب الرئيس واعوانهُ بعد موتهِ وخيف ان يتخاصموا على الخلافة جاءت اختهُ وجلست بينهم ومنعت الخصام لانهم يعتقدون ان لعنة الاخت اشد ضربة يمكن ان تقع على رأس احد . ويحلقون على رؤسائهم حداداً عاماً وكانوا قبلاً يضربون رؤوسهم بالحجارة ويخدشون وجوههم بانياب كلاب البحر او يقطع الواحد منهم اصبعاً من اصابع يديهِ حداداً على قريب لهُ

واذا قُتل واحد من اهالي ساموى اجتمع اقاربهُ حول البقعة التي قتل فيها وبسطوا ملاءة بيضاء على الارض واول ذبابة او حشرة تقع فيها يقبضون عليها لاعتقادهم ان نفس القتيل فيها ثم يدفنونها معهُ في قبرهِ

وقد بطل الآن اعتقادهم بالهة البر والبحر والجو والحرب وبما كان اكثر شيوعاً عندهم من كل شيء آخر وهو الحرْم او التحريم فاذا حرموا شيئاً او قالوا انهُ محرَّم ابعد عنهُ كل احد واعتقد انهُ صار محرَّماً . ولهم في التحريم اساليب شتى بطل اكثرها الآن على انها كانت نافعة جدًّا لانها من قبيل اثبات الحق الشرعي ومنع الاعتداء

ومن العادات القديمة التي لم تستأصل حتى الآن بل لا تزال شائعة عندهم الاعتقاد بالسحر فيسحرون الانسان بخرقة من ثيابهِ او خصلة من شعرهِ او فضلة من طعامهِ . ومنها العرافة لاكتشاف الخفايا والسرقات وهي كالعرافة الشائعة عندنا في المندل وضرب الرمل

ومن المناصب المهمة في جزائر ساموى وظيفة التوبو اي مضيفة القرية . ويعطى هذا المنصب لابنة الرئيس الكبرى ما دامت عزباء ولها مقام رفيع بينهم حتى كأنها الآمرة الناهية بين قومها . فتربَّى على القيام بكل الواجبات الاهلية كاقامة الولائم وتدبير حفلات الرقص واستقبال الزوار وشرب القهوة . وتلبس على رأسها لمَّة من شعر الرجال وهي العلامة المميزة لها وتراقَب سيرتها اشد المراقبة لانها يجب ان تكون حصينة رزينة لا لوم في سيرها وسيرتها

وقهوتهم شراب يستخرجونهُ من نبات كالزنجبيل وكانوا يصنعونها بمضغ جذر هذا النبات ومزجهِ بالفلفل اما الآن فصاروا يسحقونهُ سحقاً بالحجارة ويستخرجون عصارتهُ . ولشرب هذه العصارة رسوم كثيرة عندهم يضيق المقام عن وصفها

وكانت اسلحتهم الرمح والمقلاع والنبوت . اما القسي والسهام فكانوا يستعملونها لصيد الجرذان لا للحرب . وكانت سنان رماحهم من اسنان كلب البحر . ونسجوا الدروع من الياف النارجيل وغطوها بجلد التخس وصنعوا الخوذ من جلود السمك الكروي الشائك ومن تدرَّع منهم كذلك لم تفعل بهِ اسلحتهم

مسير ومصير

كل فردٍ لغاية هو غادي لا يرى غيرها طريق سدادِ
غير أنّ الغايات مختلفات فهي بين الاصلاح والافساد
والذي ينظر الخلائق في الدنيـا بعيني بصيرة وانتقـاد
لا يرى غير طامع يجمع المال ويفني وراغب في ازدياد
فكأنّ الانسان ما جاء الاّ لمعاشٍ ما بين ماءٍ وزاد

***

قل لمن يجهل الحياة تفكرْ في مصير الآباء والاجداد
كيف كانوا واين صاروا واين الرسـل اين القرون من قبل عاد
اين اين الملوك اين الرعايا اين اين القوّاد للاجناد
اين اين البناة اين المباني اين من شيّدوا كذات العماد
اين اسكندر واين هِرَقلٌ اين نمرود اين ذو الاوتاد
اين قارون اين فرعون موسى اين كسرى وقيصر ذو الآدَ
اين من كتّبوا الكتائب للحرب وصالوا بالمرهفات الحداد
هذه دورهم تجيبك عنهم لو يجيب الجماد صوت المنادي
صرعتهم كأس المنون ولمّا يستفيقوا حتى ليوم التنادي
وغدوا يحملون من بعد عرش الملك في موكبٍ على الاعواد
وغدا مالهم وما جمّعـوهُ للاعادي إرثاً وللحسّاد
وثووا في القبور من بعد ما كانوا بعالي القصور كالاطواد
ورضوا بالتراب بعـد فراشٍ من حريرٍ موثّرٍ ووساد
جمعتهم دار المنون جميعاً وهم من قبـائلٍ وبلاد
فغدا الضد يألف الضد طوعاً وغريب تآلف الاضداد
ايها الغافل انتبه من رقادٍ ان ذا العصر ليس عصر الرقاد

***

سعد إنّ الانسان اصلحهُ الله ظلوم من ساعة الميلاد
ذو نفاقٍ وذو خداعٍ وذو مكرٍ وذو شِرَّةٍ وذو استبداد

ايها المرء ما خلقت لهذا الشر بل لم تجئ لتلك المبادي
ايها المرء انت اشرف مخلوق على الارض ذو حجى وقاد
انما الفضل لو علمت هو العلم وبذل الندى وبيض الايادي
والوفا والمعروف والعطف والنصح وصنع الجميل بالاسعاد
شمم الانف عزة النفس حسن الذكر حفظ العهود صدق الوداد
سعة الخلق عفة الجيب نفع الناس من كل حاضرٍ او باد

***

ليت شعري متى تلين قلوب من اناس قست كصم الصلاد
فيؤاسي الغني منهم اخا الفقر ويضحي الشحيح سمح الايادي
ويعيش الفتى بارغد عيشٍ لا يرى عيش خسةٍ ونكاد
وتمر الايام طرًّا على النا س يعدونها من الاعياد
ويصير الغني منهم نبيهاً عارفاً بالاصدار والايراد
ويعود الداعي الى كل شرٍّ حين يدعو كنافخ في رماد

***

ايها الحاكمون ظلماً على النا س رويداً فالله بالمرصاد
لا تغضوا طرفاً لدى الحكم عن فردٍ ولا تنظروا الى افراد
اوردوهم حوض المساواة فالقو م جميعاً حرّى القلوب صوادي
عاملوهم بالرفق والعدل اذهم مالهم غير عدلكم من فادِ

***

لست ادري وليتني كنت ادري اي يوم تزول فيهِ العوادي
اي يومٍ يموت فيهِ غواة قد تمادوا في الغيّ ايّ تماد
كم اضلوا عن الهدى واستبدوا بالديانات . ايما استبداد
كلما قام مصلح ثم يدعو هم اليهِ رموهُ بالالحاد
فمتى يا تُرى يبدد شمل ذو اجتماع من دولة الاوغاد
ومتى تسترد بغداد مجداً سالفاً دمعةً على بغداد
يوم كانت في عصر هرون تزهو مثل زهو الربيع بالاوراد
والذي ربهُ تجيء القوافي طائعات لامرهِ بانقياد

وتمر المياه منها فتسقي جنةً بعد جنةٍ في الوهاد
وتشد الرحال من كل فجٍ لحمى ربعها ومن كل واد
كل ركب قد سار يقفوهُ ركبٌ أمَّها من شواسع الابعاد
فتراهم على اختلاف من الاجناس فيها من عاكفٍ او باد
فهي ملقى الامال نجح الاماني منجع الناس منهل الوراد

***

«يا سواد العراق بيضك الجد ب» فصرت البياض وسط السواد
يا سواد العراق فيك كنوز يعلم الله ما لها من نفاد
يا سواد العراق امحلك القو م وقد كنت روضة المرتاد
يا سواد العراق تبكيك عين الشعر ذا اليوم من سواد المداد
يا سواد العراق شلَّت يمين ذات اثمٍ دلت عليك الاعادي

***

ليتني كنت في الزمان اماماً شيمتي شيمة الكريم الجواد
وهماماً تخشى لقاهُ اسود الحرب في يوم معركٍ وجلاد
فاذيق الطغاة طعم المنايا واكيد العتاد اهل العناد
وأضحّي أئمة الكفر والجور بقايا قومَي ثمودٍ وعاد
وابيد الخمول والجهل والظلم وجيش النفاق من بغداد
ثم أمسي في كل قطرٍ ومصرٍ قاعداً للطغاة بالمرصاد
وارى القتل والشهادة في دعواي غاي المنى وكل المراد

***

وبودّي اني اكون خطيباً مثل سحبان وائل والايادي
لانادي بآية العلم جهراً والوفا والمعروف في كل ناد
ثم ادعو الى الهدى والى الاصلاح والسلم والصفا والرشاد
والى الخير هادياً ودليلاً ونصوحاً حتى لقومٍ اعادي

***

ان خير القريض ما كان منهُ يطرب السامعين بالانشاد
والذي نظمهُ يقصّ على القا رئ وعظاً يذيب قلب الجماد

فهو طوراً ما بين امرٍ ونهيٍ وهو طوراً ما بين حادٍ وهادِ
وهو حيناً بين المآتم ناحٍ واوانًا بين العرائس شادِ
خالي الذكر من احاديث لبنى وسليمى وزينب وسعادِ
سلس اللفظ والعبارة جزل معجز باهر كشعر زياد [1]
ان هذا يا سعد غاية سؤلي ان هذا يا سعد جل اعتقادي
هو مقصودي الذي طول عمري اتمناهُ من صميم فؤادي
ان اكنْ مخطئاً فمن سوء جدي او مصيباً فمن صحيح اجتهادي

بغداد كاظم الدجيلي

السلاحف وتربيتها

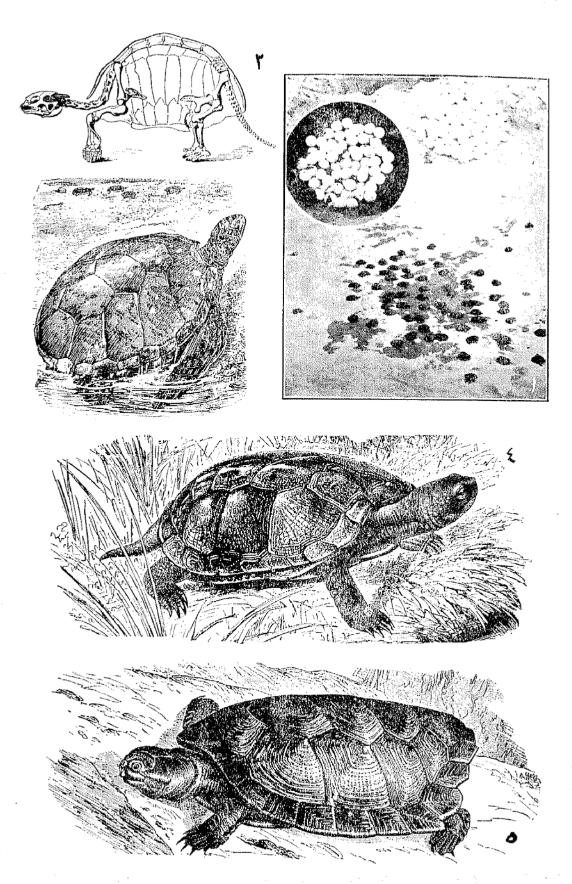
السلاحف حيوانات معروفة تمتاز على سائر انواع الحيوان بالترس العظمي الذي على ظهرها وتحت بطنها . وهي انواع بعضها بري وبعضها بحري او نهري وبعضها بري وبحري او نهري معاً . ومن اسمائها اللجأة والترسة . وتخص السلحفاة بالبرية واللجأة بالبحرية والترسة بالنهرية . وقد وصفها بعضهم بقولهِ

لحا الله ذات فم اخرس تطيل من السعي وسواسها
تكبُّ على ظهرها ترسها وتظهر من جلدها رأسها
اذا الحذر اقلق احشاءها وضيق بالخوف انفاسها
تضمُّ الى نحرها كفها وتدخل في جلدها رأسها

وليس مرادنا ذكر انواع السلاحف واوصافها وطبائعها بل ذكر ما هو اهمُّ من ذلك وهو تربيتها للاغتذاء بلحمها فقد شاع الآن اكل بيض السلاحف ولحمها والتنافس بطبخ اليخنة والشوربا منهُ حتى صارت تربي لهذه الغاية

اتي بسلحفاة بحرية كبيرة جدًّا منذ نحو اربعين سنة الى معرض المدرسة الكلية في بيروت لكي يحفظ فيهِ جلدها وعظمها وترسها . وقُطع لحمها فتخاطفهُ الاميركيون الذين كانوا في بيروت حينئذٍ لطبخ الشوربا واكلنا منهُ شواءً فلم نستكرههُ ثم اكلنا من شورباها في اوربا

(1) هو زياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني



(١) بيض السلحفاة وصغارها (٢) عظامها (٣) السلحفاة الخضراء (٤) السلحفاة الاوربية (٥) سلحفاة الامازون

فاستطبناها اما الاوربيون فيغالون بها جدًّا حتى تباع الصحفة منها بنصف جنيه

واذا ربيت السلاحف في هذا القطر والقطر الشامي فلا يبعد ان تروج سوقها في اوربا لان ما يصاد منها الآن من البحر يباع في اوربا كلهُ . وقد رأينا سلاحف صيدت قرب بيروت لا يقل وزن السلحفاة منها عن عشرين قنطاراً مصريًّا او نحو اربعة قناطير شامية

ويقول الذين يأكلون لحم السلاحف ان ليس كلهُ على درجة واحدة من حيث طيب الطعم فبعضهُ طيب وبعضهُ خبيث. ولكنهم غير متفقين في ذلك فاهالي اميركا الشمالية يفضلون السلحفاة الصغيرة التي يرى في ظهرها تقطيع كتقطيع حجارة الماس . واليابانيون يفضلون السلاحف العضاضة . والانكليز يفضلون السلاحف الخضراء التي يؤتى بها اليهم من جزائر الهند الغربية . وسكان ضفاف نهر الامازون يأكلون السلاحف الكبيرة التي تكون في ذلك النهر وهم يربونها لهذه الغاية

وكانت السلاحف البرية الصغيرة من المهملات في اوربا التي لا ثمن لها اما الآن فصارت تباع وتشترى بثمن فاحش ولاسيما ذات الظهر المقطع لكثرة طلب الفنادق والمطاعم لها . فكثر اعتناء الناس بتربيتها في برك تقام لها على ساحل البحر حيث تبيض وتولد وتنقل من بركة الى اخرى حسب سنها لئلاَّ يأكل كبارها صغارها . وتتفاوت البرك سعةً فالصغيرة منها للسلاحف الصغيرة حال خروجها من البيض والكبيرة للسلاحف الكبيرة . ويتفنن بعضهم في الاعشاب البحرية التي يزرعونها في هذه البرك او التي يطرحونها فيها طعاماً للسلاحف لان طعم لحمها يختلف باختلاف طعامها

وتبيض السلحفاة البحرية في بلاد الشام على شاطئ البحر فتحفر حفرة في الرمل وتلقي بيضها فيها وتطمرهُ وتتركهُ هناك فينقف من نفسهِ بحرارة الشمس . والبيض مستدير كالبرتقال الصغير او كاليوسف افندي وقشرتهُ جلدية صلبة وقد رأينا بعض البحارة يفتشون عنهُ في ساحل صيداء ويجمعونهُ من الحفر وقالوا انهم يقلونهُ ويأكلونهُ . واذا خرجت السلاحف الصغيرة من بيضها ودبت الى البحر فلا يسلم منها الاَّ القليل لان الطيور والسراطين تأكلها والسلاحف الكبيرة تأكل الصغيرة فلا بدَّ من وقايتها من اعدائها وهي بيض ثم بعد ما تخرج من البيض الى ان تبلغ اشدها اذا اريد تربيتها

وقد اهتمَّ اليابانيون بتربية السلاحف شأنهم بكل ما منهُ ربح . ولرجل منهم اسمهُ هتوري حقول واسعة خارج مدينة طوكيو يربي فيها السلحفاة العضاضة وهي كبيرة عندهُ اكبر من السلاحف العضاضة العادية ويبيع منها لفنادق اليابان ستة عشر الف سلحفاة كل

سنة ويرسل الى بلاد الصين خمسة آلاف سلحفاة وهو يربيها في برك متوالية سعة البركة الكبيرة منها نحو نصف فدان فيضع السلاحف الكبيرة في بركة ويراقبها مرتين كل يوم ويرى ما باضتهُ على ضفة البركة ويضع فوق حفرة البيض شبكة من الاسلاك المعدنية حتى يمنع سلحفاة اخرى من حفر الحفرة ثانية . وبعد نحو ستين يوماً او اقل حسب شدة الحر يفرخ البيض وتخرج الصغار منهُ . وتبيض السلحفاة نحو ستين بيضة او اكثر كل مرة ولا تبلغ اولادها اشدها في اقل من خمس سنوات

وتطعم السلاحف الصغيرة حين خروجها من البيض قطع اللحم والسمك ومتى كبرت قليلاً اطعمت لحم الانكليس ومتى جاء الشتاء واشتد البرد صامت عن الاكل وحفرت لها حفراً في الطين اختبأت فيها

ومتى بلغت السلحفاة اليابانية العضاضة اشدها اي متى صار عمرها خمس سنوات بلغ وزنها عشرين اقة الى ثلاثين

والتي تؤكل في بلاد الانكليز هي السلاحف الخضراء ويؤتى بها من جزائر الهند الغربية كما تقدم ولها تجارة واسعة فان الذي يأتي بها يجلب نحو اربعة آلاف سلحفاة كل سنة من جزيرة جاميكا ورجالهُ يصطادونها صيداً من البحر بالشباك ويضعونها داخل حواجز يقيمونها لها على شاطىء البحر الى ان يحين نقلها الى بلاد الانكليز. ولكن لا يصل منها حيًّا الاَّ اربعون او خمسون في المئة كأَنها مخلوقة لتقيم في مكانها ولا تنتقل منهُ الاَّ ببطء فاذا نقلت بسرعة كما في السفن البخارية قضت السرعة عليها مع انها من اصبر الحيوانات وامسكها بالحياة حتى لقد يقطع رأسها وتبقى حيَّة ساعات كثيرة او تنزع احشاؤُها واكثر بدنها ويبقى رأسها حيًّا

ويؤكل لحم السلاحف يخنة وشوربا كما تقدم وشورباها معدودة افخر المآكل . وقد صار الاوربيون والاميركيون يسلقون لحم السلاحف حيث يربونها ويستخرجون مرقهُ ويضعونهُ في آنية من الصفيح ويرسلونهُ الى الفنادق والمطاعم لعمل الشوربا فيستغنى بهِ عن ارسال السلاحف نفسها

وهنود اميركا الجنوبية الساكنون على ضفاف نهر الامازون يربون السلاحف حول بيوتهم للذبح والاكل كما تربى الغنم والبقر ويجمعون بيضها ويستخرجون منهُ زيتاً للاضاءة . ومنذ عشر سنوات كانوا يستخرجون الزيت من نحو مئتي مليون بيضة كل سنة

المطالعة المفيدة

لا بدَّ من ان يظهر للمطّلع على هذا العنوان ان تقييدنا المطالعة بالمفيدة يدلُّ على انَّ منها ما لا يفيد. وهذا هو الواقع بل قد يكون من المطالعة ضرر كما انَّ المطالعة المفيدة لاحدَّ لفائدتها حتى لقد تغني عن الدرس في المدارس في بعض الاحيان

كتب السرجون هرشل الفلكي المشهور يقول « اني اذا طلبت من الله ان يوجد فيَّ خلقاً يبقى معي مهما تغيرت احوال الزمان والمكان ويكون ينبوع سرور لي وسلوى مدى العمر وترساً اتقي بهِ نوائب الدهر فذلك الميل هو حب المطالعة »

وقال ادورد غبن اشهر مؤرخي الانكليز «اني افضل رغبتي في المطالعة على كل كنوز الهند»

قد تكون المطالعة لمجرَّد التسلية فيجد فيها الانسان لذةً وفي التسلية شيء من الفائدة وقد يفرط فيها حينئذٍ حتى يبلد عقلهُ ويصير قليل الحفظ لما يقرأهُ كمن يتخم من الاكل الكثير فلا تعود معدتهُ تهضم ما يلزم لغذاء جسمهِ . او تصير القراءة مجلبة للنوم كأَنها نوع من المخدرات. وكل ذلك مطالعة قليلة الفائدة او لا فائدة منها بل منها ضرر وهي ليست المطالعة المفيدة المقصودة بهذه السطور وانما المطالعة المقصودة هي التي يتوخاها المرء بقصد الفائدة العلمية والادبية

اساس هذه المطالعة الكتب المفيدة . وكتبنا المفيدة غير قليلة ولكن بعضها مشوب بالسخافات والاضاليل . تأخذ كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري وهو من اجل كتبنا العلمية القديمة فلا تكاد تقرأُ سطرين بوثق بهما حتى تقرأَ سطراً او سطرين من السخافات . وتأخذ الكشكول فتجد فيهِ درراً ثمينة وبينها خرز وحجارة واقذار تنبو العين عنها . وعندنا من الكتب القديمة ما يعدُّ من النفائس في كل لغة كمقدمة ابن خلدون وكتاب كليله ودمنه وتهذيب الاخلاق وخزانة الادب وغرر الوطواط ومحاضرات الاصفهاني والعقد الفريد وثمرات الاوراق وريحانة الالباب وكتاب الاقتضاب واسرار البلاغة وصبح الاعشى وحلبة الكميت والمثل السائر. وكتبنا الحديثة كثير منها غاية في الاجادة والفائدة موضوعة كانت كحضارة الاسلام وهي مترجمة كسر النجاح ولذلك لا يتعذَّر على طالب الفائدة ان يجد ضالتهُ منها

ولقد كانت الكتب المفيدة ولا تزال غذاء النفوس كما قال المصريون الاقدمون وكما قال كثيرون من اساطين العلم والفلسفة

قيل ارسل بعض الخلفاء يطلب احد العلماء ليسامرهُ فلما جاءهُ الخادم وجدهُ جالساً وحواليهِ الكتب وهو يطالع فيها فقال لهُ ان امير المؤمنين يستدعيك فقال قُلْ لهُ عندي قوم من الحكماء احادثهم فاذا فرغت منهم حضرت . فلما عاد الخادم الى الخليفة واخبرهُ بذلك قال لهُ ويحك مَن هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندهُ قال والله يا امير المؤمنين ما كان عندهُ احد . قال فاحضرهُ الساعة كيف كان . فلما حضر قال لهُ الخليفة مَن هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك فقال

لنا جلساء ما نملُّ حديثهم ألبّاء مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ورأياً وتأديباً ومجداً وسؤددا
فان قلتَ اموات فلم تعدُ امرهم وان قلت احياء فلست مفنّدا

وقد تكون هذه القصة موضوعة لكنَّ مغزاها صحيح وهي تدلُّ على اعتبار الاولين لكتب العلم والادب

وقال كارليل الكاتب الانكليزي الشهير « اهم ما يصنعهُ الانسان في هذه الدنيا وابقاهُ واثمنهُ الكتب » . وقال مكولي الكاتب السياسي الشهير « افضّل ان اكون فقيراً في كوخ وعندي كثير من الكتب على ان اكون ملكاً لا يحب المطالعة » . والرجلان من ابناء الانكليز الذين قلما انشأ عقل الانسان كتاباً الاَّ وهو في لغتهم او تُرجم اليها فقد ترجموا كتب فلاسفة اليونان والرومان وادبائهم وشعرائهم وكتب العرب والفرس والهنود والالمان والطليان والفرنسويين والهولنديين وكل الامم الاوربية القديمة والحديثة . وطبعوا كل كتاب منها مراراً على انواع مختلفة من القطع والورق حتى يتيسَّر اقتناؤُهُ لكل احد وكثرت مجلاتهم وجرائدهم وتنوعت حتى صارت بضاعة مزجاة بخسة الثمن ومع ذلك لا يزالون يغالون بها حتى فضلها مكولي على تاج الملك

قال الفيلسوف لكي Lecky في كتابهِ خريطة الحياة « ان اميال المرء التي تقتضي قوة طبيعية تضعف بتقدمهِ في السن ولكن ميلهُ الى المطالعة يقوى واذا احكم مطالعتهُ بالعقل صارت افعل الوسائل لتقوية الاخلاق الفاضلة فيهِ وترقية افكارهِ وهي فكاهة لذاتها وتزيد بها فكاهة الحياة فان من اتسعت معارفهُ وعرف اقدار الامور وجد لذة فائقة في الحل والترحال وفي كل ما يراهُ من امور الكون . وخير ثمار التعليم تربية الميل الى المطالعة في سن الصبوة ويزيد نفع المطالعة متى صار الغرض منها زيادة المعرفة ولاسيما اذا رافقها حب البحث في موضوع خاص وتوجيه النظر اليهِ وقويت معها قوة الملاحظة »

المطالعة لا تغني دائماً عن التعليم ولا تقوم مقام المدارس فان القيام في المدرسة والاشتراك في المذاكرات والمناظرات وحضور الدروس والامتحان فيها وسماع اقوال الاساتذة وتفاسيرهم وتأثير التلامذة بعضهم في بعضهم ونحو ذلك من الفواعل التي تكون في المدارس الراقية كل ذلك يفعل في التلميذ ما تعجز مطالعة الكتب عن فعله . مَن لم يدخل مدرسة راقية ولا أثّرت فيهِ هذه الفواعل الكثيرة فقد حُرِم من اهم دعائم العلم وما احسن ما قيل

ولست تنال العلم الاَّ بستة سأنبيك عن مجموعها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبُلغة وارشاد استاذ وطول زمان

فعلى المرء ان يكتسب ما يستطيع اكتسابهُ من المدرسة ويضيف اليهِ ما يستطيع اكتسابهُ بالمطالعة . ومهما بلغ من الانسان لا تقصر المدرسة عن فائدتهِ سواء كانت من المدارس العالية او الكلية او الجامعة . ولكن اذا مضى زمن الدرس في المدارس او تعذّر على المرء الوصول اليها فلا ييأسنّ لانهُ يجد في المطالعة ما يكفيهِ . فان المطالعة الدقيقة في الكتب النفيسة علمية كانت او ادبية تعلّم المرء تعليماً يكفيهِ وان لم يكن مثل تعليم المدارس—تعلّمهُ ما يفيدهُ ويلذّ لهُ . تنيلهُ ما لا ينال بمال الدنيا وتجعلهُ من الذين يُسَرّ الناس بمعاشرتهم ويستفيدون من الحديث معهم بدلاً من ان يستثقلوهُ ويهربوا منهُ . وكم من رجل علّم نفسهُ على هذه الصورة فبرع في علم من العلوم او فن من الفنون وفاق فيهِ تلامذة المدارس واساتذتها ولم ينل دبلوما الدراسة الثانوية ولا الابتدائية . ومن سنحت لهُ فرص المطالعة واهملها كمن يجد كنزاً ويدوس عليهِ او يغمض عينيهِ عن رؤيتهِ

هذا اذا لم يتخرَّج المرء في مدرسة واما اذا تخرج فيكون الاساس قد وضع في عقلهِ لكي تزداد معارفهُ بالمطالعة لان المدارس مهما أُتقنت لا تزيد على كونها تفتح باب المعرفة وتساعد التلميذ على الولوج فيهِ وتجعل الكتب مألوفة لديهِ ومواضيعها قريبة منهُ وهو انما يمرن عقلهُ ويرسخ المعارف في ذهنهِ بالمطالعة . وما ينالهُ غير المتعلم في سنة قد ينالهُ المتعلم في شهر فالتعب قليل والكسب كثير

اثنان يكرهان المطالعة مَن عقلهُ سخيف فلا يجد فيها لذة ومن عقلهُ كثير الاشتغال بامور تصرفهُ من المطالعة . اما الاول فلا فائدة من حثهِ على المطالعة واما الثاني فيميل اليها متى وجد الكتب التي يستفيد منها وتلذّ لهُ . الذكي الفؤاد الذي يكره المطالعة يكون مشغولاً بمطالب اخرى . اعطهِ كتاباً يبحث في المطالب التي يشتغل بها مهما كانت ولو كانت لعب الورق او صيد السمك فانهُ ينقطع لمطالعتهِ ويتصل منهُ الى غيرهِ . وان لم يفلح فيهِ فاعطهِ

رواية محكمة السبك كبعض روايات دوماس او دزرائيلي او كنن دويل او كالروايات التي وضعناها ونشرناها في المقتطف مثل فتاة مصر واميرلبنان او التي ترجمناها مثل قلب الاسد وكليوباطرة وامينة فانهُ يعكف على مطالعتها . اخبرنا غير واحد انهُ قرأ رواية قلب الاسد كلها في جلسة واحدة لشدَّة تعلقهِ بها وكتب الينا غير واحد ونحن ننشر رواية فتاة مصر يسألنا عن تتمة الحديث وهل بعض وقائعها حقيقي او موضوع

ويندر ان تتوفَّر اوقات المطالعة لذوي الاشغال ولكن لا يتعذَّر ان تعطى الزمن الكافي من فضلات الوقت . فاذا كانت عادة الانسان ان يستيقظ الساعة السادسة صباحاً لم يضرهُ اذا استيقظ ربع ساعة قبلها وشغلها بالمطالعة . واذا انتظر طعامهُ عشر دقائق فليشغلها بالمطالعة . ولا يتعذر على الراغب ان يجد ساعة كاملة للمطالعة كل يوم مهما كانت اشغالهُ كثيرة . واما ايام العطلة فيحسن ان يقضي بعضها في المطالعة والبعض الآخر في النزهة . ولا يحسن بالمرء ان يسافر او ينتقل من مكان الى آخر الاَّ وفي جيبهِ كتاب مفيد يطالع فيهِ كلما سنحت لهُ فرصة ولم تشغلهُ محادثة الناس او مشاهدة المناظر عن المطالعة لانهُ اذا خُيّرَ بين ان يجالس قوماً في حديثهم فكاهة او فائدة وبين ان يطالع كتاباً فالحديث مفضَّل لان الانسان اقدر على التعلُّم باذنيهِ منهُ بعينيهِ

وليحذر المطالع من اجهاد نفسهِ في المطالعة واستطرادها الى حد التعب او ما بعدهُ فانها اذا بلغت هذا الحد لم يبقَ منها نفع بل صارت ضرراً . تلجئنا الضرورة احياناً الى الاستمرار على المطالعة الى هذا الحد فنشعر بتعب شديد ولا يبقى في ذهننا شيءٌ ممَّا نطالعهُ ونحن متعبون

فالشرط الاول اذاً للمطالعة ان تعطيها الزمن الكافي ولو من فضلات وقتك ولكن قف عند حد التعب ولا تتجاوزهُ

والشرط الثاني ان لا تطالع الاَّ النفيس من الكتب والمجلات والجرائد لان مطالعة ما دونهُ اضاعة للوقت وتضليل للذهن . والحياة قصيرة لا يحسن ان تضاع في ما لا فائدة منهُ او في ما فائدتهُ قليلة

ولا بدَّ من ان يسأل سائل ما هي الكتب والمجلات التي تشيرون علينا بمطالعتها . وهنا نُحْصَر عن الجواب . لو كانت المطالعة باللغة الانكليزية او الفرنسوية او الالمانية لسهل علينا ذكر مئات من الكتب والمجلات الحديثة والقديمة اما كتبنا العربية فما تفيد مطالعتهُ وليس فيهِ اوهام تعلق بالذهن وسماجات تفسد الاخلاق فقلما يسهل الوصول اليهِ على جمهور القراء وليس في البلاد مكاتب عمومية ودور للمطالعة تجمع الكتب النفيسة وتسهل على

الناس مطالعتها ولا كتبنا النفيسة مطبوعة بحجم صغير حتى يسهل وضعها في الجيب او الوصول اليها في كل مكان . ولكن الطالب الراغب لا يتعذر عليهِ ان يجد الكتاب الذي تفيده مطالعتهُ او المجلة التي يجد فيها ضالتهُ ومتى وجد ما يريد مطالعتهُ وجب عليهِ ان يطالعهُ على الاسلوب الذي يفيدهُ اكبر فائدة

اذا اختار الانسان كتاباً مفيداً وجعل يطالعهُ فلا يستفيد منهُ الفائدة المطلوبة ما لم يعِ فوائدهُ في ذهنهِ او يكتبها في دفتر حتى يرجع اليها عند الحاجة . وشأنهُ في ذلك شأن من يرى الطعام الشهي ولا يكتفي برؤية لونهِ وشم رائحتهُ بل يأكلهُ ويغذي بدنهُ بهِ . والكتب غذاء العقول . والذاكرة التي تعي حقائق كثيرة علمية وادبية واشعاراً حكمية وفكاهية تعي كنزاً لا يثمن لكنها لا تحتمل كل ما يريد صاحبها ان تعيهُ الاَّ في ما ندر فليمرّنها وليقوّها ومتى رأى انها وصلت الى حد يصعب عليها ان تتعداهُ فليساعدها بالمذكرات يكتبها في دفتر يضعهُ في جيبهِ او في مكتبهِ يدوّن فيهِ كل فائدة يعثر عليها ويستصحبهُ في سفرهِ ليراجع ما فيهِ فيرى فوائد لا تقدر قيمتها . ولا نشير بكتابة المذكرات الاَّ متى كلَّ عضب الدماغ وامتلأَت الذاكرة بمحفوظاتها وصار يصعب عليها استحضارها لان الاعتماد على المذكرات يضعف الذاكرة . ولا بدَّ من الاختصار في ما يكتب وذكر اسم الكتاب والصفحة

وهناك امر آخر اكبر فائدة من نقل بعض العبارات والمعاني وهو انتقاد ما قرأتهُ واظهار رأيك فيهِ من استحسان او استهجان فان انتقاد الكتب على هذه الصورة افضل شيءٍ لترسيخ فوائدها في الذهن والتنكيب عن عيوبها . والكتاب الذي يحركك لانتقادهِ وتصويبهِ او تخطئتهِ هو الكتاب الذي تفيدك مطالعتهُ . واذا حقَّ للازهار التي تقطفها من حديقة جارك ان تحفظها فالازهار التي تقطفها من حديقة عقلك اولى بالحفظ . فاكتب في مذكرتك ما ترتئيهِ في الكتب التي تطالعها . ولا تكتب في الصفحة الواحدة اكثر من موضوع واحد ولو لم يملأ ما تكتبهُ الاَّ سطرين منها لكي يبقى فيها مجال لكتابة ما يبدو لك في ذلك الموضوع . ولا تخلط موضوعاً بموضوع في صفحة واحدة . وحينما تراجع ما كتبتهُ بعد ان تمرَّ عليهِ الايام والشهور ترى نفسك ميالاً الى التوسُّع فيهِ فافعل . وذلك خير تمرين للعقل والذاكرة . وما دونتهُ وتدونهُ خير ذخر عقلي تستفيد منهُ

هذا وقد لخصنا جانباً كبيراً من هذه المقالة من خطبة للدكتور كلارك رسلز نشرت في مجلة العلم العام الاميركية

السلم والحرب

لما احتُفل بتدشين هيكل السلم في الهاي منذ ايام معدودة انقسم الرأي العام في اوربا الى فريقين فريق حبَّذ فكرة نشر لواء السلم العام وتآخي البشر وتآلفهم وفريق سفَّه هذه الفكرة وهزأ بمؤيديها ودعاتها قائلاً انهم مغترون بسراب . ولكلٍ من الفريقين براهين يستند اليها في تأييد مذهبهِ وحجج يدلي بها لافحام خصومهِ

اما الفريق الاول فيقول ان الناس كانوا متفرقين في اول امرهم افراداً ثم اجتمعوا عائلات فجماعات فافخاذاً فبطوناً فقبائل فشعوباً وان من طبع الانسان الاجتماع لا التفرق فكما ان الناس تدرجوا في الاجتماع من افراد الى امة متحدة في المصالح متفقة في الاغراض والاهواء كذلك لا يعسر على الامم ان تعيش متآخية متصافية بمقتضى قوانين يسرن عليها كما يسير افراد الامة الواحدة بمقتضى قوانين بلادهم . فاذا وقع خلاف بين امتين او اكثر على امر من الامور استأنفنهُ الى محكمة دولية عليا يتفقن على انشائها فتحكم فيهِ مثلما تحكم المحاكم العادية في الخلاف الذي يقع بين الافراد فلا يعدن يعمدن الى السيف والمدفع لحسم ذلك الخلاف

نعم ان انتقال الناس من الحالة الفردية الى الحالة الاجتماعية وتألبهم امماً وشعوباً استغرق الوف السنين ولكن الاحوال في تلك العصور كانت غيرها هذه الايام فكانت اسباب المواصلة حينئذٍ صعبة جدًّا وكانت كل امة تعيش على حدتها منفصلة عن سائر الامم فلا تربطها بها رابطة الاَّ اذا كانت دفاعية او عدائية ولم تكن هذه الربط طويلة الاجل . ولكن الشعوب في هذه الايام تعيش كأَنها افراد عائلة واحدة فالبخار والكهربائية قرَّبا الابعاد فصار ابن مصر يخاطب ابن اميركا باسرع مما كان يستغرقهُ سيرهُ من العتبة الخضراء الى العباسية . وابن سورية يصل الى اقصى الولايات المتحدة باقل مما كان يقتضيهِ سفرهُ من القدس الى حلب وصار كل شعب يعتمد على الآخر في اسباب معايشهِ . فالانكليز يعتمدون الآن في معيشتهم على ما يرد الى بلادهم من الحنطة وسائر انواع الغذاء من الولايات المتحدة وروسيا والهند ورومانيا وكندا وبرازيل واستراليا وغيرها وفي متاجرهم على ما ترسلهُ اليهم الولايات المتحدة ومصر والهند من القطن واسوج من الورق وكندا واميركا والشرق الادنى من الخشب والهند والهند الصينية من الكتان والقنب . وصارت الصين لا تقدم على مشروع

كبير او عمل عظيم الاَّ وتعتمد في تحقيقهِ على الاموال الاوربية . وما يقال عن انكلترا والصين يصدق على كل الامم بالمثل فالمانيا وروسيا والنمسا وايطاليا وفرنسا والولايات المتحدة وكل امة على وجه هذا المعمور لا تستطيع ان تعيش الآن منفردة عن سائر الامم وبمعزل كما كانت تفعل في العصور الغابرة بل انها لا تستطيع البقاء على ذلك طويلاً

وهناك عوامل الحضارة وزيادة احتكاك الشعوب بعضها ببعض واتفاق المصالح واهم من ذلك كلهِ ارتباط العمال والصناع في بلدان العالم وتبادل العواطف بينهم فصار العالم بذلك سلسلة متصلة الحلقات اذا اصابت حلقة منها مصيبة تأثرت لها سائر الحلقات كما حدث في حرب البلقان الاخيرة وما نجم عنها من الملابسات في مختلف البلدان

وقد كانت الحرب صناعة الناس في الزمن الماضي والغزو الحرفة التي يرتزقون بها حتى ان كثيرين منهم كانوا يؤجرون نفوسهم لكل غازٍ وفاتح . ولكن ليس في العالم المتمدن الآن من يميل الى الحرب او يشتهيها . وقد صارت الشعوب تحكم نفسها بنفسها ولم تعد مسخرة لارادة بضعة رجال يتحكمون فيها كما يشاؤُون . ولما كانت هذه الشعوب تكره الحرب لما تجرهُ من الويل والدمار والخسارة في الرجال والمال والكساد في التجارة وتوقف الصناعة باتت تنشد السلم وتبذل دون تأييدهِ كل نفيس وغالٍ . فهذه حرب البلقان الاخيرة اصدق شاهد على صحة ذلك فان مجال دخول الدول فيها كان متسعاً ولكنهنَّ احجمنَ عنهُ لعلمهنَّ بما تجرهُ عليهنَّ من المصائب والاحن . ولو حدث مثل هذه الحرب في الاعصر الغابرة لاشتبكت فيها دول اوربا كلها او بعضها وتطاحنت من غير روية او تبصر في عواقب اشتباكها وتطاحنها

وابلغ من ذلك كلهِ ان رجال الحرب انفسهم والواقفين حياتهم على خدمتها يذمونها ويسخطون على مضرمي نارها . فقد وصفها شرمان بالجحيم . وقال دوق ولنتون « ان النصر يتلو الانكسار في شدة هولهِ وفظاعتهِ » وقال الجنرال السر تشارلس نبيير « من رأيي ان حياة الجندي تحاكي الراقص في غرفة طويلة كسيت جدرانها بالزجاج المكسَّر فلا ينتهي الى آخرها حتى يتجرح وجههُ باطرافهِ فينتبه لنفسهِ وتزول عن عينيهِ غشاوة الغرور والانخداع وهكذا يسير رجال الحرب في سبيلهم الدموي فرحين جذلين مخدوعين بلمعانهِ الكاذب الى ان يفيقوا من غفلتهم . اما انا فلا ارى هذا السبيل لامعاً ساطعاً بل اراهُ احمر قذراً »

ان تنازع البقاء وبقاء الاصلح امران بسيطان اذا نظر اليهما من حيث الانتخاب الطبيعي ولكن بساطتهما تزول اذا أُضيفت اعمال الانسان الى افعال الطبيعة فتغلق على

الناس معرفة الاصلح وزمن مجيئهِ فلا يعودون يدركون كيف يكون الاصلح أبالحرب ام بالحيلة ام بالسبق

كان الناس في اول عهدهم عزلاً من السلاح فدعاهم تنازع البقاء بينهم وبين الحيوانات الى استنباط الاسلحة فاخضعوا بها الحيوان ثم تنازعوا بها البقاء فباد ضعيفهم من أمام قويهم ولا يزال هذا التنازع دائرًا الى الآن على اساليب متنوعة وهو لازم للامم لزومهُ للافراد ولكن مما لا ريب فيهِ ان التنازع الطبيعي — اي ان يترك الامر للطبيعة لتبقي الصالح وتفني غيرهُ — افضل من التنازع الاصطناعي . فقد وجد العلماء ان بعض المحار الاميركي تبيض الواحدة منهُ اكثر من خمسين مليون بيضة في حياتها ومع ذلك لا يسلم منها الاَّ اثنتان في المتوسط . وهذا الاسراف كثير في كل انواع الحيوان والنبات والانسان لا يشذ عنها

وحجة مؤيدي الحرب ان الحروب من الاسباب التي تمنع زيادة النسل عمَّا تقوم بهِ البلاد ولكن المؤكد ان العوامل الطبيعية اشد منها كثيراً في ذلك المنع فقد ثبت بالاحصاء ان نمو الشعوب يقل ابان السلم اكثر مما يقل ابان الحرب فبرلين مثلاً من احدث عواصم الممالك الكبيرة واكثرها انتظامًا بل هي مثال ما يمكن ان تبلغهُ المدن في الانتظام المبني على الاصول العلمية ومع ذلك هبط عدد المواليد فيها اكثر مما هبط في لندن وباريس وذلك دليل على ان رفاه العيش يؤُول الى قلة النسل

ولو كانت الحروب تثار لاسترداد حق مهضوم او لمساعدة الطبيعة على بقاء الاصلح لجاز لنا ان نسوغها ولكنها لا تثار لسوء الحظ الاَّ مجاراة للاهواء مثل حب السيادة والطمع بالكسب ونيل المجد وهذه تدفع اولياء الامور وقواد الجيوش واصحاب المصالح الى انشاء البوارج وصب المدافع وصقل السيوف واعداد الميرة وسوق الجنود الى ميادين القتال

وزد على ذلك كلهِ ان الانسان غير مكلف ان يثير الحروب ليقتل من لا يستحق البقاء من نوع الانسان او من نقل وسائل المعيشة ببقائهِ لاسيما وان الذين يقتلون بها هم عادةً خيرة الامة وزهرة رجالها

يقول اهل الحرب ان الانسان ميَّال بطبيعتهِ الى الشر اكثر منهُ الى الخير وان الحرب اس الوطنية ومنبع الفضائل فاذا ابطلت زالت الوطنية من قلوب الناس ونقلصت فيهم الفضائل . وقد فات هؤُلاء الادعياء ان البراز كان عادة ممدوحة وشائعة في جميع انحاء العالم بطرق مختلفة فصار الآن عادة شائنة وممقوتة . وكان اباؤُنا يباهون بمقاتلة الديكة ومناطحة الكباش فنسخ ذلك ايضًا . وكانت الحيوانات تسام من الشقاء والعذاب مالا يطاق

فانشئت الآن الجمعيات لمنع القسوة على العجاوات. وكان الفقراء والمعوزون والعجزة والمرضى والمقعدون واللقطاء يتركون وشأنهم يقاسون مرارة العيش وألم الامراض والاوجاع بلا راحم ولا مغيث فاقيمت لهم الآن دور الاحسان والمستشفيات والملاجئ لسد عوزهم وتنفيس كربتهم وتخفيف آلامهم . فزوال هذه وغيرها من العادات الوحشية التي كان يستحسنها الناس قديمًا وصاروا يستهجنونها الآن دليل ناصع وحجة دامغة على ان الانسان لم يطبع على الميل الى الشر اكثر منهُ الى الخير بل انهُ كلما تقدم في مضمار التمدن واخذ باسباب الرقي والحضارة زاد فيهِ الميل الى الخير وتغلبت عواطف الشفقة والرحمة فيهِ على عواطف القسوة والفظاظة

والوطنية او محبة الوطن لا تقوم باعتداء امة على جارتها ولا بتقحُّم قوم على قوم آمنين ولا بالاذعان لسورة الغضب والنزق واجابة داعي الاهواء والاغراض بل تكون بترقية الوطن وزيادة رفاهية اهلهِ وتوفير اسباب اليسر والرخاء لهم و بنشر العلم واعلاء منار الاداب ورفع مستوى الاخلاق وتخفيف المصائب والويلات والاعتناء بالصحة العمومية وتحسين النسل الى غير ذلك من الامور التي تزيد سعادة البشر وتكفل لهم الهناء

والفضائل التي يدعي اهل الحرب ان الحرب توجدها او تمكنها في النفوس كالشجاعة الوحشية والجرأة والاقدام وتحمل المتاعب والمصاعب والصبر على المكاره وعدم المبالاة بالخسارة مهما كبرت وعظمت — كل هذه وغيرها ليست اعظم من الفضائل التي يوجدها السلم . فالشجاعة الادبية لا تقل منزلة عن الشجاعة الوحشية والاقدام على الاعمال الكبيرة اوقع في النفس من الاقدام على خوض ميادين القتال لان الانسان يكون مدفوعًا في الاول بعامل التعقل والتبصر وفي الثاني بسورة النزق والطيش وليس احد يقول ان الجنون خير من العقل . ورواد الحضارة الذين يجتابون البلدان المظلمة لنشر لواء الحضارة و يعانون المشاق والاهوال في سبيل ذلك خير من الجنود الذين ينفقون عمرهم في خوض ساحات الحرب وميادين القتال والعالم الذي يحاول حل سر من اسرار الطبيعة او اكتشاف دواء لداء قتال قاضيًا ليلهُ ونهارهُ في البحث والتنقيب والتجربة والاختبار صابرًا على فشل امانيهِ مرة وخيبة مساعيهِ اخرى لأرفع مقامًا وأعلى منزلة في عيون الناس من اي قائد كان . فذلك الاسكندر وارسطو ونابليون الاول وباستور ووجه التفاضل بينهم لا يخفى على احد

وقد تبدلت الحال اليوم عما كانت عليهِ منذ نصف قرن فان النساء اخذن يلجن ابواب

الاعمال التي لم يكن يطرقها الاَّ الرجال قديماً . وفي اوربا واميركا الآن نهضة نسائية يقصد بها اشتراكهن مع الرجال في الحكم

ويذهب القائلون بوجوب بقاء الحروب الى انهُ يستحيل على الامم ان تتفق على سن قانون دولي عام تتمشى عليها كما يتمشى قانون بلاد على اهلها لانها لم تعتد ذلك الى الآن . وهو رأي مردود بانهنَّ اتفقن على سن قانون دولي عام للبريد وآخر للغنائم التي تغنم من الامم المحايدة في اثناء الحرب وغيرهما من القوانين حتى انهن قيدن الحرب بقيود صار بعضها مرعياً بحكم العادة وبعضها مرعياً بحكم الواجب حفظاً للامن الدولي العام وتنفيذاً لقرارات المؤتمرات الدولية في هذا الشأن . فاذا كن قد اتفقن على ذلك فلا يستحيل عليهن الاتفاق على تخفيف شر الحروب تدريجاً

كانت الحروب في الزمن الغابر وحشية في غايتها وواسطتها وكانت اسامها الحقد او الحسد والغرض منها التشفي والانتقام او الاذلال والامتهان وكان الاقدمون يذبحون اسراهم او يمثلون بهم افظع تمثيل ويحاولون قتل من تيسر لهم قتلهُ من الاعداء مستحلين في سبيل ذلك كل المحرمات . اما الآن فقد اصبح دأب قادة الامم وعقلائها اجتناب الحروب او تخفيف ويلاتها قدر الامكان . ولما لم يكن بد من استعمال الشدة والقسوة في الحروب وضعوا لها حدًّا لا يتعدى القصد الحقيقي من الحرب فحرموا انواعاً من الاسلحة والمفرقعات والقنابل لاعتبارهم ان الحرب تصل الى غايتها من غير ان تستخدم فيها هذه الوسائل الفظيعة فصار الناس مدفوعين بذلك وبناموس الحضارة والارتقاء الى الرفق بالعدو ومعاملة اسراهُ وجرحاهُ بالتؤدة والعناية . ولكن قد يتفق ان يجنح احد المتحاربين عن مراعاة هذه القوانين ويعمد الى الطرق المحرمة فيحمل عدوهُ على مقابلتهِ بالمثل فتكثر الفظائع وتقترف المنكرات كما حدث في حرب البلقان الاخيرة فتقوم حينئذٍ قيامة العالم بامرهِ على المقترفين . وهذا دليل على ان الامم اصبحت بمثابة جسم واحد تجمعها الانسانية ويربطها بعضها ببعض حكم الوجود وناموس الاجتماع وانها صارت متكافلة متضامنة بحيث لو خالفت احداها سيرها المعتاد أضر ذلك في المجموع كلهِ . وليس هذا التكافل والتضامن الاَّ مقدمة لاجتماع الامم كلها تحت قانون واحد كما كان تكافف بعض القبائل والشعوب وتضامنها مقدمة لاجتماعها في امة واحدة يتمشى عليها قانون واحد فتعيش متصافية بسلام واطمئنان

يقولون ان الاحقاد والضغائن من اكبر الاسباب المثيرة للحروب واهمها وانهُ لا امة في هذا الوجود الاَّ ولها ثأر على امة اخرى وما دام عاملا الحقد وحب الاخذ بالثأر يتخران في الصدور

فلا امل باستئصال الحرب واستتباب السلم بين الامم . ولكن هذا القول كان يصح اطلاقهُ في الماضي لما كانت كل امة خاضعة لارادة شخص واحد تأتمر بأوامرهِ وتنتهي بنواهيهِ اما الآن فالامم لا تعمل الأ بارادتها فهي تعلم ما توجبهُ عليها مصلحتها وكيانها فتحكم العقل على القلب وتخضع لحكمهِ . ولا نظن ان الحقد والعداوة بلغا بين امة واخرى ما بلغاهُ من الفرنسويين والانكليز . ولكن مصالح الامتين قضت عليهما بالتقرب فالتفاهم فالاتفاق على تسوية ما كان بينهما من الاختلافات فزال بذلك ما كان بينهما من الضغائن والاحقاد . ولا يبعد ان تفاجئنا الايام بزوال ما بين فرنسا والمانيا الآن من العداوة الشديدة لاسيما وان عقلاء الامتين اخذوا يسعون في التقريب بينهما كما سبق عقلاء الفرنسويين والانكليز فقربوا بين امتيهما . وما دامت المصالح قد صارت المحور الذي تدور عليهِ علاقات الدول وكانت هذه المصالح توجب الابتعاد عن الحروب لما تنزلهُ بها من التأثير السيء وتقضي بزيادة التقرب بين الامم فانها ستكون اكبر الاسباب في ازالة الحروب

ان العوامل التي تعمل على تأييد السلم بين الامم الآن كثيرة اهمها الاربعة التالية

اولاً — العوامل التي لا تعمل مباشرة في شد اواصر الود والصفاء بين الامم وفي مقدمتها العلوم الطبيعية وعلم الطب . فالعلماء رفقاء بل اخوان مهما تباينت اجناسهم ونأَت بلدانهم . والغرض الاول من هذه العلوم ليس توطيد اركان السلم بل نفع البشرية ووقاية الناس من فتك الامراض والاوبئة وتسخير القوى الطبيعية لزيادة رخائهم وسعادتهم ولكن ليس من ينكر ان هذه الامور كلها من موَّيدات السلم ومعضداتهِ . فالصنائع والكهربائية والتعدين وسكك الحديد والملاحة وغيرها صار يبحث فيها الآن في موْتمرات دولية يوُّمها الناس من جميع انحاء المعمور وليس العهد بالموْتمر الطبي الدولي الذي عقد في لندن في الشهر الماضي ببعيد

وكذلك المعارض العمومية التي تقام في البلدان المختلفة فانها من الاسباب التي تقرب الشعوب بعضها من بعض وتمكن الصداقة بينها حتى لقد قيل ان المعرض الابيض الذي اقامهُ الفرنسويون والانكليز في لندن منذ ثلاثة اعوام كان من اكبر الاسباب التي دعت الى توطيد الاتفاق الودي بين الامتين وترسيخهِ على قرار مكين

اما المعرض العام الذي عزمت حكومة الولايات المتحدة على اقامتهِ بعد عامين في سان فرنسيسكو عند الاحتفال بفتح قنال بناما فان حكومتين من اكبر حكومات العالم قررتا ان

لا تشتركا فيهِ دلالة على استيائهما من تفضيل تلك الحكومة شركات الملاحة التي في بلادها والتي تجتاز بواخرها ذلك القنال على شركات الملاحة في بلاديهما فساء ذلك الاميركيين وحكومتهم واخذت صحفهم تصب جام استيائها وسخطها على تينك الحكومتين فقام شعباها يطالبانها بتعديل قراريهما ويشيران عليها بوجوب مشاركة الحكومة الاميركية مهما كانت الاعتبارات التي منعتها من الاشتراك في بادىء الامر لئلاً يعلق اثر سيّء في اذهان الاميركيين من جراء ذلك

ثانياً — العوامل التي تعمل مباشرة على شد اواصر الصداقة والتآخي بين الامم وتبادل العواطف الطيبة بينها. واهم هذه العوامل التزاور الذي كثر هذه الايام بين الملوك ورؤساء الحكومات والهيئات البارلمنية والبلدية والتجارية فقد كان ذلك باعثاً على اتفاق الامتين الفرنسوية والانكليزية والامتين الروسية والانكليزية وسبباً في التقرب الحاصل بين الانكليز والالمان الآن

ولا تقتصر الفائدة الناجمة عن هذا التزاور على الهيئات الرسمية والتجارية فقط بل تشمل تزاور هيئات العمال بعضها لبعض ايضاً

وقد الفت جمعية دولية كبيرة انتظم في سلك عضويتها مئات الالوف من العمال من جميع البلدان غايتها السعي الى توحيد كلمة العمال في جميع انحاء العالم وجعل التآخي والسلم العام شعارهم وانشئت في الولايات المتحدة جمعية كبيرة لنشر تعاليم السلم بينهم وحثهم على عطف بعضهم على بعض بحيث لو رأى عمال بلادين ان حكومة من حكومتيهم شهرت الحرب على الاخرى ظلماً وبغياً اضربوا عن العمل في كلتا البلادين فشلوا بذلك يد الحكومة المعتدية والحكومة المعتدى عليها فلا تعودان تستطيعان الحرب

ثالثاً — العوامل التي تعمل على توطيد اركان السلم وذلك بترسيخ حب السلم في قلوب عامة الناس وحملهم على التمسك باهدابهِ · واعظم هذه العوامل جمعيات السلم المنتشرة في انحاء اوربا واميركا وهي تعد بالمئات · وقد عقدت هذه الجمعيات مؤتمر السلم الدولي الاول في لندن سنة ١٨٤٣ والمؤتمر الثاني في بروكسل في السنة التالية · وتلا ذلك اكثر من ثلث قرن احتدمت فيهِ نار الحرب بين بعض الامم فلم يكن في الامكان استئناف عقد هذه المؤتمرات الى سنة ١٨٧٨ لما عقد المؤتمر الثالث في باريس · وعقد المؤتمر الرابع في تلك المدينة ايضاً في اثناء المعرض الفرنسوي الذي أُقيم سنة ١٨٨٩ ومن ثم انتظم انعقاد هذه المؤتمرات وعقد آخر مؤتمر منها هذا العام في بروكسل عاصمة البلجيك

وقد كان ذلك باعثاً على تأليف مؤتمرات وطنية في فرنسا وانكلترا لتعضيد المؤتمرات الدولية وشد ازرها . والمساعي مبذولة الآن لتأليف مؤتمرات وطنية مثلها في المانيا والنمسا وروسيا وايطاليا واسبانيا وغيرها من ممالك اوربا

ولا يخفى ما لهذه المؤتمرات من الفوائد في تعميم فكرة وجوب فصل الخصومات بين الدول بالتحكيم ووضع حد للتسلح والى غير ذلك من المسائل التي تبحث فيها في اجتماعاتها

رابعاً — العوامل التي تعمل على ازالة اسباب التحرش والتحكك بين الامم وذلك بسن قوانين دولية جديدة والاكثار من التشريع الدولي الذي يوجبهُ اشتراك المصالح الدولية

واول هذه العوامل واعظمها كلها ندوة التشريع الدولي وهي مؤلفة من ستين عضواً وستين مساعداً ينتقون من عظماء المحامين في العالم ويشترط في الاعضاء ان يكونوا من الفضلاء الذين خدموا التشريع الدولي عملياً او نظرياً وفي المساعدين ان تكون معارفهم وسعة اطلاعهم مما يفيد الندوة وقد الفت سنة ١٨٧٣ بمساعي المسيو رولن جكمين الفرنسوي

وتتلو هذه الندوة في الاهمية نقابة التشريع الدولي وقد الفت سنة ١٨٧٣ ايضاً للغرض ذاتهِ فنقابة التشريع الدولي الاميركية التي أُلفت سنة ١٩٠٦ فجمعية التشريع الدولي السويسرية

وهناك الاتحاد البارلماني الدولي وهو مؤلف من جماعات من اعضاء بارلمانات الممالك المختلفة والغرض منهُ حمل ممالكهم على اتباع مبدإِ التحكيم في حسم خصوماتها وغيرهِ من المسائل الدولية المهمة وذلك اما بالاقتراع عليها في المجالس النيابية او بوسائل اخرى يتخذونها لاقرار مبدإِ التحكيم وجعلهِ مرعياً في بلدانهم المختلفة

وقد افادت الجائزة التي عينها الفرد نوبل مكتشف الديناميت لاعظم الساعين في خدمة السلم العام او اكبر الكتاب الذين ينشئون احسن مؤلف عن تآخي الامم وعما يعود بانقاص التسليح وتجييش الجيوش و بزيادة جمعيات السلم ومؤتمراتهِ في العالم

وفي اوربا الآن ثمانية ملايين من الاشتراكيين عدا بضعة ملايين غيرهم متفرقين في سائر انحاء المعمور ولما كان الغرض الذي ترمي اليهِ الاشتراكية هو التعاون الاجتماعي فهي من العوامل العديدة التي تؤيد السلم وتوطد اركانهُ (المقطم)

اوغسط ببل

نعى البرق في الثالث عشر من شهر اغسطس الماضي زعيم الاشتراكيين في المانيا اوغسط ببل الذي عزَّز مقام الاشتراكية فيها حتى جعل لها من الاعضاء في مجلس النواب الالماني ١١٠ وعدد منتخبيهم ٤٢٥٠٠٠٠ بعد ان كان عددهم منذ ثلاثين سنة اقل من عشر ذلك

ولد هذا الرجل في ٢٢ فبراير سنة ١٨٤٠ وابوهُ من صف الضباط في الجيش الالماني وامهُ ابنة خباز . وكان راتب ابيهِ زهيداً جدًّا لا يكفي لمعيشة عائلتهِ الاَّ بالتقتير الشديد وكذا كان شأن غيرهِ من الضباط والجنود في ذلك الحين حتى قيل ان بروسيا نالت عظمتها بجوع جنودها . وكثيراً ما كان ابوهُ يعود الى بيتهِ في المساء وهو يلعن الساعة التي انتظم فيها في الجندية و يوصي امرأتهُ ان لا ترسل ولديهِ الى دار الايتام اذا توفي لئلاَّ يضطرا الى الانتظام في الجيش

وتوفي ابو ببل فتزوجت امهُ بسلفها حاسبة انهُ يعتني بولديها لانهما ابني اخيهِ وكان سجانًا فعامل الولدين كما يعامل المسجونين بالقسوة والصرامة لكن حياتهُ لم تطل لانهُ كان مصابًا بالسل فتوفي وعمر ببل ست سنوات

وأُرسل ببل الى المدرسة فكان شأنهُ فيها الانتصار لاترابهِ اذا اراد المعلم الاقتصاص منهم حتى لُقب لقبًا معناهُ " طالب العدل مهما كلفهُ "

ولما حدثت الثورة في بروسيا سنة ١٨٤٨ و١٨٤٩ كان عمرهُ نحو تسع سنوات وكانت العقول مختمرة حينئذٍ بالسياسة ووقع جدال بين التلامذة اترابهِ فانتصر هو وتلميذ آخر للملكية فاوسعهما معلمها ضربًا . وقد اشار ببل الى ذلك بعد حين قائلاً « اذا قال خصومي ان الملكية والوطنية شيء واحد فليعلموا اني أُضطهدت لاجل هذه الوطنية لما كان اسلافهم معادين لها » وتوفيت امهُ وعمرهُ ثلث عشرة سنة فانتقل الى بيت عمتهِ وفي السنة التالية خرج من المدرسة وود ان يتعلم الهندسة فقال لهُ عمهُ من اين تأتي بنفقات المدرسة فصرف هذا الخاطر من ذهنهِ وعزم ان يتعلَّم الخراطة عند خراط من معارف امهِ . وكان نحيف الجسم لقلَّة ما كان يحصل عليهِ من الطعام حتى كان احب شيء اليهِ ان يشبع ولو مرةً واحدة من الخبز والزبدة . ولما اتمَّ تعلُّم الخراطة استخدم عند خراط وكانت اجرتهُ عشرة غروش في الاسبوع وقامر مرة وخسر غرشين فآلى على نفسهِ ان لا يقامر ابداً فنجا من هذه الخلة . وذهب الى فريبرج وانضم الى مجمع العمال الكاثوليك فسرَّهُ الانضمام اليهم وتعلَّم منهم ومن

كهنتهم اشياء كثيرة وتمرّن في المناظرة والخطابة وانتقل الى ليبسك وكان قد صار في العشرين من عمره وجعل يجتمع مع العمال ويحثهم على طلب زيادة الاجور وتقليل ساعات العمل وكأنهُ حثهم على الاعتصاب قبل ان سمع هذه الكلمة

وسنة ١٨٦١ حضر اجتماعاً عقدهُ اساتذة جامعة ليبسك لانشاء جمعية لاصلاح شأن العمال فانتظم عضواً في هذه الجمعية وانتخب ليكون حافظاً لمكتبتها وادارة العابها. فوقف على احوال العمال وحاجاتهم ورغائبهم . وسنة ١٨٦٣ نشر لارسل زعيم الاشتراكيين منشورهُ الذي يُعَدُّ مبدأً للاشتراكية الالمانية فتغيرت جمعية العمال وسميت جمعية نشر المعارف بين العمال وانتخب ببل رئيساً لها ومن ثمَّ كثرت اشغالهُ وعلا مقامهُ بين العمال بسعيهِ المتواصل في مصلحتهم وقراراتهِ المحكمة وهو رئيس جمعيتهم وتوفيقهِ بين الاحزاب المعتدلة والمتطرفة منهم . وتعرف حينئذٍ بلبكنخت الاشتراكي المشهور وكان قد اتى الى ليبسك ليخطب في العمال وبقيا صديقين الى ان ادركت لبكنخت الوفاة

وتعب ببل في مقاومة رجل اسمهُ فون شوتزر كان دأْبهُ القاء الشقاق في صفوف العمال مدعياً الدفاع عنهم فبيَّن ببل انهُ آلة في يد بسمارك لاحباط مساعيهم وتفريق كلمتهم . وسنة ١٨٦٧ انتخب عضواً في مجلس المانيا الشمالية عن مقاطعة سكسونيا فمضى الى برلين وفؤادهُ يخفق وجلس مع نواب المملكة وخطب اول خطبة في الدستور فانتقد سياسة بروسيا وقال ان توحيد المانيا الذي ارتآهُ بسمارك ليس في مصلحة المانيا كلها بل في مصلحة بروسيا والاسرة المالكة وان هذا التوحيد سيجعل المانيا ثكنة حربية لتعبئة الجيوش وينزع منها ما فيها من بقايا الحرية والحقوق العمومية . فاثَّرت هذه الخطبة تأثيراً شديداً في المجلس وخارجهِ حتى قالت احدى جرائد العصر انها كانت كصوت نداء بالثورة تردده جدران المجلس

ونشبت الحرب بين المانيا وفرنسا سنة ١٧٨٠ وقال بسمارك ان فرنسا هي المعتدية على المانيا وان المانيا مدافعة لا مهاجمة اما ببل فقال ان بسمارك هو الذي اغضب فرنسا ودعاها للحرب . فاشتد الخصام في مجلس النواب بين حزب الحرب وحزب الاشتراكيين واجتمع حزب الاشتراكيين واحتج على اثارة الحروب كلها الاَّ حرباً تثار لاجل الحرية والعمران واحتج ايضاً على كل حرب تثار لاجل اسرة مالكة لانها تودي بحياة الالوف ومصالح الملايين لسد مطامع اهل السلطة. وايَّد هذا الاجتماع عمل الاشتراكيين الفرنسويين ولاسيما العمال منهم الذين كانوا يسعون في ابطال الحرب وطلب من كل محبي الحكم الجمهوري في المانيا ومن كل العمال الالمانيين ان يرفعوا صوتهم ضد الحرب

وطلبت الحكومة من المجلس ان يقترع على عقد قرض لنفقات الحرب فابى ببل الموافقة على هذا الاقتراع. ولما نودي بالحكومة الجمهورية في فرنسا حيَّاها هو وحزبهُ احسن تحية وودَّ ان المانيا تحذو حذوها يوماً ما . فعيل صبر الحكومة حينئذٍ وقبضت على كثيرين وزجتهم في السجن ومنعت الاجتماعات العمومية . وبعد شهرين طلبت عقد قرض آخر لنفقات الحرب مقدارهُ خمسة عشر مليوناً من الجنيهات فاعترض ببل عليهِ وعلى ضم الالزاس واللورين الى المانيا ويقال ان خطبتهُ التي اعترض بها على القرض الاول كان لها اعظم وقع في بلاد المانيا كلها لانهُ شهَّر فيها بالاغنياء وطمعهم وبخلهم

وقبضت الحكومة عليهِ وعلى صديقهِ لبكنخت في اواخر تلك السنة وزجتهما في السجن متهمة اياهما بالخيانة لكن حزبهُ انتخبهُ لمجلس النواب باكثرية كبيرة جدًّا فاضطرت الحكومة ان تخرجهُ من السجن لكي يحضر جلسات المجلس ثم جرت محاكمتهُ فلم تثبت الخيانة عليهِ ولا على صديقهِ لكن الحكومة سجنتهُ في احد الحصون سنتين بامر بسمارك فافادهُ السجن فائدة لا تقدَّر لانهُ كان قد اصيب بالسل واتلف ميكروب السل رئة من رئتيهِ لشدَّة ما قاساهُ من التعب والفاقة فلما استراح في السجن شفي من السل تماماً . ثم حُكم عليهِ ثانية بالسجن بدعوى انهُ اهان الامبراطور وجعلت مدة سجنهِ ٣١ شهراً فقضاها في درس التاريخ والاقتصاد السياسي وتوسيع معارفهِ العلمية

ولم يضعف سجنهُ شأن الاشتراكية بل زادها انتشاراً فقد كان عدد الناخبين من الاشتراكيين نحو ثمانين الفاً فقط فبلغوا ٢٣٦ الفاً سنة ١٨٧١ . ولما تمكن من طرد شوتزر صنيعة بسمارك اتحد الاشتراكيون كلهم وصاروا حزباً سياسيًّا باسم حزب العمال الاشتراكي . واشتدَّ حينئذٍ اضطهاد بسمارك لهم واتهام جرائدهم بالقذف والقبض على محرريها وسجنهم فقوي ساعدهم وكثر عددهم . ولا شيء مثل الاضطهاد لتقوية الاحزاب فقد كان عدد اعضاء هذا الحزب حينما انضم ببل اليهِ سنة ١٨٦٧ نحو ٢٥٠٠٠ نفس فنما وتقوى حتى بلغ عدد الناخبين منهُ ٣١٢٠٠٠ سنة ١٨٨١ و ١٤٢٧٠٠٠ سنة ١٨٩٠ و ٤٢٥٠٠٠٠ سنة ١٩١٢ وصار للعمال منهم ١١٠ اعضاء في مجلس النواب مع ان عدد اعضائهِ كلهم لا يزيد على ٣٩٧ وقد كان فوز ببل هذا بعد تعب شديد و بذل النفس والنفيس في مصلحة العمال واصلاح امورهم وجمع كلمتهم خير اثر يذكر بهِ

ولما اعتزل بسمارك السياسة سنة ١٨٩٠ قلَّ اضطهاد الحكومة لحزب العمال الاشتراكي وقلت مغاضبة الحزب للحكومة لانهُ قام فيهِ اناس يرون ان النجاح منوط باصلاح الحكومة

لا بقلبها وان هذا الاصلاح يجب ان يتدرَّج تدرُّجاً . وقد امتاز ببل على بسمارك بانهُ لم يتبع الخطة القاضية بارغام من يخالفهُ على طاعتهِ بل اتبع خطة المسالمة ووزن الامور بميزان العقل فكلما قام لهُ مخالف في حزبهِ ناقشهُ في رأيهِ فاذا وجدهُ صواباً اتبعهُ واذا وجدهُ خطاء اقنعهُ بخطائهِ . وعندهُ ان آراء الانسان وتصرفاتهِ يجب ان تتغير حالما يثبت خطأها وقد كتب في ذلك ما ترجمتهُ

« لقد كان مبدإي الذي جريت عليهِ دائماً ان اعدل من كل رأي حالما يثبت لي خطأهُ واتبع الرأي الذي يثبت لي انهُ اصحّ منهُ وادافع عنهُ بكل جهدي ما دمت اراهُ صواباً ولا يعنيني من ترك رأي اراهُ خطأً ان لي اصدقاء شركاء فيهِ وتركي لهُ يغضبهم ويحرفهم عليَّ لاني احسب ان الاغراض التي نرمي اليها اهم جدًّا من الاصدقاء والاقارب »

واتباعهُ هذا المبدأ ابقى جمهور الاشتراكيين ملتفًّا حولهُ مع تغير احوالهم فانتخبوهُ لمجلس النواب عن غلوشوميران من سنة ١٨٦٧ الى سنة ١٨٧٦ وعن درسدن من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٨٣ وعن همبرج من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٨٩٣ وعن ستراسبرج الى سنة ١٨٩٨ وعن همبرج ثانية من سنة ١٨٩٨ الى حين وفاتهِ اي انهُ بقي في مجلس النواب اكثر من اربعين سنة ما عدا الخمس سنوات التي كان مسجونًا فيها لكنهُ انقطع عن حضور جلسات المجلس في السنوت الاخيرة ملقياً حملهُ فيهِ وفي ادارة حزبهِ على عوائق الشبان والكهول

وقد امتاز على غيرهِ من الزعماء بانهُ كان يسعى دائماً الى تمكين عرى الاتحاد بين الاشتراكيين الالمان واشتراكيي غيرهم من الامم و بينهم و بين سائر العمال الذين يحتاجون الى مَن يساعدهم و يرقي شأنهم كان الغرض الذي يرمي اليهِ هو الإخاء العام في الدنيا كلها حتى يتآخى الناس كلهم و يعيشوا بالسلام والاطمئنان وتنتفي الحروب من الدنيا لان ويلاتها تقع على الجنود والعمال والفقراء عموماً . ولما خيف من نشوب الحرب بين المانيا وفرنسا في مسألة مراكش او بينها وبين انكلترا منذ سنتين عقد مؤتمر الاشتراكيين الالمانيين العام في ينا وافتتحهُ بخطبة ضد الحرب كان لها وقع عظيم في النفوس فاضطرَّ الراغبون في الحرب ان يسمعوا صوتهُ لان وراءهُ اكثر من اربعة ملايين رجل يؤيدونهُ

والذين يعرفونهُ يقولون انهُ كان وديعاً انيس المحضر الاَّ اذا اهتم بمسألة عمومية فانهُ يصير حينئذٍ اسداً غضنفراً . ومنذ بضع سنوات قطع لهُ احد الضباط المتقاعدين مالاً سنويًّا فاشترى بيتاً صغيراً قرب زورك بسويسرا وصار يقيم فيهِ كلما اراد الراحة من عناء الاشغال ولم يكن في سعة مالية ولا كان من كبار الخطباء ولكنهُ كان قوي الحجة في المناظرة ماهراً

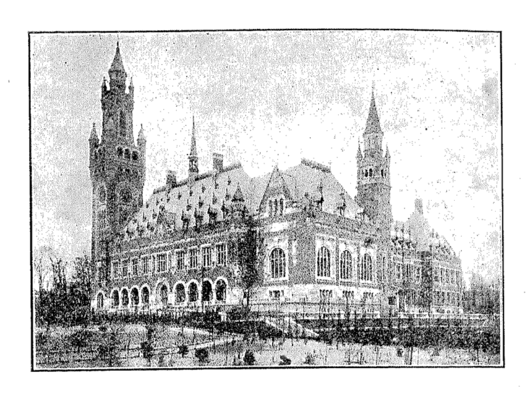
في سرد الادلة والبراهين وكلما حضر في مجلس النواب شعر كل احد بوجوده فيهِ كأنهُ ملأ المجلس . ولعلّ العمال تعلقوا بهِ اكثر مما تعلقوا بغيرهِ من زعماء الاشتراكية لانهُ كان منهم وكان عارفاً بكل ما يقاسونهُ من العناء فيكلمهم بلسانهم وبما ينطبق على عقولهم وتصادق عليهِ قلوبهم او كما قيل ان العمال كانوا ينظرون اليهِ كواحد منهم وافضل رجل فيهم ويقولون انهُ يمثل الحالة التي يصلون اليها حينما تصلح امورهم كانهُ موسى الكليم يقود بني اسرائيل الى ارض الموعد وكان فوق ذلك منصفاً بعيداً عن الدعوى كشف ترجمة حياتهِ ونسب كل ما اوتيهِ من النجاح الى التوفيق والصدف ولكن التوفيق والصدف تُعرض لكل احد ولا يغتنمها الاّ الحازم الندب

قصر السلام

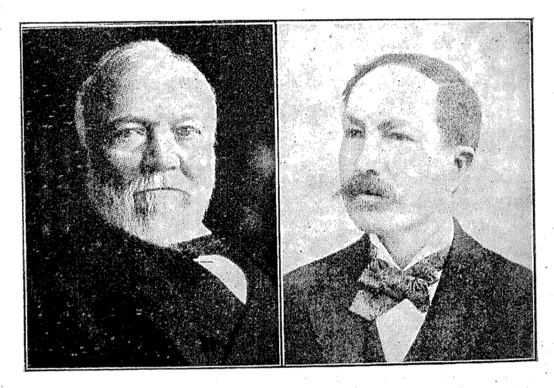
ما دام كثيرون من اهل الثروة والجاه يكتسبون من الحروب مالاً وجاهاً فهم يبذلون كل وسيلة لاثارتها حتى لا تزول موارد كسبهم ولا تقل

وهذا لا ينفي فائدة الوسائل التي استعان بها بعض الفضلاء على تهجين الحروب وترغيب الدول في فض خصوماتهم بالتحكيم . ومن هذه الوسائل اقامة قصر السلام في مدينة الهاغ عاصمة هولندا وجعلهُ مجلساً لقضاة التحكيم ونادياً للمؤتمرات السلمية . ويقال انهُ خطر للمرحوم المستر ستد منشىء مجلة المجلات الانكليزية منذ عشرين سنة ان يتوسَّل بقيصر روسيا اسكندر الثالث ليسعى في تقليل التجنيد والتسليح حاسباً ان الملوك اقدر من غيرهم على ابطال الحروب مع ان الامر في يد وزرائهم وهم اقل حولاً وطولاً من صانعي البنادق ومقرضي الاموال للمالك وهؤلاء لا سبيل الى صرفهم عن عملهم بالكلام والتوسُّل وان لم يقم الجمهور عليهم ويغلّ ايديهم عنوةً فلا شيء يصرفهم عن نيل اغراضهم

ونجح المستر ستد في جعل كثيرين يوقعون عريضة بعث بها الى القيصر على يد نظارة الخارجية الانكليزية فاهتمَّ القيصر بالامر لانهُ كان راغباً فيهِ ولكن نشبت حرب الصين التي تألبت فيها اكبر الحكومات الاوربية والاميركية على تلك المملكة الشرقية ودخلت عاصمتها عنوةً . وتوفي القيصر بعد قليل فقام ابنهُ القيصر الحالي واراد ان يتمم العمل الذي شرع فيهِ والدهُ . وروسيا مملكة تستدين الاموال لا تدينها وهي ليست مثل البلدان التي فيها اغنياء كبار ربحهم من حمل المالك على اثارة الحروب واستدانة الاموال ومعامل لبناء



قصر السلام



كارنيجي　　　　كارنبيك

المقتطف مجلد ٤٣ صفحة ٣٦٦

البوارج وسبك المدافع ولذلك لم يكد يعلن قيصر الروس رغبتهُ في عقد مؤتمر السلم حتى تهكمت عليهِ جريدة التيمس وغيرها من الجرائد الانكليزية والفرنسوية الكبرى لعلمها ان الحل والربط في هذه المسألة ليسا في يدهِ ولا يد احد من الذين يوافقونهُ على رأيهِ ومع ذلك رحَّب الناس بهذه الدعوة وعُقد المؤتمر سنة ١٨٩٠ وقبل ان ينقطع صدى الهاتفين لهُ اعلنت روسيا الحرب على اليابان وكان من امرها ما كان فدلَّت على ان المصالح تغلب الاميال

وفي بلاد الانكليز رجل هاجر الى اميركا عاملاً صغيراً ورجع منها غنيًّا كبيراً يعدُّ ثروتهُ بعشرات الملايين من الجنيهات . وقد استخدم جانبًا كبيراً من اموالهِ في خير ما تستخدم لهُ الاموال التعليم والتهذيب والبحث عن الحقائق العلمية . وقد قام في نفسهِ ان ينشئ داراً كبيرة في عاصمة هولندا يلتئم فيها رجال السلم فاعطى حكومة هولندا سنة ١٩٠٣ ثلثمئة الف جنيه لبناء هذه الدار او هذا القصر لكي يكون مجلساً لمحكمة التحكيم التي انشئت سنة ١٨٩٩ وناديًا لاجتماع مؤتمرات السلم . فقبلت حكومة هولندا هذه الهبة بالشكر واشترت للبناء ارضاً دفعت ثمنها ٥٦ الف جنيه . وقد اقتضى تشييد البناء واتمامهُ عشر سنوات وقع فيها معظم العناء على المسيو كارنبيك وزير الداخلية في حكومة هولندا الذي كان نائب رئيس المؤتمر الاول

ووراء البناء آكام رملية تغطيها الاشجار الغضاء وحولهُ جنائن نضرة وهو مربع الشكل طولهُ ٢٥٢ قدمًا وعرضهُ ٢٥٨ قدمًا وفي وسطهِ حديقة كبيرة كأنهُ من القصور الشرقية في نظامهِ لكنهُ يخالفها بما فيهِ من التماثيل الكثيرة التي تزين ظاهرهُ وداخلهُ كتماثيل العلم والصناعة والزراعة والملاحة والتجارة والفصاحة والضمير والارادة والسلطة والدرس والحكمة والانسانية والثبات والعدل والشريعة والسلم . وستوضع فيهِ تماثيل اخرى غير رمزية مثل تمثال هيغو غرتيوس الهولندي رائد الذين سنوا شرائع الدول وتمثال الملك ادورد السابع ملك الانكليز الذي يلقب بملك السلام وتمثال السر رندل كرمر منشئ اتحاد مجالس النواب وتمثال المستر ستد الذي كان لهُ اليد الطولى في عقد مؤتمر السلم

وزجاج بعض كواهُ ملون وفيهِ كثير من الصور الرمزية كصورة الهة السلام وقد القت اشعتها الذهبية على العلوم والفنون والبر والبحر والصناعة والتجارة . وصورة ابطال الحرب القدماء وما كانوا يجترحونهُ من الفعال البربرية فترى الدماء تقطر من سيوفهم ورماحهم والامهات يهربن منهم باطفالهنَّ واشلاء القتلى تملأُ الارض وفوقها تمثالا الرعب والموت

وفي القصر مجلس العدل وهو غرفة كبيرة طولها ٧٥ قدمًا وعرضها ٤١ قدمًا تسع ٤٠٠ نفس واذا وضع امام كل منهم مكتب يكتب عليهِ فتسع ٢٠٠ نفس ولا يحتمل ان يبلغ

عدد نواب الدول هذا المبلغ لان حكومات المسكونة كلها ٤٧ حكومة وقد حضر في المؤتمر الثاني نواب عن ٤٤ حكومة منها · وفي احدى كوى هذه الغرفة صورة الحقيقة عارية ترى نفسها في مرآة وصورة الهة العدل وفي يدها سيف مسلول

وغرف الدار كثيرة رحبة وكلها مفروشة احسن فرش ومزدانة بالصور والتماثيل ولا شبهة في ان نفقات البناء وفرشهِ فاقت هبة كارنجي كثيراً ولكن جانباً كبيراً مما فيهِ هدايا اهديت اليهِ من البلدان المختلفة فالغرانيت الذي بنيت بهِ اسافل الجدران كلها هدية من مملكتي اسوج ونروج والفسقية التي في وسط الحديقة الداخلية هدية من الدنمارك والرخام الكثير في مماشي البناء هدية من حكومة ايطاليا وسلَّم الرخام الاكبر هدية من مدينة الهاغ والتماثيل التي عند قاعدتهِ هدية من جمهورية الارجنتين وارض البناء وزجاج الكوى الكبرى المزدانة بالصور المشار اليها آنفاً هدية من حكومة هولندا · والكوى الزجاجية في مجلس القضاء الاكبر من بريطانيا · واهدت فرنسا صورة كبيرة للمجلس الاكبر وبسطاً من الغوبلين للمجلس الاصغر واهدت تركيا بساطاً كبيراً لغرفة النظار واهدى قيصر روسيا كأساً كبيرة بديعة من اليشب والمجر ست كؤُوس ثمينة والنمسا ست ثريات والولايات المتحدة تماثيل من الرخام والبرنز وبرازيل خشباً من النوع الوردي والاطلسي لتبطين بعض الغرف والصين اربع كؤُوس كبيرة واليابان صوراً كبيرة من الحرير المطرَّز وسان سلفادور الخشب الخاص بها لغرفة مساعد السكرتير وهايتي اثاث تلك الغرفة · ورومانيا اربعة بسط وسويسرا ساعة كبيرة وضعت في برج القصر والبلجكا غالقي الباب الاكبر وهما من الحديد المزخرف والمانيا السور الذي امام مدخل البناء وابوابهُ الحديدية كأَن ابواب السلم في يدها تفتحها متى شاءت وتقفلها متى شاءت

وفتح هذا القصر باحتفال عظيم في ٢٨ اغسطس الماضي فاقبلت ملكة هولندا اليهِ بموكبها ومعها امها وزوجها وجلست في صدر الغرفة الكبرى المعدة لجلوس قضاة التحكيم وتبعها المستر كارنجي وزوجتهُ وجلسا عن يمين ام الملكة · ونهض حينئذٍ الوزير كارنبيك وتكلم بالفرنسوية فذكر خلاصة ما جرى في امر السلم والتحكيم وكيف دفع ذلك المستر كارنجي الى انشاء هذا القصر وقال لهُ بالانكليزية « ان هذا اليوم يوم مجيد لديك وانت واقف امام ملكة بلادي وفي حضرة ممثلي المسكونة كلها كمؤسس لاول هيكل من هياكل السلم » ثم شكر الامم المختلفة على هداياها التي اهدتها الى هذا القصر وتناول اخيراً مفاتيح القصر وقدمها الى فان سوندرن رئيس مجلس التحكيم الدائم فنهض هذا واستلم المفاتيح وتكلم قائلاً هل يقوم هذا القصر بما

الشيء لاجله ثم اجاب عن هذا السوءال قائلاً كلاً اذا توقعنا منهُ ان ينشر لواء السلم في العالم حالاً ولكن نعم اذا لم نطلب ما يستحيل على الناس تحقيقهُ . فانهُ ما من خلاف بين دولة واخرى الاَّ ويمكن فضهُ اذا رغبت الدولتان في ذلك . وما من خلاف بين دولتين الاَّ وهو في درجة من الاهمية حتى يوجب امتشاق الحسام اذا ارادت احداها ذلك . ثم اشار الى المستر كارنجي فقال انهُ اشد الذين هناك سروراً لانهُ يمثل ثروة اكتُسبت بالتعب والنصب ثم أُوقفت على نفع البشر

خمارويه والي مصر (١)

ابو الجيش خمارويه ٢٧٠ — ٢٨٢ هـ (٨٨٤ — ٨٩٦ م) — تولى إمارة مصر بعد احمد بن طولون ولدهُ خمارويه ، وهو في العشرين من عمرهِ . اما اخوهُ العباس فكان لا يزال معتقلاً ، والرعيةُ نافرةٌ منهُ لانهُ عقَّ اباهُ ، وكفرَ بنعمتهِ . على ان اباهُ اوصى لهُ قبل وفاتهِ بولاية الشام تحت سيادة اخيهِ خمارويه ، ولكنهُ لم يتمتع بتلك الولاية ، لان اخاهُ امر بقتلهِ ليمنعهُ عن الاعتراف لهُ بالإمارة

ولم يستتبّ الامر لخمارويه في الشام بعد قتل اخيهِ ، وذلك ان ابن كَنْداج ، عامل الخليفة على الموصل ، وابن أبي ساج ، عاملهُ على الانبار ، وغيرهما من الولاة حاولوا نزع سورية وغيرها مما ملكتهُ مصر في آسية ، واعادتهُ الى حوزة الموفَّق . وكانت حجتهم في ذلك ان خمارويه مُغتصب الإمارة ، بأَخذها إرثًا عن ابيهِ دون ان يُعينهُ فيها صاحبُ الخلافة . وقد وافقهم على ذلك جيوش دمشق . فعقد خمارويه لابي عبد الله احمد الواسطي على جيشٍ الى الشام ، وعقد لسعد الاعسر على جيشٍ آخر ، وبعث بمراكب لتقيم في السواحل الشامية . فاستمال . أَعداؤُهُ قائدَهُ أَبا عبد الله الواسطي ، فواطأَهم على مأربهم اذ كان يخاف ان يوقع بهِ خمارويه لانهُ كان هو المشير عليهِ بقتل أَخيهِ العباس . وانضمَّ اليهم أَيضاً ابن الموفَّق أَبو العباس من بغداد ، وساروا فاتحين في البلاد حتى دخلوا دمشق . واتصل ذلك بخمارويه فخرج من مصر الى فلسطين بسبعين الف مقاتل ، والتقى بابن الموفق ، فاقتتلا في « الطواحين » ودارت الدوائر على جيش خمارويه ، ونجا هو بنفسهِ وبنفرٍ من جندهِ الى الفسطاط

اما سعد الاعسر فظلَّ موالياً لخمارويهِ وجمع ما تبقَّى من عساكرهِ ، وحارب ابنَ الموفّق ، فكانت لهُ الغلبة ، واجلى الاعداءَ الى طرسوس . ثمَّ عاد الى دمشق ففتحها وارسل

(١) من تاريخ مصر بقلم السيدة هند عمون

بشائر النصر الى مصر . ولم يكد يفرح خمارويه بها حتى زلزلت ارض مصر زلزالاً هائلاً هدم بيوتاً كثيرة وأمات ١٠٠٠ نفس ، على انهُ ظلَّ منهمكاً في شؤُونهِ الخاصة ، واغفل امر البلاد التي اعادها لهُ قائدهُ الباسل . ولما رأى سعدُ الأعسر إعراضَ سيدهِ واهمالهُ ، كرهَ ان يظلَّ في خدمتهِ . فخرج عن طاعتهِ ، واعلن استقلالهُ بولاية الشام ، فكان عملهُ هذا داعيةً لايقاظ خمارويهِ من خمولهِ ، فزحف الى الشام وهزم سعداً وقتلهُ ، ودخل دمشق سنة ٢٧٣ هـ (٨٨٦ م) . وواصل السير حتى التقى بابن كنداج ، صاحب الموصل ، فهزمهُ وتتبعهُ حتى مدينة سامرَّا ثم اصطلحا . فاستقرَّ لخمارويهِ بعد ذلك الامرُ في مصر والشام . وعقد الصلح مع الموفَّق . ووقَّع لهُ الخليفة ووليُّ عهدهِ امراً بتثبيتهِ في إمارتهِ

ولما وثق من نفسهِ ، وقدر قوتهُ حقَّ قدرها ، رأى من الحكمة ان لا يأمن جانب حليفيهِ ابن ابي ساج ، حاكم الانبار ، وابن كنداج ، حاكم الموصل ، فانتهز فرصة خلاف بينهما للتدخل في شؤُونهما ، فشبَّت من جرَّاء ذلك حربٌ في ما بين النهرين كانت عاقبتها شؤْماً على المتقاتلين وصفقةً رابحةً لخمارويهِ ، فنشر سلطتهُ على تلك البلاد ، واعترف لهُ اهلوها بالسيادة عليهم . ثم خرج عليهِ ابن ابي ساج في سنة ٢٧٣ هـ (٨٨٨ م) واجتاحَ البلادَ السورية . فمشى اليهِ خمارويه بجيشٍ قويٍّ ، وقاتلهُ في جوار دمشق ، فهزمهُ وأجلاهُ عن سورية . وما زال يطاردُهُ حتى دجلة حيث بنى عرشاً فخماً عنواناً لفوزهِ وسلطانهِ . ثم شبَّت فتنٌ في تلك الاصقاع اضطرَّت خمارويه الى قضاء سنةٍ أُخرى في إخمادها ، واظهرَ من الشدَّة والبطش ما انزل الرُّعبَ في نفوس اعدائهِ . حتى انَّ حاكم طرسوس الذي كان قد نبذ طاعةَ الطولونيّين منذ ٢٦٩ هـ (٨٨٣ م) عرض خضوعهُ على خمارويهِ ، واعترف لهُ بالسيادة ، واهدى اليهِ ثلاثين الف دينار ، والف ثوبٍ ، وكمية كبرى من الاسلحة . ثم عاد فأردفَ هديتهُ هذه بخمسين الف دينار اخرى . وغزا خمارويهِ ما جاورهُ من الاملاك الرومانية فدوَّخها جميعها

ومات الموفق سنة ٢٧٨ هـ (٨٩١ م) وعقبهُ موت ابن كنداج ، ثم موت الخليفة المعتمد . ولما آلت الخلافة الى المُعتضِد سنة ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) ثَبتَ خمارويهِ في مصر وخطبَ ابنتهُ قطرَ الندى وجعل مهرها مليون درهم ، وبعث اليها بهدايا نفيسة . ولما احتُفل بزفافها الى الخليفة ، حملت على هودج فاخر ، وحمل معها مالم يُرَ مثلها ولم يسمع بهِ من قبل . وكان خمارويهِ قد بنى لها على كل رأس مرحلة تنزل بها ، بين مصر وبغداد ، قصراً فخماً ، وأخرج معها اخاهُ شيبانَ في جماعة كثيرة العدد ، فكانوا يسيرون بها سيرَ الطفل في المهد ،

فاذا بلغت مرحلةً من مراحل الطريق وجدت قصراً أُعدَّ لها ، فنزلتهُ على الرحب والسعة . فكانت في مسيرها من مصر الى بغداد ، على بُعدِ الشقة كأَنها في قصر ابيها تنتقل ، من مجلس الى مجلس ، بين الاطالس والحرير . وحمل خمارويه معها حلاها وجواهرها في عشرة صناديق كبيرة كان فيها ايضاً اربعة آلاف حزام مجوهر والف اناء من الذهب الإبريز أُودعت فيها الروائح الزكية وقد كان جملة ما انفقهُ خمارويه على زواج ابنتهِ مليون دينار . ولكنَّ الخليفة شاء ان يعيضهُ منها فاعادَ اليهِ السيادة من الفرات الى برقة ، واخفض الجزية السنوية التي كانت تدفعها مصر للخلافة الى ٣٠٠,٠٠٠ دينار

ومما يؤْثر عن خمارويه ان رواتب جيوشهِ في مصر كانت تبلغ ٩٠٠,٠٠٠ دينار . وكان كثير البذخ والسرف ، فقيل انهُ كان ينفق ٢٣,٠٠٠ دينار على مطبخ قصرهِ في كل شهر . وولع كأَبيهِ بتشييد القصور ، فأَكمل بناء قصر القطائع وزخرفهُ زخرفة جميلة ، وحلاَّهُ بالذهب ، وزانهُ بالصور والنقوش وانشأَ في ساحتهِ بستاناً غرسهُ بأَشجار الفاكهة على اختلاف اصنافها ، وطعَّم المشمش باللوز ، وغيرهُ بغيرهِ . وزرع فيهِ كل انواع الرياحين والورد والزعفران على شكل سطور مكتوبة . وبنى في ذلك البستان برجاً حبس فيهِ كل طائر حسن الشكل والصوت وانشأَ داراً للحيوانات المختلفة الاجناس . وكان لهُ اسد أزرق العينين يُقال لهُ « زُريق » الفهُ وانس بهِ فكان يطلقهُ في دارهِ فلا يؤْذي احداً . وكان اذا نُصبت المائدة في قاعة الاكل ربض زريق بين يدَي خمارَويه يلتهم ما يرميهِ اليهِ . واذا نام سيدهُ سهر على حراستهِ لا تغمض لهُ عين . ومما اعتنى بهِ خمارويه كثيراً احراز الخيول الجياد ، وقد خصص لسباقها اياماً قامت في البلاد مقام الاعياد

ولما كان خمارويه في دمشق سنة ٢٨٢ هـ (٨٩٦ م) قتلهُ بعض خدمهِ غيلةً في فراشهِ . فنقلت جثتهُ الى مصر ، ودفن في سفح المقطم ، الى جانب جثة ابيهِ احمد بن طولون . اما قتلتهُ فصُلبوا على قوارع الطرق

وخلفت خمارويه ابنهُ جيش ابو المساكر وهو في الرابعة عشرة من عمرهِ ، ولا يدرك معنى الحكم ولا يفقه اهمية الولاية ، فانصرف عن الاهتمام بشؤُون البلاد الى اللهو واللعب ، فاغتنم ابو طَغَج بن جُف حاكم سورية هذه الفرصة للخروج عن طاعتهِ واقتدى بهِ غيرهُ من عمَّال الولايات التابعة لمصر فنبذوا حكم ذلك الصبي . وكان الاسراف الذي اقتضاهُ انغماسهُ في الملاهي افرغ خزينة البلاد ، فثار عليهِ الجند وخلعوهُ وتوفي في السجن على اثر خلعهِ وكان هو من قبل ذلك قد اوجس شرّاً من اعمامهِ واغتال ثلاثة منهم

باب الصناعة

نسج القطن في مصر

سيدي الفضال محرّر «المقتطف»

اتذكر اني اطلعتُ في احد اعداد «المقتطف» التي صدرت في هذه السنة على وعدٍ منكم بالكلام التفصيلي على كيفية تنفيذ فكرة «نسج القطن في مصر» مبشّرين القراء بانهُ غير مستحيل تحقيق الفكرة ، وانَّ في تحقيقها خيراً عظيماً للقطر . هذا ما علق بذهني وأكاد اكون شبه متأكد من اطلاعي عليهِ في مجلتكم الغراء ، ولولا ذلك لما بتُّ اترقب كل عدد من «المقتطف» بفارغ الصبر آملاً ان يكون فيهِ ما وعدتم بهِ ، غير ان طول انتظاري جعل الملل يتسرَّب الى نفسي فاحببتُ ان اكتب لكم مذكّرًا ومستفهماً . واستصوبتُ قبل ان ابدأ بالكتابة أن أُراجع ما عندي من اعداد المقتطف وهي تُربي على اثني عشر عدداً فادهشني اني لم اجد فيها ادنى اثر لهذا الوعد الذي انسبهُ اليكم كما يشترك في نسبتهِ غيري من اصحابي الذين اطّلعوا عليهِ في حينهِ

ولستُ ادري بعد هذا اذا كنت أنسب لكم ما لا أصل لهُ . او انَّ ذاكرتي تمثّل لها البعيدُ قريباً بمعنى انكم ذكرتم هذا الوعد منذ اكثر من سنة او سنتين وقمتم بوفائهِ في عدد لم اطلع عليهِ . وعلى كل حال اكون مديناً لكم اذا تفضلتم بارشادي الى الحقيقة . راجياً ان لا تخرج هذه الحقيقة عن احد شيئين وهما : اما انكم حقيقةً ذكرتم هذا الوعد وقد قمتم فعلاً بوفائهِ . واما انكم لم تنجزوهُ حتى الآن لكثرة مشاغلكم ولكنكم عازمون على ذلك قريباً

وكيفما كان الواقع فمثل مجلة «المقتطف» حرية بالمطالبة بطرق باب هذا البحث الاقتصادي العظيم . وبعدم اغفال امثالهِ من المباحث النافعة التي يمكن بواسطتها تنمية ثروة الامة واعدادها للاستقلال المالي سواءٌ كانت تلك المباحث زراعية او صناعية او تجارية كما انها خليقة بان لا يفوتها البحث العملي اكثر من البحث النظري وان تكون افئدة المصلحين الاجتماعيين والاقتصاديين في الامة . فلا تكتفي بتقديم الاقتراحات بل تعمل على شرحها شرحاً عمليًّا وافيًا وتتوسع في ذلك كل التوسع حتى تقتل الهمم الضعيفة وتشجّع الغيورين على

الاقدام على انفاذ المشروعات النافعة الكبيرة ما داموا يرون امامهم في « المقتطف » نوراً قوياً واساساً عملياً جديراً بالاعتماد عليهِ والثقة بقوتهِ وامانتهِ

والشيء بالشيء يذكر لعلكم سمعتم عن مشروع « الغرفة التجارية المصرية » واطلعتم على ما كتبتهُ بعض الصحف الاوربية بهذه المناسبة عن مستقبل مصر الاقتصادي . فلعلكم لا تحرموننا من كلام مستفيض في فوائد الغرف التجارية وان لا تبخلوا بشيء من نصائحكم السديدة في هذا الموضوع . وان تبينوا خلاصة احسن نظام و برنامج للغرف التجارية الراقية لينتفع بذلك القائمون باصلاح حالة التجارة الوطنية المصرية كما ينتفع كثيرون من محبي الاستفادة

لا يخفى عليكم انَّ مجلتكم غير قاصرة على طبقة الخاصة وانَّ طلبة العلم واهل الحِرَف الحرة من مشتركيكم يهمهم جدًّا ان يطلعوا على بياناتكم في كل موضوع جليل يدخل في دائرة مجلتكم لا بصورة تنبيه بل بصورة شرح وتدريس

هناك غير مشروع « الغرف التجارية » مشروع « النقابات الزراعية » ومشروع « النقابات الصناعية » على انواعها . ومشروع « مصرف وطني » وغير ذلك . وكلها تحتاج الى عناية كبرى منكم و بحث مستفيض حتى يقتنع الفرد العادي بالفائدة من كل ذلك . ولا أدلَّ على تلك الفائدة من ان تبينوا تاريخ هذه الاعمال في الامم الراقية وما نشأ عنها من النعمة والثروة لها ببيانات وارقام مضبوطة . وان تعلقوا على ذلك آراءكم ونصائحكم . وغرضي من كل هذا ان تأخذ مجلة « المقتطف » وظيفة المعلم العملي بكل معنى الكلمة . (وهي ما لم توفها الحق الذي يليق بها للآن) بجانب وظيفة المعلم النظري التي لا شائبة من انَّ « المقتطف » قد وفَّاها اكثر من حقها

ثم اسمح لي يا سيدي ان ألاحظ ان القسم الزراعي والصناعي في مجلتكم ضئيل بالنسبة للقسم العلمي . واني لا انكر ان لكم اعذاراً وجيهة في ذلك ولكن ثقتي باقتداركم وتقديري للخدم العظيمة التي يقوم بها المقتطف يدفعني ان اقول انهُ آن لكم ان تحاولوا لاجل المصلحة العامة توسيع القسم الزراعي والصناعي وترقية تحريرهِ ولكم الحق الكامل بما للمقتطف من الايادي على الامة المصرية ان تطالبوا الحكومة علنيًّا بمساعدة مالية في سبيل ذلك . وان تطالبوا متعلمي الامة بفتح اكتتاب لهذا السبيل . ولا اقصد بهذا تبرعاً من الناس بلا مقابل (ولو حدث ذلك لما كان فيهِ مؤاخذة لان المقتطف اصبح اثراً تاريخيًّا في الامة ويجب صونهُ واجلالهُ . كما انهُ اصبح قوة من اعظم القوى الاصلاحية فيها ولذلك يجب العناية بتعهدها وتهذيبها وتنميتها) بل اقصد الاكتتاب على سبيل الاشتراك . والقيمة التي تُدفع في المقتطف

لا تساوي عُشر فوائدهِ ولذلك اعدّ من الخطل استعمالي لفظة « اكتتاب » في هذا المعنى

هذا موضوعٌ فرعي جنحتُ اليهِ لرغبتي في ان يزداد نفع « المقتطف » وان يكون قوة فعَّالة في الامة . وحبذا لو عنيتم بذكر ما ترونهُ اصلح من الوسائل التي تؤدي الى تكبير حجمهِ وزيادة عدد مباحثهِ وتوسيع نطاق ابوابهِ الحالية . ليكون منهُ النفع المرغوب فيهِ . ثم اعود للموضوع الاصلي فارجو ان يحوز سؤالي قبولكم . واذا لم ينل هذا القبول فلعمري لستُ ادري اية صحيفة في مصر اقدر من « المقتطف » على درس علل الامة الاقتصادية . وشرح وسائل الاصلاح وقيادة الرأي العام المصري نحو الاستقلال المالي

لندن مصري

[المقتطف] نشكركم على حسن ظنكم بالمقتطف وقدرهِ هذا القدر واذا جرى كل اخوانكم طلبة العلم في اوربا مجراكم في الاهتمام بمصالح القطر المصري الحقيقية دون سواها لم تمر عليهِ عشر سنوات او عشرون سنة حتى ينال اكثر ما يبتغيهِ من الرقي الصحيح . ولو اطلعتم على الاثنين والاربعين مجلداً التي صدرت من المقتطف الى الآن لوجدتم اننا لم نترك باباً من الابواب التي اشرتم اليها الاَّ ولجناهُ غير مرة وتكلمنا فيهِ بالاسهاب تارةً بالحث والترغيب وطوراً بنشر الفصول المتوالية في كل ابواب الزراعة والصناعة حتى لقد اقتطف احد اصدقائنا من المقتطف كتاباً كبيراً في الصناعة طبعهُ ونشرهُ واكثر ما فيهِ منقول عن المجلدات العشر الاولى . ولو جمعت الفصول الزراعية التي نشرناها لملأَت بضعة مجلدات وكثير منها ومن الفصول الصناعية عمليٌّ مبني على ما عملناهُ او جربناهُ بيدنا . وهاكم فصلاً مدارهُ الترغيب في الصناعة نشرناهُ منذ ٢٤ سنة

« افتتحنا السنة الثانية عشرة بمقالة موضوعها " مدارس الزراعة ومجامعها " شرحنا فيها احوال تلك المدارس في اوربا واميركا وما جناهُ الاوربيون والاميركيون من نفعها عسى ان نغري بعض القراء الكرام بالاقتداء بهم . واننا مستفتحون هذه السنة الرابعة عشرة بشرح وجيز لمصادر الصناعة ومواردها وتسابق الممالك في مضمارها عسى ان نغري اهل الوطن باقتفاء آثارهم فان التمثُّل بالكرام فلاحٌ . والحقائق حريَّة بالذكر ولا بدَّ لها من نفعٍ عاجلٍ او آجلٍ ولذلك لا نضنُّ على المقتطف بحقيقة نطَّلع عليها آملين ان نجد بين الالوف من قرَّائهِ من يصغي اليها سمعاً فينتفع بها وينفع غيرهُ

« من يجُل في اسواق المشرق ويتفحَّص البضائع التي فيها يجد اكثرها وارداً من اوربا واميركا . وما صُنع منها في المشرق من مثل المراجل النحاسية والادوات الحديدية قد جلبت

موادهُ من أُوربا ايضاً مسبوكةً مهيَّأةً . والحال الحاضرة طرأَت على البلاد من عهدٍ غير بعيد فقد عاش اجدادنا ولم يروا شيئاً من بضائع اوربا وعاش اجدادهم واسواق اوربا غاصَّة بمصنوعاتهم والدهر في الناس قُلَّب

« ومن يلتفت الى اهتمام الاوربيين بالصناعة واناطة خدمتها برجال السياسة ورجال العلم وبذلهم النفس والنفيس في سبيل اتقانها وتوسيع نطاقها وترخيص ثمن المصنوعات وتسابقهم الى عرضها على تجار المشرق وامهالهم اياهم بالثمن اشهراً بل سنين واهتمام الدول نفسها بامر الصناعة والتجارة حتى كأنها لم توجد الاَّ لترويج بضائع رعاياها ثم يلتفت الى اهمالنا نحن واحتقارنا للصناعة والصنَّاع وابتعادنا عن كل ما يأول الى اتقانها واتساع نطاقها وارتباطنا مع دول اوربا بمعاهدات دولية تقضي علينا بترويج بضائعهم وتكسيد بضائعنا — من يلتفت الى ذلك كلهِ يحكم انهُ قد قُضي علينا باهمال الصناعة ابد الدهر وانها لن تقوم لها قائمة عندنا . ولكنَّ التسرُّع في الحكم اقرب الى الخطإِ منهُ الى الصواب فهلمَّ بنا ايها الباحث ننظر في تاريخ الصناعة الحديث عسانا ان نهتدي الى ما ينبئنا بمستقبلها في بلادنا

« اقبل القرن التاسع عشر ومملكة فرنسا نازفة الدماء بائرة الصناعة وايطاليا والمانيا خائرتا القوى مقطَّعتا الاوصال من غزوات بونابرت وحروبهِ المتوالية وليس في اوربا كلها الاَّ بريطانيا العظمى ملكة البحار مستعزَّة في جزائرها مستغنية بمهاجرها فنهضت الصناعة فيها نهضة جبَّار لم ترَ مثلهُ العصور الخالية وفي اقل من سبعين سنة (اي من سنة ١٨١٠ الى سنة ١٨٧٨) زاد الفحم الحجري المستخرج سنويًّا من مناجمها من ١٠ ملايين طن الى ١٣٨٠ مليون طن وزادت سفنها التجارية ثلاثة اضعاف ومدَّ فيها خمسة عشر الف ميل من السكك الحديدية وبلغت ثروة اهاليها حدًّا لم تبلغهُ ثروة أمةٍ أُخرى قبلهم فانفقوا على الاعمال الصناعية الف مليون ومئة واثني عشر مليونًا من الجنيهات . ولكنَّ ضعف فرنسا لم يكن ليميتها وبلادها من اخصب البلدان وشعبها من اشد الشعوب نشاطاً واكثرهم اقداماً فالتأمت جراحها حالاً وتقاطر عمَّالها الى مدائنها فهبَّت صناعتها بعد سباتها وناظرت الانكليز في مصنوعات كثيرة . والآن تُقدَّر المصنوعات الصادرة من بلادها بقيمة نصف المصنوعات الصادرة من بلاد الانكليز . واقتفت المانيا خطواتها ولاسيما بعد الحرب الاخيرة وعزَّزت الصناعة بالعلوم الطبيعية والكيماوية والهندسية وهي ممتازة بها على غيرها من الممالك فاستغنت عن مصنوعات الانكليز بل صارت مناظرةً لهم في اسواق المشرق لان معاملها ابتدأَت حيث انتهت معامل منشستر وليفربول بعد اختبار مئة عام . والآن دخلت روسيا في ميدان الصناعة

على جواد لا يعرف العثار وابتدأت في صناعتها حيث انتهت انكلترا والمانيا اي انها استخدمت احدث الآلات والادوات واكثرها اتقاناً . وفي عزمها ان تستغني عن بضائع انكلترا والمانيا وتكتفي بمصنوعات بلادها . واقتدت بها النمسا والمجر وايطاليا واسبانيا والهند والبرازيل والمكسيك . وكل هذه الممالك قد نهضت في هذه الايام ورحَّبت بالصناعة واحلتها محل الكرام . وسبقتها الى ذلك الولايات المتحدة الاميركية فناظرت بمصنوعاتها ممالك اوربا كلها . وهاك تفصيل ذلك مبتدئين من مملكة الروس لانهُ كان يظن انها بلاد زراعية محضة لا يرتجى تقدم الصناعة فيها

« كان في بلاد روسيا الوسيعة وفي بولاندا التابعة لها سنة ١٨٦١ نحو اربعة عشر الف معمل بين صغير وكبير وقيمة ما يصنع فيها في السنة ٢٩٦ مليون روبل فصار عدد المعامل بعد عشرين سنة ٣٥١٦٠ معملاً وقيمة ما تصنعهُ في السنة ١٣٠٥ ملايين روبل . ولم يزد عدد الصناع منذ سنة ١٨٧٩ الى الآن زيادة تذكر ولكنَّ مصنوعاتهم تضاعف مقدارها وهذا يدلُّك على اتقانهم للصناعة واستخدامهم احسن الآلات والاساليب الصناعية . هذا في المعامل الكبيرة واما المعامل الصغيرة المتعلقة بالزراعة فحدّث عنها ولا حرج لانها انتشرت في كل البلاد وصار عدد المشتغلين بها سبعة ملايين فاكثر وقيمة مصنوعاتهم في السنة اكثر من مئة وثمانين مليونًا من الجنيهات . وحول موسكو وحدها من الحاكة الصغار ما يبلغ ثمن منسوجاتهم اربعة ملايين جنيه ونصف مليون في السنة . وحتى الآن لم تصر روسيا في غنى تام عن بضائع الانكليز والالمانيين ولكنَّ احتياجها اليهم يقلُّ سنةً بعد أُخرى فقد كانت قيمة الوارد اليها من البضائع الانكليزية سنة ١٨٧٢ نحو ١٦ مليونًا وثلث مليون من الجنيهات فهبطت سنة ١٨٨٤ الى ١٣ مليونًا ونصف مليون . والسبب الاكبر لتقدُّم الصناعة في روسيا انها وضعت مكوساً فاحشة على البضائع الاجنبية فاضطرَّ اصحاب المعامل الكبيرة من الانكليز والالمانيين ان يتركوا بلادهم و يأتوا بلادها و ينشئوا المعامل فيها تخلُّصاً من المكوس فتقدمت صناعة البلاد وقلَّ طلبها للبضائع الاجنبية . و يقال انهُ لو زالت الآن المكوس الفادحة واطلقت حرية التجارة ما كان ذلك ليضعف صناعة روسيا اذ قد رسخت قدمها في البلاد ومواردها كثيرة فيها وابواب الرزق واسعة والاجور رخيصة لانها بلاد زراعية ولا ترخص الاجور الاَّ اذا كثر الطعام في البلاد ولا يشبع الفلاح الاَّ من خير ارضهِ . ويقال انهُ اذا زاد المشتغلون بالصناعة ثلاثة اضعاف فالبقية كافية لزراعة البلاد

« و بلاد المانيا دخلت ميدان الصناعة منذ عهد حديث ولكنها تأهَّبت لهُ بالعلوم

والمعارف ففازت بالسبق في برهة وجيزة فانهُ لم يكن يرد الى بلادها منذ خمس وعشرين سنة سوى ٨٣٠٠ طن من القطن ولم يكن يصدر منها سوى ٨٣٠ طنًّا من النسيج القطنية فبلغ الوارد اليها سنة ١٨٨٤ مئة وثمانين الف طن من القطن والصادر منها ٢٥ الف طن من النسج القطنية و ٢١ الف طن من النسيج الصوفية . وكان عدد مغازل الكتان في اوربا سنة ١٨٨٤ مليونين وسبع مئة الف وفي المانيا وحدها ثلثمئة الف مغزل وفيها الآن ٨٧ الف نول لنسج الحرير وقيمة منسوجاتها الحريرية تسعة ملايين جنيه في السنة ولا يفوقها في هذه الصناعة الاَّ فرنسا . وقد انتشرت بضائع المانيا في الدنيا وناظرت بضائع انكلترا في كل الاسواق ولاسيما لانها ارخص من البضائع الانكليزية وناظرت بضائع فرنسا في اسواق فرنسا نفسها

« اما فرنسا فقد ملكت زمام تربية القز ونسج الحرير واشتهرت مدينة ليون بحل الحرير وصبغهِ ونسجهِ ثم ضُرب دودها بالضربة المعروفة فاضطرَّت ان تجلب الحرير المحلول من ايطاليا واسبانيا والنمسا وبر الاناضول وبر الشام وبلاد اليابان وكان الحرير الوارد اليها سنة ١٨٧٦ نحو احد عشر مليونًا من الارطال (المصرية) نسج كلهُ في مدينة ليون وما جاورها فاغنى الصناع بثمنهِ ولكن لم تكن هذه الصناعة لتنحصر في ليون ولا في فرنسا فانشئت لها معامل كثيرة في المانيا وسويسرا وايطاليا وبعد ان كانت قيمة الصادر من منسوجات ليون ٤٦٠ مليونًا من الفرنكات صارت ٢٣٣ مليونًا . ويقال ان نصف المنسوجات الحريرية التي تستعمل الآن في فرنسا تُجلَب اليها من الخارج من ايطاليا وسويسرا ونحوها بل ان روسيا نفسها تكاد تستغني عن منسوجات فرنسا الحريرية لان معامل بلاد القوقاس تنسج حريرًا يفوق في رخصهِ حرير فرنسا وقد اشتدَّ الضيق على الحاكة في مدينة ليون سنة ١٨٨٤ حتى كادوا يموتون جوعًا لو لم تطعمهم الحامية من جرايتها

« وقد كانت قيمة واردات فرنسا سنة ١٨٨٦ نحو ٢٠٥ ملايين جنيه وقيمة صادراتها نحو ١٧٠ مليون جنيه وزيادة الوارد على الصادر دليل قاطع على انحطاط صناعة فرنسا عمَّا كانت عليهِ

« والصناعة في النمسا والمجر حديثة العهد ولكنها قد نجحت نجاحًا عظيمًا فبلغ مقدار مصنوعاتها سنويًّا مئة مليون جنيه وكل الآلات والادوات التي فيها من احدث ما اختُرع واستُنبط الى عهدنا هذا والمعامل مضاءة بالنور الكهربائي . ومن ادلة تقدمها ان واردات البلاد بلغت منذ سنتين نحو ٥٤ مليون جنيه وصادراتها نحو ٩٧ مليون جنيه

« وايطاليا لم تحجم عن ميدان الصناعة بل ازجت جوادها بعزيمة الابطال — ومن اول اغراض رجالها ان تستقل بنفسها عن كل الممالك وتسترجع مجدها الاول . ومما يدل على تقدم الصناعة فيها في السنين الاخيرة انها استوردت من الفحم الحجري سنة ١٨٧١ اقل من ٧٨٠ الف طن وسنة ١٨٨٤ اكثر من مليونين وتسع مئة الف طن . وزادت المعادن المستخرجة من مناجمها في الخمس عشرة سنة الاخيرة ثلاثة اضعاف وصنعت من الفولاذ والآلات الحديدية ما ثمنهُ ثلاثة ملايين جنيه وكان الوارد اليها من القطن الشعر سنة ١٨٨٠ نحو ٢٩٠ الف قنطار فبلغ سنة ١٨٨٥ نحو ٦٠٠ الف قنطار وكان فيها مليون مغزل سنة ١٨٧٧ فبلغ عدد مغازلها سنة ١٨٨٥ مليوناً وثماني مئة الف

« وبرازيل البعيدة عن مركز التمدن كان المظنون عند علماء الاقتصاد انها ستبقى ابد الدهر مثل مصر تزرع القطن وتبعث بهِ الى اوربا وتجلب المنسوجات منها . ومنذ عشرين سنة كان فيها ثلاثة معامل صغيرة فيها ٣٨٥ مغزلاً اما الآن فقد صارت معاملها ٤٦ معملاً وفي خمسة من هذه المعامل اربعون الف مغزل . وينسج فيها كل سنة ثلاثة وثلاثون مليون يرد من المنسوجات القطنية

« ولندع بلاد المغرب عند هذا الحد لئلاً ندخل الولايات المتحدة بلاد الغرائب ولنقفل راجعين الى المشرق الى بلاد الهند التي كان الانكليز يعتمدون عليها في تجارتهم ولاسيما في بيع منسوجاتهم القطنية فانها كانت تبتاع منهم في السنة باكثر من عشرين مليون جنيه اما الآن فقد انشأت المعامل لنفسها ووسعتها فنسجت سنة ١٨٦٦ نحو ٢٣ مليون رطل من القطن الشعر ثم زاد ذلك رويداً رويداً حتى بلغ ما نسجتهُ سنة ١٨٨٦ مئة واربعة وثمانين مليون رطل وكان فيها اولاً نحو ٨٨٦ الف مغزل فصار فيها اكثر من مليونين وسبعة وثلاثين الف مغزل وكان فيها ٨٥٣٧ نولاً فصار فيها ٦١٥٩٦ نولاً . ولا مانع يمنعها عن مزاحمة كل ممالك اوربا في اسواق الدنيا الاّ قلة راس المال فيها وقلة انتشار المعارف ولكن اغنياء الارض يرسلون اموالهم حيث تربح الارباح الطائلة والعلم لا وطن لهُ فينتشر في كل مكان تعدُّ لهُ فيهِ الوسائط واهل الهند من الحذق الطبيعي في الصناعة على جانب عظيم كما تشهد مصنوعاتهم كلها

« وسيرى ابناؤُنا مخازن الهنود والبضائع الهندية منبثَّة في اسواق مصر والشام ان لم ينتبه القطران من غفلتهما . نعم ان الزراعة قسمة القطر المصري ونعم القسمة ولولاها ما عاش فلاَّحهُ ولا استطاعت البلاد ان تقوم بحمل الدَّين الذي عليها ولكنَّ الصناعة يجب ان

لا تموت فيهِ لاسيما وان فروعاً كثيرة منها يمكن ان تنجح فيهِ وتغنيهُ عن غيرهِ . واما القطر السوري فالحديد والفحم الحجري كثيران فيهِ وهما عماد الصناعة وكذلك الحرير والزيت والعقاقير الطبية وفيهِ خلفاء الفينيقيين الذين غصَّت اسواق المسكونة بمصنوعاتهم واخترقت سفائنهم البحار الشاسعة وانهال المال عليهم انهيال السيول . ولو كان ام الارض في غفلة كما كانوا في العصور السالفة لهان علينا ان نسابق صنَّاعهم وتجَّارهم اما وقد جعلوا اتقان الصناعة وتوسيع التجارة غرضهم الاول الذي يحشدون لهُ الجنود و ينشئون لهُ البوارج فلن نجاريهم الاَّ اذا جعلت الحكومة ذلك غرضها الاول وسعت اليهِ باسبابهِ وشأنها في ذلك شأن كل رجل حكيم ينفق مئة ليربح الفًا

« هذا ويحق للمقتطف ان يقف وقفة من خبر حال البلاد وعرف مطالبها مدة اربع عشرة سنة وقاسم صنَّاعها البحث والتنقيب عن اساليب الصناعة ومكنوناتها و يشهد ان في البلاد عقولاً ذكية وهمماً علية وايادي لا تعجز عن عمل وصبراً لا يعرف الملل . ولكنَّ الجواد يكبو حيث تكثر المعاثر والصارم ينبو عن دلاص المغافر . وقد علمتَ ان صنَّاع اوربا واميركا وهم ارباب الصناعة وولاة امرها يستنجدون بحكوماتهم على تذليل الصعاب ورفع ما يحول دون ترويج بضائعهم من العقاب ولو بغزو الممالك واقتحام المهالك فلن نجاريهم بل لن نعيش في جوارهم ما لم تهبَّ جميع عناصر الوطن وتواصل السهر بعين لا تعرف الوسن

وكيف تنام الطيرُ في وكناتها وقد نُصبت للفرقدين الحبائلُ

« وقد اخبرنا حضرة ناظر المعارف العمومية صاحب السعادة علي باشا مبارك انهُ اعدَّ المعدَّات لمدرسة صناعية في مدينة المنصورة وفي نيتهِ ان يجعلها مقدمة لمدارس اخرى تنشأ على شاكلتها فحمدنا الخبر ورجونا عود الصناعة الى هذا القطر والعود احمد . ولكنَّ ذلك لا يسدُّ كل حاجة البلاد بل لا بدَّ من تسهيل السبل ايضاً لاصحاب الاموال حتى ينشئوا المعامل كما أُنشئَ معمل تكرير السكَّر في مصر ومعمل الورق في سورية فان المعمل من هذه المعامل يقوم بالوف من العملة العاملين فيهِ مباشرةً كالعمال انفسهم او غير مباشرةٍ كجالبي المواد الاصلية وناقلي المصنوعات و بائعيها . وانَّا لعلى ثقة ان اولياء امورنا يأخذون بيد كل من يسعى في ادخال الصناعة الى البلاد فلا يحجمنَّ احدٌ عن هذا المسعى المشكور ولا يتوقعنَّ الاَّ النجاح باذن الله وهو على كل شيءٍ قدير » انتهى

هذا ما كتبناهُ منذ اربع وعشرين سنة . اما صناعة غزل القطن ونسجهِ فغير ممنوعة في القطر

المصري الآن ولكنها مقيدة اذا كانت في معامل كبيرة بدفع رسم يساوي رسم الجمرك على المغزولات والمنسوجات الواردة من الخارج لسبب سياسي لا محل للبحث فيهِ في المقتطف. ولكن لو زال هذا القيد أكنا نشير بانشاء المعامل الكبيرة لغزل القطن ونسجهِ: هذه مسألة فيها نظر. ونقول من باب تجاري انهُ لو رُفع هذا القيد وانشأ احد الوطنيين او غيرهم معملاً للغزل والنسج في مصر وجعل رأس مالهِ اسهماً وعرضها للبيع لم نشترِ سهماً منها لعلمنا ان الغرش من رأس المال لا يصفي نصف غرش والمرجح انهُ لا يربح شيئاً. واسباب ذلك كثيرة بعضها كان معروفاً من قبلُ وبعضها لم يكن معروفاً. فمن الاسباب المعروفة اولاً ان القطن المصري غالي الثمن فلا تصنع منهُ الاَّ المصنوعات الغالية وهذه لا سوق لها في القطر المصري ولا يحتمل انهُ يستعمل منها فيهِ في السنة ما ثمنهُ مئتا الف جنيه نصفها مصانعة ونصفها ثمن قطن فكل ما يستعمل فيها من القطن المصري عشرون الف قنطار وهي ليست شيئاً مذكوراً في بلاد يزيد موسمها او ينقص مليون قنطار في السنة الواحدة

ثانياً اذا كثرت المعامل وكثرت منسوجاتها يتعذر علينا ان نناظر منسوجات انكلترا في اسواق الهند مثلاً او في اسواق اوربا واميركا لان ليس عندنا سفن تجارية لنقل بضائعنا. ونقلها بالسفن الاوربية يكلفنا اكثر مما يكلف الانكليز نقل بضائعهم فتعود منسوجاتنا علينا بالخسارة

ثالثاً ان انشاء المعامل الكبيرة يقتضي رأس مال كبيراً ولا بدَّ من جلب رأس المال من اوربا واما ان نستدينهُ نحن ونستعملهُ او يقدمهُ الاوربيون ويبتاعون اسهم المعامل بهِ فاذا جاءت هذه المعامل بربح لا بخسارة فربحها للذين قدَّموا رأس المال

رابعاً ان اربح معامل الغزل والنسج في اوربا واميركا لا يزيد ربحهُ لاصحاب رأس المال على ستة في المئة ونحن اذا استدنا المال لانشاء هذه المعامل وبلغ ربحها اعظم ما يبلغهُ في اوربا واميركا بعد دفع ضريبة الجمرك لم يزد على الربا الذي ندفعهُ للذين نستدين منهم المال هذا اذا ربحنا شيئاً

خامساً انهُ يستحيل ادارة المعامل من غير قوة مائية او بخارية والقوتان معدومتان في القطر المصري حيث يحتمل اقامة معامل الغزل والنسج. وجلب الفحم الحجري من اوربا يذهب باكثر الربح

سادساً ان العمال الذين يعملون في المعامل لا يكتسبون منها الاَّ القوت الضروري والغالب ان اصحاب المعامل يقيمون لهم دكاكين الى جانب المعامل فيها مواد الطعام والشراب

واللباس فالذي يأخذهُ العامل من المعمل اجرة يعطيهِ لاصحاب هذه الدكاكين فيعيش ليعمل ويعمل ليعيش من يدهِ الى فمهِ . وعمال المعامل اسوأُ الناس حالاً لان الواحد منهم لا يتقن الاَّ فرعاً واحداً من العمل فلا يستطيع ان يستقل بهِ كالعامل الصغير الذي يعمل في بيتهِ او دكانهِ

هذه الامور او العقبات كنا نعلمها قبلاً فلا نشجع على انشاء معامل الغزل والنسج الاَّ لتربح فرق الجمرك ثم ظهرت عقبة اخرى كؤُود كان لها اليد الطولى في ابطال معمل الغزل والنسج الذي انشئ في القاهرة فوق ضريبة الجمرك وهي جفاف الهواء وتولد الكهربائية بكثرة بين الياف القطن فيدفع بعضها بعضاً لانها مكهربة من نوع واحد وتتطاير في المعمل فتغل ايادي العمال وتسد انفاسهم فاضطرَّ مديرو المعمل ان يطلقوا البخار فيهِ دواماً لترطيب هوائهِ وتقليل تولد الكهربائية فيهِ فلم يفلحوا على ما بلغنا واخيراً افلس المعمل وخسر المشتركون فيهِ اموالهم ونحن منهم

ولا نتذكر اننا كتبنا شيئاً في المقتطف عن زوال القيد المشار اليهِ آنفاً ولا نحن من المستحسنين لهُ ولا هو بالشيء الوحيد في روابط القطر المصري السياسية التي لا نستحسنها بل نود الغاءها عاجلاً او آجلاً

اما غزل القطن ونسجهُ في المعامل الصغيرة كما في المحلة الكبرى فلا قيد عليهِ وهو صناعة قديمة في القطر المصري ويجب ان تنشَّط بكل واسطة ممكنة هي ونسج الصوف والحرير وكل الصنائع البيتية او التي يعملها عمَّال مستقلون وتحتاج البلاد اليها وتغنيها عن المصنوعات الاجنبية واذا زاد منها شيءٌ وارسل الى البلاد المجاورة كسورية والسودان فبها ونعمت . ويظهر لنا ان البلاد سائرة في هذا السبيل ولو ببطءٍ

اما تكبير المقتطف حتى يسع كل ما يراد نشرهُ من المواضيع الاقتصادية التي اشرتم اليها فنحن نفكر فيهِ الآن فاما ان نقدم عليهِ في السنة المقبلة او التي بعدها ولا يؤَخرنا عنهُ الآن الاَّ قلة وجود الكتَّاب الذين تفي كتاباتهم بالمراد . لان من اكبر العقبات عندنا ان الذين يحسنون الكتابة في المواضيع الاقتصادية قلما يحسنون الانشاء العربي او الكتابة التي لا تنبو عنها آذان المتعلمين . والذين يحسنون الانشاء قلما يستطيعون الكتابة في هذه المواضيع . ونرجو ان يقوم منكم ومن امثالكم من يتناول منا القلم الذي مرَّ عليهِ في يدنا اكثر من اربعين سنة قبل ان يجم الاجل فيسقط من نفسهِ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المسامرة الثانية

في السموم المرضية

السموم المرضية نوعان الاول ما يتولد داخل الجسم والثاني ما يأتيهِ من الخارج

فسموم النوع الاول هي الفضلات الغذائية التي يحول دون افرازها عن طريق الكليتين عائق في وظيفتهما فتجتمع في الدم وتسم البنية كما يحدث في التسمم البولي

والسموم التي تأتي من الخارج هي المواد الكيماوية البسيطة او المركبة المعدنية او الآلية من اصل حيواني او نباتي وهي كثيرة لا محل لتفصيلها هنا فنقتصر على السموم التي يتعرض لها الانسان كثيراً او يتعاطاها بكثرة وهو يجهل فعلها

لكل سم فعل خصوصي ولكل جسم استعداد خصوصي او قابلية خصوصية للتأثر يجب الانتباه لها لان اهميتها لا تقل عن اهمية فعل السم. فمن الناس من لا يستطيع احتمال اقل جرعة من الكحول ومنهم من يشربهُ بكميات كبيرة . واعرف بعضاً لا يحتمل اقل جرعة من يودور البوتاسيوم ويُسَمُّ بجرعة خمسة سنتغرامات منهُ واعرف ايضاً عائلة لا تحتمل اقل جرعة من الكينا وبعض السنتغرامات منها تسبب لافرادها انزفة دموية مختلفة . وبعض الاشخاص يتسمم من اكلة سمك او من اكل بعض المحار او من اكل البيض. وهذا مما يوجب الانتباه لتعيين المسلك الذي يجب ان يسلكهُ صاحب الاستعداد الخصوصي

كل ما يدخل جوف الانسان يكون غذاء او دواء او سماً على درجة محدودة وظروف خصوصية اذا لم تراعَ تحولت في فعلها من الواحد الى الآخر لان تسميتها نسبية وفعلها ايضاً نسبي" . فالغذاء لا يكون غذاء الا اذا أُخذ بالقدر اللازم لحاجة الطبيعة ليقوم بتعويض القوة التي فقدت بقضاء وظائف الاعضاء فاذا أُخذ بافراط او فاسداً او في غير الوقت المناسب اصبح سماً وكان داعياً للمرض. واذا قضت الظروف بتعيين غذاء خصوصي دون غيره من بقية الاغذية كاللبن في مرض البول الزلالي وخبز النخالة (السن) في البول السكري و كطعام

المرضى والناقهين من المرض اصبح الغذاء دواء · والعقار اذا اخذ بالجرعة القانونية و بالوقت الموافق كان دواء للشفاء واذا اعطي لاصلاح البنية كالحديد في فقر الدم وزيت السمك في الهزال اصبح غذاء واذا زادت جرعتهُ عن الحد القانوني او استعمل في ظروف غير موافقة اصبح سمًّا. ومثلها السم فهو سم وغذاء ودواء في ظروف شبيهة بما ذكر · وهذا ما يجب اعتبارهُ والانتباه لهُ لان السم ليس فقط ما يؤخذ بطريقة السهو او للتعدي او الانتحار بل هو كل مادة من المواد التي يستعملها الانسان في غذائهِ وشرابهِ وكان استعمالهُ لها لا يتفق مع الغاية الموضوعة لها

اذا راعينا هذا المبدأ وجدنا ان السموم التي يعرض لها الانسان كثيرة وهو يتسمم بها جهلاً او بعدم انتباهٍ لان الشراهة في االطعام والاطعمة الفاسدة والمشروبات المغشوشة هي سموم مرضية واسباب لامراض كثيرة كان اجتنابها ممكنًا لو روعيت فيها الظروف الصحية · ومثل ذلك يقال عن المشروبات الروحية والتدخين واستنشاق الهواء الفاسد في الاماكن التي يكثر فيها الازدحام وعدم ترتيب المعيشة والعادات السيئة الخ

والسم يدخل الجسم من طريق المعدة او الرئتين او الجلد · اما في المعدة فيتنوع فعلهُ بحسب كونها فارغة او ملآنة فاذا كانت فارغة امتصهُ غشاؤُها المخاطي بسهولةٍ واذا كانت ملآنة امتزج بالطعام الذي فيها فيقل فعل الامتصاص وربما يتغير تركيبهُ الكيماوي بامتزاجهِ بحامض المعدة فيضعف فعلهُ السمي الاَّ ان بعض السموم يزيد فعلها بهذا الامتزاج

اما الرئتان فتمتصان من السموم الغازات والابخرة السامة كاكسيد الكربون وهيدروكربونات الامونياك وغاز المراحيض الخ

واما الجلد فهو حاجز مانع للمواد غير الكاوية ولكن اذا سمجت البشرة ولامس السم نسيج الأَدَمة فانها تمتصهُ بسرعة تختلف بين كثرة وقلة

وفعل السم اما ان يكون حادًّا وسريعًا فيميت في وقت قصير او بطيئًا ومزمنًا فيحدث انحرافًا في الانسجة كالانحرافات العصبية والحشوية · وتمتاز بعض السموم بالميل الى استمرار استعمالها واحتمال جرعات كبيرة منها بحيث تصبح كغذاء لازم للجسم لان قطعها فجأَةً يحدث عوارض ثقيلة ومميتة ومن امثلتها الكحول والمورفين فان مدمن الكحول يصاب بارتجاف الاطراف و يشعر بهِ كل صباح و يزول موقتًا بعد ان يتناول كمية من المشروب الذي اعتاد عليهِ وهذا ما تسميهِ العامة كسر الخمرة · ومدمن المورفين يصاب بدوار وقيءٍ واسهال وتهييج عصبي يقرب من الجنون فتزول بعد اخذ الكمية المعتادة من المورفين

و يحصل التسمم غالبًا من عدم الانتباه او الوسخ او ضعف الارادة او الشراهة · فعلى

الانسان ان يكون شديد الانتباه وقوي الارادة ومعتدلاً فيتقي بذلك شرًّا يدفعهُ الى الموت عاجلاً او آجلاً

لا محل هنا للكلام على انواع السموم وشرح اعراضها وكيفية علاجها لان ذلك من مباحث الكتب الطبية الخاصة . وغايتنا في هذه المسامرات التنبيه الى ما يجب على الانسان ان يسير عليهِ في اعمالهِ اليومية والاقتصار في الكلام على بعض السموم التي يتناولها كل يوم وهو لا ينتبه لها او كان لهُ منها بعض اللذة الوقتية وهي تقطع كل يوم وصلاً من اوصال حياتهِ كالمشروبات الروحية واستعمال الحشيش والافيون واستنشاق الهواء الفاسد

الدكتور امين ابو خاطر

النظافة والفساد

رأينا بالامس ديكاً روميا ذبح ونظف وعلق في مجرى الهواء وترك الى اليوم التالي ليطبخ فيهِ ولما طبخ ظهر ان لحمهُ قد فسد ابتدأ الفساد في ساقيهِ فافسد كل لحمهِ الاحمر واما لحم صدرهِ الابيض فلم يكن الفساد قد تطرق اليهِ . وحار الطباخ في امرهِ وعرض المسألة علينا فقلنا لهُ لعلك علقتهُ بكلاب من حديد فقال نعم فقلنا والظاهر انك تعلق اللحم دائماً بهذا الكلاَّب فقال نعم . فابنا لهُ ان اثر اللحم الذي يبقى لاصقاً بالكلاَّب يقع عليهِ ميكروب الفساد من الهواء وينمو فيهِ فيصير بؤْرة للفساد حتى اذا علِّق لحم جديد بهِ اتصل ميكروب الفساد اليهِ حالاً وعاش فيهِ وافسدهُ وهذا سر ظهور الفساد في ساقي الديك وقلنا لهُ يجب ان تحمي هذا الكلاب بالنار قبلما تعلق بهِ لحماً ففعل حسب وصيتنا ولم يعُد اللحم يفسد من تعليقهِ بهِ لان احماء الحديد بالنار يميت كل ما يمكن ان يكون عالقاً بهِ من ميكروبات الفساد

هذا والهباء الذي يكون متطايراً في الهواء قلما يكون خالياً من ميكروبات الفساد ونحوها من الميكروبات الضارة او النافعة . ولا يخلو الهواء من الهباء ولو لم نرهُ فيهِ ولاسيما في المدن المزدحمة والاماكن الكثيرة الرياح والمواد الآلية الفاسدة . نظف لوحاً من الزجاج وابسطهُ امامك فلا تمر عشر دقائق حتى ترى سطحهُ قد تغطى بالهباء والغبار . ويسهل عليك ان ترى الهباء في هواء غرفتك اذا اقفلت بابها وشبابيكها وتركت فيها جزءا مفتوحاً من الشباك المتجه الى الشمس حتى يدخل شعاع الشمس منهُ فانك ترى في حبل النور الداخل الى الغرفة ما لا يحصى من دقائق الهباء واذا صفقت كفًّا على كف قرب حبل النور رأيت دقائق الهباء قد زادت فيهِ زيادة كبيرة جدًّا بما تطاير اليهِ من كفيك



ماريا ادجورث

المقتطف مجلد ٤٣ صفحة ٣٨٥

وذرات الهباء التي في الهواء مختلفة الانواع بعضها من المواد الجمادية كدقائق الرمل والملح والتراب وبعضها من المواد الآلية كبزور بعض النباتات وحثالة اوراقها واجزاء الحشرات والميكروبات ونحوها

واذا جمع مقدار من الغبار والهباء وحرق بالنار احترقت منهُ المواد الآلية واما المواد غير الآلية فلا تحترق. ويظهر بهذا الامتحان البسيط ان نصف الهباء مواد آلية والنصف الآخر مواد غير آلية وجانب كبير من المواد الآلية جراثيم او بزور تسبب الاختمار او المرض والموت

نترك اللبن مكشوفاً للهواء فلا يمضي عليهِ يوم او يومان حتى يختمر ويفسد بما يقع عليهِ من جراثيم الاختمار والفساد من الهواء ولو اغليتهُ وعقمتهُ قبل ذلك. ونترك اللحم مكشوفاً فينتن ويفسد بما يقع عليهِ من جراثيم الفساد اي ميكروبات الفساد. ونترك الطعام المطبوخ يوماً او يومين فيحمض او ينتن ويفسد والسبب في ذلك ما يقع فيهِ من جراثيم الفساد. ولكن اذا اغليت اللبن ووضعتهُ في اناء زجاجي نظيف وسددتهُ سدًّا محكماً بسدادة نظيفة فانهُ لا يحمض ولا يفسد ولو مرَّت عليهِ الشهور والاعوام. وقس على ذلك اللحم والطعام المطبوخ وكل ما يمكن ان يفسد فانهُ لا يفسد اذا نُزعت منهُ جراثيم الفساد ثم منعت من الوصول اليهِ. وكذلك اذا وضع اللحم والطعام في الصحراء النقية الهواء الخالية من جراثيم الفساد فانهما يجفان ولا يفسدان ولو مرَّت عليها الاعوام

وقد اعتاد الناس من قديم الزمان ان ينظفوا بيوتهم من الغبار والهباء بالكنس الاَّ ان المكانس لا تزيل كل الغبار بل تثير بعضهُ في الهواء

ماريا ادجورث

هي كاتبة ارلندية كثيرة الروايات الادبية ولدت في بداءة سنة ١٧٦٧ وظهرت عليها مخايل النجابة في حداثتها فانتبه لها ابوها وكان من كبار الكتَّاب والعلماء وطلب منها وهي في المدرسة وعمرها ١٣ سنة ان تكتب لهُ قصة صغيرة موضوعها الكرم وترسلها اليهِ في اليوم التالي ليوم وصول كتابهِ اليها فكتبت القصة وارسلتها اليهِ فاستحسنها جدًّا. ثم طلب منها ان تترجم لهُ قصة مدام ده جنلي « ادل وثيودور » فترجمت مجلداً منها وقبل ان تترجم المجلد الثاني ظهرت ترجمة هلكرفت فاضطرت ان تعدل عن اتمامها

وتوفيت امها سنة ١٧٧٣ فتزوج ابوها باخرى تلك السنة فتوفيت سنة ١٧٨٠ فتزوج

باختها فتوفيت سنة ١٧٩٧ فتزوج رابعةً بفتاة اصغر من ابنتهِ. وولد لهُ من نسائهِ ١٩ ولداً فاعتنى بتربيتهم على المبادئ العلمية وجعلها شغلهُ الشاغل ودرسهُ المتواصل . وكانت ابنتهُ صاحبة الترجمة تساعدهُ في ذلك وتكتب لهُ ما تراهُ من تأثير التربية في اخوتها واخواتها وكيفية ظهور الاخلاق المختلفة فيهم ودرجات نموها فألَّف كتباً في هذا الموضوع شاركتهُ في تأليفها . ولما عزم على التزوج بامرأتهِ الاخيرة كتب الى الدكتور دارون يقول « لقد عزمتُ ان اقترن بفتاة قليلة المال كثيرة الكمال صغيرة السن (بالنسبة اليَّ لانها لم تناهز الثلاثين) كبيرة العقل على جانب من الجمال وقدر طائل من الرزانة احببتها انا ورضي بها اولادي فاذا استطعت ان اقول مثل هذا القول بعد ثلاث سنوات فيكون السعد قد خدمني ان لم اقل اني حكيم » ولقد كان حكيماً يعمل حسب ما يعلّم فعاش مع هذه الزوجة بقية عمرهِ على تمام الوفاق ولما توفي عاشت مع ابنتهِ بقية عمرها

وكانت ابنتهُ صاحبة الترجمة قد اشتهرت بين ارباب الانشاء فانها الفت بالاشتراك معهُ كتاب التعليم العملي في مجلدين نشر سنة ١٧٩٨ والّفت روايات كثيرة وحدها بين سنة ١٧٩٥ وسنة ١٨٤٧ ووصفت في رواياتها احوال اهالي ارلندا كبارهم وصغارهم اغنيائهم وفقرائهم وصفاً بديعاً يضيق مسافة الخلف بينهم وبين اهالي انكلترا حتى قال السر ولتر سكوت المؤلف الشهير « ان هذه الروايات عرَّفت الانكليز باخلاق الارلنديين وارتهم ما في قلوبهم من الدعة وفي نفوسهم من مكارم الاخلاق حتى يصح لنا ان نقول انها ساعدت على اتحاد الامتين اكثر من كل القوانين والشرائع التي سنتها الحكومة لذلك . ولقد حاولتُ ان اقتدي بها واصف بلادي اسكتلندا كما وصفت هي بلادها ارلندا ولكن هيهات ان يدرك الظالع شأو الضليع لانني لا ادعي ان ابلغ مبلغها في ما رصَّعت رواياتها بهِ من حسن المحاضرة وشرف العواطف وسلاسة الانشاء »

وقال طرجنيف المؤلف الروسي المشهور « اني تلميذ ماريا ادجورث في صناعة الانشاء ومن المحتمل بل المرجح انهُ لو لم تكتب هي عن اهالي ارلندا لما خطر لي ان اكتب مثلها عن اهالي روسيا »

وسنة ١٨٠٢ ساحت مع ابيها في اوربا وزارت بلجكا وفرنسا والقيت مدام ركاميه ومدام ده جنلي وعادت من هذا السياحة وقد امتلأَت جعبتها بنوادر الاخبار فكتبت الرواية بعد الرواية واقبل الناس على قراءة رواياتها ايَّ اقبال . ثم زارت لندن مع ابيها سنة ١٨١٣ ولقيهما لورد بيرون حينئذٍ فقال عن ابيها انهُ شيخ في السبعين ولكن لا يظهر عليهِ

انهُ ناهز الخمسين ولا الثاني والاربعين احمر الوجه كثير الحركة طويل الحديث عالي الصوت » وقال عن ابنتهِ صاحبة الترجمة « انها صغيرة القد بعيدة عن الدعوى حديثها هادئ مثلها لا يظن سامعها انها تستطيع كتابة اسمها واما ابوها فيتكلم كمن يحسب انهُ ما من شيءٍ يستحق الكتابة غير اسمهِ »

وتوفي ابوها سنة ١٨١٧ فلم تنقطع عن التأليف وزارت السر والتر سكوت سنة ١٨٢٣ فردَّ لها الزيارة في ارلندا سنة ١٨٢٥ والَّفت آخر رواية من رواياتها سنة ١٨٤٧ وعمرها ثمانون سنة ومرضت فجأَة بعد سنتين وتوفيت بعد بضع ساعات

ورواياتها ترمي الى غرض واحد وهي تخفيف متاعب الحياة واصلاح طرق المعيشة وبث اسباب السرور والرضى في النفوس

الطبخ بالكهربائية

لا يخفى ان الكهربائية تستعمل الآن لتدفئة البيوت بحرارتها ولتبريدها بادارة المراوح الكهربائية كما تستعمل لانارتها بنورها . وقد استعملت ايضاً لطبخ الطعام كما استعملت للتدفئة . واول شيءٍ يخطر على البال هو هل تكون نفقات الطبخ بها مثل نفقات الطبخ على نار الحطب ونار الفحم او اكثر او اقل

وقد قرأَ الاستاذ مورس مقالة في مجمع تقدُّم العلوم البريطاني موضوعها الطبخ بالكهربائية بيَّن فيها النفقات اللازمة لذلك فقال

اذا استعمل الفرن الكهربائي الذي اتقن حديثاً قلَّت النفقة جدًّا فاذا كان في بيت خمسة او ستة واريد اعداد الطعام لهم يوميًّا في فرن كهربائي بلغ متوسط ثمن الكهربائية التي تنفق كل يوم نحو غرشين (او ٤٨٧ بنساً كل مئة يوم) واذا استعمل هذا الفرن لتسخين المياه اللازمة للبيت وحمامهِ بلغت النفقة ثلاثة غروش وثلاثة ارباع الغرش في اليوم

ولكن هذا حيث الكهربائية رخيصة كما في بلاد الانكليز لانهُ حسب ثمن الكهربائية التي تستعمل للاضاءة في ذلك البيت غرشاً وثلث غرش في الاسبوع وهي عندنا في القاهرة لا تقل عن عشرين غرشاً الى خمسين غرشاً في الاسبوع ولا امل بترخيصها ما دامت شركات الكهربائية مستبدة في اسعارها فتأْخذ ثمن المقدار الواحد من الكهربائية اكثر من عشرة اضعاف ثمنهِ في البلاد الاخرى

البيض المزدوج

البيض المزدوج اي ذو المحين نادر ولكن قلَّ من لم يرَ بيضة منهُ واذا استعمل للتفريخ فالغالب ان يخرج منهُ فرخ باربع ارجل او نحو ذلك . وسبب وجود محين في البيضة الواحدة ان مبيض الدجاجة ينمي محين في وقت واحد لشدة تهيجهِ بكثرة الطعام او نحوهِ فيدفعهما الى حيث تتكون القشرة عليهما فيكون من ذلك بيضة ذات محين وهي تمتاز بطولها

بيضة داخل بيضة

يحدث احياناً ان توجد بيضة داخل بيضة ولكن لا يكون للبيضة الداخلية زلال وسبب تكونها انها تندفع من المبيض الى القناة التي يتكون فيها الزلال والقشرة . والقناة تتقلص عادة وراءها ولكن في هذه الحالة تتقلص امامها وتعيدها الى المبيض فيجتمع حولها مع بيضة اخرى وتخرج الاثنتان معاً الى القناة حيث يتكون حولها البياض والقشر . وتقلُّص القناة كذلك سببهُ كثرة طعام الدجاجة او وجود مواد حريفة في طعامها

البيض الصغير الخالي من المح

تبيض الدجاجة احياناً بيضة صغيرة كبيضة الحمامة او اصغر والغالب انها آخر بيضة من بيضها في فصل البيض . وهذه البيضة لا تتكون في المبيض لان ليس فيها مح بل في قناة المبيض حيث يتكون بياض البيض وقشرهُ

فوائد منزلية

زيت اليوكالبتوس يزيل لطخ زيت الزيتون عن الثياب

اذا رش قليل من روح التربنتينا في الصناديق والدروج التي فيها ثياب صوفية منع العث من الوصول اليها . ويشترط ان يكرر رشهُ كل ثلاثة اشهر

اذا جمع قشر البرتقال وجفف فهو شعلة من اجود انواع الوقود

زيت اللوز يفيد الشعر الجاف لانهُ يلينهُ ويغذي اصولهُ ويجعلهُ لامعاً جميل المنظر

خير دواء لتقليل السمن تقليل الاكل ولكن لابدَّ من التدرُّج في ذلك تدرجاً

باب الزراعة

التفريخ في مصر

لقد كان من رأينا دائماً ان الاساليب الزراعية الجارية في القطر المصري اذا اتقنها اصحابها فهي من خير الاساليب الزراعية فالقمح يبلغ محصول فدانهِ ثمانية ارادب الى عشرة . وقد باهى الاستاذ وود رئيس قسم الزراعة في مجمع تقدم العلوم البريطاني بانهم انتقوا نوعاً من القمح واصلّوهُ فبلغ محصول الفدان منهُ في بلاد الانكليز اربعين بشلاً او نحو سبعة ارادب وثلث اردب . ومحصول فدان الذرة يبلغ عندنا احياناً ٢٥ اردبّاً وهو مهما جاد عندهم لا يبلغ ٢٠ اردبّاً . وفدان القطن يبلغ محصولهُ ١٢ قنطاراً كبيراً وليس لذلك مثيل في بلاد اخرى . ولكن بينما تجد فلاحاً يتقن خدمة ارضهِ حتى تغل هذه الغلة تجد جارهُ يهملها او يسيء خدمتها فلا يزيد محصول الفدان منها على اردبين من القمح او اردبين من الذرة او قنطار من القطن . ولو شاعت الخدمة الجيدة في القطر كلهِ من حيث الحرث والزرع والري والتسميد لتضاعفت المحصولات كلها

هذا وقد وقف المستركدمن في مجمع تقدم العلوم البريطاني بالامس وشهد ان طريقة تفريخ البيض الجارية في القطر المصري منذ خمسة آلاف سنة هي افضل من الطريقة العلمية المتبعة في اوربا الآن والتي ارادت مصلحة الزراعة ان تدخلها الى القطر المصري . والطريقة المصرية معروفة وهي ان يوضع البيض في غرفة كبيرة على طبقة من التبن ويوقد حوله التبن والجلّة حتى تزيد حرارة الغرفة زيادة كافية لنمو الفراخ داخل البيض . ويقلّب البيض من وقت الى آخر الى ان تخرج الفراخ منهُ . وقد وصف المستركدمن هذه الطريقة المصرية فقال

« ان المصريين اشتهروا من قديم الزمان بتفريخ البيض ولا يزالون يفرخونهُ بمقادير كبيرة وهم يتاورثون هذه الصناعة خلفاً عن سلف ولذلك هي خاصة ببيوت مخصوصة واصحاب المفارخ لا يفشون معارفهم لغيرهم فيجهلها الجمهور ولذلك شاع عند الفلاحين ان الذين يفرخون البيض يخلعون ثيابهم ويرخمون عليهِ كالدجاجة الرقاء لينقف بحرارة ابدانهم . والظاهر ان هذه الخرافة قديمة وقد اشار اليها الامبراطور ادريانوس حيث قال « ان المصريين يفرخون البيض على طريقة اخجل من وصفها »

ثم وصف المستر كد من المفارخ فقال « ان الوقود الذي يوقد لتدفئة البيض مصنوع من التبن وروث البهائم وان النساء يصنعنهُ اقراصاً ويجففنهُ في الشمس وهو يحترق ببطء ولا ينطفئ من نفسهِ ولا يلزم لكل فرن من الافران التي تحمى بها المفارخ الاَّ قليل من هذا الوقود . ويفرخ البيض في المفارخ مدة اربعة اشهر او خمسة من السنة في الشتاء والربيع وتحمى الافران قبل وضع البيض باسبوع او عشرة ايام ويكون في كل مفرخ نحو سبعة آلاف بيضة فيفرخ ثلثها او اكثر فهي افضل كل وسائل التفريخ من هذا القبيل . ويظهر من تعداد السكان سنة ١٩١١ انهُ كان في القطر المصري تلك السنة ٥١٢ مفرّخاً فاذا فرضنا ان كل واحد منهم يستعمل عشرة افران مدة اربعة اشهر فيكون عدد البيض الذي يستعمل للتفريخ في القطر المصري في السنة ١٨٥ مليون بيضة يفرخ منها ١٢٠ مليوناً . ويندر جدًّا ان تجد في القطر المصري دجاجة رنقاء كأَنَّ دجاج القطر المصري فقد سليقة حضن البيض بسبب الاعتماد على التفريخ الصناعي ». ثم قال ان مصلحة الزراعة استشارتهُ في العام الماضي في ادخال المحاضن الاوربية واستعمالها في القطر المصري كلهِ فاثبت لهُ البحث افضلية المحاضن المصرية على المحاضن الاوربية الاَّ حيث يراد الامتحان لتأصيل انواع الفراخ . ومن رأْيهِ ان اقتباس الاسلوب المصري للتفريخ في اوربا يأتي بربح كبير

موسم القطن الماضي

يحسب موسم القطن المصري انهُ يبتدئ في ١ سبتمبر وينتهي في ٣١ اغسطس من السنة التالية سواءٌ ورد كلهُ الى الاسكندرية في هذه المدة او بقيت منهُ بقية وسواءٌ صدر كلهُ من الاسكندرية او لم يصدر فما يبقى في الارياف من الموسم الواحد بعد ٣١ اغسطس يحسب من الموسم التالي

والذي يرد الى الاسكندرية يوميًّا من الموسم الواحد لا يوزن وزناً مدققاً فلا يعلم مقدار الوارد تماماً الاَّ في آخر السنة حين يعلم مقدار الصادر بالضبط ومقدار الباقي وعليهِ

فقد كان الوارد الى الاسكندرية من الموسم الماضي	٧٥٣٢٦٣٠	قنطاراً
والى بورت سعيد والاسمعيلية والسويس	٤٦	«
وورد الى الاسكندرية بحراً من بورت سودان واسيا الصغرى	٢٤٤	«
وكان في الاسكندرية في ١ سبتمبر سنة ١٩١٢	٣٥٠٠٠٠	«
والجملة	٧٨٨٢٩٢٠	«

وصدر من الاسكندرية في غضون السنة	٧٣٦٧٥٩٦	قنطاراً
ومن بورت سودان	٤٦	«
واستعمل في معمل الغزل في الاسكندرية	١٧٧٧٨	«
واحترق فيها ثلاث حرائق	٦٥٠٠	«
وبقي في الاسكندرية في ٣١ اغسطس الماضي	٤٩١٠٠٠	«
والجملة	٨٨٨٢٩٣٠	«

وعليهِ فالوارد الى الاسكندرية من الموسم الماضي بلغ ٧٥٣٢٦٧٦ قنطاراً كما تقدم او اكثر من سبعة ملايين ونصف مليون قنطار

تعليل ضرر الضباب

وفعل الحر والبرد بالمزروعات

المشهور ان الضباب (الشابورة) الذي يتكوَّن في الصباح يضرُّ المزروعات ولعلَّ ذلك صحيح ويمكن تعليلهُ هكذا : —

يبرد الهواء كثيراً في الليل في القطر المصري ولاسيما في الجهات الجنوبية من القاهرة فصاعداً فتحتمل المزروعات هذا البرد لانهُ يحدث رويداً رويداً بعد غياب الشمس . وفي الصباح تشرق الشمس منحرفة الاشعة فتكون حرارتها قليلة وتزيد رويداً رويداً بارتفاعها في قبة السماء فيشتد الحر رويداً رويداً ولا تتأثر المزروعات بذلك لان اشتدادهُ لا يفاجئها مفاجأَة ولكن اذا اصبحنا فوجدنا الضباب يحجب الشمس وبقي حاجباً لها الى ان صارت الساعة الثامنة او التاسعة ثم انكشف عنها ظهرت عالية واشعتها تقرب من العمودية فيشتدُّ الحر على المزروعات بغتةً فيضرُّ بها

وقد امتحن بعضهم ذلك في جنوب افريقية فوضع الترمومتر في الخلاء وغطاهُ حتى لم تقع عليهِ اشعة الشمس من الساعة ½ ٦ الى الساعة ½ ٩ صباحاً فصعد رويداً رويداً من الدرجة ٦ سنتغراد الى ان بلغ الدرجة ١٦ وذلك الساعة ½ ٩ ثم كشفهُ حينئذٍ لنور الشمس فصعد حالاً الى الدرجة ٢٨ وبلغ الدرجة ٣٧ عند الساعة ١١ صباحاً وكان هناك نبات معرَّض لاشعة الشمس فكانت حرارتهُ عند الدرجة ٦ الساعة ½ ٦ فصعدت الى الدرجة ١١ الساعة ¼ ٧ والى الدرجة ١٦ الساعة ٨ والى الدرجة ٢١ الساعة ¾ ٨ والى الدرجة ½ ٢٥

الساعة ¼ ٩ والى الدرجة ٢٨ الساعة ½ ٩ ومن ثم صعدت رويداً رويداً الى ان بلغت الدرجة ٣٧ الساعة ١١

اي ان النبات المعرض لاشعة الشمس منذ الصباح صعدت حرارتهُ رويداً رويداً لا كالذي يكون محجوباً ثم يكشف بغتةً نحو الساعة التاسعة

ثم ان المزروعات تحتمل الحر الى درجة معلومة والبرد الى درجة معلومة فان زاد البرد او الحر فالغالب ان النبات ييبس . وقد وجد بالامتحان ان اوطأ درجة من الحرارة يحتملها النبات بسهولة هي الدرجة ٧ او ٨ فوق الصفر بميزان سنتغراد واعلى درجة يحتملها من ٣٩ الى ٤٣ فاذا نقص الحر عن الدرجة الاولى او زاد عن الثانية فالغالب ان النبات يضعف و ييبس . وبين هذين الحدين درجة وسطى وهي الدرجة ٣٢ وتسمى بالدرجة الفضلى فنمو النبات يزيد بزيادة الحرارة الى ان تبلغ الدرجة الفضلى وتكون زيادتهُ بطيئة في الدرجات السفلى ثم تزيد رويداً رويداً الى ان تبلغ الحرارة الدرجة ٣٢ وبعد ذلك يقل النمو بزيادة الحرارة الى ان يبلغ اقلهُ متى بلغت الحرارة اشدها

وبهذا يعلَّل نمو المزروعات في البلدان الشمالية الباردة كما في اسوج ونروج ونضجها باكراً فان الحر يشتد في فصل الصيف الى ان يبلغ الدرجة الفضلى ولا يزيد عليها فيبقى النمو زائداً ولا ينقص كما لو زادت الحرارة على تلك الدرجة فينمو القمح هناك ويحصد في شهرين او ثلاثة . وبهِ يعلل ان القطن الذي يزرع في مديرية البحيرة مثلاً بعد ما يزرع في المديريات الوسطى بشهر او شهرين يكاد ينضج ويجمع معهُ في السنين التي لا يكثر فيها الضباب لان الحر الشديد في المديريات الوسطى يقلل النمو او يمنعهُ ساعات كثيرة كل يوم

تكبير البيض

ان مَن يجيء هذا القطر من القطر الشامي او من اوربا يعجب من صغر البيض فيهِ مع انهُ كثير الدجاج وسوق بيضهِ رائجة في اوربا اذ يصدر منهُ كل سنة ما ثمنهُ ١٨٠٠٠٠ جنيه واكثرهُ يستعمل في اوربا للصناعة لا للاكل لانهُ غير جيد. ولو اعتني بتربية الدجاج الاعتناء الواجب لكبر بيضهُ وجاد فانهُ لا يندر ان ترى بين البيض الصغير بيضاً كبيراً فاذا اختار الذين يربون الفراخ البيض الكبير للتفقيس بدلاً من البيض الصغير جاءت الفراخ منهُ كبيرة القد كبيرة البيض ايضاً . ويحسن بالذين يربون الفراخ ان يأتوا بالبيض الجديد الكبير من سورية ويفقسوهُ هنا فتأتي الدجاج منهُ كبيرة قداً وبيضاً . واول بيض الفرخة

يكون صغيراً ثم تصير تبيض بيضاً كبيراً متى صار عمرها ثلاث سنوات او اربع واذا اتفق ان كبرت بيضة من بيوضها حتى تعذَّر خروجها فتغطُّ ريشة بالزيت وتدخل في المبيض باعتناء وتدهن جوانب البيضة بالزيت فيسهل خروجها

انواع الزبل

الزبل او السباخ البلدي من اجود الاسمدة للارض ولكنهُ ليس كلهُ على درجة واحدة من القوة في تخصيب الارض بل يختلف باختلاف ما فيهِ من النيتروجين والبوتاس والحامض الفصفوريك كما ترى في هذا الجدول

	نيتروجين	بوتاس	اكسيد الفصفور
زبل البقر	٠،٢٠ في المئة	٠،١٠ في المئة	٠،١٧ في المئة
بول البقر	٠،٥٨ «	٠،٤٩ «	— «
زبل الخيل	٠،٤٤ «	٠،٣٥ «	٠،١٧ «
بول الخيل	١،٥٥ «	١،٥٠ «	— «
زبل الغنم	٠،٥٥ «	٠،١٥ «	٠،٣١ «
بول «	١،٩٥ «	٢،٢٦ «	٠،٠١ «
زبل الخنازير	٠،٦٠ «	٠،١٣ «	٠،٤١ «
بول «	٠،٤٣ «	٠،٨٣ «	٠،٠٧ «
غائط الانسان	١،٠٠ «	٠،٢٥ «	١،٠٩ «
بول «	٠،٦٠ «	٠،٢٠ «	٠،١٧ «

ولكن هذه المواد تختلف باختلاف ما تأكلهُ هذه الحيوانات وباختلاف سنها وبكثرة الماء في زبلها وقلتهِ. اما البول فالفصفور قليل فيهِ او غير موجود ولكن النيتروجين والبوتاس فيهِ اكثر منهما في الزبل

والردم الذي يوضع تحت البهائم يمتص البول ويختلط مع ما يقع عليهِ من فضلات العلف فتنحل وتزيد المواد الآلية المنحلة في السماد

وقد حسب الاميركيون ان وزن زبل الفرس في اليوم ٢٨ رطلاً وزبل الثور ٧٣ رطلاً وزبل الخروف نحو اربعة ارطال

ثمن الزبل

زبل الثور في السنة يساوي من ٢٥٠ غرشاً الى ٣٠٠ غرش وزبل الفرس يساوي ١٣٠ غرشاً الى ١٥٠ وزبل الخروف يساوي ٢٥ غرشاً الى ٣٠ غرشاً

ثمن السماد

يقدَّر ثمن السماد بما فيهِ من النيتروجين والفصفور والبوتاسيوم . ويشترط ان تكون هذه العناصر فيهِ قابلة للذوبان في الماء فالنيتروجين يجب ان يكون امونيا او نيترات الصودا او ما اشبه والفصفور يجب ان يكون الفصفات الاعلى او فصفات الجير الهيدراتي الذي يسهل ذوبانهُ اذا وجد في الارض حامض

والقيمة التجارية تختلف ولكن متوسطها هو ان الواحد من الامونيا يساوي ٤٥ غرشاً ومن الفصفات الذي يذوب في الماء بنفسهِ ١٢ غرشاً ومن الفصفات الذي يذوب بواسطة حامض ٧ غروش ومن البوتاس ١٧ غرشاً فاذا وجد سماد في الطن منهُ ٥ من الامونيا و١٥ من الفصفات الذوَّاب و٧ من الفصفات العسر الذوبان و٣ من البوتاس فثمنهُ هكذا

الامونيا	٥ × ٤٥ =	٢٢٥
الفصفات الذواب	١٥ × ١٢ =	١٨٠
« غير الذواب	٧ × ٧ =	٤٩
البوتاس	٣ × ١٧ =	٥١
والجملة		٥٠٥

اي ان الطن منهُ يساوي خمسة جنيهات وخمسة غروش

ما تأْخذهُ المزروعات من الارض

تقسم المزروعات الى ثلاثة انواع

الاول المزروعات التي تزرع لاجل حبوبها وثمرها كالقمح والتفاح

والثاني المزروعات التي تزرع لاجل جذورها او ثآليلها كالجزر والبطاطس

والثالث المزروعات التي تزرع لاجل اغصانها واوراقها كالبرسيم

فالنوع الاول يشمل الحبوب على انواعها اي القمح والشعير والذرة والرز . والقطاني على

انواعها كالفول والعدس والحمص وفول الصويا والترمس واللوبياء ويدخل تحتها القطن والكتان والقنّب والسمسم. ويشمل ايضاً الاشجار المثمرة كالمشمش والتفاح والخوخ والكمثرى والسفرجل والليمون على انواعهِ والعنب والموز والبطيخ · وهاك كلاماً وجيزاً عن كل نوع من هذه المزروعات وما تأخذهُ من الارض

القمح

القمح كثير المواد النيتروجينية فانها فيهِ من ٨ الى ١٠ في المئة وتتوقف جودتهُ على كثرتها فيهِ · وهاك متوسط ما في القمح وتبنهِ من المواد الكيماوية

	القمح	التبن
رطوبة	١٠و٥	٩و٦
رماد	١و٨	٤و٢
الياف	١و٨	٣٨و١
كربوهيدرات (كالنشا)	٧١و٩	٤٣و٤
بروتين	١١و٩	٣و٤
دهن	٢و١	١و٣
والجملة	١٠٠و٠	١٠٠و٠

واهم هذه المواد للغذاء البروتين والدهن والكربوهيدات · وتبن القمح لا يخلو من الغذاء كما ترى من الجدول ويزيد غذاؤُهُ اذا حصد القمح باكراً قبلما يزيد جفافهُ · ويقلُّ اذا تأخر حصد القمح الى ان يصعد اكثر الغذاء من التبن الى الحب . ولا بدَّ من ان تكون الارض التي يزرع فيها القمح ويجود صلبة نوعاً قليلة الرمل والتخلخل ولذلك يجب تزحيف الارض ورصها بعد حرثها اذا زرعت قمحاً

الشعير

الارض الكثيرة السماد النيتروجيني لا تصلح لزرع الشعير · وتبن الشعير اسهل هضماً من تبن القمح · ودقيق الشعير اقل مادة صمغية (غلوتن) من دقيق القمح ولذلك يكون اقل حيلاً منهُ وهاك متوسط ما في الشعير وتبنهِ من المواد الكيماوية

	الشعير	تبنهُ
رطوبة	١٠و٩	١٤و٣
رماد	٢و٤	٥و٧
الياف	٢و٧	٣٦و٠
كربوهيدرات	٦٩و٨	٣٩و٠
بروتين	١٢و٤	٣و٦
دهن	١و٨	١و٥
والجملة	١٠٠و٠	١٠٠و٠

ويظهر من ذلك ان البروتين في الشعير اكثر منهُ في القمح فاذا هضمتهُ المعدة كما تهضم القمح فهو اكثر غذاءً من القمح ولذلك يفضل الفلاحون خبز الشعير على خبز القمح ويقولون انهُ يقيم معهم اكثر ويقويهم اكثر مما يقويهم خبز القمح ويظهر لنا انهم مصيبون في ذلك ولهذا السبب تعلف الدواب شعيراً ولا تعلف قمحاً لا لان القمح اغلى من الشعير بل لان الشعير يغذيها اكثر من القمح

الارز

الارز طعام فريق كبير من الناس يعتمدون عليهِ كما نعتمد نحن على القمح . والمستعمل عندنا الرز المقشور وهاك جدول ما في الارز وقشرهِ من المواد

	الارز	قشرهُ
رطوبة	١٢و٤	٨و٢
رماد	٠٠و٤	١٣و٢
الياف	٠٠و٢	٣٥و٧
كربوهيدات	٧٩و٢	٣٨و٦
بروتين	٧و٤	٣و٦
دهن	٠و٤	٠و٧
والجملة	١٠٠و٠	١٠٠و٠

وعند قشر الارز يخرج منهُ ايضاً دقيق كدقيق القمح كثير المواد الهيدروكربونية والدهنية والبروتين وقشور مسحونة تسمَّى نخالة الارز وهي مثلهُ كثيرة المواد الهيدروكربونية

والدهنية والبروتين . وقد يمزج هذان الدقيقان معاً و يباعان باسم دقيق الارز . وقد وجد حديثاً ان الذين يعتمدون في طعامهم على الارز المقشور يصيبهم منهُ مرض عسر الشفاء لان في القشر مادة لا غنى لهم عنها

زرع الحبوب

خطب الاستاذ بولي الاميركي في هذا الموضوع امام قسم الزراعة في جامعة وسكونسن باميركا في ٢٠ يوليو الماضي وافتتح خطبتهُ بقول شودا العالم النباتي « ان الامة الغنية هي الامة التي تكثر من زرع الحبوب » . ثم قدَّم المقدمات التالية وهي

(١) ان الهواء والماء وخصب الارض هي كل ما يلزم لخصب المزروعات

(٢) انهُ اذا قلَّ محصول ارض فعلَّة قلتهِ ليس في الارض بل في الزراعة نفسها اي انها تكون قد اصيبت بآفة من الآفات فيجب ان لا نقول ما علة الارض بل ما علة الزراعة

(٣) اذا كان الامر كذلك فقلَّة خصب المزروعات ليس من قلَّة المواد المغذية في الارض بل من مرض اصاب الزراعة . وما تعاقُب المزروعات حينئذٍ الاَّ واسطة صحية لازالة الادواء التي اصابت الزراعة

(٤) القمح لا يجود في ارض تكثر فيها بقاياهُ لا لانهُ يسم الارض ولا لانهُ يقلل خصبها بنزعهِ ما يلزم لهُ من مواد الغذاء بل لان البقايا التي تبقى منهُ في الارض تكون فيها جراثيم المرض الذي امرضهُ وقلَّل خصبهُ وهو من الامراض الخاصَّة بهِ

(٥) الحرث والتسميد بالسماد الطبيعي والصناعي يفيدان في تقديم الغذاء للمزروعات ويفيدان ايضاً فائدة كبيرة من باب صحي للزراعة

والتفت الخطيب بعد هذا التمهيد الى علماء الزراعة والذين يؤلفون الكتب والكراريس فيها وقال ان علمهم نظري غير مقرون بالتجربة والامتحان وان الاسباب التي يقدمونها لا تقنع الفلاح فلا يتبعها لانها ليست الاسباب الاصلية ولكنها اسباب فرعية كقولهم ان تعاقب المزروعات افضل من الاستمرار على زراعة واحدة في الارض الواحدة لان هذا التعاقب يريح الارض او لانهُ يزيد خصبها . فان الواقع لا يؤيد ان التعاقب يريح الارض او يزيد خصبها . ولو عرفنا السبب الحقيقي لفائدة تعاقب المزروعات وهو تخليصها من الآفات التي تعتريها لرأى الفلاح صحتهُ وجرى على هذا التعاقب . وكيفما كانت الحال فالامتحان خير مرشد واكبر مقنع ويجب ان يجري في غيطان الزراعة نفسها امام الفلاحين وبمساعدتهم . فان تحليل الارض

الكيماوي ومعرفة العناصر التي فيها لا يكفيان لمعرفة كونها خصيبة وانما درجة خصب الارض تعرف من مقدار الغلة التي تنتج منها اذا خدمت خدمةً معلومة من حيث الحرث والري والصرف . لا لان المواد الكيماوية غير لازمة لخصب الارض بل لانها وحدها لا تكفي للخصب فانها قد تكون في الارض ولا يخصب الزرع فيها ولا يأتي بغلة وافرة . فقد تكون الارض من الاراضي المعروفة بخصبها ومع ذلك لا يأتي القمح فيها بغلَّة وافرة بل ينقص محصولهُ سنة بعد سنة فما سبب ذلك

ثم ان الاراضي الجديدة اي الحراج التي تقطع اشجارها وتحرث وتزرع والاراضي البور التي تنقب وتقصَّب وتزرع تأتي بغلة وافرة في السنين الاولى ثم تقل غلتها رويداً رويداً مع ان موادها الكيماوية لا تتغير

ثم قال ان الشكوى من النقص في محصول القمح ومن قلة جودتهِ عامَّة تسمع من كل مكان في اوربا واميركا وليس لها سبب كيماوي ظاهر لا من حيث تركيب الارض الكيماوي ولا من حيث خدمة الارض

واسهب الخطيب في هذا الموضوع جدًّا وايدهُ بادلة كثيرة واستنتج اخيراً ان السبب لقلة الخصب صحي لا كيماوي اي انهُ يعتري البذار والارض امراض تقلل غلة القمح وجودتهُ والى ذلك يجب انتباه الفلاحين والعلماء الباحثين . وان كل ما قيل عن الميكروبات ونحوها لا يشفي غليلاً ولا يبين السبب الحقيقي لضعف الارض وقلة المحصول



تاريخ مصر

الفت هذا الكتاب السيدة الفاضلة هند عمون كريمة الاصولي الكبير والكاتب الشهير اسكندر بك عمون وهو تاريخ مختصر للقطر المصري من اول ظهور العمران فيهِ الى الآن وقد وقع احسن وقع لدى نظارة المعارف واللجنة المعدة لاختيار الكتب المدرسية فقرَّرت تدريسهُ في مدارسها ولا غرابة في ذلك لانهُ من حيث الاقتصار على امهات الحوادث من خيرة كتب التاريخ لهذا القطر وكذا من حيث بلاغة الانشاء كما ترى في الفصل الذي نقلناهُ منهُ في هذا الجزء

وهو ثلثمئة صفحة نحو ثلثها لتاريخ مصر القديم من اول عهدها الى زمن الفتح ونحو نصفها للدول التي تولت مصر من زمن الفتح الى عهد محمد علي باشا رأس العائلة الخديوية وما بقي للعصر الحاضر من ايام محمد علي الى الآن . ولا يقتصر على ذكر تاريخ مصر بل يتناول امهات الحوادث التي حدثت في الشام والعراق وسائر البلدان التي لها علاقة بالقطر المصري فهو تاريخ مختصر للخلفاء والسلاطين كما هو لملوك مصر وولاتها

تهذيب الالفاظ العامية

الّف هذا الكتاب حضرة الشيخ محمد علي الدسوقي المدرس بالمدارس الاميرية . وبسط فيهِ الكلام على ادواء اللغة العربية فقال انها بقيت الى زمن الفتح الاسلامي « لم يتسرَّب اليها دخيل . وبقيت على ريعان شبابها الى آخر عهد الخلفاء الراشدين ولم يكن ليعزب عن فهم احد اذ ذاك شيءٌ من الكتاب او السنة يستوي في ذلك صغيرهم وكبيرهم الذكر منهم والانثى بل لم يكن ليغيب عنهم شيءٌ من غريب اللغة فضلاً عن مطروقها اللهمَّ الاَّ ما شذَّ او كان خاصاً بقوم دونهم »

ثم افاض في ذكر ادواء اللغة داءً داءً فقال ان اللحن اول هذه الادواء وقد ابتدأ في عهد عمر بن الخطاب بعد ان فتحت الروم وفارس ودواؤُهُ النحو . والثاني التحريف وهو اقبح داءٍ بعد اللحن وتاريخهُ متأخر عنهُ لانهُ لا يقع الاَّ من الموالي او المولدين او الاعاجم الذين تعربوا بدخولهم في الاسلام او برحلتهم الى بلادهِ . والداء الثالث الدخيل . واقترح ان يؤَلف مجلس علمي لتهذيب اسماء المخترعات الاجنبية واختزالها على وجه يسوغ بهِ تعاطيها هذا اذا لم يوجد لها اشباه في العربية . وهو اقتراح في محلهِ . واشار بعد ذلك بوسائل مختلفة لرد المحرف الى اصلهِ العربي ومنها الوسيلة التي اختارها وهي استقراء الالفاظ العامية وذكر ما تصير بهِ صحيحة او ما يراد فيها من الالفاظ الصحيحة فمن الاول مثل تِرْس بالكسر فان فصيحها تُرْس بالضم ومثل حِجَّة بالكسر فان فصيحها حُجَّة ومثل خَرْطوم بالفتح بان فصيحها خُرْطوم بالضم ومثل دِهن بالكسر فان فصيحها دُهن بالضم

ثم ذكر كثيراً من الالفاظ التي عرَّبها المتقدمون ليقتدي بهم المتأخرون في اساليب التعريب . وكثيراً من الكلمات العامية ومرادفاتها العربية واكثر ما ذكرهُ حسن وغالبهُ معروف مستعمل ولكنهُ ذكر كلمات لم يصب في ذكر مرادفاتها فقال مثلاً ان الدوسنطاريا عامية وعربيتها خلفة وان الروماتزم عامي وعربيتهُ نقرس والدفثيريا عامية وعربيتها ذبحة وان امينة

الجير عامية عربيتها جصاصة كان الجير هو الجص ودكتور عامية عربيتها حكيم وان بروجرام عامية وعربيتها برنامج . وحبذا لو وضع معجم مسهب للالفاظ العامية حقيقة وما يرادفها من الالفاظ العربية الفصيحة التي يحسن استعمالها كما كالمعجم الذي يقال ان المرحوم الشيخ خليل اليازجي الفهُ في هذا الموضوع

حقائق وعبر

تأليف حضرة اسكندر افندي الخوري البيتجالي « وهي مختارات مما نشرهُ من المباحث الاجتماعية والحقائق الادبية وزنابق الحقل في كثير من مجلات مصر وسورية » .

الاولى منها رواية موضوعها فتاة سورية اخذها امير روسي الى روسيا حيث تربت وتعلمت وتهذبت فاحبها ابن ذلك الامير وود الاقتران بها فطلبت ان تزور بلادها اولاً وترى والديها فلما وصلت اليها حاولا ان يزوجاها بابن عمها ولما لم ترَ لها من ذلك مناصاً عزمت على الانتحار فجمعت حول سريرها كثيراً من الازهار الشديدة الرائحة واقفلت باب غرفتها وكواها ونامت ففعلت بها الرائحة فعل المخدر الى ان اعدمتها الحياة . وعبارة المؤلف شعرية واغراضهُ حميدة وهاك شيئاً مما كتبهُ في موضوع سماهُ قاصمات الظهر

« دعاني الواجب ذات يومٍ الى عيادة مريض زمن اعيا داؤُهُ الاطباء . دخلت البيت فاذا بالقوم حواليهِ سكوت قد دعموا رؤُوسهم باصابعهم كما لو كانوا يشكون صداعاً . المريض شيخ جليل يناهز الستين من عمرهِ . كللهُ الشيب فزادهُ هيبة وجلالاً . اخذت كرسيًّا وجلست بيدَ اني ما عتمت ان اخرجت من جيبي منديلاً مسحت باطرافهِ دموعي . رأيت شيخًا يتململُ على فراشهِ وهو يتلظَّى من حرّ النزع . ونفسهُ تجول في صدرهِ . وكان كلما اختلس الموت الحياة من احدى مسامّ جسدهِ . ينتفض كالعصفور بللهُ القطر . قلت : الموت يميل الى وضع يدهِ الثقيلة على الرؤُوس المكللة بالبياض فعلامَ هذا البكاء ؟

« ما كاد الشيخ يلفظ نفسهُ الاخير حتى لفظ معهُ هذه العبارة : « لكِ الله يا اميركا . اودعتك اولادي فلم تردّيهم . ودنا الموت مني فلم تستدعيهم . ولولا تعلقي برؤْيتهم للقيت ربي منذ حين . في فؤَادي نارٌ لا يطفئُ سعيرها الاَّ رؤْيتك « يا سليم » انا هامٌ اليوم فمن يطبق جفوني حين ينادوني باسمي فلا اجيب ؟ آه من يحمل نعشي عند ما أُدرج في كفني ؟ »

وما فرغ من قولهِ حتى فرغ من نفسهِ

« هذا هو سبب بكائي !

« عدتُ الى البيت وما كدت اخطو بضع خطوات حتى استوقفتني امرأة نزل بها على أثر فقدها زوجها الشاب في ارض المهجر عوزٌ وهزال كادا يفقدانها اسمى ما تتحلى بهِ المرأة من انفة وحياء ولولا خيوط جمال ارتسمت على وجهها لغابت عني معرفتها . وقفت على استحياء . وقد اغرورقت عيناي بالدموع حينما لحت الى جانبيها وليدتين تناديانها : — يا اماه ! متى يأتي ابونا من اميركا ؟

« غيّضت من عبرتي واخفيت من حسرتي ولم اتمالك الوقوف فقالت وقد ارتسمت على ثغرها ابتسامة الله اعلم بما يشوبها من مضاضة الحياة . وغضاضة العيش : خرجتُ استكتب الناس كتاباً لوليد وحيد غادرني منذ ثلاث سنين الى البرازيل وخلفني بعد ابيهِ هدفاً للمصيبات السنين وقد ابطأ خبرهُ عني وانقطع ذكرهُ من كتب المهاجرين . فأصبحت والارض في ناظري أضيق من كفة الحابل . ونزلت بي الضائقة . واحتوانى اليأس . وبلغ مني القنوط فهل لك ان تطفئ نيران اشواق ذكت في فؤادي لهذا الغائب بكتاب تخطهُ لي . ففتحت فمي لأُسري ما بها غير ان جفاف الريق عقد لساني ولفرط ما اعتراني من الاكتئاب اومأت لها ايماء الايجاب

« غادرتها اسير النجاء كي لا اعود اعثر على اعظم من هذا الشقاء . وما هي الاَّ لحظة حتى وقعتُ في الذي منهُ تخوّفت : صوت بكاء ونحيب طرق طبل اذني . ورنة حزن كلما ملت عنها اصبعاً . ملت اليها ميلاً . . فاذا بقدميّ تهديانني الى نادٍ اكتظّ بالجموع وازدحم بالجماهير فولجت لأسبر محلبة النواح فقيل لي ان يدَ الموت القاسية اخترمت شاباً في ربيعهِ العشرين كان قد قدم من اميركا منذ شهرين وبهِ الداء العياء . فما زال بهِ حتى اوردهُ موارد المنون . فقلت ربَّاهُ ! توهم الناس اميركا دار نعيم وهناء . فطفروا اليها كما يطفر الطفل فاذا بهم لا يرحلون الاَّ هوجاء الشقاء فاين دار البقاء ؟ »

ولا شبهة ان للمهاجرة سيئات كما لها حسنات ولكن لولاها لعاش السوريون في فقر مدقع وانتابتهم الامراض والاوبئة . والمرجح عندنا انهُ لولا المهاجرة لكان عددهم الآن في بلادهم كما هو الآن او اكثر قليلاً لانهُ يظهر بالاستقراء ان البلدان المزدحمة بالسكان او التي لا تزيد خيراتها على ما يلزم لمعيشة سكانها يبقى عدد سكانها على حالهِ سواء هاجر منها كل من يزيد عمَّن تقوتهم اولم يهاجر منها احد . ولا تختلف سورية عن ذلك الاَّ في ان خيراتها الطبيعية كثيرة كافية لاكثر من سكانها اذا لم يمنعوا من الانتفاع بها ولكن صاحب البستان كان يقطع اشجارهُ ليتخلص من ثقل العشور وصاحب الحقل لم يكن يأمن على غلتهِ من نهب

البدو او المتزمين . وعليهِ لم تكن الخيرات التي يسهل الوصول اليها والانتفاع بها كافية لزيادة السكان

هداية المدرس

تأليف حضرة علي عُمَر بك مساعد مفتش بنظارة المعارف

الذين تعلموا او تربُّوا واستفادوا الفائدة الكبرى من التعليم والتربية لا يقعون تحت قياس يقاس عليهِ لان قوى الانسان العقلية والبدنية موروثة من ابويهِ واسلافهما على درجات مختلفة لا ضابط لها حتى انك لا تجد اثنين يتساويان في كل شيءٍ من هذا القبيل ولو كانا اخوين شقيقين . والذين علَّموا وربَّوا اختلف نجاحهم في صناعتهم اختلافاً كبيراً حسب استعدادهم الفطري لبث مبادئ العلوم والآداب في نفوس التلامذة او حسب تأهلهم لهذه الصناعة . ولكن الاستعداد الفطري لا يمكن التحكُّم فيهِ ولا هو حاصل الاَّ لافراد قلائل لا يسدون حاجة البلاد الى المعلمين فيبقى الاستعداد الاكتسابي وعليهِ المعوَّل . ويسرُّنا ان هذا الكتاب قد جمع القواعد العملية اللازمة لهذا الاستعداد الاكتسابي فقد احسن حضرة مؤَلفهِ بوضعهِ ولا بدَّ من ان يأتي بفائدة كبيرة . وانا نشير على كل من اتخذ التعليم حرفةً ان يطالعهُ بامعان ويطبق اساليبهُ في التعليم عليهِ

والظاهر ان المؤَلف يأخذ بقول الذين يقولون ان التهذيب افعل من الوراثة ولهذا اكثر من الاستشهاد بالامام الغزالي وغيرهِ من الذين لم يبحثوا بحثاً علميًّا في قوى العقل ونواميس الوراثة . وحبذا لو كان الامر كذلك اذاً لصار اولادنا كالمعدن المصهور نفرغهُ في القوالب التي نختارها . ولكن وا اسفاه كم من ولد نتعب ونشقى في تربيتهِ فينشأُ على ضد ما قصدت وغيرهُ لا يربَّى فيربي نفسهُ وينشأُ كاملاً مكمَّلاً . وهذا لا ينفي وجوب التربية والتهذيب وفائدتهما ولو دلَّ على انهما لا يثمران في بعض الاحيان بل تتغلَّب الوراثة عليهما

القراءة الرشدية

هي سلسلة كتب لتعليم القراءة على طريقة التدرُّج من البسيط الذي يسهل فهمهُ على صغار الطلبة الى ما هو اعلى منها انشاءً واصعب فهماً وضعها حضرة عبد الفتاح صبري بك المدير العام للتعليم بمجلس مديرية الدقهلية وعلي عمر بك وكيل المدرسة الخديوية الثانوية وجريا فيها مجرى سلاسل القراءة الانكليزية اي اضافا الصور الى الدروس ليسهل على

التلميذ فهم ما يقرأهُ وتصوُّرهُ . والدروس كلها مضبوطة بالشكل الكامل ويبتدئ كل درس منها بذكر الكلمات التي يظن انها غريبة على التلميذ . وفي الدروس فوائد كثيرة ادبية وعلمية فيستفيد التلميذ كثيراً بتعلمها فوق الفائدة المقصودة بالذات وهي تعلم القراءة . فنشكر للمؤلفين الفاضلين هذه التحفة النفيسة

العراقيات

كأن مدينة صيداء ارادت ان تستعيد شهرتها الصناعية القديمة فانشئت فيها مطبعة العرفان تناظر اعظم المطابع العربية في اتقان الطبع واختيار المؤلفات . وقد اتحفتنا الآن بالعراقيات وهي مختارات من اشعار عشرة من شعراء العراق وهم السيد محمد سعيد جولي النجفي والسيد ابرهيم الطباطباني والسيد حيدر الحلي والشيخ جواد سبيب والشيخ ملا كاظم الازري والشيخ عباس بن اعلا علي النجفي والسيد جعفر الحلي والشيخ عبد الباقي الفاروقي والشيخ عبد المحسن الكاظمي والاخرس البغدادي . وفيها قدر صالح من اشعار كلٍّ منهم ولاسيما من اشعار الاول من قصائده وموشحاته ومراثيهِ حتى لقد يود القارئ ان يطلع على كل ما نظمهُ هذا الشاعر ولاسيما اذا قرأ مرثاتهُ الدالية التي يقول في مطلعها

ضحى اليوم غاضت بالندى لجة النادي لفقد الهدى او قُلْ لفقد ابي الهادي
ثوى واحد العصر الذي لفَّ بردهُ قبائل فهر من جموع وآحاد
وكان النجار الفاطمي نجارهُ فطاب وطيب المرء من طيب ميلاد
فاين محطُّ الرحل يا اينق السرى واين منال الري ياغلة الصادي
واين الحمى مخضرة جنباتهُ كأنَّ عليها سندسية ابراد
واين جماهير الرجال مغذة تروح اليهِ من ملوك واجناد

وقدم الجامع لما اختارهُ من كل شاعر مقدمة وجيزة وصف بها شعرهُ ووصف خير بفن القريض ومناحي الشعراء

تأثير المسيحية في العالم

تأليف الدكتور فربرن رئيس كلية اريدال اللاهوتية ببرادفورد بانكلترا وتعريب فهيم افندي حلمي تادرس مدرس اللغة الانكليزية بمدرسة عبد المسيح بك موسى الخيرية بالزقازيق وهو محاضرات في الدين وفوائدهِ بنوع عام والمسيحية بنوع خاص

مسامرات البنات

تأليف حضرة علي افندي فكري امين دار الكتب الخديوية

هو دروس بسيطة للبنات تشتمل على قصص وحكم ونوادر كالقصة التالية

«كان احد الموسرين يتصدق من مالهِ ، على الفقراء والمساكين ، فجمع في بيتهِ يوماً فقراء المدينة من بنين وبنات وقال لهم

«انظروا يا بنيَّ الى هذه «السلة» المملوءة خبزاً ، وليأخذ كل منكم رغيفاً ، واعلموا انكم ستعطون كل يوم مثل ذلك الى ان يغنيكم الله من فضلهِ

«فسارعوا الى السلة مسارعة الجياع ، الى القصاع ، يتخاطفون ما فيها ، وكل يحرص على ان يأخذ الرغيف الاكبر

«ولما انصرفوا ، لم يخطر على بال احدهم ان يشكر لهذا المحسن الكريم على احسانهِ ، إلاَّ بنتاً صغيرة كانت بينهم اسمها «رابعة» تلوح عليها علامات الادب والقناعة ، اقتربت بعد انصراف الجميع ومدت يدها باستحياء ، واخذت الرغيف الصغير الباقي في السلة ، ثم اقبلت على المحسن وقبلت يدهُ وحمدتهُ على جميل عطائهِ ، وعادت الى والدتها فرحة ، مسرورة بما انعم الله عليها

«وفي الغد : جاء الاولاد بشرههم وتخاطفوا الارغفة كعادتهم ، وبقي لتلك البنت المسكينة الرغيف الاصغر ، فاخذتهُ راضية شاكرة ، ورجعت لوالدتها

«فلما فتحت والدتها البائسة الرغيف ، سقطت منهُ كمية من الدراهم ، فدهشت المرأة ، وتحيرت في امرها ، وقالت لابنتها

«ارجعي الى ذاك الغني وردّي اليهِ هذه النقود ، فانهُ لا شك وضعها في الرغيف سهواً فاطاعت البنت امر امها وذهبت في حينها الى المحسن ، واعطتهُ الدراهم فردها عليها قائلاً

«لم افعل ذلك سهواً ، بل قصداً وعمداً وضعت تلك الدراهم في اصغر الارغفة لأُكافئك ايتها البنت المحبوبة على ادبك وقناعتك ، فكوني على الدوام راضية مرضية ، ذات نفس ابية ، فمن يقنع بالقليل تعففاً وكرامة ، يستحق الشكر والسلامة»

دروس مثل هذه كبيرة الفائدة للمتعلمات وتزيد فائدتها بما في الكتاب من الامثال والاشعار الحكمية التي لا بدَّ وان يكلف التلميذات باستظهارها . وحبذا لو زاد المؤَّلف اعتناءهُ بوضع علامات الوقف و بتنقيح لغة الكتاب حتى ترسخ اللغة الفصحى في نفوس المتعلمات من سن الصغر

آداب اللياقة

هذا الكتاب لمؤلف مشهور بين ارباب الاقلام وهو حضرة محمد افندي مسعود المحرر الفني بنظارة الداخلية . قال في مقدمته

« هذا كتيب ضمنته قواعد في الآداب الاجتماعية واصولاً في قوانين المعاشرة استخلصتها مما اقرّته العادة واجمعت عليهِ الاذواق وتوافرت على الاخذ بهِ الطبقات المهذبة في الامم الراقية

« وكفى بيانًا لاهميتها انها المحور الذي تدور عليهِ الروابط الادبية والاجتماعية التي تربط الافراد بعضهم ببعض في البلاد المتحضرة والميزان الذي توزن بهِ اخلاقهم وطباعهم فمن كان على ارثٍ منها اوفائزاً بالسهم الاجزل رمق بعين الاحترام وأُحلّ محلّ الاجلال والاعظام ومن كان عنها بمنجاة عومل معاملة من لا خلاق لهم ونبذ نبذ النواة

« ولما كان مرماي من التأليف بين اجزاء هذا الكتيب هداية النشءُ الى اقوم الطرق . لضبط تصرفاتهم القولية والفعلية وان يشبوا عارفين بالانسب والاليق منها في ظروف الحياة المتباينة واطوارها المتناقضة فقد توخيت في وضعهِ ان يكون سهل العبارة قريب المأخذ على الفهم بما اوردتهُ في غضون احكامهِ وقواعدهِ من الامثال والشواهد الذاهبة بشيءٍ من خشونة الامر والنهي حتى اصبح على ما ارجو خليقًا بان يتداولهُ النشءُ وان يجعل منهم في المستقبل بما استظهروهُ من قواعدهِ وأَلفوا العمل بهِ من مبادئهِ طبقةً عارفةً بحقوقها وواجباتها الاجتماعية دالةً باخلاقها وطرائقها المحمودة في السير والسلوك ونزعاتها في آداب المعاشرة على كرم الامة التي هم ابناؤها ورسوخ شرفها وتأثل مجدها

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا

« هذا واني ازدلف الى مقام سعادة ناظر المعارف العمومية بترديد آي الشكر لهُ إذ امدني من ينبوع علمهِ الغزير ودرايتهِ التامة بهذا الفن بكثير من قواعدهِ واهتديت بنورهِ في تهذيب ما اوردتهُ من عندي ابقاهُ الله عضداً للعلم وذخراً للفضل »

وقد وفّى الموضوع حقهُ من حيث آداب اللياقة او الكياسة المتعارفة عند الاوربيين والتي يصلح الجري عليها في بلادنا الشرقية ولم يكتفِ بذكر ما يليق او يجب اتباعهُ بل ذكر ايضاً ما يحسن او يلزم ابطالهُ من العادات الشائنة . فالكتاب كبير الفائدة على صغر جرمهِ وقد قررت نظارة المعارف تدريسهُ في المدارس الاميرية في السنة الرابعة الابتدائية

المطالعة الفصيحة

لامهات اليوم والغد

تأليف حضرة مهدي افندي احمد خليل

هذا الكتاب فصول ادبية تدور على مدح الاقتصاد وتهجين العادات القبيحة او الضارة وتبتدئ كل نبذة منهُ بشرح ما فيها من الكلام اللغوي او الذي يصعب فهمهُ وحبذا لو طبع هذا الشرح بحرف يميزهُ عن حرف المتن . ولغة الكتاب فصيحة كاسمهِ



فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اكل الدم

مصر . طالب علم (١) هل يفيد الدم لتقوية البدن او هو مضر (٢) واي الطرق انفع صحياً ذبح الحيوان او خنقهُ (٣) وهل كشف مرض ينتج من اكل الدم

ج . عن الاول انهُ لا ضرر من اكل الدم ولا سيما اذا طبخ مخافة ان يكون فيهِ شيء من الميكروبات المرضية والذئاب التي تفترس الغنم قد تكتفي بمص دمها ولا يصيبها ضرر من ذلك . وكل الضواري تأكل فرائسها لحمها ودمها وعظمها ولا تضر . واهالي اوربا يجمعون دم الحيوانات التي يذبحونها ويجففونهُ ويأكلونهُ . وعن الثاني اننا لا نرى فرقاً من حيث الصحة ولكن الحيوان الذي يخنق خنقاً يتلوَّن بعض لحمهِ بما ينتشر فيهِ من دمهِ فيقبح منظرهُ . والذين يستنكرون اكل الطائر مخنوقاً يأكلون السمك مخنوقاً ولا يسألون بل قد يقلونهُ او يشوونهُ وهو حي . وعن الثالث اننا لم نسمع ولا قرأنا انهُ كشف مرض ينتج من اكل الدم خاصةً ولكن اذا كان الحيوان مصاباً بمرض ميكروبي معدٍ كمرض التريخينا الذي تصاب بهِ الخنازير وشرب احد دمهُ او اكل لحمهُ نيئاً فانهُ قد يعدى بذلك المرض . هذا من حيث معارفنا الحضرة

(٣) شكل سطح الماء

طنطا . نجيب افندي توما هل المياه في المحيط تأخذ شكلاً كرويًّا تبعًا لكروية الارض . واذا كان ذلك كذلك فلماذا لا تنبسط ولا تأخذ سطحًا مستويًّا كما هي خاصيَّة الماء الطبيعية

ج . ان خاصية الماء الطبيعية ليس ان يأخذ شكلاً مستويًّا بل ان يأخذ شكلاً مستديرًا اذا كان مقدارهُ قليلاً جدًّا وغلبت جاذبية الالتصاق التي بين دقائقهِ على جاذبية ما حولهُ او على جاذبية الارض لهُ ولكن اذا كان مقدارهُ كبيرًا تغلبت جاذبية الارض عليهِ وحينئذٍ ينبسط ويظهر سطحهُ مستويًا وهو في الحقيقة محدَّب بمقدار ما لو كان كرة قدر كرة الارض فاذا كان عندكم بركة كبيرة طولها ميلان وعرضها ميلان فالماء الذي في وسطها يكون سطحهُ اعلى من سطح الماء الذي في اطرافها نحو ثلثي قدم او ثماني بوصات وهو تحدُّب قليل جدًّا لا يشعر بهِ في المساحات الضيقة

(٣) الدهن والزيت والعطر والروح

كفر الطوير . حامد افندي السيد الطنطاوي ما الفرق بين الدهن والزيت والعطر والروح

ج . لا فرق في التركيب الكيماوي بين الادهان والزيوت ولكن جرت العادة ان يطلق اسم الزيت على ما كان سائلاً منها كزيت الزيتون وزيت اللوز وزيت بزر الكتان . والدهن على ما كان شديد القوام نوعًا كدهن الغنم والبقر والسمن والزبدة . والعطر هو الزيت الطيار من المواد الطيبة الرائحة والروح الزيت الطيَّار مطلقًا اي الذي يتبخَّر سواءٌ كان وحدهُ او ممزوجًا بالسبيرتو

(٤) زيت السمك

ومنهُ . باي كيفية يستخرج زيت السمك وما فائدتهُ

ج . تستخرج اكباد السمك المعروف بالقُد وتنظَّف وتسخَّن بالبخار الى درجة فوق درجة غليان الماء فيخرج الزيت النقي منها وهو يستعمل غذاءً لتقوية الجسم لانهُ سريع الامتصاص والتأكسد وعلى ذلك تتوقف فائدتهُ الغذائية

(٥) سبب الفرق بين التوأمين

ام درمان . خليل افندي جرجس . توأمان ولدا في ساعة واحدة ورضعا من ثدي واحد وتربيا في بيت واحد وعاشا في وسط واحد ثم دخلا مدرسة واحدة في فرقة واحدة ولكن احدهما امتاز عن الآخر في حدة الذاكرة والفهم ففاز على اخيهِ فهل لذلك من تعليل

ج . نعم والتعليل انهما لم يرثا قواها العقلية على درجة واحدة من والديهما فان الجرثومة والبيضة اللتين يتكوَّن منهما الجنين فيهما اصول من ابيهِ وامهِ والاصول الآتية من الاب فيها اصول من والديهِ واسلافهما

وكذا الاصول الآتية من الام فيها اصول من والديها واسلافها . وقد ظهر للسر فرنسيس غالتون بالبحث والاستقراء ان الاصول التي تصل الى الجنين يكون نصفها من والديهِ والنصف الآخر من اسلافهِ اي الربع من اسلاف الاب والربع من اسلاف الام . ثم ان الاصول التي تكون في كل بيضة وكل جرثومة ليست متماثلة عدداً يحتمل ان يكون في البيضة الواحدة مئة جوهر مثلاً من جواهر العقد الدماغية التي هي مركز الذاكرة ويكون في بيضة اخرى خمسون جوهراً او اقل او اكثر وقس على ذلك الجواهر التي في الجرثومة . ويحتمل ان يكون بعض هذه الجواهر بالغاً فيظهر في الشخص الاول الذي يتكون منها ويحتمل ان يكون غير بالغ فلا يظهر فيهِ بل في اولادهِ او احفادهِ . ومن المؤكد ان الجرثومة تخرق البيضة وتدخل اليها حينما تلقحها وقد يدخلها جراثيم كثيرة في وقت واحد وحينئذٍ يخرج منها شيء من مادتها يساوي مقدارهُ الجراثيم التي دخلت اليها فقد يكون مع المادة التي خرجت كثير من جواهر الفم والانف والشعر فيأتي الطفل وفمهُ وانفهُ وشعرهُ مثل ابيهِ لا مثل امهِ . راجعوا ما كتبناهُ عن الوراثة في المجلد الثالث والثلاثين من المقتطف

(٦) الخطابة الارتجالية

ومنهُ . اي كتاب يفيد الانسان في القاء خطب ارتجالية او تحريرية في مواضيع اجتماعية مختلفة

ج . قيل ان وبستر الخطيب الاميركي المشهور خطب مرةً خطبة ارتجالية في موضوع عرض عرَضاً كان لها وقع عظيم فسألهُ سائل قائلاً كيف تسنَّى لك ان تخطب خطبة ارتجالية مثل هذه فقال لهُ وبستر اخطأْت فان خطبتي ليست ارتجالية بل قد مضى عليَّ اربعون سنة وانا استعدُّ لها. اراد ان علم المرء ومطالعاتهِ الكثيرة وتمرُّنهُ على الخطابة هذه كلها لازمة لجعلهِ يخطب ارتجالاً . وما من كتاب واحد نفي مطالعتهُ بهذا الغرض ولعلَّ مجلدات المقتطف من افضل الكتب لذلك لكثرة ما فيها من المواضيع الاجتماعية

(٧) قصر البصر

مصر . ادوار افندي سمعان . لي صديق عرفتهُ منذ الصغر كان وقتئذٍ حاد البصر يستطيع القراءة في اي كتاب يُقدَّم لهُ على بُعْد مترين او اكثر اما الآن وقد تجاوز الثامنة عشرة فضعف بصرهُ واصبح لا يستطيع القراءة على نصف البعد المذكور فما سبب ذلك وهل من دواء لاعادة بصرهِ كما كان

ج . يرجح لنا ان سبب حسرهِ او قصر بصرهِ كثرة المطالعة بلغة لا يعلمها جيداً او في كتب دقيقة الحروف او على نور ضئيل . ومهما كان السبب فان عدسية العين البلورية

تحدّب او قطر العين من الامام الى الوراء يطول فتصير خطوط النور التي تكوّن صور الاشباح تتقاطع وتكوّن الصورة الواضحة قبلما تصل الى الشبكية التي تنتشر فيها فروع العصب البصري فلا تكون الصورة التي تصل اليها جليّة . ويُصلَح هذا الخلل باستعمال النظارات المقعَّرة . ولا يعرف دواءٌ لازالتهِ ولكن اذا قلَّل الانسان استعمال عينيهِ قلَّ هذا الخلل رويداً رويداً والغالب انهُ يزول بتقدُّم الانسان في السن



سكنى السيارات

وضع الاستاذ موندر الفلكي رسالة في السيارات من حيث كونها صالحة لسكنى الاحياء او غير صالحة فبيَّن ان البعيدة منها اي اورانوس وزحل والمشتري غير صالحة وكذلك عطارد . اما المريخ الذي كثر البحث في كونهِ مسكونًا فالماء فيهِ جامد دائمًا ولا يسيل الا سطحهُ في المنطقة الحارة وذلك ساعات قليلة كل يوم فان كان فيهِ احياء فهم في زمهرير مستمر وقد يكون فيهِ نبات مما يحتمل البرد الشديد . وما الترع التي تتراءى فيهِ سوى نقط واشباح يجمعها النظر عن بعد فيراها خطوطًا . ولا يبقى الا الزهرة فهي تصلح لسكن الاحياء اذا كانت تدور على محورها كما تدور الارض واما اذا كانت تدور بدورانها حول الشمس اي اذا كان وجه من وجهيها متجهًا الى الشمس دائمًا فهو في حر مستمر كالاتون والوجه الآخر في برد دائم لا يعرف الدفء . وعليهِ ليس من السيارات ما يصلح حتمًا لسكن الاحياء التي عندنا غير ارضنا

السمك القدي

هو سمك طويل ضيق كالقدة يكون في قاع البحر في الاماكن العميقة وقد صيدت سمكة منهُ حديثًا طولها خمس اقدام وثماني عقد ونصف عقدة وعرضها عشر عقد وثلاثة ارباع العقدة وقطر كل عين من عينيها ثلاث عقد

مؤْتمر الفسيولوجيين الدولي

عقد مؤْتمر الفسيولوجيين الدولي التاسع في مدينة غرونينجن بهولندا من ٢ سبتمبر الى ٦ منهُ برئاسة الاستاذ همبرجر وحضرهُ ٤٠٠ من الاعضاء و بينهم اكبر علماء الفسيولوجيا

وتكلموا فيهِ عمّا اكتشفوهُ وحققوهُ في المواضيع الفسيولوجية بعد اجتماعهم الاخير

الكلى الصناعية

عرض الدكتور ابل والدكتور رونتري من اطباء بلطيمور في مؤتمر الفسيولوجيين العام الآلة التي صنعاها وسمياها كريات الكلية الصناعية glomerulus وهي انابيب من الكلوديون يحيط بها محلول حار تصل بين شريان حيوان ووريده فتفعل فعل الكلية اي انها تستقطر من الدم البول وكل المواد الذائبة فيهِ فتستعمل لاكتشاف ما في الدم من الاملاح ونحوها . ومن المحتمل ان يصير لها فائدة جراحية لان فعلها مثل فعل الكلية او يزيد

مبدأ الاجسام الآلية على الارض

ابان الدكتور بنيامين مور والدكتور وبستر في مؤتمر الفسيولوجيين انهُ اذا مرّ اكسيد الكربون الثاني في محلول غير آلي مثل اكسيد الحديد (الاكسيد الحديديك) المخفف كثيراً في مكان مكشوف لاشعة الشمس او لنور القوس الزئبقي تكوَّن منهُ فورم الدهيد وهو سائل آلي . ومن رأيهما ان المواد الآلية تكونت على سطح الارض اولاً من مواد غير آلية على هذه الصورة . وقد عرف قبلاً ان الشرارات الكهربائية تكوّن الفورم الدهيد اذا مرّت في غاز الهيدروجين واكسيد الكربون الثاني

جمجمة بلتدون وقدم الانسان

من المسائل التي جرى البحث فيها في المؤتمر الطبي مسألة جمجمة بلتدون التي وجدت في بلاد الانكليز فان الدكتور سمث ودورد وضع اجزاءها بعضها مع بعض وقدَّر انها تحوي دماغاً لا يزيد جرمهُ على ١٠٧٦ سنتمتراً مكعباً فيكون متوسطاً بين دماغ ارقى انواع القرود وارقى اجناس البشر وحسب انها من اوائل عصر البليستوسين وقد قدَّر الاستاذ روتوت ان عصر البليستوسين دام ١٥٠٠٠٠ سنة واما الاستاذ بنك وهو اكبر ثقة في تقدير الاعصر الجليدية فقدر مدتهُ من نصف مليون سنة الى مليون ونصف من السنين . الا ان الاستاذ كيث حسب ان هذه الجمجمة تسع دماغاً جرمهُ ١٥٠٠ سنتمتر مكعب فهي فوق متوسط جماجم الناس في هذا العصر وعليهِ فنوع الانسان ارتقى حتى بلغ الدرجة التي هو فيها الآن في اواسط عصر البليستوسين الذي دام من ١٥٠ الف سنة الى مليون وخمس مئة الف سنة او كما قالت جريدة التيمس في ١١ اغسطس الماضي اننا اذا اردنا ان نصل الى فجر الزمن الذي ارتقى فيهِ نوع الانسان وجب ان نرتد الى الوراء نحو مليون سنة

البراكين والبرد

ظهر ان لثوران البراكين علاقة شديدة باشتداد برد الهواء فاذا ثار بركان كبير وانتشر الغبار منهُ في طبقات الجو امتص هذا الغبار جانباً كبيراً من حرارة الشمس فتقل الحرارة الواصلة منها الى الارض ويشتد البرد عليها وقد وجد بالحساب ان غبار البراكين قد ينقص خمس الحرارة التي تصل الى الارض من الشمس . ولما ثار بركان كاراكاتوى سنة ١٨٨٣ اشتد البرد سنة ١٨٨٤ و ١٨٨٥ و ١٨٨٦ وقد ظهر ان هذا الامر مضطرد منذ سنة ١٧٥٠ الى الآن

حركات الجوع

ابان الدكتور كارلصن في مؤتمر الفسيولوجيين انهُ يسهل اظهار ما يحدث في جدران المعدة من الانقباض وقت الصوم وذلك بان يُدخل اليها انبوب من الكاوتشوك في طرفهِ مسبار من الكاوتشوك الذي ينتفخ بسهولة وانبوب آخر يدخل فيهِ ماء ويكون الانبوب الاول متصلاً بآلة قياس الضغط فيظهر بها ان جدران المعدة تتقلص وتتمدَّد والمظنون ان حركتها هذه هي التي تسبب الشعور بالجوع

اكرام العلماء

العلم عند الاوربيين غير العلم عندنا والعلماء عندهم غيرهم عندنا فهم يفهمون بالعلم متى اطلقوهُ العلوم الطبيعية وحدها على انواعها و بالعلماء المشتغلين بها

لما اجتمع الوف العلماء في مدينة برمنجهام في شهر سبتمبر الماضي أُختير اعظمهم واشهرهم واكثرهم اكتشافات علمية ومنحوا رتبة شرف من جامعة برمنجهام وخاطبهم حينئذٍ رئيس الجامعة ذاكراً خلاصة اشغال كل منهم التي استحق لاجلها هذا الاكرام كما ترى في ما يلي قال

الدكتور ارهنيوس

مدير معهد نوبل في ستكهلم للطبيعيات والكيمياء عضو اكادمية العلوم الاسوجية وعضو الجمعية الملكية (الانكليزية) فان الطريقة التي استخدم بها نظرية الحل الكهربائي لدرس الافعال الكيماوية نوَّعت مجرى علم الكيمياء في الثلاثين سنة الاخيرة ووسَّعت نطاق البحث الكيماوي ووفقت بين الحقائق التي تظهر متناقضة وغير متصلة وادخلت الظواهر الكيماوية المتزايدة في دائرة البحث الكمي الحسابي فهو من اعظم واضعي علم الكيمياء الحديث وقد زاد على ذلك بانهُ استخدم مبادئ الكيمياء لايضاح اغمض ظواهر الحياة الآلية وما كتبهُ حديثاً في علم الكون كان لهُ شأن كبير في كل مكان فكاشفتهُ الكهربائية

والاشفاق القطبية ببعض اسرارها وآراؤهُ في كيفية تكوُّن العوالم فائقة في اختلابها الالباب واتساع دلالتها . رجل نابغة موَّسس من موَّسسي الكيمياء الطبيعية فاقدَّم الى رتبة دكتور في الشرائع سافنت اغسطس ارهنيوس

مدام كوري

مكتشفة الراديوم ومديرة المعمل الطبيعي في السربون من اعضاء اكادمية كروكو الامبراطورية . يعلم اهل الارض اجمع كيف جاءت مدام كوري من ورسو باسم ماري سكلودوسكا لتشتغل في باريس فاستهواها اكتشاف بكرل للفعل الاشعاعي فجعلت تقيس ما تجدهُ في المواد المعدنية من هذا الفعل ورأت منهُ في بقايا الاورانيوم اكثر مماً يكون في الاورانيوم نفسهِ فامتحنت اطنانًا من هذه المادة بمهارة ومواظبة منقطعي النظير (وقد اعطتها حكومة النمسا تلك الاطنان باشارة الاستاذ سوس) فقسَّمتها وكانت تبقي على ما تجد الفعل الاشعاعي فيهِ شديداً وتطرح ما سواهُ الى ان تبيَّن لها وجود عنصر جديد سمتهُ بالبولونيوم نسبة وطنها بولونيا ثم بعد ان قضت شهوراً تشتغل وتتعب تمكنت من استخلاص قمحات قليلة من المادة التي حازت الشهرة الكبرى المادة التي تحتوي قوة طبيعية بصورة طبيعية جديدة والتي يحتمل ان تكون مزيلة لآلام البشر . ثم بينت ماذا يجب ان يكون الوزن الجوهري للعنصر المعدني الذي في هذه المادة (وهو الراديوم) ووجدت لهُ محلاًّ في سلسلة مندليف واكتشفت بمساعدة زوجها الذي كانت وفاتهُ المفجعة ضربة فادحة على العلم — كثيراً من خواص ذلك العنصر وبعض هذه الخواص امتلك عقول البشر بغرابتهِ . والذين اشتغلوا بعدها في العنصرين اللذين اكتشفتها البولونيوم والراديوم كانوا يعتمدون على مشورتها فيجدونها كنزاً لا يثمَّن . فلي الشرف الآن في تقديم اعظم امرأة من نساء العلم في كل العصور ماري سكلودوسكا كوري لتقلَّد رتبتنا الشرفية

الاستاذ الدكتور كيبل

استاذ التشريح في جامعة فريبرج هو اكبر ثقة في كيفية نمو الانسان وعلم الاجنة المتعلق بذوات الفقار . هو الذي وضع الاقيسة المعوَّل عليها لقياس ما يتعلق بالاجنة وهو الذي اصلح تعليم التشريح بموَّلفهِ في النمو النسبي فبثَّ في النفوس المبادئ المبنية على ذلك . فما اضافهُ الى علم التشريح واسلوبهِ سارت بذكرهِ الركبان وعاد عليهِ بالشكر في كل مكان ولاسيما قسم التشريح في هذه الجامعة . هذا العالم الكبير الذي لهُ المنزلة العليا في نفوس رصفائهِ وفي يدهِ ادارة اعظم مدرسة لعلم التشريح في المانيا فرنز كارل يوليوس كيبل دُعي ليعطى رتبة شرف فاقدمهُ اليكم

الاستاذ لورنتز

نحن في انكلترا قام منا اكثر من قسطنا من الذين اشتغلوا بالطبيعيات الرياضية في القرن الماضي وهذا القرن. ونرى في استاذ الطبيعيات في جامعة ليدن عالماً مثل اكبر علمائنا فانهُ توسع في اشغال كلارك مكسول وادخلها مربع الالكترونات الذي كُشف حديثاً ووسع نظرية مكسول في القوى الكهربائية حتى شملت جواهر المادة · وهو ثقة في حركة الاجسام المادية اذا تحركت في اثير الفضاء وقد تحكّم في كثير من القضايا التي نتجت من الجمع بين النور والكهربائية ونظمها معاً · واكتشف مواطنهُ زيمان ظاهرة بصرية مغنيطيسة غريبة ففسرها لهُ تفسيراً بديعاً ثبتت صحتهُ حالاً وعُرف بهِ بناء كثير من الجواهر العنصرية المختلفة وتناولهُ الفليكيون الاميركيون فاكتشفوا بهِ ان كلف الشمس زوابع كهربائية شديدة المغنطيسية · ومن المحتمل ان تفسيرهُ هذا يزيد معارفنا بحقيقة الشمس والنجوم · فاقدم لكم هنريك انطون لورنتز كثقة في مذهب الالكترونات وكمن يذكر اسمهُ دائماً كلما ذكر الرأي الجديد القائل ان المادة اهتزازات كهربائية

الاستاذ وود

استاذ الطبيعيات في جامعة جونس هبكنس ببلطيمور (باميركا) عالم كثير التجارب العلمية لهُ فضل كبير على العلم الحديث بتجاربهِ في البصريات الطبيعية فانهُ تطلّع الى مباني جواهر الاجسام ببعض خواص النور التي قلّما كانت معروفة فعرف سرعة دقائقها بالضبط · واكتشف نوعاً جديداً من الطيف في تلألؤ الابخرة المعدنية · و يعوزني الوقت اذا اردت ان اشير الى كل ما اكتشفهُ من حيث امتصاص بخار الصوديوم واستخدام الفوتوغرافية ذات اللون الواحد لمعرفة جيولوجية القمر · واسمهُ مشهور في اميركا بتسييل الجليد من انابيب الماء بواسطة الكهربائية · يحق لنا في هذه البلاد ان نغار من العلماء الاميركيين لكثرة ما ينالون من كرم اغنيائهم ومن سائر العلماء على ما تمنحهم اياهُ حكوماتهم توسيعاً لنطاق العلم ونحترم الاساليب العلمية التي يستعملون فيها كرم الكرماء وكرم الحكومة ونعجب بهِ فاقدم الآن روبرت وليم وود لهذه الدرجة كعالم من اكبر العلماء الطبيعيين الذين قرنوا العلم بالامتحان

الاستاذ فمبيري

توفي المستشرق الكبير الاستاذ ارمينيوس فمبيري المجري في بودابست في ١٤ سبتمبر عن اثنتين وثمانين سنة وسنأتي على ترجمتهِ في الجزء التالي

مرفأ بمباي

لما ثار بركان يزوف وطمر مدينة بمباي

قيل ان ثلاثة ارباع سكانها لجأوا الى المرفإ المجاور لها آملين ان تنقلهم السفن الرومانية من هناك سالمين فخاب املهم . وقد اهتمَّ اهل النقب الآن بكشف آثار ذلك المرفإ فوجدوا طريقاً ممتداً من المدينة الى جهة البحر ولم تزل آثار عجل المركبات فيهِ ووجدوا مباني المرفإ القديم وعليهِ آثار امواج البحر وهذا المرفأ يبعد عن المدينة ٢١٠٠ قدم فقط ويبعد الآن عن شاطئ البحر ٩١٠٠ قدم كأن الارض ارتفعت هناك فانحسر الماءُ عنها نحو ميلين . والمرفأ مغطًّى بطبقة من التراب والرماد والحمم ثخنها نحو ٢٣ قدماً . وينتظر ان تكشف تحتها عظام السكان الذين هربوا الى هناك فادركهم الحمام ويكشف ايضاً ما اخذوهُ معهم من الذهب والفضة والجواهر

قصة جديدة للخلق

وُجد بين قطع الخزف الاشورية التي نقلت من انقاض نبُّور الى اميركا قطعة عليها كتابة اشورية عن خلق الانسان يقال فيها ان انيل خالق السماء والارض اراد ان يخلق الناس لسكنى العالم فقام الآله انكي الله الحكمة ورسم صورة انسان مثل صورة الآلهة وقامت الآلهة ننهرسغًا وصنعتها من طين فجرى اليها دم انيل واعطاها حياةً وعقلاً

انخفاض حرارة الشمس

يظهر من قياس الحرارة في مراصد كثيرة في العام الماضي ان الحرارة التي وصلت الى سطح الارض من الشمس من يونيو سنة ١٩١٢ الى اواسط يناير سنة ١٩١٣ كانت اقل من الحرارة التي تصل اليهِ عادة كأَنَّ غيوم السماء كانت تحجبها عن الوصول الى الارض . فهل لذلك علاقة بقلة فيضان النيل هذه السنة لانهُ اذا قلت الحرارة الواصلة الى الاوقيانوس الهندي قل التبخُّر منهُ وقلّت الامطار التي تتكون من بخارهِ وتقع في بلاد الحبشة ونحوها حيث منابع النيل

اغرب النيازك

حدث في اميركا الشمالية في التاسع من شهر فبراير الماضي حادث غريب جدًّا رآهُ اناس كثيرون ووصفوهُ وصفاً اقرب الى الوهم منهُ الى الحقيقة . وقد جمع الاستاذ شانت من اساتذة جامعة تورنتو كثيراً من الروايات التي رويت عنهُ ونشر خلاصتها في مجلة الجمعية الفلكية الملكية بكندا ويظهر منها انهُ ظهر بغتةً في الجهة الغربية الشمالية من اميركا جسم ناري احمر او اصفر ذهبي لهُ ذنب طويل وقال بعض الذين رأَوهُ ووصفوهُ انهُ كان جسماً واحداً وقال غيرهم انهُ كان بضعة اجسام متصلة ولكلٍ منها ذنب وهذا الجسم او المجموع سار الهوينا في خط افقي كانهُ يمشي متثاقلاً متبصراً وظلَّ يمشي الى ان بلغ اقصى الجنوب الشرقي وغاب

عن الابصار بابتعاده ولم يكد يغيب حتى ظهر مجموع آخر اقتفى اثره وسار سيره وكان مؤلفًا من اجسام مجموعة اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولكل منها ذيل يجره وراءه ولكنه اقصر من ذيل الجسم الاول. وغاب هذا المجموع كما غاب الذي قبله وظهر مجموع ثالث اقتفى خطواته

وقد وصف بعضهم هذه المجاميع بما تعريبه كان عدد الاجرام ثلاثين او اثنين وثلاثين والغريب من امرها انها كانت تسير اثنين اثنين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة الواحد وراء الآخر على تمام الانتظام كأنها مدرَّبة على ذلك وقد جاءت لتعرض للناظرين . ولما مرَّ نحو نصفها ظهر جسم كبير جدًّا اكبر من اكبرها عشرة اضعاف. والمدة التي كان يظهر فيها كل مجموع منها نحو عشرين ثانية الى خمس وعشرين ومدة ظهورها كلها نحو ثلاث دقائق . ولما غاب آخر مجموع منها سمعنا خمسة اصوات او ستة كاصوات الرعد آتية من جهة الشمال الغربي لا من جهة الجنوب الشرقي حيث غابت الاجرام. وانتهى هذا المعرض الساعة التاسعة والدقيقة ١٢ مساء

فائدة الجير في الزراعة

مررنا بالامس في ارض زراعية شديدة الخصب لكننا رأينا في حوض منها بقعة سوداء لا يزيد قطرها على بضعة امتار وليس فيها نبات مع ان القطن حولها نامٍ كثير اللوز ورأينا على مقربة من ذلك الحوض كومة من الجير (الكلس) الحي فعجبنا كيف يغفل ناظر الزراعة اصلاح تلك البقعة والجير امام عينيهِ وهو افضل مصلح لها . وكان المظنون ان الجير يصلح التربة الفاسدة باتحاده مع الاملاح الحامضة التي فيها وتعديلها ولكن ظهر الآن من التجارب الحديثة ان لهُ فعلاً آخر لا يقل عن الفعل الاول اهمية وهو انهُ يميت الحشرات الارضية التي تأكل الميكروبات النافعة ويميت ايضاً جانباً من الميكروبات ويحل المركبات الآلية النيتروجينية فتصير غذاء صالحاً للنبات وحينما يتحد بالحامض الكربونيك ويصير كربونات الجير تأخذ الميكروبات الصالحة للزراعة تنمو بكثرة وتزيد غذاء النبات . وقد لا تظهر فائدة الجير في الموسم الاول او يكون منهُ بعض الضرر ولكن تظهر فائدتهُ في الموسم الثاني وما بعدهُ

سمك يحمل اولادهُ على رأسهِ

وجد اهل السياحة في نهر من انهار غينيا الجديدة سمكاً ينمو للذكر منهُ مادة عظمية في أعلى رأسهِ تطول وتنعطف على نفسها فتصير حلقة مفرغة والبيض الذي تبيضهُ انثاهُ يعلق بهذه الحلقة باهداب تنمو منهُ وتلتف حول الحلقة فيعلق بها نحو مئة بيضة فتصير هذه البيوض في حرز حريز

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثالث والاربعين

صفحة

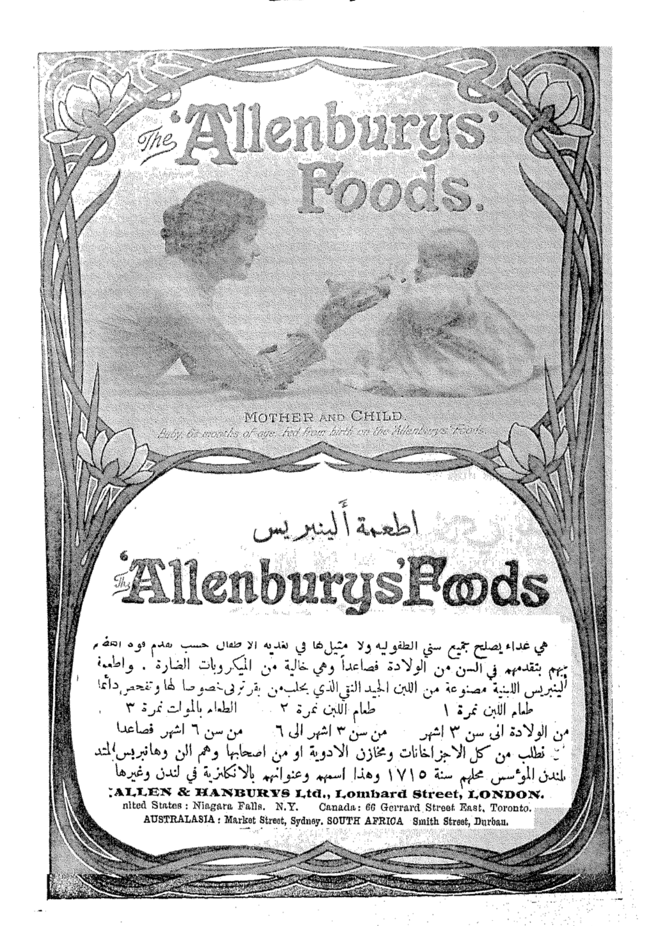
اعلانات المقتطف

المقتطف اقدم المجلات العربية واوسعها انتشاراً فيطالع ويحفظ في كل بلاد تقرأُ فيها اللغة العربية وكل اعلان ينشر فيهِ يطَّلع عليهِ الوف من قرَّاء العربية في كل اقطار المسكونة

وفائدة الاعلانات في ترويج البضائع والاشغال من كل الانواع اشهر من ان تذكر حتى ان محلاَّت كثيرة في اوربا واميركا تنفق سنوياً الوفاً من الجنيهات على نشر الاعلانات وترى انها تربح من ذلك ربحاً كبيراً واذا قلَّلت اعلاناتها في سنة من السنين قلَّ بيع بضائعها ومصنوعاتها وقلَّ ربحها كثيراً

وقد رأينا ان نعيد نشر الاعلانات في المقتطف لاسيما وان كثيرين من قرَّائهِ يسأَلوننا من وقت الى آخر عن الاماكن التي تباع فيها بعض الكتب وبعض المواد وعن اثمانها ونحو ذلك فنهمل الاجابة على اسئلتهم غالباً لضيق المكان في باب المسائل ولان مسائلهم خاصة بهم . ففي باب الاعلانات مجال واسع لاصحاب الكتب واصحاب المواد المختلفة لنشر اعلاناتهم عنها

والمخابرة في اجرة النشر مع ادارة المقتطف بمصر


The 'Allenburys' Foods.
MOTHER AND CHILD.
اطعمة أَلينبريس
The 'Allenburys' Foods
هي غداء يصلح جميع سني الطفوليه ولا مثيل لها في تغذيه الاطفال حسب
بهم بتقدمهم في السن من الولادة فصاعداً وهي خالية من الميكروبات الضارة . واطعمة
الينبريس اللبنية مصنوعة من اللبن الجيد النقي الذي يحلب من بقر تربى خصوصاً لها وتفحص دائماً
طعام اللبن نمرة ١ طعام اللبن نمرة ٢ الطعام بالموات نمرة ٣
من الولادة الى سن ٣ اشهر من سن ٣ اشهر الى ٦ من سن ٦ اشهر فصاعداً
تطلب من كل الاجزاخانات ومخازن الادوية او من اصحابها وهم الن وهانبريس المتحد
المدن المؤسس محلهم سنة ١٧١٥ وهذا اسمهم وعنوانهم بالانكليزية في لندن وغيرها
ALLEN & HANBURYS Ltd., Lombard Street, LONDON.
nited States : Niagara Falls. N.Y. Canada: 66 Gerrard Street East, Toronto.
AUSTRALASIA : Market Street, Sydney. SOUTH AFRICA Smith Street, Durban.

احسن دواء يصفه الاطباء

للمصابين بالروماتزم والنقرس والاوجاع المفصلية

هو

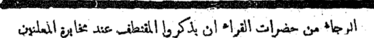
بيبرازين ميدي

Pipérazine MIDY

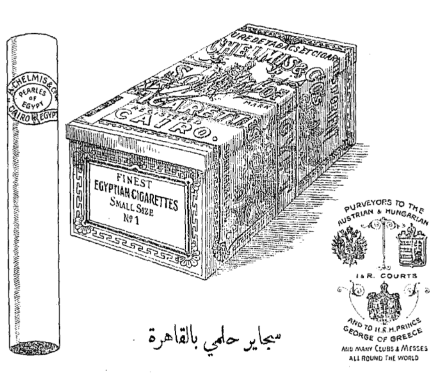
لانه اقوى دواء يذيب الحامض البوليك

ويسهل احتماله على متعاطيه

يطلب من كل صيدليات العالم




لارولا
BEETHAMS
la-rola
خير ما صنع لحفظ نضارة الشباب وحسنهِ وليس بين مواد التطرية المستعملة في التوالت ما يعادل لارولا في حفظ لون البشرة الصحي ونعومتها ووقايتها من فعل الشمس والهواء والماء القاسي فانها تمنع الخشونة والاحمرار والقشف وتكسب الجلد ليناً ونعومة وتحفظهُ سليماً على الدوام
اشترِ زجاجة من الاجزاخانة اليوم تجد فيها ما يسرك
تُطلب لارولا من جميع الاجزاخانات والمخازن او من اصحابها وهم بيثام وولدهُ بشلتنهام في انكلترا وهذا اسمهم وعنوانهم بالانكليزية
M. Beetham & Son, Cheltenham,
England.
La-rola



سجاير حلمي بالقاهرة

محل لتصدير السجاير للخارج وللبيع بالقطاعي بشارع المناخ

E. CHALHOUB

Ameublement, Menuisierie, Objets d'Art Arabes et Japonais.

—— RUE EL MAGHRABY AU CAIRE ——

الياس شلهوب

محل مفروشات وموبيليات وتحف شرقية ويابانية وافرنجية

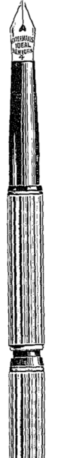
بشارع المغربي بمحل البورصة سابقاً

ان كنت ترغب ان تفرش بيتك او تزينه فعليك ان تزور هذا المحل الذي اشتهر بجودة اصناف بضائعه ورخص اثمانها حتى انهُ سمي بمحل

"الفرص الحقيقية"


طعام نسله
يصون الطفولية
Médaille d'Or Paris 1889
FARINE LACTÉE NESTLÉ
complet pour les Enfants
هو افضل جميع المركبات المستعملة لتغذية الاطفال ويشير بهِ جميع اطباء العالم
فهو حاوي لكل المواد المغذية سهل الهضم يقوي الجهاز العصبي والعظام وهو
بالحقيقة احسن غذاء للاطفال
يباع في جميع الاجزاخانات ومخازن الادوية والبقالة في جميع انحاء القطر المصري

Waterman's Ideal Fountain Pen



قلم واترمان البديع

احسن قلم بتجربته

خير برهان على حسن مزايا هذا القلم الذي بلغ غاية الاتقان هو ان يستعمله الكاتب يوماً بتمامهِ فيرى بنفسهِ ما يلقاهُ باستعمالهِ من الراحة فان قلم واترمان يقوم خير قيام بالشغل فلا يبطل الكتابة ولا يقع فيهِ خلل ولا يحتاج الى من يسيل حبرهُ وهو احسن قلم بتجربتهِ صنع الى الآن · وعلاوة على ذلك فبساطة تركيبهِ صنعهِ ضمان على جودة عملهِ في كل عمرهِ الطويل

يباع من هذا القلم ١٠٠٠٠٠٠ (مليون) في كل عام

يطلب من جميع المكاتب والجواهرجية في العالم ومن

L. & C. Hardtmuth, Ltd., Koh-i-noor House, London, England.

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثالث والاربعين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢ ذي الحجة سنة ١٣٣١

العلاج الكيماوي

من خطبة الدكتور ارلخ في المؤتمر الطبي

٢

يتوقف التداوي بالمواد السامَّة التي تميت الميكروبات على نسبة فعلها بها الى فعلها بالجسم. ففي التجربة المشهورة التي جرَّبها روبرت كوخ لم تفعل الجرعة الكبيرة من السليماني بعدوى الانثركس (الجمرة) فعلاً شافياً مع انها تفعل بالجسم فلا سبيل لاستعمال السليماني دواءً في هذه الحال. وقد يزيد الدواء الشرَّ شرًّا لانهُ يقوي الميكروب المرضي على النمو

وقد اكتشف هاتا سبب ذلك وهو ان الجسم يمتصُّ المادة السامَّة كلها واما الميكروبات فلا تمتص الأ جزءا صغيراً منها. ومن القواعد المشهورة في علم الاحياء ان المادة التي تميت الحي اذا كان مقدارها كثيراً تقويهِ في الغالب اذا كان مقدارها قليلاً وجرعاتها صغيرة ولذلك لا يستعمل في العلاج الأ المواد التي نسبة فعلها بالجسم الى فعلها بالميكروبات المرضية لا تحول دون استعمالها علاجاً. ويمكن اظهار ذلك بالامتحان اي بان يقابل بين الجرعة السامَّة والجرعة التي يحتملها الجسم. والمواد التي لها فائدة دوائية هي المواد التي الجزء الصغير من جرعتها المحتملة كافٍ للفعل الدوائي او الشفائي

وتعليل فعل الادوية حسب رأي لنغلي ورأيي ان في خلايا الجسم واعضائهِ المختلفة قوابل كيماوية مختلفة كما فرضنا وجودها في الميكروبات. ويظهر هذا الاختلاف الكيماوي في الاعضاء باختلاف تلوُّنها بالاصباغ فان قمة الحجاب الحاجز تسودُّ وحدها بعد دخول البارافنيلنديامين. والفنيلامين يضرُّ الحلمات الكلوية فقط ويميتها في كل الحيوانات. وقد ابان هاتا وغلدمان ان شعر الفيران في بعض بدنها يتلوَّن اذا دخلهُ السيانوجين وتجمع المادة

الملونة بكثرة في الغدد اللبنية · والمواد الملونة من نوع البيرونين تسبب استسقاء عامًّا في الفيران من غير ان تضرَّ بالكلى دلالة على انها فعلت بالنسيج الموصل تحت الجلد · وهذه الامور كلها تفسَّر بان الاماكن التي تحدث فيها هذه الافعال توجد فيها اسباب لحدوث فعل كيماوي خاص وهذه الاسباب هي وجود قوابل كيماوية خصوصية

بناءٌ على ذلك يمكن قسمة العقارات الى صفوف · وقد رأينا انهُ يحسن ان نرى كيف يتغير فعل الحامض الفنيل زرنيخيك الذي هو اساس مركبات الزرنيخ اذا اضيفت اليهِ مواد اخرى. ويمكن تركيب مركبات كثيرة على هذا النمط تبلغ الفًا وخمس مئة فبعضها مقدار الفعل السام فيهِ قليل جدًّا اقل مما هو في ملح الطعام والبعض الاخر الفعل السام فيهِ كثير جدًّا حتى ان الشيء الطفيف منها يميت · ويختلف فعلها بالجسم باختلاف الاعضاء التي تفعل بها فقد تفعل بالقناة الهضمية فيموت الحيوان بالاسهال الشديد وقد تفعل بالكبد فيصاب الحيوان باليرقان ويموت وقد تذيب الكريات الحمراء من الدم فيموت الحيوان بالانيميا الشديدة · وكثيرًا ما تفعل بالمجموع العصبي المركزي ففي الفيران تفعل بعصب دهليز الاذن الباطنة فتصير الفارة تدور على نفسها دورانًا مستمرًّا · وفي الناس يتأثر العصب البصري من كثير من مركبات الحامض الفنيل زرنيخيك ومن ثم يصاب بعض الذين يأخذون جرعة كبيرة من الاتكسول والارسازتين ونحوها

وسبب اختلاف تأثُّر الاعضاء باختلاف انواع الدواء هو اختلاف ما فيها من القوابل الكيماوية كما تقدَّم فان هذه القوابل قد تجذب الدواء كما يجذب المغنطيسُ الحديدَ وهذا هو دليلنا في عمل السهام الدوائية السامَّة التي نعالج بها اي يجب ان نضيف الى الحامض الفنيل زرنيخيك او الفنيل ارسنوبنزول انواعًا من المواد تصلح لما نريد علاجهُ من اعضاء الجسم ولما فيهِ من قوابل الميكروبات

قلت سابقًا ان في الميكروبات انواعًا مختلفة من القوابل فاذا امكننا ان نكتشف فيها قوابل لا مثيل لها في الجسم امكننا ان نركّب دواءً فيهِ مواسك تمسك هذه القوابل ولا تمسك قوابل الجسم فيفعل بها ولا يفعل بالجسم . والدواء الذي فيهِ هذه المواسك لا ضرر منهُ لان الجسم لا يمسكهُ فيفعل بالميكروبات بكل قوتهِ ويكون من هذا القبيل مثل المواد الواقية التي اكتشفها بهرنغ الشبيهة بما يروى عن الرصاص المسحور الذي يقال في الخرافات انهُ كان يتبع الاعداء ويوقع بهم · ولا ارى ما يمنع من تركيب ادوية تفعل بميكروبات الامراض دون سواها فقد وجدتُ ان الجزء من خمسين الى الجزء من مئة من الجرعة المحتملة من السلفرسان

تنجي الدجاج من ميكروب السبيرلوسس وتشفيها وهذا المقدار لا يضرُّ بالدجاجة اقل ضرر لكننا لم نوفَّق حتى الآن الى اكتشاف ادوية أُخرى يفعل الجزء الصغير منها هذا الفعل. وحسبُنا لو وجدنا ادوية يفعل عشر جرعتها المحتملة او خمسها فعلاً دوائيًّا

هذه هي المبادئ التي ارتشدنا بها بالاكثر في تركيب الادوية الجديدة. وقد ساعدني في تركيب التراكيب المختلفة منها وامتحانها اطباء كثيرون مثل الدكتور بندا والدكتور برتهيم والدكتور كهن والدكتور فرر . وامتحنها بيولوجيًّا صديقي المحترم الدكتور هاتا ثم الدكتور كستلي والدكتور غُنْدر فوجدنا افضلها وانفعها السلفرسان

ولكن بين المعمل الكيماوي وغرفة المريض خطوة كبيرة وشقة واسعة لا تقطع الاَّ بالاعتناء . وصعوبتها وخطرها قائمان في امرين الاول ان في الناس امزجة مختلفة اي فيهم استعداد للتأثر الشديد يختلف في الواحد عمَّا هو في الآخر وهذا ليس موجوداً في العجماوات. والثاني ان بعض الامراض تسبب في من تقع بهِ ميلاً الى هذا التأثر الشديد

ومعالجة المرضى على هذه الكيفية امر صعب جدًّا وهي مثل حرب تثار على الميكروبات المرضية. واساليبها مختلفة اهمها ان يحقن الجسم مرةً او مرتين بمادة تخلصهُ من الميكروب دفعةً واحدة او من الحلَم الذي فيهِ واذا خلصتهُ من ٩٥ في المئة من الميكروب فالخمسة الباقية يميتها ما يتولد حينئذٍ في الجسم من المادة المقاومة لها. ولكن ذلك قلما يحدث لان بعض الميكروبات او الحلميات التي تنجو من فعل الدواء تتغير وتكتسب الوقاية من المصل او الامتناع عليهِ فتنمو ثانية وتولد النكس ومن ثم يحصل النكس في بعض الامراض بعد شفائها. ولذلك تدعو الحال الى قتل كل الجراثيم المرضية دفعةً واحدة والاَّ فاذا بقي واحد منها حيًّا نما وتكاثر من جديد . الاَّ ان الحروب لا يحصل الفوز فيها كلها بمعركة واحدة فاصلة بل قد يكون امام الخصوم قلاع ومدينة حصينة لا بدَّ للتغلُّب عليها من الاستمرار على محاصرتها شهوراً. ويحدث مثل ذلك في الجسم المريض ويكون الغرض حينئذٍ اعداد الجسم للمعركة الفاصلة التي يتغلَّب فيها العلاج على الميكروب . وقد يكون الميكروب نفسهُ حصينًا لا يسهل التغلُّب عليهِ الاَّ بالوسائل الكيماوية المختلفة وهذا هو غرض العلاج الكيماوي المركب

ويتضح مما تقدم ان العلاج المركب يستلزم استعمال فواعل كيماوية مختلفة تفعل بقوابل الميكروب المختلفة فلا يحسن ان نمزج فاعلاً بفاعل آخر مثلهِ او من نوعهِ كمزج التربيين الازرق بالتربيين الاحمر لانهما يفعلان على حدٍّ سوى بالميكروب او بجهة واحدة منهُ بل يجب ان نختار العقاقير الاقوى وان ننتقي منها انواعًا مختلفة تهاجم الميكروب من كل جهاتهِ

حسب قاعدة رجال الحرب الذين يقولون « اهجموا متفرقين وحاربوا مجتمعين »

ومتى عرفنا ماهية قوابل كل نوع من الميكروبات وافعال العقاقير بها تمهَّد امامنا السبيل لمزج الانواع اللازمة من العقاقير لقتلها

والآن ايها السادة اسمحوا لي ان اذكر لكم بعض النتائج العملية التي وصلنا اليها . تعلمون ان الدواء المجهز الذي يميت النوع الواحد من الميكروب كلهُ قد افاد فائدة كبيرة في الامراض التي ميكروبها من نوع السبرلَّس (اللولبيات) فحقنة واحدة من السلفرسان تشفي من القوباء التوتية (frombœsia) شفاء تامًّا الاَّ في ما ندر . وهو مرض شديد الوطأة في البلدان الحارَّة فقد كان عدد المرضى بهِ في مستشفى سورينام لا يقل عن ٣٠٠ فلما استعمل هذا العلاج شفي كل المصابين الاَّ اثنين واُقفل المستشفى لان كل مصاب كان يشفى تمامًا بحقنة واحدة . ويرجى ان يستأصل هذا الداء تمامًا بواسطة هذا العلاج

وحدث مثل ذلك في شفاء الحمَّى الراجعة فان حقنة واحدة بالسلفرسان تشفي المصاب بها وكذلك الحال في الحمَّى المتكسة

والداء الزهري من قبَل القوبا التوتية وقد شفي عدد كبير من المصابين بهِ بحقنة واحدة اذا كان لا يزال في اوائلهِ ولكن الشفاء التام اكثر تحققًا اذا كررت الحقن

وهذه المعالجة ممكنة في امراض غشاء الفم المخاطي وقد افاد استعمال السلفرسان فيها موضعيًّا . ونجع السلفرسان في الحمَّى المثلثة وحبَّة حلب . هذا في البشر اما في الحيوانات فمرض ثدي الفرس يشفى بحقنة واحدة من السلفرسان وكذلك التهاب الغدد اللمفاوية ومرض السقاية الذي يصيب الخيل في افريقية

ومن اهم الامور ما وجدهُ رجرس وهو ان الاماتين (الجوهر الفعال في عرق الذهب) دواء نوعي للدوسنطاريا الاميبية . وبلغني ان ازرق التريبين يشفي من داء البروبلاسموسس الذي يصيب البقر والكلاب وان الفلاحين في بريتوريا صاروا يحقنون مواشيهم بهِ فتشفى

وقد حاول غرفن لندن الوقاية من التدرُّن بمركب من النحاس والليستين فظهرت فائدة لهذا العلاج وظهرت فائدة ايضًا من معالجة الجمرة الخبيثة والسقاية بالسلفرسان ومن المحتمل انهُ يفيد في الحمرة . والمجال واسع في هذا الباب للتجارب المختلفة لان العمل فيهِ لا يزال في بداءته

هذا واذا القينا نظرة عامَّة على تاريخ علم الطب في الخمسين السنة الماضية ولاسيما في الحرب التي اثارها على الامراض المعدية وجدنا انهُ تقدَّم في كل فروعهِ تقدُّمًا مهمًّا ولاسيما ما يتعلق منهُ باسم باستور وكوخ وبهرنج فمن الجهة الواحدة تمَّ لنا استفراد الميكروبات المرضية

بالطريقة التي اكتشفها كوخ واشترك فيها تلامذتهُ ورصفاؤهُ ولاسيما لُفلَر وغفقي وفيفر . ودرس الحلميات الذي ابتدأ باكتشاف لافران لجراثيم الملاريا واكتشاف لفلر وفروش ورو وتوكار للسموم التي تمر في المرشحات واكتشاف فعل الحشرات في قبولها جراثيم الامراض وايوائها الى ان تنقلها الى الانسان . ومن الجهة الاخرى درسنا اساليب المناعة التي ابتدأت طلعة بدرها على يد متشنيكوف و بلغت اوجها باكتشاف بهرنغ للانتيتكسين ففتح امامنا مجال جديد لعلم الوقاية والبحث في انواع المصل اشتغل بهِ فيفر و بوردت وفيدال ووسرمن وغيرهم وانا منهم . ومن اثمن الثمار التي جنيناها من باب عملي تشخيص الامراض وفائدة ذلك في علم العلاج لا تقدَّر . وكان لهذه المكتشفات ولاسيما ما كان منها متعلقاً بانتشار الامراض المعدية فائدة كبيرة جدًّا في مقاومة الاوبئة والوقاية منها على حد قولهم ان الوقاية خير من الشفاء بل فاقت فائدتها كل ما قُدّر لها . وزد على ذلك ان الامراض التي وجد علاجها من قبلُ كمصل الدفثيريا استفاد علاجها ايضاً من هذه المكتشفات الجديدة

والآن قد عُرف كثير من مخاطر الامراض والاستعداد لها واتجه العلاج الكيماوي الى شفاء الامراض التي يعجز الجسم عن التغلُّب عليها سواء اكانت وافدة او غير وافدة . واذ قد وضع اساس المعالجة الكيماوية على مبادئ علمية اتضحت السبل التي يجب السير فيها ولو لم يخلُ هذا السير من المصاعب . ففي الامراض التي تدخل فيها الحلميات واللولبيات نجحنا نجاحاً يفوق الانتظار و يبشر بنجاح اكبر في المستقبل . وعندنا الآن ادلة كثيرة على ظهور تباشير النجاح في امراض اخرى معدية كالجدري والقرمزية والتيفوس الطفحي والحمَّى الصفراء و بنوع خاص في الامراض التي لا ترى جراثيمها بالميكرسكوب لصغرها . ولا تزال الامراض التي ميكروباتها كبيرة الحجم نوعاً وترى بسهولة كالتيفويد والدوسنطاريا والتدرُّن محتاجة الى درس كثير ولكنني انظر الى المستقبل بعين الثقة وارجو انهُ لا يمضي خمس سنوات حتى نكون قد وصلنا الى نتائج مهمة جدًّا في هذا السبيل ولو وجدت امامنا مسائل عويصة جدًّا لا تحلّ ما لم تنضمَّ اليها همم اناس كثيرين من الباحثين . واذا اعتبرنا كثرة المركبات الكيماوية التي تصلح لما نحن فيهِ من مقاومة الامراض رأينا ان العثور على افيدها في معالجة المرض او في كونهِ اساساً للعلاج انما يكون من باب التوفيق او الاتفاق ولكن الاتفاق يزيد وقوعاً اذا كثر عدد المشتغلين في الموضوع . والحال ادعى الآن الى استجماع القوى لان في الاتحاد قوة في هذا الباب كما في غيرهِ . وهذا المؤتمر الدولي الذي يجتمع فيهِ الوف من كل اقطار المسكونة ليثبتوا باجتماعهم ان عالم العلم عامٌّ لا فواصل فيهِ تفصل بين الامم المختلفة قد أُسس لهذا الغرض

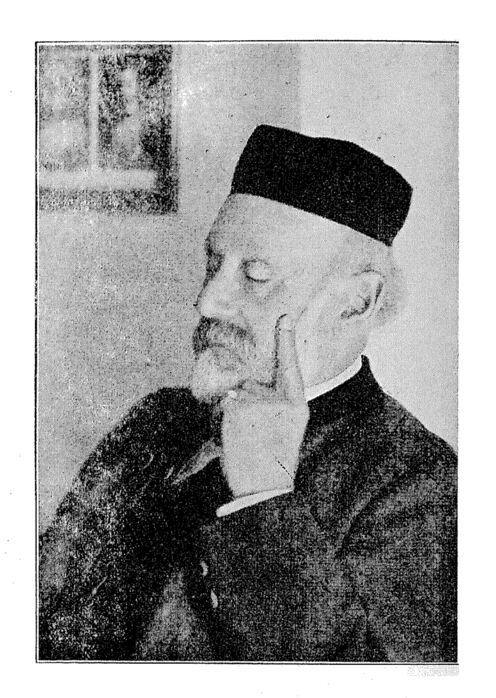
الاستاذ ڤمبيري

هوذا اسم آخر من اسماء العصاميين الذي ارتقوا من اوطإ دركات الفقر والمسكنة الى اعلى مراتب الشهرة العلمية والادبية · ارمينيوس ڤمبيري اللغوي الرحالة · ولد في بلد صغير من بلاد المجر من ابوين يهوديين · ولم يكن يعلم سنة ولادته بالتحقيق فلما طُلب منهُ ان يكتب اسمهُ في سجل ميلاد الملكة فكتوريا سنة ١٨٨٩ قال انهُ لا يعرف تاريخ ميلاده ولكن سُمح لهُ حينئذٍ ان يجعلهُ في ١٩ مارس سنة ١٨٣٢

كان ابوهُ من اليهود التلموديين يقضي وقتهُ في المطالعة وزوجتهُ تعمل لكسب ما يقوم بمعيشة بيتها · وتوفي ابوهُ وعمرهُ بضعة اشهر وحاولت امهُ ان تنجو من الفقر المدقع الذي كانت فيهِ بالتزوج برجل آخر ولكن هذا الزوج لم يعنَ باولادها ولا باولاده فاضطر ارمينيوس ان يكدح لنفسهِ ودخل في خدمة خيَّاطة تخيط الثياب للنساء وعمرهُ ١٢ سنة وكان قد تعلَّم في مدرسة بلدهِ مبادئ القراءة والكتابة وبعض العلوم البسيطة فترك الخيَّاطة ودخل في خدمة صاحب خان لتعليم ابنهِ ومسح احذية عائلتهِ · واقتصد ممَّا اكتسبهُ من ذلك ثمانية فلورينات اي نحو ثمانين غرشاً فقام بها الى سنت جورجن حيث توجد مدرسة عالية ليتعلَّم فيها ولعلَّها مجانية والاَّ ما استطاع التعلم وكل ما يملكهُ ثمانون غرشاً

وكان فيهِ ميل طبيعي الى تعلُّم اللغات تجري على مقتضى ميلهِ ولم يبلغ السادسة عشرة حتى صار يحسن التكلم بكثير من لغات اوربا واسيا كالمجرية واللاتينية والفرنسوية والالمانية والانكليزية والروسية والسربية · ولما بلغ العشرين تعلَّم التركية وقام فيهِ ميل شديد الى زيارة البلدان الشرقية والاطلاع على ما فيها من عجائب الصناعة ومظاهر الابهة ومواصلة دروسهِ اللغوية فاعطاهُ احد المحسنين نفقات السفر الى البحر الاسود وسار منهُ ثم الى القسطنطينية وجعل يكتسب معيشتهُ بتلاوة الاشعار التركية والفارسية في قهوات اسطانبول وتعليم اللغات الاوربية لاولاد حسين باشا دايم وتعرَّف بكثيرين من اهل الوجاهة فصاروا يسمونهُ رشيد افندي وجُعل سكرتيراً لفؤَاد باشا والَّف قاموسهُ بالتركية والالمانية وبلغ عدد اللغات التي اتقنها عشرين لغة

وكان اعرج من صباهُ لكن ذلك لم يقعدهُ عن طلب السياحة في اقصى البلدان رغماً عمَّا هو فيهِ من الفقر فقام قاصداً خوى وبخاري وسمرقند لكي يتقن لغاتها وكان قد صار عضواً



الاستاذ فمبيري

المقتطف مجلد ٤٣ صفحة ٤٢٢

مراسلاً في اكادمية العلوم المجرية. فاعطتهُ الاكادمية الف فلورين سنة ١٨٦١ لكي يذهب الى قلب اسيا ويبحث عن علاقة اللغة المجرية بلغات تلك البلاد. ومضى في السنة التالية الى ايران مع قافلة من حجاج التتار راجعة من مكة وكان قد تزيَّا بزي درويش غير حاسب للمخاطر حساباً ولا متعظ بما اصاب غيره من السياح الذين جروا هذا المجرى فكُشف امرهم وقضي عليهم . وغادر طهران في ٢٨ مارس سنة ١٨٦٣ فوصل الى خوى في آخر مايو بعد ان كاد يموت عطشاً وهو سائر في الصحراء فاكرم خان خوى مثواه وانزله عنده شهراً من الزمان ثم قام مع قافلة اخرى وقطع قفراً آخر فكاد يهلك عطشاً قبلما وصل الى بخارى

وزار سمرقند فرآه اميرها وارتاب فيهِ وجعل يباحثهُ حتى اقتنع بصدقهِ فاهدى اليهِ هدايا نفيسة. ثم زار وهرات ومشهد وعاد الى بلاد المجر فلم يحفل بهِ اهل بلادهِ لفقرهِ وكونهِ يهوديًّا. فذهب الى البلاد الانكليزية ووصل مدينة لندن في شهر يونيو سنة ١٨٦٤ وتعرف بالسر هنري رولنصن ولورد سترانفرد وهما من كبار المستشرقين العارفين باللغات الشرقية والباحثين عن الآثار الاسيوية وتعرف بغيرهما ايضاً من العلماء ورجال السياسة لانهُ كان يبحث في رحلاتهِ عن مقاصد روسيا في البلدان الشرقية وما تطمح اليهِ من التوسع فيها والوصول الى بلاد الهند . ودعي الى الجمعية الجغرافية فتكلم عن رحلتهِ وما لقيهُ فيها وحاول ان يقنع رجال السياسة بترك بلادٍ حرَماً بين الاملاك الروسية والاملاك الانكليزية في اسيا . والَّف كتاباً في رحلتهِ كان لهُ وقع عظيم في النفوس وتُرجم الى اربع عشرة لغة فانتقل بهِ بغتة من درويش خامل الذكر يضرب ماشياً في صحارى اسيا الى رحَّالة يشار اليهِ بالبنان في عاصمة انكلترا وسائر العواصم الاوربية

ولما عاد الى بلادهِ جُعل استاذاً للغات الشرقية في جامعة بودابست فعكف على الدرس والكتابة والَّف كتباً كثيرة في المواضيع اللغوية والمسائل الشرقية وكان يراسل معارفهُ من التتر والتركمان والعثمانيين والايرانيين والهنود والفرس بلغاتهم

وزار القسطنطينية مراراً واتصل بالسلطان عبد الحميد وصار من مشيريهِ والمدافعين عنهُ في الجرائد والمجلات الاوربية وقد ترجمنا مما كتبهُ فيهِ مقالة نشرناها في المجلد الرابع عشر الصادر سنة ١٨٩٠ ومما جاء فيها قولهُ « ان السلطنة العثمانية سابقة لسائر ممالك الاسلام والفضل في ذلك لجلالة سلطانها عبد الحميد وعظم اهتمامهِ . وانهُ ورث عن جدهِ السلطان محمود الغيرة والسعي والهمة وعن ابيهِ السلطان عبد المجيد دماثة الاخلاق ورقة القلب ولا ابالغ اذا قلت انهُ لم يقم في تاريخ الشرق سلطان شرقي امتاز بحب الشغل والهمة التي لا تكل

ولا تمل كالسلطان عبد الحميد فانهُ يقضي يومهُ من الصبح باكراً الى ان يتناهى المساء مهتماً بقضاء اشغال الدولة ومهام السلطنة

« اما اوصافهُ الذاتية فقد الفيت فيهِ فوق ما سمعت من اللطف والرقة ودماثة الاخلاق . وهو من المتمسكين بعقائد مذهبهِ والمحافظين على شعائر ديانتهِ المعتصمين بالبر والتقوى ولذلك تراهُ محفوفاً باكابر الائمة والعلماء والصلاَّح

« واما نظام البوليس الذي انهال الذم عليهِ سيولاً وما يقال عن اجواق العيون والارصاد التي بثها بين رعيتهِ وانفق عليها الاموال الطائلة تأميناً على حياتهِ وتسكيناً لشبهاتهِ فالحق يقال ان هذه الاجواق لا توجد الاَّ في مخيلة سكان بيرا وغلطه »

هذا ما كتبهُ منذ ٢٣ سنة لكن لما خلع عبد الحميد كتب ما يخالفهُ من وجوه كثيرة بل كتب كتابة منصف . ولم ينفك عن الكتابة في المواضيع الشرقية عموماً والعثمانية خصوصاً الى ان ادركتهُ الوفاة فقد نشرت جريدة التيمس رسالة منهُ يوم وفاتهِ موضوعها مسلمو الهند والبلاد العثمانية

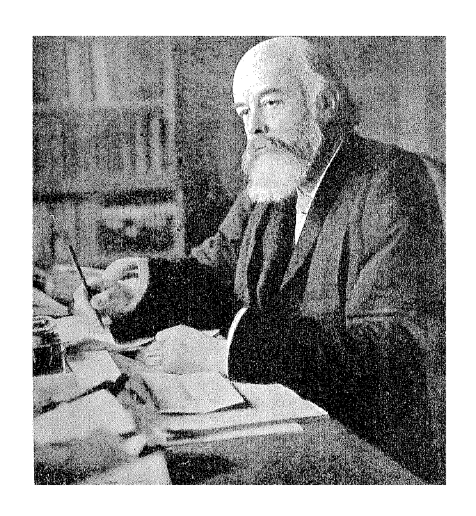
وتردَّد على البلاد الانكليزية والتي فيها وفي غيرها خطباً كثيرة وكان في خطبهِ ومقالاته يرمي الى انتقاد السياسة الروسية واقناع الانكليز بان روسيا قاصدة ان تثير الهند عليهم او تنتزعها منهم . ولما زار لندن سنة ١٨٨٩ دعتهُ الملكة اليها وانزلتهُ في قصر وندزر . ونزل ضيفاً قبل ذلك على الملك ادورد لما كان ولي العهد . وقال في احد كتبهِ انهُ لما زار وليُّ العهد بودابست ورأى ان كبراءها لا يحفلون بهِ كما يحفل بهِ الانكليز استدعاهُ اليهِ ووضع يدهُ في يدهِ ودخل غرفة الاستقبال على هذه الصورة امام كبراء المجر وعرَّفهم بهِ قائلاً هذا صديقي الاستاذ ڤمبيري . ومن ثم ارتفعت منزلتهُ عندهم

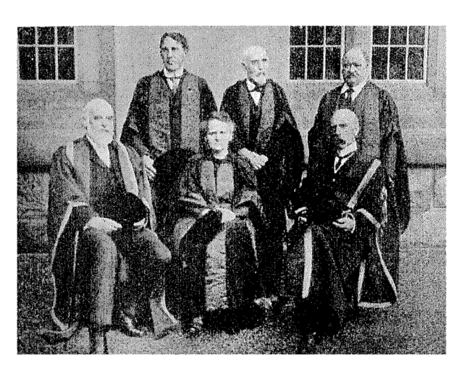
ولما بلغ السبعين من عمرهِ بعث اليهِ الملك ادورد تلغرافاً يهنئهُ بهِ ثم اهدى اليهِ نشان ڤكتوريا وقام الملك جورج وهو وليُّ العهد عرَّاباً لحفيدهِ

ومن كتبهِ المشهورة رحلتهُ في اواسط اسيا . وترجمة حياتهِ . والهيام والترحال في ايران . ورسوم من قلب اسيا . وتاريخ بخارى . والاخلاق في البلاد الشرقية . وعمران الشعوب التركية التترية . واصل المجر . والشعب التركي . والعمران الغربي في البلدان الشرقية

وقد توفي بغتة ليلة الخامس عشر من سبتمبر الماضي في بيتهِ ببودابست وهو في الثانية والثمانين من عمرهِ

الاستاذ السر اوليفر لدج رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني





الصف الاعلى من اليمين الدكتور ارهنيوس والاستاذ لورنتز والاستاذ ود والصف الاسفل من اليمين المستر بارلنغ ومدام كوري والسر اوليفر لدج

مبدأ الاتصال

(تابع ما قبله)

ثم ان الاشعاع الذي يحسب متصلاً ابتدأت الدلائل تدل على انهُ مركب من دقائق فلم يمت مذهب نيوتن كما كنا نحسب في صبانا ، ولا شبهة ان بعض الاشعاع مركب من دقائق منفصلة وان في الاشعاع الاثيري شيئاً من الانفصال اذ تظهر فيهِ نقط ورقط كأن صدر تموجاتهِ مؤلف من نقط منفصلة او كما قال السر جوزف طمسن ان مقدم الامواج اشبه بنقط منيرة على ارض مظلمة منها بسطح متساوي الانارة كأن الاثير مؤلف من الياف والامواج تجري في خطوط من القوة الكهربائية كما انبأ فراداي . و يظهر لي ان نيوتن نفسهُ اشار الى شيء من ذلك حينما اضاف على دقائقهِ نبضات الاثير

وننتظر بحثاً مستفيضاً في الاشعاع يوم الجمعة في قسم الكيمياء والطبيعيات واننا نرحب بالاستاذ لورنتز والدكتور ارهنيوس والاستاذ لنجمُن والاستاذ برنجسهيم والاستاذ وود وغيرهم فان بعضهم دعوا خاصة لهذا الاجتماع بسبب مباحثهم المهمة في الاشعاع

لماذا هذا الاهتمام الكبير بالاشعاع . لانهُ الحلقة بين المادَّة والاثير التي دُرست كثيراً وعُرفت اكثر من غيرها . والمرجح انها الحلقة الوحيدة المعروفة عندنا التي تؤَثر في الاثير حينما يكون وحدهُ . فان الكهربائية والمغنطيسية مرتبطتان بما يسمَّى بالالكترون والالكترون يهيج الاشعاع ثم يتركهُ في اثير الفضاء فيسير فيهِ بسرعة معلومة مستقلة تستمرُّ على درجة واحدة ما دام الاثير حرًّا غير متنوع بالمادة وغير مثقَّل بها ولذلك فالاشعاع يكشف لنا اموراً كثيرة ويمكن ان نتعلم اموراً كثيرة عن حقيقتهِ

الى اي حدّ يمكننا ان نستطرد ناموس الانفصال او التجزء اي كون الاجسام مؤلفة من جواهر او دقائق منفصلة معدودة . من العلماء من يقول ان هذا التجزء يمكن استطرادهُ الى حد بعيد جدًّا اما انا فاعتقد اننا نصل اخيراً الى الاتصال وان الاثير يملأُ الكون ويصل بين جواهرهِ

وتختلف آراء العلماء في الاثير باختلافهم ولكن اتضح ممَّا تقدم انهُ هو الرابط الذي يربط الكون بعضهُ ببعض ويجعلهُ جسماً واحداً بدلاً من كونهِ اجزاء منفردة مستقلَّة وهو الذي ينقل كل انواع القوة من الجاذبية العمومية الى جاذبية الالتصاق والالفة الكيماوية فهو مخزن القوة الكامنة في الكون

المادة تتحرك ولكن الاثير يتغيّر شكلهُ لا غير

وما المرونة في المادة الأ نتيجة تغير الشكل الناتج عن انتقال الدقائق ورجوعها الى وضعها فيقع شدها وضغطها على الاثير . والاثير لا يتحرك اي لا ينتقل من مكان الى آخر مع انهُ يرجح ان اجزاءهُ الصغرى مستمرّة على الحركة الدورانية او الاضطرابية . وهذه الحركة هي سبب ما فيهِ من الصلابة الفائقة . فهو اثقل من كل انواع المواد يزيد ثقلهُ النوعي او كثافتهُ ملايين من المرات على ثقل الرصاص والبلاتين لكن المادة تتحرك فيهِ ولا تجد اقل معارضة لا من الفرك ولا من اللزوجة . ولا تناقض في ذلك لان اللزوجة ليست من لوازم الكثافة . اذا مرَّ جامد في سائل اكتسب شيئًا من السكون من السائل الذي شغل محلهُ اما من حيث المادة والاثير فاكثف المواد كثير المسام جدًّا بالنسبة الى الاثير وجواهرهُ بعيد بعضها عن بعض وفيها و بينها مسافات كبيرة بالنسبة اليها . فجواهر المادة لا تشغل محل دقائق الاثير كما يشغل الجامد محل السائل اذا مرَّ فيهِ بل ان الاثير يتنوع على نوع ما حتى يكيّف المادة . ولا شبهة ان جزءًا منهُ يتحرك حينئذٍ ولكن حركتهُ ليست مثل حركة جسم غريب بل مثل حركة جزء غير منفصل عن الكل . ولا يظهر ان في الاثير شيئًا من اللزوجة

والاشياء المادية المحسوسة التي عليها مدار العلوم الطبيعية هي المادة في حال الحركة والاثير في حال الانضغاط . فالمادة في حال الحركة تمثل الحركة الفعلية والاثير في حال الانضغاط يمثل الحركة المُكْنِيَّة (Potential اي الكامنة او التي في حيز الامكان) . وكل افعال الكون المادي انما هي تغيرات من النوع الواحد الى الآخر . وكلما حدث تغيُّر مثل هذا في القوة حدث منهُ فعل او عمل ولكن القوة لا تقل في كميتها بل تنتقل من جسم الى آخر ودائمًا من الاثير الى المادة ومن المادة الى الاثير (الاَّ في الاشعاع الذي يتخذ صورة المادة) ومن صورة الى اخرى

ويمكننا ان نقسم انواع القوة التي تفعل باجزاء المادة سواء كانت تلك الاجزاء كبيرة كالنجوم والسيارات او صغيرة كالجواهر والالكترونات اما الى ما ينقل تلك الاجزاء من مكان الى آخر او ما يديرها او ما يهزها واما الى تشكُّل اثيري يظهر لنا مادةً في الاشكال التي ندركها بها بحواسنا

ويظهر لي ان كون الجواهر المادية منفصلة بعضها عن بعض وكونها في حالة الحركة السريعة جدًّا هما من الاسباب التي تدعو الى القول بان القوة مؤَلفة من جواهر او دقائق . وعندي ان ما يظهر من التجزوء في الاشعاع سببهُ تجزء دقائق المادة وانفصالها بعضها عن بعض .

فالاضطراب الذي يحدث داخل الجوهر يظهر انهُ متقطّع ومتى حدث قذف جزءًا من الجوهر بقوة شديدة . والظاهر ان هذا القذف لا يحدث الاَّ اذا بلغت الحركة سرعة مخصوصة وحينئذٍ يتغير وضع اجزاء الجوهر وتنتظم انتظاماً جديداً ينتج عنهُ اشعاع اثيري محسوس ولذلك يظهر الاشعاع متقطّعاً كانهُ ينبثق انبثاقاً او ينفجر انفجاراً بنُوَب متوالية شبيهة بظهور النجوم الجديدة في السماء

واذا تحرَّك عدد من الجواهر معاً وجب ان تتوزع القوة عليها كلها على السواء ولو بعد زمن طويل حسب درجات مجالها (اي المكان الذي تتحرك فيهِ) ولكن الواقع يخالف ذلك اذ يرى ان بعضها فقط يشترك في تلك القوة ولولاهُ لبُذّرت القوة تبذيراً وعليهِ فالمجال الضيق لا يشترك في القوة لانهُ لا يمكن ان يتحرك فيهِ اقل من جوهر واحد

وافضّل ان اعبّر عن ذلك بقولي ان مزاحمات الدقائق العادية لا توجب اهتزاز الجواهر او تهييج الاثير . ولا تهتز الجواهر اهتزازاً منيراً الاَّ باصطدام شديد جدًّا يمكننا ان نسميهُ بالاصطدام الكيماوي . اما حركات الدقائق وصدماتها العادية التي لا تزيد على مليون صدمة في الثانية من الزمان فلا تأثير لها من هذا القبيل الاَّ في المواد ذات النور الفصفوري او البرّاق ولولا ذلك لانتقلت القوة كلها من المادة الى الاثير . ولا غرابة في عجز الدقائق عن الاشعاع لانها بطيئة الحركة تكاد سرعة حركتها تقابل بسرعة حركة الصوت وفيها صلابة شديدة ولولا ذلك لشاركت الجواهر في حركتها . والظاهر انها لا تهتز الاَّ عند درجة معلومة من التهيُّج وهذا اساس نظرية الكم

(واسهب الخطيب في هذا الباب بكلام لا يفهمهُ غير الذين خاضوا في اعوص المباحث الطبيعية الحديثة الى ان قال) انهُ يصعب علينا جدًّا ان نجري الامتحان في الاثير لاننا لا ندركهُ بحواسنا وكل ما نعلمهُ من خواصهِ المادية هو السرعة التي ينقل بها امواج النور ولذلك فهو واسطة طبيعية حقيقية ولو لم يكن ملموساً ولا منظوراً . واهم مكتشفات القرن العشرين الطبيعية هو المذهب القائل ان المادة اهتزاز كهربائي وهو الذي اشار اليهِ المستر بلفور في خطبة الرئاسة التي تلاها في كمبردج سنة ١٩٠٤ (١) . ولم يثبت هذا المذهب حتى الآن ثبوتاً ينفي كل ريب ولكنني اثق انهُ سيثبت على وجه من الوجوه (٢) . وخلاصتهُ

(١) تجد خلاصتها في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٠٤

(٢) انظر خطبة السر اوليفر لدج في هذا الموضوع وهي منشورة في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٠٣ وموضوعها المادة واحدث المذاهب فيها

(١) ان جواهر المادة مؤلفة من الالكترونات وهذه الالكترونات هي دقائق كهربائية سلبية وايجابية

(٢) ان الجواهر مرتبطة بعضها ببعض لتأليف الدقائق بالالفة الكيماوية التي هي جاذبية كهربائية تفعل على ابعاد صغيرة جدًّا

(٣) والدقائق مرتبطة بعضها ببعض بجاذبية الالتصاق التي اعتقد انها ما يبقى من فعل الالفة الكيماوية بعد ما ينقص منها بالبعد بين الدقائق

(٤) ان المغنطيسية ناتجة من حركة الالكترونات ولا مغنطيسية من غير مجرًى كهربائي ولا مجرى كهربائي من غير الكترون متحرك

(٥) يحدث الاشعاع من الكترون متحرك بسرعة متزايدة على نسبة مربَّع حركته

لا بدَّ من ان يكون لهذا المذهب نتائج غريبة فانهُ اذا ثبت فكل الافعال المادية انما هي افعال كهربائية اي اثيرية ونحن لا نشعر بحركتها لاننا نحن وآلاتنا وادواتنا متحركون معًا بسرعة واحدة . . . فان الشعور بالحركة يقتضي وجود الاختلاف بين حركتي جسمين فاذا كان الجسمان متحركين بسرعة واحدة في الاثير وفي جهة واحدة لم يشعر احدهما بحركة الآخر

والفضل في وضع هذا المذهب القائل ان المادة اهتزازات كهربائية للاستاذ لورنتز ضيفنا الكريم وهو مذهب ايجابي ولهُ نتائج ايجابية وبواسطتهِ نستطيع ان نجرب تجارب نوضح بها علاقة المادة باثير الفضاء وليس كذلك المذهب القائل ان وجود المواد شيءٌ نسبي لانهُ مذهب سلبي ينفي وجود المادة

وانا كباحث في الطبيعيات احسب ان الاثير هو الموضوع المتعلق بنا البحث فيهِ بنوع خاص فان الكيماويين يشاركوننا في درس الدقائق وسائر العلماء في درس اشكال المادة واما درس اثير الفضاء فخاصٌّ بعلماء الطبيعيات . وما انا بمنفرد في الاعجاب بالاثير لان عجزنا عن ادراكهِ بحواسنا مع وجودهِ في كل مكان واكتنافهِ لكل الموجودات واتصافهِ بصفات محدودة مقررة كل ذلك يجعلهُ احرى الموجودات بالاعجاب كما انهُ اعظم ما يوجد في العالم المادي

قال السر جوزف طمسن في اجتماع ونبغ [١] « ان الاثير ليس من اوهام الفلاسفة وتخيلاتهم بل وجودهُ امر ضروري لا غنى عنهُ كالهواء الذي نتنفسهُ . فدرس هذه المادة المسماة بالاثير من اهم ما يجب على علماء الطبيعة »

---

(١) تجد خطبتهُ في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٠٩ وموضوعها الطبيعيات وارتقاؤُها

والاثير ليس مادة بالذات لكنهُ مادي فانهُ من العالم المادي ويُبحَث عنهُ بالوسائل العادية ولكن قولنا هذا لا ينفي انهُ قد تكون لهُ خواص عقلية وروحية تستعمل في عالم آخر كما تستعمل المادة في عالمنا

وهو آلة الاتصال الكبرى . وقد يكون اكثر من ذلك لان بدونهِ لا يكون وجود للعالم المادي على الراجح . ومهما تكن الحال فلا شبهة في لزومهِ للاتصال لانهُ يشغل كل المسافات التي بين دقائق المواد ويوصل بينها واذا كان في الامكان وجود المادة بدونهِ فتكون اجزاء متفرقة . وهو الصلة بين العوالم والدقائق ومع ذلك فقد ينكر الناس وجودهُ لانهم لا يشعرون بهِ بحاسَّة من حواسهم الاَّ بالبصر ولا يشعرون بهِ حينئذٍ رأساً بل يشعرون باشعة النور

ولكن حولنا مواد كثيرة لا نشعر بها فقد قال السر جوزف طمسن في خطبتهِ المشار اليها آنفاً «ان اصغر جزءٍ من عنصر النيون الذي يمكن ان نتحقَّق وجودهُ جرمهُ جزءٌ من مليوني جزء من السنتيمتر المكعب وفي هذا الجزء عشرة ملايين مليون دقيقة من دقائق النيون فاذا قابلنا ذلك بعدد البشر في المسكونة وهو الف وخمسمائة مليون وجدنا ان اقل كمية يمكن اظهارها من النيون يزيد عدد دقائقها على عدد سكان الارض سبعة آلاف ضعف فاذا لم يكن لدينا دليل على وجود الناس اقوى من الدليل على وجود هذه الدقائق وجدنا الارض خالية من السكان» . اذا كان الامر كذلك فلا وجه للقول بان الفضلة خالٍ من الخلائق وانما يحق لنا ان نقول ان ليس عندنا واسطة لاثبات كونهِ مسكوناً بخلائق غير مادية او غير مسكون بها . ولا يمكن ان نشعر بوجود هذه الخلائق اذا كانت موجودة ما لم يوجد اتصال بينها وبين المادة . ويحق لنا ان نعامل هذه الموجودات كأَنها غير موجودة الى ان تكشف رابطة تربطنا بها اي يحق لنا ان نرتاب من وجودها ولكن لا يحق لنا ان نثبت عدم وجودها

وعندي انهُ لا يحق للعلم ان ينفي شيئاً نفياً مطلقاً ولو كان من قبيل الاثير واذا حاول ذلك اخطأَ . والنفي ليس من شؤُون العلم وانما شأْنهُ الاثبات . والامور المبنية على المجردات لا شأْن لها في نفي ما ليس في دائرتها لانهُ قد يُغفِل شيئاً فرعٌ من العلم ويُعنى بهِ فرع آخر . فالكيماويون يغفلون الاثير . والرياضيون يغفلون المسائل التي لا تحل الاَّ بالتجربة . وعلماء الطبيعة يغفلون الاحياء . والبيولوجيون لا يدخلون في بحثهم العقل والقصد . والعقليون قد يغفلون منشأ الانسان ومصيرهُ . وعلماء الميكرسكوب لا يلتفتون الى الكواكب . ولكن هذه الاشياء يجب ان لا تنكر ولو لم يلتفت اليها . والانكار ليس اقرب الى الصواب من الاثبات .

وكثيراً ما يكون الشك لغير سبب موجب كالاثبات لغير سبب بل قد يصير الشك اثباتاً سلبيًّا يعتقد صاحبهُ صحتهُ كانهُ حقيقة مقررة . فيجب على العلماء ان يجتنبوا هذا الشك اجتنابهم الاثبات الذي لا دليل عليهِ . وما احسن ما قيل ان الشك في كل شيء والتصديق بكل شيء حلاَّن يلجأُ اليهما الذين لا يريدون ان يشغلوا عقولهم

والنفي القاطع اصعب من الاثبات لانهُ يقتضي علماً واسعاً شاملاً لكل شيء . والعلم لذاتهِ ناقص لانهُ مبني على التجريد اي على استخلاص القواعد الكلية بالاستقراء من الحوادث التي تنطبق عليها تلك القواعد وترك ما سواها . وانقطاع بعض علماء الطبيعيات لاشغالهم يجعلهم يعتقدون صحة نواميس الطبيعيات والكيمياء وكفاءتها لكل شيء فلا يلجأُون الى فرض اسباب غير معروفة مع انهم يرون في الاحياء من الدربة والاختيار ما لا يفسَّر لان اشغالهم تقضي عليهم بتتبع نواميس المادة الطبيعية والقوة في كل تفرعاتها . وعندهم ان الافعال الطبيعية والكيماوية العادية كافية لتعليل كل ظواهر الحياة الارضية وانهُ لا توجد نواميس جديدة للحي ونواميس قديمة للجماد بل النواميس واحدة للاثنين فاذا قال احد بغير ذلك فعليهِ تقديم البينة . فان ناموس حفظ القوة ونواميس التركيب الكيماوي ونواميس الجاري الكهربائية والاشعاع وكل نواميس الكيمياء والطبيعيات يمكن اطلاقها على الاحياء من غير تردُّد . وهل هي كافية او غير كافية هذه مسألة اخرى ولكن لا شبهة في انها لازمة للاحياء وعلى الفيسيولوجي ان يبحث عن افعالها في كل عمل حيوي . وقد صرَّح بذلك زعماؤُهم قال بردن سندرسن في تحديد الفسيولوجيا انها درس الصفات القابلة للتحقق التي من نوع كيماوي وطبيعي وقال في خطبتهِ امام فرع التشريح والفسيولوجيا في مدينة يورك سنة ١٨٨١ ما يأْتي

« تعلمون ما هي حقيقة التقدُّم العظيم الذي حدث في اواسط هذا القرن اذا حدَّدتهُ بقولي انهُ العصر الذي مات فيهِ المذهب الحيوي . فقبل هذا العصر كان اكبر البيولوجيين مثل يونس ملَّر يقول ان معارف البيولوجيين للظواهر الحيوية والطبيعية كانت غير كافية لردها كلها الى نوع واحد ولذلك كانت الطريقة المتبعة درس افعال الحياة النسبية ومن ذلك الوقت صار من الامور الاساسية في علمنا ان لا نحسب عملاً حيويًّا انهُ مفهوم ما لم نردَّهُ الى اصولهِ الطبيعية . وقد بُنيت الفسيولوجيا على هذا المبدإ وكان اكبر مساعد لذلك التقدُّم الذي تقدَّمهُ علم الكيمياء وعلم الطبيعيات ولاسيما المباحث التي اثبتت مبدأ حفظ القوة . والباحثون الذين يبحثون الآن بهمة ونشاط في كل المسكونة لاجل تقدُّم علم الفسيولوجيا امامهم غرض واضح محدود وهو ان يعرفوا الافعال الكيماوية والطبيعية التي تقوم بها الحياة

الحيوانية والآلة التي تنتظم بها هذه الافعال لفائدة الجسم الحي · وكلما احكمنا توجيه بحثنا الى هذه الغايات اسرعنا الى الغرض الاسمى وهو استخدام معارفنا لزيادة سعادة الانسان »

والاستاذ غوتش الذي فقدناه بالامس عبَّر عن ذلك باكثر صراحة حيث قال « ان القول بان الظواهر الفسيولوجية ناتجة عن قوة حيوية ليس من العلم في شيء »

لقد قال بعض منتقديَّ اني من الحيويين وانا كذلك على نوع ما ولكنني لست من الحيويين اذا أُريد بالقوة الحيوية قوة غير محدودة مناقضة لنواميس الكيمياء والطبيعيات · فان هذه النواميس ثابتة مقررة ويمكن ان يزاد عليها لا ان ينقص منها · وغرض العلم استقصاء افعالها في كل مكان بالتدقيق · ولا لوم على من يشمئز من اسلوب اهالي العصور الوسطى الذين كانوا يزجُّون الاسباب الروحية والمجهولة في علومهم الوهمية · ولا شأن للخفايا في العلم لانها تمنع البحث والامتحان كما اذا نسبنا كل شيء الى الله ووقفنا عند هذا الحد فاننا لا نفسر شيئاً حينئذٍ · نعم ان نسبة كل شيء الى الله كسبب بعيد صحيحة ولكن معرفة السبب البعيد لا تمنع معرفة الاسباب القريبة وهي الاسباب التي يجب على العلم ان يبحث عنها ويكتشفها بالصبر والتأني كالبرق والزلازل وما اشبه فان العلم اكتشف اسبابها القريبة اما اكتشاف سببها البعيد فليس من موضوعهِ وانما موضوعهُ البحث عن الاسباب القريبة وقد وُضع لهذه الغاية وهي الغرض الذي يرمي اليهِ العلماء

اذا قلنا ان العصارة تصعد في النبات بفعل حيوي لم نفسر شيئاً لان لصعود العصارة سبباً طبيعيًّا يجري على ناموس طبيعي معلوم يمكن كشفهُ وقد كُشف

وتاريخ العلم يدلُّ على ان العلماء كانوا دائماً يغفلون الاسباب التي يجهلونها كأنها غير موجودة · لان الاسباب التي لها وجود حقيقي يجب ان يثبت وجودها بالبحث حتى يحق لها ان تحسب اسباباً علمية

ولكن لا يخفى ان كثيرين من البيولوجيين يقولون انهُ لا بدَّ من فرض بعض الاسباب قبلما يتيسَّر تفسير كل افعال الاحياء فمنذ عهد ميَر J. R. Mayer ثبت رويداً رويداً ان الحي يجري على نواميس الطبيعيات مثل غيرهِ من الاحياء وهو يعمل عملهُ ولكنهُ يبتدع اساليب لم يكن الجري عليها ممكناً بدونهِ وينتج نتائج لا تنتج الا منهُ وذلك من بناء عش الطائر الى قرص العسل ومن بناء الصندوق الصغير الى المركب الكبير· اذا رأينا بارجة تطلق المدافع امكننا تفسير اطلاقها لها بعلم القذائف ولكننا اذا رأيناها تسدّد قنابلها على سفن الاعداء وتتجنب سفن الاصدقاء لم نرَ لذلك تفسيراً في علم من العلوم · وفي كل فعل من

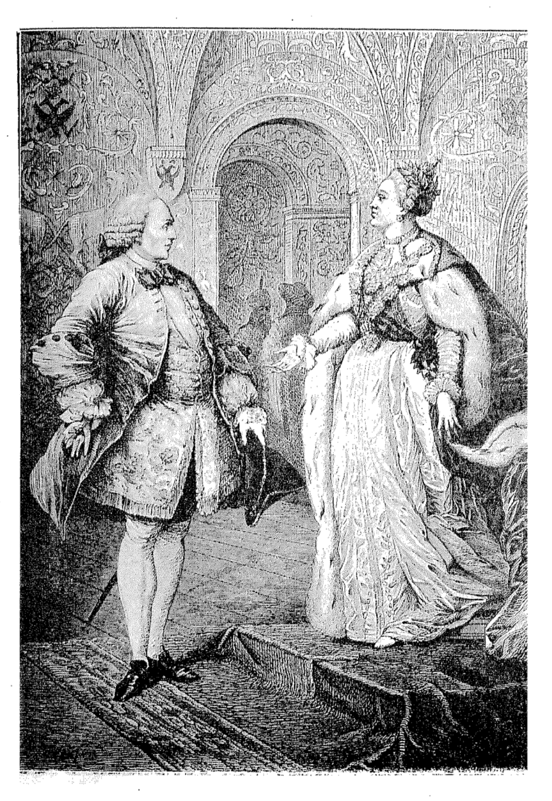
افعال الاحياء كثير من الامور الطبيعية والكيماوية والميكانيكية ولكن لكي يمكننا ان نفهمهُ كلهُ تماماً لا بدَّ لنا من شيءٍ وراء هذه العلوم

ان مسير النيران وحركة الزوابع يمكن الانباء عنهما بآلات لا بلاس بل يمكننا ان نعرف حركات دقائق الاجسام وسرعتها ونواميس تزايدها ولكن ما من احد من علماء الرياضيات يقدر ان يحسب المنقطة التي تدور فيها الذبابة في البيت . اذا دخلت عنكبوتة مقياس الكهربائية رأى صاحبهُ في حركتهِ ما لا يستطيع تفسيره ولو اكتشف العنكبوتة فيهِ لانها تُدخِل اليهِ قوة تفوق القوى الطبيعية . واتجاسر واقول ان الحياة تُدخِل بين نواميس الطبيعة شيئاً مملوءًا من القصد لا يمكن معرفتهُ بالحساب فهو شيءٌ يضاف الى النواميس الطبيعية ويجري عليها ولا يناقضها . ونحن لا نرى الحياة ولكننا نرى نتائجها . فان الاحياء تحوّل المواد غير الآليَّة الى مواد آلية ونحن نرى فعلها ونبحث فيهِ والظاهر ان الحياة لازمة لهذا التحويل وهو يحدث تحت ارشادها مع انهُ في ذاتهِ فعل كيماوي

ثم ان الفساد والاختمار وتطهير الانهر ليست افعالاً كيماوية محضة . نعم هي افعال كيماوية ولكنها تبتدىء وتجري بواسطة اجسام حيَّة . ولا يجوز لعلماء البيولوجيا ان يتركوا علمهم للكيماويين والطبيعيين حينما نرى علم الطب قد صار بيولوجيًّا وجعل رجال السياسة يهتمون بعلم البيولوجيا لجعل الاقاليم الحارة صالحة لسكنى اهل الهمة والنشاط . البيولوجيا علم مستقلٌّ وعلم الكيمياء وعلم الطبيعة من خدمهِ لا من اسيادهِ

ورجال العلم اعداء للخرافات وحقهم ان يكونوا كذلك لان اكثر الخرافات الشائعة حريٌّ بالازدراء ولكن قد يطلق اسم الخرافة خطأً على اعمال لا يُعرف سببها فان بعض الاعمال التي يعملها علماء البيولوجيا يظهر للناظر غير المدقق انها من قبيل الخرافة . مثال ذلك ان السر رونلد رُص لا يقيم مذبحاً لمقاومة الملاريا ولكنهُ يصبُّ لها الزيت في البرك كأَنهُ يقرب القرابين لالهتها . واي شيءٍ اغرب ممَّا فعلتهُ حكومة الولايات المتحدة لمنع الامراض من بنائها وهو انها امرت بخرق كل الصفائح التي تلقى على الارض (لكي لا يتجمع فيها ماء المطر فيتولد فيهِ البعوض الذي ينقل العدوى بالحمَّى الملارية من المصاب الى السليم) ومما اشار بهِ علماء الزراعة الآن لتخصيب الارض وهو ان تضرم النار عليها او تعالج بالسموم القتالة كأَن المراد حرقها او قتلها

ستأتي البقية



ديدرو امام الامبراطورة كاترينا

ديدرو DIDEROT

الذين طالعوا خطبة السر اوليفر لدج المنشورة في الصفحات السابقة وخاضوا معهُ عباب الاثير ورأوا حولهُ ملايين الجواهر وكلّ دماغهم من تصوّر الجرّدات يجدون شيئاً من الراحة في ترجمة ديدرو الكاتب الفرنسوي الشهير. رأينا فصلاً في هذا الموضوع في مجلة القرن التاسع عشر فاعتمدنا عليهِ في كتابة الصفحات التالية راجين ان نهض همم المتعلمين من ابنائنا لتأليف كتاب جامع لاشتات العلوم والفنون كالانسكلوبيذيا الفرنسوية التي ألّفها ديدرو

ولد ديدرو في ٥ اكتوبر سنة ١٧١٣ اي منذ مئتي سنة تماماً وهو من عائلة سكنت ولاية شمبانيا بفرنسا قبل ذلك بمئتي سنة تعمل السيوف والسكاكين وما اشبه . وكان بكر والديهِ فاختاراهُ للخدمة الدينية على جاري عادة تلك الايام فدرس في مدرسة الجزويت التي في بلدهِ ولكنهُ ابى ان ينتظم في سلك خدَمَة الدين فعرض عليهِ ابوهُ ان يعلّمهُ الطب او الفقه فابى قائلاً انهُ لا يتعلم الطب لئلاً يصير عملهُ قتل الناس ولا الفقه لئلاً يصير شغلهُ فض مشاكلهم وهم اولى منهُ بفضها . فقال لهُ ابوهُ اذاً ماذا تريد ان تفعل فاجاب « لاشيء اني مولع بالمطالعة وانا راضٍ بها ولا اطلب سواها » . فقطع عنهُ النفقة واضطرهُ الى السعي في طلب الرزق حاسباً انهُ يعود اليهِ نادماً كالابن الشاطر. لكنهُ لم يعد بل دخل بيت رجل من الاغنياء لتعليم اولادهِ ثم سئم هذا العمل وطلب الانصراف فقال لهُ صاحب البيت اطلب ما شئتَ من الاجرة وابقَ عندي معلماً لاولادي فقال لهُ ديدرو « انظر اليَّ فقد اصفرَّ وجهي اصفرار الليمون . انا احاول ان اجعل اولادك رجالاً وهم يحاولون ان يجعلوني ولداً . لست اشكو قلة الراتب ولا سوء المعاملة لان راتبي اكثر مماً استحق ومعاملتكم لي على غاية الوداد ولا اريد ان اعيش احسن مماً انا عائش هنا ولكنني اريد ان لا اموت »

لا شبهة في انهُ عرف ما في صناعة التعليم من مثبطات العزائم لمن كان حاد التصور عالي المطالب حتى فضّل الجوع في مذود على التنعّم في مدرسة يعلّم فيها مبادىء الصرف والنحو والى الذود والجوع سار وجعل يكتب العظات للقسوس ويترجم الكتب للطباعين . وتزوج زيجة لم يوفّق بها وجعل يطوف في شوارع باريس وثيابهُ اسمال وجواربهُ سوداء مرفوءة بخيوط بيضاء لمهارة زوجتهِ وحسن ذوقها وكانت فوق ذلك سليطة اللسان كبيرة الدعوى كثيرة التعبُّد فلما دالت دولة الجمال ثقلت على طبعهِ فهجرها ولكنهُ بقي ينفق عليها على جاري

عادتهِ . وتعرَّف بفتاة ذكية العقل كبيرة النفس فجعل يتردد على مجالسها فعرَّفتهُ بكثيرين من نخبة رجال العصر

و بلغهُ ان كتبيًّا اسمهُ لبريتون عزم على ترجمة انسكلو بيذيا تشمبرس الانكليزية الى اللغة الفرنسوية فعرض نفسهُ لهذا العمل فاستدعاهُ لبريتون اليهِ وسمع حديثهُ فرأَى منهُ رجلاً فوق ما قدَّر كثيرًا لان ديدرو قال لهُ « ان ترجمة الانسكلو بيذيا الانكليزية امر حسن لذاتهِ وسهل جدًّا وانا قادر عليها ولكن لماذا لا يكون لفرنسا انسكلوبيذيا خاصَّة بها واذا كان لا بدَّ من تأليف كتاب مثل هذا فلنؤَلف كتابًا جامعًا في مجلدات كثيرة يحوي كل ما تحتاج اليهِ البلاد وتود معرفتهُ الامة ولاسيما بعد ان كثرت المكتشفات العلمية وقد حان الزمان لجمعها وتبويبها وماذا يمنعك عن هذا العمل الجليل وان كانت النفقة كثيرة لا تستطيع القيام بها وحدك فعليَّ م لا تستدعي غيرك من طابعي الكتب والاشتراك معك »

ولم يخرج ديدرو حتى كانت الحمية قد دبت في نفس لبريتون وصار اشد غيرة منهُ . ولعلَّ ما دفع ديدرو لذلك لم يكن مجرَّد الغيرة على النفع العام بل كان لهُ غاية اخرى وهي ان يجد عملاً دائمًا يعمل فيهِ وبابًا واسعًا للمعيشة ولكنهُ كان يحب العلم ايضًا ولو كانت علومهُ سطحية وكان يعلم ان الانسكلوبيذيا لا بدَّ من ان تحوي اشياء كثيرة ممَّا لا يعلمهُ هو وممَّا يفوق طورهُ ومن المحتمل انهُ اغترَّ بنفسهِ حينئذٍ فحسب ان هذا الكتاب يغيّر البلاد من حال الى حال . والواقع انهُ غيَّرها فعلاً وكانت لهُ اليد الطولى في الثورة الفرنسوية وما نتج عنها من شرٍّ قريب وخير بعيد لانهُ رمى الى غاية سامية وهي اظهار مضار الاوهام ومعايب الحكام . وكان ديدرو شديد الوطأة شديد العداء ولولا حكمة لبريتون وسياستهُ في حذف جانب كبير ممَّا كان ديدرو يكتبهُ لما استطاع ان يتم عملهُ

وهذه السياسة لم ترضِ ڤولتير الذي كان من المساعدين لهُ في انشاء الانسكلوبيذيا لانهُ كان جسورًا ومن طبعهِ ان يوقع بخصمهِ ويمزق لحمهُ ويسحق عظامهُ اذا رأَى في ذلك ما يفثأُ غيظهُ او يثير طبعهُ . ولا يهمهُ ان يدخل في الكتاب ما يرضيهِ ولو آل الى خراب طابعيهِ . فود ان يملأَ الانسكلو بيذيا بالتهكم على رجال الدين والعقائد الدينية واتَّهم ديدرو بانهُ كان يحاول ابطال التعصب الديني لكي يحيي الرياء في نفوس الناس . لكن ديدرو بقي ملتزمًا الحذر على قدر امكانهِ ولو كان رأيهُ مثل رأي ڤولتير . وطعن العقائد الدينية والفضائح السياسية طعنات مصميات ولكنهُ اراش سهامهُ بريش من الذهب ولم يستخف بقوة خصومهِ بل قال ان الغاية تبرر الواسطة فاستعمل الرياء حاسبًا انهُ سواغ لا بدَّ منهُ

في تلك الحال والاَّ تقوَّض عملهُ من اصلهِ او هو مثل الزيت للآلة لكنهُ كان بخيلاً بزيتهِ فتناول لبريتون ابريق الزيت والمقراض وجعل يصب الزيت و يعمل المقراض و يزيد و يحذف حتى ثقل شكوى القضاة وملتزمي الاعشار ومهتضمي الحقوق ومسخري العقول ما امكن . فعل ذلك خفية عن ديدرو فلما عرف ديدرو ما جرى قامت قيامتهُ فسخط وصخب ولقب لبريتون اشنع الالقاب فقال انهُ حمار ووحش اتلف ما اشتغلهُ عشرون رجلاً من اصدق الناس وافضلهم وعمل ما لم يُرَ لهُ نظير في عالم التحرير الى ان قال لهُ « لقد انفقتُ في عملي راحتي وساعات اكلي ونومي و بكيت غيظاً امامك واسفاً وراءك خمساً وعشرين سنة وتعبت تعباً يشملهُ الخوف والخطر وكل نوع من المؤلمات فقام مجنون احمق واتلفهُ في ساعة يا للعار ويا لشماتة اعدائنا بنا ان كنتَ جباناً يخاف العواقب فلماذا اقدمت على هذا العمل واشركت غيرك في مخاطرهِ . لو كان الامر في يد امرأتك لما فعلتْ ما فعلتَ »

لكنهُ لم يترك الانسكلوبيذيا بل بقي مصمماً على ان يتمها الى آخرها ويجعلها درة في تاج فرنسا وخزانة فوائد لنوع الانسان . وطلبت منهُ الملكة كاترينا ملكة روسيا ان ينتقل بها الى بطرس برج وطلب منهُ ڤولتير ان ينتقل بها الى لوزان بسويسرا فلم يسمع لهما . وخانهُ بوسيه وهجرهُ دلمبر وكانا شريكين لهُ في التأليف اما هو فبقي على عزمهِ وواظب على عملهِ واتم الانسكلوبيذيا واثبت للملإ انهُ ابن بجدتها

وكان خصومهُ قد حاولوا صرفهُ عن هذا العمل فلما ظهر الجزء الثاني ادعوا انهُ مفسد للاخلاق مثير للشعب على الحكومة واستصدروا امراً بتوقيفهِ واخذ كل ما عندهُ من الاوراق والمسودات او يزج في السجن فاخذوها لا ليلغوا العمل بل ليتموهُ حسب مرامهم ولكن تعذَّر عليهم ان يقرأُوا خطهُ ويفكوا رموزهُ ولما رأَت الحكومة عجزهم اخذت الاوراق منهم وردتها الى ديدرو وطلبت منهُ ان يتم تأليف الانسكلوبيذيا فعل ولم يبطرهُ انتصارهُ على خصومهِ لانهُ كان يعلم ان قوتهم لا يستخفُّ بها فالتزم جانب الحذر وتجنَّب المشاكل على قدر الطاقة حاسباً ان اظهار الحق افضل شيءٍ لنفي الاباطيل . واظهار الحق لا يقتضي حرباً ولا خصاماً بل يقوم ببث الحقائق العلمية المقررة فانها تفعل فعل النور في نفي الظلمة لكنهُ لم يكتفِ بارشاد عقلهِ بل كثيراً ما كان يطاوع اميالهُ ويحارب خصومهُ بسلاحهم فيستعمل التهكم تارة والمراوغة اخرى ويفرط في احترام الشيء لكي يميل بالقارىء الى ازدرائهِ

وجرى على هذه الخطة في اظهار معايب الحكومة فوصفها كما هي ولم ينتقدها ولا عرَّض بها بل حسب ان التشهير وحدهُ كافٍ لحملها على اصلاح المختل ومداواة المعتل او تقوم الامة

عليها . واذا زاد على ذلك اشار بشيءٍ من الاصلاح وذكرهُ على سبيل النصيحة ففهم اهل عصره غرضهُ تمام الفهم واقبلوا على الاشتراك في الانسكلوبيذيا وكان عدد المشتركين فيها الفين حينما صدر الجزء الاول منها فزادوا رويداً رويداً حتى بلغوا اربعة آلاف وصدر آخر جزءٍ منها سنة ١٧٦٥ وآخر جزءٍ من صورها سنة ١٧٧٢ . وكان راتب ديدرو السنوي نحو مئة وعشرين جنيهاً مع ان الملتزم من ملتزمي تقديم الميرة للجيش كان يكتسب في يومهِ ثمانمئة جنيه

وقد قال لورد مورلي في ترجمة ديدرو « ان من يقرأُ الآن تلك الانسكلوبيذيا لا يجد فيها شيئاً يستوجب ما قام عليهِ من القيامة وما اتُّهم بهِ من الالحاد بسببها اذ ليس فيها شيءٌ من التعطيل ولا شيءٌ من التهجم الصريح على اسرار الدين الاساسية ولا تشهير واضح بشيءٍ من عيوب خدمتهِ الرئيسية ولكن منهاج الكتّاب ساءَ اهل السيادة حينئذٍ لانهم لم يكونوا قد اعتادوا سماع من ينتقدهم كأَنهُ كفوءٌ لهم ثم ان ديدرو حسب ان العدل يقضي بحرية الدين وحرية البحث الفلسفي وان عمل الحكومة انما هو الاهتمام بمصالح الرعية . والانسكلوبيذيا من اولها الى آخرها سلسلة متصلة في تعظيم شأن العلوم والصنائع وذلك كلهُ كان قذًى في عيون اهل السيادة في فرنسا في ذلك الحين »

والَّف ديدرو كتباً كثيرة غير الانسكلوبيذيا وانشأَ كثيراً من الرسائل في مواضيع شتَّى وقد جمعت كتبهُ وطبعت في عشرين مجلداً ضخماً ومع ذلك لم يكن في سعة من العيش . ولما كبرت ابنتهُ واراد تزويجها لم يكن عندهُ مهر لها وبلغ آذان الامبراطورة كاترينا ما هو فيهِ من الضيق فارسلت رسولاً الى باريس اشترى منهُ مكتبتهُ بالف جنيه وابقتها في باريس واقامتهُ حافظاً لها براتب سنوي . وسنة ١٧٧٣ ذهب الى بطرس برج ليرفع شكرهُ لها بنفسهِ فرحَّبت بهِ وجعلت تجالسهُ وتجادلهُ في مواضيع فلسفية مختلفة وكانا يحتدَّان في الجدال على ما لم تجرِ بهِ العادة في قصور الملوك . وقد اتفق الرواة على انهُ كان من اقدر الناس في الحديث وسرد الادلة وانهُ كان في الكلام امهر منهُ في الكتابة

ورجع من بطرس برج سنة ١٧٧٤ وعاد الى التحرير والتحبير الى ان وافتهُ المنية سنة ١٧٨٤ . وقد كتب لورد مورلي الفيلسوف الانكليزي ترجمة مسهبة لهُ طبعت سنة ١٨٧٨ وكتب اخيراً ترجمتهُ في الطبعة الاخيرة من الانسكلوبيذيا الانكليزية

الانتفاع بالميكروبات

قال الشيخ الرئيس ابن سينا في كلامهِ على حميات الوباء «انهُ يجب ان تبرَّد بيوت المصابين بها ويصلح هواؤُها . واصلاح الهواء يكون بعضهُ بحسب الاصحاء وبعضهُ بحسب الاصحاء والمرضى . اما الذي بحسب الاصحاء فيكون الغرض فيهِ ان يجفف الهواء ويطيَّب وتمنع عفونتهُ باي شيءٍ كان فيصلح لهُ العود الخام والعنبر والكندر والمسك والقسط الحلو والميعة والسندروس والحلتيت وعلك القرنفل والمصطكى وعلك البطم واللاذَن والعسل والزعفران والسرو والعرعر والاشنة والفار والسعد والاذخر والابهل واللوز المر . وقد يتخذ من هذه مركبات ويرش البيت بالخل والحلتيت . واما بحسب الاصحاء والمرضى فالتبخير بالصندل والكافور وقشر الرمان والآس والتفاح والسفرجل والابنوس والساذج والطرفا والريباس . ويجب ان يكرر التبخير بذلك» . وقال في التحرز من الوباء «انهُ يجب ان يصلح الهواء بما ذكرنا ويمال الغذاء الى الحموضات»

ومفاد ذلك ان القدماء في عهد ابن سينا وما قبلهُ كانوا يعلمون ان الهواء يحوي احياناً اشياء ضارَّة تسبب الامراض وان اتقاءها او التحرُّز منها يكون باصلاح الهواء او بتطهيرهِ

وقال السر وليم رمزي في مقالة كتبها حديثًا ان القدماء كانوا يعتقدون ان عدوى الحميات تنتقل بالهواء وكانوا يحذرون من لمس المحمومين وتنفس الهواء الذي يتنفسونهُ ويضرمون النيران في الازقة والشوارع لكي تحرق جراثيم الامراض واستشهد بالكاتب ده فو الذي كان وقت تفشي الطاعون في مدينة لندن فانهُ قال عن رجل عملهُ نقل جثث الموتى انهُ كان يتقي العدوى بوضع الثوم والسذاب في فيهِ وان زوجتهُ نجت من الطاعون لانها كانت تغسل يديها دوامًا وتصبُّ الخل على خمارها وكان الناس في ذلك العصر يشيرون بحرق الزفت والكبريت والبارود في البيوت تطهيراً لها من جراثيم الوباء

وذكر ابن سينا الطاعون واشكالهُ وطرق علاجهِ ولم يشر الى كيفية الوقاية منهُ كأَنهُ حسب انهُ غير معدٍ

ولما فشت الكوليرا في القطر المصري في يوليو واغسطس سنة ١٨٣١ مات بها ٣٠٠٠ من الجنود المصرية و٨٠٠ من البحارة و٣ الى ٤ في المئة من السكان . وكتب حينئذٍ المستر جون باركر الذي كان قنصلاً جنرالاً لانكلترا في القطر المصري الى اخيهِ ادورد وكان قنصلاً

لدولتهِ في القاهرة يقول ان الاور بيين الساكنين في الاسكندرية والقاهرة لا يصابون بالجرب مع انهُ اشد الامراض المعدية عدوى وما ذلك الّا لان اسلوب معيشتهم لا يعرضهم للعدوى لانهُ انما يعدي بالاتصال ومن رأي الدكتور كرستي ان الكوليرا تعدي بالاتصال ايضاً ولا تعدي بسواهُ . ثم كتب اليهِ بعد شهر من الزمان (في ١١ سبتمبر سنة ١٨٣١) يقول بلغ عدد الوفيات في القاهرة (بالكوليرا) ٤٩ في اليوم اما التقارير الرسمية لعدد الوفيات في ٨ و٩ و١٠ و١١ من هذا الشهر فهو ٤ و٥٦ و٣٨ و٤٠ . وانا مقتنع الآن ان الكوليرا تعدي بالاتصال وان الفصد دواؤُها الفعال

وجاء في الكتاب الذي جمعت فيهِ مكاتيبهُ ان الطاعون ظهر بغتة في بيت مري قرب بيروت وذلك في ربيع سنة ١٨٣١ في دير التريّا سنتا (الارض المقدسة) فمات بهِ الرهبان كلهم وهم ستة والمترجم وبلغ عبد الله باشا والي عكاء الخبر فحوّط الدير بنطاق صحي من الجنود فلم ينتشر الوباء في البلاد فثبت بذلك ان الوباء معدٍ . ويقال ان سبب انتشار الوباء في ذلك الدير انهُ اتاهُ رئيس جديد من اوربا ورأى هناك صندوقاً قديماً فسأل عنهُ فقيل لهُ انهُ لراهب توفي بالطاعون منذ ثماني عشرة سنة فوضعت ثيابهُ فيهِ لترسل الى ذويهِ . فامر الرئيس بفتح الصندوق وطُهّرت الثياب فانتشر الوباء منها واصاب الرهبان كلهم

ويذكر المتقدمون في السن من قرّاء المقتطف ان الناس كانوا يعتقدون بعدوى الكوليرا والجدري ونحوهما من الاوبئة وانهم كثيراً ما كانوا يضرمون النيران في الشوارع ويحرقون البخور والكبريت ونحوهما من المواد ذات الرائحة الشديدة لتطهير الهواء من العدوى ولو لم يعرفوا حقيقتها . وقال لنا غير واحد من سكان هذا القطر انهم كانوا يأكلون الثوم فيجدونهُ خير دواء للكوليرا وخير واقٍ منها . ولكن الدواء الناجع الذي كانوا يلجأُون اليهِ في هذا القطر وسائر الاقطار هو الهرب من الوباء مهما كان نوعهُ لان الاعتقاد كان راسخاً في نفوسهم ان الكوليرا داء معدٍ والهرب من المصابين خير واقٍ منهُ والظاهر انهم بنوا هذا الاعتقاد على سلامة الذين يهربون الى بلاد غير موبوءة

ومرّت السنون والاطباء لا يعلمون اسباب العدوى لانها اخفى من ان تلمس باليد او ترى بالعين ولولا اختراع الميكرسكوب الذي تغوص بلورتهُ في السوائل حتى ترى بها الاشياء الدقيقة جدًّا لبقينا حتى الآن نجهل اسباب الامراض

عصر الناس الخمر وصنعوا الخلّ وخمّروا الخبز من قديم الزمان وهم لا يعلمون سر ما يفعلون كما لا يعلمون سر الامراض الى ان قام باستور وبحث عن سبب الاختمار فاكتشفهُ ثم بحث

عن سبب الداء الذي يعتري دود القز ويميتهُ فاكتشفهُ ايضاً . وبحث عن سبب البثرة الخبيثة التي تميت المواشي والبشر فاكتشفهُ وبحث عن سبب كوليرا الدجاج فاكتشفهُ . وعرف ان اسباب ذلك كلهِ احياءٌ صغيرة مختلفة الانواع وهي التي سميناها بالميكروبات . نوع منها يسبب اختمار عصير العنب فيصيرهُ خمراً ونوع يقع في الخمر فيصيرها خلاً ونوع يفعل بالعجين فيخمرهُ ونوع يقع في اللبن فيحمضهُ ونوع يصيب دود القز فيمرضهُ ويميتهُ ونوع يدخل ابدان المواشي فتصاب بالبثرة الخبيثة ونوع يدخل ابدان الدجاج فتصاب بالكوليرا

وبينما هو يبحث في كوليرا الدجاج ترك الآنية التي فيها ميكروبها ونسيها حيث وضعها ثم لما انتبه لها واستعملها في تلقيح الفراخ السليمة وجد ان فعلها بها صار اضعف من فعل الميكروبات الجديدة فاستنتج ان تركها المدة الطويلة اضعفها وانها قد تقي الفراخ التي لقحت بها من كوليرا الدجاج الشديدة كما يقي لقاح الجدري الانسان من الجدري الثقيل . فكان كما استنتج . وهذا الاكتشاف العرضي غيَّر منهاج الطب وهدى الاطباء الى التطعيم الواقي والشافي من الدفثيريا والكوليرا والتيفويد والطاعون والحمَّى الصفراء وشلل الاطفال وما اشبه . ولا يزال امام الاطباء امراض كثيرة لم يكشف ميكروبها او كُشف ولم تكشف طريقة لاضعاف فعلهِ وجعلهِ لقاحاً واقياً ولكن العلماء الباحثين في هذا الموضوع لا يزالون يوالون البحث اما لكشف لقاح او لتركيب دواء

واكتشاف الميكروبات مهَّد السبيل لمعرفة ما يقع في الجراح من الفساد فثبت ان كل صديد سببهُ ميكروبات الفساد ولولاها ما فسد جرح ولا تكوَّن صديد ولا انتن لحم . فاذا كانت الآلات الجراحية وايدي الجراحين نظيفة ووقيت الجروح من وصول ميكروبات الفساد اليها التأمت سريعاً من غير دغل . فبلغت الجراحة بهذا الاكتشاف حدًّا لم يكن ليخطر على البال وصار الجراحون يعملون العجائب كما يرى من وصف اعمالهم التي نشرحها في المقتطف من وقت الى آخر

والظاهر ان معالجة الامراض الميكروبية المعدية بالتطعيم او بميكروبات خفيفة ترجع الى مواد كيماوية تولدها الميكروبات او يولّدها الجسم حين مقاومتهِ لها وان الفعل الشفائي الحقيقي ليس للميكروبات نفسها بل لهذه المواد الكيماوية والميكروبات واسطة لها وهذا هو العلاج الكيماوي الذي شرحهُ الاستاذ ارلخ في خطبتهِ التي نشرنا جانباً منها في الجزء السابق وسننشر تتمتها في هذا الجزء

السلم والحرب

(تابع ما قبلهُ)

وفكرة السلم قديمة جدًّا يرجع تاريخها الى الجاهلية في بلاد اليونان فقد عثر في اطلالها على آثار عديدة ثبت منها ان القبائل التي كانت تعبد الهاً واحداً كانت تتضامن وتتعاون على حماية هيكل معبودها ولا يسمح لاحداها بشن الغارة على الاخرى . ثم تدرجت من ذلك الى ان صارت تعقد موْتمرات يحضرها مندوبوها فيقررن ما يصلح شأن قبائلهم ويعلي منارها ويوطد اركان الاتفاق بينها ويعزز قوتها حتى لا تجرأ القبائل الاخرى المتضامنة على الاعتداء عليها . وكانوا يسمون هذه الموْتمرات « الجامع الامفستونية » وكانت تحاكي في غاياتها ومراميها الموْتمرات التي تعقد الآن بين الدول الاوربية المتحالفة او المتفقة

وجاءت السلطنة الرومانية فربطت معظم اجزاء العالم بعضهُ ببعض بفضل الحكم المركزي الذي سارت عليهِ فعمَّ السلام فيهِ زمناً طويلاً

وقام على انقاضها النظام الاقطاعي وقد كان الغرض منهُ تضامن اصحاب الاقطاعيات الذين يدينون لملك واحد وتآزرهم في حالتي الدفاع والهجوم لا تأييد السلم مباشرة ومع ذلك فقد كان في تضامنهم شيء من الاتحاد الذي هو اقوى اركان السلم

وكان نفوذ كنيسة رومية في ذلك الزمان عظيمًا جدًّا فبذلتهُ في توثيق عرى التصافي بين امراء الاقطاعيات وسنت شرعة سنة ١٠٣١ لمنع القتال وسفك الدماء في الايام المقدسة والاعياد سمتها « هدنة الله » في الارض

وكرت الايام وتعاقبت السنون الى ان ارتقى الملك هنري الرابع عرش فرنسا فرأى بدهائهِ وبعد نظرهِ انهُ لا بد من وقوع الحرب بين ممالك اوربا الكاثوليكية وممالكها البروتستانتية فخطر لهُ ان يوفق بينها ويحول دون وقوع الخطر الذي كان يتهددها فوضع مشروعاً لذلك سماهُ المؤرخون « المشروع العظيم » ولكن الاحوال لم تمكنهُ من تنفيذهِ فنشبت الحرب بعد خمسة عشر عاماً وظلت سجالاً ثلاثين سنة وهي الحرب المعروفة « بحرب الثلاثين سنة »

واشرقت انوار التمدن في اوربا فتنبه اهلها من غفلتهم ورأى سكان البلدان التي كانت منقسمة الى امارات عديدة لا يجمع بينها سوى وحدة اللغة وتماثل العادات والاخلاق ان تفرقها لا يكسبها الاَّ الخسران والامتهان فاجمعت على الاتحاد لتصير أُمة واحدة حرة تدافع

عن كيانها وتذود عن مصالحها من اعتداء المتعدين وطمع الطامعين بدلاً من ان يتحكم فيها الغرباء ويستبدوا بافرادها ويستنزفوا اموالها . وكان الشعب السويسري في مقدمة الشعوب التي اتحدت فاستجمع قواهُ التي كانت منصرفة الى مناوأة بعضهِ بعضاً وهب في وجه النمسا فنزع نيرها الثقيل عن عاتقهِ ثم عمد الى اصلاح شؤُونهِ الداخلية وجرى على سنَّة الارتقاء حتى صار من اعلى الشعوب كعباً في التمدن واشدها تمسكاً باهداب الحرية

وذاعت تعاليم جان جاك رسو وفولتير وغيرهما من دعاة الحرية ووصلت الى العالم الجديد فاستنارت بها اذهان اهلهِ واتفق ان سكان بعض الولايات التي كانت خاضعة لانكلترا في اميركا الشمالية استاؤُوا من ضريبة ضربتها عليهم الحكومة الانكليزية فثاروا عليها واستقلوا عنها ووضعوا الاساس الذي شيدت عليهِ جمهورية الولايات المتحدة كما نعرفها الآن

واشتد ضغط الامم المجاورة للممالك الالمانية وامارتها المختلفة عليها حتى كاد يخنقها ويقضي عليها فاتحدت كلها للذود عن كيانها فقهرت عدوتها الكبرى فرنسا ثم عكفت على اصلاح شؤُونها وتعزيز قوتها فصارت في طليعة البلدان عزة ومنعة

وقد نتج عن اتحاد البلدان التي ذكرناها وغيرها مما لم نذكرهُ مثل ايطاليا ان عدد الممالك او الامارات او الولايات التي كان في طاقتها ان تشهر الحرب وتخوض غمارها نقص الآن كثيراً عما كان عليهِ منذ قرن ونصف والاَّ فلو ظلت الولايات الواقعة في البلاد التي نسميها الولايات المتحدة من غير ان تتحد كلها معاً تحت راية واحدة وسلطة عليا واحدة لكان منها الآن ٥١ ولاية كل منها تستطيع محاربة جاراتها . وقد كانت المانيا قبل الاتحاد الالماني تتألف من ست وعشرين مملكة وامارة وولاية ما عدا المدن الحرة وكانت الحرب بينها سجالاً وكذلك ايطاليا فانها كانت تتألف قبل اتحادها من ١٢ مملكة وامارة وجمهورية لا تجمعها الاَّ جامعة العداوة . ولو حسبنا ما نقص في عدد المتحاربين في العالم بفضل اتحاد كل من هذه الامم الثلاث فقط لبلغ اكثر من ٨٦ بلاداً كانت كلها تستطيع شهر الحرب وخوض غمارها

ولم يقتصر هذا النقص على عدد البلدان المتحاربة فقط بل تعداهُ الى المساحة التي يمكن ان تقع فيها الحرب ايضاً . فقد اتفقت الدول صاحبة الكلمة المسموعة على عد بعض البلدان كسويسره والبلجيك ولكسمبرج ونروج في اوربا ووادي نهر الكونغو وقنال السويس في افريقية ومنطقة البحيرات في اميركا الشمالية محايدة فلا تشهر عليها حرب ولا يقع فيها قتال الاَّ اذا كان داخليًّا لإِخماد ثورة او قمع فتنة او تسكين اضطراب

بقي التوازن الدولي وانقسام الدول هذه الايام الى محالفات واتفاقات من اجل ذلك .

وليس هذا التوازن في الحقيقة الأ حفظ التكافوء بين الدول حتى لا تشتد شوكة احداها او بعضها ويستفحل امرها فتهدد سلامة سائر الدول كما حدث في القرون المتوسطة لما اشتدت المنافسة بين فرنسا واسبانيا والامبراطورية الرومانية المقدسة وتعاظمت الى حد اضر بسائر البلدان الصغيرة المجاورة لهن ضرراً بالغاً كان يهدد كيانها

وقد عاد هذا التوازن بفوائد عديدة على العالم كاجتماع كلمة دول اوربا على بعض الشؤُون العظيمة واهمها كلها المسألة الشرقية واتفاقها على مسائل كثيرة عامة كمسألة سواحل غرب افريقية في مؤْتمر برلين سنة ١٨٨٥ ومسألة تحرير العبيد في مؤْتمر بروكسل سنة ١٨٨٩ — ١٨٩٠ ومسألة المغرب الاقصى في مؤْتمر الجزيرة سنة ١٩٠٦ التي كادت تجر على اوربا حرباً ضروساً

والفضل في ايجاد هذا التوازن عائد بالاكثر الى نبوليون الاول فانهُ قضى على ما كان باقياً في ايامهِ من النظام الاقطاعي ورسم خريطة اوربا السياسية كما هي الآن وفتح عيون الدول الى وجوب التعاضد والتآزر منعاً لتفوُّق احداها على الاخرى كما تفوقت فرنسا في عهدهِ على سائر الدول وكانت توقع فيها الذعر والرعب وتهدد كيانها

وقد خدم هذا التوازن العالم في حربي البلقان الاولى والثانية خدمة جليلة فنجاهُ من شر مستطير كان منهُ قاب قوسين او ادنى

وكانت الدول الخمس العظمى في اوربا مستأثرة بالمؤْتمرات الدولية في اول الامر ثم اشركت فيها الدولة العلية سنة ١٨٥٦ فالولايات المتحدة سنة ١٨٧٨ فاليابان في الايام الاخيرة وصارت تدعو من حين الى آخر بعض الممالك الصغيرة الى ارسال مندوبين من قبلها لحضور بعض المؤْتمرات التي تعقدها

فيرى من كل ما تقدم ان منزلة المؤْتمرات من الدول منزلة الجمعيات الوطنية الكبرى التي تجمعها كل دولة حين حدوث امر خطير فيها (مثل الجمعية التي دعتها وزارة كامل باشا في الاستانة منذ اشهر لاستشارتها في مسألة تسليم ادرنه الى البلغاريين) وان منزلة الاتفاق الدولي من مجموع الدول منزلة مجلس نواب كل دولة من مجموع امتها

هذا هو اساس البرلمان او الندوة الدولية التي نشدها دعاة الاصلاح من عهد هنري الرابع ملك فرنسا الى يومنا هذا

وفي ٢٤ اغسطس سنة ١٨٩٨ اصدر نقولا الثاني قيصر الروس الحالي منشورهُ المشهور الذي دعا فيهِ دول الارض الى عقد مؤْتمر يبحث في الوسائل التي توطد اركان السلم العام

وتنقذ العالم من ويلات الحروب وشرورها . وفي العام التالي عقد موءتمر السلام الاول في مدينة الهاي عاصمة هولندا نخضرهُ نواب من اسبانيا واسوج والمانيا وايطاليا والبرتوغال وبريطانيا العظمى وبلجيكا وتركيا والدنمارك وروسيا ورومانيا وسربيا وسيام وسويسرا والصين وفرنسا ولكسمبرج والنمسا وهولندا والولايات المتحدة واليابان واليونان

وبحث هذا المؤتمر في مسألة نزع السلاح او الوقوف فيهِ عند حد محدود برًّا وبحرًا. ومسألة ربط الامم المتحاربة بقيود تخفف ويلات الحرب وتقلل آلامها ومضارها. ومسألة انشاء مجلس دولي للفصل في خصومات الدول بالتحكيم. فنجح في وضع بعض القوانين لتخفيف ويلات الحروب ولاسيما في ما يتعلق بالجرحى والاسرى والمرضين وخدمة الدين فعرض على الدول المتحاربة ان تعاملهم احسن معاملة ووضع لذلك قيوداً كثيرة. ونجح ايضاً في انشاء مجلس يقضي بين الدول في الخصومات التي يتفقن على رفعها اليهِ ليفصل بينهنَّ فيها ولكنهُ فشل في الاقتراح الاول والاهم وهو نزع السلاح او توقيفهُ عند الحد الذي كان قد بلغهُ حينئذٍ فشلاً تامًّا

وعقد المؤتمر الثاني في الهاي ايضاً سنة ١٩٠٧ نخضرهُ مندوبو اربع وار بعين دولة فابدلوا القوانين التي كانت تراعيها الدول عرفاً ونقلاً كل دولة منها بما يلائم مصلحتها وبحسب ما لها من الحول والطول بقوانين مكتوبة تعين ما لكل دولة من الحقوق وما عليها من الواجبات لسائر الدول

واتفقت فرنسا وانكلترا في الفترة التي تخللت انعقاد ذينك المؤتمرين فابرمتا المعاهدة الاولى على فصل الخصومات التي تنشأ بينهما في المستقبل وحسمها كلها بالتحكيم الأَّ ما كان منها متعلقاً بالشرف الوطني او المصالح الحيوية

واخذت الدول من ذلك الوقت تحذو حذو فرنسا وانكلترا في عقد المعاهدات بعضهنَّ مع بعض لفصل خصوماتهن بالتحكيم مستثنيات من ذلك ما استثنتهُ فرنسا وانكلترا قبلهنَّ ولكنهنَّ جعلن استئناف خصوماتهن الى محكمة الهاي الدولية لتفصل فيها امراً محتماً عليهنَّ وفرضاً واجباً

ثم عقد المؤتمر البحري الدولي في لندن سنة ١٩٠٨ — ١٩٠٩ فسن قانوناً بحريًّا يسري على جميع الدول في اثناء الحرب ليعمل بهِ في محكمة الغنائم الدولية وكان مندوبو بعض الدول قد اقترحوا سن مثل هذا القانون في مؤتمر السلام الثاني

وهكذا بينما المدافع تسبك والبوارج تبنى والجيوش تزداد عدداً وعدة والصحف ترسم

خطط الحروب وتعبئة الجيوش والناس يتشاءمون من المستقبل ويتكهنون بوقوع الويلات فيهِ — بينما هذا يجري امام عيوننا من جهة نرى الدول من جهة اخرى آخذة في ناهضة لى وضع القوانين الدولية وانشاء محكمة دولية تفصل في خصوماتهن بمقتضى تلك القوانين لتقل اسباب الحروب وينتفي الخوف من وقوعها

وكان الاميركيون في طليعة القائلين بان السلم هو الحالة الطبيعية للمجتمع الانساني لا الحرب وانهُ اذا انتفت اسباب الحرب فلا يبقى لها مسوغ . اما اسباب الحروب والاغراض التي تشهر لاجلها فعديدة اهمها اذا استثنينا منها الدفاع الذاتي الخمسة التالية

اولاً حب التوسع الذي يسببهُ ازدحام السكان وضيق البلاد عن تموينهم فاذا عجزت دولة هذه حالتها عن الحصول على الاملاك اللازمة لمعاش رعاياها بالمفاوضة لم يبقَ لها الاَّ الحرب فتعمد اليها

ثانياً المطامع الوطنية او الرغبة في محو عار كسرة كبيرة

ثالثاً ما يحاولهُ الملوك والرؤساء الطامعون من تحويل الرأي العام عن مجراهُ العادي الى مجرى آخر يكون موطداً لعروشهم ومثبتاً لكراسيهم

رابعاً الحسد الذي ينشأ بين الامم من السبق التجاري والتفوق المادي

خامساً سعي اصحاب الاموال ومصانع البوارج والسلاح في تثمير اموالهم في القروض وحمل الدول على ابتياع مصنوعاتهم

وقد انقضى زمن طويل على جمهوريات اميركا الجنوبية والوسطى وهي في حرب سجال استنفدت قواها وضعضعت احوالها واساءت سمعتها في عيون دول اوربا فاحجمت عن مدها بالاموال اللازمة لترقيها ونجاحها . واشفقت حكومة الولايات المتحدة ان تتمادى تلك الجمهوريات في طيشها وغرورها فتسوء العاقبة عليهنَّ ويتقهقرنَ مئات الاعوام فاوعزت الى سفرائها ومعتمديها ان يدعوهن الى مؤتمر يعقد في وشنطن للبحث في الوسائل التي تمنع وقوع الحرب بين الامم الاميركية . وعقد هذا المؤتمر سنة ١٨٨٢ فوضع مشروعاً يقضي على تلك الجمهوريات بفصل الخصومات التي تقع بينهنَّ مهما كان منشأها بالتحكيم الاَّ في المسائل التي يرى احد الفريقين المتخاصمين انها مهددة لاستقلالهِ ومع ذلك فقد اوجب على الفريق الثاني الاذعان للتحكيم ولو لم يكن الفريق الاول مضطرًّا الى الاذعان لهُ

وعقدت تلك الجمهوريات مؤتمراً ثانياً في مكسيكو سنة ١٩٠١ — ١٩٠٢ بحث في الامور التي بحث فيها المؤتمر الاول فقر قرارهُ على تعديل المشروع الاول بحيث توافق عليهِ

جميع حكومات الامم الاميركية واعداد مشروع لتقييد تلك الحكومات بمعاهدة عامة

وعقد مؤتمر ثالث في وشنطن ايضاً سنة ١٩٠٦ حضرهُ مندوبو جميع حكومات الامم الاميركية ما عدا حكومتي هايتي وفنزويلا فبحث في ماهية القوة التي تستخدم لتحصيل الاموال من الحكومات الاميركية التي تعصى بدفع ما عليها وطرق استخدامها والحد الذي يمكن ابلاغها اليهِ وفي ارجاء البت في مبدإ التحكيم الذي بحث فيهِ المؤتمران السابقان الى ما بعد مؤتمر الهاي الثاني الذي كان موعد انعقادهِ في العام التالي

وقد زال بسبب هذه المؤتمرات الثلاثة كثير من اسباب الخلاف الذي استفحل امرهُ بين حكومات تلك الجمهوريات وحسمت انكلترا خلافها مع فنزويلا بسبب غيانا الانكليزية وفرنسا مع البرازيل بسبب غيانا الفرنسوية وسوي الخلاف القديم الذي كان بين انكلترا وفرنسا على نيوفوندلند والخلاف الذي كان بين الولايات المتحدة وانكلترا بسبب كندا وتعاقدت جمهوريتا شيلي والارجنتين على فصل خصوماتهما كلها بالتحكيم . وخلاصة القول ان تلك المؤتمرات عادت باعظم الفوائد على اقرار السلم في القارتين الاميركيتين وكان ذلك من اعظم الاسباب التي اهابت بقيصر الروس الى اصدار منشورهِ المشار اليهِ آنفاً

ستأتي البقية

الادب الطبيعي

الطبيعة مدرسة جامعة تستخرج منها كنوز المعارف وتنبعث منها اشعة التعاليم الصحيحة وتخضع لاحكامها جميع الكائنات بحيث ان ما يجري في الكون من الاعمال المادية والحيوية والعقلية والادبية يسير طبقاً لنواميسها وما خالفها يتقهقر او يقف في سير نموهِ ويضعف ويموت . وهي تميل بنظامها الى اصلاح المخلوقات وتحسينها وبها تحولت خشونة الجدود الابعدين الى اللطف والكياسة ووصل الانسان الى الحالة الاجتماعية الحاضرة . على ان هذا الرقي العظيم لم يبلغ درجة الكمال وليس هو الحدّ الذي يقف عندهُ الناموس الطبيعي الذي لا ينفك عن العمل ويقضي باطراد التحسين . فاذا تأدب الانسان بالادب الطبيعي وهو ما يعرف بالادب المشترك او العام فلانهُ يوافق التعاليم الصحيحة التي يتعلمها من مراقبة الحياة القانونية والانحرافات المرضية لان القانون الصحي المادي والقانون الصحي الادبي لا ينفصلان ولا يختلفان جوهريًّا . واذا كنا قد بعدنا كثيراً عن الجدود الاولين وكنا لا نشاهد الآن

خشونتهم فاننا لا نزال نرى من المعاصرين مَن يرجع الى الوراء فيماثل اولئك الجدود او يعود الى الهيئة الحيوانية بافساد الاقسام الممتازة من جهازهِ العصبي بالمشروبات الروحية او باي سم آخر يفسد البنية

فالادب الطبيعي اذاً هو ما وافق الطبيعة وجرى مجراها في احكامها ونواميسها حتى لقد جرى على الالسنة ان كل ادب يوافق الطبيعة يقال عنهُ طبيعي ويكون مستحسناً وكل ادب يخالفها يقال عنهُ غير طبيعي ويكون مستقبحاً . ولهذا لا يستغرب تسمية موضوع البحث في هذه المقالة بالادب الطبيعي وهو موضوع لم يطرق بعدُ في مجلاتنا العلمية على ما اعلم وسترى مما يأتي من البيان والشواهد ما يؤيدهُ ويعززهُ

تظهر الفائدة الجوهرية للحياة من النظر الى امور بسيطة ومعروفة لدى العموم ولكنها تزيد جلاء اذا نظرنا في نظامها الطبيعي

كل انسان رأى مولوداً حين ولادتهِ وعرف سير حياتهِ في طفوليتهِ الاولى ولكن قلَّ من ينتبه الى فلسفة حياتهِ الاجتماعية ليعلم ان في تلك الحياة البسيطة ناموساً اجتماعيًّا عظيم الاهمية وكبير الفائدة . فالطفل في طورهِ الاول انسان صغير لا عمل لهُ سوى الغذاء والنوم فهو يشبه الانسان صورةً والحيوانات الوحشية عملاً ولا يستطيع ان يقوم باقل خدمة مفيدة للمخلوقات الاخر بل يطلب العناية من كل ما يحيط بهِ ولو حرم منها لمات حتماً . فمن الطبيعي اذاً ان المولود حديثاً يكون انانيًّا اي محبًّا لذاتهِ الاَّ ان هذه الانانية تقل تدريجاً كلما تقدم الولد في العمر تبعاً للسنَّة الطبيعية التي تتقدم فيها الكائنات في سير تكوينها وهذا ما يسميهِ العلم الحديث بالتحول

فاذا بلغ الطفل السنتين اصبح اقل انانية لانهُ يبتدئ يضحي قسماً منها لخدمة ذويهِ بدليل انهُ اذا وقع شيء من يد والدتهِ وطلبت منهُ ان يتناولهُ ويعيدهُ اليها فعل ذلك بطيب خاطر واذ تمنع وبخته . فهذا التغيير الذي حدث بتقدم العمر حدث طبقاً للطبيعة لان الانانية الضيقة في اوائل العمر تأخذ بالزوال شيئاً فشيئاً لتجاري الميل الراقي المطابق للطبيعة ايضاً الذي نشأ منهُ ما يسمونهُ بالتعاون والاسعاف والروح الاجتماعية ومحبة القريب

وهذا التقدم قانون سار على الكائنات بدون استثناء ونراهُ في المخلوقات التي تكونت قبل البشر لان المحار التي تعيش مختبئة ومنفردة في الاصداف تعدّ انانية في حياتها وهي من الكائنات السافلة في السلَّم الحيواني والافرنج ينعتون بها كل ثقيل وقليل المعروف . واما القرود

وهي من الحيوانات العالية فاقل انانية لان فيها ميلاً الى التعاون فتفلي بعضها وتقتلع الاشواك التي تعلق بجلود بعضها حيث لا يقدر الواحد منها ان يصل اليها ليقتلعها

ثم ان هذا النمو التدريجي في الطفل ينوّع بالتدريج ايضاً نوع كيانهِ ونوع سلوكهِ بين الناس فيخضع بذلك للحكم العام الذي يوجب على كل انسان ان يضحي قسماً من انانيتهِ الاصلية ليصبح الين معاشرةً واوفر احساناً واكثر حباً للقريب

ويمكن للولد ان يميز منذ حداثتهِ ان صاحب الانانية يكون احط منزلة من الانسان الحسن المعاشرة والسريع الى المعروف . وكثيراً ما يحدث ان يلتقي بولد آخر على الرصيف لا يخلي لهُ السبيل فيقول عنهُ انهُ قليل الادب وسيء التربية لانهُ لم يسهل لهُ المرور على الرصيف الضيق

اللطف صفة من صفات محبة القريب ويقوم بان يكلف الانسان نفسهُ بعض الكلفة ليوفر ثقلة عن جارهِ . وهو كبير الفائدة للافراد والعموم لانهُ يقرب الناس بعضهم من بعض ويكون سبيلاً للسعادة وتوطيد اركان الحياة الاجتماعية . فاذا كان الانسان لا يستطيع ان يعيش الاَّ مجتمعاً وجب ان يكون اللطف صفة لازمة فيهِ لتقوم سعادتهُ في حياتهِ الاجتماعية . وقد عرف بعد الاختبار قروناً عديدة ان عيشة الاجتماع اسعد كثيراً من عيشة الانفراد بل عيشة الانفراد تعاسة كبرى حتى على ذوي الانانية ولو عوقبوا بها لا دركوا قيمة التعاون في الحياة المشتركة . وقد اصبح هذا الميل راسخاً في الانسان واصبحت الانانية صفة مكروهة في عرف الادب الاجتماعي لاننا اذا رأينا ولداً يسير في طريق مزدحم ولا يراعي بقية السائرين فيهِ صفحنا عن انانيتهِ واخلينا لهُ السبيل الاَّ اننا ننكر ذلك على الكهل اذ الصغير يعمل ببساطة وعدم معرفة والكبير يعمل بكبرياء وانانية لان الطبيعة علمتنا ان نصير بتقدم العمر اكثر مراعاة لنظرائنا وعرفتنا بمحاسن الحياة الاجتماعية وحسناتها

على ان اللطف ليس الاَّ ظاهرة سطحية من ظواهر التقدم الاجتماعي الذي نظرنا فيهِ الى الامور الواضحة والكثيرة الوقوع في آداب المخالفة الاَّ انهُ كبير الشأن في الطفولية الاولى حيث ينظر فيهِ ليس الى الاشياء السطحية بل الى الاحوال الطبيعية التي تجري مجراها طبقاً لنواميس محدودة لا يدخل العقل والارادة في سيرها وتطبيقها . فمنذ الشهر الثاني او الثالث من الطفولية تزيد الام اعتناء بابنها وتهتم بهِ اهتماماً اكبر من اهتمامها بهِ في ايامهِ الاولى . وكأن الولد يشعر بهذه العناية واعترافاً بها يقدم لوالدتهِ الابتسامة الاولى التي تهتز لها عواطفها

ويرقص قلبها طرباً . ثم يأخذ بجامع لبها ويزيدها عطفاً عليهِ بحركات عينيهِ وشفتيهِ ويديهِ وصراخهِ التي تدل على ميلهِ الى العيشة المشتركة اي الى عيشة اقل ضيقاً وانانية من ايامهِ الاولى . فهذه هي مظاهر اللطف والكياسة التي حلَّت محل الخشونة التي كان عليها الطبع الاول للولد ويأخذ هذا الطبع الجديد بالنمو يوماً فيوماً تبعاً للناموس الطبيعي الذي تسير عليهِ المخلوقات باجمالها

اذا عرفنا هذا التقدم الذي يحصل في سلوك الاطفال عرفنا ان مسأَلة الرقي الاجتماعي هي اهم المسائل التي يجب ان يوجه النظر اليها في المدارس . وان يروَّض عقل الاحداث بموضوعها المهم وتفاصيلها التي تخلب الالباب لانهُ لا شيء يحجب من التحول التدريجي لنوع الحيوان الصغير الذي هو الطفل المولود الى كائن اكثر انتباهاً لاقاربهِ واخوانهِ وجيرانهِ ومواطنيهِ وللعائلة الكبيرة البشرية التي يشاطرها مستقبلاً غير منفصل . ولا نبالغ اذا قلنا انهُ ليس في طبقات الحيوان العليا عيشة منفردة ومستقلة . والانسان لا يستطيع ان يعيش وحدهُ ثلاثة ايام بعد ولادتهِ لانهُ يحتاج الى ام مرضع لكي ينتقل من الطفولية الاولى الى الثانية . ومهما كانت خيرات الارض كثيرة فانهُ يتعذر علينا ان نستفيد منها ان لم نقتبس ممن سبقونا معرفة استعمال العناصر الكثيرة التي تساعدنا على ان نعيش افضل من الحيوانات وبهذا نعرف قيمة التعاون الاجتماعي الذي نكتسبهُ غالباً بدون فكر وروية اي بدون ان نسأَل لماذا تكون الانانية مكروهة . واذا كان الانسان لا يكره الانانية في شخصهِ فلأَن لهُ منها فائدة خصوصية ولان في الايام الاول من حياتهِ لا يستطيع ان يهتم الاَّ بشخصهِ الاَّ ان نظام الرقي الطبيعي يوجب عليهِ الاهتمام بامثالهِ ليستفيد من النجاح العجيب الذي حصل في الحياة العالمية

قلنا آنفاً ان الحب الذي ينمو في قلب الطفل ويشعر بهِ نحو والديهِ يظهر بالابتسام وهو كل ما يمكن ان يقدمهُ لها بدلاً مما يأخذهُ منها كل يوم . ومتى تقدم في العمر زاد معرفة وزاد عطاءهُ فيخضع لها وخضوعهُ ضحية من انانيتهِ تسهل عليها العمل بتربيتهِ

الاخذ والعطاء هما ميزان الحياة الاجتماعية ونحوها يسير طبقاً للسنَّة الطبيعية . ومن كثر عطاؤُهُ زادت سعادتهُ لان الطبيعة جوَّادة على الانسان والحياة المتمدنة ليست الاَّ جمعية تعاون وتضامن . ومن امسك عن العطاء او قلَّ عطاؤُهُ عاش شقيًّا لانهُ يخرج من القوم الذين يجزلون عطاءهُ اذ يأخذ كثيراً من ابيهِ وامهِ واخوتهِ ورفاقهِ واساتذتهِ ومن الادباء والعلماء والمكتشفين الذين يكفونهُ مؤُونة التفتيش الطويل والتعب الجزيل

لان الاكتشافات والاختراعات الاولى كتحضير الطعام واللباس والاثاث اعترضتها صعوبات كثيرة قبل ان اصبح الحصول عليها سهلاً والانتفاع بها حرًّا وقد اكتسبت بعد مرور الزمن بالمبادلة والتعاون صفة ادبية مع انها لم يكن لها في بادئ امرها سوى فائدة مادية لان الادب هو كل ما يساعد على اتحاد الناس واتفاق الامم وعدمهُ هو كل ما يقرض هذا الاتحاد الحسن المفيد

فنرى اذاً ان اللطف وحب القريب والروح العائلية والروح الاجتماعية بالرغم من مظاهرها المختلفة لها علاقة بالحادث الطبيعي القابل الرقي اي الميل الى التعاون والتفاهم الذي يرفع الاطفال الى اعلى من انانيتهم الاولية فيجعلهم رفاقًا حسني السلوك واناسًا متحلين بالاخلاق الفاضلة التي تكون وسيلة لسعادتهم في الحياة الاجتماعية والعائلية التي يسيرون اليها وينذفعون في تيارها. ومثلها الصفات الاخرى الادبية التي ظهرت في ادوار العصور السالفة كالشفقة والرحمة والحنو والحب والمجاملة والاسعاف والتضامن والوطنية والانسانية فهي تدل على قليل من كثير من الميل غير المحدود الذي يجري على نظام طبيعي في العالم الانساني

ورغم ما في تلك الصفات من الجمال وحسن المظاهر فهي ليست الحد الذي يقف عندهُ الرقي الادبي والناس لا يزالون بعيدين عن حدّ التعاون والتفاهم في كل اعمالهم وان كانوا يتفاهمون هذه الايام احسن كثيراً مما كانوا يتفاهمون في الزمن الماضي اذ يمكن للانسان الآن ان يخوض البحار آمنًا من سطوة القرصان وان يجوب اكثر القارات مطمئنًا من غدر السكان لزوال روح التفريق وبغض الاغراب الوحشي

فالرقي الطبيعي والادبي لا ينفكان عن المساعدة على تحسين ادب الجنس البشري بتسهيلها المبادلة بين الامم واكتساب كل منها معارف الاخرى والاستفادة من اختباراتها واكتشافاتها فمعرفة الكهربائية مثلاً ساعدت مساعدة كبرى على رقي الحالة الاجتماعية بين البشر وكانت عاملاً لاكتشاف عميم النفع وجزيل الفائدة واعني به التلغراف الذي امتدت اسلاكهُ فاحاطت المعمور واخذ ينبئ الملايين من الناس بما يحصل في الاماكن القاصية فاخذ بذلك ينقص بغض الاجانب واحتقارهم

لا يحدث حادث مهم في احد نصفي الكرة حسنًا كان او قبيحًا الاَّ والتلغراف ينقلهُ حالاً الى كل الامم والشعوب. لما نكبت مسينا بالزلزال طيَّر التلغراف خبر النكبة الى كل جهات العالم فاسرع الناس القريبون والبعيدون الى اسعاف المصابين وتخفيف ويلات الفاجعة. وظهر في حرب البلقان ما يدل على اهمية هذا الميل وانتشارهِ بين الامم الراقية حيث تألفت

الوفود لاسعاف المصابين بالعلاج والغذاء بدون تمييز بين الجنسية والدين

ترتبط الظواهر الطبيعية بعضها ببعض ارتباطاً لا يقبل الفصل والتفكيك وتسير معاً على منهاج واحد من النجاح فاذا حسنت معرفة الناس بهذه الرابطة عدلوا عن الحسد الاعمى الذي يفرقهم بعضهم عن بعض. وقد كانت معرفة الاسلاف القاصرة سبباً لاعتبار الطبيعة عدوًّا لدوداً وكانت مظاهر قواتها في عرفهم مظاهر خشونة وعداء كالكهربائية التي لم يكونوا يعرفون من صفاتها وافعالها الاَّ الصاعقة وهي في هذه الايام من اكبر نعم الطبيعة على الانسان لانها لا تقتصر على نقل الاخبار والافكار الى الاماكن البعيدة بل اصبحت العامل المطيع لكل الاعمال الميكانيكية ولنقل القوة والنور الى الاودية والجبال ويؤمل منها ايجاد مراكز للقوة ترتبط بها الارض لكلها

لا يستغرب اذا قلنا ان عمل الانسان في العمران يسير على نفس خطة الخالق الذي صدرت منهُ كل انواع الحركات التي نشاهدها في الطبيعة والتي اذا تبحرنا فيها عجبنا من الارتباط العام الذي ترتبط بهِ. واذا كان تاريخ العمران قد وصل الى قاعدة ادبية يسير عليها في سيرهِ ونموهِ فلأنهُ يرتبط ارتباطاً طبيعيًّا بتاريخ الخلق العام واذا نظرنا الى مصير الانسان والطبيعة رأيناهُ واحداً ومشتركاً فيها لان في كليهما ميلاً الى التعويض عن التراكيب القديمة بمستحدثات تظهر لنا اقل نقصاً من سابقتها وان لم تبلغ الكمال المطلق المحدود بعمل الخالق

على اننا اذا كنا تحققنا الرقي الذي حصل في المعادن والنباتات والحيوانات ومن ثم في الانسان الاجتماعي الذي هو الصورة الاقل نقصاً من الحيوانات المعروفة فاننا نجهل درجات ذلك الرقي الاولى والبعيدة الاَّ اننا لا نجهل ان بين الصورة الحالية والصورة الاولى الاصلية بوناً شاسعاً واذا امكننا ان نقدر ما يمكن الوصول اليهِ من الاستمرار على التغيير الذي يدنينا من الكمال فتقديرنا القائم على احسن برهان لا يُعدُّ شيئاً بالنسبة الى التحسين البديع الذي يؤمل الحصول عليهِ في المستقبل وان لم يمكن تعيين شكلهِ وتحديد صفاتهِ لتوقع حصولهِ في المستقبل البعيد

مثال ذلك اننا نؤمل طبيعيًّا ان يأتي يوم يتفاهم فيهِ الناس احسن من الوقت الحاضر لان التاريخ يدلنا على ان القبائل والشعائر والشعوب القديمة كانت متفرقة ومتباعدة بعضها عن بعض اكثر منها الآن ونؤمل ايضاً انهُ يأتي زمن يستطيع فيهِ سكان الكواكب والارض ان يخاطبوا بعضهم بعضاً. واذا حصلت هذه العلاقة الجديدة الاجتماعية استطاع خلفاؤنا

ان يتوسعوا في المعارف الطبيعية وان يتبسطوا في الحياة الادبية · على ان هذا الامل وان يكن من الغرابة بمكان الاّ ان الحصول عليهِ ليس مستحيلاً قياساً على عمل الرقي في كافة الكائنات

فالناموس الطبيعي الذي يربط كياننا بالتكوين العام يسير على قاعدة واحدة تميل بالكائنات الى التحسين الذي ظهرت نتائجهُ العجيبة في الحياة العالمية وعلينا الآن ان نقنع بفوائدها وان لا يؤّخرنا عن التمتع بها جهلنا ببداءة الحياة ونهايتها لان ذلك من رغائب الرجال الذين يقتحمون هذا الموضوع بكل جسارة لان القليل الذي نعرفهُ كثير الحسنات وجزيل الفوائد ويجدر بنا بل يجب علينا ان نثق بحكمة الطبيعة في مستحدثاتها وان لا ننكر ناموساً ثابتاً لنحاول اثبات ناموس غامض وقليل الوضوح

على الانسان الذي ينتفع من النجاح العام والمتواصل ان يضحي قسماً من انانيتهِ لفائدة العموم عملاً بالناموس الطبيعي ان لا يحق لهُ ان ينتفع بمجهودات المجتمع بالاعمال والاصلاحات والاختراعات بدون ان يشاركهُ في العمل او ان يعطي شيئاً من مواهبهِ وهباتهِ او ان يكون شحيحاً بجاههِ ومالهِ وعالة على جماعتهِ ومواطنيهِ · ولا ريب في ان انساناً كهذا يكون تعيساً في حياتهِ وحقيراً في صفاتهِ لان هيئتهُ تخالف المألوف عند ذوي اللطف والمدنية اذ يتخذ في سلوكهِ شكلاً يخالف شكلهم فيكون خشناً وعبوساً ولذلك يكون مكروهاً ومرذولاً بخلاف ذي الظرف واللياقة فانهُ يكون انيساً وبشيشاً ولذلك يكون محبوباً وسعيداً لانهُ يسير على سنة الطبيعة التي حولت الجدود من الخشونة الى اللطف

ان رقي الفرد يدلّ بالاختصار على رقي النسل اي ان الشخصية تميل طبيعيًّا الى التنوع فتسير على نفس الخطة التي تسير عليها سلسلة المخلوقات ولذلك فالمحافظ المكابر الذي لا يريد ان يغيّر شيئاً من عاداتهِ القديمة يُدعى في علم الادب الحديث رجعيًّا لان الانسان الذي لا يشترك في الاصلاح الطبيعي لكل الكائنات يبقى متأخراً في نظر مواطنيهِ النشيطين

مهما اجهدنا القريحة في وصف محاسن هذه السنة التي تقوم بها عناصر الطبيعة نبقى مقصرين عن توفية الوصف حقهُ · واذا نظرنا اليها في مجاري الحياة اليومية عرفنا اهميتها وتأثيرها في معايشنا وآدابنا لان لا حركة تعمل من حركات الحياة الأولى الميل الى التحسين دخل فيها فاذا اكلنا فلنكسب اجسامنا قوة واذا نمنا فلنعطها راحة بعد التعب واذا تروَّضنا فلنكسب اعضاءنا نموًّا يمكنها من القيام باعمال اعظم واكبر واذا تعلمنا وتهذبنا فلنكتسب معرفة بالسعادة وعلماً بالواجبات المفروض علينا القيام بها بين الناس

والامل بالحصول على الافضل هو الذي يقود الانسان ويتسلط عليهِ حتى في المرض لان الامل بالشفاء هو الشغل الشاغل لبال المريض · والضعف الوقتي الناتج عن المرض حالة غير قانونية اي هو نوع من الحياة لا ينطبق على سير الرقي الطبيعي · وغاية ما يرغب فيهِ المريض هو ان يعود الى الحالة القانونية ويسير في طريق التقدم الذي رسمهُ لهُ اساتذتهُ في المدرسة وابواهُ في البيت . فالمرض يرجع بالانسان الى الانانية الاولية لان المريض يصبح كالطفل لا يقدر ان يقوم بواجباتهِ الاجتماعية بحيث يجوز ان نقول ان المرض الذي هو شذوذ طبيعي هو ايضاً شذوذ ادبي لانهُ يكون مسبباً عن عدم احتراس وعن مخالفة نصائح الطبيعة فتضعف بذلك البنية وتصير سريعة التأثر بالاسباب المرضية لان القانون الصحي يرشد الى القواعد الصحية التي تزيد الجسم قوة على مقاومة الامراض الكثيرة الشيوع وما الشعور بالالم الاَّ انذار من الطبيعة لينبه الى الحذر من مخالفتها ووجوب اتباع طريقتها

ينتج مما تقدم ومما يقاس عليهِ ان عناصر الكون يتألف منها مجموع يعمل عملاً مشتركاً كما يعمل الجسم الذي يتألف من اعضاء واجهزة مختلفة بحيث ان كل قسم منها لا يستطيع ان يستقل بعملهِ عن مجموعها العظيم كما ان العضو لا يستطيع ان يقوم بوظيفتهِ اذا انفكت رابطتهُ عن الجسم فكأنها بارتباطها تؤلف جمعية تضامن وتعاون ونظامها يميل الى التحسن خصوصاً في سير الاعصر · وهذا ما يحمل ويجب ان يكون قاعدة السلوك في الحياة الاجتماعية اذ لا فرد ولا نسل ولا جمعية فنية او وطنية يستطيع ان يطالب باستقلالهِ عن وظائف الكون العظيم · وروح التفريق وخيم العاقبة حتى على القائم بهِ لانهُ يخالف الطبيعة التي تقتص ممن يخالف نواميسها . ومن يسع الى تأسيس اجتماع خصوصي يبرهن على جهل نسبي لانهُ يحاول حصر الفائدة في نطاق ضيق · وهذه الروح تشبه انانية الطفولية وليس لها من القيمة الاَّ بمقدار ما تقبل من الرقي الضيق بخلاف ما يحصل من اشتراك الاعضاء الرئيسية بالعمل في الحياة الاجتماعية ونعني بها العائلة باوسع معاني الكلمة والمدنية والمقاطعة والبلاد والتحالف بين الامم الاكثر تمدناً واخيراً النوع البشري باجمالهِ

فهذا جزء من كل من النظريات التي نتلقى دروسها في مدرسة الطبيعة وقد رأينا ان الادب لا يكون رائعاً الاَّ اذا قام على اساس طبيعي وسيكون لتمثيل ادوار الرقي في المستقبل شأن عظيم في آداب الاجيال الآتية

الدكتور امين ابو خاطر

اقطاب الدولة الالمانية

في المانيا اثنا عشر رجلاً يحسبون اقطاب الدولة الالمانية ويعتمد عليهم امبراطور المانيا اكثر مما يعتمد على غيرهم من رجالهِ وهم الدكتور ثيوبولد فن هلفچ بتمن وزير الامبراطورية والبرنس مكسمليان اغون زوفور ستنبرج والبارون فن در غلتز باشا والاميرال فن ترتز والهر غتليب فن يهجو والهر ارثر فن غفنر والبرت بالين والكونت زبلين واوغست شرل واميل راتنو ومكسمليان هاردن واوغست تيسن. وهم مختلفو المناصب والمطالب ولكن كلٌّ منهم قوَّة في الامبراطورية لا يستغنى عنها كما سيجيء. وقد وصفهم المستر فردرك وليم ويل مكاتب الديلي مايل ببرلين في مجلة «عمل العالم» وصفاً آخذاً باطراف البلاغة تظهر عليهِ سيماء الدقة والانصاف فاقتطفنا منهُ ما يأتي

الدكتور بتمن هلفچ

تقلَّب على الامبراطورية الالمانية منذ انشائها سنة ١٨٧٠ الى الآن خمسة وزراء بسمارك وكبريفي وهوهنلوهي وبولو وبتمن هلفچ. والاخير يدير دفتها منذ سنة ١٩٠٩ على اسلوب فلسفي لانهُ من الفلاسفة المعدودين ولذلك لم يعمل عملاً كبيراً يشار اليهِ بالبنان فلم يتمكن من اضعاف الحزب الاشتراكي مثلاً ولا صادق الحزب الكاثوليكي ومع ذلك خدم بلادهُ باخلاص وافادها فوائد جمة بحسن ادارتهِ وبُعد نظرهِ. لما اختير للوزارة قال كل احد ان الامبراطور اختارهُ لانهُ من رجالهِ الذين يثق بهم تمام الثقة. وقد كان من اترابهِ في جامعة بون فارتبطا برابط الصداقة من ذلك الحين. ثم خدم الحكومة وترقى في مناصبها رويداً رويداً الى ان بلغ الوزارة وامتاز بشدة احتفاظهِ بمطالب المناصب التي شغلها. وخطبهُ في مجلس نواب بروسيا ومجلس الاعيان ومجلس الامبراطورية تدلُّ على الاخلاص والاستقامة التامَّة والتضلُّع من المواضيع التي تكلم فيها. وهو اقل بداهةً من الوزير السابق ولكنهُ اقوى منهُ حجةً. كان الاول ظريفاً يملح كلامهُ بالفكاهات اما هذا فالاختصار دأبهُ ويكتفي بما قلَّ ودلَّ. تراهُ طويل القامة نحيف الجسم عالي الجبين يسود مجلس الامبراطورية لا بمهابتهِ وقوة عارضتهِ بل بصحة ادلتهِ وجلاء عبارتهِ. الاَّ ان الرأي العام في المانيا ينسب اليهِ ممالأة الذين يحاولون حرمان الامة الالمانية من الحكومة النيابية الحقيقية. ويقال ان تلك الامنية لا تنال الاَّ بعدما تجري الدماء في شوارع برلين انهاراً. وهو الآن في السابعة والخمسين من عمرهِ وامرتهُ من تجار فرنكفورت الذين كان لهم شأن مالي كبير قبل ايام روشيلد

البرنس فورستنبرج

هو امير الماني نمسوي من اصحاب الملايين الكثيرة ويقال انهُ قوة وراء العرش الالماني . وليس لاحد من النفوذ في المانيا ما لهُ وقلّ من يماثلهُ في وثوق الامبراطور بهِ وهو الوحيد من رعايا الامبراطور الذي يعاملهُ الامبراطور كأنهُ من امثالهِ ورأيهُ مفضل على رأي الوزراء والوكلاء . وكثيراً ما حاول الامبراطور ان يجعلهُ وزيراً لهُ فابى مفضلاً اواصر الصداقة على مشاغل الوزارة يدير مع امير آخر شركة رأس مالها مئة مليون جنيه وقد لُقبت رقابة (ترست) الامراء فهو من اغنى اصحاب المعامل في الدنيا وقد اجتمعت فيهِ مفاخر القرون الوسطى ومساعي هذا العصر كأنهُ يتمثل بقول ابي فراس حيث قال

«أيشغلكم وصف القديم ودونهُ   مفاخر فيها شاغل ومآثرُ
لنا اول في المكرمات وآخرٌ   وباطن مجد تغلبي وظاهرُ»

وقد رآهُ الامبراطور حسب قلبهِ لانهُ فارس وشاعر ومصور ومن ارباب الغناء والصيد والعاديات وزد على ذلك ان لهُ الرأي المعلَّى والثقة الكبرى في نفس الامبراطور فلا يمضي امراً كبيراً الاَّ بعد ما يستشيرهُ فيهِ ويتداول معهُ . وشعارهُ الذي لا يحيد عنهُ الصدق والاخلاص فيصدق الامبراطور ولا يكتمهُ النصيحة ولو بالتنديد

ولد هذا الامير سنة ١٨٦٣ من بيت قديم لهُ في المكرمات اصول راسخة يمتد نسبهُ الى القرن الثاني عشر اذ كان جدهُ الاعلى من خواص الامبراطور شارلمان . وتخرج في جامعة بون التي تخرج فيها الامبراطور . وقضى ايام شبابهِ في فينَّا وبراغ وفي اباعد اسرتهِ . وقد ورث حق القيام في مجالس الاعيان في النمسا وبروسيا وورتمبرج وبادن فاشتغل بالسياسة قبلما ناهز الثلاثين وانتقلت الرئاسة اليهِ بموت ابن عمهِ فصار رئيس بيت فورستنبرج ومالك املاكهِ الواسعة . واصبح من اغنى اغنياء اوربا وجعل يستقبل الضيوف في قصورهِ العديدة وبينهم الملوك والاباطرة وهو فوق ذلك راوية فكه الحديث جدًّا فيُسَرّ الامبراطور بمجالستهِ

البارن فن در غلتز باشا

تنفق المانيا الآن خمسين الف جنيه على تقوية جيشها استعداداً لذلك اليوم العصيب يوم يتنازع السلاف والالمان السيادة في اوربا . واذا وقع ذلك اليوم في القريب العاجل والتقت الجحافل الالمانية بالجحافل الروسية فتكون القيادة العامة حينئذٍ في المانيا للمرشال البارون فن در غلتز باشا الان يعدونهُ اعظم قوادهم الاحياء ولا يخفى انهُ هو منظم الجيش العثماني وكان المفتش العام فيهِ

وهو الآن في السبعين من عمرهِ وقد قضى اكثر من خمسين سنة وهو يؤلف وينظم ويحارب ولو اكتفى بما الَّفهُ ولم يفعل شيئًا آخر لبقيت لهُ شهرة واسعة

ابتدأ صناعة التأليف بكتابة الروايات فكسب منها ما كفى لاعالة امهِ ثم الَّف كتابهُ المعنون «ليون غمبتا وجنوده» فطارت شهرتهُ في الاقطار لكنهُ ذهب فيهِ الى وجوب انقاص الخدمة العسكرية الى سنتين فاتُّهم بممالاَةِ المتطرفين من الاحرار وعوقب بالنقل من مكان الى آخر ولكن كتابهُ مهَّد السبيل للجري على الرأي الذي ايدهُ ولو بعد ست عشرة سنة

ومن اشهر كتبهِ الكتاب المعنون بالامَّة المسلحة الذي ظهر سنة ١٨٨٣ واوجب فيهِ التجنيد الاجباري. وكتاب حروب فردرك الكبير. وكتاب قيادة الجيوش. وكتاب تاريخ المانيا الحربي في القرن التاسع عشر. وقد قال في الكتاب الاخير ان عظمة المانيا قائمة بجنودها واسلحتها

وسنة ١٨٨٣ دعاهُ السلطان عبد الحميد لتنظيم الجيش العثماني فاقام في خدمة تركيا الى سنة ١٨٩٥

والذين يعرفونهُ يقولون ان ظاهرهُ انس ودعة وفي باطنهِ قلب من الحديد وعزيمة لا تعرف الانقياد لغير الواجب. وديع للاصاغر عزيز على الاكابر يكره الظهور ويزدري المظاهر

الاميرال فون ترپتز

اذا كُتب تاريخ البحرية الالمانية وما نالتهُ من ارتفاع الشأن فلاسم الفرد فون ترپتز المحلُّ الاعلى فيهِ فان لهُ القدح المعلَّى والسهم الاوفر في ما حازهُ الاسطول الالماني من قصب السبق بين اساطيل الدول البحرية بل هو ابو هذا الاسطول وامهُ

ويلقب في برلين بترپتز الابدي لانهُ مرَّ عليهِ الآن خمس عشرة سنة ودفة البحرية في يدهِ . لم يقم احد في الوزارة اكثر منهُ الاَّ بسمارك

ولد في بلد بعيد عن البحر وابوهُ من المحامين فلم يصل اليهِ حب البحرية لا من والدهِ ولا من مَولدهِ . ولما بلغ السادسة عشرة دخل سفينة حربية من السفن الصغيرة المعروفة في ذلك الحين وارتقى رويداً رويداً في الرتب البحرية حتى بلغ رتبة نائب قومندان وعمرهُ ٢٥ سنة. وسنة ١٨٩١ وصل الى ادارة الاسطول المرابط في كيل فاظهر من البراعة والمهارة وحسن الابتكار ما وجَّه اليهِ الانظار والزم اولياء الامر العمل برأيهِ . وظل يرتقي الى ان بلغ وزارة البحرية حيث يقرن القول بالعمل

وهو من المعجبين بالانكليز وبحريتهم وبكل شيء انكليزي وقد علَّم اولادهُ في انكلترا. واليهِ ينسب القانون البحري الذي جرت عليهِ المانيا فانشأ المدرعات الكبيرة لكي تصير قوة

المانيا البحرية مثل ثلثي قوة انكلترا حتى تأمن شر انكلترا وفرنسا اذا اتفقتا عليها . و يحسب ان مدافع المانيا اقوى المدافع كلها فيكون الفوز لها اذا التقت البوارج بالبوارج ولكنهُ يجاهر ان ليس لالمانيا غرض ترمي اليهِ غير الدفاع

غتليب فن يهجو

كان هذا الرجل سفيراً لالمانيا في رومية فاستدعاهُ الامبراطور في اوائل هذا العام ليقلدهُ وزارة الخارجية حينما توفي كدرلن فخنر فلبي الدعوة مكرهاً لان هذا المنصب محفوف بالمكاره وقلما يؤجر صاحبهُ او يشكر وقد توفي اثنان من رجالهِ في العقد الاخير بعد ما اصمتهما المشاق وهو ايضاً من تلامذة جامعة بون ومن اتراب الامبراطور واصدقائهِ فيخاطبهُ الامبراطور من غير تكلُّف كما يخاطب الرجل صاحبهُ بضمير المخاطب المفرد دلالة على رفع الكلفة بينهما . وهو صغير القد نحيف الجسم يهتم بالكبائر والصغائر ويرضي مجالسهُ و يسرهُ . والذين يعرفونهُ يقدرون لهُ الفلاح التام في منصبهِ لانهُ مستجمع لكل ما تقتضيهِ مطالب السياسة ولو ظهر على الضد مما كان عليهِ بسمارك لانهُ لين العريكة محب للمسالمة . ولكن من يدري كيف تتغير الرجال فان سلفهُ كدرلن دخل الوزارة اسداً وخرج منها حملاً ولعل يهجو يكون على الضد منهُ

ارثر فن غفنّر

في المانيا تسعة بنوك كبيرة وستة اصغر منها . واعظم بنوك المانيا بالاجماع الدتش بنك (البنك الالماني) فان منهُ تنتشر الاموال الالمانية في الدنيا . وسلطتهُ في المانيا لا تقل عن سلطة الحكومة . وتبلغ الاموال التي يتعامل بها سنويًّا ٦٥٠٠ مليون جنيه ولا يستطيع الامبراطور ان يثير حرباً لم يصادق هذا البنك عليها و يؤيدهُ فيها

والبنك كلهُ في يد ارثر غفنر ولو انكر ذلك وكثيراً ما استدعاهُ الامبراطور ليقلدهُ وزارة المالية او نظارة الخزينة فاعتذر حاسباً انهُ يخدم بلادهُ بادارة بنكها اكثر مما يخدمها في دست الوزارة

انشأ البنك الالماني جورج سمنس وهو الذي نال الامتياز من تركيا بانشاء سكة الاناضول سنة ١٨٨٨ فجعل لالمانيا مصلحة كبيرة في البلاد العثمانية . وخلفهُ غفنّر سنة ١٩٠١ ولم يمر عليهِ سنتان حتى نال الامتياز بسكة بغداد وصار رئيساً لشركة سكة الاناضول ولشركة سكة بغداد ورأس مال الاثنتين الآن ١٦ مليوناً من الجنيهات . وعندهُ ان ما تنفقهُ المانيا على حربيتها وبحريتها وهو نحو ثمانين مليوناً من الجنيهات في السنة ليس مما يبهظها لان قيمة تجارتها الخارجة بين داخل وخارج نحو الف مليون من الجنيهات وتلك النفقة لازمة لحفظ هذه التجارة

نشأ هذا الرجل بين رجال المال فانهُ ولد في فرنكفورت سنة ١٨٥٦ لما كانت مركز

المعاملات المالية في اوربا وانتظم في خدمة الحكومة فجعل قنصلاً لها في مدريد واقترن سنة ١٨٨٥ بابنة فيلب سبير من كبار الماليين وبعد ثلاث سنوات انشأ بنكاً خصوصيًّا في برلين وبقي مديراً لهُ الى ان دعاهُ سمنس سنة ١٨٩٤ ليشاركهُ في ادارة البنك الالماني ثم تركت الادارة كلها لهُ فاستقل بها وهو من امهر مديري البنوك الذين يقدمون على المشروعات الكبيرة

البرت بلين

قيل سأل سائل احد الرجال المختارين للجندية وهو يمتحنهُ في علم التاريخ قائلاً «من هو اعظم الالمانيين» فاجابهُ على الفور «بلين». وهذا ما يقولهُ الآن ملايين من سكان المانيا عن رئيس شركة وابورات همبرج اميركان

اراد الامبراطور مرةً ان يلقي مقاليد الوزارة الى بلين او يجعلهُ من اشراف المملكة فقال لهُ بلين تكرَّم عليَّ بصورة جلالتكم الفوتوغرافية وحسبي . فاعطاهُ الصورة وكتب تحتها «الى رائد تجارتنا الهُمام البعيد النظر»

لما دخل بلين شركة وابورات همبرج اميركان سنة ١٨٨٦ كان رأس مالها ٧٥٠ الف جنيه فصار الآن سبعة ملايين و ٥٠٠ الف جنيه اي زاد عشرة اضعاف. وكان دخلها السنوي ١٢٥ الف جنيه فصار الآن مليونين و ٨٢٥ الف جنيه وكانت سفنها التجارية ٢٦ سفينة فصارت الآن ١٨٠ وكان محمول سفنها ٦٠ الف طن فصار الآن مليون طن ونصف مليون اي انهُ زاد ٢٥ ضعفاً وقد بنت بالامس سفينة محمولها وحدها ٥٠ الف طن

سر نجاح هذا الرجل اهتمامهُ بالصغائر مهما كانت وحفظها في ذاكرتهِ . وقد جرى على ذلك من حين كان كاتباً صغيراً في بلاد الانكليز من غير اجرة الى ان تبوأ اعظم مركز مالي صناعي تجاري . فان حفظهُ لهذه الدقائق سهَّل عليهِ بناء الاحكام الصائبة فلما انتظم بين مديري شركة همبرج اميركان وهو شاب جعل يقترح انشاء السفن على طرز جديد وكبار المديرين يقاومونهُ فيتغلَّب عليهم بالحجة والدليل وتأتي النتائج مؤيدة لرأيهِ حتى اضطروا ان يسلموا الادارة كلها لهُ سنة ١٩٠٠

وهو اسرائيلي صغير القد خجول محب للعزلة مواظب على العمل متمسك بديانتهِ ولكنهُ غير متعصب فيها لا ولد لهُ فتبنَّى ابنة صغيرة من بنات احد المستخدمين. لا يأتي الامبراطور مدينة همبرج الاَّ زار بيتهُ في ضواحي المدينة وابدى لهُ دلائل اكرامهِ واحترامهِ . ولما رأى كبراء الالمانيين ذلك فتحوا لهُ ابوابهم وصاروا يعدونهُ من خاصتهم ومن اعظم رجالهم

سيأتي البقية

المالك المؤَاجر والفلاح المستأجر

محاورة في موضوع هام

في القطر المصري نحو ستة ملايين فدان من الاطيان الزراعية يساوي ريعها السنوي نحو ٧٢ مليوناً من الجنيهات فمتوسط ريع الفدان منها اثنا عشر جنيهاً . ويبلغ عدد ملاَّك هذه الاطيان ١٢٥٠٤٤١ نفساً او نحو مليون ونصف مليون (وهم ونساؤُهم واولادهم لا يقلون عن سبعة ملايين او ثمانية من النفوس) ومنهم من يملك ربع فدان او اقل ومنهم مَن يملك عشرين الف فدان او اكثر . وبديهي ان الذي يملك اقل من فدان او فداناً او فدانين الى ثلاثة يتولَّى غالباً زراعة ما يملكهُ بيدهِ من حرث وزرع وعزق وري وتسميد وجمع الى آخر الاعمال الزراعية . والذي يملك اكثر من ذلك اما ان يتولَّى زرع اطيانهِ بنفسهِ فيستأجر لها العمَّال ويدير حركتهم واما ان يزرع اطيانهُ بالشرك واما ان يؤَاجرها للفلاحين بايجار محدود وهم يديرون حركتها الزراعية بيدهم او بواسطة فلاحين آخرين يستأجرونهم

وسواء كان المالك فلاَّحاً يدير زراعة اطيانهِ بيدهِ او تاجراً او موظفاً يديرها بواسطة الفلاحين فلهُ ريع من الاطيان من حيث هو مالك لها . وسواء كان الفلاح مالكاً لاطيانهِ او مستأجراً لها فلهُ ريع آخر مقابل عملهِ في الاطيان . ومن ثم ينقسم ريع الاطيان الى قسمين قسم يخصُّ المالك كمالك مقابل ثمن ما يملكهُ او مقابل امتلاكهِ لهُ وقسم يخصُّ الفلاَّح او المالك كعامل في الارض مقابل عمل يديهِ ومواشيهِ وآلاتهِ او مقابل ادارتهِ . ومدار هذه المحاورة على نصيب كلٍّ من المالك والفلاح من ريع الاطيان . وقد قلنا ان قيمة ريع الاطيان المصرية في السنة تبلغ نحو ٧٢ مليوناً من الجنيهات فكم منها يتناولهُ ملاَّك الاطيان كملاَّك لها وكم منها يتناولهُ العاملون في الزراعة سواء كانوا فلاحين او مديرين او نظاراً او كتَّاباً او خولاء او خفراء . اي كم هو نصيب رأس المال مجرَّداً عن كل عمل وكم هو نصيب العَمَل من هذا الريع . اذ قد قام في اذهان بعض الذين ينظرون الى الظواهر ولا يدققون في البحث ان الفلاح مغبون غبناً فاحشاً والمالك يكتسب فوق ما يحق لهُ اكتسابهُ او فوق ما يكتسب امثالهُ في سائر البلدان . وقد جعلنا هذه المحاورة بين وطني من كبار المالكين واجنبي من كبار المنتقدين

قال الاجنبي — بلغني انكم تؤَاجرون الفدان من اطيانكم بعشرة جنيهات او اكثر فهل ذلك صحيح وان كان صحيحاً فهذا الايجار باهظ جدًّا والفلاح المسكين مغبون فيهِ ولا مثيل

لهُ في بلاد اخرى من البلدان

الوطني — نعم نؤاجرهُ احياناً بعشرة جنيهات او اكثر ولي صديق يمتلك اطياناً على مقربة من القاهرة ايجار الفدان منها ستة عشر جنيهاً في السنة ولكن عندهُ اطيان اخرى في احدى المديريات لا يزيد متوسط ايجار الفدان منها على ثلاثة جنيهات في السنة

الاجنبي — اذا كان الامر كذلك فالفلاَّح الاول مظلوم والثاني مرحوم

الوطني — كلاَّ بل الفلاح الاول هو المرحوم وان كان احدهما مظلوماً فيكون الثاني لا الاول . والحقيقة ان الاثنين مرحومان وصديقي المظلوم . واليك بيان ذلك . ان الاطيان الاولى التي ايجار الفدان منها ١٦ جنيهاً في السنة مساحتها مئة فدان فقط ومال الفدان منها مئة وخمسون غرشاً ويلحقهُ مئة وخمسون غرشاً اخرى مصاريف ناظر وخفر وسكك زراعية ونفقات تعليم وما اشبه فيبقى لهُ من ايجار الفدان ١٣ جنيهاً ومن المئة الفدان ١٣٠٠ جنيه في السنة اذا جادت المحصولات ولم يصب القطن بآفة . والاطيان الاخرى مساحتها الف فدان ومتوسط ايجار الفدان منها ثلاثة جنيهات كما تقدم فايجارها كلها ٣٠٠٠ جنيه في السنة يذهب منها ٥٠٠ جنيه مال الحكومة بمعدل خمسين غرشاً الفدان ويذهب منها ايضاً ٥٠٠ جنيه مصاريف نظار وخفراء وتطهير مراوي ومصارف وتصليح سكك وما اشبه فيبقى لهُ منها ٢٠٠٠ جنيه وجملة الريع الذي يكتسبهُ من الابعديتين في سني الاقبال ٣٠٠٠ جنيه من ١١٠٠ فدان فيكون متوسط ما يبقى لهُ من ريع الفدان منهما معاً ثلاثة جنيهات لا غير وهذا هو متوسط ريع كل الملاَّك في القطر المصري من الفدان من اطيانهم اي ان متوسط ايرادهم في سنة الاقبال من اطيانهم لا يزيد على ثلاثة جنيهات من الفدان . نعم ان منهم من لا يمتلك الاَّ اطياناً جيدة صافي ريع الفدان منها للمالك عشرة جنيهات او اكثر ولكن منهم من لا يبلغ صافي ريع الفدان من اطيانهِ جنيهاً واحداً او من ينفق على اطيانهِ من جيبهِ . ومعلوم ان مساحة الاطيان الزراعية الآن نحو ستة ملايين فدان فيكون دخل اصحابها منها من حيث هم اصحابها ١٨ مليوناً من الجنيهات . ثم ان مال الحكومة واموال التعليم والخفر تبلغ ستة ملايين من الجنيهات فمجموع ما ينال الملاك والحكومة ٢٤ مليوناً من الجنيهات . ويقدر ثمن كل المحصولات الزراعية في السنة بمبلغ ٧٢ مليون جنيه فيكون ثلثهُ للمالكين والحكومة والثلثان الباقيان او ٤٨ مليون جنيه للفلاح . واذا اصيبت المزروعات بآفة من الآفات فالفلاَّح لا يمسُّ نصيبهُ والحكومة لا يمس نصيبها ويقع الضيم كلهُ على المالك ولذلك تراهُ مستغرقاً في الدين

هذا من حيث نسبة الملاَّك الى الفلاحين بنوعٍ عام . نأتي الآن الى الفلاح الذي يدفع ١٦ جنيهاً ايجار الفدان وظننتهُ مغبوناً والفلاح الذي يدفع ثلاثة جنيهات وظننتهُ مرحوماً فاقول لا يخفى ان الاطيان الزراعية مساحتها نحو ٦ ملايين فدان كما تقدم وبيوت الفلاحين نحو مليون بيت فيصيب كل بيت منها ثلاثة افدنة اي ان الرجل وامرأتهُ واولادهُ يستطيعون ان يستأجروا ثلاثة افدنة ويقوموا بزراعتها . والثلاثة الافدنة الاولى التي ايجار الفدان منها ١٦ جنيهاً يبلغ محصولها في السنة ستة قناطير من القطن من فدان واحد منها واثني عشر اردبًّا من القمح وعشرة احمال من التبن من الفدانين الباقيين وعشرين اردبًّا من الذرة منهما . وثمن هذه المحصولات كلها نحو ٦٦ جنيهاً يخرج منها ايجار الثلاثة الافدنة وهو ٤٨ جنيهاً فيبقى للفلاح ١٨ جنيهاً في السنة وما يكفيهِ من حطب القطن والذرة لوقودهِ والحبوب لفراخهِ والبرسيم والتبن لماشيتهِ

والثلاثة الافدنة الثانية التي ايجار الفدان منها ثلاثة جنيهات فقط يبلغ محصولها في السنة قنطارين من القطن من فدان واحد وخمسة ارادب من الارز من فدان آخر واربعة ارادب من الذرة من الفدان الثاني وثمنها كلها ١٧ جنيهاً يخرج منها ٩ جنيهات الايجار فيبقى للفلاح ثمانية جنيهات لا غير ولكن يبقى لهُ ايضاً ما يكفي من البرسيم لعلف ماشيتهِ والحطب لوقودهِ ويأكل هو واولادهُ جانباً من الذرة . والفلاحان يضطران ان يخدما الارض ويسمداها على حدٍّ سوى ويقدما التقاوي اللازمة لها وخدمة الارز اصعب جدًّا من خدمة القمح . فترون من ذلك ان الفلاح الذي يدفع الايجار القليل ليس اسعد حالاً من الفلاح الذي يدفع الايجار الكثير بل الامر على الضد من ذلك

الاجنبي — احسنت في هذا البيان ولكن لا شبهة ان الثمانية الجنيهات والتسعة والعشرة لا تكفي لمعيشة رجل وزوجتهِ واولادهِ في السنة ولا بدَّ من تدبير ما لاضافة جانب آخر من ريع الاطيان الى الفلاحين

الوطني — لقد ابنت لك ان قيمة الحاصلات الزراعية كلها في سني الاقبال لا تزيد على ٧٢ مليون جنيه وان الحكومة تأخذ منها ستة ملايين والفلاحين ٤٨ مليوناً ولا يبقى للمالكين الاَّ ١٨ مليوناً او ربع الريع . وعلى الاطيان ديون لا يقل قسطها السنوي عن ٦ ملايين من الجنيهات فلا يبقى لاصحابها حقيقة الاَّ ١٢ مليوناً مقابل رأس مالهم واهتمامهم باطيانهم فاذا نزعنا منهم نصفها وهو ستة ملايين من الجنيهات واعطيناهُ للفلاحين لم يصب البيت من بيوت الفلاحين الاَّ ثلاثة جنيهات في السنة فنفقر المالك ولا نغني الفلاح اذ قد بيَّنت

لك ان دخل الفلاح الواحد يختلف من ٨ جنيهات الى ١٦ جنيهاً . واذا افتقر الملاك عجزوا عن ايفاء ديونهم فتباع اكثر اطيانهم لاصحاب البنوك او الاجانب ويتجرَّد الوطنيون منها . والذين يشترونها لا يحسنون ادارتها مثل ملاَّكها الحاليين فتكون النتيجة قلة الريع وزيادة الفقر

الاجنبي — بلغني ان بعض اولياء الامر يفكّر الآن في تحديد ايجار الاطيان حتى لا يزيد عن مقدار معيَّن بالنسبة الى مال الاطيان كخمسة اضعاف المال مثلاً

الوطني — نعم سمعت هذا الخبر وقد ذكرتهُ بعض الجرائد ولكن اولياء الامر كذَّبوهُ رسمياً على ما بلغني . وهو لا يخطر الاَّ على بال من يجهل النظامات الاجتماعية ولا يفكر في العواقب . فقد ابنت لك ان المئة الفدان التي يمتلكها صديقي يبلغ ايجارها اكثر من عشرة اضعاف مالها وان الالف فدان يبلغ ايجارها ستة اضعاف مالها فقط وعندهُ اطيان اخرى يقل ايجارها عن مالها فاذا ارادت الحكومة ان تنقص ايجار الاطيان الاولى وتعطي الفرق للفلاحين الذين يستأجرونها الآن فمن اين تعوّض على صديقي الفرق في ايجار الاطيان الثالثة وكل المالكين او اكثرهم مثلهُ اي عندهم اطيان يزيد ايجارها على خمسة امثال مالها واطيان لا يزيد بل ينقص . ثم ان مال الحكومة ليس الشيء الوحيد الذي يقوم بهِ المالك بل عليهِ اجور النظار والكتَّاب والمعاونين والخولا وتطهير المراوي والمصارف والاهتمام بالري والصرف والتصليح وما اشبه وقد تستغرق هذه النفقات قيمة الايجار كلها او تزيد عليها . والواقع ان ايراد الاطيان للملاَّكها لا يزيد على ثلاثة اضعاف مالها لانهُ ١٨ مليونًا من الجنيهات كما تقدم والمال ستة ملايين من الجنيهات . ثم اذا طرحنا من الريع فوائد الديون التي على الاطيان لم يبق منهُ الاَّ ١٢ مليونًا اي ضعفا مال الحكومة واذا قسمنا الريع كلهُ ٢٤ قيراطاً فالفلاحون يأخذون منها ١٦ قيراطاً والحكومة قيراطين وبنوك الرهنيات قيراطين والملاك اربعة قراريط ويدفعون منها اجرة النظار والكتاب ونحوهم ولولا ان صغارهم يتولون زرع اطيانهم بيدهم وكبارهم يملكون اطياناً كثيرة لكان امتلاك الاطيان عملاً خاسراً

الاجنبي — ادلتك لا ترد ولكنها لا تنفي ان دخل الفلاحين وهم تسعة اعشار السكان لا يكفيهم ليعيشوا بهِ في هذا العصر الذي كثرت فيهِ الحاجيات وغلت اسعارها جدًّا

الوطني — انا معك في ان دخل الفلاحين لا يكفيهم اذا حاولوا ان يعيشوا عيشة الفلاَّح الانكليزي فيفطروا على الخبز واللبن والشاي والزبدة ويأكلوا اللحم ولو مرَّة كل يوم ويلبسوا الجوخ والكتان ولكن ليس العبرة بدخل الانسان بل بما يبقى معهُ منهُ في آخر النهار وبما يستفيدهُ جسمهُ من طعامهِ ولباسهِ . في القطر المصري نحو مليون و٣٠٠ الف بيت يملك

البيت منها اقل من خمسة افدنة ، واكثر من ٧٦ الف بيت يملك البيت منها من خمسة افدنة الى عشرة و يملك هؤُلاء واولئك نحو مليوني فدان ٠ اي ان نحو نصف سكان القطر المصري من صغار الملاك و يملكون ثلث اطيانهِ وهي الاطيان الاجود والاغلى لان اصحابها منصرفون الى خدمتها ، وهؤُلاء هم الذين يستأجرون اطياناً غيرهم من كبار الملاك ويستعينون بالاجراء في زراعتها فاذا عاشوا بالاقتصاد الواجب فدخلهم كافٍ واذا كانت حالتهم سيئة فمن اسرافهم لا من قلة دخلهم ٠ اما الذين يستأجرون اطياناً ولا طين لهم او يعملون عند غيرهم اجراء فلا اعلم عددهم ولكنهم ليسوا كثاراً ٠ وسواء كانوا كثاراً او قلالاً وسواء كان سائر المستأجرين اغنياء او فقراء فكلهم يأكلون ما يشبعهم و يلبسون ما يدفئهم وحالهم من هذا القبيل احسن من حال الفلاحين والعمال في اوربا بل في انكلترا نفسها التي هي اغنى ممالك اوربا لان بعض اولئك يموت جوعاً كل سنة ولم يسمع عن فلاح مصري انهُ مات جوعاً ٠ نعم انهم لو ارادوا ان يعيشوا عيشة الفلاح الانكليزي لقصَّر دخلهم عن ذلك كثيراً ولكن لا دليل على انهُ اذا زاد دخل الفلاح المصري حتى صار ثلاثة اضعاف ما هو الآن يزيد سرورهُ ويكثر نسلهُ والمرجح عندي ان الامر يكون على الضد من ذلك ٠ ولا اظن ان ركفلر صاحب الملايين الكثيرة اسعد حالاً وانعم بالاً من اكثر الفلاحين الذين يستأجرون اطيان صديقي ولا يأكلون الا الخبز القفار واكثرهُ من الشعير والذرة واذا ادموهُ فببصلة او لقمة مش ٠ ترى الرجل منهم قامتهُ كالرمح واسنانهُ كالثلج وذراعيهِ كالحديد والمرأة جرتها على رأسها واولادها بين شاب يحرث وطفل يرضع ستة او سبعة ٠ وحالما يزيد دخل الواحد منهم على نفقاتهِ يبطل العمل بيديهِ ويكتفي بالامارة والادارة ٠ واغنياء اوربا واميركا يشيخ الواحد منهم وتحسب اموالهُ بالملايين والهم راكب عليهِ وقلما يطلب الراحة

ثم اننا اذا اردنا ان نزيد دخل فريق من الناس فلا يكون ذلك بسلب الفريق الآخر بل بتكثير موارد الرزق وترغيب الناس في الاقتصاد وصرفهم عن الاسراف وابعاد السالبين والمحتالين عنهم ٠ و يظهر لي ان المهتمين بشؤُون المصريين الآن ساعون في هذه السبل ورامون الى هذا الغرض فاذا نجحوا في تعويدهم السعي والتوفير وابعدوا عنهم المرابين والمحتالين وساعدوهم على ما يزيد ريع اطيانهم فذلك غاية ما يطلب منهم و يعود بالنفع الاوفر ٠ ولا اعتراض على كل اسلوب من شأنهِ توزيع جانب من دخل الاغنياء على الفقراء لاسيما واكثر الاغنياء منا مأمورون ديناً بتزكية اموالهم ٠ ولكن يشترط في هذا الاخذ ان يكون على طريقة لا توقع الاضطراب والضرر بمعايش السكان

عبد اللطيف البغدادي

كيف كانوا يتعلمون و يعلمون

احفل الكتب العربية القديمة ما أُلّف في القرن الثالث الى السابع لان رجال ذلك العصر اشتغلوا بالعلم حق الاشتغال . وقد رأينا في سيرة عبد اللطيف البغدادي التي اوردها ابن ابي اصيبعة في كتابهِ طبقات الاطباء شرحاً مسهباً لكيفية التعلُّم والتعليم في ذلك العصر لا شبهة في انطباقهِ على الواقع لانهُ ليس منقولاً عن ألسنة الرواة بل هو مما رآه المؤلف بنفسهِ او نقلهُ عمَّا كتبهُ عبد اللطيف بيدهِ في سيرتهِ فآثرنا نشرهُ لجزيل فائدتهِ وعلقنا عليهِ بعض الحواشي لزيادة الايضاح . قال ابن ابي اصيبعة في ترجمتهِ[1]

هو الشيخ الامام الفاضل موفق الدين ابو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن ابي سعد ويعرف بابن اللباد موصلي الاصل بغدادي المولد . كان مشهوراً بالعلوم متحلياً بالفضائل مليح العبارة كثير التصنيف وكان متميزاً في النحو واللغة العربية عارفاً بعلم الكلام والطب . وكان قد اعتنى كثيراً بصناعة الطب لما كان بدمشق واشتهر بعلمها وكان يتردَّد اليهِ جماعة من التلاميذ وغيرهم من الاطباء للقراءة عليهِ . وكان والدهُ قد اشغلهُ بسماع الحديث في صباهُ من جماعة منهم ابو الفتح محمد بن عبد الباقي المعروف بابن البطي وابو زرعة طاهر ابن محمد المقدسي وابو القاسم يحيى بن ثابت الوكيل وغيرهم . وكان يوسف والد الشيخ موفق الدين مشتغلاً بعلم الحديث بارعاً في علوم القرآن والقراءات مجيداً في المذهب والخلاف والاصولين وكان متطرفاً من العلوم العقلية . وكان سليمان عم الشيخ موفق الدين فقيهاً مجيداً . وكان الشيخ موفق الدين عبد اللطيف كثير الاشتغال لا يخلي وقتاً من اوقاتهِ من النظر في الكتب والتصنيف والكتابة . والذي وجدتهُ من خطهِ اشياء كثيرة جداً بحيث انهُ كتب من مصنفاتهِ نسخاً متعدّدة وكذلك ايضاً كتب كتباً كثيرة من تصانيف القدماء . وكان صديقاً لجدي و بينهما صحبة اكيدة بالديار المصرية لما كانا بها . وكان ابي وعمي يشتغلان عليهِ بعلم الادب واشتغل عليهِ عمي ايضاً بكتب ارسطوطاليس . وكان الشيخ موفق الدين كثير العناية بها والفهم لمعانيها واتى الى دمشق من الديار المصرية واقام بها مدّة وكثر انتفاع الناس بعلمهِ

(١) هو موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم بن ابي اصيبعة ولد بدمشق ودرس الطب فيها وفي القاهرة واقام في صلخد قرب دمشق وتوفي بها سنة ٦٦٨ وكتابهُ عيون الانباء اشهر كتاب في تاريخ الاطباء

ورأيتهُ لما كان مقيماً بدمشق في آخر مرة اتى اليها وهو شيخ نحيف الجسم ربع القامة حسن الكلام جيد العبارة وكانت مسطرتهُ ابلغ من لفظهِ. وكان رحمهُ الله ربما تجاوز في الكلام لكثرة ما يرى في نفسهِ. وكان يستنقص الفضلاء الذين في زمانهِ وكثيراً من المتقدمين. وكان وقوعه كثيراً جدًّا في علماء العجم ومصنفاتهم وخصوصاً الشيخ الرئيس ابن سينا ونظرائهِ

ونقلت من خطهِ في سيرتهِ التي الفها ما هذا مثالهُ قال: — اني ولدت بدار لجدي في درب الفالوذج في سنة سبع وخمسين وخمسمائة وتربيت في حجر الشيخ ابي النجيب لا اعرف اللعب واللهو واكثر زماني مصروف في سماع الحديث واخذت لي اجازات من شيوخ بغداد وخراسان والشام ومصر. وقال لي والدي يوماً قد سمعتك جميع عوالي بغداد والحقتك في الرواية بالشيوخ المسان. وكنت في اثناء ذلك أتعلم الخط واتحفظ القرآن والفصيح[1] والمقامات وديوان المتنبي ونحو ذلك ومختصراً في الفقه ومختصراً في النحو فلما ترعرعت حملني والدي الى كمال الدين عبد الرحمن الانباري وكان يومئذٍ شيخ بغداد ولهُ بوالدي صحبة قديمة ايام التفقه بالنظامية[2] فقرأت عليهِ خطبة الفصيح فهذر كلاماً كثيراً متتابعاً لم افهم منهُ شيئاً لكن التلاميذ حولهُ يعجبون منهُ. ثم قال انا اجفو عن تعليم الصبيان احملهُ الى تلميذي الوجيه الواسطي يقرأ عليهِ فاذا توسطت حالهُ قرأ عليَّ. وكان الوجيه عند بعض اولاد رئيس الرؤساء وكان رجلاً اعمى من اهل الثروة والمروءة فاخذني بكلتي يديهِ وجعل يعلمني من اول النهار الى آخرهِ بوجوه كثيرة من التلطف فكنت احضر حلقتهُ بمسجد الظفرية ويجعل جميع الشروح لي ويخاطبني بها وفي آخر الامر اقرأ درسي ويخصني بشرحهِ ثم نخرج من المسجد فيذاكرني في الطريق فاذا بلغنا منزلهُ اخرج الكتب التي يشتغل بها مع نفسهِ فاحفظ معهُ ثم يذهب الى الشيخ كمال الدين فيقرأ درسهُ ويشرح لهُ وانا اسمع. وتخرجت الى ان صرت اسبقهُ في الحفظ والفهم واصرف اكثر الليل في الحفظ والتكرار

واقمنا على ذلك برهة كلما جاء حفظي كثر وجاد وفهمي قوي واستنار وذهني احتد واستقام وانا الازم الشيخ وشيخ الشيخ. واول ما ابتدأت حفظت اللمع[3] في ثمانية اشهر اسمع كل يوم شرح اكثرها مما يقرأهُ غيري وانقلب الى بيتي فاطالع شرح الثمانين وشرح الشريف عمر بن حمزة وشرح ابن برهان وكل ما اجد من شروحها واشرحها لتلاميذ يختصون بي الى ان صرت

(١) كتاب ثعلب في اللغة (٢) مدرسة بغداد المشهورة بالنظامية نسبة الى نظام الملك الصوفي وزير السلطان الب ارسلان وولدهِ ملك شاه شرع في بنائها سنة ٤٥٧ هجرية

(٣) لعلها اللمع في اصول الفقه للشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ

اتكلم على كل باب كراريس ولا ينفد ما عندي . ثم حفظت ادب الكاتب[١] لابن قتيبه حفظاً متقناً اما النصف الاول ففي شهور واما تقويم اللسان ففي اربعة عشر يوماً لانهُ كان اربعة عشر كراساً . ثم حفظت مشكل القرآن لهُ وغريب القرآن لهُ وكل ذلك في مدة يسيرة . ثم انتقلت الى الايضاح[٢] لابي علي الفارسي فحفظتهُ في شهور كثيرة ولازمت مطالعة شروحهِ وتتبعتهُ التتبع التام حتى تبحرت فيهِ وجمعت ما قال الشراح . واما التكملة[٣] فحفظتها في ايام يسيرة كل يوم كراساً وطالعت الكتب المبسوطة والمختصرات وواظبت على المقتضب[٤] للمبرد وكتاب ابن درستويه وفي اثناء ذلك لا اغفل سماع الحديث والتفقه على شيخنا ابن فضلان بدار الذهب وهي مدرسة معلقة بناها فخر الدولة بن المطلب. وقال للشيخ كمال الدين مائة تصنيف وثلاثون تصنيفاً اكثرها في النحو وبعضها في الفقه والاصولين وفي التصوف والزهد واتيت على اكثر تصانيفهِ سماعاً وقراءة وحفظاً وشرع في تصنيفين كبيرين احدهما في اللغة والآخر في الفقه ولم يتفق لهُ اتمامها وحفظت عليهِ طائفة من كتاب سيبويه واكببت على المقتضب فاتقنتهُ وبعد وفاة الشيخ تجردت لكتاب سيبويه ولشرحهِ للسيرافي . ثم قرأت على ابن عبيدة الكرخي كتباً كثيرة منها كتاب الاصول[٥] لابن السراج والنسخة في وقف ابن الخشاب برباط المأمونية . وقرأت عليهِ الفروض والعروض للخطيب التبريزي وهو من خواص تلاميذ ابن الشجري واما ابن الخشاب فسمعت بقراءتهِ معاني الزجاج على الكاتبة شهدة بنت الابري[٦] وسمعت منهُ الحديث المسلسل وهو الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء

وقال ايضاً ان من مشايخهِ الذين انتفع بهم كما زعم ولد امين الدولة بن التلميذ[٧] وبالغ في وصفهِ وكثَّر وهذا فلكثرة تعصبهِ للعراقيين والاَّ فولد امين الدولة لم يكن بهذه المثابة ولا قريباً منها . وقال انهُ ورد الى بغداد رجل مغربي طوال في زي التصوف لهُ ابهة ولسَن مقبول

(١) كتاب مشهور لابن قتيبة النحوي المتوفى سنة ٢٧٠ ه

(٢) كتاب في النحو للشيخ ابي علي الفارسي النحوي المتوفى سنة ٣٧٧ ه

(٣) لابي علي الفارسي ايضاً الفها لعضد الدولة

(٤) المقتضب في الخطب للمبرد النحوي ولعله اراد المقتضب في كلام العرب لابن جني الموصلي النحوي

(٥) كتاب مرجوع اليهِ في النحو لابن السراج النحوي المتوفى سنة ٣٦٠ ه

(٦) هي فخر النساء شهدة بنت ابي نصر الابري الكاتبة الدينورية الاصل البغدادية المولود والوفاة كانت من علماء زمانها وتوفيت سنة ٥٧٤ ه

(٧) هو هبة الله بن صاعد الطبيب النصراني كان قسيساً ببغداد وتوفي سنة ٥٦٠ ه

الصورة عليهِ مسحة الدين وهيئة السياحة ينفعل لصورتهِ من رآهُ قبل ان يخبرهُ يعرف بابن تانلي يزعم انهُ من اولاد المتلثمة خرج من المغرب لما استولى عليها عبد المؤمن فلما استقر ببغداد اجتمع اليهِ جماعة من الاكابر والاعيان وحضرهُ الرضى القزويني وشيخ الشيوخ ابن سكينة وكنت واحداً ممن حضرهُ فاقرأني مقدمة حساب ومقدمة ابن بابشاذ في النحو وكان لهُ طريق في التعليم عجيب ومن يحضرهُ يظن انهُ متبحر وانما كان متطرفاً لكنهُ قد امعن في كتب الكيمياء والطلسمات وما يجري مجراها واتى على كتب جابر(١) باسرها وعلى كتب ابن وحشية(٢) وكان يخلب القلوب بصورتهِ ومنطقهِ وايهامهِ فملأ قلبي شوقاً الى العلوم كلها واجتمع بالامام الناصر لدين الله واعجبهُ ثم سافر. واقبلت على الاشتغال وشمرت ذيل الجد والاجتهاد وهجرت النوم واللذات واكببت على كتب الغزالي المقاصد والمعيار والميزان ومحك النظر. ثم انتقلت الى كتب ابن سينا صغارها وكبارها وحفظت كتاب النجاة وكتبت الشفاء وبحثت فيهِ وحصلت كتاب التحصيل لبهمنيار تلميذ ابن سينا وكتبت وحصلت كثيراً من كتب جابر ابن حيان الصوفي وابن وحشية وباشرت عمل الصنعة الباطلة وتجارب الضلال الفارغة واقوى من اضلني ابن سينا بكتابهِ في الصنعة الذي تمم بهِ فلسفتهُ التي لا تزداد بالتمام الّا نقصاً

ولما كان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة حيث لم يبقَ ببغداد من يأخذ بقلبي و يملأ عيني ويحل ما يشكل عليَّ دخلت الموصل فلم اجد فيها بغيتي لكن وجدت الكمال بن يونس جيداً في الرياضيات والفقه متطرفاً من باقي اجزاء الحكمة قد استغرق عقلهُ ووقتهُ في حب الكيمياء وعملها حتى صار يستخف بكل ما عداها. واجتمع اليَّ جماعة كثيرة وعرضت عليَّ مناصب فاخترت منها مدرسة ابن مهاجر المعلقة ودار الحديث التي تحتها واقمت بالموصل سنة في اشتغال دائم متواصل ليلاً ونهاراً وزعم اهل الموصل انهم لم يروا من احد قبلي ما رأَوا مني من سعة المحفوظ وسرعة الخاطر وسكون الطائر. وسمعت الناس يهرجون في حديث الشهاب السهروردي المتفلسف و يعتقدون انهُ قد فاق الاولين والآخرين وان تصانيفهُ فوق تصانيف القدماء فهممت لقصدهِ ثم ادركني التوفيق فطلبت من ابن يونس شيئاً من تصانيفهِ وكان ايضاً معتقداً فيها فوقعت على التلويحات واللمحة والمعارج فصادفت فيها ما يدل على جهل اهل الزمان ووجدت لي تعاليق كثيرة لا ارتضيها هي خير من كلام هذا الاحمق وفي اثناء كلامهِ يثبت حروفاً مقطعة يوهم بها امثالهُ انها اسرار الهية

(١) جابر ابن حيان الصوفي المتوفى سنة ١٦١ هـ صاحب كتاب اسرار الكيمياء

(٢) صاحب كتاب الفلاحة النبطية المتوفى سنة ٢٩١ هـ

ولما دخلت دمشق وجدت فيها من اعيان بغداد والبلاد ممن جمعهم الاحسان الصلاحي جمعاً كثيراً منهم جمال الدين عبد اللطيف ولد الشيخ ابي النجيب وجماعة بقيت من بيت رئيس الرؤساء وابن طلحة الكاتب وبيت ابن جهير وابن العطار المقتول الوزير وابن هبيرة الوزير واجتمعت بالكندي البغدادي النحوي وجرى بيننا مباحثات وكان شيخاً بهياً ذكياً مثرياً لهُ جانب من السلطان لكنهُ كان معجباً بنفسهِ موذياً لجليسهِ وجرت بيننا مباحثات فاظهرني الله تعالى عليهِ في مسائل كثيرة . ثم اني اهملت جانبهُ فكان يتأذى باهمالي لهُ اكثر مما يتأذى الناس منهُ

وعملت بدمشق تصانيف جمة منها غريب الحديث الكبير جمعت فيهِ غريب ابي عبيد القاسم بن سلام وغريب ابن قتيبة وغريب الخطابي وكنت ابتدأت بهِ في الموصل وعملت لهُ مختصراً سميتهُ المجرد وعملت كتاب الواضحة في اعراب الفاتحة نحو عشرين كراساً وكتاب الالف واللام وكتاب رُبَّ وكتاباً في الذات والصفات الذاتية الجارية على ألسنة المتكلمين . وقصدت بهذه المسئلة الردّ على الكندي

ووجدت بدمشق الشيخ عبد الله بن تاتلي نازلاً بالمأذنة الغربية وقد عكف عليهِ جماعة وتحزب الناس فيهِ حزبين لهُ وعليهِ فكان الخطيب الدولعي عليهِ وكان من الاعيان لهُ منزلة وناموس . ثم خلط ابن تاتلي على نفسهِ فاعان عدوهُ عليهِ وصار يتكلم في الكيمياء والفلسفة وكثر التشنيع عليهِ واجتمعت بهِ فصار يسألني عن اعمال اعتقد انها خسيسة نزرة فيعظمها ويحتفل بها ويكتبها مني وكاشفتهُ فلم اجدهُ كما كان في نفسي فساء بهِ ظني وبطريقهِ ثم باحثتهُ في العلوم فوجدت عندهُ منها اطرافاً نزرة فقلت لهُ يوماً لو صرفت زمانك الذي ضيعتهُ في طلب الصنعة الى بعض العلوم الشرعية او العقلية كنت اليوم فريد عصرك مخدوماً طول عمرك وهذا هو الكيمياء لا ما تطلبهُ(١) . ثم اعتبرت بحالهِ وانزجرت بسوء مآلهِ والسعيد من وُعظ بغيرهِ فاقلعت ولكن لا كلَّ الاقلاع . ثم انهُ توجه الى صلاح الدين بظاهر عكا يشكو اليهِ الدولعي وعاد مريضاً وحمل الى البيمارستان فمات بهِ واخذ كتبهُ المعتمد شحنة دمشق وكان متيماً بالصنعة

ثم اني توجهت الى زيارة القدس ثم الى صلاح الدين بظاهر عكاء فاجتمعت ببهاء الدين بن شداد قاضي العسكر يومئذٍ وكان قد اتصل بهِ شهرتي بالموصل فانبسط اليَّ واقبل عليَّ وقال نجتمع بعماد الدين الكاتب فقمنا اليهِ وخيمتهُ الى خيمة بهاء الدين فوجدتهُ يكتب كتاباً

(١) يراد بها الكيمياء الكاذبة او تحويل المعادن الى ذهب

الى الديوان العزيز بقلم الثلث من غير مسودة وقال هذا كتاب الي بلدكم وذاكرني في مسائل من علم الكلام وقال قوموا بنا الى القاضي الفاضل فدخلنا عليهِ فرأيت شيخاً ضئيلاً كلهُ رأس وقلب وهو يكتب ويملي على اثنين ووجههُ وشفتاهُ تلعب الوان الحركات لقوة حرصهِ في اخراج الكلام وكأنهُ يكتب بجملة اعضائهِ وسألني القاضي الفاضل عن قولهِ سبحانهُ وتعالى «حتى اذا جاءُوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها» اين جواب اذا واين جواب لو في قولهِ تعالى «ولو ان قرآناً سيرت بهِ الجبال» وعن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء وقال لي ترجع الى دمشق وتجري عليك الجرايات فقلت اريد مصر فقال السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها فقلت لا بد لي من مصر فكتب لي ورقة صغيرة الى وكيلهِ بها فلما دخلت القاهرة جاءني وكيلهُ وهو ابن سناء الملك وكان شيخاً جليل القدر نافذ الامر فانزلني داراً قد ازيحت عللها وجاءني بدنانير وغلة ثم مضى الى ارباب الدولة وقال هذا ضيف القاضي الفاضل فدرَّت الهدايا والصلات من كل جانب وكان كل عشرة ايام او نحوها تصل تذكرة القاضي الفاضل الى ديوان مصر بمهمات الدولة وفيها فصل يؤكد الوصية في حقي واقمت بمسجد الحاجب لؤلؤ رحمهُ الله اقرئ الناس وكان قصدي في مصر ثلاثة انفس ياسين السيميائي. والرئيس موسى بن ميمون اليهودي[1]. وابو القاسم الشارعي. وكلهم جاؤني اما ياسين فوجدتهُ محالياً كذابا مشعبذا يشهد للشاقاني بالكيمياء ويشهد لهُ الشاقاني

(١) قال ابن ابي اصيبعة في ترجمتهِ «هو الرئيس ابو عمران موسى بن ميمون القرطبي يهودي عالم بسنن اليهود ويعدُّ من احبارهم وفضلائهم وكان رئيساً عليهم في الديار المصرية وهو اوحد زمانهِ في صناعة الطب وفي اعمالها متفنن في العلوم ولهُ معرفة جيدة بالفلسفة وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين يرى لهُ ويستطبهُ وكذلك ولدهُ الملك الافضل علي. وقيل ان الرئيس موسى كان اسلم في المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه ثم انهُ لما توجه الى الديار المصرية واقام بفسطاط مصر ارتدَّ». وقال القاضي السعيد بن سناء الملك يمدح الرئيس موسى

ارى طب جالينوس للجسم وحدهُ	وطب ابي عمران للعقل والجسمِ
فلو انهُ طبَّ الزمان بعلمهِ	لابراهُ من داء الجهالة بالعلمِ
ولو كان بدر التم مَن يستطبهُ	لتم لهُ ما يدعيهِ من التمِ
وداواهُ يوم التم من كلف بهِ	وابرأهُ يوم السرور والسقمِ

وجاء في الانسكلوبيديا البريطانية انهُ ولد بقرطبة سنة ١١٣٥ م وكانت في اوج مجدها وسنة ١١٤٨ تغلب عليها الموحدون واضطهدوا من فيها من اليهود فانتقل بهِ والدهُ الى فاس في المغرب الاقصى فتخرج فيها على عبد العرب ابن مويشا الشاعر وانتقل منها الى مصر سنة ١١٦٥ واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين ويقال ان ريكاردس ملك الانكليز الملقب بقلب الاسد عرض عليهِ ان يدخل في خدمتهِ

بالسيمياء ويقول عنهُ انهُ يعمل اعمالاً لعجز موسى بن عمران عنها وانهُ يحضر الذهب المضروب متى شاء وباي مقدار شاء وباي سكة شاء وانهُ يجعل ماء النيل خيمة ويجلس فيهِ واصحابهُ تحتها وكان ضعيف الحال . وجاءني موسى فوجدتهُ فاضلاً لا في الغاية قد غلب عليهِ حب الرئاسة وخدمة ارباب الدنيا وعمل كتاباً في الطب جمعهُ من الستة عشر لجالينوس ومن خمسة كتب اخرى وشرط ان لا يغير فيهِ حرفاً الاّ ان يكون واو عطف او فاء وصل وانما ينقل فصولاً يختارها وعمل كتاباً لليهود سماهُ كتاب الدلالة ولعن من يكتبهُ بغير القلم العبراني ووقفت عليهِ فوجدتهُ كتاب سوء يفسد اصول الشرائع والعقائد بما يظن انهُ يصلحها (١)

وكنت ذات يوم بالمسجد وعندي جمع كثير فدخل شيخ رث الثياب نيرّ الطلعة مقبول الصورة فهابهُ الجمع ورفعوهُ فوقهم واخذت في اتمام كلامي فلما تصرم المجلس جاءني امام المسجد وقال أتعرف هذا الشيخ هذا ابو القاسم الشارعي فاعتنقتهُ وقلت اياك اطلب فاخذتهُ الى منزلي واكلنا الطعام وتفاوضنا الحديث فوجدتهُ كما تشتهي الانفس وتلذ الاعين سيرتهُ سيرة الحكماء العقلاء وكذا صورتهُ . قد رضي من الدنيا ببرض لا يتعلق منها بشيء يشغلهُ عن طلب الفضيلة . ثم لازمني فوجدتهُ قيماً بكتب القدماء وكتب ابي نصر الفارابي (٢) ولم يكن لي اعتقاد في احد من هؤلاء لاني كنت اظن ان الحكمة كلها حازها ابن سينا وحشاها كتبهُ واذا تفاوضنا الحديث أغلبهُ بقوة الجدل وفضل اللسن ويغلبني بقوة الحجة وظهور المحجة وانا لا تلين قناتي لغمزهِ ولا احيد عن جادة الهوى والتعصب برمزهِ فصار يحضرني شيئاً بعد شيء من كتب ابي نصر والاسكندر وثامسطيوس يؤنس بذلك نفاري ويلين عريكة شماسي حتى عطفت عليهِ اقدم رجلاً واؤخر اخرى

وشاع ان صلاح الدين هادن الفرنج وعاد الى القدس فقادت الضرورة الى التوجه اليهِ فاخذت من كتب القدماء ما امكنني وتوجهت الى القدس فرأيت ملكاً عظيماً يملأُ العين روعة والقلوب محبة قريباً بعيداً سهلاً محبباً واصحابهُ يتشبهون بهِ يتسابقون الى المعروف كما قال

(١) اما ابن ابي اصيبعة فذكر لهُ كتباً كثيرة وهي اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس ومقالة في البواسير وعلاجها ومقالة في تدبير الصحة ومقالة في السموم والتحرز من الادوية القتالة وكتاب شرح العقار وكتاب كبير على مذهب اليهود

وفي الانسكلوبيذيا البريطانية ان لهُ كتباً كثيرة في الديانة اليهودية وكان لفلسفتهِ شان كبير في اوربا

(٢) هو ابو النصر محمد بن محمد بن اوزلغ بن طرخان من فاراب مدينة في بلاد الترك بارض خراسان كان ببغداد وانتقل الى الشام واقام فيهِ الى حين وفاتهِ وهو من اكبر فلاسفة المشرق ان لم يكن اكبرهم ولهُ كتب كثيرة في الفلسفة ويعوَّل عليهِ في فهم فلسفة ارسطوطاليس

تعالى « ونزعنا ما في صدورهم من غل » واول ليل حضرتهُ وجدت مجلساً حفلاً باهل العلم يتذاكرون في اصناف العلوم وهو يحسن الاجتماع والمشاركة ويأخذ في كيفية بناء الاسوار وحفر الخنادق ويتفقه في ذلك ويأتي بكل معنى بديع . وكان مهتماً ببناء سور القدس وحفر خندقهِ يتولى ذلك بنفسهِ وينقل الحجارة على عاتقهِ ويتأسى بهِ جميع الناس الفقراء والاغنياء والاقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر ويأتي دارهُ ويمد الطعام ثم يستريح ويركب العصر ويرجع في المشاعل ويصرف اكثر الليل في تدبير ما يعمل نهاراً . فكتب لي صلاح الدين بثلاثين ديناراً في كل شهر على ديوان الجامع بدمشق واطلق اولادهُ رواتب حتى تقرر لي في كل شهر مائة دينار(١)

ورجعت الى دمشق واكببت على الاشتغال واقراء الناس بالجامع وكلما امعنت في كتب القدماء ازددت فيها رغبة وفي كتب ابن سينا زهادة واطلعت على بطلان الكيمياء وعرفت حقيقة الحال في وضعها ومَن وضعها وتكذَّب بها وما كان قصدهُ في ذلك وخلصت من ضلالين عظيمين موبقين وتضاعف شكري لله سبحانهُ على ذلك فان اكثر الناس انما هلكوا بكتب ابن سينا وبالكيمياء

ثم ان صلاح الدين دخل دمشق وخرج يودّع الحاج ثم رجع فحُم فقصدهُ من لا خبرة عندهُ فخارت القوة ومات قبل الرابع عشر ووجد الناس عليهِ شبيهاً بما يجدونهُ على الانبياء . وما رأيت ملكاً حزن الناس بموتهِ سواهُ لانهُ كان محبوباً يحبهُ البر والفاجر والمسلم والكافر . ثم تفرق اولادهُ واصحابهُ ايادي سبا ومزقوا في البلاد كل ممزق واكثرهم توجه الى مصر لخصبها وسعة صدر ملكها . واقمت بدمشق وملكها الملك الافضل وهو اكبر الاولاد في السن الى ان جاء الملك العزيز بعساكر مصر يحاصر أَخاهُ بدمشق فلم ينل منهُ بغية ثم تأخر الى مرج الصفر لقولنج عرض لهُ فخرجت اليهِ بعد خلاصة منهُ فاذن لي في الرحيل معهُ واجرى عليَّ من بيت المال كفايتي وزيادة واقمت مع الشيخ ابي القاسم يلازمني صباح مساء الى ان قضى نحبهُ ولما اشتدّ مرضهُ وكان ذات الجنب عن نزلة من رأسهِ واشرت عليهِ بدواء فانشد

لا اذود الطير عن شجرٍ قد بلوتُ المرّ من ثمرهِ

ثم سألتهُ عن المهِ فقال ما لجرح بميت ايلام

(١) نحو ستين جنيهاً وهي تعادل اكثر من مئة جنيه بمعاملة هذه الايام باعتبار ما يشترى بها من الحاجيات

وكان سيرتي في هذه المدة اني اقرئ الناس بالجامع الازهر من اول النهار الى نحو الساعة الرابعة ووسط النهار يأتي من يقرأ الطب[1] وغيره وآخر النهار ارجع الى الجامع الازهر فيقرأ قوم آخرون وفي الليل اشتغل مع نفسي ولم ازل على ذلك الى ان توفي الملك العزيز وكان شابًا كريمًا شجاعًا كثير الحياء لا يحسن قول لا وكان مع حداثة سنهِ وشره شبابهِ كامل العفة . انتهى

ثم ان الشيخ موفق الدين اقام بالقاهرة بعد ذلك مدة ولهُ الراتب والجرايات من اولاد الملك الناصر صلاح الدين واتى الى مصر ذلك الغلاء العظيم والموتان الذي لم يشاهد مثلهُ وألف في ذلك كتابًا ذكر فيهِ اشياء شاهدها او سمعها ممن عاينها تذهل العقل وسمي ذلك الكتاب كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر . ثم لما ملك السلطان الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب الديار المصرية واكثر الشام والشرق وتفرقت اولاد اخيهِ الملك الناصر صلاح الدين وانتزع ملكهم توجه الشيخ موفق الدين الى القدس واقام بها مدة وكان يتردد الى الجامع الاقصى ويشتغل الناس عليهِ بكثير من العلوم وصنف هنالك كتبًا كثيرة ثم انهُ توجه الى دمشق ونزل بالمدرسة العزيزية بها وذلك في سنة اربع وستمائة وشرع في التدريس والاشتغال وكان يأتيهِ خلق كثير يشتغلون عليهِ ويقرأون اصنافًا من العلوم وتميز في صناعة الطب بدمشق وصنف في هذا الفن كتبًا كثيرة وعرف بهِ واما قبل ذلك فانما كانت شهرتهُ بعلم النحو . واقام بدمشق مدة وانتفع الناس بهِ . ثم انهُ سافر الى حلب وقصد بلاد الروم واقام بها سنين كثيرة وكان في خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام صاحب ارزنجان وكان مكينًا عندهُ عظيم المنزلة ولهُ منهُ الجامكية الوافرة والافتقادات الكثيرة وصنف باسمهِ عدة كتب . وكان هذا الملك عالي الهمة كثير الحياء كريم النفس وقد اشتغل بشيء من العلوم ولم يزل في خدمتهِ الى ان استولى على ملكهِ صاحب ارزن الروم وهو السلطان كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان ثم قبض على صاحب ارزنجان ولم يظهر لهُ خبر

قال الشيخ موفق الدين عبد اللطيف « ولما كان في سابع عشر ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وستمائة رجعت الى ارزنجان من ارزن الروم وفي نصف ربيع الاول توجهت الى كماخ وفي جمادى الاولى توجهت منها الى دبركي وفي رجب توجهت منها الى ملطية وفي آخر رمضان توجهت الى حلب وصلينا صلاة عيد الفطر بالبهنساء ودخلنا حلب يوم الجمعة

(١) يظهر ان كل علوم ذلك العصر كانت تدرّس في الازهر حتى علم الطب

تاسع شوال فوجدناها قد تضاعفت عمارتها وخيرها وامنها بحسن سيرة اتابك شهاب الدين واجتمع الناس على محبتهِ لمعدلتهِ في رعيتهِ »

اقول واقام الشيخ موفق الدين بحلب والناس يشتغلون عليهِ وكثرت تصانيفهُ وكان لهُ من شهاب الدين طغريل الخادم أتابك حلب جار حسن وهو متخل لتدريس صناعة الطب وغيرها ويتردد الى الجامع بحلب ليسمع الحديث ويقرئ العربية . وكان دائم الاشتغال ملازماً للكتابة والتصنيف . ولما اقام بحلب قصدت ان اتوجه اليهِ واجتمع بهِ فلم يتفق ذلك وكانت كتبهُ ابداً تصل الينا وبعث اليَّ اشياء من تصانيفهِ من خطهِ وهذه نسخة كتاب كتبتهُ اليهِ لما كان بحلب

المملوك يواصل بدعائهِ وثنائهِ وشكرهِ وانتمائهِ الى عبودية المجلس السامي المولوي السيدي السندي الاجلي الكبيري العالي الفاضلي(١) موفق الدين سيد العلماء في الغابرين والحاضرين جامع العلوم المتفرقة في العالمين ولي امير المؤمنين اوضح الله بهِ سبل الهداية وانار ببقائهِ طرق الدراية وحقق بحقائق الفاظهِ صحيح الولاية . ولا زالت سعادتهُ دائمة البقاء وسيادتهُ سامية الارتقاء وتصانيفهُ في الآفاق قدوة العلماء وعمدة سائر الادباء والحكماء . والمملوك يجدد الخدمة ويهدي من السلام اطيبهُ ومن الشكر والثناء أعذبهُ وينهي ما يكابدهُ من الم التطلع الى مشاهدة انوار شمسهِ المنيرة وما يعانيهِ من الارتياح الى ملاحظة شريف حضرتهِ الاثيرة . وما تزايد من القلق وتعاظم عند سماعهِ قرب المزار من الارق

وابرح ما يكون الشوق يوماً اذا دنت الديار من الديارِ

ولولا امل قفول الركاب العالي ووصول الجناب الموفقي الجلالي لسارع المملوك الى الوصول ولبادر المبادرة بالمثول ولجاء الى شريف خدمتهِ وفاز بالنظر الى بهي طلعتهِ . فيا سعادة من فاز بالنظر اليهِ ويا بشرى مَن مثُل بين يديهِ ويا سرور من حظي بوجه اقبالهِ عليهِ ومن ورد بحار فضلهِ من غيرها واستضاء بشمس علمهِ فسرى في ضياء منيرها . نسأل الله تعالى تقريب الاجتماع وتحصيل الجمع بين مسرتي الابصار والاسماع بمنهِ وكرمهِ ان شاء الله تعالى

ومن مراسلات الشيخ موفق الدين عبد اللطيف انهُ بعث الى ابي في اول كتاب وهو يقول فيهِ عني « ولد الولد أعز من الولد وهذا موفق الدين ولد ولدي وأعز الناس عندي

(١) يظهر ان الحاق الصفات بياء النسبة شاع في ذلك العهد للمبالغة فيها وجرى عليهِ الكتاب ولو كانوا من خاصة العلماء

وما زالت النجابة تتبين لي فيهِ من الصغر» . ووصف واثنى كثيراً وقال فيهِ « ولو امكنني ان آتي اليهِ بالقصد ليشتغل عليَّ لفعلت» . و بالجملة فانهُ كان قد عزم ان يأتي الى دمشق و يقيم بها ثم خطر لهُ انهُ قبل ذلك يحج ويجعل طريقهُ على بغداد وان يقدّم بها للخليفة المستنصر بالله اشياء من تصانيفهِ ولما وصل بغداد مرض في اثناء ذلك وتوفي رحمهُ الله يوم الاحد ثاني عشر المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة ودفن بالوردية عند ابيهِ وذلك بعد ان خرج من بغداد وبقي غائباً خمساً واربعين سنة ثم ان الله تعالى ساقهُ اليها وقضى منيتهُ بها

احكام انكليزية في العمولة والسمسرة

٢

اذا اشترط السمسار على نفسهِ شرطاً لاخذ السمسرة ولم يقم بهِ سقط حقهُ بها . مثال ذلك ان جماعة من السماسرة اتفقوا مع شخص على ان يحضروا لهُ شريكاً ليشاركهُ في عملهِ ويقدم مبلغاً معيناً من رأس المال . فاحضروا الشريك ولكنهُ ابى ان يدخل شريكاً بعد ان عرف حقيقة العمل لانهُ رأى ان ربحهُ غير كاف . فطلب السماسرة سمسرتهم مدعين انهم احضروا الشريك ومعهُ المبلغ المطلوب من رأس المال . فحكم القاضي لورد كاردج ان الرجل الذي احضروهُ لم يصر شريكاً ولا دفع مالاً فلا تحق لهم السمسرة . ولكن لو طلب السماسرة تعويضاً عن العطل والضرر الناتج من ان صاحب العمل لم يقرر اولاً الحقيقة عن عملهِ ولو قرَّر الحقيقة لما اتعبوا انفسهم بالتفتيش عن شريك لهُ لحكم لهم بالعطل والضرر

النص يمنع التضمين . اتفق سماسرة مع بعض الماليين على ان يجعلوا حكومة الصين تقترض منهم مبلغاً من المال لكن الماليين كتبوا في التفويض العبارة التالية وهي « اننا اذا لم نستطع ان نتم هذا القرض فلا حق لكم عندنا». وادَّعى السماسرة انهُ جرى كلام شفاهي كثير بينهم وبين الماليين والشروط المذكورة في التفويض هي بعض ما تمَّ الاتفاق عليهِ وقالوا ان الشروط المكتوبة تحتوي ضمناً شرطاً آخر وهو ان لا يفعل الماليون شيئاً من شأنهِ ابطال القرض . فحكم القاضي انهُ اذا كانت الشروط مكتوبة فلا يعمل بما ليس مكتوباً فيها اذا كان مناقضاً لها وانهُ لا يجوز استنتاج شيءٍ منها ضمناً الاَّ اذا اتفق الفريقان على استنتاجهِ

لا يحسب البيع انهُ تمَّ الاَّ اذا انتقلت الملكية ودفع الثمن . كلَّف مالك سمساراً ان يبيع لهُ

ارضاً بالمزاد ورسا المزاد على المشتري ولكن البيع لم يتم فطلب السمسار سمسرتهُ ورفض المالك حاسباً ان البيع لم يتم ورضي بان يدفع اجرة المزاد ونفقاتهِ لانهُ ذكر في التفويض انهُ اذا لم يتم البيع فالمالك يعطي السمسار ثلاثين جنيهاً اجرة المزاد وقيمة المصاريف التي صرفها . فحكم القاضي للمالك قائلاً انهُ لا يحسب البيع انهُ تم الاَّ بعد انتقال المبيع من البائع الى الشاري واستؤنفت الدعوى فايَّد الاستئناف الحكم الابتدائي

تحق السمسرة ولو بمجرَّد التعريف — كلف مالك سمساراً ان يبيع لهُ ارضاً يملكها وكان السمسار دلاَّلاً فعرض الارض بالمزاد ولم تبع وجاءهُ حينئذٍ رجل وسألهُ عن صاحب الارض فهداهُ اليهِ وبعد ذلك سحب المالك التفويض من الدلاَّل وباع ارضهُ لذلك الرجل فطلب السمسار سمسرتهُ وحكم القاضي ارل ان الدلاَّل يستحق السمسرة اذا باع الارض حسب شروط الاتفاق بينهُ وبين المالك وهو لم يبع الارض فعلاً مع انهُ عرضها للبيع ولكنهُ عرَّف بصاحبها رجلاً اشتراها منهُ وقد سحب المالك منهُ التفويض بعد ان عرف المشتري بهِ فكأَن المشتري اشتراها منهُ لما عرضها للبيع . فان القاعدة المقررة انهُ اذا وجد بائع وشارٍ وتمَّ البيع بفعل فعلهُ الوسيط يحسب كأَنهُ تمَّ على يدهِ وتحق لهُ السمسرة

لكن اذا تمَّ البيع كنتيجة بعيدة نتجت من فعل السمسار لم تحق لهُ السمسرة . مثال ذلك ان سمساراً احضر رجلاً الى بنك ليستلف منهُ نقوداً فابى البنك ان يسلفهُ ثم سمع بعض الماليين من البنك ان ذلك الرجل يحتاج الى سلفة فسلفوهُ المال المطلوب فحكم القاضي ككبرن ان لا حق للسمسار بالسمسرة لان ما حدث لم يحدث بواسطتهِ مباشرة بل حدث عَرَضاً لانهُ لولم يتفق ان سمع اولئك الماليون من البنك ان فلاناً يحتاج الى سلفة لما تم التسليف وزد على ذلك فالاتفاق بين المستدين والسمسار يقضي بان السمسار هو الذي يجلب السلفة للمستدين ولكنهُ لم يفعل فحكم المحلفون ان لا حق للسمسار بالسمسرة

ولكن اذا اتفق الاثنان على ان السمسرة تحق ولو حدثت النتيجة بغير واسطة السمسار مباشرة حقت السمسرة مثال ذلك ان رجلاً لهُ مركب اتفق مع سمسار على ان يبيع لهُ المركب وكتب في التفويض انهُ اذا تم البيع ولو كنتيجة عما يفعلهُ السمسار حقت لهُ السمسرة . فقال القاضي دنمن ان كلمة كنتيجة in consequeuc كلمة واسعة المعنى واراها تشمل النتائج المباشرة وغير المباشرة . وقال رئيس القضاة كولردج ان كلمة كنتيجة اذا نظرنا اليها بخلو الغرض رأَيناها تشمل النتائج القريبة والبعيدة ولذلك فنص التفويض يدل على ان الخصمين ارادا النتائج البعيدة او غير المباشرة

اذا اختلف الخصمان في هل حصل ما حصل بفعل السمسار فمن الحسن ان يسأل الشخص الثالث عن ذلك . سأل القاضي دمن مشترياً قائلاً له « لو لم تأخذ ورقة التعريف من من السمسار الى البائع أ كنت اشتريت البيت » . فاجاب « لا اظن » . فحكم المحلفون للسمسار بالسمسرة . وطلب مالك من سمسار ان يبيع لهُ بيتهُ فعرضهُ للبيع ثلاثة اشهر ولم يفلح فعرضهُ صاحبهُ للبيع بالمزاد العلني فاشتراهُ رجل والسمسار هو الذي هداهُ الى البيت ولكن القاضي لم يحكم لهُ بالسمسرة اذ رجح انهُ لو لم يعرض البيت بالمزاد لما اشتراهُ المشتري . واذا حقت السمسرة للسمسار لزم المشتري دفع سمسرتين

ولا ينحصر التعريف بان يعرِّف السمسار رجلاً بآخر لا يعرفهُ بل يطلق ايضاً على تعريفهِ برجل يعرفهُ اذ يراد بها ان يعرِّف احدهما بالآخر كمن يريد البيع وكمن يريد الشراء . والتعريف بوكيل البائع او المشتري كالتعريف بالبائع او المشتري اذا كان وكيل البائع مفوضاً بالبيع ووكيل الشاري مفوضاً بالشراء

اذا فوض مالك الى سماسرة كثيرين بيع بيت لهُ او تأجيرهُ فالذي يبيعهُ منهم او يؤجرهُ يستحق السمسرة وحدهُ ولكن اذا انفق الآخرون نفقات في هذا السبيل كأن اعلنوا عنهُ في الجرائد او ما اشبه حق لهم شيءٌ مقابل تعبهم تعويضاً . واذا تعذرت معرفة ايهم هو البائع الحقيقي او المؤجر الحقيقي فالذي كان الاول في ايصال الشاري الى البائع او المستأجر الى المالك احق من غيرهِ ولكن ذلك قد لا يكون سبباً قاطعاً للاولوية . قال القاضي ارل لا شبهة ان القانون صريح ان السمسار الذي ارسل المشتري الى البائع يستحق السمسرة ولو تمَّ الاتفاق بعد ذلك بين البائع والشاري مباشرةً فاذا كان هناك سماسرة كثيرون مهتمين بمخاطبة المشتري فالذي كان الاول في ايصالهِ الى الشاري هو احقهم بالسمسرة

الاَّ ان القاضي لوبز حكم بالسمسرة للسمسار الذي حدث البيع بسببهِ او بسبب تعريفهِ ولو لم يكن اول من ارسل المشتري الى البائع

وقد يدَّعي السمسار ان لهُ سمسرة على كل ما ينتج عن عملهِ ولكن لا يثبت لهُ هذا الحق الاَّ اذا ذُكر صريحاً في التفويض مثال ذلك ان بيتاً تجاريًّا كتب الى عميل لهُ يقول ان كل الطلبات التي تأتينا بسببك ونقبلها ويدفع لنا اصحابها قيمتها نعطيك عليها ١ ½ في المئة . وكان للعميل معارف كثيرون فعرَّفهم بهذا المحل مدة تسع سنوات فاتسعت تجارة المحل

جداً . ثم ان المحل صرف العميل فداعاهُ فادعى المحل انهُ يستحيل عليهِ ان يقوم بهذا الشرط الى الابد او مدة حياة المدعي . فقال القاضي لوبس في حكمهِ ان المدعي مصيب في دعواهُ وحكم لهُ بالعمولة . وايَّد الاستئناف الحكم

وارسل محل آخر عميلاً الى استراليا ليجول فيها ووعدهُ بان يعطيهُ ٧½ في المئة على صافي النقود التي تدفع اليهِ من ثمن البضائع التي يطلبها العميل او التي تطلب بسبب تعريف طالبيها بالمحل سواءٌ طلبوها عن يدهِ او طلبوها مباشرةً . وسنة ١٨٩٥ اعلنهُ المحل بان يترك خدمتهُ بعد ثلاثة اشهر فطلب ان تبقى العمولة تدفع اليهِ عن كل الزبائن الذين عرَّفهم بالمحل حسب الاتفاق . فقال القاضي متيو في حكمهِ ان مدة الاتفاق غير محددة فيبقى العميل مستحقاً لسبعة ونصف في المئة على كل الطلبات التي يطلبها الزبائن الذين عرَّفهم بالمحل ولكن يحق للمحل ان لا يتعامل مع هؤلاء الزبائن فتبطل هذه العمولة ثم وجدت مصاعب في تعيين الطلبات التي تحق لهُ العمولة عليها فحكم لهُ بمبلغ معلوم اعطيهُ مرة واحدة تعويضاً

ورفعت قضية اخرى مثل هذه الى القضاء سنة ١٨٩٩ حكم فيها القاضي متيو حكماً جليًا قال فيهِ « ان المدعي يطلب ان يحكم لهُ بالعمولة على كل ما يطلبهُ الزبائن الذين عرَّفهم بهذه الشركة كأَنهُ يطلب منها رسماً سنويًا دائماً وهذا ليس من الانصاف . نعم ان الشركة ارتبطت مع المدعي بان تعطيهُ عمولة عن كل ما يبيعهُ للزبائن الذين عرَّفهم بها . وقد فصلتهُ الشركة عنها ولكنها لا تزال تعامل اولئك الزبائن الذين عرَّفهم بها لما كان وكيلاً لها وهي تقول انها لم تعد مكلفة ان تدفع اليهِ شيئاً بعد انفصالهِ عن خدمتها . والشركة غير مكلفة معاملة هؤلاء الزبائن واما اذا عاملتهم وجب عليها القيام بشروط الاتفاق ودفع العمولة للمدعي . وهذه البلاد حرة ويحق للشركة ان تفسخ العقد الذي ارتبطت بهِ مع المدعي اذا ارادت ولكنها انما تستطيع ذلك اذا اعطتهُ التعويض الكافي عن فسخ العقد . وتنحصر المسأَلة حينئذٍ في ما هو التعويض الكافي الذي يجب على الشركة ان تعطيهُ للمدعي مقابل فسخ العقد . ولمعرفة ذلك لا بدَّ من ان نعرف كم هو المبلغ الذي يمكن ان يربحهُ المدعي لو بقي في خدمة الشركة ولم يفسخ العقد . وهنا يجب ان نعتبر عدة امور مثل احتمال موت المدعي وتقلبات احوال التجارة واحتمال ابطال هؤلاء الزبائن التعامل مع الشركة وما اشبه . ثم حكم للمدعي بثلثمئة وخمسين جنيهاً تعويضاً



كاترينا الثانية امبراطورة روسيا

المقتطف مجلد ٤٣ صفحة ٤٧٧

كاترينا الثانية امبراطورة الروس

ختمنا الكلام في مقتطف سبتمبر بوفاة القيصر بطرس الاكبر وكان قد اوصى بالملك بعدهُ لزوجتهِ كاترينا الاولى فخلفتهُ سنة ١٧٢٥ ولكن الحزب الذي لم يرضهِ ما ادخلهُ من الاصلاح في بلادهِ سعى جهدهُ حتى نصَّب بطرس الثاني حفيد بطرس الاكبر وابن ابنهِ الكسس. وتوفي بطرس الثاني هذا بعد ثلاث سنوات وخلفتهُ الاميرة حنَّة ابنة الامبراطور ايفان فحكمت عشر سنوات من سنة ١٧٣٠ الى ١٧٤٠ . وفي ايامها علت كلمة الالمان في بلاط روسيا وصارت بلاد الروس مغنماً لهم. وخلفها ايفان ابن اختها لكنهُ أُنزل عن العرش حالاً وخلفتهُ اليصابات ابنة بطرس الاول فجرت على ضد ما جرت عليهِ الامبراطورة حنة واقصت الالمان واعادت الى مجلس الشيوخ سلطتهُ التي خولهُ اياها بطرس الاكبر وسنَّت نظام القرعة وزادت المكوس على الواردات. وخلفها بطرس الثالث زوج كاترينا الثانية وكان سخيف العقل ضعيف الرأي لكن كان عندهُ وزير حكيم فانقاد اليهِ وعمل بمشورتهِ وكان اول اعمالهِ انهُ اعفى الاشراف من القيد الذي قيدهم بهِ بطرس الاكبر وهو خدمة الحكومة وقال في اعفائهم ان القانون الذي وضعهُ جدي بطرس الاكبر كان في محلهِ حينما وضعهُ لانهُ اجبرهم على ان يتعلموا و يتفقهوا حتى يستطيعوا خدمة الحكومة فتنشأ منهم القوَّاد العظام والسياسيون المحنكون. امَّا وقد تمَّ الغرض المقصود فلم يبقَ داعٍ للتمسك بهذا القانون . فسُرَّ الاشراف بذلك وعزموا على ان يقيموا لهُ تمثالاً من الذهب اظهاراً لشكرهم فابى وطلب منهم ان يستعملوا الذهب لغاية انفع وقال انهُ يرجو ان يقيم لنفسهِ في قلوب رعاياهُ تذكاراً ابقى من التمثال . والغى ديوان البوليس السري وكان آفة على البلاد من بعض الوجوه مثل ديوان التفتيش. واهتمَّ بامر المنشقين عن الكنيسة الروسية وكانوا قد اضطُهدوا اضطهاداً شديداً حتى نقص عددهم من اربعين الفاً الى خمسة آلاف في ولاية نوفغورود وحدها وهرب الوف منهم الى القفار او هاجروا الى بلدان اخرى فامر بارجاعهم الى روسيا واعطائهم ارضاً في سيبيريا واخذ املاك الاديرة وقطع للرهبان مالاً يعيشون بهِ بدلاً منها وعفى عن الذين وقع بهم العقاب في الحكم السابق ونفوا

لكن سلوكهُ كان مخالفاً لاوامرهِ على خط مستقيم فسلب خدَمة الدين اموالهم واحتقر المذهب الارثوذكسي بعد ان اعتنقهُ لانهُ كان قد ربي على مذهب لوثيروس. واهان الكهنة

واغاظ ضباط الجيش وابطل الحرس الملكي وادخل في البلاد عادات غريبة وسنناً جديدة جاعلاً بلاط بروسيا انموذجاً لهُ وقاصداً الاقتداء بهِ في كل امر . وكان مولعاً بشرب البيرة فيقيم الليل كلهُ بين الكاس والطاس الى الصباح حتى يسكر سكراً طافحاً

وجرى في سياستهِ الخارجية على اسلوب وسَّع مسافة الخلف بينهُ وبين شعبهِ ولاسيما بعد ما رأوهُ يباهي بتعطف ملك بروسيا عليهِ ويحلف باسمهِ بعد ان كانت روسيا قد اذلت بروسيا . واعاد الى بروسيا كل الاملاك التي اخذتها روسيا منها وحالف ملكها فردرك الكبير محالفة هجوم ودفاع واولم وليمة فاخرة وقت توقيع هذه المحالفة شرب فيها نخب ملك بروسيا وهو يقول « نشرب نخب رئيسنا الذي شرفني بائتمانهِ اياي على فرقة من جيشهِ وارجو ان لا يعزلني من هذا المنصب وأؤكد لكم اني اهجم على جهنم بجيشي اذا امرني بذلك » وكان فردرك الكبير قد اعطاهُ لقب قائد لفرقة من جيشهِ

وكان قد اقترن في صباهُ بابنة امير سكسوني اسمها صوفيا اوغسطا باشارة ملك بروسيا اتت بها امها الى روسيا وادخلتها المذهب الارثوذكسي وعمرها ١٥ سنة فسميت كاترينا فاقترن بها سنة ١٧٤٥ وعمرهُ سبع عشرة سنة فقط . وكانت جميلة المنظر ذكية العقل عالية المطالب فرأتهُ يقضي اوقاتهُ في تربية الكلاب والجرذان وتعليمها الحركات العسكرية ويغتاظ كلما نهتهُ عن ذلك او ابانت لهُ سخافة عملهِ ويتعشق نساء البلاط ويطلعها على فعالهِ فذلك وادمانهُ المسكرات ابعدا قلبها عنهُ لكن عزيمتها لم تضعف كأنها قصدت ان تتسلط على البلاد اذا عجز زوجها عن السلطة فتعلمت اللسان الروسي حتى برعت فيهِ ودرست تاريخ روسيا وعادات اهلها وقوانين حكومتها وعرفت كل ما يرضي الامة الروسية وما يغيظها فرسخ ذلك في نفسها حتى صارت روسية قلباً وقالباً وسهل عليها استمالة الشعب الروسي اليها . وتخرجت في العلوم والآداب العصرية فاتقنت اللغة الفرنسوية وقرأت كل ما كان ينشر فيها من كتب الادب والفلسفة وكانت كتب ڤولتر واضرابهِ تسليتها وجاهرت بانها من تلامذتهم في اصلاح شؤُون البشر . وكانت تراسلهم دواماً . فبينما كان زوجها يقضي نهارهُ في اللهو واللعب وليلهُ في السكر والخلاعة كانت هي تثقف عقلها وتوسع معارفها وتزيد سطوتها على عقول كبار الامة . ولم يكن ذلك بالامر السهل في بلاط تشملهُ المفاسد لكنها فازت اخيراً وصار اهل البلاط كلهم يحترمونها رجالاً ونساء . ولما استوى زوجها على عرش الملك سنة ١٧٦٢ جعل يستشيرها في امورهِ لانهُ كان يعترف لها بالتفوُّق العقلي والمقدرة الادارية مع انهُ كان يكرهها ويود التخلص منها . واضطرها ذات يوم ان تُلبس احدى خليلاتهِ وسام القديسة كاترينا فعزمت

من ذلك الحين على ان تتخلص منهُ قبلما يتخلص منها ولا سيما بعد ان بلغها انهُ امر بالقبض عليها ووضعها في احد الاديرة

وكان فريق كبير من ضباط الجيش واعيان الامة معها يرون ان لا بدَّ من خلع زوجها والمناداة بابنها بولس امبراطوراً وجعلها وصية عليهِ او المناداة بها امبراطورة فمسحها الكهنة وصية على ابنها ونادى بها الضباط امبراطورة وطافوا بها في الشوارع والشعب يحييها باسم امبراطورة روسيا. وكان زوجها خارج بطرس برج يعلّم جنوده الالمانيين ولم يكد خبر زوجتهِ يصل اليهِ حتى انصرف عنهُ كل اعوانهِ فتنازل عن عرش الملك في اليوم التالي وزار زوجتهُ وخليلتهُ معهُ فارسلتهُ الى مكان من اجمل اماكن روسيا ليقضي بقية ايامهِ فيهِ وارسلت معهُ اربعة من اودع الضباط لكن اولاد اورلوف تبعوهُ اليهِ وحاولوا قتلهُ سمًّا فتعذَّر عليهم فخنقوهُ خنقاً والامبراطورة لا تعلم ذلك على ما يظهر ولكن يقال ان احد اولئك الرجال كان خليلاً لها فكأنهُ عمل بما ظنَّ انهُ يرضيها . قال السفير الانكليزي الذي كان في ذلك الوقت بعث اليَّ الوزارة الروسية برقعة تقول فيها « ان وزير الامبراطورية الروسية يرى من واجباتهِ ان يعلم وكلاء الدول الاجنبية ان الامبراطور السابق أُصيب بغتةً بمغص شديد كان معرَّضاً لهُ فتوفي امس »

وكتب ڤولتر في ما كتبهُ عن الامبراطورة كاترينا ما يأتي « لا يخفى انها تُذكر باللوم على امور طفيفة من حيث علاقتها بزوجها . هذه مسائل عائلية لا نعرض لها وخير للمرء ان يكون فيهِ عيب يحاول اصلاحهُ لانهُ يضطر حينئذٍ ان يبذل وسعهُ لنيل احترام الناس لهُ واعجابهم بهِ » . وقد فعلت كما قال لانها انست الروسيين ما مضى وجعلتهم يذكرونها دائماً بالاعظام والاجلال

ولا يسعنا ذكر كل الاعمال السياسية والحربية التي قامت بها هذه الامبراطورة فنكتفي بما قلَّ ودلَّ فانهُ لم يكد الامر يستتبُّ لها حتى وجَّهت عنايتها الى علاقات بلادها بالبلدان المجاورة فجرت على خطة الذين سلفوها وهي توسيع بلادها من كل جهة ولا سيما من جهة البحر ففازت فوزاً كبيراً لم يفقها فيهِ احد . واول شيء فعلتهُ انها طردت صاحب كورلند واقامت عليها اميراً من قبلها ثم ما زالت تضايقها حتى انضمت الى الامبراطورية الروسية سنة ١٧٩٥ وهي امارة صغيرة على بحر بلطيق مساحتها نحو عشرة آلاف ميل مربع وعدد سكانها الآن نحو سبع مئة الف نفس . واظهرت العداء لفردرك الكبير ملك بروسيا ولكنها لما رأت انهُ لم يعاملها بمثل ما عاملتهُ بهِ ولا وجدت في ما دار بينهُ وبين زوجها من المراسلات شيئاً

يغيظها حالفتهُ محالفة هجوم ودفاع دامت الى آخر ايامهِ وغرضها الاكبر منها امتلاك بولندا او اقتسامها . وكان في بولندا حزبان حزب يؤيد الحرية الدينية وحزب يمنعها فايدت هي الحزب الاول وقاومت الحزب الثاني فتمزّق شملهُ واضطرَّ اعضاؤهُ ان يهربوا الى بلاد النمسا وبلاد الدولة العلية فاغتاظت الدولة من تقدم الروس في بولندا وشهرت الحرب على الامبراطورة كاترينا ويقال ان سفير فرنسا هو الذي حمل الباب العالي على محاربة روسيا . وكانت جنود الامبراطورة كاترينا في بولندا فلم تكن متأهبة لمحاربة الباب العالي لكنها كتبت الى قوادها تقول « ان الرومانيين لم يكونوا يسألون عن عدد خصمهم بل كانوا يكتفون بالسؤال اين هو » . وكان الصدر الاعظم قد حمل على تخوم روسيا بمئة الف محارب سنة ١٧٦٨ فامرت القائد اسكندر غالتسوين ان يتقدم للقائهِ بثلاثين الفًا وامرت رومانتسوف ان يحمل اكرينا مخافة من تتار القرم والتقى غالتسوين بالصدر الاعظم قرب خوتين وفاز عليهِ ونزل في الفلاخ والبغضان وذلك سنة ١٧٦٩ وفي السنة الثانية تغلب رومانتسوف على خان التتار وهاجم الصدر الاعظم في كهول فحدث ما ساعدهُ على الفوز عليهِ . وسنة ١٧٧١ اجتاح الروس كل بلاد القرم واستولت جنود الفلاخ على حصون الطونه واجتاحوا بسارابيا واخذوا مدينة بندر ودخلوا بلاد البلغار

وبعثت الامبراطورة بعمارة بحرية من بحر بلطيق دارت حول اوربا ودخلت بحر الروم ووصلت الى بلاد اليونان والتقت بالاسطول العثماني في ساقص وتغلبت عليهِ ويقال ان الاسطول العثماني انتصر على الاسطول الروسي اولاً وعاد بعد النصر الى مينا جشمه فتبعهُ حراقتان من اسطول الروس ظن العثمانيون انهما فرّتا من الاسطول الروسي واتتا للانضمام اليهم فلم يعارضوهما في الدخول الى المرفإ لكنهما لم تلبثا ان دخلتا حتى القتا النيران في الاسطول العثماني فاحترق كلهُ وذلك في ٦ يوليو سنة ١٧٧٠ فخاف الناس في الاستانة من وصول العمارة الروسية اليها ويقال انها لو ظلت سائرة حينئذٍ لما منعها شيء عن اخذ الاستانة ولكن اورلوف اميرها اضاع الفرصة بامتلاك الجزائر جزيرة جزيرة وللحال قام البارون توت[1] وانهض همة الباب العالي الى تحصين الدردنيل وسبك لهُ المدافع الكبيرة حتى اذا جاءَت الاسطول الروسي وجدهُ امنع من عقاب الجو . الاَّ ان الروس استولوا على ازاق وكل بلاد القرم وسواحل البحر الاسود بين نهر الدنيبر والدنيستر اي على بسارابيا

(١) امير مجري تجنس بالجنسية الفرنسوية وصار قنصلاً لفرنسا في بلاد القرم ثم دخل خدمة الدولة العلية فاصلح الطبجية وحصن الدردنيل

والفلاخ والبغدان وجانب من البلغار وجزائر الارخبيل . ورأت النمسا ذلك فراعها دنو روسيا منها وعزمت بان تفتدي تركيا ببولندا فان ملك بروسيا ارسل اخاهُ الى بطرس برج ليقنع الامبراطورة كاترينا ان نقدمها في بلاد الدولة العلية يغيظ النمسا وفرنسا فيعاونان الدولة العلية عليها وهو لا يستطيع مساعدتها لشدة ما قاسته بلاده في الحروب الماضية ولذلك فالسبيل الاصلح والآمن لها ان تأخذ جانبًا من بولندا بدل ما تتوقع اخذهُ من بلاد الدولة وتسمح بما بقي منها لبروسيا والنمسا

وكانت تود سلامة بولندا وتريد الاحتفاظ بها على شرط ان يكون لها فيها الكلمة العليا ولكنها رأت حينئذٍ ان لا قبل لها بمحاربة تركيا والنمسا وفرنسا فاضطرت ان تقبل ما عرضهُ عليها ملك بروسيا فاقتسمت مملكة بولندا مع بروسيا والنمسا (١)

وعقدت شروط الصلح مع الدولة العلية سنة ١٧٧٤ ومن مقتضاها استيلاء الروس على كثير من الحصون والمواقع المنيعة وان تدفع الدولة العلية اربعة ملايين وخمس مئة الف روبل (٦٧٥ الف جنيه) غرامة حربية وتفتح البوسفور والدردنيل للسفن الروسية التجارية ويكون لتجار الروس ما لتجار الفرنسويين من الحقوق في بلاد الدولة . وتعترف الدولة العلية باستقلال تتار القرم وركوبان والولايات المجاورة وتعطي روسيا ازاق وكريش وقلبرن وكل المواقع الحصينة في القرم وكل سواحل البحر الاسود الشمالية وتعترف بحماية روسيا للمسيحيين الذين في امارات الطونا. وتسمح لها ببناء كنيسة في الاستانة . وردت روسيا الفلاخ والبغدان الى الدولة العلية بعد ان احتلتها

لكن هذا الفوز الحربي تبعتهُ رزيئة طبيعية من اشد الرزايا فان الطاعون انتشر في روسيا حتى بلغت الوفيات بهِ في مدينة موسكو الفًا في اليوم في شهري يوليو واغسطس سنة ١٧٧١ وبلغ من هوس العوام ان قاموا على رئيس الاساقفة وقتلوهُ ونهبوا بيتهُ لانهُ منعهم من تقديم القرابين الى صورة العذراء وكثر الشغب حتى اضطرت الحكومة ان تفرّق شمل المشاغبين

(١) هذا هو التقسيم الاول ثم الغي وعادت بولندا الى استقلالها واصلحت شؤُونها ولكنهُ اعيد على اسلوب آخر واخرجت النمسا منهُ واعيد ثالثة وادخلت النمسا فيهِ فجعل نصيب روسيا بلادًا يسكنها مليون ومئتا الف نفس وبروسيا بلادًا يسكنها مليون نفس والنمسا بلادًا يسكنها مليون نفس وذلك كلهُ في عهد الامبراطورة كاترينا . وصحح هذا التقسيم بعد ذلك فوسع نصيب روسيا . والآن يبلغ عدد البولنديين في قسم روسيا ١٦ مليونًا وفي قسم بروسيا ثلاثة ملايين وفي قسم النمسا خمسة ملايين

بالسلاح . وتلت ذلك ثورة اميليان بوغتشف التي كادت تزعزع اركان الامبراطورية وبعد وقائع دموية كثيرة قُبض عليهِ واتي بهِ الى موسكو وقتل فيها

وارتأَت روسيا ان يكون بينها وبين بلاد النمسا وبلاد الدولة العلية مملكة مستقلَّة مؤَلفة من الفلاخ والبغدان وبسارابيا ويكون لها ملك ارثوذكسي وتأخذ روسيا اوتشاكوف وساحل البحر بين البُغ والدنيبر وجزيرة او جزيرتين من الارخبيل الرومي وتأخذ النمسا البوسنه والهرسك من املاك الدولة العلية ودلماتيا من املاك البندقية وتعطيها بدلاً منها بلاد المورة وكريت وقبرص . وتعاد امبراطورية الروم وينصب عليها امبراطور حفيدها الغران دوق قسطنطين الروسي وكانت قد علمتهُ اللسان اليوناني لهذا الغرض . فحسن هذا الرأي لدى امبراطور النمسا ولم تضادهُ فرنسا ولكن انكلترا وبروسيا ضادتاهُ وانضمَّت اليهما هولندا وانحازت هذه الدول الثلاث الى الدولة العلية انتقاماً من روسيا . وفي ٢٦ يوليو سنة ١٧٨٧ ارسل الباب العالي الى سفير روسيا بلاغاً يطلب فيهِ اخراج موروكرداتو حاكم البغدان من بلادها واسترجاع قناصلها في اساي وبخارست والاسكندرية ورفع حمايتها عن اراكلي الثاني قيصر جيورجيا ويطلب ايضاً ان يفتش مأمورو الباب العالي كل السفن الروسية المارة في البوسفور . ولما ابى السفير اجابة الباب العالي الى طلبهِ قُبض عليهِ وسجن في الابراج السبعة وشهرت الدولة الحرب على روسيا وكانت بروسيا متحفزة على روسيا حينئذٍ وكذلك اسوج فوقعت الامبراطورة كاترينا بين ثلاث نيران الأَان امبراطور النمسا حالفها وشهر الحرب على الدولة العلية وخرج لقتال جنودها بمئتي الف محارب فدارت الدائرة عليهِ ودخل الصدر الاعظم بلاد المجر والتقى بالامبراطور وهو باربعين الف محارب وهزمهُ . ودامت هذه الحرب من اواسط سنة ١٧٨٧ الى اخر سنة ١٨٩١ وكثرت فيها المعارك برّاً وبحراً ولكنها كانت سجالاً عقد النصر فيها مراراً للعثمانيين ومراراً للروس . ومات امبراطور النمسا في غضون ذلك فعدل خلفهُ عن استئناف القتال ثم امضيت شروط الصلح في ينابر سنة ١٧٩٢ وكانت الامبراطورة كاترينا قد قلقت بما حدث في فرنسا من الثورة فرحَّبت بالصلح لاسيما وانها اخذت بهِ اوتشاكوف وساحل البحر الى الدنستر واعترفت الدولة بحمايتها لتفليس وكرتاليفيا . وسيأتي الكلام على ادارة هذه الامبراطورة في بلادها وما ادخلتهُ فيها من وسائل العمران



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

الطريقة الحديثة للتعليم

طالعت ما جاء في المقتطف عن الطريقة المنتسورية في تعليم الاولاد الفقراء واطلعت على ما يماثلها في بعض المجلات الاوربية باختلاف جزئي بينهما فشكرت لكم اجتهادكم المتواصل في البحث والتفتيش عن كل فائدة علمية وادبية واجتماعية وسبقكم دائماً الى نشرها في المقتطف خزانة العلم وروضة الادب ورأيت ان من صدق الخدمة الوطنية ان نطبق هذه الطريقة على حالة الوطن الاجتماعية لانهُ لا يكفينا ان نطلع على ما يعمل في الخارج وان نقتصر على استحسانهِ بل يجب ان نستفيد منهُ وننسج على منوالهِ اذا كنا في حاجة اليهِ

لا يزال عدد الاميين في اسبانيا كبيراً جدًّا والجهل فيها فاشياً فقام بعض دعاة الاصلاح ورسل الانسانية لنشل هذه الفئة من وهدة الجهل على نحو ما ذكرتم في الطريقة المنتسورية فوفى عملهم بالغرض واتى بنتائج حسنة جدًّا . واول من قام بهذا العمل اندرياس مونيون احد رهبان الجبل المقدس في غرناطة واستاذ في كليتها . والاهالي هناك من اشد الناس جهلاً واكثرهم نفوراً من العلم وعيَّن لهم المعلمين الفقراء فجمع الاولاد الفقراء والمتشردين واخذ يقدم لهُ ما يلزمهم من الغذاء اليومي ويكسوهم مرتين في السنة ويقدم لباس الحداد للايتام ويكافئ الناجحين بالجوائز ومتى بلغوا الحد الذي يستطيعون بهِ العمل يساعدهم على الزواج وعلى ايجاد عمل يعيشون منهُ

اما طريقة التعليم فاعطاء الدروس في الفلاة والهواء المطلق وهي حسية وعملية بحيث يسهل تحصيلها بدون جهد وعناء فيرسم على الجدران الحروف والارقام والخرائط وعلامات الموسيقى ويرسم على الارض جداول الحساب والخرائط الجغرافية ويعلق على الاشجار

الكرات الارضية والفلكية · وابتدع العاباً يتعلم منها الاولاد الحساب والجغرافية ونظم اغاني يتغنون بها في ذهابهم وايابهم ويتعلمون منها التاريخ بحيث اصبحت معرفة المتخرجين راسخة في اذهانهم ويستطيعون ان يجاوبوا على الاسئلة التي تلقى عليهم في الجغرافية والتاريخ والفلك افضل مما يجاوب عليها كثيرون من حائزي البكالوريا . واما البنات فيتعلمن الخياطة والتطريز وتدبير المنزل · ولكي لا يبقى محل للكسل او الضجر يعطي كل ولد قطعة ارض صغيرة ليحرثها ويزرعها قبل ميعاد الدرس ويعلمهُ ان يحترم حقوق جاره . وهو واعوانهُ افضل مثال لهذا المبدإ يعاملون الاولاد معاملة احترام ويغرسون في اذهانهم معرفة الواجبات الادبية فيسلحونهم بسلاح الدنيا والآخرة · ويقول ان الولد يستطيع ان يستفيد من كل شيء وفي كل وقت حتى في وقت اللعب

ان طبقة الشعب الواطئة في ضواحي غرناطة ادنى حالة من مثلها في مصر فقام هناك رجل في رأس عمل عظيم فاصلح الفاسد وقوم المختل ونحن في وطن وان فشا فيهِ الجهل ففيهِ كثير من ذوي النبوغ والثراء والاحسان والاريحية ولا يعوزنا سوى الخطوة الاولى للعمل واری من واجب الوطنية الفات النظر الى ذلك عسى ان يكون لهذا الصوت الضعيف صدًى في الاندية العالية

لا ينكر ان السواد الاكبر من الشعب المصري لا يزال امياً وان الطبقة الواطئة منهُ لا تعرف للنظافة معنى ولا اخشى ان اقول انهُ يضرب المثل بقذارتها ومن الثابت ايضاً ان وفيات الاطفال كثيرة جدًّا بالنسبة الى ما هي عليهِ في الامم الاخرى ومثلها نسبة امراض العيون والعمى والكساح وغيرهِ من امراض البنية التي تسبب من سوء المعيشة والقذارة

وقد تألفت في القطر جمعيات خيرية لتلافي هذه المحذورات واوفاها غاية جمعية رعاية الاطفال التي تخدم الامة خدمات جليلة على اني ارى انها لم تفِ بالغاية المطلوبة لان من يألف عادة يصعب عليهِ تركها فالام التي تأتي بابنها الى مركز الجمعية وتستفيد من ارشاداتها ترجع بعد قليل الى عادتها القديمة لان الجديدة لم ترسخ فيها بعد · فاذا وسعت الجمعية دائرة عملها او تألفت جمعيات اخرى تعضدها بتعليم اولاد الفلاحين على طريقة اندرياس مونيون وفي الوقت نفسهِ يجعل لعلم الصحة حصة في الدروس حصل من ذلك فائدتان الاولى تعليم الاولاد والثانية حفظ صحتهم

الجهل عاهة نفسية يجب مداواتها كما تداوى الاسقام في الاجسام حتى لا يتجاوز ضررها الى المجموع · ومن الحكم المأثورة ان العقل الصحيح في الجسم الصحيح فيجب ان يعتني بالجسم

ليكون بصلاحهِ صلاح الاحوال العقلية والنفسية · والنظافة سور لصحة الاجسام وركن لصحة الاذهان · وعندي ان من واجب كل امة ان تشيد بجانب هيا كل العبادة هيا كل لعبادة الهة النظافة ليرسخ في ذهن كل انسان ان الصحة والنظافة والنور والهواء النقي هي من معبودات المنزل ويجب ان يكون لعلم الصحة نصيب في الدروس المدرسية وان يكون لهُ الحصة الكبرى في كتاتيب البنادر والارياف

الشيء بالشيء يذكر فيحسن ان نذكر هنا عملاً مفيداً اقترحتهُ على شركات علب الكبريت الاميرة هس دارمشاد التي تهتم بمقاومة السل وعدم انتشارهِ بين الفلاحين وهو ان تكتب الشركات على وجهي العلبة التعليمات اللازمة للوقاية من السل لكي يحيط العموم علماً بها حتى في اقاصي البلاد

النشرات الروائية كثيرة والمتهافتون على مطالعتها كثيرون وهي لا فائدة منها سوى ضياع الوقت بمطالعة حوادث خيالية تضرب على نغم واحد عشق وخيانة ومكر وقتل · فلو تألفت جمعية لتأليف النشرات الصحية وتوزيعها على الفلاحين وروعيت فيها اذواق القوم البسيطة وكتبت فيها المقالات الصغيرة التي لا يمل من مطالعتها وتضمنت من الفوائد الصحية والمنزلية والعلمية ما يكون مسبوكاً بقالب من الفكاهة لجاءت من الفوائد بما لا تقدر قيمتهُ في المستقبل القريب · وارى ان جمعية رعاية الاطفال تستطيع القيام بهذا العمل وهي اذا قامت بهِ الى ان يتيسر لها توسيع نطاق عملها وتعميمهُ في البلاد فانها تخدم الانسانية والوطن خدمة تذكر فتشكر

الدكتور امين ابو خاطر

كلمة لا بد منها

حضرات اصحاب المقتطف الفخام

قدمت الى ساحة فضلكم الزاخر بضع مسائل ادبية اجتماعية فاجبتموني عن بعضها في عدد اكتوبر من سنتنا الحالية (١٩١٢) صفحة ٤٠٥

سألتكم عن فائدة الصلاة والصوم وقلت « ان الله سنَّ شرائع الطبيعة ونواميسها وهو لا يقدر ان يتعدى احداها لئلا يخرب نظام الكون » فاجبتم « ان ذلك تحكُّم لا دليل على صحتهِ » فعجبت من قولكم هذا لما اعهدهُ فيكم من سعة الاطلاع والوقوف على دقائق الحقائق ولعلكم ذهبتم ذلك خلاف ما اردت ولاجل زيادة البيان التي عليكم بعض اسئلة راجياً من حلمكم ان تتنازلوا وتجيبوني عنها على صفحات مجلتكم الزاهية ولكم مزيد الفضل · اما الاسئلة فهي

١ً ايستطيع المبدع الحكيم ان يوقف الارض فجأَة عن مسيرها السريع من دون ان تصبح بلقعاً خاوياً خالياً

٢ً افي وسعهِ ان يثبت القمر في كبد السماء مدة من الزمن بلا هياج في البحر وحصول مد يغرق الارض طرًّا

٣ً ايمكنهُ ان يفصل ارضنا عن الشمس بلا ضرر عظيم وخراب مستديم

٤ً ايقدر ان يجعل الشمس تترك مقرها وتسير في طلب الارض من دون ان تتبعها الكواكب

٥ً افي طاقتهِ الغاء ناموس الجاذبية او الدفع العام

٦ً افي امكانهِ ارجاع الشيخ الهرم طفلاً رضيعاً

٧ً اتساعدهُ النواميس الطبيعية ان يقي من الموت من يلقي بنفسهِ من جبل شاهق الى الحضيض او من يطرح نفسهُ في اتون من النار و بحيرة من الكبريت

٨ً افي استطاعتهِ ان يجعل الغبي الجاهل توًّا عالماً فاضلاً

ويمكنني ان آتي بمسائل غيرها ولكن ما تقدم كافٍ لاظهار ما نحن بصددهِ . ويليق بي دفعاً لشكوك البعض واعتراضاتهم ان اصرح على رؤُوس الملإِ قائلاً ان المسائل المار ذكرها لا تحط من قدرهِ تعالى وسلطتهِ المطلقة بل بالعكس تؤَيد حكمتهُ السامية التي اوجدت المسكونة وسنت نواميسها الراسخة وفي الختام تكرموا بقبول فائق والسلام

بغداد ١٤ نوفمبر ١٩١٢ رزوق عيسى

جاءتنا هذه الرسالة منذ سنة وتغلغلت بين اوراقنا فلم نتنبه لها الاَّ الآن . ونحن نرى ان كل حكم يحكم بهِ الانسان على شيء لا يعلمهُ فهو تحكُّم فقولنا ان خالق الكون لا يستطيع ان يفعل هذا الشيء او ذاك من قبَل التحكُّم لان البشر لا يعلمون مبلغ قدرة الخالق . وكيف يمكننا الجزم في امور لا نعلمها ونحن لا نستطيع الجزم في الامور التي تقع تحت حواسنا

وقولنا ان الحكم على امكان المجهول او استحالتهِ تحكُّم لا ينفي انهُ ممكن او مستحيل بل ينفي قدرتنا على الجزم بانهُ كذا او كذا لان جزمنا بالشيء يجب ان يكون مبنيًّا على معرفة كنههِ وكل ملابساتهِ ولا سبيل الى هذه المعرفة

هذا وكلمة تحكُّم مصدر من تحكَّم في المسأَلة حكم فيها برأْي نفسهِ من غير ان يبرز وجهاً للحكم . فقد يحتمل ان يكون الامر كما قلتم من حيث الصلاة ومن حيث عدم قدرة الخالق على توقيف الارض فجأَة عن مسيرها السريع من دون ان تصبح بلقعاً خاوياً خالياً كما قلتم الى

آخر ما ذكرتموهُ من هذا القبيل وقد يمكن ان لا يكون الامر كما قلتم ولكن لا يستطيع معرفة ذلك والجزم بهِ الاَّ من احاط علماً بقدرة الخالق . ومثلنا في هذا الامر وامثالهِ مثل بعوضة تقول انهُ يتعذر على الانسان المقيم في اسيا ان يخاطب اهالي اميركا بل النسبة بيننا وبين الخالق ابعد جدًّا من النسبة بين البعوضة والانسان

العمال في القديم

يظهر ان الشعر لم يكن في كل العصور كما صار في بعض الازمنة صناعة الذين لا صناعة لهم غير التزلف للحكام واستنداء اكف اصحاب المال بهدهدة أعصابهم وهم اذا انصفوا « يجيزونهم » بالظلم والبخل على هذا الكذب. ولا صناعة المتباكين لاستعطاف الحسان ومن يقابلنهم بالاعراض لانهنَّ وان عطفن مرة على المتذلل فلاينقدن الاَّ الى الابي . ولا صناعة من اذهلهم الترف فظنوا الحياة خبالاً او خيالاً وما ظنوا ذلك لو عضهم الجوع عضة جامدة . ولا صناعة من اذا « ما خلا بارض طلب الحرب وحدهُ والنزالا » فقام يفل الجيوش بقنابل الكلام وهو يحفر في الارض ليختبئ

بل كان صناعة رجال ونساء كالرجال يعظمون مفخرة ليقتدى بها . ويصفون مظلمة ليتنبه اليها . ويضربون الباطل لينصروا حقيقة . ويدونون حكاية حال ليعول التاريخ عليها . — وامامي قصيدة مصرية قديمة منذ بضعة آلاف من السنين تصف حال العمال في ذلك العهد القديم اصدق وصف ما رضي التاريخ المكذوب امس واليوم قط ان يقص رواية اصدق وابسط منها . فانا اعرضها على شعرائنا المطبوعين لعلهم ينظمونها لنا او ينظمون ما هو نظيرها في عصرنا لان حالتنا وان اصطلحت في بعض الجامع بعض الشيء فانها لا تزال تنضح بالمظالم . وعساهم اذا فعلوا ان لا يعرّجوا في سبيلهم على قصور المدح واكواخ القدح لئلاَّ تغلبهم السليقة فيركبوا متن المغالاة ويطمسوا الحقيقة . بل ان يكون نظمهم من قبيل الشعر الوصفي التقريري البسيط فان البساطة حينئذٍ تكون ادنى الى البلاغة والفائدة من التعمية والتحشية بكثير . ولكني اخشى عليهم حينئذٍ ان تخونهم الالفاظ اذا دخلوا الى دكان الصانع اوجالوا في حقل الزارع لان اللغة العربية بفضل الجامدين — لم تنحت للارضيات والاجتماعيات بل للاحلام والسعاديات. ولعلهم اذا سمعوا لفظة المعول او الطين في بيت تغلبهم « نكتة » العاجز فيقولون ما اشبه هذا الشعر « بالطين » ليقولوا انهُ ليس بشعر . كما لو وقع للكاتب المتقعر اشباه لفظة « المليم » او « الاتوموبيل » اعرض

عنها وقال هذا ليس بعربي واستغني عن الاسم ولو لم يستغنِ عن المسمى لئلا يشبهوا حينئذٍ ذاك الذي ادعى انهُ ألمّ بلغة الفرنسيس وهو لا يدري الاَّ القليل منها . فسألهُ احد الظرفاء عن اسم علة وسماها لهُ بالعربية ولم تكن من الالفاظ الشعرية ولا مما يرد في انشاء البلغاء ولكن العامة تفهمها جيداً . فقدح صاحبنا زناد فكرهِ ولم يشأ ان يقرّ بجهلهِ واجاب : هذه العلة لا توجد عند الفرنسيس ! . عسانا ان نعلم انا كنا في عصر ونحن اليوم الى عصر كانت وستكون فيهِ اشباه لفظة المعول والطمي افضل من المرود والكحل وكأَننا نحن اليوم في فترة بينهما

اما القصيدة موضوع كل هذه الطنطنة فهي : « لم ارَ حداداً سفيراً ولا صهاراً في رسالة بل رأيت الصانع في المعدن مكبًّا على عملهِ امام حلق كورهِ واصابعهُ خشنة كجلد التمساح ورائحتهُ نتنة كرائحة بيض السمك »

« الصانع الذي يشتغل بالمقص لا يتحرك قدر ما يتحرك العامل بالرفش . ولكن حقلهُ الخشب وعملهُ المعدن . فبينا ذاك حر في الليل هذا يشتغل بيديهِ في الليل على ضوء السراج فوق شغلهِ في النهار »

« النحات الذي ينحت الحجارة الصلبة متى كسب شيئًا وكلَّت يداهُ استراح في آخر النهار ولكن اذا رأوهُ عند طلوع الشمس جالساً شدوا ساقيهِ الى ظهرهِ »

« الحلاق يشتغل من الصبح الى المساء ويأكل وهو راكض من حارة الى حارة يبحث عن عمل لهُ . فاذا كان نشيطاً اشبعت يداهُ بطنهُ فهو اشبه شيء بالنحلة التي تأكل على قدر جناها »

« أُحدثك عن البنّاء وما يقاسيهِ من العناء ؟ هو معرَّض لكل الرياح . فبينا هو لا يجد على بدنهِ من الكساء سوى منطقة مشدودة على وسطهِ وبينا طاقة النيلوفر المعلقة على البيوت التي فرغ بناؤُها بعيدة عنهُ يضني العمل ذراعيهِ . ومؤُونتهُ (اكلهُ) مبعثرة هنا وهناك مع سائر اقذارهِ . هو يأكل نفسهُ اذ ليس لهُ من الخبز الاَّ خبز يديهِ حتى يهبط مرة واحدة . يضنى من شدة التعب لان امامهُ (على الدوام) صخراً يلزم ان ينقلهُ الى هذا البناء او ذاك والصخر عشر اذرع في ست . فاذا فرغ من العمل فان بقي معهُ خبز رجع الى البيت حيث يجد اولادهُ قد شبعوا من الضرب في غيابهِ »

« والحائك يقيم في البيت بحال هي شر من حال المرأة وهو مكبٌّ على ركبتيهِ وركبتاهُ في معدتهِ . لا يستطيع ان يتنفس . فاذا ابطأ الحياكة في النهار رُبط كالنيلوفر في الحوض . ومنع عنهُ النور الاَّ اذا أُعطي حراس الابواب خبزاً »

« الصباغ اصابعهُ نتنة ورائحتها كرائحة بيض السمك وعيناهُ مغمضتان من التعب و يدهُ لا تقف . وهو يشتغل على الدوام بقص الخرق القديمة وكذلك ترى اثوابهُ بحالة تغثي النفس »

« الاسكافي حالتهُ سيئة جدًّا . يشكو على الدوام وصحتهُ كصحة السمك الذي يبيض وهو يأكل الجلد باسنانهِ »

« الخباز يعجن ويخبز معًا و بينا رأسهُ في الفرن يمسكهُ ابنهُ برجليهِ فاذا افلت منهُ سقط في النار » . انتهى

شبلي شميل

مساء السبت

في شوارع بورتلند أُرِغُن

بقلم احد العملة

حبالُ الشمس مُدَّت في الفضاء   لايقاعي باشراك العناء
بسجن مظلم احيي نهاري   واقضي الليل في سجن الشقاء
ألاَ مَن يرفع الاغلال عنَّا   ويعتقنا سوى رب العلاء
ومن يمحو ظلام الجهل يومًا   عن العمَّال غير الاذكياء
على انَّا رجال لا نبالي   ولا نشكو الزمان على القضاء
(نقلنا الصخر عن قنن عوالٍ)   على جسر المروءة والاباء
فان عبست بنا في الصبح شمس   لنا ابتسمت مصابيحُ المساء

***

دنا الاحد المبارك في رفاق   مساء السبت وافوا باللقاء
فجلنا في المدينة وهي تزهو   كلؤلؤةٍ بنور الكهرباء
فازرى حسنها بالافق لمَّا   تألّقت الشوارع بالضياء
وزينت القصور بكل نورٍ   فاشرق بالسنا وجه السماء
واقبلت الغواني من مغانٍ   تسير مع السراةِ الاغنياء
فيا للهِ ما احلى عقودًا   على لبَّات ربَّات البهاء
قدود كالغصون مهفهفات   تهادى بين عطف وانثناء

***

ارى هذي المناظر شائقات   ولكن لا ارى فيها هنائي

ذروني انَّ عيني قد ارتني بها كفّاً تخضب بالدماء
هي الكف التي اجرت دماءً لتحيي ذا النضار على رخاء
دعونا نبتغي صرف الحميا فبين كؤُوسها سلوى البلاء

***

وميل عن السبيل بنا قليلاً فاشرفنا على روضٍ وماء
وحانوتٍ تعبُّ الراح فيهِ وتشدو الغيد فيهِ بالغناء
وندمان دنوا منا أُتناساً ومدّوا نحونا ايدي السخاء
بكأس اذ اداروها اداروا بهـا رأسي كدولاب الهواء

***

افيقوا ياسكارى رُبَّ كأس تسوق المالـ منكم للفناء

بورتلاند ن · خ

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المسامرة الثالثة

في التسمم بمركبات الفحم

الكربون او الفحم ليس مضرّاً لذاتهِ واما مركباتهُ فشديدة الخطر ولا سيما اكسيد الكربون وغاز النور والحامض الكربونيك

اكسيد الكربون

غاز يتولد من احتراق الفحم ويظهر بلهيب ازرق ويدخل الدم بطريق المسالك التنفسية ويتجه فعلهُ بنوع خصوصي الى كريات الدم الحمراء فيفسدها لانهُ يتحد بها اتحاداً قويّاً اقوى واثبت من اتحاد الاكسجين بها فيعزلهُ ويحل محلهُ · وهو سم ذريع لان جزءًا منهُ في الف جزء من الهواء يقتل عصفوراً وجزئين او ثلاثة في الالف تقتل كلباً

والتسمم بهِ اما سريع ويحدث عرضاً او للانتحار او بطيء ويحدث عرضاً من استنشاق كمية صغيرة منهُ تنتشر في هواء الغرفة من احتراق الفحم في المناقل او الكوانين المكشوفة التي تستعمل للتدفئة خصوصاً في البلاد الباردة

يظهر فعلهُ اولاً بالم شديد في الرأس وطنين في الاذنين وخدر في الاطراف وغثيان وهذا ما تسميهِ العامة بالتفحيم ويجب عند وقوعهِ ان يبادر الى فتح الشبابيك وتجديد هواء الغرفة وتعريض المصاب للهواء وتنشيقهِ الخل

اذا طالت مدة الاستنشاق ظهرت اعراض ثقيلة وشديدة الخطر وهي الهذيان وضيق الصدر واضطراب التنفس وسرعة ضربات القلب وارتجاف الاطراف والترنح في المشي ويعقبها فقد الحس والاغماء والموت . وتداوى كما سبق ويدلك جسم المصاب وجلدهُ بنشفة مبلولة بالماء وتنشيقهِ غاز الاكسجين

فاستعمال الفحم للتدفئة لا يخلو من الضرر او الخطر فيجب منع استعمالهِ في المناقل او المواقد المكشوفة واذا كان لا بد منهُ وجب ان يوقد في وجاقات حتى يصعد الغاز في المداخن الى الهواء خارجاً عن البيت

غاز الانارة

سم قتال ينتشر غالباً من شقوق في المواسير التي يجري فيها او من عدم اقفال حنفية النور جيداً ولهُ رائحة خبيثة تشم اذا وجد في الهواء بنسبة ١ : ١٥٠٠ فتنبه لاجتنابهِ وظواهرهُ كظواهر اكسيد الكربون وعلاجهُ كذلك

الحامض الكربونيك

غاز لا لون لهُ ولا رائحة يتولد في التنفس الحيواني والنباتي وفي الاختمار الكحولي ومن احتراق المواد الكربونية ويوجد في الهواء بكميات صغيرة اي من ٤ — ٦ اعشار في الالف ويوجد بكثرة في المغاور والكهوف والبراكين الخامدة . يتجه فعلهُ بنوع خصوصي على الجهاز العصبي ويكون سماً اذا خالط هواء التنفس بكمية اكبر من معدلهِ الطبيعي

ويحصل بالتسمم بهِ صداع وطنين واضطراب البصر وضيق صدري شديد وان طالت مدة الاستنشاق فقدت الحساسة وحصل اغماء وموت ويداوى بالهواء النقي وبالضرب بنشفة مبلولة بالماء وتنشيق غاز الاكسجين

الهواء المحصور

يراد بهِ هواء المساكن وخصوصاً غرف النوم وهواء المحلات العمومية التي لا تراعى فيها

التهوية او تتعذر فيها لقلة المنافذ اللازمة لتجديد الهواء فيفسد فيها ولا يعود صالحاً للتنفس وقد افردنا لهُ فصلاً بعد الكلام على الحامض الكربونيك لما بينهما من العلاقة وبين ظواهرهما من المشابهة ولان الانسان لا ينتبه لهُ ولا يعيرهُ الاهمية الواجبة رغم تعرضهِ لهُ يومياً وتسممهِ بهِ تسمماً بطيئاً يظهر فعلهُ على توالي الايام

لا يخفى ان الاكسجين الموجود في الهواء الذي يتنفسهُ الانسان هو غذاء الكريات الدموية لانهُ يجدد حيويتها التي ضعفت اثناء دورتها في الاوعية وقد اظهر علم الصحة انهُ يلزم لكل شخص في الساعة عشرة امتار مكعبة من الهواء فاذا نقصت قلَّت تغذية الكريات وضعفت تغذية الانسجة وانفتحت ابواب الامراض وتمهد السبيل لقصر الحياة . فالتنفس الذي تتوقف عليهِ حياة الانسان يجب ان يكون غذاؤُهُ نقيًّا وخاليًا من كل شائبة . اما الهواء المحصور فليس نقيًّا صالحاً للتنفس ومجدداً لكريات الدم لانهُ يتغير تركيبهُ بما يضاف اليهِ من حاصلات التنفس وتحصل فيهِ التنوعات وهي

١ً تنقص كمية الاكسجين وتزيد كمية الحامض الكربونيك عن المعدل الطبيعي

٢ً تضاف اليهِ موادطيارة حيوانية تصدرمن المسالك التنفسية ومن التبخرعن سطح الجلد

٣ً تزيد فيهِ الرطوبة

ولكل من هذه التنوعات دخل في العوارض التي تحصل من استنشاق الهواء المحصور لان زيادة الحامض الكربونيك وحدها لا تكفي للتسمم وقد قلنا آنفاً انهُ يوجد طبيعيًّا في الهواء بنسبة ٤ الى ٦ اعشار في الالف وهو يوجد في غرف النوم في المدارس بنسبة ١ الى ١٠٠ بدون ضرر ولا يصبح سامًّا الاَّ اذا كان بنسبة ٢٤ الى ١٠٠ على شرط بقاء كمية الاكسجين واحدة . فعدم صلاحية الهواء المحصور للتنفس لا تتوقف على زيادة الحامض الكربونيك عن معدلهِ الطبيعي بل على نقصان الاكسجين منهُ ومن ثم على وجود المواد الحيوانية الطيارة

تشبه ظواهر التسمم بهِ ظواهر التسمم بالحامض الكربونيك وشدتها تتوقف على مدة الاستنشاق وسعة المكان وعدد الاشخاص المحصورين فيهِ . وربما يتبادر الى الذهن ان في ما ذكر تهويلاً ومبالغة الاَّ ان الحوادث اثبتت ذلك فقد حبس ١٤٦ شخصاً في قلعة في كلكتا وحصروا في اوضة مربعة طولها سبعة امتار وعرضها سبعة لا ينفذها الهواء الاَّ من شباكين صغيرين يطلان على ممشى فلم تمرَّ عشر دقائق حتى مات منهم ١٢٣ وحصر ٣٠٠ شخص بعد معركة اوسترليتز في قبو فمات منهم ٢٦٠ بعد وقت قصير . ومات بغتةً في قاعة محكمة في

اكسفورد عدة قضاة ومتفرجين بعد ان استنشقوا الابخرة التي تصاعدت من اجسام السجناء الذين احضروهم من السجون الفاسدة الهواء

للهواء المحصور رائحة خصوصية هي رائحة الابخرة التي تنبعث من الرئتين والجلد يميزها كل انسان يدخل الى غرفة النوم قبل ان يجدد هواؤها او الى مكان يحتشد فيهِ خلق كثير كالقهوات التي تنتشر الرائحة منها الى الشوارع . وفي الاختلاف الى الاماكن الفاسدة الهواء تسميم للبنية لا يؤبهُ لهُ اولاً لخفتهِ وبطوءِ فعلهِ واعتيادهِ تدريجاً الَّا ان كثرة التردد وطول مدة الجلوس يعرضان لفقر الدم وانتهاك الاعصاب وكلل الدماغ بحيث ينتبه الانسان حينئذٍ الى انهُ يعجز عن ان يعمل عملاً عقليًّا كان سهلاً عليهِ في السابق

اذا ظهرت اعراض التسمم بهِ تعالج بالوسائط التي ذكرت في علاج التسمم بالغازات

الدكتور امين ابو خاطر

فوائد منزلية

عصير الطماطم يزيل دبوغ الاثمار عن الايدي

الصداع العصبي يزول غالباً بفنجان من الشاي الثقيل اعصر فيهِ قليل من الليمون الحامض

اذا اضيف قليل من عصير الليمون الحامض الى مطبوخ التفاح جاد طعمهُ ولم يتغيَّر لونهُ

اذا وقعت نقط الحبر على ظاهر دواة من الفضة فلطّختها اجبل قليلاً من كاور يد الجير (الكلس) بالماء وامسح الدواة بهِ فتزول لطخ الحبر عنها وتظهر بيضاء لامعة

اذا اتسخت فرشاة الشعر واردت تنظيفها فلا تنظفها بالماء السخن والصابون لئلاَّ يلين شعرها بل اذب قليلاً من كربونات الصودا في الماء البارد ونظفها بهِ ولا تجففها في الشمس ولا امام النار بل ضعها في الظل حتى تنشف

نفقات الغنيات وفائدة الاسراف

أُحصي ما تنفقهُ بعض النساء الغنيات في مدينة شيكاغو باميركا على ملابسهنَّ وزينتهنَّ فظهر ان كثيرات لا تقلُّ نفقة الواحدة منهنَّ في السنة عن ١٥ الف جنيه وان مئة من النساء المعروفات تبلغ نفقة الواحدة منهنَّ عشرة آلاف جنيه في السنة . وعشرة آلاف

امرأة متوسط ما تنفقهُ كل واحدة منهنَّ الف جنيه في السنة اي انهنَّ ينفقنَ في السنة على اللباس والزينة عشرة ملايين من الجنيهات

وقد يظهر لاول وهلة ان انفاقهنَّ هذا اسراف مذموم وهو كذلك لو كنَّ فقيرات او لو كانت اموالهنَّ قليلة لا تؤْذن بهذا الانفاق ولكنهنَّ لسنَ كذلك واذا لم ينفقن اموالهنَّ على اللبس انفقنها في وجوه اخرى قد لا تكون انفع لنوع الانسان من تشغيل الوف من النساء والبنات في عمل الملابس والوف من العمال في نسجها وبيعها. ولولا اسراف الاغنياء لقضت احوال الاجتماع الحاضرة بتراكم الاموال عندهم وتوقيف دولاب الصناعة وغل ايدي التجارة . نعم لو انفق الاغنياء اموالهم في انشاء الملاجيء للعجزة وتربية اولاد الفقراء وتقليل متاعب الحياة لكان ذلك انفع من انفاقها في اقتناء الملابس الفاخرة وما اشبه من انواع القصوف ولكن الانفع لا يمنع النافع والاحسن لا ينفي الحسن

حق النساء في الانتخاب

اعطي النساء حق الانتخاب في بلاد نروج كالرجال ولكل امرأة يبلغ دخلها ١٦ جنيهاً ونصفاً في الارياف او ٢٢ جنيهاً في المدن صوت في الانتخاب

نصائح صحية للنساء

كتبت احدى السيدات في مجلة من مجلاتهنَّ تقول ان من اهم ما تُعنَى بهِ المرأة صفاء لون وجهها وتشرّبهُ بالحمرة وخلوهُ من البثور والغضون . والحصول على ذلك كلهِ سهل المنال اذا راعت شروط النظافة باطناً وظاهراً اما النظافة الباطنة فتكون بالاكثار من شرب الماء النقي مع قليل من عصير الليمون من غير سكر صباحاً ومساء . ويحسن بالمرأة ان تشرب كأساً من الماء البارد او الحار في الصباح وكأساً اخرى في المساء وكؤوساً بين الطعام والطعام. ويضاف الى الاكثار من شرب الماء النقي لاجل النظافة الباطنة الاعتماد على الطعام البسيط المغذي الذي لا يتعب المعدة والامعاء ولا يحصل منهُ سوءِ هضم ولا هو بالكثير فوق الحاجة

اما النظافة الظاهرة فتقوم بالاغتسال بالماء والصابون . ويحسن غسل الوجه بالماء الفاتر بدل الماء البارد ولا بدَّ من تنظيفهِ جيداً من الصابون . ولا يكفي غسلهُ مرة واحدة في اليوم بل يجب غسلهُ جيداً في المساء قبل النوم حتى تتفتَّح مسامهُ كلها ثم يغسل في الصباح بماء فاتر ويحسن ان تضاف اليهِ نقط قليلة من صبغة البنزوين و يفرك بنشفة من اسفل الى اعلى

ولا بدَّ لمن تريد ان يبقى وجهها بشوشاً خالياً من الغضون والبثور ان يكون طعامها بسيطاً قليلاً سهل الهضم وان تقيم في الهواء النقي ما امكن وتقلل السهر وتنام نوماً كافياً وتروض جسمها كثيراً . واكثر النساء يأكلنَ اكثر مما يلزم لهنَّ و يقللن من شرب الماء واستنشاق الهواء النقي

اذا لم يكن للمرأة عمل بدني تعمل بهِ وجب عليها ان تمشي كل يوم نحو ساعة مشياً سريعاً ما امكن في مكان مطلق الهواء نقيهِ . ولا يصفو لون الوجه وتحمرُّ وجنتاهُ مالم تمتلئ الرئتان هواءً نقياً و يسهل ملء الرئتين بالهواء النقي وغسلها بالهواء النقي وذلك بان تفتح المرأة شباك غرفتها وتتنفس الهواء الداخل منهُ كل صباح وكل مساء حتى تمتلئ رئتاها و يتسع صدرها وتكرّر ذلك مرتين او ثلاثاً ثم تزيد عدد المرات حتى تصير تكررهُ اثنتي عشرة مرة من غير تعب . وهذا النوع من الشهيق ضروري لتنظيف الرئتين وتوسيع الصدر وتطهير الدم و يمكن ممارستهُ كلما كان الهواء نقياً

هدايا دوقة كنوت

بلغت قيمة الهدايا التي اهديت الى دوقة فيف عند اقترانها بالبرنس ارثر كنوت في ١٥ اكتوبر نحو مليون جنيه فقد اهدى اليها خالها ملك الانكليز والملكة زوجتهُ اكليلاً بديع الصنع مرصعاً بانفس حجارة الماس واهدت اليها الملكة الكسندرا عقداً غالي الثمن جدًّا من الدر النفيس . واهدى اليها كل اعضاء العائلة المالكة هدايا كثيرة من الحلى والنفائس . وقد أُمّنت هذه الهدايا الآن بمليون جنيه

ولما تزوج الملك بلغت قيمة الهدايا التي اهديت اليهِ نصف مليون جنيه وقد اتفق اننا زرنا مدينة لندن لما عرضت تلك الهدايا في معرض سوث كنسنغتون في صيف سنة ١٨٩٣ فرأيناها ووصفناها في ما كتبناهُ عن مشاهد اوربا في الجزء السادس من المجلد الثامن عشر من المقتطف حيث قلنا

« ومما هو حريٌّ بالذكر ان الهدايا التي أُهديت الى دوق يورك نجل ولي عهد ملكة الانكليز والى زوجتهِ معروضة في هذا المتحف قرب المعرض الهندي وهي شاهد بما للعريس وزوجتهِ من الحب والمكانة في نفوس الامة الانكليزية وملوك الارض وامرائها . والهدايا المعروضة نحو الف وخمس مئة هدية وقد تكون الهدية منها مهداة من شخص واحد او من ولاية كبيرة وقد تكون شيئاً واحداً او اشياء كثيرة . ورأيت بينها الاكاليل والعقود والقلائد

والاساور والخواتم والمراوح والدبابيس والساعات وكلها مرصَّع بافخر الجواهر من الماس والياقوت والصفير والزمرُّد واللؤلؤ وما اشبه وآنية الطعام والشراب والموائد والكراسي والخزائن والمكاتب والكتب والصور والتماثيل والسروج والمركبات ونحو ذلك ممَّا يطول شرحهُ ويتعذَّر عليَّ وصفهُ وهي من الذهب والفضة والعاج والخزف الصيني والبلور والخشب والحرير والجلد . وكل المعارض والمتاحف التي زرتها حتى الآن كنت ارى فيها الرجال كالنساء او اكثر منهنَّ عدَّا اما معرض هذه الهدايا فاكثر زوَّاره من النساء فانني دخلتُ الغرفة الموصلة اليهِ حالما فتح بابها ولم يكن الاَّ كلا حولَ ولا حتى رايتها ازدحمت ببنات حواء وليس بينهنَّ الاَّ نفر قليل من الرجال فمشينا سراعًا امام هدايا الدوق واكثرها من الاثاث والرياش حتى اذا بلغنا الحلي والجواهر المهداة الى زوجتهِ بطؤَ المسير جدًّا فغصَّ الرواق وكدنا نختنق من الازدحام لان الماشيات امامنا ابين الاَّ ان يمعنَّ نظرهنَّ في كل هدية ويعرفنَ اسم مهديها . ولا ادري ما تفعل العروس بكل هذه الهدايا ولاسيما ما كان منها من نوع واحد فالمراوح اثنتان وعشرون واكثرها مرصع بالماس . والخواتم والاساور والقلائد كثيرة ايضًا وهي من ابدع ما صنعهُ الصاغة واثمن ما رصّع بالحجارة الكريمة ومن ذلك اكليل من الماس اهدتهُ اليها ولاية مسري واكاليل وعقد وقرطان وعقدتان اهداها اليها ابوها وامها وهي مرصعة بالماس والفيروز . وعقد من الماس واللؤلؤ اهدتهُ اليها ٦٥٠ امرأةً من نساء انكلترا . وسوار من الصفير والماس اهداهُ اليها قيصر الروس وزوجتهُ . والظاهر ان لا اعتبار عندهم لثمن الهدية فهدايا بعض الملوك بسيطة رخيصة الثمن وهدايا بعض الرعايا الذين لا لقب لهم ثمينة جدًّا . ومن الهدايا القليلة الثمن الكثيرة المعنى هدية من الملكة وولي عهدها وزوجتهِ وهي اناءان صغيران من الفضة ممَّا كان السيَّاح يحملونهُ في سياحتهم دلالة على ان العروسين غريبان وسائحان في هذه الدنيا . وتكثر الكتب الدينية بين الهدايا ولاسيما التوراة والانجيل والكتب الادبية ولاسيما دواوين الشعراء ومنها يظهر ميل الشعب الانكليزي الى التديُّن والى فنون الادب »

هذا ما قلناهُ حينئذٍ والظاهر ان الامر الذي انتبهنا لهُ وهو كثرة الهدايا من نوع واحد جعلت الملك والملكة وغيرهما من المهدين يتداولون في ما بينهم ويتفقوا على انواع الهدايا التي يهدونها حتى لا يكون الكثير منها من نوع واحد فجاءَت هدايا هذا العرس مختلفة متنوعة

باب الزراعة

زرع القطن المصري في اميركا

اشرنا في مقتطف اغسطس سنة ١٩٠٤ الى التجارب التي جُرّبت في اميركا لزرع القطن المصري فيها وخلاصتها ان القطن الاشموني بلغت غلّة الفدان منهُ هناك نحو اربعة قناطير وثلاثة ارباع القنطار والميت عفيف بلغت غلّة الفدان منهُ اقل من ثلاثة قناطير ونصف . وهذا غاية ما وصلت اليهِ زراعة القطن المصري هناك الى ذلك التاريخ

وقد اطلعنا الآن في جريدة التيمس على خلاصة ما ذكرهُ المستر كارل شوفيلد في هذا الموضوع في مجمع ناسجي القطن الذي التأم باميركا حديثًا وهو من موظفي مصلحة الزراعة في وشنطون قال: — ان مصلحة زراعة النبات جعلت تمتحن زرع القطن المصري منذ سنة ١٩٠٢ في الاراضي التي تروى ريًّا صناعيًّا في ولايتي اريزونا وكاليفورنيا حتى اذا كانت سنة ١٩١١ وجدت ان التجارب التي جُرّبت صارت تخوّلها ان تعطي التقاوي للفلاحين حتى يزرعوها في مساحات واسعة فوزعت في ربيع سنة ١٩١٢ التقاوي على ٧٥ من الفلاحين وهي خالية من القطن الهندي فزرعها الفلاحون في ٣٥٠ فدانًا وقد جنوا من ٤٨٠ فدانًا منها ٣٧٥ بالة في كل بالة فيها خمسة قناطير اي ١٨٧٥ قنطارًا فيكون متوسط غلّة الفدان الواحد ثلاثة قناطير وتسعة اعشار القنطار . وكان هذا القطن طويل الشعر جدًّا يبلغ طول شعرتهِ من بوصة و $\frac{3}{8}$ الى بوصة و $\frac{1}{2}$ والمتوسط بوصة و $\frac{7}{16}$ وبلغ ثمن القنطار المحلوج ٢١ ريالاً

وقد حسب المستر شوفيلد ان ثمن التقاوي واجرة الزرع والعزق والري ١٥ ريالاً للفدان واجرة الجمع اذا بلغ محصولهُ نحو ستة قناطير ٣٦ ريالاً واجرة الحلج والحزم والوضع في البالات ١٠ ريالات

والذي يهمنا من ذلك كلهِ ان الاراضي التي تروى صيفًا بالصناعة في اميركا كما تروى اراضي القطر المصري يمكن زرع القطن المصري فيها ويبلغ محصول الفدان منها اربعة قناطير من القطن الشعر وان اجرة الحرث والزرع والخدمة وثمن التقاوي ١٥ ريالاً واجرة الجمع اذا كان المحصول ستة قناطير ٣٦ ريالاً فاذا كان اربعة قناطير ٢٤ ريالاً والجملة ٣٩ ريالاً او نحو ثمانية جنيهات فاذا بلغ المحصول اربعة قناطير وبيعت بستة عشر جنيهًا بقي

منها للمالك ثمانية جنيهات وهي ربح وافر جدًّا حيث الاطيان رخيصة الثمن وليس عليها ضريبة تذكر

ثم ان الولايات المتحدة الاميركية اخذت من القطن المصري من الموسم الماضي ٩٦٤٠٠٠ قنطاراً او نحو ثمن الموسم المصري وهي لو زرعت القطن المصري في بلادها وارادت ان تستغل منهُ نحو مليون قنطار لتستغني عن القطن المصري للزمها ان تزرعهُ في ٢٥٠ الف فدان كل سنة اي يجب ان يكون عندها ٧٥٠ الف فدان تروى ريًّا صناعيًّا صيفًا ولا تعتمد على المطر حتى تستطيع ان تزرع ٢٥٠ الف فدان وتستغني بمحصولها عمَّا تأخذهُ من القطن المصري. ومتى تمكنت من انشاء الري الصيفي لسبع مئة وخمسين الف فدان تكون المقطوعية على القطن المصري قد زادت عشرين في المئة او اكثر من ذلك لاسيما وان الامم التي تكتفي الآن بالبضائع السخيفة التي تصلح لها الانواع الدنيئة من القطن يزداد طلبها سنة بعد سنة للبضائع الدقيقة التي تحتاج الى القطن الجيد ولذلك لا نرى وجهاً للخوف من زرع اميركا للقطن المصري ومناظرة هذا القطر بهِ

السماد الاخضر

يراد بالسماد الاخضر زرع الارض زراعة سريعة النمو ثم حرثها حتى تنقلب ويمتزج النبات الاخضر بترابها ويتحلل فيهِ فيفيدهُ كسماد ويفيدهُ ايضاً كواسطة ميكانيكية بفصلهِ وهو واسطة مفيدة حيث تكون المواد الآلية او النباتية قليلة في الارض. اما كون هذه الطريقة من قبيل التسميد للارض فسببهُ ان النبات يأخذ جانبًا كبيراً من غذائهِ من الهواء فقلبنا لهُ في الارض بمثابة اخذ هذه المواد المغذية من الهواء واضافتها الى التراب

وافضل المزروعات التي تصلح لذلك الفول والبرسيم والترمس فانها كلها من النباتات التي تأخذ كثيراً من غذائها من الهواء ولا بدَّ من قلبها في الارض وهي صغيرة قبلما يتكون الحب فيها

اخبرنا احد كبار المزارعين انهُ يزرع الارض برسيماً حتى اذا بلغ ارتفاعهُ فيها نحو شبرين حرثها ورواها فينحل البرسيم فيها. او جعل المواشي ترعاهُ رعية واحدة وتركهُ حتى ينمو ثانية ثم حرثها وخدمها لزرع القطن وعندهُ ان حرث الارض كذلك والبرسيم فيها يزيد غلة الفدان نحو قنطارين من القطن

الغذاء في انواع العلف

علف المواشي مثل طعام الناس يجب ان يحوي المواد التي يتكون منها جسم الحيوان اي

لحمهُ وعظمهُ ودهنهُ واعصابهُ وشعرهُ وما اشبه وتتولد منها القوة التي تبديها المواشي في مشيها وحركاتها المختلفة وجرها للمحراث والنورج وما اشبه

ويكون في العلف ماءٌ ومواد مغذية وهي البروتين او المواد التي يتكون اللحم منها . وكربوهيدرات او المواد التي تتولد منها القوة والحرارة . ودهن وهو المواد التي يتكون منها الدهن وبعض القوة . والياف ومنها فائدة في تسهيل الهضم ولو لم يكن منها فائدة في التغذية لانها قلما تنحل

وتختلف كميات هذه المواد باختلاف انواع العلف وتختلف فائدتها باختلاف ما يهضم منها كما ترى في هذا الجدول وهي الحيوانات المجترَّة كالبقر والغنم

	المواد الجامدة	بروتين	كربوهيدرات	دهن
نخالة القمح (رضّة)	٨٨٫١	١٢٫٢	٣٩٫٢	٢٫٧
الشعير	٨٩٫١	٨٫٧	٦٥٫٦	١٫٦
بزرة القطن	٨٩٫٧	١٢٫٥	٣٠٫٠	١٧٫٣
كسب بزرة القطن	٩١٫٨	٣٧٫٢	١٦٫٩	٢٢٫٢
القصيل	٢١٫٠	١٫٩	١٠٫٢	٠٫٤
تبن القمح	٩٠٫٤	٠٫٤	٣٦٫٣	١٫٧
« الشعير	٨٥٫٤	٠٫٧	٤١٫٢	٠٫٦
البرسيم	١٩٫٠	٢٫٤	٩٫٠	٠٫٥
البرسيم الحجازي	٢٨٫٢	٣٫٩	١٢٫٧	٠٫٥
دريس البرسيم	٩٠٫٣	٨٫٤	٤٢٫٥	١٫٥
دريس البرسيم الحجازي	٩١٫٦	١١٫٠	٣٩٫٦	١٫٢

وهذا الجدول تقريبي لان مقدار الغذاء يختلف باختلاف صنف النبات وعمره اذا كان اخضر والمواشي تختلف كثيراً في قوة هضمها للعلف فالمجترات كالغنم والبقر اقدر على الهضم من الخيل والبغال

زراعة التبغ في القطر المصري

يظهر لنا ان الحكومة غير عازمة على اباحة زرع التبغ (الدخان) في القطر المصري . وإن كانت قد امتحنت زراعتهُ فوجدت ان نوعهُ لا يأتي جيداً كالتبغ التركي حتى يغني عنهُ

و يتيسّر اصدارهُ الى البلدان الاخرى فلا فائدة من اباحة زرعهِ بل منها ضرر على خزينة الحكومة وليس منها اقل فائدة للقطر لانهُ ما الفائدة من زرع تبغ لا يدخنهُ الناس ولا تأكلهُ المواشي ولا يصلح لشيء آخر

لكننا نظن انهُ اذا أُتي بالبذار (التقاوي) من بلاد الترك او بلاد اليونان حيث يزرع التبغ الجيد الطيب الرائحة وزرع في القطر المصري في جهات يكثر الغيم فيها ولا يشتد الحر كالجهات البحرية من الدقهلية والغربية والبحيرة فلا يبعد ان يأتي التبغ جيداً كالتبغ التركي واذا لم تصح التجارب بالتبغ التركي فليؤتَ بتقاوي من تبغ صومترا فانهُ جيد غالي الثمن وكان الاميركيون يجلبون منهُ كل سنة مائتي ثلاثة ملايين من الجنيهات فزرعوهُ في اودية فلوريدا فجاء مثل احسن تبغ صومترا وعُرِض في معرض باريس سنة ١٩٠٠ فلم يظهر فرق بينهُ و بين تبغ صومترا الجيد ونال الامتياز الذي نالهُ التبغ التركي. نعم ان التبغ التركي كان اجود منهُ رائحة ولكنهُ امتاز على التبغ التركي بكبر ورقهِ الصالح للف السيكار. ونفقات زرعهِ اقل من نفقات زرع التبغ التركي

السكك الزراعية

قلَّ اهتمام الحكومة المصرية بالسكك الزراعية مع انها من الزم اللوازم لنجاح الزراعة وتقليل نفقات النقل. والسكك التي انشأتها في السنين الماضية تحفَّرت فترى غبارها يعمي الابصار ولا تسير العربات عليها الاَّ بالتعب الشديد فان الدابة التي تستطيع ان تجر عربة عليها ما ثقلهُ عشرون قنطاراً اذا كانت الطريق ممهَّدة مرصوصة وتجري بها بسرعة لا تستطيع جر عربة عليها عشرة قناطير الاَّ ببطء و بشق النفس اذا كانت الطريق محفَّرة. والخسارة التي تخسرها دواب الحمل والجرّ من قوَّتها كل سنة والتي يخسرها اصحابها من وقتهم تزيد على ما يلزم لترميم السكك الزراعية كلها

ومن المقرر ان بعض المديريات تضرب ضريبة على الفدان ثلاثة غروش في السنة لاجل السكك الزراعية فاذا كانت هذه الضريبة شاملة للقطر كلهِ بلغت كل سنة نحو ١٨٠ الف جنيه واذا لزم ترميم السكك مرة كل خمس سنوات فهذا المبلغ كافٍ لترميم خُمس سكك القطر ولعمل سكك جديدة حيث لا سكك تستحق الذكر واذا اضافت اليهِ الحكومة مئة الف جنيه من ميزانيتها السنوية او مئتي الف جنيه فهي الرابحة لان اصلاح السكك رأس مال كبير الريع بما يتوفر بها من القوة والوقت

زرع القمح

ابتدأ زرع القمح في القطر المصري وزراعتهُ قديمة فيهِ كانت معروفة من زمن المصريين الاقدمين ولكن الزراع يختلفون في اتقانها حتى الآن اختلافاً كبيراً فتجد فلاحاً يستغلُّ من الفدان ثمانية ارادب او اكثر وجاره لا يستغلُّ منهُ الاَّ ثلاثة ارادب او اربعة مع ان الارض واحدة . نعم ان الارض التي فيها شيءٌ من الملح لا تصلح لزرع القمح بل تصلح لزرع الشعير ولكن الارض الحلوة التي لا ملح فيها لا يأتي قمحها بمحصول وافر ما لم تحرث جيداً وتزحَّف وتسمد وتروى في اوقات الري اللازمة

والقمح الذي يزرع في القطر المصري صنفان بلدي وهندي والبلدي ابيض واحمر والهندي ابيض كلهُ ولكنهُ اختلط الآن بالقمح البلدي وقلما يوجد صرفاً

واذا زرع القمح في احياض الصعيد التي تروى وقت الفيضان فقط وهو القمح الاحمر او الصعيدي يبذر على الارض بعد انصراف الماء عنها من غير حرث او تترك الارض حتى تجف قليلاً ويبذر القمح فيها وتحرث حتى تتغطى البزور بالتراب ولا تروى بعد ذلك فتأتي بمحصول غير قليل

اما الاطيان التي تروى بالترع بالراحة او بواسطة الآلات فتحرث اولاً وتزحف ثم يبذر القمح فيها وتحرث ثانية وتزحَّف . والطريقة الثانية افضل من الاولى ويحسن ان تروى قبل بذر القمح فيها او تروى بعد بذرهِ

ومقدار التقاوي اللازمة للفدان ٦ كيلات الى ٨ فاذا كانت الارض بوراً كفاها ٦ كيلات واذا كانت مزروعة قطناً لزم لها ٨ كيلات

والقمح المزروع في الحياض لا سبيل لريهِ فينمو ويجود من غير ري واما المزروع في سائر اطيان القطر فيروى مرتين وكثرة الماء تزيد التبن لا الحب

وتسميد القمح يزيد المحصول فاذا وجد السباخ البلدي سمد بهِ القمح حين زرعهِ او الافضل ان يترك السباخ البلدي للقطن ويسمد القمح بالسباخ الكفري او بالسماد الكيماوي . ويحتاج الفدان الى ثلاثين حملاً من السباخ الكفري عند الرية الاولى . اما السماد الكيماوي فالمستعمل منهُ نترات الصودا او نترات الجير . ويحتاج الفدان من ٥٠ الى مئة كيلو من النترات تذر على الارض عند الرية الاولى حينما يبلغ ارتفاع النبات عشرين سنتيمتراً . واذا كانت النترات ١٠٠ كيلو فالاحسن ان يسمد بنصفها عند الرية الاولى وبالنصف الثاني عند الرية الثانية

ولا بدَّ من دق النترات حتى تنعم جيداً وتمزج بضاعفها من التراب الناعم مزجاً جيداً لكي يسهل توزيعها على الارض ولا يقع كثير منها في بقعة وقليل منها في بقعة اخرى و يبذر السماد بذراً باليد كما يبذر القمح

وقد جربنا سياناميد الجير وهو مسحوق اسود ناعم جدًّا فافاد مثل نيترات الصودا ونحن نرجح انهُ افيد من نيترات الصودا في القطر المصري لان اطيانهُ مفتقرة الى الجير في الغالب . ولا حاجة الى دقهِ لانهُ ناعم جدًّا فيمزج بالتراب الناعم و يذر في يوم لا ريح فيهِ ومن المحتمل ان لونهُ الاسود يفيد الزراعة ايضاً لان الارض السوداء اللون اشد امتصاصاً لحرارة الشمس حتى لقد يفيد غبار الفحم في الارض مع انهُ لا ينحل ولا فائدة غذائية منهُ

و ينضج القمح و يصير معدًّا للحصاد في نحو ستة اشهر و يستطيع الرجل الواحد ان يحصد (يضم) خُمس فدان في اليوم وافضل الاوقات لضم القمح الليل والصباح . وتبلغ غلَّة الفدان في حياض الصعيد اربعة ارادب الى خمسة من الحب وثلاثة احمال من التبن . وفي الاطيان التي تروى بالترع نحو ستة ارادب من الحب وخمسة احمال او ستة من التبن واذا سمدت الارض جيداً فقد يبلغ محصولها ثمانية ارادب او تسعة

و يصاب القمح بمرض فطري فترى السنبلة قد اسودت وزالت مادة حبها وامتلأ دقيقاً اسود ناعماً جدًّا ولا يندر ان نرى عشر سنابل او اكثر في بقعة صغيرة وقد ضربت كلها واسودت على هذه الصورة . وهذا الدقيق الاسود بزور للمرض يلصق بعضها بالقمح السليم ثم يتكاثر حينما يزرع القمح وينمو و يسبل و يمكن تطهير القمح منهُ بوضعهِ قبل بذرهِ في اكياس تغطس في ماء سخن حرارتهُ ١٣٣ درجة بميزان فارنهيت او ٥٦ درجة بميزان سنتغراد فتموت بزور المرض و يسلم القمح منهُ

ويحفظ القمح من السوس بتبييض المخازن بالجير وتبخير القمح ببخار بي كبريتيد الكربون Carbon disulphide وذلك بان توضع زجاجة كبريتيد الكربون هذا في اعلى عرمة القمح وتزال سدادتها وتغطى هي والعرمة باكياس الجنفيص او نحوها فيتخلل بخار كبريتيد الكربون القمح و يميت السوس وبزورهُ ثم يكشف القمح للهواء فتزول منهُ رائحة الكبريتيد . واذا كان القمح موضوعاً في مخزن تسد كل كواهُ جيداً و يوضع كبريتيد الكربون في اناء فيهِ و يغلق بابهُ وتسد كل خروقهِ . وبخار كبريتيد الكربون سريع الالتهاب فلا يجوز ان يقترب منهُ قنديل او شمعة مشتعلة او نحو ذلك على الاطلاق . واذا كان القمح للبذار فيكفي لحفظهِ من السوس مزجهُ بالرماد او التراب الناعم . وا كثر ما تقدم ملخص من كتاب الزراعة المصرية

باب التقريظ والانتقاد

الكتب التي تهدى

لا ادلّ على اذواق المؤلفين واحترامهم لما يقال عنهم في الجرائد والمجلات من الشكل الذي يهدون به كتبهم الى محرريها فقد يأتينا الكتاب مجلدًا مذهبًا تشتهي ان تطالعهُ وتضعهُ في مكتبتك وقد يأتينا مجلداً تجليداً سخيفاً كانهُ من سقط المتاع او كراريس محبوكة مقصوصة او غير مقصوصة . او كراريس لم يتنازل صاحبها او طابعها الى حبكها . وكثيراً ما نلقي كتاباً مثل هذا في سلة المهملات من غير ان نفتحهُ لان من يبخل على صاحب المجلة بخمسة غروش يدفعها اجرة تجليد كتابهِ لا يستحق ان نُعنَى بهِ

والذين يرسلون الينا الكتب المجلدة تجليداً متقناً جدًّا هم الاوربيون وبعض الوطنيين الذين يحسبون ان كتبهم تستحق التجليد المتقن . ومما يؤسف عليهِ ان بعض الكتب التي يزدريها اصحابها هي من الكتب النفيسة فتؤخذ بجريرة ظاهرها . فعلى هؤلاء ان يزيدوا اعتناءً بثمار عقولهم ونفثات اقلامهم ولا يعرضوها لانظار منتقديها الاّ بحلل تليق بها . ومهما بلغت اجرة تجليد الكتاب فالاعلان عنهُ في المجلة يزيد عليها من باب تجاري

التراخوما (1)

واختلاطاتها في القطر المصري

تأليف الدكتور مكلان مدير مستشفيات الرمد المصرية

كتاب صغير الحجم كبير الفائدة يدلُّ على علم واسع وبحث دقيق . قال المؤلف في مقدمتهِ ان عدد الذين عولجوا في مستشفيات الرمد المصرية في العام الماضي بلغ ٢٨٠٢٩ وانهُ عملت فيها واحد وعشرون الفاً وثلثمئة وخمس عشرة عملية وان ٦٠٠٠ مصاب بالشعرة صرفوا من غير ان تعمل لهم عملية لان الاطباء كانوا مشغولين دائماً لا وقت لهم لعملها

وقال في الفصل الاول انهُ يظهر من الدروج المصرية القديمة التي اكتشفها ابرس ويند

(1) Trachoma and its complications in Egypt, by Dr. H. A. F. MacCallan director of ophthalmic Hospitals, Egypt. Cambridge University Press.

تاريخها الى ٣٥٠٠ سنة قبل المسيح ان الرمد الصديدي والتراخوما كانا معروفين في القطر المصري من ذلك العهد ومنتشرين فيهِ . واكتفى من الكلام على طب العيون عند اليونان بان ابقراط ذكر الشعرة · والذين يطالعون المقالة المسهبة المنشورة في مقتطف شهر مارس الماضي يجدون فيها ان ابقراط ذكر نحو ثلاثين مرضًا من امراض العيون كالارماد واورام الغدد اليوبية والخراج والظفرة والشترة الداخلة والشترة الخارجة وما اشبه وقسم امراض الملتحمة او الارماد الى جافّة ورطبة · ثم ذكر المؤلف سالس الطبيب الروماني الذي نشأ سنة ١٤ للميلاد وقال انهُ وصف الرمد الصلب · وقد جاء في المقتطف انهُ وصف الرمد الرطب والرمد الجاف والرمد الحبيبي والرمد البثري والرمد الصلب الذي يسبب الشترة واتبع المعالجة البقراطية وذكر دمل القرنية وقال انهُ يسبب قرحة قذرة مجوفة مزمنة ويترك ندبةً في العين ويولّد احيانًا البزور العنبي ووصف الجروح التي تصيب العين ووصف التهاب اطراف الاجفان وجربها والشعيرة والاكياس الدهنية والتصاق الاجفان الخ وهو اول من وصف جراحة العين وصفًا علميًّا

ثم انتقل المؤلف الى طب العيون عند العرب وقال انهم وصفوا التراخوما وسموهُ جرب الملتحمة وافضل كتاب كتبوهُ في طب العيون في مصر كتاب عمر الوصلي سنة ١٠٠٠ للميلاد واشار الشاذلي في القرن الثالث عشر الى كثرة امراض العيون في مصر واشار اليهِ ايضًا الربي مشولام بن مناحيم في القرن الخامس عشر · واتجهت الانظار الى كثرة الرمد الصديدي في مصر في زمن الحملة الفرنسوية سنة ١٧٩٨ — ١٨٠٢ اذ أُصيب بهِ كثيرون من الجنود الفرنسوية والانكليزية

وانتقل المؤلف من البحث التاريخي القديم الى الذين بحثوا في التراخوما والرمد الصديدي حديثًا مثل كوخ وملر ولكح وميرهوف والى بحثهِ هو وقد قسم التراخوما الى اربعة اقسام او درجات وتكلّم عن اختلاطاتها والميكروبات التي تسببها وطرق علاجها

وحبذا لو اعتني بترجمة هذا الكتاب الى العربية ليستفيد منهُ اطباء العيون الذين لا يعرفون الانكليزية

حساب المثلثات السنوية

تأليف محمد افندي خالد حسنين مساعد مفتش بنظارة المعارف

كلما رأينا كتابًا علميًّا في هذا القطر وددنا لو وُحِدت المصطلحات العلمية المتبعة في مصر والشام

في الرياضيات والطبيعيات كما هي موحدة في الصرف والنحو والبيان والبديع والعروض والعلوم الشرعية. فكلمة جيب التمام في الاصطلاح المصري تقابل نظير الجيب والعلامة جتا تقابل نج وكلمة ظل تقابل كلمة مماس . وحبذا لو رجع الفريقان الى كتب العرب ومصطلحات العرب فانهم ترجموا كتب الهندسة والمثلثات المستوية والكروية وقطوع المخروط والفلك من اليونانية والفوا في هذه العلوم كتباً ممتعة ولا يزال بعضها بين ايدينا وطبع بعضها في اوربا طبعاً متقناً . فمصطلحاتهم اولى بالاتباع ولو من باب الاحتفاظ بميراث الاجداد . وما لا نجد لهُ اصطلاحاً قديماً نتفق على ترجمة الاصطلاح الاوربي بما يقرب من معناهُ حتى تكون الكتب العلمية واحدة في مصطلحاتها في كل البلدان العربية تسهيلاً لطالبي العلم ومنعاً للبس باستعمال مصطلحات مختلفة . ومن الغريب ان حضرة المؤلف وقع في ما نطلب الابتعاد عنهُ فقال في اول الكتاب في الكلام على الرموز المستعملة في الكتاب ان ظا رمز على الظل ثم سمى الظل في باطن الكتاب مماساً حسب اصطلاح الكتب السورية كما ترى في الصفحة ٣٣

والكتاب جامع لقواعد المثلثات المستوية وفيهِ كثير من التمارين النظرية وبعض التمارين العملية وحبذا لو زيدت تمارينهُ العملية وطُبّقت على مساحة الاراضي لان اخص فائدة علم المثلثات في القطر المصري في استعمالهِ لمساحة الاطيان

العلاج الجراحي

الجزء الثاني

تأليف وليم روز والبرت كارلس وتعريب الدكتور محمد عبد الحميد بك

طبيب مستشفى قليوب

الدكتور عبد الحميد بك مترجم هذا الكتاب حريٌّ بكل مدح واكرام لانهُ جعل دأبهُ التفتيش عن الكتب الطبية الحديثة وترجمتها الى العربية وطبعها ونشرها فيها موضحة بالرسوم . وهذا الجزء كالجزء الاول في بسطهِ ووضوحهِ يبتدئ بالكلام على الامراض العفنة كالحمرة والتتانوس (الكزاز) فالكَلَب فالجمرة الخبيثة فالسيلان فالزهري فالتدرُّن فالسراجة فالجذام . ويتلوهُ الكلام على الاورام والاكياس والكلام على الجروح . والبحث في اوصاف هذه الامراض وعلاجها يصل الى احدث ما وصل اليهِ علم الطب في السنتين الاخيرتين . وحبذا لو ذكرت الامراض والعقاقير كلها باسمائها وحروفها الافرنجية مع ذكرها باسمائها وحروفها العربية

محاسن الطبيعة وعجائب الكون

هذا الكتاب من مؤلفات لورد افبري وقد عربهُ حضرة وديع افندي البستاني كما عرَّب غيرهُ من كتب المؤلف وتوخَّى في جميعها الجري على منهاج المؤلف الشعري بافراغ الكلام في قوالب الاستعارات وصوغهِ موشًّى بشذور البديع

جزيرة الذهب

معربة عن الالمانية بقلم السيدة ماري ابرهيم نجار

قالت المترجمة الفاضلة في التمهيد الذي وضعتهُ لهذه الرواية انها اظهرت مطامع الناس بالمال وفتك الناس باخوانهم في بلاد الروس فان نفعت الناس بتوجيه افكارهم الى انسانية ارفع واعلى من التي نحن فيها ولقيت قبول القراء حمدت الله وشكرت . والرواية مطبوعة طبعاً حسناً في نيويورك على نفقة جريدة الهدى الغراء

حنة كارينيا

تأليف الفيلسوف تلستوي وتعريب مكين افندي عفيفي البغدادي

يقول كاتبو حياة تلستوي ان رواية حنة كارينيا ابلغ رواياتهِ كلها . وعسى ان يكون المعرب قد احتفظ بمعاني المؤلف وجرى مجراهُ في التعبير عنها فالبسها مطارف العربية الفصحى . وحبذا لو طبعت على ورق اجود من الورق الذي طبعت عليهِ

الخلق

كتاب ادبي الفهُ حضرة حسين افندي فتوح جعل مباحثهُ في النفس والعقل والاخلاق والعوامل المغيرة لها وتأثير العقل والبيئة والوراثة فيها وماهية الفضيلة وانواعها وحدودها والرذيلة ونشأتها واقسامها ووراثتها . واكثر فصول الكتاب بحث مجرَّد يعسر ادراكهُ ولكن فيهِ امثلة وشواهد واقتباسات كثيرة توضح المراد وقد احسن المؤلف في حسبانهِ الاخلاق الفاضلة اساس ارتقاء الامم والاخلاق السافلة اساس انحطاطها

ضحية الواجب

رواية ذات ستة فصول اخلاقية عائلية بقلم توفيق افندي سعيد الرافعي وقد قيل فيها ان حوادثها وقعت في اواخر سنة ١٩٠٥ واوائل سنة ١٩٠٦ في مدينة باريس ولا يزال

بعض الذين اصابتهم النكبة موجوداً حتى اليوم . والظاهر من مقدمة هذه الرواية ان ناسخ بردها لم يترجمها ترجمة بل بناها على قصة اتصل خبرها به فان كان الامر كذلك فحبذا لو اختار لها اسماء مألوفة عندنا ولو كانت فرنسوية بدل فرجوس ومورتير وكومير

مجلة العلوم الاجتماعية

تبحث في الحقوق والاقتصاد والاجتماع لحضرة منشئها توفيق افندي الناطور ومدير تحريرها محمد افندي منيب الناطور

في الجزء الاول الذي صدر من هذه المجلة مقدمة في بيان غرضها والمراد بالعلوم الاجتماعية ومقالات في تقسيم علم الحقوق . وتاريخ المحاماة . والملك اساس المعاملات . والجرائم . والاشتراكية والاشتراكيون . ونبذ مختلفة . ومما جاء في مقالة الاشتراكية ان عدد الحزب الاشتراكي كان سنة ١٩٠٧ في ممالك اوربا واميركا على ما ترى في الجدول التالي

	احصاء عن سنة	صوت		احصاء عن سنة	صوت
فرنسا	١٩٠٧	١١٠٦٤٧٠	نروج	١٩٠٧	٩٠٠٠٠
النمسا	«	١٠٤١٩٨٤	هولانده	«	٨٢٠٠٠
انكلترا	«	٥٠٥٦٩٠	اسوج	«	٧٥٠٠٠
بلجيكا	«	٤٨٣٢٤٠	اسبانيا	«	٤٠٠٠٠
ايطاليا	«	٣٣٨٨٨٥	بلغاريا	«	١٣٣٦٠
فنلاندا	«	٣١٦٩٥١	سربيا	«	٣٠٥٦
سويسرا	«	١٠٠٠٠٠	الولايات المتحدة	«	٤٢٤٤٨٣
دانمارقه	«	٩٨٠٠٠	الارجنتين	«	٥٠٠٠

وجاء في النبذ المنشورة فيها ان محصول الحرير في السنة الماضية كان في سورية ٥٠٠٠٠٠ كيلو غرام وفي الاناضول ٤٥٠٠٠٠ كيلوغرام وفي البلقان ٢٦٠٠٠٠ كيلوغرام وفي القوقاس وتركستان وايران نحو ٩٠٠٠٠٠ كيلو غرام . واشارت الى القرض الذي عقدتهُ الحكومة العثمانية في باريس حديثًا وتمنت « ان ينفق هو وامثالهُ على الجماعات لا الافراد وفي سبيل الاصلاح الحقيقي لا الترقيع الاداري » . فعسى ان يجاب تمنيها وان تخدم الوطن خدمة جليلة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) كلمة الامة والخروج منها

دمشق . عبد الفتاح افندي السكري الركابي . جرت مناقشة بيني وبين صديق لي في مسألة النظام الذي يحفظ كلمة الامة او الجمعيات وهو ما يسمونهُ (بالوحدة) ولا يخفى عليكم ان للوحدة قانوناً صارماً يعاقب كل من يخرق حرمتهُ اشد العقاب فوحدة المسلمين مثلاً كلمة التوحيد وكل من ينشق عنها يكون انشقاقهُ بمثابة خروجهِ عن تلك الوحدة التي هي السبب الوحيد في حفظ نظام الامة واتفاق كلمتها وتأليف قلوبها او كالقانون الموضوع في الجمعية الماسونية فان كل من دخل في سلكها ثم عنّ لهُ الخروج منها لا بد لهُ من ملاقاة عقاب صارم لان خروجهُ يُعدّ خللاً بوحدتها واتحاد كلمتها او القانون الموضوع لمن ينشقُّ عن الوحدة الالمانية الذي الَّف بين قلوب ابنائها . فهل ترون هذا القانون الموضوع لحفظ الوحدة منافياً للعقول الصحيحة والاحوال الاجتماعية وهل هو ضروري لحفظ الامة من التفريق الذي يميت الامم او الجمعيات . وقد اكّد لي بعضهم ان الجمعية الماسونية ما استقام امرها وطال عهدها الاَّ بمراعاة قانون صارم يجازي كل من ينشق عنها فالمرجو سرعة الجواب مفصلاً ليتوضح الصبح لذي عينين

ج . ينطوي سؤَالكم على ثلاثة امور الاول قولكم ان من يخرج من الجمعية الماسونية بعد انتظامهِ فيها يعاقب عقاباً صارماً بموجب قانونها لانَّ خروجهُ يعدُّ خللاً بوحدتها . فهذا غير صحيح ويستطيع كل عضو من اعضائها ان يتركها متى اراد من غير عقاب او حساب ونحن نعرف بعض الذين خرجوا منها وقذفوها ولم تعاقبهم ولا لامتهم وليس في قانونها ما يوجب معاقبة من يخرج منها . والامر الثاني كون القانون القاضي بعقاب من يخرج عن وحدة ما منافياً للعقول الصحيحة والاحوال الاجتماعية او غير منافٍ لها . اما العقول فلا دخل لها في ذلك واما الاحوال الاجتماعية او نواميس الاجتماع فمفادها ان مصلحة الجامعة مقدمة على مصلحة الفرد والفرد يستفيد مجتمعاً مع غيرهِ اكثر مما يستفيد

منفرداً فوجود قانون مثل هذا يكون في مصلحة الفرد بنوع عام فاذا وجد في جماعة افادها اكثر مما يضرُّ ببعض افرادها

والامر الثالث كون هذا القانون ضروريًّا او غير ضروري . ويظهر لنا انهُ ليس من الضروريات لحفظ الامم من التفرق لان لحفظ الامم اسباباً اخرى طبيعية اقوى من القوانين الوضعية مثل الاشتراك في المصلحة ومثل العادة التي تجعل الانسان يبقى مضموماً الى جماعة ولو ثبت لهُ ان الخروج منها اصلح لهُ

اما ما اكدهُ لكم بعضهم عن الجمعية الماسونية فغير صحيح لانها لا تجازي احداً ينشقُّ عنها والانشقاق مستمر بين اعضائها وهي لم تثبت الى الآن مع ما لقيت من الاضطهاد الاَّ لان غايتها حميدة ولان اعضاءها يعلمون ان كل ما تُرجَم بهِ زور وبهتان وصاحب البيت ادرى بالذي فيهِ . ولولا ذلك ما رأينا اكثر اعضائها من الملوك والعلماء والادباء وكل المرتقين من طوائف الناس ولا يذمها الاَّ الذين يجهلونها

(٣) استحضار الارواح

ومنهُ . ما تقولون في مسألة استحضار الارواح فقد وقفت على كثير من اقوال الغربيين الذين يثبتون قضية الاستحضار ويؤكد بعضهم ان هذا الاكتشاف العلمي قد عمل انقلاباً كبيراً في الافكار فعسى ان تجيبوني عن حقيقة هذا الاكتشاف وهل اتفقت على صحتهِ العلماء واذا كان الامر كذلك هل يؤثر هذا الاكتشاف في الملحدين ويهدم براهينهم التي يتوكأُون عليها او ليس لهذا الاكتشاف علاقة بالذين ينكرون الاله

ج . الكلام كثير في هذا الموضوع ولكن كل الذين ادعوا استحضار الارواح اما انهم خادعون وقد ثبت خداعهم او انهم لم يستطيعوا ان يقنعوا اكثر ذوي العقول السليمة بصدق دعواهم . والذين اقتنعوا بها وهم معدودون من ذوي العقول السليمة مثل السر وليم كروكس والسر اوليفر لدج اطَّلعنا على الحوادث التي اقنعتهم فلم تقنعنا ولا اقنعت اكثر الذين اطلعوا عليها غيرنا . وقد حكمنا غير مرة بفساد اعمال اقتنع بعض العلماء الذين رأوها بصحتها وقالوا انهم بحثوا فيها بحثاً مدققاً . ثم ظهر صدق حكمنا وفساد حكمهم ولا سيما في امر اسابيا بلادينو فقد قلنا في مقتطف دسمبر سنة ١٩٠٩ « ان كل الحوادث الدالة على مناجاة الارواح ليس فيها دليل قاطع على انها خالية من الخداع ومتى احتمل وقوع الخداع في عمل بطل الاستدلال بهِ وضعفت الثقة بعاملهِ » . وبعد ان وصفنا اعمال اسابيا بلادينو كما شاهدتها لجنة العلماء التي عينت لذلك ورجحنا انها كلها من قبيل الخداع ذهبت اسابيا الى اميركا وامتحنتها هناك لجنة من العلماء واحتالت عليها حتى كشفت خداعها . واذا ثبتت مناجاة الارواح ثبوتاً علميًّا ينفي

كل ريب وأطلع الاموات الاحياء على ما شاهدوهُ في عالم الارواح لم يبقَ سبيل للشك في ما يطلعونهم عليهِ

(٣) كتب زراعية عربية

ومنهُ . هل للمدرسة الزراعية العربية التي في القاهرة كتب زراعية عربية مفيدة بحيث تغني الطلاب عن الكتب الافرنجية وارجوكم ان تعلموني عن اسمائها ولكم الشكر

ج . نعم وقد الفت كتاباً بالانكليزية في مجلدين كبيرين وترجم الى العربية وهو في مباديء الزراعة بنوع عام والزراعة المصرية بنوع خاص واسمهُ الزراعة المصرية

(٤) ضرر السهر

ومنهُ . هل من ضرر صحي على الذين يواظبون على السهر اكثر الليل وينامون في النهار وما هي ماهية الضرر الذي يصيبهم وهل من منفعة للذين يستيقظون دائماً قبل طلوع الشمس

ج . من الامور المقررة ان نور الشمس يميت الميكروبات المرضية بسرعة فاذا وقعت هذه الميكروبات على جسم انسان او على جروح في بدنهِ وكانت معيشتهُ تقضي باحتجابهِ عن نور الشمس اكثر النهار او النهار كلهُ كان الخطر من نموها فيهِ وايقاعها الضرر بهِ اكثر مما لو كان معرَّضاً لنور الشمس . وللنور فعل كيماوي ايضاً وفعلهُ ظاهر في الوان الذين يتعرضون لنور الشمس والذين لا يتعرضون لهُ او يقل تعرضهم لهُ . ولكن هل هذا الفعل مفيد للصحة او غير مفيد وما مقدار فائدتهِ ان كان مفيداً هذه امور لم تحقَّق حتى الآن ولا الذين يكثر نور الشمس في بلدانهم ويكثر تعرضهم لهُ اجود صحةً او اطول عمراً او اشد نشاطاً من الذين لا يكثر نور الشمس في بلادهم او لا يكثر تعرضهم لهُ . ولا نعلم فائدة صحية للاستيقاظ الباكر قبل طلوع الشمس . ولكن لا شبهة في الفائدة المالية او المعاشية من النوم ليلاً والعمل نهاراً

(٥) المنسوجات السورية المطبوعة

بيروت . احد المشتركين باي وقت وباي بلد كانت الاقمشة تنسج وتطبع في سورية

ج . لقد اشار بليفيوس المؤرخ اشارة واضحة الى ان المصريين الاقدمين كانوا يطبعون النقوش المختلفة الالوان على المنسوجات . وقد وجدت في آثار مصر منسوجات مطبوعة بالوان مختلفة . وتدل مفردات اللغة العربية التي جمعت منذ الف سنة على ان العرب كانوا يلبسون ثياباً عليها نقوش مطبوعة كقولهم ثوب مبرَّج اي فيهِ صور البروج وثوب مدنَّر اي فيهِ كالدنانير وثوب ممرجل فيهِ صور المراجل وذلك كلهُ مما يصعب الوصول اليهِ بالنسج . وكان الصينيون والهنود يطبعون المنسوجات من قديم الزمان بطوابع من الخشب . ويظهر من وصف منسوجات صور وصيداء في التوراة

ان منها ما كان مطبوعاً طبعاً ولذلك نستنتج ان صناعة طبع الاقمشة كانت معروفة في سورية منذ عهد قديم . ولما زار ڤولنه سورية منذ نحو مئة وثلاثين سنة كانت المنسوجات القطنية كثيرة فيها يتاجر بها فقد جاء في كلامهِ على تجارتها مع فرنسا ان فرنسا ترسل اليها الجوخ والقرمز والنيل والسكَّر والبن الاميركي وتأخذ منها القطن الخام والمغزول والمنسوج والحرير الطرابلسي (وغيرهُ كان ممنوعاً) والعفص والنحاس والصوف

وقال في كلامهِ على دمشق انهُ تصدر منها المنسوجات الحريرية والقطنية التي تنسج فيها بكثرة وهي متقنة الصنع جداً

وقال في كلامهِ على صيدا ان للفرنسويين فيها ستة بيوت تجارية وهي تصدر منها القطن الخام والمغزول وان صناعة اهالي صيدا نسج المنسوجات القطنية

نعم ان كلام ڤولنه لا يثبت منهُ ان المنسوجات القطنية التي كانت تصدر الى اوربا كانت مطبوعة ولكننا نتذكر جيداً اننا رأينا قوالب طبع المنسوجات في سورية منذ نحو خمسين سنة وكنا نرى المناديل والطرحات واوجه اللحف التي كانت تطبع بها . ولا يزال طبع المناديل جارياً في مصر حتى الآن ونحن نرى امامنا حين كتابة هذه السطور منديلاً رقيقاً مما يتبرقع بهِ النساء في سورية او يغطين رؤُوسهن بهِ وعلى حواشيهِ الاربع نقوش بثلاثة الوان احمر واخضر واسود كل نقشة منها تمثل وردة مفتحة وثلاثة ازرار وعرقاً فيهِ ثلاث اوراق . والوردة ورؤُوس الازرار حمراء والاوراق خضراء وحدود الاوراق واضلاعها سوداء وعلى جانبي النقوش دوائر صغيرة منظومة سواءً وفي كل دائرة منها نقطتان سوداوان . والمنديل كلهُ مصبوغ بلون وردي فاتح . وهذا المنديل مطبوع في القاهرة والظاهر ان الصناع كانوا يصنعون مثلهُ في سورية وحلب

(٦) كيفية الطبع

ومنهُ . كيف كان يستعمل طبع الاقمشة وما هي القوالب التي كان يطبع بها

ج . المنديل المشار اليهِ آنفاً صنعت قوالبهُ من الخشب ووضعت الاصباغ في آنية كل صبغ في اناء على حدة بعد ان اذيب في الماء ويوضع على وجه الصبغ قماش رقيق ثم يوضع القالب عليهِ فيلصق بهِ شيء من الصبغ الذي ينفذ من مسام القماش ويطبع النسيج الذي يراد طبعهُ بهذا القالب حيث يراد ظهور النقش عليهِ

(٧) معامل الطبع

ومنهُ . هل كان يوجد معامل كبيرة تصنع وتطبع فيها الاقمشة او كان يتم ذلك في بيوت الصناع

ج . لم نجد في كل الكتب التي لدينا ما

يدل على انهُ كانت توجد معامل كبيرة لنسج الاقمشة وطبعها

(٨) قوالب الطبع

ومنهُ . هل يوجد شيءٌ من تلك القوالب واين توجد وهل توجد اقمشة ممَّا كان يطبع حينئذٍ

ج . المنديل الذي ذكرناهُ آنفاً طبع في القاهرة في مكان بين السوريين بقوالب من الخشب ولا يزال طبع المناديل جارياً الآن هناك . ولا ندري هل هذه الصناعة لا تزال جارية في سورية الآن والرجاء ممَّن يطلع على هذا السؤال وهو يعلم بوجودها ان يكتب الينا بذلك . ونظن ان مناديل البيزما واوجه اللحف الخشنة النسج والطبع التي ترى الآن في بعض البيوت في سورية هي ممَّا كان ينسج ويطبع فيها

(٩) تاريخ الصناعة العربية

ومنهُ . هل يوجد كتاب يتضمن تاريخ الصناعة العربية السورية

ج . لا علم لنا بكتاب مثل هذا ولكننا نشرنا في مقتطف شهر مارس (اذار) سنة ١٩٠٨ مقالة مسهبة في الصناعة السورية زمن الحرب الصليبية فيها وصف لا بأس بهِ للصناعة السورية حينئذٍ . وترون في المجلد الخامس والثلاثين من المقتطف فصولاً كثيرة عن الصناعة المصرية في زمن الحملة الفرنسوية ملخصة ممَّا كتبهُ المسيو جرار حينئذٍ وفيهِ اشارة الى الصناعة السورية ايضاً والى ما كان يصدر من البلادين وما يستعمل فيهما

(١٠) كليات البنات في القاهرة

طنطا . ابرهيم افندي مسيحه . ما هي كليات البنات في القاهرة حيث يقيم التلميذات داخليات وما هي افضلها من حيث العلوم والآداب حتى اذا تخرجت البنت فيها ساوت اختها الغربية

ج . ليس في القاهرة من كليات البنات الداخلية في ما نعلم سوى اثنتين الكلية الاميركية والكلية الفرنسوية وقد سمعنا مدحهما كلتيهما من الذين يعلم بناتهم فيهما

(١١) بلوغ الكمال

سبريتو سانطودو بنبال بالبرازيل . الخواجه جبران صبيحة . هل يصل الناس الى الكمال الحقيقي حتى يعرف كل انسان ما لهُ وما عليهِ ويعمل بموجب القاعدة الذهبية القائلة « كما تريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوا انتم بهم ايضاً »

ج . يرجح جمهور كبير من العلماء ان نوع الانسان سائر في هذا السبيل تبعاً لناموس بقاء الاصلح . فالصُلَّح يبقون في الارض والاشرار يُستأصلون منها على مرور الزمن . واذا تأخر ذلك الف سنة فهي ليست زمناً يذكر امام العصور المترامية التي مرَّت على الانسان قبل ان وصل الى حالتهِ الحاضرة

(١٢) عمر الانسان

الزقازيق . بسطوروس افندي سعد .

في اي سنة من عمر الانسان يتم نمو جسمهِ

ج . بين السنة العشرين والثلاثين . والوقت الذي يتم فيهِ نمو الجسم يختلف باختلاف البلدان والاشخاص والاعضاء فسكان الاقاليم الحارَّة يتم نمو اجسامهم قبل سكان الاقاليم الباردة والنساء يتم نمو اجسامهنَّ قبل الرجال وبعض الناس من البيت الواحد يتم نمو اجسامهم قبل البعض الآخر . ومتى بلغ الانسان الثلاثين من عمرهِ يكون قد تم بناءُ جسمهِ بنوع عام ولكن قد تنمو بعض اعضائهِ بعد ذلك فيتسع صدرهُ مثلاً وتنمو عضلاتهُ . والغالب انهُ يزيد سمناً الى ان يبلغ الخمسين او الستين من عمرهِ . ومن المحتمل ان نمو الدماغ او بعض اجزائهِ لا يقف في بعض الناس قبل الخمسين او الستين من العمر



صوت التمساح في بيضهِ

انتبه الدكتور والتزكو منذ اربع عشرة سنة الى ان صغار التماسيح تصوت وهي لا تزال في البيض وصوتها كالسعال ويسمع ولو كان البيض مغطًّى بطبقة من الرمل سمكها متران . وهي تصوت كلما أُزعجت كما اذا رفست الارض بقدمك على مقربة من البيض او مسكت البيضة بيدك وقلبتها . وكلما خرجت انثى التمساح من الماء ومشت نحو المكان الذي اخفت فيهِ بيضها صاتت صغارها من البيض فيطمئن بالها ومتى علا الصوت كثيراً تعلم ان صغارها قاربت الخروج من البيض فتحتفر الرمل عنها وللحال تشرع الصغار تخرج من بيضها ولولا ذلك لهلكت لانها لا تستطيع الخروج من تحت الرمل

شارل تليه مستنبط التبريد

لا يخفى ان اللحوم على انواعها تنقل الآن من بلاد الى اخرى سليمة لانها توضع في السفن في غرف مبرَّدة الى ما تحت درجة الجليد . ومستنبط هذه الطريقة المسيو شارل تليَه توفي بالامس في باريس بالغاً من العمر ٨٦ سنة وهو في حالة يرثى لها من الفقر المدقع . فانهُ ولد سنة ١٨٢٨ وانقطع للمباحث العلمية فاستنبط طريقة التبريد وسنة ١٨٧٦ سافرت اول سفينة تحمل لحماً مبرداً من فرنسا الى بونس ايرس وكان قد تولى بناءها لهذه

الغاية . والآن كثرت السفن التي تحمل اللحم المبرَّد حتى انهُ يرد الى بلاد الانكليز وحدها كل سنة من هذا اللحم ما ثمنهُ ٢٤ مليونًا من الجنيهات . واذا قدرت الاموال التي تكتسبها استراليا وكندا والارجنتين من طريقة تليه بلغت ملايين كثيرة من الجنيهات كل سنة ومع ذلك مات صاحب هذه الطريقة وهو لا يملك شيئًا

مدافن طرخان

وصف الاستاذ فلندرس بتري المدافن التي وجدها في طرخان على نحو اربعين ميلاً من القاهرة جنوبًا وهي من عهد الدولة الاولى من الدول المصرية ومن عصر الملك زت الذي نشأ في واسط تلك الدولة وقد وجد في تلك المدافن عظام ستمئة نفس والرجال منهم من صنفين مختلفين من الناس

احتراق السفينة فُلترنو

بينما كانت السفينة الانكليزية فلترنو في وسط الاوقيانوس الاتلنتيكي وفيها من البحارة والركاب ٦٥٧ نفسًا شبت النار فيها فاحرقتها ولم يكن في الامكان ان ينجو احد منها ولكنها ارسلت خبر ما اصابها بالتلغراف اللاسلكي الى كل الجهات فوصلت الاشارات الكهربائية اولاً الى السفينة قرامانيا فارسلت هذه الخبر بتلغرافها اللاسلكي الى كل مكان واسرعت السفن التي وصلها الخبر الى السفينة المحترقة وكان النوء شديداً يمنع دنوها منها وكان بينها سفينة وسقها زيت فجعلت تصبهُ في البحر فلم يمضِ خمس دقائق حتى سكنت الامواج وتمكنت السفن من تخليص كل الذين كانوا لا يزالون احياء في السفينة المحترقة وعددهم ٥٢١ فالفضل في نجاتهم للعلم الذي اكتشف التلغراف اللاسلكي واثبت ان الزيت يسكن الامواج

الطيارة المائية

ذكرنا غير مرة ان جريدة الديلي ميل تبرَّعت بخمسة آلاف جنيه لمن يطير حول البلاد الانكليزية بطيارة مائية مسافة ١٥٤٠ ميلاً فطار الطيار هوكر ومعهُ رجل آخر حتى اذا قطع مسافة ١٠٤٣ زلت قدمهُ عن دفة الطيارة فسقطت في البحر وأُنقذ هو ورفيقهُ هو سالمًا ورفيقهُ مكسور الذراع . والطيارة من النوع ذي السطحين سعة جناحيها من طرف الى طرف ٥٠ قدمًا ولها طوَّفان ثقل كلٍ منهما ١٧٠ رطلاً وطوف ثالث صغير مغزلي تحت ذنبها وثقل الطيارة كلها وراكبيها ٢٤٠٠ رطل (ليبرة)

نترات شيلي

ان السماد الكيماوي المعروف بنترات الصودا يجلب من بلاد شيلي باميركا ويقدر ان الموجود منهُ الآن فيها لا يزيد على مئة

مليون طن فاذا بقي استخراجهُ واستعمالهُ لتسميد المزروعات جارياً على النسبة الحالية فرغ كلهُ في ٣٥ سنة الى اربعين سنة ولا بدَّ من التفتيش عن مناجم اخرى يكثر وجودهُ فيها قبلما يفرغ

شيوع الاشربة الروحية

احصي ما شربهُ سكان الولايات المتحدة من الخمور ونحوها من الاشربة الروحية في كل سنة من السنين الماضية من سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٩١١ فوجد متوسط ما كان يشربهُ النفس من السكان في السنة كما في هذا الجدول

سنة ١٨٥٠	٤,٠٨ جالون
« ١٨٦٠	٦,٤٣ «
« ١٨٧٠	٧,٧٠ «
« ١٨٨٠	١٣,٢١ «
« ١٨٩٠	١٦,٧٢ «
« ١٩٠٠	١٧,٧٦ «
« ١٩١٠	٢١,٨٦ «
« ١٩١١	٢٢,٧٩ «

ومتوسط ما يشربهُ النفس في المانيا من الاشربة الروحية كمتوسط ما يشربهُ النفس في اميركا ويشرب الالماني من الاشربة الاخرى كالبيرا اكثر مما يشرب الاميركي ويشرب الانكليزي من هذه الاشربة اكثر مما يشرب الالماني ولكنهُ يشرب من الخمور والاشربة الروحية اقل مما يشرب الاميركي . وثمن المشروبات التي يشربها الالمان في السنة ١٥٠ مليون جنيه اي اكثر مما تنفق المانيا على حربيتها وبحريتها ثلاثة اضعاف وهو يساوي ما ينفقونهُ في السنة ثمن ما يأكلونهُ من اللحم والسمك والطيور واقل قليلاً من ثمن ما يأكلونهُ من الخبز والكعك والبطاطس . وثمن الخمور التي يصنعها الاميركيون ويشربونها في السنة ١٢٠ مليون جنيه او نحو ثمن القمح الذي يستغلونهُ . هذا عدا الخمور التي يجلبونها من البلدان الاخرى

وطن البق

البق معروف الآن في المسكونة كلها فمنهُ سبعة انواع في اوربا وستة في افريقية وخمسة في اسيا واثنان في استراليا وسبعة في اميركا . اما البق العادي الذي يكون في الفرش والاسرة فوطنهُ الاصلي على قول الدكتور هورفاث سواحل بحر الروم وهو يظن انهُ كان اولاً من الحشرات التي تعلق بالخفافيش ثم انتقل منها الى الانسان

تعاون الكلاب

جاء في مجلة المعرفة ان كلبين من نوع التريير احدهما اسود صغير القد والاخر ابيض كبير نزلا الى بحيرة الابيض نزل اليها بارادتهِ ليغتسل فيها والاسود وقع فيها على غير ارادتهِ

فحاول الصعود منها وكانت جوانب البحيرة مبنية والجدار قليل الارتفاع ولكنهُ قائم عوديًّا فلم يتمكن الكلب من البلوغ الى اعلاه بل كان يقع في الماء كلما حاول الصعود . وسار الكلب الابيض الى مصب النهر في البحيرة وخرج منهُ ودار الى حيث الكلب الاسود ولما رأى ما هو فيهِ من الشدَّة لانهُ كاد يغرق حاول القبض على عنقهِ لاخراجهِ من الماء فلم يتمكن من ذلك واخيراً وصل الى الطوق الذي حول عنقهِ وقبض عليهِ باسنانهِ واخرجهُ من البحيرة

عدد النجوم

ابان المستر توكر في ما نشرهُ بين منشورات الجمعية الفلكية في شهر اغسطس الماضي ان عدد النجوم التي ترى بالعين في وقت واحد قلما يزيد على الفين وعدد النجوم التي ترى بالتلسكوب الى حد القدر السابع عشر لا يزيد على اربعين مليوناً اي قدر سكان بلاد الانكليز وعدد ما يمكن ان يصوَّر بالفوتوغراف الى حد القدر العشرين مئة مليون . وكلما صغرت النجوم في اقدارها قلَّ عددها اما لأن في الفلك مادة تمتص النور فلا يصل الينا نور النجوم البعيدة او لأن النجوم تقل فعلاً بالابتعاد عن النظام الشمسي الى ان تصل الى النهاية فيكون لهذا الكون حد محدود . الاَّ ان ما تقدم يصدق على النجوم المنيرة التي نراها بنورها اما النجوم المظلمة التي لا نور لها فلا سبيل لرؤيتها ولا لمعرفة عددها . واذا حسبنا انهُ يوجد ١٨ نجماً في كل مسافة طولها ١٦ سنة نورية[(١)] فالمئة مليون نجم تملأ كرة قطرها ستة آلاف سنة نورية وهو البعد الذي حسب الاستاذ نيوكم ان حواشي المجرَّة تصل اليهِ

رئاسة النساء في مجمع تقدم العلوم البريطاني

هذه اول مرة في تاريخ مجمع تقدم العلوم البريطاني رأست امرأة فرعاً من فروعهِ فقد رأست فرع علم البنات مس اثل سرجنت وافتتحت خطبة الرئاسة بالاشارة الى ذلك فقالت ان اختيارها للرئاسة بدعة في عادات المجمع وكرم من اعضائهِ . واجزل الكرم ما اقدم عليهِ ذووهُ غير معتدّين بمخالفة العادات الراسخة . ثم جعلت موضوعها تقدم علم الاجنَّة النباتي منذ سنة ١٨٧٠ وهي عالمة عاملة في هذا الفن فالمَّت بكل فروعهِ

غور البحر المتوسط

يظهر من بحث البعثة الهولندية التي سبرت غور بحر الروم انهُ مؤلف من حوضين كبيرين يفصل بينهما حاجز مرتفع يصل بين جزيرة صقلية وشاطئ افريقية الشمالي واعلى

(١) السنة النورية هي المسافة التي يقطعها النور في سنة من الزمان وهي ستة آلاف الف مليون ميل

هذا الحاجز منخفض عن سطح ماء البحر اربع مئة متر. والحوض الغربي من هذين الحوضين عمقهُ من الفي متر الى ثلاثة آلاف والحوض الشرقي اعمق منهُ وقد يزيد عمقهُ في بعض الاماكن على اربعة آلاف متر. والمطر الذي يقع على بحر الروم لا يزيد على ربع المياه التي تتبخّر منهُ لكن ارتفاع الماء فيهِ يبقى على حالهِ بما يجري اليهِ من مياه الاوقيانوس الاتلنتيكي

سرير الارانغ اوتان

الارانغ اوتان من ارقى انواع القرود وقد ثبت الآن انهُ اذا اراد النوم في غابهِ كسر نحو ١٢ عوداً من عيدان الاشجار وبسطها والقى عليها طبقة من اوراق الاشجار حتى يكون منها سرير طولهُ نحو متر ونصف وعرضهُ نحو ثمانين سنتيمتراً ونام عليهِ والغالب انهُ يصنع سريراً كل ليلة او كل ليلتين

الدكتور ادولف ديزل

بينما كان الدكتور ديزل ذاهباً من انفرس الى هروك ليلة ٢٩ سبتمبر الماضي وقع في البحر وغرق. وهو مخترع الآلة البخارية المنسوبة اليهِ التي وقودها من زيت البترول غير النقي وهي افضل آلات البترول التي صنعت حتى الآن. ولد في باريس سنة ١٨٥٨ من والدين المانيين ودرس في مدرسة اوغسبرج الصناعية وفي كلية مونخ وصنع اول آلة من آلاتهِ سنة ١٨٩٣ فشاعت كثيراً

ائتلاف النمل والديدان

ذُكرت امثلة جديدة على ائتلاف الديدان والنمل اي وجدت ديدان كبيرة في قرى بعض انواع النمل وهي تعيش معهُ على تمام الالفة والوفاق. والظاهر ان النمل يجد على ابدانها مادة يستطيبها تفرز منها فيبقيها في قراهُ لهذه الغاية

احتراق بلون زبلن L.II.

كان هذا البلون يجرب في ١٧ اكتوبر. صعد في الجو وفيهِ ٢٨ نفساً وفي ثلاث دقائق بلغ ارتفاعهُ ٢٠٠ متر وحينئذٍ اتقدت النار فيهِ من شرارة كهربائية اصابت شيئاً من البنزين المرتشح من آلاتهِ وحدث فيهِ انفجار وفي ثانيتين او ثلاث شملهُ اللهيب وجعل يهبط رويداً رويداً ورأسهُ الى الاسفل حتى صار على ٤٠ متراً فوق الارض وحينئذٍ حدث فيهِ انفجار ثانٍ وسقط على الارض وقتل الذين كانوا فيهِ

وكان طول هذا البلون ٥٢٠ قدماً وقطرهُ ٥٣ قدماً وتفريغهُ ٢٧ طنًّا وفيهِ ١٨ كيساً للغاز تسع ٢٧ الف متر مكعب من الهيدروجين يتصل بهِ ثلاث مركبات المقدمة منها للربان. وفيهِ اربع آلات محركة قوة كلٍّ منها ٢١٠ احصنة وثمنهُ خمسون الف جنيه

الطيار الصيني

تعلَّم شاب صيني الطيران في بلاد الانكليز واتقنهُ في اقل من سنتين واخترع اسلوباً جديداً من الطيارات ذوات السطحين ومرادهُ ان يعود بهِ الى بلادهِ وهو يمتاز عن الطيارات العادية بان الجزء الخلفي من اجنحتهِ معقوف الى الاسفل

اطول الدعاوي القضائية

حُكم سنة ١٨٤٨ في دعوى قضائية دامت المرافعة فيها او دامت مرفوعة امام القضاء ٦٣٨ سنة من سنة ١٢١٠ الى سنة ١٨٤٨ . وكذلك حكم سنة ١٨٥٤ في دعوى دامت مرفوعة ٦٣٨ سنة ايضًا اي من سنة ١٢٥٤ الى سنة ١٨٥٤

ومن اغرب الدعاوي ان مطرانًا مجريًّا توفي في اواسط القرن الثامن عشر ولم يستطع ورثتهُ ان يقتسموا ميراثهُ حينئذٍ بسبب الاضطرابات السياسية ثم لما سكنت الاحوال وارادوا اقتسامها كان عددهم قد بلغ الف نفس فاختلفوا في القسمة ورفعوا امرهم الى القضاء سنة ١٧٦٨ ودامت الدعوى الى ان حكم فيها نهائيًّا سنة ١٨٩٠ وكانت قيمة التركة مئتي الف جنيه فلم يصب الواحد منهم سوى جنيه واحد وما بقي ذهب نفقات الدعوى واجرة المحامين

ومن قبيل ذلك دعوى اخرى امتدت المرافعة فيها من سنة ١٨٢٣ الى سنة ١٨٦٩ وابطلت المرافعة فيها حينئذٍ لان المحامين انفقوا كل غرش فيها اجوراً ومصاريف في غضون هذه المدة

السفن الحربية القديمة

باعت الحكومة الانكليزية بعض سفنها الحربية القديمة بمئة الف جنيه وكانت نفقات بنائها مليوني جنيه . وباعت بارجة باربعين الف جنيه وقد بنيت سنة ١٨٩١ وكانت حينئذٍ من اعظم بوارجها ولعلَّ نفقة بنائها لم تكن اقل من مليون جنيه

المستر روزفلت

دعت حكومات ارجنتين وبرازيل وشيلي المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة السابق لتقديم الخطب فيها في المواضيع الاجتماعية وسيذهب اليها لهذه الغاية ثم يرئس لجنة من العلماء تبحث في اواسط اميركا الجنوبية لاجل معرض التاريخ الطبيعي في الولايات المتحدة

هبات التعليم في اميركا

ظهر تقرير حكومة الولايات المتحدة الاميركية عن التعليم في سنة نهايتها ٣٠ يونيو سنة ١٩١٢ وفيهِ ان مبلغ الهبات التي نالتها الجامعات والكليات الاميركية بلغ تلك السنة ٤٩٥٦٦٠٠ او نحو خمسة ملايين من الجنيهات وذلك عدا الهبات التي وصلت اليها من حكومات الولايات

هبة علمية تذكارية

جاء في جريدة العلم الاميركية ان المسيو ارنست سولفاي الذي اكتشف الطريقة المنسوبة اليهِ لعمل كربونات الصودا احتفل بمرور خمسين سنة على اكتشافهِ هذا فوهب اكثر من مئتي الف جنيه للمعاهد العلمية والخيرية ولمستخدمي معملهِ

مياه لندن

يبلغ سكان مدينة لندن سبعة ملايين من النفوس ومع ذلك تجد شركات المياه ماء كافياً لهم مع انهم ينفقون في يومهم مئتي مليون جالون من الماء اي ان كل نفس منهم يستعمل كل يوم ٣٠٠ رطل من الماء . وعند الشركات او مجلس ادارة المياه حياض تسع ١٥٠٠٠ مليون جالون اي ما يكفي السكان كلهم خمسة وسبعين يوماً

خسارة القمار

يقال ان رجلاً بولندياً من اصحاب الاملاك الواسعة خسر بالامس في بومن في ليلة واحدة ٧٦٠ الف جنيه وارضاً مساحتها ١١٠٠٠ فدان

ضرر الغاز بالتنفس

ان المصباح الواحد من مصابيح الغاز يأخذ من اكسجين الهواء اربعة اضعاف ما يأخذهُ البالغ

عظمة البريد

يحمل بريد الهند كل سنة اكثر من ٧٢٠ مليون مكتوب واكثر من ٩٧ مليون جريدة

السيد علي يوسف

نجمت الصحافة المصرية بمنشئهِ من اكبر منشئيها السيد علي يوسف موسس جريدة المؤيد رجل عصامي بلغ بمهارتهِ وزكانتهِ اعلى المراتب العلمية والادبية التي تنال في هذا القطر . دخل ديوان التحرير شاباً وانشأ جريدة اسبوعية ثم انشأ المؤيد بعد ما انشأنا المقطم ببضعة اشهر فابلغهُ الدرجة العليا بين الجرائد المصرية بما كان يكتبهُ فيهِ ويستكتب لهُ كبار العلماء . وكان سريع الخاطر قوي الحجة واسع الرواية مقداماً جريئاً ذلَّل الصعاب بهمتهِ وصارت لهُ منزلة عالية لدى الجناب الخديوي ونال من السلطان السابق اسمى الرتب والنياشين التي تعطى لارباب الاقلام واقترن بكريمة شيخ السادات الوفائية وخلفهُ في هذا المنصب واعتزل حينئذٍ رئاسة تحرير المؤيد

توفي الى رحمة ربهِ في الخامس والعشرين من اكتوبر عن خمسين سنة من العمر وسير بجنازتهِ في مشهد جليل مشى فيهِ العلماء ونظار الحكومة المصرية وجمهور كبير من كبار موظفيها واعيان الاهالي

فهرس الجزء الخامس من المجلد الثالث والاربعين

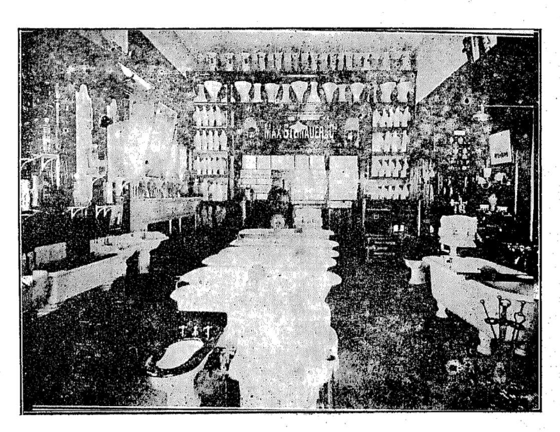
صفحة

MAX STEINAUER & Co.

SANITARY AND HEATING ENGINEERS.
By Special Appointement to H. H. the Khedive.
Official Contractors to the Egyptian Government and
Khedivial Palaces.

مكس ستيناور وشركاه

مهندسون للامور الصحية واجهزة التدفئة



موردون للحضرة الفخيمة الخديوية ومقاولون للحكومة المصرية والقصور الخديوية

اكبر واجود مستودع لجميع الاجهزة الصحية كالحمامات والمغاسل والمغاطس والكراسي والصيفونات والمرشحات واجهزة تسخين المياه وتدفئة البيوت وكل ما يلزم للحمامات والمطابخ وبيوت الراحة وما اشبه · والمحل مستعد ان يعمل الرسوم اللازمة ويقدّر الاكلاف عند الطلب من غير اجرة ويتولّى هذه الاعمال في كل القطر المصري والسودان

مركز الادارة ومعرض الادوات والاجهزة في مصر في شارع الانتكخانة المصرية نمرة ١
ولهم فرع في الاسكندرية في شارع النبي دانيال نمرة ٤

اعلانات المقتطف

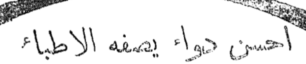
المقتطف اقدم المجلات العربية واوسعها انتشاراً فيطالع ويحفظ في كل بلاد تقرأ فيها اللغة العربية وكل اعلان ينشر فيهِ يطّلع عليهِ الوف من قرّاء العربية في كل اقطار المسكونة

وفائدة الاعلانات في ترويج البضائع والاشغال من كل الانواع اشهر من ان تذكر حتى ان محلاَّت كثيرة في اوربا واميركا تنفق سنوياًّ الوفاً من الجنيهات على نشر الاعلانات وترى انها تربح من ذلك ربحاً كبيراً واذا قلَّلت اعلاناتها في سنة من السنين قلَّ بيع بضائعها ومصنوعاتها وقلَّ ربحها كثيراً

قد رأينا ان نعيد نشر الاعلانات في المقتطف لاسيما وان كثيرين من قرّائهِ يسألوننا من وقت الى آخر عن الاماكن التي تباع فيها بعض الكتب وبعض المواد وعن اثمانها ونحو ذلك فنهمل الاجابة على اسئلتهم غالباً لضيق المكان في باب المسائل ولان مسائلهم خاصَّة بهم . ففي باب الاعلانات مجال واسع لاصحاب الكتب واصحاب المواد المختلفة لنشر اعلاناتهم عنها

والمخابرة في اجرة النشر مع ادارة المقتطف بمصر


The 'Allenburys' Foods.
MOTHER AND CHILD.
اطعمة ألينبريس
The 'Allenburys' Foods
هي غذاء يصلح لجميع سني الطفولية ولا مثيل لها في تغذية الاطفال حسب تقدم قوة الهضم
فيهم بتقدمهم في السن من الولادة فصاعداً وهي خالية من الميكروبات الضارة . واطعمة
ألينبريس اللبنية مصنوعة من اللبن الجيد النقي الذي يحلب من بقر تربى خصوصاً لها وتفحص دائما
طعام اللبن نمرة ١ طعام اللبن نمرة ٢ الطعام بالمولت نمرة ٣
من الولادة الى سن ٣ اشهر من سن ٣ اشهر الى ٦ من سن ٦ اشهر فصاعدا
تطلب من كل الاجزاخانات ومخازن الادوية او من اصحابها وهم الن وهانبريس المتحدة
بلندن المؤسس محلهم سنة ١٧١٥ وهذا اسمهم وعنوانهم بالانكليزية في لندن وغيرها
ALLEN & HANBURYS Ltd., Lombard Street, LONDON.
United States: Niagara Falls, N.Y. Canada: 66 Gerrard Street East, Toronto.
AUSTRALASIA: Market Street, Sydney, SOUTH AFRICA Smith Street, Durban.
Established 1715



للمصابين بالروماتزم والنقرس

والاوجاع المفصلية

هو

بيبرازين ميدي

Pipérazine MIDY

لانه اقوى دواء يذيب الحامض

البوليك

ويسهل احتماله على متعاطيه

يطلب من كل صيدليات العالم





طعام بِنجَر

للاطفال الضعيفي البنية

ان الاطفال اذا كانت ضعيفة البنية من يوم ولادتهم او بسبب مرض لحقهم فتكون قوة هضمهم دون المعتاد ونتيجة ذلك عدم مقدرتهم على استخلاص الغذاء الكافي من الطعام العادي فينتج عن ذلك سوء التغذية .

طعام بنجر موصى عليه بصفة خاصة انه يجعل الاطفال الضعيفي البنية اقوياء وبصحة عافية .

طعام بنجر

الاطفال و المرضى والمتقدمين في السن .

ويباع بالاجزاخانات و خلافها في جميع الجهات .

كتاب بنجر — هو كتاب صغير من اهل الثقة على التغذية الخاصة للاطفال والمرضى والمتقدمين في السن ويرسل خالصا اجرة البريد لمن يطلبه من (طعام بنجر لمتد بمدينة مانشستر بانجلترا)

BENGER'S

Food

الماركة المسجلة

BENGER'S FOOD, LTD., MANCHESTER, ENGLAND.

New York (U.S.A.) 92, William Street. Sydney (N.S.W.) 117, Pitt Street. المحلات الفرعية

National Drug and Chemical Co., Ltd., 34, St. Gabriel Street, Montreal. الوكلاء بكندا

وفروع كثيرة في جميع انحاء كندا

الدكتور الحاج علي لبيب بك

طبيب مستشار الحضرة الفخيمة الخديوية ومستشار جراح باسبتالية القصر العيني
ورئيس صحة ديوان الاوقاف ومدير مستشفى عباس وحكيمباشي قسم الجراحة فيه

Dr ALY BEY LABIB

Medecin-Conseil de S. A. Le Khedive, Chirurgien-Conseil a l'hopital Kasr-el Aini,
Directeur du service Sanitaire des Wakfs, Directeur et Chirurgien en chef de l'hopital Abbas

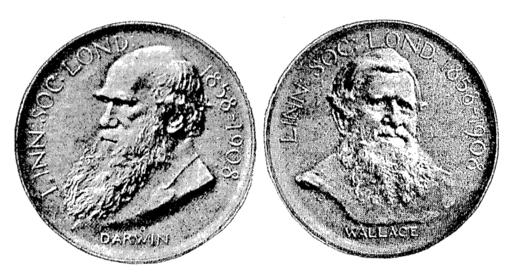
يقابل المرضى في عيادتهِ بشارع الشيخ يوسف بجهة المالية نمرة ٣٢ بجوار نظارة الدخلية وامام مصلحة الصحة العمومية يوميًا من الساعة ٨ الى الساعة ٩ قبل الظهر ومن الساعة ٣ الى الساعة ٥ بعد الظهر


لارولا
BEETHAM'S
la-rola
خير ما صنع لحفظ نضارة الشباب وحسنهِ وليس بين مواد
التطرية المستعملة في التوالت ما يعادل لارولا في حفظ لون البشرة
الصحي ونعومتها ووقايتها من فعل الشمس والهواء والماء القاسي
فانها تمنع الخشونة والاحمرار والقشف وتكسب الجلد ليناً ونعومة
وتحفظهُ سليماً على الدوام
اشترِ زجاجة من الاجزاخانة اليوم تجد فيها ما يسرك
اطلب لارولا من جميع الاجزاخانات والمخازن او من اصحابها وهم
بيتام وولدهُ بشلتنهام في انكلترا وهذا اسمهم وعنوانهم
بالانكليزية M. Beetham & Son, Cheltenham, England.
La-rola
FOR THE SKIN
COMPLEXION


طعام نسله
يصون
الطفولية
FARINE NESTLE
هو افضل جميع المركبات المستعملة لتغذية الاطفال ويشير به جميع اطباء العالم
فهو حاوي لكل المواد المغذية سهل الهضم يقوي الجهاز العصبي والعظام وهو
بالحقيقة احسن غذاء للاطفال
يباع في جميع الاجزاخانات ومخازن الادوية والبقالة في جميع انحاء القطر المصري



الفرد رسل ولس



نشان دارون وولس

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثالث والاربعين

١ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩١٣ — الموافق ٣ محرم سنة ١٣٣١

الفرد رسل ولس

ALFRED RUSSEL WALLACE

يموت كل سنة اكثر من خمسين مليونًا من النفوس ولكن تمضي السنة والسنتان والسنوات قبلما يموت رجل يذكر على ممرّ الايام والاعوام . الرجال الذين يتركون لهم اثرًا بيّنًا في علوم الناس ومعارفهم فيحفظ التاريخ اسمهم وتتداولهُ الالسنة في كل زمان قليل عددهم . فمنهم افلاطون وارسطوطاليس وابقراط وبطليموس وابن سينا وابن رشد واسحق نيوتن وباستور وداروين ورصيفهُ الدكتور الفرد رسل ولس الذي تُوفّي حديثًا

لداروين وولس اثر بيّن في كل علوم الناس في هذا العصر فلسفيَّة كانت او ادبية او طبيعيَّة . وفي كل اعمالهم زراعية كانت او صناعية او تجارية . وفي الامارة على اختلاف فروعها . فان افكار الناس اتجهت الى النشوء والجهاد لاجل البقاء وبقاء الاصلح من حين نشر داروين كتابهُ اصل الانواع وبيَّن هو وولس الاسباب الطبيعيَّة التي دعت الى نشوء انواع النبات والحيوان بعضها من بعض فانهم وجدوا ان كل تنوُّع وارتقاء في اعمال الناس والطبيعة ناشيءٌ عن اسباب مثل الاسباب التي ذكرها داروين وولس ولو كانت ثانوية

وقد امتاز ولس على داروين بانهُ لم يقف عند حد الاسباب الطبيعية لنشوء الانواع بعضها من بعض بل قال بقوة وراءها تديرها ولا سيما في نشوء الانسان اي انهُ قال بشيءٍ لم ينفهِ داروين ولا تعرَّض لهُ فقال في كتابهِ عالم الحياة الذي نشرهُ سنة ١٩١٠ وعمرهُ ٨٨ سنة ان كثرة التركيب في اجسام الاحياء يستلزم اولاً وجود قوة خالقة . ثانيًا وجود عقل مدبر ثالثًا وجود غاية خلقت لاجلها الاحياء وهي ان تتصل في ارتقائها الى الانسان غايتها الذي هو

غاية كل اعمال النشوء في الكون · لكنهُ لم يقم ادلة علمية على اثبات بعض النتائج التي استنتجها ولعل الوصول الى هذه الادلة مقدور لابناء العصر التالي ولو تعذر على ابناء هذا العصر

ولد ولس في ٨ يناير سنة ١٨٢٣ وكان لهُ اخ اكبر منهُ صناعتهُ الهندسة والبناء فجعل يساعدهُ بعد خروجهِ من المدرسة واضطر ان يجول في اماكن كثيرة ويراقب احوال الناس فرأى من ذلك الحين ان الاصلح للامة ان تكون الاراضي للحكومة لا لافراد من الاهالي كما هي الحال في بلاد الانكليز· وكان ذلك اساس الكتاب الذي نشرهُ سنة ١٨٨٢ في هذا الموضوع واعادهُ في كتاب آخر نشرهُ منذ شهرين · وكان اخوهُ من المتطرفين في آرائهم الفلسفية فاستفاد منهُ طرح القيود التقليدية التي تمنع حرية البحث وصار لا يرى غير المادة ونواميسها · ولعلَّ ذلك كان من اكبر الاسباب التي جعلتهُ يبحث عن الفواعل الطبيعية لما يرى بين انواع النبات والحيوان من الاختلاف وبين اصنافها من التباين ولكن قادهُ البحث اخيراً الى الاقتناع بوجود قوة اخرى مدبرة وراء الفواعل الطبيعية وهذه الفواعل خاضعة لها ولو عجز العلم عن اكتشافها كما يرى من كتابهِ في العجائب ومناجاة الارواح الذي الفهُ سنة ١٨٨١ وبعض الكتب التي تلتهُ من قلمهِ

واهتمَّ في صغرهِ بالتاريخ الطبيعي اي بعلمي النبات والحيوان فجمع مجموعة من النباتات وتعرَّف بالمستر باتس الطبيعي وسافر معهُ الى اميركا الجنوبية ليجمعا منها امثلة مما يرياهُ فيها من انواع الحيوان والنبات وعاد من هناك بعد اربع سنوات ونشر كتاباً وصف فيهِ رحلتهُ وما رآهُ · واتبعهُ بكتيّب في اشجار النخل التي شاهدها في الامازون وكان ذلك سنة ١٨٥٣

وذهب في السنة التالية الى جزائر ملقا في الشرق الاقصى واقام في هذه الرحلة ثماني سنوات سار فيها اربعة عشر الف ميل وزار جزائر صومطرى وجاوى وبورنيو وسلابس وملوكاس وتيمور وغينيا الجديدة وجمع منها اكثر من ١٢٥٠٠٠ مثال تحوي ٨٠٠٠ من الطيور و٩٦٠٠٠ من الفراش و١٣٠٠٠ من انواع اخرى من الحشرات · ورتَّب هذه الامثلة ووصفها وألَّف فيها كتاباً كبيراً في مجلدين طبع سنة ١٨٦٩ · وبنى عليها كتباً اخرى مثل تفرق الحيوانات الجغرافي والحياة في الجزائر

وتعرَّف بداروين سنة ١٨٥٤ وكان داروين قد انتبه الى فعل الانتخاب الطبيعي وتأثيرهِ في النبات والحيوان منذ سنة ١٨٤٢ وكتب رسالة في ذلك اطلع عليها العالمين الكبيرين السر تشارلس ليل والسر جوزف هوكر سنة ١٨٤٤ ولكن لا يظهر انهُ تكلم في هذا الموضوع مع احد آخر

ونشر ولس مقالة في سجل التاريخ الطبيعي سنة ١٨٥٥ موضوعها « الناموس الذي بموجبهِ تتولد الانواع الجديدة » ثم كتب الى دارون في هذا الشأن فلم يجبهُ دارون بما يشير الى فعل هذا الناموس. وارسل الى دارون سنة ١٨٥٨ مقالة موضوعها ميل التنوعات الى الابتعاد عن الاصل الذي تفرعت منهُ ضمنها زبدة المذهب الداروني فذهل دارون وبعث بها الى ليَل وكتب اليهِ يقول بعث اليَّ ولس بهذه المقالة وطلب مني ان ارسلها اليك وهي تستحق ان تُقرأ ولقد اصبتَ في ما قلتهُ لي وهو اني ان لم انشر آرائي في فعل الانتخاب الطبيعي سبقني اليها غيري فانظر الى هذا الاتفاق الغريب فانهُ لو اطَّلع ولس على ما كتبتهُ منذ سنة ١٨٤٢ وخلصهُ ما كان تلخيصهُ لهُ ادل على مرادي من هذه المقالة التي بعث بها الآن

ثم تليت مقالة ولس ومقالة كتبها دارون ضمنها خلاصة مذهبهِ في جمعية لينيوس الطبيعية في وقت واحد. واعترف ولس بعد ذلك بسبق دارون لهُ في هذا المضمار فنُسب المذهب الى دارون لا اليهِ حتى انهُ لما الَّف كتاباً في هذا المذهب خاصةً سنة ١٨٨٩ جعل موضوعهُ الداروينزم اي الداروينية

وفي صيف سنة ١٩٠٨ حينما تمت خمسون سنة على اعلان المذهب الداروني عيَّدت الجمعية اللينيوسية عيداً حافلاً تذكاراً لذلك حضرهُ مشاهير علماء الارض وصنعت نشاناً رسمت على احد جانبيهِ صورة رأس دارون وعلى الآخر صورة رأس ولس واهدتهُ الى ولس والى السر جوزف هوكر والاستاذ ارنست هيكل والاستاذ ادورد ستراسبرجر والاستاذ اوغسطس وَيسمن والسر فرنسيس غلتون والسر راي لنكستر. والنشان الذي اهدي الى ولس كان من الذهب والنياشين التي اهديت الى غيرهِ كانت من الفضة. وخطب رئيس الجمعية الدكتور سكوت مرحباً بالحضور فاجابهُ ولس مشيراً الى العلاقة التي كانت بينهُ وبين دارون وعن نصيب كلٍّ منهما من مذهب النشوء او الانتخاب الطبيعي وبيَّن ان هذه الفكرة اي فكرة الانتخاب الطبيعي خطرت على بال دارون قبلما خطرت على بالهِ بعشرين سنة وانها خطرت على بال الاثنين لانهما كانا كلاهما يبحثان على اسلوب واحد. ففي صباهما كانا يهتمان بجمع الحشرات ولذلك اضطرا ان يريا ما بينها من الاختلاف وان يبحثا عن سبب ذلك ثم لما كبرا عكفا كلاهما على السياحة وجمع الامثلة الطبيعية ومراقبة احوالها وذلك في اغنى بلدان الدنيا بالحيوانات والنباتات فلم يكن لهما بدٌّ من مراقبة تأثير الاقليم في تلك الاحياء واختلافها باختلاف اماكنها ونحو ذلك من الامور المتعلقة بها واخيراً لما كان عقلاهما قد أُفعما بهذه المعلومات وبما فيها من الغرائب التي يصعب حلها اتجه فكراهما الى الاسلوب الذي اوضحهُ

مالثوس لمنع زيادة السكان فكان ذلك بمثابة الفرك على عيدان الفصفور فاظهر منها نوراً هداها الى الناموس البسيط الشامل لكل ما في الكون ناموس بقاء الاصلح الذي هو السبب الفعّال لدوام التغيير والتطبيق بين الاحياء كلها

وقد استوفينا الكلام على ذلك في مقتطف اغسطس سنة ١٩٠٨

وداروِن وولس لم يكتفيا بالقول ان انواع النبات والحيوان متفرع بعضها من بعض ولو اكتفيا بذلك لما كان لقولها قيمة علمية ولكنهما جمعا ادلة لا تحصى على صحة هذا القول ولهذا السبب لا لغيرهِ نُسب مذهب النشوء اليهما لا الى غيرهما وتنازل ولس عن التسمية فخصت بداروين . ولذلك فان ارسطو او افلاطون او القزويني او الدميري او غيرهم من العلماء الاقدمين قد ذهبوا الى ان انواع النبات والحيوان متفرع بعضها من بعض ولم يعززوا ذلك بالادلة الكثيرة فلا قيمة لقولهم بل يكون من جملة الخواطر التي تخطر على بال الناس دواماً

ولولس فضل آخر في انهُ الواضع والمفصّل لعلم آخر وهو علم تفرّق الحيوان الجغرافي الذي اوضحهُ في كتابيهِ تفرق الحيوان الجغرافي والحياة في الجزائر

لكنهُ لم يتخرَّج في صغرهِ تخرُّجاً فلسفيًّا ولا علميًّا ولا عُني بالتجارب الفسيولوجية ولذلك ذهب في احد كتبهِ الاخيرة المعنون « بالقرن العجيب » الى ضرر التطعيم الواقي من الجدري وقال انهُ غير واقٍ منهُ والى صحة الفراسة ومناجاة الارواح وعزز اخيراً قول القائلين ان الارض هي مركز الكون ولا سكان في غيرها

والف كتباً كثيرة فلهُ غير ما ذكر . الانتخاب الطبيعي . الطبيعة الاستوائية . اسبرالازيا . جمل الارض اللامة . ايام العسر . التطعيم تضليل . دروس علمية واجتماعية . مقام الانسان في الكون . ترجمة حياتهِ . هل المريخ مأهول . ملاحظات نباتي . ومقالات كثيرة في الجرائد والمجلات

وقد نال وسامات علمية كثيرة ومنح وسام الاستحقاق سنة ١٩٠٨ وهو اعظم وسام عند الانكليز لا يعطاهُ الاَّ اعاظم رجالهم . وقطعت لهُ الحكومة الانكليزية منذ سنة ١٨٨١ مئتي جنيه في السنة معاشاً كما فعلت لاكبر علمائها الذين ليس لهم ثروة تكفيهم في شيخوخهم . وكانت وفاتهُ في السابع من نوفمبر

البحث الصناعي في اميركا

وقفنا على خطبة في هذا الموضوع لرئيس الجمعية الكيماوية الاميركية تلاها في اجتماعها السنوي الثامن والاربعين في مدينة روتشستر باميركا فوجدنا فيها من الحقائق والشواهد ما تظهر بهِ اسباب النجاح الصناعي والزراعي الذي نجحتهُ تلك البلاد وما يستدل منهُ على ان النجاح لا يجيءُ عفواً ولا تبلغهُ الاَّ الامم التي تسعى اليهِ جهدها وقد اقتطفنا منها ما يلي قال الخطيب : —

اشتهرت المانيا منذ عهد طويل بانها بلاد البحث العلمي . وليس من غرضي الآن ان اشرح ما نتج لها من هذا البحث لان نتائجهُ اوضح من ان تبيَّن وهي مرسومة بحروف من نور على الصخور الراسخة التي قامت عليها عظمة المانيا بين امم الارض ولا يزال امام الالمان مستقبل اعظم وامجد ممَّا بلغوهُ . والبلاد التي منطقت حقويها حديثًا وتأهَّبت لمجاراتها في هذا المضمار هي بلادنا الولايات المتحدة الاميركية بعد ان كانت من البلدان المشهورة باهمالها واسرافها . ولا غرابة في ذلك فان بلاد فرنكلين ورمفورد بلاد مكورمك وهو وهوتني بلاد اديصن ووستنهوس وبل بلاد ولبور واورڤل ريط[1] ليست بعيدة من المباحث الصناعية ولا عاجزة عن استخدامها في ما ينفع . ولكن لما كانت الارض واسعة المدى وخيراتها دانية القطوف سهلة المجتنى لم يُستغرَب اهمال السكان للسعي والكدح وتعودهم الاسراف . ولكن لما زاد عددهم كثيراً واستنزفوا الخيرات التي يسهل الحصول عليها قامت المناظرة بينهم واضطروا الى إعمال الفكرة وانضاء العزيمة فرأوا ان الكسب يقوم بزيادة المعارف . ولكن لا يزال الفريق الاكبر من السكان يجهل هذه والحقائق ويقول ان الرزق مقدور وكأنهُ ينشد بلسان القائل

كم عالم عالم ضاقت مذاهبهُ وجاهلٍ جاهلٍ تلقاهُ مرزوقا

اوكما يقول الانكليز Where ignorance is profitable, 'tis folly to be wise.

---

(١) فرنكلين (Franklin) الطبيعي ابو المباحث الكهربائية . ومورس (Morse) مستنبط التلغراف الكهربائي المستعمل الآن بكثرة ورمفورد Rumford صاحب المباحث الطبيعية الكثيرة ومكرمك M' Cormick مستنبط آلة الحصاد وهو Howe مستنبط آلة الخياطة وهوتني Whitney مستنبط آلة الحلج واديصن Edison الكهربائي المشهور ووستنهوس Westinghouse مستنبط آلة توقيف القطارات بالهواء وغيرها من الآلات وبل Bell مستنبط التلفون وولبور وارڤل ريط Wilbur and Orville Wright مستنبطا الاروبلان

واذا الجهالة انجحت اصحابها فمن الحماقة ان تكون حكيما

ولذلك فالبحث العلمي الصناعي في اميركا لا يزال طفلاً ولكنهُ كالطفل هرقل الذي يقال انهُ اهلك الافاعي ودل وهو طفل على ما سيصل اليهِ متى شبَّ

فالبحث العلمي الصناعي الذي انتج اتقان آلات الزراعة قلل نفقات سبعة مواسم ٦٨١ مليون ريال او اكثر من ١٣٦ مليون جنيه بالنسبة الى ما كان ينفق عليها منذ خمسين سنة

والبحث العلمي الصناعي الذي انتج اتقان عمل الاحذية والآلات التي تُعمل بها جعل الاحذية الاميركية تنتشر في كل اسواق الدنيا

والتلفون اختراع اميركي وصناعة اميركية وفي مدينة نيو يورك وحدها الآن ٤٥٠٠٠٠ تلفون اي مضاعف ما في مدينة لندن . وشركة التلفون والتلغراف الاميركية تنفق سنوياً على اتقان التلفون والتلغراف اكثر من دخل كثير من المدارس الجامعة

واسم اديصن في كل بيت وبكل لسان . مصابيحهُ الكهربائية تنير بيوتنا وفونوغرافهُ ينقل اصوات الاغاني الايطالية الى غابات افريقية واصقاع السكا وسيناتوغرافهُ يرينا صيد الاسود في قلب المدن

والاوتوموبيل ابن الامس لكنهُ بلغ من توسع الاميركيين في عملهِ ان معملاً من معاملهم يصنع ٥٠٠ اوتوموبيل في اليوم ومعملاً آخر يصنع اوتوموبيلين في الدقيقة وكلها من الاوتوموبيلات الرخيصة الثمن . وغنيٌّ عن البيان ان اصحاب هذه المعامل انفقوا النفقات الطائلة على البحث العلمي الذي اوصلهم الى استنباط ما يلزم من الآلات والادوات لعمل الاوتوموبيل بهذه السرعة الفائقة . ويقال ان معملاً واحداً من معامل اطارات اللستك ينفق مئة الف ريال في السنة على البحث العلمي الصناعي

وما من فرع صناعي ينظر اليهِ الاميركيون بعين الافتخار وهو احق بالفخر من استخدامهم شلال نياغرا لتوليد الكهربائية والقوة واستخدامها في الصناعة . واول صناعة استخدموها فيها هي سبك معدن الاليومينيوم . فان هذا المعدن اكتشف في المانيا سنة ١٨٢٨ وكان استخراج الرطل المصري منهُ يقتضي تسعين ريالاً سنة ١٨٥٥ فهبط الى ١٢ ريالاً سنة ١٨٨٦ . والطريقة الاميركية خفضت النفقة الى ٤ ريالات سنة ١٨٨٩ . ثم اكتشف هول في اميركا وهرولت في اوربا ان الكريوليت يُصهر بسهولة بحرارة معتدلة ومتى صُهر اذاب الاليومينيوم كما يذيب الماء الغالي السكر والملح . وفي اواسط سنة ١٨٩٥ شرعت شركة بتسبرج تستخرج الاليومينيوم بواسطة الكهربائية المستخرجة من شلال نياغرا فهبط

ثمنهُ حتى صار ثمن الرطل منهُ نحو اربعة غروش ونصف غرش سنة ١٩١١ وبلغ المستخرج منهُ حينئذٍ في السنة ٤٠ مليون رطل

ومن هذا القبيل عمل السنباذج الصناعي Carborundum والبلمياجين الصناعي وكربيد الكلسيوم ونحو ذلك من المواد وكلها تصنع بآلات تديرها قوة الماء المنحدر من شلال نياغرا

واهم من ذلك كلهِ البحث العلمي الصناعي الذي آل الى اتحاد نيتروجين الهواء بالكلس ونحوهِ من المواد لتركيب السماد الكيماوي والنترات على انواعها

واستنباط غايلي لاستعمال الهواء الجاف في الاتانين قلل نفقات سبك المعادن ١٥ مليون ريال الى ٢٩ مليون ريال سنويًّا في اميركا وقد بيَّن الاستاذ شندلر ان استعمال الهواء الجاف زاد مقدار المعادن المسبوكة عشرة في المئة بتقليل الوقود

في اميركا منجم كبريت عمقهُ الف قدم تحت سطح الارض وفوقهُ طبقة من الرمل سمكها ٥٠٠ قدم وقد حاولت شركة نمسوية وشركة فرنسوية وشركات كثيرة اميركية استخراج هذا الكبريت فعادت كلها بالفشل فجاء احد العلماء سنة ١٨٩٠ وارتأى ان يصهر الكبريت في مكانهِ بان يغلى الماء فوق درجة الغليان وينزَّل اليهِ الكبريت بانابيب كبيرة فيها انابيب داخلية ثم يرفع الكبريت المصهور بالطلمبات وفي التجربة الاولى استعمل آلة بخارية قوتها ١٥٠ حصانًا والآن يصهر هذا الكبريت ويرفع الى وجه الارض بقوة الهواء المضغوط من غير طلمبات . وهناك بئر واحدة يستخرج منها كل يوم ٤٥٠ طنًّا من الكبريت ويستخرج من الآبار كلها اكثر من مقطوعية المسكونة كلها . فالكبريت الذي كان فوقهُ طبقة من الرمل سمكها ٥٠٠ قدم ويتعذر الوصول اليهِ بسببها وصل الاميركيون اليهِ بحيلهم العلمية وغنوا بها العالم عن كل ما فيهِ من مناجم الكبريت

ومن هذا القبيل توصل العلماء الاميركيين بالبحث العلمي الصناعي الى تنقية بترول كندا واوهيو من الكبريت الذي كان يخالطهُ فانهم جعلوا يستقطرونهُ مع اكسيد النحاس فيتحد النحاس بالكبريت ويتنقى البترول منهُ ويخرج مثل اجود انواع البترول الخالية من الكبريت ثم يشوى كبريتيد النحاس فيطير منهُ الكبريت ويستخرج النحاس الصرف والآن يستخرج من آبار اوهيو ٩٠٠٠٠ برميل من البترول النقي كل يوم وثمن البرميل من البترول غير النقي ٢٨ مليماً ومن النقي عشرون غرشاً فما يستخرج في اليوم يزيد ثمنهُ بهذه الواسطة اكثر من ٧٧ الف ريال

لا تزال الولايات المتحدة الاميركية بلاداً زراعية والزراعة اهم معايشها وتبلغ قيمة مزارعها او املاكها الزراعية اثنين واربعين الف مليون ريال او ٨٤٠٠ مليون جنيه وكل يوم تزيد هذه القيمة ملايين من الريالات ولذلك فاهمّ اعمال الحكومة في البحث العلمي الصناعي مرتبط بالزراعة وعندها عشر دوائر مختلفة لهذا البحث وكلها متجهة الى جهة واحدة وهي زيادة الكسب من الزراعة و يعرف اتساع اعمالها من انها انفقت على طبع مطبوعاتها فقط في السنة المالية التي انتهت اخيراً ٤٩٠٠٠٠ ريال ورجالها منتشرون في كل الدنيا وتبلغ نفقاتهم في السنة ملايين كثيرة من الريالات . فدائرة البحث في التربة ودائرة البحث في النبات ودائرة البحث في الحيوانات ودائرة الاهتمام بالغابات زادت ثروة البلاد الوف الملايين من الريالات . ودائرة الكيمياء عميمة النفع في اهتمامها بمنع الاطعمة المغشوشة او الفاسدة و يتصل نفعها بكل احد كل يوم سواء كان في منع الطعام المغشوش او في منع الاطعمة الفاسدة من مناظرة الاطعمة السليمة . ودائرة الطرق العمومية تبحث بحثاً علمياً صناعياً عن افضل السبل لرصف الطرق رصفاً يمنع تحفرها ولانشاء الكباري

وفي كل ولاية من الولايات ادارات مخصوصة للمباحث الزراعية تنفق عليها نفقات طائلة فتستفيد منها فوائد لا تقدَّر . فدائرة البحث الزراعي في كاليفورنيا خصَّ بها ارض مساحتها ٥٤٠٠ فدان ولها بناء بلغت نفقات اقامته مليون ريال وقس على ذلك دوائر البحث الزراعي في سائر الولايات

وما يقال في دائرة الزراعة يقال في دوائر الصيد والمعادن والتجارة وما اشبه فانها كلها تستخدم كبار العلماء والباحثين وتنفق النفقات الطائلة في سبيل المباحث العلمية الآئلة الى زيادة الثروة والقوة ومنع الاسراف والتبذير في استعمال خيرات الارض وقواها

والشركات الكبيرة والبيوت التجارية تفعل فعل الحكومة من هذا القبيل في استخدامها لكبار الكيماويين والباحثين وانفاقها النفقات الكثيرة في سبيل البحث العلمي الصناعي وقلما ينقص ما تنفقهُ الشركة من هذه الشركات في هذا السبيل عن ٣٠٠٠٠٠ ريال في السنة . وشركة الفولاذ تنفق على المبحث في فرع واحد من فروعها هذا المبلغ

ولا تقل نفقات المدارس الكلية والجامعة على المباحث العلمية الصناعية عن نفقات الحكومة والشركات في هذا السبل وكلها ترمي الى غرض واحد وهو زيادة الثروة والقوة وتقليل التلف والتبذير فلا عجب اذا نال الاميركيون اكبر سهم من الثروة والمنعة ورأينا كثيرين منهم يعتزلون الاعمال في كهولتهم و يضربون في البلدان للنزهة

مبدأ الاتصال

تتمة خطبة السر اوليڤر لدج رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني

البيولوجيون (علماء الحيوان) في موضوعهم نعم العلماء واشتغالهم بهِ يثير الغيرة والرغبة في نفس كل من يرشدونهُ الى مشاركتهم في البحث · والاكثرون منهم ينصبّون على البحث بتضييق نطاقهِ لا بالتوسع فيهِ حتى يشمل ما يتصل بهِ كأن التوسع في البحث لا يلتئم مع التدقيق وامعان النظر ولذلك ينكبون عنهُ · وقد يكونون مصيبين في حكمهم ولكن انكار المباحث الاخرى ليس الذنب فيهِ عليهم بل على من يفسر اقوالهم بغير معناها و يتخذها حجة ودليلاً في امور لا علاقة لهم بها · وليس هذا سبيل من يتوخى فهم حوادث الكون باوسع معانيهِ ولا هو سبيل العلماء لان هؤلاء يعلمون ما صار معروفًا وما لا يزال مجهولاً فيعتمدون على الاول ويحسبون حساب الثاني ولا ينفونهُ ولا يتخذون عمل عالم مشتغل بعلم واحد مفتاحًا لتفسير معنى الكون كلهِ

من الامور التي يُرى انها مؤكدة ان ظواهر الحياة لا تظهر في ارضنا من غير مادة ولذلك قيل « ان المادة تتضمن كل الصور التي تظهر فيها الاحياء » اذا كان المراد بذلك ظواهر الحياة الارضية فالقول صحيح لا غبار عليهِ لانها لا تظهر الا بواسطة المادة · وقد قيل انهم « لا يرون في الجسم الحي غير نواميس الكيمياء والطبيعيات » · وهذا صحيح ايضًا لان الذين قالوا هذا القول كانوا يبحثون عن المظاهر الكيماوية والطبيعية التي في الاجسام الحية ولم يكونوا يبحثون عن الحياة بالذات اي عن الحياة والعقل والوجدان — بل كانوا قد اخرجوها من بحثهم · المادة هي التي ندرك وجودها بحواسنا والبحث المادي من متعلقات العالم المادي لا كفلسفة بل كسبيل للبحث وكل ما سواهُ هو من مدار آخر يُوصل اليهِ باساليب اخرى · فيستحيل علينا ان نفسّر الامور النفسية بالنواميس الطبيعية والكيماوية ولذلك يميل البعض الى نفي وجودها الاَّ كشيء عارض ولكن هذا النفي ليس من العدل في شيء

فاذا قام المشتغلون بالعلم ونفوا وجود ما يخرجونهُ من بحثهم وجب ان لا نقبل قولهم بل نعترض عليهِ بما نراهُ من الاختبار فاننا احياء وفينا حياة وعقل ووجدان · نعلم ذلك مباشرة لا بقول قائل ولا بناء على تجربة مجرّب ويعلمهُ كل ابناء نوعنا · والولادة والموت والتزاوج ليست من مباحث البيولوجيين بل من مباحث الانسانية وقد كان الناس يعلمون بها قبلما فهموا

حقيقتها وقبلما عُرف شيء من قواعد العلوم الطبيعية . ان علماء الطبيعة وعلماء النفس وغيرهم يجرّبون تجاربهم في الناس فيبينون كيفية هضمنا للطعام وما يرافق الارادة والشعور والتفكير من الافعال المادية ولكنهم لا يصلون الى ما يتسلط عن الارادة والشعور والتفكير

اذا قال لكم احد الفلاسفة انكم غير موجودين او ان العالم غير موجود او انكم آلات مجردة لا ارادة فيها وكل افعالكم نتائج اسباب خارجية وانتم غير مسؤولين عمَّا تفعلون فلا تقبلوا قولهُ كحقيقة مقررة بل اسألوا عن صحتهِ اثني عشر شاهداً عدلاً من الذين لم تتقيَّد عقولهم بدرس موضوع واحد . كثيراً ما يخطئ الانسان في تفسير ما يراهُ وفي استنتاج النتائج منهُ ولكن لا مانع يمنعهُ من ان يبني حكمهُ على الحوادث المجرَّدة التي يختبرها بنفسهِ . قد نخطئ في حقيقة ما نراهُ فنرى النجوم على كبرها نقطاً صغيرة في كبد السماء ولكن لا يحتمل اننا نخطئ في قولنا اننا نراها . ومثل ذلك معرفتنا بوجود الوجدان والارادة فينا فاننا نشعر بوجودهما كما نشعر بوجود الحركة والقوة

العامي لا يفهم اسلوب الرؤْية اي الافعال الطبيعية التي تحدث بها فلا يعلم انها نوع من نقل التموجات بواسطة الاثير ولا يعلم شيئًا عن الاثير وتموجاتهِ او نبضاتهِ وعن شبكية العين وما فيها من الاعصاب ولا عن اعمال الاعصاب والدماغ ولكنهُ ينظر ويسمع ويلمس ويريد ويفتكر ويشعر . وهذا ليس من قبيل الاخذ بقول العامة وترك قول الفلاسفة بل هو من قبيل الاخذ باختبار الناس مدة قرون لا تحصى

كيف اتصل الوجدان بالمادة . وكيف تتسلط الحياة على القوى الكيماوية والطبيعية . وكيف تتحول الحركات الميكانيكية الى شعور . هذه كلها امور عويصة ولا بدَّ من درسها قبل الوصول الى حلها . ولكن لا شبهة في وجودها . وما صعوبة حلها بدليل على نفيها . لا محل للحياة والعقل في علم الفسيولوجيا ولكن لهما محل في غيرهِ من العلوم . ولا يحسن بنا ان نخرج امراً من الامور من دائرة البحث قبلما نبحث فيهِ . فالاثير لا نشعر بهِ بمشاعرنا ولذلك جعل البعض يقولون انهُ غير موجود . وكثيراً ما يقال هذا القول عن العقل . والحياة لا ترى في المعامل الكيماوية الاَّ بمظاهرها الطبيعية والكيماوية ولكن لا نجد لنا مندوحة عن القول بانها ترشد الاعمال الطبيعية او انها تفعل بغيرها ولا تنفعل

ولا حاجة بنا الى البحث في الاحياء الميكروسكوبية او غيرها من الحيوانات غير المألوفة اذا اردنا فهم افعال الحياة بل حسبنا ان نلتفت الى انفسنا وننظر في افعالنا كاجسام حيَّة فان كل شيء موجودٌ ووجودهُ ينقض نفي الموجودات بنوع عام . واذا كان العقل والارشاد

والقصد غير موجودة كلها لاننا لا ندرك وجودها بمشاعرنا فكيف نرى العالم اذا حُجب سائر الناس عن بصرنا و بقيت نواميس الطبيعة جارية مجراها

لنفرض ان كائناً من الكائنات رأى هذه الارض وكل ما هو جار فيها من الاعمال ولكنهُ لم يستطع ان يرى الناس الذين فيها فانهُ يصف الاعمال التي يراها كما نصف نحن اعمال الحياة . يلتفت الى كبري (جسر) الفورث (1) مثلاً فيرى بغلاتٍ (ركائز) تصعد من الماء وتتفرع من اعلاها حتى تلتقي الواحدة بالاخرى وينصب فوقها جسر متصل من الضفة الواحدة الى الضفة الاخرى وتدبُّ على هذا الجسر اشياء كالحشرات من طرف الى طرف لغير سبب ظاهر . او يلتفت الى النيل ويرى فائدتهُ للقطر المصري ثم يرى شيئاً يتولد على احدى ضفتيهِ فوق اصوان والحجارة الكبيرة تقلع من الارض وتطير في الجو ثم يقع احدها الى جانب الآخر حتى يتكون من ذلك سد منيع يسد مجرى النيل من الضفة الواحدة الى الضفة الاخرى . باي قوة نهضت تلك الحجارة ووقعت في اماكن مخصوصة . يقول لا داعي للتفتيش عن قوة خارجة عن نواميس الميكانيكيات والطبيعيات ولا صعوبة في تعليل انتقال القوة فان اطعمةً كانت في آنيتها وفيها قوة مذخورة وهذه القوة اتصلت الى الحجارة فاقتلعتها ونحتتها ونقلتها وبنت بها سد اصوان ولم تخلَّ بناموس من النواميس الطبيعية . وليس في هذا العمل شيء من بُعد النظر لان السد رفع ماء النيل فملأ ارضاً واسعة واتلفها وغمر بناء جميلاً وسدَّ طريق الملاحة لو لم يتفق ان بقيت في السد عيون ينصبُّ منها الماء رويداً رويداً فيروي اراضي القطر المصري ريًّا زاد انتظامهُ عمَّا كان قبلاً

وان قلنا لهُ ان مهندساً انكليزيًّا اسمهُ بنيامين باكر كان مقيماً في لندن لهُ يد في بناء هذين السدين قال لنا انكم تقولون المحال ويكفي لفساد قولكم ان هذا الرجل لم يكن موجوداً عند نهر الفورث ولا في وادي النيل والشيء لا يفعل حيث لا يوجد . وان كنا نرى ان الحل الحقيقي الذي يجب ان يلجأ اليهِ ذلك الكائن الذي رأى كبري الفورث وسد اصوان ببنيان هو ان الباني لهما قوة لا يراها او فاعل لا يراهُ . نعم ان نسبة الاعمال الى عامل مجهول غير محدود كالقوة الحيوية لا يفيد معنى محدوداً واما نسبتها الى القوى الميكانيكية والطبيعية التي يمكن قياسها فاقرب الى الفهم ولكن القوى الميكانيكية وحدها لا تكفي

والذي نراهُ في هذين المثالين هو اشتراك العقل مع المادة اشتراكاً فعليًّا واضحاً اي

(1) نهر في اسكتلندا عليهِ كبري (جسر) كبير هندسهُ السر بنيامين باكر الذي هندس سد اصوان

استخدام خواص المادة والقوة لمقاصد قصدها العقل وتمَّت بحركة عضلات ارشدتها الارادة

قد يقال لنا ان هذا التمثيل لا ينطبق على ما نحن فيهِ لان كبري الفورث وسد اصوان رسمت لها الرسوم واقيما لاغراض معلومة واشتغل العقل باقامتها فلا مشابهة بينهما و بين الاعمال الآلية الذاتية

اما البيولوجيون المتطرفون الذين انتقدتهم فيقولون او يجب ان يقولوا اذا لم يحيدوا عن مبادئهم انهُ لا يوجد غير عمل الكيمياء والطبيعيات في كل مكان وان الاعمال العقلية الظاهرة في ذينك البنائين وهمٌ خادع او عرَض مفارق وان النواميس الكيماوية والطبيعية كافية لعمل كل الاعمال

نعم انها تعمل وتكفي للعمل ولكن الى حد محدود. فبها نعلل احمرار الشفق وارتفاع الجبال وكثيراً من مظاهر الاحياء. ولكن هل يُعلَّل بها كل شيء تعليلاً تاماً هل يمكننا ان نعلل بها شعورنا بالسرور والابتهاج وادراكنا محاسن الطبيعة وظهورها فيها. الاَّ تدلُّ هذه الامور على وجود شيء اقتضى كل هذا الجهاد في الكون

لا شبهة ان في للاشياء الطبيعية معنى اسمى من المعنى الذي يظهر لها وان ما نسبهُ اليها من المعاني والاغراض ليس هو كل المراد بها. اذا نظرنا الى ريشة من ريش ذنب الطاووس وتأملنا كل زغابة من زغبها وما فيها من الالوان المختلفة التي تتم مع غيرها العيون الملونة التي ترى في ذنب الطاووس او اذا نظرنا الى كل شعرة من شعر حمار الوحش المخطط وعلمنا انها بما فيها من الالوان تتم مع غيرها خطوط بدنهِ اي ان كل زغابة من زغب ريش الطاووس وكل شعرة من شعر حمار الوحش مصنوعة وملوَّنة لكي يتم بها الشكل البديع الذي يرى في ريش الاول وجلد الثاني صعب علينا ان نفسر كيف انتظمت تلك الالوان بفعل ميكانيكي محض كما يصعب علينا ان نقول ان قناطر كبري الفورث نشأَت وانحنت من نفسها بفعل ميكانيكي وحجارة خزان اصوان قلعت ونُحتت وسارت الى المكان الذي بنيت فيهِ من نفسها بفعل كيماوي. نقول ان الازهار تغري الحشرات بالوانها لكي تكون واسطة لتلقيحها. والاثمار تغري الحيوانات بطيب طعمها لكي تأكلها وتفرق بزورها. وهذان التعليلان صحيحان ولكنهما لا يفسران كل ما يتعلق بالاثمار والازهار فان جمال الازهار لا يلزم كلهُ لاغراء الحشرات ولا لتعليل تلقيح الازهار. وتفريق الاثمار لا يكفي لتعليل الجهاد الذي نراهُ بين الاحياء. لماذا تجاهد الاحياء لاجل حياتها لا بدَّ من سبب لذلك ولا بد من غرض يرمي اليهِ ارتقاء الاحياء. وهنا نصل الى غرض الوجود ومعنى النشوء

لقد عُلمت الوسائل التي تستعملها الموجودات لحفظها او علم بعضها على الاقل ومنها الانتخاب الطبيعي . ولكن ان كان الغرض من جمال الازهار اغراء الحشرات فما الغرض من جمال الغيوم ومناظر الجبال والوهاد وما فائدته . والعلوم الطبيعية لا يهمها الجمال ولكن الجمال موجود لا ينكر وليس من غرضي البحث في ذلك ولكنني ارى انهُ يجب عليَّ ان اذكّركم واذكّر نفسي ان ما عرفناهُ لا يتناول كل ما معرفتهُ ممكنة او كل اسرار الكون واذا تبعنا خطَّة الانكار وقلنا اننا نستطيع ان نرد كل شيءٍ الى نواميس الكيمياء والطبيعيات قيَّدنا انفسنا بقيود ضيقة وحرمنا عقولنا ممَّا هو حق واجب لها . وخير من ذلك ان نقف بالاحترام موقف الشاعر الشرقي ونقول معهُ

الكون نحوكَ خاشعاً متذلّلاً ونجومهُ في فُلْكها بَكْماءُ (١)

قوانا محدودة . حواسنا لم تألف الاَّ المادة التي نشعر بها . ولا شيءَ غيرها نستطيع ادراكهُ . وعضلاتنا واعصابها صالحة لتحريك المادة في الجهة التي نختارها . ولا نقدر ان نفعل شيئاً آخر في العالم المادي . ودماغنا واعصابنا تربطنا ببقية العالم الطبيعي . فحواسنا تنبئنا بحركات المادة واوضاعها . وعضلاتنا تمكّننا من تغيير تلك الحركات والاوضاع . هذا جهازنا لحياتنا الارضية وما تاريخ الانسان سوى اخبار ما فعلهُ بهذه القوى اللطيفة التي أُعطيها

ودماغنا الذي يربطنا بغيرنا من العالم المادي على اسلوب لا يُعلَم حتى الآن ظنَّ البعض انهُ يفصلنا عن العالم العقلي الروحي الذي نحن منهُ فعلاً ولكننا فُصلنا عنهُ لزمن وجيز ولسبب خاص . اتصالنا بالمادة مفيد لنا من بعض الوجوه وفيهِ عقبات ومصاعب ولكنها لا تخلو من الفائدة لانها تدعونا للجهاد واعمال العزيمة

بالمادة يعرف كلٌّ منا بوجود الآخر وبها نتخاطب مع الذين افكارهم تشبه افكارنا من حيث التعبيرُ عنها بما نعبر بهِ نحن عن افكارنا إما بحركات تموجية كما في الكلام والغناء او بتوزيع دقائق المادة كما في الكتابة والتصوير فنتخاطب ونتفاهم . وقد الفنا هذه الوسائل حتى صرنا نحسبها هي وامثالها الوسائل الطبيعية الوحيدة للتخاطب والتفاهم وان كل وسيلة غيرها يصل بها المراد من عقل الى عقل مباشرة خرْق لحرمة العلم

نعم ان اجسامنا هي الوسائل العادية لاظهار انفسنا الواحد للآخر ما دمنا في هذه الحياة الدنيا . واذا ايفت الاعضاء التي نفعل بها افعالنا المادية صعب علينا التعبير عن افكارنا واظهار

(١) [المقتطف] الترجمة الحرفية « العالم يقف خاشعاً وعيناهُ تنظران الى قدميك ونجومهُ صامتة كلها » ولا ندري من اي لغة شرقية هو فنظمناهُ بما تقدَّم

مقاصدنا . وللجلاء ذلك صرنا نظن ان وسائل التفاهم هذه هي كل الوسائل التي في حيز الوجود وانَّا لسنا سوى آلات ميكانيكية يُعرَف بها وجودنا . ثم اننا نعلم ان الآلات تستخدم القوى المعروفة وهي خاضعة لكل نواميس الكيمياء والطبيعيات وعلى ذلك نبني حكمنا على ماهيتنا وعلى استحالة وجودنا مستقلين عن هذه الاحوال الزمنية والافعال المادية . وليس لنا سلطة الاَّ على الاجسام المادية ولا نعرف وجود غيرها معرفة فعلية ولا نرى ان لنا اتصالاً فعليًّا بغيرها فكل ما نستنتجهُ مما يتعلق بها قد يكون صحيحاً . ولكن اذا تخطينا هذا الحد وانكرنا وجود عالم آخر غير العالم المادي الذي نعرفهُ لان ليس فينا مشاعر تشعر بهِ او لانهُ مالئُ كل شيء كالاثير حتى يتعذَّر الشعور بهِ فنكون قد حرمنا قوانا مما تستطيعهُ واستعملناها لإِهلاكنا

ولكن اذا تعلمنا من العلوم الطبيعية ان النشوء امر فعلي فنكون قد تعلمنا علمًا كبيراً لان النشوء حقيقة ثابتة لا غش فيها والعالم يرتقي بمرور الزمن . والزمان والمكان والمادة امور مجردة ولكنها حقيقية اثبتها الاختبار والزمان محور النشوء

كم من قرون قد خلت حتى تفتَّقت الازاهرْ

اننا نجرّد من الاشياء الحية المتحركة صورة كلية نسميها مادة ونجرد من توالي الحوادث امراً نسميهِ زماناً ومتى اتحد هذان المجردان وفعلا وتفاعلا قلنا انهما شيءٌ يقيني . والنشوء يقتضي ان يكون الزمان شيئاً يقينيًّا فاذا لم يكن كذلك اي اذا كان الزمان فرضاً لا حقيقة لهُ انتفى النشوء

وعندي ان الوجود المادي كلهُ انتقال مستمر من الماضي الى الحاضر والفعلي منهُ انما هو اللحظة التي نحن فيها فالماضي موجود لم يتلاشَ ولكن وجودهُ في ذاكرتنا والمادة سجلٌ لهُ والحاضر مبني عليهِ والمستقبل متولد من الحاضر وهو نتيجة النشوء

والوجود كلهُ مثل ثوب منسوج على نمط معلوم . تضع ورقة مخرّمة في نول الزمان حسب الاشكال التي تريد ظهورها في النسيج فيأتي النسيج جميلاً او قبيحاً حسب انطباقهِ على الرسم المرسوم او مخالفتهِ لهُ . وعندي ان هذا هو سبب ما يرى من الخلل في اعمالنا ولا بدَّ من ذلك ما دمنا احراراً

فكون الانسان حرًّا ليحُسن او ليسيءَ ليس من الاوهام الباطلة بل هو حقيقة ثابتة[1] والعقلاء مسؤولون عمَّا يفعلون ومتى اتَّسع الاختبار مهلت معرفة ما ينسج ولو لم يكن

(١) وهذا يوافق قول الشاعر

ما مضى فات والمستقبل غيب ولك الساعة التي انت فيها

شكلهُ مقدوراً محتوماً. وما من شيء يتعذر تغييرهُ الاَّ مرور الزمن . النسيج لا بدَّ من نسجهِ ولكن شكلهُ غير محتوم ولا معيَّن

اذا كان البحث محصوراً في المادة غير الآلية فقط فكل شيء متحتم وجارٍ على نمط واحد ولكن حالما يدخل الشعور في المادة تظهر فيها قوًى اخرى وتؤَثر اميال الجزء الحاوي للشعور في بقية الجسم . ويكون الارشاد حينئذٍ من الداخل لا من الخارج ويبقى الارشاد داخلياً على الدوام . وما نحن سوى جزء صغير من هذه القوة المرشدة ولكننا لسنا جزءًا يُستخفُّ بهِ

والارتقاء حسب سنة النشوء امر واقعي كبير الشأن . وما اجتهادنا في اصلاح حال المجتمع الانساني الاَّ فرع من فروع النشوء العام فرع ذو شعور يعلم ما ينو بهِ وما يرمي اليهِ ولذلك فالنشوء غير خالٍ من القصد لاننا نحن جزء منهُ والقصد ظاهر في اعمالنا ونحن شاعرون بهِ

إما اننا خالدون او غير خالدين وقد لا نعلم مصيرنا ولكننا نعلم ان لنا مصيراً ونحن صائرون اليهِ . والذين ينكرون ذلك معرَّضون للخطإ مثل الذين يثبتونهُ لان الإنكار إثبات في صورة سلبيَّة . والناس ينظرون الى رجال العلم مرشدين بهم فيجب عليهم ان يحذروا من تضليل الذين يلقون اعتمادهم عليهم . وقد لا يستطيع العلم ان يكشف مصير الناس ولكن يجب ان لا يلقي الحجب عليهِ حتى يتعذَّر اكتشافهُ . والاشياء هي هي سواء عرفناها او لم نعرفها فاذا تسرَّعنا في الحكم ونفيناها فلا بدَّ من ان يكتشف الخلف خطأَنا اذا اهتمَّ بنا . واننا من الذين يعتقدون ان العلوم الطبيعية ليست محدودة في مدارها كما يظن البعض وانهُ يمكن التوسع فيها والوصول بها الى العالم الروحي واكتشاف نواميسهِ . دعونا نحاول ذلك . انصفونا وامهلونا . دعوا الذين يفضلون البحث المادي يجرون في مباحثهم على ما يريدون ولكن لا تمنعونا من البحث في العالم الروحي ولننظر لمن يكون الفوز اخيراً . اساليبنا في البحث مثل اساليبهم ولو اختلفت مواضيعنا عن مواضيعهم فلينصف كلٌّ منا الآخر ولا يحتقرهُ

هل البداهة والالهام من الحقائق او من الاوهام . يقول البعض هذا ويقول البعض ذاك ولكن لا يجوز انكارهما من غير دليل ولاسيما لان ادلة اثباتهما قد تكون خفيَّة او مجهولة لا تظهر في هذا الزمن . وللامور الباطنة وجود فعلي ولو لم تكشف علاقتها بالعلوم الطبيعية حتى الآن . وهي مخالفة للعلوم الطبيعية ولكنها غير مناقضة لها . وكل ما لهُ وجود فعلي يجب ان يكشف وجودهُ ويبحث فيهِ بالوسائل الصالحة لهُ . وان كانت الاصوات التي

سمعها سقراط وسمعتها جان دارك حقيقية فهي مما يمكن ادراكه

ومع اني اتكلم بلسان اهل العلم الطبيعي كممثل للعلوم الطبيعية لا احجم عن ذكر خلاصة اعمالي في المباحث النفيسة التي توليتها منذ ثلاثين سنة الى الآن · وليس هذا محل للتفصيل ولا لذكر الحوادث التي هزأ بها بعض اخواني العلماء ولكنني لا انسى ان القول الذي اقوله يجب ان لا يلقى على عواهنه لانهُ لا ينسى بل يبقى وينتقدهُ اناس يأتون بعدنا ويكونون اوسع علماً منا فرئيسكم الواقف امامكم غير مقيد بما يراه العلماء الآن · ويقضي عليَّ الانصاف لنفسي ولرصفائي ان أتعب سامعيَّ باثباتي اعتقادنا بان بعض الحوادث التي يقال انها من قبيل الوهم يمكن البحث فيها بالاساليب العلمية بل ان بعضها اقنعني بان الذاكرة والمحبة ليستا خاصتين بالمادة لا تظهران الاَّ بها في هذه الدنيا وان ذاتية الانسان تبقى بعد ما يموت جسده.

وقد ثبت لي ان النفس المجرَّدة عن الجسد قد تؤَثر فينا في بعض الاحوال ونحن في الجسد فتصير موضوعاً للبحث العلمي واننا نرجو ان نبلغ يوماً ما الى فهم شيء من احوال وجود اعظم من وجودنا هذا ولعلهُ اثيري ونفهم ايضاً طرق التخاطب معهُ · ولقد تجشم بعض الباحثين مشقة البحث في هذا الموضوع على صعوبته

وعندي شيء آخر اقولهُ · وهو ان اساليب البحث الطبيعي ليست كل الاساليب التي يمكن الوصول بها الى الحقائق ولو كانت هي اساليبنا المعروفة التي نعتمد عليها

لا يزال كثيرون من رجال العلم معادين للعلوم الدينية بسبب تطرُّف اصحابها الذي عانى اسلافنا الشيء الكثير منهُ فانهم اضطروا ان يجاهدوا لكي يتاح لهم البحث عن الحقائق حسب الطريقة التي ارادوها · وذلك الجهاد كان امراً ضرورياً ولكن بقيت منهُ في النفوس آثار سيئة احدها هذه الكراهة بل هذه العداوة للامور الروحية

ولا يحق لنا ان نقول ان الناس لم يشرعوا في معرفة الحقائق الاَّ منذ بضعة قرون فان ما كان يدركهُ ذوو القرائح الوقادة كالشعراء والانبياء والاولياء قبل عصر العلوم الطبيعية لهُ شأن كبير لا ينكر · ولا شبهة في ان اولئك الرجال وصلوا الى اعماق النفس ولكن الكتبة والفريسيين او مهما كان اسمهم لم ينظروا نظرهم فاضطهدوهم ورجموهم بجهلهم وعنادهم واخيراً عقد النصر لنا في هذا العصر الجديد فالتقطنا الحجارة التي رُجم بها اسلافنا وقد يحملنا الحمق على اقتفاء خطوات راجميهم · فلا نرتكبنَّ ما ارتكبوهُ من الخطإ حاسبين ان سبيلنا هو السبيل الوحيد لاستجلاء غوامض الكون وكل ما سواهُ جهل وضلال · فان الكون اوسع جداً مما نظن ولا تكشف خفاياهُ كلها بطريقة واحدة

ايها الاخوان لقد أُتمنّا على حقائق العالم الطبيعي كما كشفها العلم الطبيعي فلنكن امناء على ما ائتمنّا عليهِ

الدين الحق اصولهُ راسخة في اعماق النفس وفي حقائق الاشياء ولا عجب اذا لم نصل اليهِ باساليبنا العلمية لان اعمال الله كلية شاملة غير محصورة ولا مقيدة ونحن لا تصل اساليبنا العلمية الا الى معرفة الجزئيات فلا ندرك الاشياء الا اذا رأينا فيها تغيراً او توقفاً او انفصالاً . ونحن صمٌ عميٌ عن كل عظمة ذاتية ما لم نقوِ بصيرتنا حتى نرى في ثوب الوجود الخارج من نول الابدية حلّة اله سرمدي سائرة نحو الكمال

المرأة والعمل

لا شيء أدعى الى حيرة المتأمل في نظام هذا الاجتماع من جمعهِ بين طرفي الافراط والتفريط من ضروب المتناقضات . فمن نظر الى حال المرأة في نظام هذه المدنية الحديثة لا يسرُّهُ من ارتقائها امر حتى تبكيهِ من انحطاطها امورٌ كأن ناموس رد الفعل في شأنها آخذ مأخذهُ على اقوى تأثير واشد ظهور . فانها ما كادت تنشط من عقال ذلك الذل القديم والاستعباد الذميم وتنشق نسيم الحرية في رياض الامال حتى اعادتها الحضارة الاوربية الى مظالم من القسوة والغلاظة تعبث بكرامتها المعنوية وتفسد هيكلها الملكي اللطيف افساداً لا بُدَّ ان يُفضي دوامهُ الى انحطاط النوع البشري بينما هو يبغي الارتقاء

والعقلاء في تعليل هذه العواقب الوخيمة فريقان . الاول يذهب الى ان غلوَّ المرأة العصرية في مطالب مساواة الرجل وانبعاثها في طرق السَّرَف والترَف هما علّة هذا الشقاء فهي الجانية على نفسها ذلَّ الطمع ومغبَّة الاسراف . فلو انها رضيت بما قُسِمَ لها من الحظ الطبيعي تحرص على الزرع والضرع وتقوم على تربية النسل وتدبير المنزل بعد احراز النصيب الكافي من العلم والتهذيب لدامت لها النعم وكُفيِت شرّ هذه النقم . والآخر يقول ان اللوم كلّهُ واقع على هذه المدنية الجائرة . فبعد ان اصبح العيش فيها حياة زحام وسباق اضطرت نساء الاوساط والعمّال الى معاونة رجالهنّ في تحصيل اسباب المعاش عملاً بالتضامن وحفظاً للبقاء . هذا اذا لم نقلْ ان الرجل لما رآها تجاوزت حد المعقول في طلب المساواة لهُ كاد لها كيد هذا التعاون في العمل المضني لقواها كأنهُ يقول اذا لم تقنعي بحقك الطبيعيّ فذوقي ثمرة الطماعة . ومن لم يرضَ بحقهِ اضاعهُ

ومهما يكن من تحقيق هذا التعليل فان الواقع من مشاركة نساء العصر للرجل في ضروب الاعمال البدنية خارج المنزل واقامتها سحابة النهار في المصانع والحوانيت قد ظهرت اليوم لاهل النظر والانصاف مضارَّهُ الوبيلة الجسيمة ظهوراً محسوساً من ضعف بنية المرأة ونقص المواليد ونغص العيش واختلال شؤون البيت كلهِ على ما يأتي بيانهُ

هذا وان الذاكرين من القرَّاء يذكرون ان اكثر ما دار الى الساعة في جرائدنا من المناقشات في شأن المرأة ومساواتها للرجل وتعيين مقامها الطبيعي كان مبنيًا على جدَل كلاميّ لا يتعدَّى حدود النظريات مما لم ينتهِ الى حكمٍ جازمٍ ولا أدَّى الى كبير امر

واما اليوم فلما لم يَعُدْ للنظريَّات المجرَّدة ما للادلَّة الطبيعية اليقينية من الحكم القاطع والقول الفاصل في بيان الادواء الاجتماعية ووصف ادويتها نهض المفكرون من نطس الاطبَّاء وتجرَّدوا للبحث في اضرار اشتغال المرأة في المعمل ومسابقة الفتاة للفتى في التعليم العالي المدرسيّ واخذوا في نشر نتائج احكامهم الطبية في الاسفار الخاصَّة والصحف العلمية السيَّارة ناعين التفاهي على نظام هذا الاجتماع مستفزّين ارباب الانسانية والاريحية من قادة الامم الى درء هاتين المفسدتين الاجتماعيتين داعين الى ارجاع ذلك الملاك الانساني الى مقامهِ الطبيعي (وحسبهم ان يقولوا « الطبيعيّ ») ضنًّا بهذه المدنية ان تتراجع الى شرّ من الوحشية والعياذُ بالله . وهاك محصَّل ما وقفنا عليهِ من بيان تلك الاضرار مبتدئين هذه المرَّة بالقسم الاول منها على ان نعقبهُ بالثاني باذن المعين فنقول

(اولاً) . اضرار وقوف المرأة الطويل في المعمل

لما كان صِغَر عظام الكعب والقدَم في المرأة على الخصوص يمتنع معهُ حمل الاثقال الباهظة وكانت ركبتها تشريحيًّا ليست مساويةً لركبة الرجل من حيث احتمالها للضغط العمودي وكانت عضلات ساقها اضعف قوةً منها في ساق الرجل كانت فيها نسبة البعد بين الجذع والطرفين اقلّ منها في الرجل جرياً على ناموس الحَل — اي كلما طال مدى الساعد عن الثقل ازداد قوةً على حمل الثقل وبالعكس — فلذلك تتحوَّل قوة حمل الساقين الى الظهر . وعليهِ فكلُّ عملٍ يدعو المرأة الى اطالة الوقوف مؤذٍ لها اذ ان ضغط جميع الثقل الذي تحملهُ يصرف الى قسم من بدنها حيث تزدحم الاجهزة الحيوية فتشعر بتعب حول عظم الفخذ من حمل تلك الاثقال فيورثها ذلك احتقانًا في جميع الاعضاء المحيطة بهِ . لان عادة الوقوف والوقوف على قدم واحدة يضيّق دائرة العظم الفخذيّ . واكثر ما يحصل هذا التضييق للواتي لم تكن اعضاؤهنَّ الفيسيولوجية قد تكاملت واشتدَّت قبل

دخولهنَّ المعامل . فانهُ قد عُلِم بالاحصاء ان متوسط اعمارهنَّ يتراوح بين السادسة عشرة والعشرين وهو في الرجال العمَّال بين الخامسة والعشرين والثلاثين

اما انحطاط بدن الفتاة الى هذا الحدّ فلا تظهر آثارهُ في غالب الامر الاَّ بعد خروجها من المعمل وتزوجها . واما المتزوّجات فانهنَّ يلبثنَ في المعامل على حال الوقوف الآنف الذكر الى ما قُبيل الولادة بساعاتٍ قليلة . ولذا كانت حوادث الاسقاط في نساء المعامل اكثر منها في غيرهنَّ وكثيراً ما يتعسر لهنَّ المخاض فيلجأن الى استعمال الآلات وفي تلك الولادة من الويلات ما فيها

ولا تقتصر اضرار هذا الوقوف على نساء المعامل بل انها تشمل ايضاً المستخدمات في حوانيت التجارة . فان هوُلاء وان سمح لهنَّ عُرفاً بالجلوس تقضي عليهنَّ حال المصلحة باطالة زمن الوقوف حول المناضد في فسحةٍ ضيقة المجال فتزداد بذلك اثقال رفع السلع وانزالها على حوض البدن فتعيبهِ . دع عنك ما يلحق بنتائج طول الوقوف من التأثير بشكل قوس القدم وتضخُّم الاوعية الدموية في الساق ممَّا يوَدي الى مطل الاعصاب ولحاق الاذى بوظائف أُخر نسائية

(ثانياً) . اضرار الجلوس في مقرّ واحدٍ

قد لا تقلُّ اضرار هذا الجلوس عن اضرار ذاك الوقوف . فان قلَّة الحركة البدنية تضعف قوَّة الرئتين فيقلّ بذلك افراز السموم من البدن على ما هو معلوم . ولما كانت الكليتان مضطرتين الى العمل نيابةً عن الرئتين في هذه الحال تزداد عليهما اعباء هذه الوظيفة فوق الاحتمال فيتصل الضرر بما في الاحشاء من الاعضاء

ثم ان اطالة الجلوس تورث قبض الامعاء او تزيدهُ . والقبض وان كان في ظاهر الامر من العلل اليسيرة قد يُفضي الى ادواء وعلل خطيرة الشأن ممَّا لا يتأتى عن غير القبض من الاسباب . وفوق ذلك فان من مساوئ المعامل في هذا الباب انها في غالب الاحوال لا تسهل للعاملات امر الخروج او ترك العمل لقلة عدد المرافق الكافية او لمشقة الاستئذان من نظار الاعمال من الرجال فيزداد امر القبض ضغثاً على ابالة

وقد اطال الباحثون الكلام في هذا الباب فاجملناهُ بقولنا ان هذا الضرر الاخير ينتهي بعاملات المعامل الى فلج القناة الهضمية والاخلال بوظيفة الافراز مما يشمل اذاهُ سائر البدن حتى يتأتى عنهُ علل الهستيريا وتوقف الوظائف الجنسية الى فقر الدم العام . ثم اضافوا الى اذى هذا الجلوس الطويل الزمن الضغط اللاحق باعضاء الجوف من الاكباب على آلات الخياطة او المكتب ممَّا يمهّد السبيل الى انواع من الالتهابات المزمنة في الحوض

وجملة القول ان طول الوقوف او الجلوس على حالةٍ واحدةٍ إما ان يُورث العقم المطلق او يعرّض الولادة لاخطارٍ وبيلة العواقب

(ثالثًا) . وحدة العمل الداعية الى السأم وازهاق النفس

من شؤُون الصناعة الحديثة في المعامل انهم يعيّنون لكل عامل عملاً خاصًّا لا يتعدّاهُ الى غيرهِ . فيستمرُّ عليهِ الى ما شاء الله فيبقى كذلك على سقم الاستمرار . قالوا ان وحدة العمل وان شقَّ علينا تعيين اذاها رأْسًا بقوى البدن الحيوية هي من متعلقات القوى العقلية اكثر منها بالاولى . فان العمل في المعامل الحديثة ليس فيهِ حظٌّ من اللذة الفكرية والانشراح للصدر ولا يوجب الاهتمام بالمسأُولية مما يستدعي اعمال الذهن من جانب العامل . فالعاملات يمكثنَ الامد الطويل على عمل واحد اكثرهُ نتاج الآلات الجامدة . وظاهرٌ ان كل عملٍ لا يدعو الى اعمال الفكر يتعب العقل اكثر من عملٍ يطّلب فرط الفكر . فاذا اشتغل مركز واحدٌ فقط من مراكز الدماغ اتعبهُ اكثر مما لو شُغلت مراكزهُ كلها . وهذه الحالة إما ان تورث العقل الكلال او تلهب فيهِ شوقًا الى المهيجات(١)

ولا يخفى ان شدَّة الارتباط بين الجهاز العصبي وسائر الوظائف البدنية تقضي بان اضرار المراكز الدماغية تنعكس الى جميع تلك الوظائف . فكلال الدماغ واعياء البدن متلازمان ابدًا . ومن المشهور ان كل عضلةٍ تنقبض تتناول قدرًا معلومًا من النيتروجين وتفرز سمًّا يقابلهُ . وفي الحال الصحية يفرز هذا السم بواسطة الكليتين والرئتين ويعوض عنهُ بمضادٍّ لهُ . فاذا اجهدت العضلات بعملها فوق الحدّ الضروري تراكم السم فيها فاعجلها عن افرازهِ وتأتي عن هذا التراكم إتعابها . ولما كان العدد الوافر من العاملات يؤْجرنَ على عدد القطع المصنوعة كما هي الحال في الخيّاطات وناسجات الجوارب والاقمشة ازددنَ رغبةً في سرعة العمل طلبًا لمزيد الاجرة فاجهدن عضلاتهنَّ سرعة واعياء فيزداد اجتماع السموم فيها حتى تكلَّ قواهن العصبية وهنَّ لا يدرينَ ان السمَّ في ذاك الدسم اذ كثيرًا ما يؤَدي بهنَّ التسمم الذاتيّ الى الموت الزؤَام

والذي ينزل بدن العاملة من سموم المعمل فوق ذاك التسمم العضليّ ما تنشقهُ من متصعَّدات بعض المعادن كرائحة الرصاص المؤَدية الى اذى المولود والمركبات الكيمية مما يدخلهُ

(١) يظهر ان هذا هو السبب الطبيعيّ لتكالب طبقات العمال في بلاد الغرب على انواع المسكرات . ويؤَيدهُ ما نعلمهُ من حال فريق من صناع الشوق المعروفين (بصناع النول) . فانك قلَّ ان تجد منهم من لا يتهافت على المسكر في بعض نهارهِ او اسبوعهِ

عنصر الكبريت . اضف الى ذلك ما يلحق اليد من فعل الحوامض ومواد القصْر والتبييض الموصلة الاضرار الى العصب ايضاً . وكذلك الغبار الثائر في المعمل فانهُ يؤدي الى جفاف الحلق فيتعسّر بهِ السعال وينجم عنهُ ضيق التنفُّس الى التهابات في الصدر كثيراً ما تكون منشأً لوبالة التدرُّن فضلاً عما تفضي اليهِ رطوبة المعمل وحرارتهُ من توهين القوى بفرط العرق مما يعدُّ الجسم الى داء المفاصل والتهاب الشعب الرئوية والتدرُّن نفسهِ الى غير ذلك من حلقات هذه السلسلة العديدة العلل والادواء

ومما يزيد الطين بلة في شأن موهنات نساء المعامل انهنّ قلما ينلنَ قسطهنَّ الضروريَّ من نوم الليل المريح . وبديهيٌّ ان البدن بفضل هذا النوم يفرز السموم المتراكمة فيهِ مدى النهار فيهبُّ العامل في صباحهِ نشيطاً الى عملهِ على رغبةٍ واقبال . والاَّ فاذا لم تنلْ العضلات حظها من راحة النوم عجزت في النهار التالي عن العمل المعتاد ولم تأتِ منهُ بالقدر المطلوب . وهكذا على توالي الايام يُدرك جهازها العصبيَّ الوهن والانحطاط بما يكون قد حلَّ بمراكز دماغها المتسلطة على العضلات من الاعياء المرضي والكلال المضني وان لم تشعر بذلك في بادىء الامر . ولما كانت المرأة اكثر عرضةً من الرجل للمزعجات العصبية كان الاخلال في وظائفها الجنسية مؤدياً الى توهين اعصابها لا محالة ثم زاد وهنُ العصب ضعفَ البدن بناموس الارتباط المتلازم المارِّ الذكر بين الفريقين

اما قلة نوم اولئك العاملات فقد يكون سببُهُ اقبالهنَّ على ملاهي الليل في المراقص ومشاهد التمثيل تنفيساً لضيق الصدر وطلباً لتنزيه الفكر على ما اشرنا اليهِ فيعتَدْنَ الأَرق ويتبعهُ فقد شهوة الطعام الى ان يتفاقم خطب التعب العصبي وينتهي امر الخلايا الدماغية والعصبية بتمام الهبوط الذريع فيجرُّ معهُ تشويش الوظيفة الجنسية وفقر الدم وهناك محطُّ البلاء ومنتهى الشقاء

ويلحق بذلك كلهِ من اذى المعمل العصبيّ دوام حركة الادوات والآلات ولا سيما بعد توفُّر هاتيك الاضرار السالفة البيان . فان هذه الحركة المرافقة للاصوات المزعجة تؤثر في الاعصاب تأثير النقر الخفيف المستمرّ على الفولاذ . قالت احدى فتيات المعامل مرةً انها حين اقف آلتها ليلاً تشعر كأَن دوياً او صياحاً قائماً باذنيها دليلاً على ما نال عصبها من الاذى مدى شغل النهار

(رابعاً) . اضرار سوء التغذية لنساء المعمل

ان سوء التغذية يضعف قوة العاملة الحيوية . ذلك ان الأُم المستخدمة في المعمل يضيق

بها الوقت عن اعداد الطعام على حالٍ صالحةٍ للعائلة من حسن الطبخ وكفاءة التغذية . فتصبح من سخافة الطعام خائرة القوى فاترة الهمة والنشاط في تحمُّل اعباء عمل النهار وتدبير شؤُون البيت جميعاً . واذا فُرض ان احدى اولئك العاملات البائسات قويت بفضل البنية الفطرية على عبء الحمل والمخاض والولادة لم يعد في مذخور قوَّتها غذاءٌ كافٍ لمولودها خصوصاً وان الطفل يقتضي ان يرضع مرةً في الساعتين على حين لا يسمح لامهِ ان تراهُ الأَمرةً في كل ست ساعات او عشر . ومن عادة امثال هذه الأُم وهي مقيدة باغلال المعمل ان يستعضن عن ارضاع الطفل اللبن الطبيعيّ (وهو لم يتجاوز الاسبوعين من عمرهِ) بمغذيات من العقاقير او المواد المستحضرة الهاءٍ لهُ وتسكيناً لألم جوعهِ . ومعلومٌ ما للاخلال بقانون الرضاعة من الآفات المهلكات الشاملة للولد والوالدة كليهما حتى اذا ما قدّر لمثل هذا الطفل اجتياز طور هذا البلاء نشأ واهن القوى . ومتى حان وقت دخولهِ المعمل ايضاً لم يكن فيهِ من مُذخر القوة والعزم مايقوى بهِ على العمل بل كان اكثر استعداداً لما سبق من هاتيك العلل والادواء ولاسيما اذا كان ابنةً . ومن مزيدات الاسف ان نقول ان سوء التغذية مع ما مرَّ من مزعجات الاعضاء الجنسية من اقوى علل العقم الاليمة

وجملة ما يُقال في باب اخلاف النسل انهُ لما كان يطلب وقتاً وعنايةً لا تأذن بهما قيود المعمل كانت طائفة كبيرةٌ من العاملات زاهدةً في النسل او عاجزةً عنهُ . وقد يتعذَّر في كثير من الاحوال تحقيق شؤُونهنَّ المتعلقة بامكان حصولهِ او الاعراض عنهُ . ولذلك كانت سائر الاسباب الاجتماعية والاقتصادية المقلّلة للنسل (على ما جاء في مقتطف تموز لهذه السنة) اشد تأثيراً في نساء المعامل فازداد الخطب وبالاً

قال الطبيب معتمدنا في اصول هذه المقالة « لو تجرأ احد منذ ١٥٠ سنة على ان يتنبأ بانهُ سيسمح للنساء بالاشتغال في المناجم والحانات وآلات الخراطة وصقل المعادن والجري على الاقدام جري البريد والسعاة لما قابلهُ اهل تلك الايام بسوى الهزء والضحك . فماذا عسى اولئك السلف ان يقولوا لو شاهدوا اليوم المرأة ترزح تحت اثقال هذه المشاغل المتنوّعة على ما وصفنا ؟ . بل ألا يقول احفادنا — بعد ان تصبح هذه المساوىء في خبر كان — ان عصرنا هذا من عصور الوحشية والهمجية ؟ » الى ان قال . ولعلَّ ولاة الاحكام يضعون يوماً ما حدّاً لهذه المظالم الاجتماعية بحكم القانون حرصاً على مستقبل الجنس ولكنهُ لا يجوز للامة الصبر على الضرّ والشرّ الى ان تأذن الايام باستحسان الحكّام » ثم قال في الختام « حتى ان المشتغلات في المدارس والمكاتب والمتجرات مهضومات الحقوق الجنسية

فينبغي ان ينصفن فيها انصافاً يعود نفعهُ على مجموع الامة . والاَّ فان هاتيك المضار واقعة على قلة النسل وضعفهِ فيؤول شأن الامة الى الاضمحلال لا محال »

هذا ولعلَّ بعض الناظرين في هذا الشأن الخطير يقول اذن لا ندري ايّ الامرين احق بالعجب والاستغراب أالمريض ام المدنية الراقية مربية الجنس لمثل هذا الوبال في عصر الحرية والنور وهي التي تدّعي بقيام مدنيتها على رقيّ المرأة ؟ ام قدام اهل البحث والعلم على تشهير هذه الحال تقبيحاً وتعنيفاً للأمة بامرها حتى يعدوا السماح بها همجية مطلقة ؟ .

قلنا ليس في الامرين من عجب لدى المتبصّرين . اما اولاً فلان نواميس الاجتماع في الامم الدستورية جارية مجراها الطبيعي الى ان تبلغ غايتها من التفريط والافراط . وحينئذٍ فمتى ظهرت آثارها الى الحدّ الذي يقتنع فيها سواد الامة بتلك المضارّ ثاب اهل الضلال الى رشادهم وعادوا الى محجة الصواب . والاَّ فلا قوّة من التشريع تدفع ولا هزُّ الكلام للهواء ينفع . ولنا كل يوم من شؤون اجتماعنا الشرقيّ على ذلك اسطع دليل . يظهر من احوال بعض نسائنا احياناً ما يخالف حقوق الطبع والشرع فينهض بعض اهل الغيرة والحمية الى عقد اللجان وابرام العهود على منعها بسطوة الزعامة وصولة الامامة والاستعانة بالحكام . ولكنك بعد قليل لا ترى هاتيك الصيحات الاَّ صرخات في واد او نفخات في رماد اذ لا يكون الاختبار الذاتيّ في مجموع الامة قد بلغ مبلغهُ من حق الاقتناع لردهِ الى النهج القويم . واما ثانياً . فان اهل العلم الصحيح في امم الغرب قد اعتادوا حرية الفكر ومقاومة التيار العام متى اتضح لهم نور الحق في اي الشؤون الانسانية او القومية ودفعهم الوجدان الى التصريح فعندهم نسبة الضلال الى الامة ثم الاقلاع عنهُ خيرٌ من الرضى بهِ والتباهي بالباطل المفضي الى الدمار

اما شأننا نحن الشرقيين في موضوع (المرأة والعمل) فهو موقف للتشاؤم والاعتبار من امر الاستقبال . فإمّا ان نقتصر من رقيّ نسائنا على ما ينير البصيرة ويجلو الاوهام ويقف بهنَّ عند مقامهنَّ الطبيعي في الامامة والزوجية والمنزليات ومعاونة الرجل في ما لا يخرج بهنَّ عن التركيب الفطري المحدود فنكون قد وقفنا عند الحدّ الذي عينتهُ حكمة الحكيم الاعلى فنلنا من تهذيب المرأة وحريتها الحقّة افضل نصيب . وإما ان يكون ناموس التقليد والمتابعة فاعلاً في المرأة الشرقية فعلهُ حتى يبلغ بها ذاك المصير وللشرق آدابهُ ومشاربهُ فبشّرنا بشقاء يذهب فيهِ من منازلنا هناء العيش العائلي الذي الفتهُ طباعنا ولم يبقِ لنا الدهر سواهُ من هناء

دمشق متري قندلفت

الحروب الكبيرة ونفقاتها

أُحصي ما خسرتهُ الدول الاوربية في الحروب الكبيرة من رجال واموال منذ حرب القرم الى الآن فكان كما ترى في الجدول التالي . والاموال هي ما انفقتهُ الدول المتحاربة مباشرة لا ما خسرتهُ البلدان التي نشبت الحروب فيها او التي لها اتصال بها

الحرب	سنتها	خسارتها من النفوس	خسارتها من الاموال
حرب القرم	١٨٥٤	٧٨٠٠٠٠ قتيل	٣٤٠ مليون جنيه
حرب تحرير العبيد باميركا	١٨٦١—١٨٦٥	٨٠٠٠٠٠ «	١٤٠٠ « «
حرب فرنسا والمانيا	١٨٧٠—١٨٧١	٨٥٣٠٠٠ قتيل وجريح	٠٤٤٠ « «
الحرب العثمانية الروسية	١٨٧٧	روسيا وحدها	٠١٢٠ « «
الحرب الاميركية الاسبانية	١٨٩٨		٠٣٥٩ « «
حرب الترنسفال	١٨٩٩—١٩٠٢	٠٦٨٧٠٠ قتيل	٠٢٧٠ « «
الحرب الروسية اليابانية	١٩٠٤—١٩٠٥	٤٨٥٠٠٠ «	٠٥٠٣ « «
حرب البلقان			
بلغاريا		١٤٠٠٠٠ قتيل وجريح	٠٠٩٠ « «
سربيا		٠٧٠٠٠٠ «	٠٠٥٠ « «
اليونان		٠٣٠٠٠٠ «	٠٠٢٥ « «
الجبل الاسود		٠٠٨٠٠٠ «	٠٠٠١ « «

اما الدولة العثمانية فيقدر ما خسرتهُ في حرب البلقان بين قتيل وجريح بنحو مئة الف ولا يعلم مقدار الاموال التي انفقتها فعلاً ولكنها خسرت كل المعدات الحربية التي اعدتها في البلقان فوق ما انفقتهُ على جنودها زمن الحرب ولعلَّ مجموع ذلك لا يقل عن ثمانين مليون جنيه

وقد حسب الدكتور ريسر العالم الالماني في علم الاقتصاد في كتابهِ الذي وضعهُ سنة ١٩٠٩ ان المانيا تحتاج الى ٦٠ مليون جنيه في الاسابيع الستة الاولى للزحف بجنودها واساطيلها اذا اشتبكت في حرب مع غيرها من الدول الاوربية وتحتاج ايضاً الى ٥٠ مليون جنيه للمؤونة

والميرة . ويخسر شعبها حينئذٍ من الخوف الذي يستولي على الاسواق المالية ١٢ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات فيكون مجموع خسارتها في الستة الاسابيع الاولى من اسابيع الحرب ١٢٢ مليون جنيه ونصف مليون . واشار بان تخزن ٦٥ مليون جنيه ذهبًا فوق الستة الملايين التي خزنتها من الغرامة الحربية المأخوذة من فرنسا فيتيسَّر لها ان تصدر عليها اوراقًا مالية قيمتها ١٣٨ مليون جنيه للتعامل بها فتكفيها مدة الاسابيع الستة الاولى وحينئذٍ يكون قد تمَّ لها من النصر في المعارك الاولى ما يزيد ثقة الماليين بفوزها فيسهل عليها ان تعقد القروض في بلادها او في الولايات المتحدة وتواصل الحرب الى نهايتها . واشار بان تُصدر جانبًا من نقود الورق حالاً لكي يألف الشعب الالماني التعامل بها فيستسهل استعمالها بدل الذهب حينما تقضي الضرورة بذلك . فعملت الحكومة الالمانية بمشورتهِ وجعلت تصدر اوراقًا مالية ممَّا قيمتهُ ٢٥ غرشًا و٥٠ غرشًا ومرادها ان تصدر من هذه الاوراق ما مجموع قيمتهِ ستة ملايين من الجنيهات وان تسلك نقودًا فضية قيمتها ستة ملايين اخرى وتبدلها كلها بقيمتها من الذهب الذي بين ايدي الناس حتى يصير الذهب في صندوق الحرب ١٨ مليونًا من الجنيهات فتخزن كلها ولا يتعامل بها ومتى نشبت حرب بينها و بين دولة اخرى يصدر البنك الالماني اوراقًا مالية قيمتها ٥٤ مليونًا من الجنيهات بضمانة هذه الثمانية عشر مليونًا

وقد كثر طلب المانيا للذهب منذ بداءة هذه السنة الى الآن ولاسيما في الاشهر الاربعة الاخيرة فكانت قيمة النقود والسبائك التي في البنك الالماني في اول هذه السنة ٥١٨٥٢٠٠٠ جنيه فصارت في آخر سبتمبر الماضي ٧٠٤٢٣٠٠٠ جنيه

ولا شبهة في ان النفقات الحربية زادت كثيرًا منذ اربعين سنة الى الآن بغلاء المعيشة فقد بلغت نفقات الجندي الالماني في حرب سنة ٧٠ بين المانيا وفرنسا ٣٠ غرشًا في اليوم ونفقات الجندي الفرنسوي ٣١ غرشًا ونصف غرش في اليوم والمظنون ان نفقات الجندي الآن لا تقل عن خمسين غرشًا في اليوم . وقد بلغت نفقات الجندي الانكليزي في حرب الترنسفال جنيهًا انكليزيًا في اليوم . وقال وزير الدفاع الوطني النمسوي سنة ١٩١٠ ان نفقات الجندي النمسوي وقت الحرب ستبلغ عشرة شلنات في اليوم عدا ما يلزم انفاقهُ على الارامل والايتام والرجال الذين يحالون على المعاش لعاهات تصيبهم وعدا ما يلزم للاسلحة والميرة . قال « واذا اشتبك مليونان من الجنود في حرب تدوم ستة اشهر لزم لهم ١٨٠ مليونًا من الجنيهات »

واحدث حرب اوربية كبيرة حرب سنة ٧٠ بين فرنسا والمانيا . ولم يكن الماليون يتوقعون حدوثها فكان سعر القرض الفرنسوي ٧٣ في بورصة باريس فلما أُعلنت الحرب هبط سعرهُ الى ٦٦ وتوالى هبوطهُ حتى بلغ ٥٣ بعد واقعة سيدان . ثم وقفت حركة البيع والشراء في الاوراق المالية الاَّ اذا عُرِضت بخسارة كبيرة جدًّا ودُفع الثمن نقداً . وخرج من بنك فرنسا بين ٩ يونيو سنة ١٨٧٠ و ٨ سبتمبر نقود قيمتها ٣٢ مليونًا من الجنيهات

وكان في خزينة بروسيا عند اعلان الحرب ٤٥٠٠٠٠٠ جنيه وطلبت قرضاً قيمتهُ ١٨ مليونًا فلم يكتتب باكثر من مليونين منهُ وهبط سعر سندات الحكومة البروسية من ٩٣ الى ٧٧ وهبطت اسهم الشركات الوطنية ٤٠ في المئة . وقد قال بسمارك بعد ذلك « انهُ لولا الاربعة الملايين والنصف من الجنيهات التي كانت في خزينة الحكومة ما استطاعت المانيا ان تزحف بجيشها وتسبق الفرنسويين بنحو يومين »

وقد طلب بسمارك من فرنسا خمس مئة مليون جنيه غرامة حربية ثم رضي بمئتي مليون جنيه ونقد هذا المبلغ الطائل بمدينة لندن في مدة سنتين فنتج عن ذلك ضيق شديد في كل الاسواق المالية . واذا نشبت الحرب ثانيةً وكان الفوز فيها لالمانيا فلا ترضى بخمس مئة مليون جنيه غرامة ولعلها تطلبها جزية سنوية لانهُ يتعذر جمع هذا المبلغ من الذهب

وقد ظهرت فائدة الاستعداد المالي للحرب في الحرب بين روسيا واليابان فان اليابان استعدَّت لها قبلما تحقق حدوثها فخزن بنك اليابان ١١٦٩٦٠٠٠ جنيه وكان بنك روسيا وخزينتها قد خزنا ١٠٥٠٠٠٠٠٠ جنيه ولما انتهت الحرب وعقد الصلح بقي في بنك اليابان ١٠٤٤٤٠٠٠ مع انها انفقت على الحرب اكثر من مئتي مليون جنيه لان الحكومة كانت تجمع الذهب دوامًا وتردهُ الى البنك كلما نفد شيءٌ منهُ اي ان الاموال التي كان ينفقها اليابانيون وحكومتهم كانوا ينفقونها في بلادهم يشترون بها من بضائع البلاد فتخرج من البنك الى البلاد وتعود منها الى الحكومة فالبنك فلم يفقد البنك من اموالهِ كل مدة الحرب الاَّ نحو مليون جنيه . مع ان مقدار الذهب فيهِ هبط في شهر مايو سنة ١٩٠٤ الى ٦٨٠٠٠٠٠ جنيه . ومما ساعد على ذلك ان الحكومة اليابانية اهتمت حتى لا يزاد سعر البضائع كلها عمَّا كان عليهِ قبل الحرب فلم يتيسَّر لاحد ان يكتسب بارتفاع الاسعار فيُستنزف الذهب من خزينة الحكومة ويجتمع عند التجار

ويظهر تأثير الحروب في الاسواق المالية من حرب البلقان الاخيرة فلم تكد دول البلقان

تشرع في تعبئة جيوشها في اواخر شهر سبتمبر سنة ١٩١٢ حتى اضطربت بورصات اوربا واستولى الرغب على بورصتي ڤينَّا وبرلين في اول اكتوبر وامتدَّ تأثيرهُ الى بورصة باريس. ولما شهر الجبل الاسود الحرب عاد الذعر فاشتدَّ في باريس وبرلين وڤينَّا ووصل الى لندن فقاومتهُ بورصة لندن اولاً وكاد يغلب عليها يوم السبت في ١٢ اكتوبر لكن كبار الماليين اعترضوا دونهُ وكسروا سورتهُ يوم الاثنين وعلم حينئذٍ ان دول اوربا ساعية لحصر الحرب في مقرها . و بقيت بورصات اوربا في حالة القلق ستة اشهر . ثم لما صممت المانيا وفرنسا على زيادة جيشيهما عاد الذعر فاستولى على الاسواق المالية وهبط سعر الاسهم والسندات بين سبتمبر سنة ١٩١٢ وآخر يوليو سنة ١٩١٣ نحو ٥٠٠ مليون جنيه وجعل الناس يسحبون اموالهم من البنوك ويخزنونها في بيوتهم فكان في البنوك التي تصدر الاوراق المالية في اول سبتمبر سنة ١٩١٢ نحو ٥٤٥٤٣١٠٠٠ جنيه فلم يبقَ فيها في آخر دسمبر سنة ١٩١٢ سوى ٥١١٥٠٩٠٠٠ جنيه اي ان الذهب الذي فيها نقص ٣٣٩٢٢٠٠٠ جنيه . والمرجح ان الذهب الذي في بنوك اوربا كلها نقص في تلك المدة نحو ٧٠ مليون جنيه على الاقل سحبها اصحابها منها وخزنوها في بيوتهم خوفاً من شرّ مفاجئ واستعداداً لنوائب الدهر

والظاهر ان الدول الكبرى جعلت كلها تزيد الذهب في خزائنها او بنوكها خوفاً من امر مفاجيء الاَّ الحكومة الانكليزية فانها لم تهتم بذلك حتى الآن اهتماماً كبيراً كما ترى في الجدول التالي

	مقدار الذهب في آخر سنة ١٩٩٩	مقدار الذهب في آخر سنة ١٩١٠	الزيادة
بنك انكلترا	٢٨٢٢٥٠٠٠	٣٠٢٦٢٠٠٠	٢٠٣٧٠٠٠
بنك المانيا الامبراطوري	٢٢٣٢٥٠٠٠	٣١٨٨٣٠٠٠	٩٥٥٨٠٠٠
بنك النمسا والمجر	٤٢٨٠٤٠٠٠	٥٣٤٩٩٠٠٠	١٠٦٩٥٠٠٠
بنك فرنسا	٧٢٢٣١٠٠٠	١٢٦٥٧٠٠٠٠	٥٤٣٣٩٠٠٠
بنوك ايطاليا	١٥٣٨١٠٠٠	٤٧٧١٠٠٠٠	٣٢٤١٩٠٠٠
بنك روسيا	٨٧٨٥٩٠٠٠	١٢٦٨٠١٠٠٠	٣٨٩٤٢٠٠٠
بنوك الولايات المتحدة	١٣٦٧٧٧٠٠٠	٢٨٢١٤٤٠٠٠	١٤٥٣٦٧٠٠٠

وقد استخرج من ذهب الارض بين سنة ١٩٠٠ و١٩١٠ نحو ٨٠٧٤٠٠٠٠٠ جنيه

فوزع على الاعمال الصناعية والبنوك كما ترى في هذا الجدول

استعمل منهُ في الصناعة	١٩١٧٠٠٠٠٠
توزع منهُ في الهند	٠٨٦٦٠٠٠٠٠
« « « مصر	٠٢٩٢٠٠٠٠٠
دخل منهُ بنك اليابان	٠١٣٨٠٠٠٠٠
« « بنوك اميركا الجنوبية	٠٦٨٦٠٠٠٠٠
« « « المكسيك	٠٠٥٧٠٠٠٠٠
« « « الولايات المتحدة	١٤٥٣٠٠٠٠٠
« « بنوك كندا	٠١٧١٠٠٠٠٠
« « « استراليا وجنوب افريقية	٠١٩١٠٠٠٠٠
« « « حكومات اوربا	١٧٢٧٠٠٠٠٠
« « سائر البنوك	٥٧٦٠٠٠٠٠
والجملة	٨٠٧٤٠٠٠٠٠

اذا كان هذا شأن الذهب في احوال الممالك واقدامها على الحروب واحجامها عنها فلا عجب اذا رأينا ان السلطة العليا صارت لاصحاب الذهب فيستطيعون ان يعضدوا دولة من الدول حتى تحارب غيرها اذا رأوا لهم في ذلك مغنمًا و يستطيعون ان يغلوا يديها و يمنعوها من الحرب اذا ارادوا بسحب ذهبهم من بلادها او بمنعهِ عنها كما حدث منذ سنتين لما اوشكت نار الحرب ان تشب بين المانيا وفرنسا فان الماليين الفرنسويين اخذوا يخرجون اموالهم من المانيا فغلُّوا يديها • وقد جاءت الانباءُ الآن انهم منعوا الدولة العلية من اثارة الحرب على اليونان لانهم انذروها بانهم لا يقرضوها شيئًا من المال اذا ثارت هذه الحرب • واذا كان هذا شأنهم وكانت هذه مقدرتهم ففي طاقتهم ان يمنعوا الحروب بتاتًا ولكن دلائل الحال تدل على ان لهم اليد الطولى في اثارة اكثر الحروب لكي تستدين الدول المتحاربة الاموال منهم وتقف امامهم موقف الجابي تجبي الاموال من بلادها وتنقدهم ربا ديونهم سنة بعد سنة • ولا نبالغ اذا قلنا ان السلطة العليا صارت الآن لارباب الاموال

هذا وقد اعتمدنا في سرد الحقائق المتقدمة على مقالة في جزء نوفمبر من مجلة القرن التاسع عشر لادغار غرامنُد

السلم والحرب

(تابع ما قبله)

قال الجنرال جرانت القائد الاميركي العظيم « نشأت جنديًا وحاربت حروبًا كثيرة وما من حرب كان يستحيل ان تمنع لو استخدمت الوسائل اللازمة لمنعها » وقال ارل رسل السياسي الانكليزي الشهير « اذا التفتنا الى الحروب التي نشبت في هذا القرن وبحثنا عن اسبابها لم نجد حربًا منها كان يستحيل منعها لو اعتدل الخصمان » وهذا الاعتدال هو الذي يسعى الفضلاء الان ليرسخوهُ في النفوس

والعمران نفسهُ لا يتطلب الحرب ولكنهُ مختل وخللهُ هو الذي يدعو الى وقوعها . وقد تصلح الحروب هذا الخلل ولكنها تصلح من جهة وتفسد من اخرى فهي كالاوبئة التي اذا دخلت بلادًا عني اهلها بالتدابير الصحية فتفيدهم فلا يحسن ان تمدح الحروب كما لا يحسن ان تمدح الاوبئة

واذا نظرنا الى الحروب الحديثة رأيناها قد عادت على موقدي نارها بقليل من النفع وكثير من الضرر بل انها لم تنل احد المتحاربين ما بغاهُ فخرج منها الغالب مغبونًا كما خرج المغلوب . فلو علمت اليابان مثلاً انها تخرج من حربها مع روسيا وعاتقها موقر بعبء مئتي مليون جنيه دينًا وهي بلاد فقيرة ولو علمت روسيا بالعاقبة التي تعود عليها من تلك الحرب لاسرعتا الى التحكيم وقبلتا حكمهُ مهما كان . وما يقال عن روسيا واليابان يصدق على انكلترا في حربها مع الترنسفال . فان الترنسفال طلبت ان يفصل خلافهما بالتحكيم وان يكون المحكمون ثلاثة من الانكليز واثنين من الهولنديين وهذا من اعدل ما عرضهُ او تعرضهُ بلاد على اخرى ولكن انكلترا رفضت هذا الطلب العادل وكانت نتيجة رفضها لهُ ما لا يزال صداهُ يرن في الآذان . ولو سئل البلغاريون الآن اكانوا يقدمون على محاربة الدولة العلية بالاتفاق مع حلفائهم بالامس واعدائهم اليوم لو علموا بما وصلوا اليهِ لاجابوا كلاَّ والف كلاَّ . ولكن هذه الامور وما شا كلها تغيب عن الاذهان اذا ثار ثائر الغضب في نفوس الكبراء . ولا يزال لهؤلاء الكبراء لسوء الحظ الصوت المسموع والكلمة النافذة حتى الآن فلا يرجى اصلاح الحال الاَّ اذا ادرك الجمهور ان قتل الناس اثم فظيع وان الواجب يقضي بتحكيم العقل على القلب

والحرب لا تزيل اسباب الخلاف من بين الدول المتحاربة بل هي شر علاج لازالة

الخصومات لانها تزرع بذور الكره والبغضاء وقد تنقضي القرون قبلما يزول ما زرعتهُ حرب واحدة كحرب السبعين بين فرنسا والمانيا . وقد سبقنا فبينا في ما نشرناهُ منذ شهرين ان الالزاس واللورين اللتين غنمتهما المانيا من فرنسا في تلك الحرب هما مفتاح الشر في اوربا الآن والباعث على تسلح دولها . ولكن الدول قامت بحد الحسام فلا تغمدهُ اختياراً وتبسطت لها السيادة برصاص البنادق فلا تطرحها الاَّ اضطراراً

من رأى دول الارض الآن تنفق مئات الملايين من الجنيهات سنويًّا على اعداد معدات الخراب والدمار وتعزيز الاساطيل المائية والهوائية وتجييش الجيوش وابلاغها اعظم ما يمكن من القوة والمنعة — من رأى ذلك كلهُ قال انها تتأهب لحرب عامة تزهق الارواح وتذهب بالاموال وتزعزع اساس الحضارة وتقوض معالم العمران. ولكن كرت الايام ومرت السنون وهذا التأهب آخذ في الزيادة والحرب لم تقع الاَّ بين اقل الدول استعداداً . فالدول لم تلجأ اذاً الى هذا الاستعداد الهائل والتأهب المخيف وتعمد الى الاستزادة منهما الاَّ اتقاء للحرب ودفعاً لغوائلها متحدية في ذلك المثل المأثور « لا يفلُّ الحديد الاَّ الحديد »

فالاستعداد للحرب لا يقصد بهِ الحرب بالذات بل ترسيخ قدم السلم وتثبيتها ولكنهُ لا يحتمل ان يظل طويلاً سائراً سيرهُ فقد صارت نفقاتهُ عبئًا ثقيلاً على ظهور الصناع والعمال والفلاحين وهم جمهور الامم ينوءُون بحملهِ ولا غرابة في ذلك ما دام ناظر مالية انكلترا اغنى بلدان العالم طراً يضج بالشكوى من اندفاع العالم في سبيل التسلح اندفاعاً هو اقرب الى الجنون منهُ الى التعقل قائلاً ان هذه الطريق تؤدي الى الخراب والدمار

ولو كانت دول اوربا الكبيرة خالية من نظام التجنيد بالقرعة مثل الولايات المتحدة وانكلترا ومحتاجة الى رجال ينتظمون في جيوشها كاحتياج انكلترا لرفعت صوتها منادية بالكف عن الاستزادة من التسلح وطالبة انشاء رابطة السلام بين الدول اجمع

قال فرنكلن العالم الاميركي الشهور « ان لتنظيم الجنود وارصادها للحرب نتيجة لا بد من ان تدعو اخيراً الى ابطال الحروب لان الجندية المنظمة تقلل عدد السكان وتضعف نوع الانسان باخذها زهرة شبان الامة واقوى رجالها وانشطهم ومنعهم من الزواج واخلاف النسل ». وما يصدق على الجنود المنظمة يصدق بالاخص على الجنود الذين يحاربون ويقتلون فان الامة تفقدهم وتفقد نسلهم الى الابد . فقد أثبت علم الاحياء (البيولوجيا) ان جودة النسل تتوقف على جودة الاصل ومستقبل الامم يتوقف على الذين يعيشون من ابنائها ويخلفون نسلاً وان اصلاح النوع يتوقف على اختيار الاصل الصالح لانتاج النسل الصالح

وهو الناموس الذي يجري الناس عليهِ هذه الايام في تأصيل المواشي واصلاح انواعها . فالصفات التي يمتاز بها الجندي الباسل كالقوة والحزم والشجاعة وحب الوطن هي الصفات التي تفقدها الامم بجعلها رجالها جنوداً ومنعهم من التزوج . وهذا يدحض زعم الذين يذهبون الى ان الحروب تزيد الامة نشاطاً واقداماً لان الامة لا تقوم بالذين يصلحون للتجنيد فيتجندون ويقتلون او يمنعون عن التزوج بل بالذين لا يصلحون لهُ فيعيشون ويتناسلون

وقد قامت عظمة الرومانيين برجالهم الاشداء ولكنهم لما شعروا بما لهم من القوة وارادوا استعمال قوتهم واتحدوا وغزوا ونهبوا وخاضوا غمار الحروب وفتحوا الفتوحات اضطروا ان يستخدموا افضل رجالهم وكانت النتيجة ان الاشداء الذين عليهم المعول ذهبوا الى الحروب والغزوات فخلت منهم رومية وبقي فيها الضعفاء والسقماء والذين لا تتألف منهم الجيوش ولا يصلحون لانسال النسل الصالح فكان ذلك سبب انحطاط رومية لا البذخ والترف وفساد الآداب

استهل نبوليون الاول حكمهُ استهلالاً مجيداً بقانونهِ وبسالتهِ ومهارتهِ في فنون الحرب ولكن ما لبث ان انقلبت شهامتهُ الى عنفوان فتتابعت غاراتهُ على الاعداء فالمسالمين فالاصدقاء وتوالت تعبئة الجيوش في فرنسا حتى انهُ لما عزم على غزو المانيا وخضد شوكتها واراد ان يعبئ جيشاً كالجيش الذي غزا بهِ روسيا لم يجد الاَّ مرداً غير مدربين على حمل السلاح لان الرجال الاقوياء قتلوا في معاركهِ السابقة فكانت النتيجة ان المزايا التي كان يمتاز بها الجندي الفرنسوي فقدتها الامة بفقد رجالها . ولما ترك نبوليون فرنسا تركها جريحة مكلومة تندب ابناءها الاشداء الذين التهمهم الحروب

ونهضت منذ ثلاثين عاماً دولة في الشرق الاقصى فحيرت العالم بتقدمها وترقيها السريعين وادهشت الناس بتفوقها في ميادين القتال وفوزها على الصين وروسيا . استغربوا ذلك منها لانهُ مرَّ عليها مئتا سنة وهي جانحة الى السكينة ورائعة في بحبوحة الامن والسلام وفاتهم ان امنها وسلامها هما اللذان حفظا رجالها وانميا نسلها واذا نما الاقوياء لم ينمُ معهم الضعفاء لان ناموس بقاء الاصلح يترك القوي ويقرض الضعيف ولكن هب ان الآية عكست واستمرت اليابان تحارب مئتي سنة افيبقى فيها رجال حرب كما فيها الآن فاذا بقي فيكون ذلك من خوارق الطبيعة وعجائب الدهر

والتعليم خير كفيل لتأييد السلم بعد ما ظهر ان المتعلمين يأنفون الانتظام في سلك الجيوش . وقد انتبهت الحكومة الانكليزية الى ذلك حديثاً لانها وجدت ان عدد الضباط

اللازمين للجنود المتطوعين قد قلَّ اكثر من ٢٥ في المئة وان المتطوعين نقصوا نقصاً كبيراً وكذلك ضباط الجيش العامل والمتطوعين في جيش الهند — وعدّتهُ من اصعب المشاكل التي يطلب من نظارة الحربية حلها . ويظن البعض وهم من اكبر الثقات في الامور الحربية وفي مقدمتهم اللورد روبرتس انهُ لا علاج لذلك الاَّ بادخال نظام التجنيد الاجباري . ووقعت حكومة الولايات المتحدة في مثل هذا المشكل فضاقت ذرعًا عن تدبير العدد الكافي من البحارة لسفنها الحربية فزادت الرواتب وعمدت الى كل وسيلة لاغراء رعاياها بالانتظام في سلك البحرية ولما اعيتها الحيل عرضت ذلك على المتجنسين بالجنسية الاميركية ولا نعلم هل انتظم فيها بعض المهاجرين السوريين او لا . ولو كانت الولايات المتحدة مضطرة الى حفظ جيش كبير وظل التجنيد فيها اختياريًّا كما هو الآن لذاقت حكومتها الامرين في تدبير العدد الكافي من الرجال لهُ

حللت الشرائع الدينية والادبية للانسان ان يدافع عن نفسهِ اذا اعتدى عليهِ معتدٍ واراد بهِ سوءًا . وما يجوز للفرد يجوز للجماعة بالمثل . فالدفاع عن الوطن جائز بل واجب اذا هاجمهُ عدو ولكن اذا كان الدفاع عن الوطن واجباً فالاعتداء او الهجوم على اوطان الآخرين حرام . والجنود على نوعين جنود منظمة وهي التي يراد بها الهجوم لا الدفاع لانهُ اذا لم يكن هجوم فلا دفاع وجنود متطوعة وهي التي لا تحمل السلاح الاَّ للدفاع . وما الجندي المنتظم في الجندية الاَّ عامل مستأجر لايقاع الاذى والضرر بغيرهِ او قتلهِ حلالاً كان او حراماً لان من يقيد بالخدمة العسكرية يكون قد سلم قيادهُ لسواهُ وتنازل عن حقهِ في الحكم لنفسهِ والجري على ما يرشدهُ اليهِ وجدانهُ فصار رهن اشارة رؤَسائهِ وهذا يخالف سنة الارتقاء التي توجب على المجتمع ان يتمتع كل فرد من افرادهِ ببركات الحرية الشخصية وكل ما يخالف نظام الكون مصيرهُ للزوال

يدرس الانسان فنون القتال — ليعلم كيف يسدد بندقيتهُ حتى يقتل برصاصها العدد الاكثر من الناس ويحكم مدفعهُ فيدمر بقنابلهِ المقدار الاكبر من الاملاك ويتلف بها القسم الاعظم من المال ويتمرن على خطط الحرب ويلم باصولها حتى يبرع في استنباط الحيل لخدع عدوهِ والايقاع بهِ — وفي المثل الحرب خدعة — وكلما مهر في تسديد المرمى واصابة الغرض وبرع في اساليب القتل والفتك وبرَّز في حلبة الخداع والرياء علت مرتبتهُ وارتفعت منزلتهُ وتحلى صدرهُ بالنياشين واوسمة الفخار وطار صيتهُ في الافاق ودون اسمهُ في بطون التواريخ . فلا غرو اذا رأينا ضباط الجيوش يحبذون الحرب ويحاولون رفع شأنها في عيون الناس لان

ما تطمح انظارهم اليهِ من التقدم والارتقاء وزيادة الراتب ونيل الشهرة وكسب الفخار لا يتم لهم الأّ في حومة الوغى فاذا لم يختلقوا اسباباً للحرب عظموا ما يرونهُ من اسبابها مدفوعين الى ذلك بواجب المصلحة وحب الفخر والمنفعة

وصانعو الاسلحة والمعدات الحربية واصحاب دور الصنعة لا تروج بضاعتهم الأّ في زمن الحرب او في زمن الاستعداد لها · ومتولو توريد الارزاق والمير للجيوش المحاربة لا تزيد ارباحهم وتتوفر لهم المكاسب الكبيرة الأّ في زمن الحرب ايضاً بطرق عديدة محالة او محرمة · والماليون الذين يقرضون الدول المال ولهم الكلمة النافذة في مجالس الوزراء والنواب لا يصعب عليهم ان يثيروا حرباً لحفظ ديون قديمة او اصدار قروض جديدة يكتسبون بها الملايين · واصحاب الصحف الذين بلغوا في اوربا واميركا مبلغاً عظيماً من القوة والنفوذ يحسدهم عليهِ الوزراءُ والقابضون على ازمة الاحكام تنجح جرائدهم في زمن الحرب ويتضاعف ما تطبعهُ حينئذٍ فتتضاعف مكاسب اصحابها — كل هؤُلاء وغيرهم ممن لهُ علاقة او اتصال بهم يؤيدون الحرب ويختلقون الاسباب لاثارتها ويتذرعون بكل الوسائل لزيادة التحرش بين الامم وتنفير بعضها من بعض حتى تتوتر العلاقات بينها فتعمد اما الى التأهب والاستعداد او اضرام نار القتال قضاءً لاوطارهم وترويجاً لبضاعتهم وزيادة مكاسبهم

فحب الكسب من اهم الاسباب التي تدعو الى الحروب وما زال قواد الجيوش والماليون وصانعو الاسلحة واصحاب دور الصنعة ومتعهدو الارزاق والمير للجيوش وشركات الصحف يؤْثرون مصلحتهم الخاصة على المصلحة العامة ويعبدون اله الطمع والجشع فزوال الحروب وانتفاء اسبابها بعيدان · ولكن احد الفضلاء اشار ببعض الوسائل الفعالة التي تقلل شأن من ذكرنا في اذكاء الحروب فقال ان ازدياد نطاق التعليم الصحيح واستنارة اذهان الجمهور بنور العلم والعرفان هما من خير الوسائل لزوال الحروب بدليل ما نراهُ الآن من كره المتعلمين للانتظام في سلك الجندية · وهناك امور اخرى تساعد على ادراك هذه الامنية الأّ انها تلزم تآزر الحكومات وجمهور الناس وتعاونهما لتحقيقها واهمها التالي :

اولاً — امتناع الحكومات من اعطاء الرتب والنياشين للممتازين بقتل غيرهم من قوادها وضباطها وجنودها واجلال الناس لهم واحترامهم

ثانياً — تدقيقها في ابتياع الاسلحة والذخائر والمير لجنودها حتى لا يربح صانعوها ومورّدوها الأّ الربح القانوني او ما هو اقل منهُ

ثالثاً — تقليل المكاسب الاخرى التي يكسبها فريق من الناس دون غيره من الحروب مادية كانت تلك المكاسب او ادبية

رابعاً — حذف كل تنويه بالقواد والجنود من كتب المدارس وكتب المطالعة التي يميل الاحداث الى مطالعتها وابداله بوصف ويلات الحروب وفظائعها حتى يرسخ في اذهان الناشئة الجديدة ان الحرب من شر البلايا التي تنتاب النوع الانساني وانها لا تفضل الاوبئة التي ترتعد لها الفرائص في شيء

خامساً — انشاء صحف كبيرة مستقلة في جميع البلدان تدبجها اقلام اكتب كتاب العصر يكون غرضها الاول كشف مخبآت الذين يكتسبون من الحروب وتشهيرهم سواء كانوا من القواد او الماليين او من رجال السياسة او من اصحاب المصانع او من المساهمين فيها وتهيئة الافكار لطلب التحكيم في المسائل الخلافية وايغار صدور الناس على رجال السياسة الذين يرفضون التحكيم . ولا بد من رصد الاموال الطائلة لانشاء هذه الصحف وترويجها لانهُ لا بد لها من الخسارة في اول الامر

ثم انهُ لا بد من اذاعة ما قالهُ اكبر رجال الحرب واعظم القواد في ذم الحرب وفظائعها وما تجنيهِ على البشرية من الخراب والدمار لان الذين اطلعوا على شتات هذه الاقوال قليلون جدًّا . وليس هناك ما هو ادل على فضل حرفة او ضررها وحسنها او قبحها او ابلغ في النفس وقعاً من شهادة الذين وقفوا حياتهم على خدمتها . فقد قال فيها نبوليون الاول اكبر القواد واعظمهم « الحرب صناعة المتوحشين » وقال دوق ولنتون « الحرب اكره شيء فاذا رأيت يوماً واحداً من ايامها فانك تطلب من الله ان لا يريك يوماً آخر » ودعي الجنرال جرانت ليشاهد عرض الجنود الانكليزية فقال « اريد ان لا تقع عيني على الجنود مرة اخرى » وقال وشنطن « ان جل امانيَّ ان ارى الحروب منتفية من العالم فهي شر ما بلي بهِ » وقال لورد كلارندون « لا تستطيع ان تصور صورة لجهنم اوضح من صورة بلاد نشبت فيها حرب »

واقوال العلماء والمؤرخين والشعراء والكتاب في ذم الحرب وتقبيحها تملأُ مجلدات كثيرة فقد قال فيها الفيلسوف باكون ما معناهُ « لا سبيل لعد الحرب جائزة مالم تسحق الديانات في هاون وتركب منها ديانة جديدة »

وابلغ من ذلك كلهِ ما قالهُ جون هاي وهو من اعظم وزراء اميركا واحكمهم « الحرب اسخف جهالات الناس واقبحها »

كاترينا الثانية واصلاحها

لما كانت هذه الامبراطورة في مقتبل العمر التفَّ حولها كثيرون من الاعوان الذين لا تحمد سيرتهم مثل اولاد اورلوف و بوتمكين نخدموها خدمةً نصوحاً واغدقت هي عليهم الخيرات ويقال انها اعطت اولاد اورلوف خمسة واربعين الفاً من الفلاحين الارقاء وما يساوي عشرة ملايين من الجنيهات وذلك من سنة ١٧٦٢ الى سنة ١٧٨٣ ومنحت بوتمكين في سنتين ٣٧ الفاً من الارقاء وما يساوي مليوناً و٣٥٠ الفاً من الجنيهات حتى بلغ دخلهُ في السنة ستين الف جنيه . و يقال انهُ اوقد مرة من الشموع في وليمة من ولائمهِ ما ثمنهُ عشرة آلاف جنيه . و بعثت باقدر رجالها في السياسة سفراء الى حكومات اوربا مثل سيمن ڤورنتسوف الذي كان سفيرها في لندن ودمتري غالتسوين الذي كان سفيرها في باريس و بدبرج الذي كان سفيرها في ستكهلم

ومن اعمالها المشهورة انها جمعت نواب البلاد من كل الطبقات والفت منهم مجلساً تشريعياً لسن القوانين فبلغ عددهم ٦٥٢ نائباً وكانوا يمثلون رجال الحكومة وامراء البلاد وسكان المدن والارياف وقبائل التتار والقلموق واللاب وغيرهم من كل طائفة ومذهب . واعطت كلاًّ منها وساماً عليهِ شعارها وعبارة معناها « لخير الكل اجماعاً وافراداً » وجعلتهم بحيث لا ينالهم القانون بعقاب مدة اجتماعهم ولا يحل بهم عقاب بدني ابداً . والظاهر انها كانت تختار القوانين من كتب علماء الاوربيين وحكمائهم وتعرضها مع هذا المجلس حتى يصادق عليها و يجعلها من قوانين البلاد

ومن الاقوال المأثورة التي تنسب اليها قولها ان الامة ليست لملكها ولكن الملك لامتهِ . المساواة انما تقوم بطاعة الشعب للقوانين . الحرية هي ان يباح لكل احد ان يعمل ما لا يحرّمهُ القانون الافضل . ان ينجو من العقاب عشرة مجرمين من ان يعاقب بريءٌ واحد . التعذيب يجعل الضعيف يعترف بالذنب ولو كان بريئاً منهُ والقوي ينجو من العقاب ولو كان مذنباً . ونحو ذلك من جوامع الكلم التي تشجب الاضطهاد الديني والعقاب البدني

وجلس هذا المجلس اكثر من مئتي جلسة واقام لجاناً كثيرة لدرس المسائل الادارية ونحوها وكان اعضاؤهُ يتناظرون علانية في اهم المواضيع واكثرها تضييقاً لسلطة الحكام فبحثوا في كل المسائل الاقتصادية وطلبوا ان يباح حق الانتخاب للفلاحين . ثم نشبت الحرب

بين روسيا والبلاد العثمانية فاضطرت الامبراطورة ان تحل المجلس فحلتهُ وهي تقول انها عرفت من مباحثهِ مطالب مملكتها وما يجب ان تفعلهُ لها

ومن المباحث التي بحث فيها ذلك المجلس تحرير الفلاحين المستعبدين. افتتح باب البحث فيهِ النائب كوروبين وهو من الاشراف فاشار بان ينزع حق الملاَّك من املاك الفلاحين ولا يبقى لهم الاَّ الإشراف عليهم . فاجابهُ نائب آخر انهُ اذا كان غرض الامبراطور تحرير هؤلاء العبيد فلا يحسن تحريرهم دفعة واحدة بل تدريجيًا . فاشارت الجمعية الاقتصادية ان تطرح هذه المسألة على بساط البحث في اوربا كلها ويطلب من مهرة الكتَّاب ان يؤلفوا الرسائل فيها وتعطى جائزة لمن تفضل رسالتهُ غيرها . فاعطيت الجائزة لرسالة فرنسوية توجب تحرير العبيد. لكن أشراف المملكة لم يسهل عليهم ان يتنازلوا عن حقوقهم الموروثة فبذلوا كل مرتخص وغالٍ حتى صرفوا فكر الامبراطورة عن هذه الرسالة واقنعوها بابقاء الاستعباد فجارتهم على ذلك وفاقتهم لانها ضربت الرق على اكثر من مئة وخمسين الفاً من الفلاحين الذين كانوا في املاكها باعطائها اياهم لبعض خواصها كما تقدم. امرت ان لا تسمع للفلاحين شكوى على اسيادهم واباحت للاسياد ان ينفوا فلاحيهم الى سيبيريا فنقضت بعملها هذا ما بنتهُ اولاً من جهة اولئك المساكين وايدت قول المتنبي حيث قال

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفَّة فلعلة لا يظلمُ

الاَّ ان اصلاحاتها الاخرى بقيت نقيَّة الصحيفة كأَنها نظرت الى الفلاحين غير نظرها الى سائر الناس فضربت على ايدي المرتشين والمغتصبين والخوَنة الذين يؤْتمنون على اموال الناس فيبتزونها . وقد جاء في احد اوامرها ما تعريبهُ « نرى ان من اهم واجباتنا والزمها ان نعلن لشعبنا اننا طالما سمعنا ببرارة النفس ورأَينا الآن بالفعل الى اي درجة فشت الرشوة في البلاد حتى لم يبقَ منصب من مناصب الحكومة الاَّ والرشوة قد نفت منهُ ذلك الامر الالهي الذي هو العدل . فاذا طلب احد منصباً في الحكومة لم ينلهُ الاَّ بالرشوة واذا اراد احد ان يحمي نفسهُ من وشايات الواشين لم يستطع ذلك الاَّ بالرشوة واذا اراد ان يشي بغيرهِ ظلمًا وعدوانًا ويوقع بهِ استطاع ذلك بالرشوة .ولكَمْ من قاضٍ صيَّر المحكمة التي يجب ان يحكم فيها بالعدل باسم الله القدير سوق تجارة مستعملاً منصبهُ لتعويج القضاء وكسب الاموال مع انهُ منصَّب للعدل بين الناس من غير محاباة فتراهُ يبني بيتهُ بدلاً من ان يخدم الههُ ومملكتهُ وبلادهُ »

ثم رأت ان مراكز الولايات بعيدة عن اطرافها وكانت البلاد مقسومة الى خمس عشرة ولاية فقسمتها الى ٥٠ ولاية في كل ولاية منها من ثلثمئة الف نفس الى اربع مئة الف وقسمت كل ولاية الى اعمال في كل عمل منها عشرون الفاً الى ثلاثين الفاً. وولّت على كل ولاية والياً وجعلت لهُ وكيلاً وجعلت لكل ثلاث ولايات والياً عامًّا يشرف عليها. واقامت في كل ولاية مجلساً للادارة وغرفة مالية للنظر في امر الضرائب والاملاك والمعادن والتعداد ومدرسة كلية ومستشفيات . وانشأت مجالس للقضاء في كل الولايات والمراكز لكنها جعلت بعضها للنظر في قضايا الخاصّة وبعضها في قضايا العامّة ولم تجعل للفلاحين مجلساً فاصبحوا محرومين من كل الحقوق المدنية فاذا ظُلموا لم يستطيعوا ان يرفعوا ظلامتهم الى احد. وانشأت مجلس استئناف في عاصمة كل قسم من اقسام السلطنة تستأنف اليهِ الاحكام واخيراً محكمة نقض وابرام في مجلس الشيوخ

وانشأت جمعية للاشراف في كل ولاية وهي تنتخب رئيسها وموظفيها. ولما كانت قد الغت قانون بطرس الاكبر القاضي بتجنيد الاشراف كلهم امرت ان لا ينتخب لرئاسة هذه الجمعيات والتوظف فيها الاَّ مَن كان قد نال رتبة عسكرية فاغرت الاشراف بالخدمة العسكرية من جديد

ومنحت التجار وسكان المدن امتيازات خصوصية منها ان ينتخبوا قضاتهم ويسنوا القوانين المختصة بهم ويكون لهم شيء من الاستقلال الاداري. وقسمت التجار الى ثلاث فرق وجعلت من الفرقة الاولى كل تاجر لا يقل رأس مالهِ عن عشرة الاف روبل (١٥٠٠ جنيه) ومن الثانية كل تاجر لا يقل رأس مالهِ عن الف روبل . ومن الثالثة كل تاجر رأس مالهِ اكثر من خمس مئة روبل. ومن سواهم سكان المدن. ومنعت ما يسمَّى بحماية التجارة خلافاً لما فعلهُ بطرس الاكبر اي انها لم تضرب على الواردات مكوساً فادحة لكي يقل دخولها الى البلاد ويكتفي السكان بمصنوعات بلادهم وحاصلاتها. ثم اقفلت مدرسة المعارف ومدرسة الصنائع ومدرسة التجارة

واستدعت الناس من كل الاقطار لتعمير الاراضي الخصيبة الخالية من السكان ومدتهم بالمال من غير ربا لكي يوفوهُ في عشر سنوات وعفتهم من كل الضرائب ثلاثين سنة فوفدوا على روسيا واكثرهم من الالمان . وجعلت بلادها ملجأ للمضطهدين لاجل دينهم وانزلت في ولاية صرتوف اثني عشر الف عائلة وقد كثر نسلهم هناك وكانوا لا يزالون يتكلمون اللسان الالماني الى عهد قريب. وبلغ عدد الذين لبوا دعوتها ونزلوا روسيا حتى سنة ١٧٧١ ستة

وعشرين الفاً · ومصَّرت نحو مئتي مدينة وسميت بعض هذه المدن باسمها مثل ايكاترينبرج وايكاترينوسلاف

وكان بطرس الاول وبطرس الثالث قد حاولا نقل اوقاف الكنائس والاديرة الى الحكومة فلم يفلحا و بلغ عدد الفلاحين العبيد في هذه الاوقاف نحو مليون نفس فكان في اوقاف دير مارسرجوس في ترواتسا مئة وعشرون الفاً من هؤلاء الفلاحين المستعبدين وفي اوقاف دير مار كيرلُّس خمسة وثلاثون الفاً · وكان رؤساء الاديرة مثل ملوك مستقلين في ملكهم · فانشأت مجلساً مؤلفاً من رجال الكنيسة ورجال الحكومة وسلمتهُ ادارة الاوقاف كلها فصار يجمع ريعها وينفق منهُ على الاديرة والكنائس وما بقي من الريع ينفق على انشاء المدارس الدينية والمستشفيات وملاجيء العجزة

وكتبت الى ڤولتر عن اللجنة التي اقامتها لسن القوانين تقول « لا بد وان تسرّ اذ ترى في هذه اللجنة رجلاً ارثوذكسياً جالساً بين رجل مسلم ورجل معطل والثلاثة مصغون الى كلام رجل وثني والاربعة يتذاكرون في كيف يضعون القوانين الصالحة للجميع » · فاطلقت الحرية الدينية في بلادها اطلاقاً تاماً وسمحت للجزويت ان يقيموا في بلادها حين الغى طغمتهم البابا اكليمنضس الرابع عشر وسمحت لتتار القولغا ببناء مساجدهم

وزاد سكان روسيا في عهدها فبلغوا اربعين مليوناً بما نزح اليها من البلدان الاخرى وبما اتخذتهُ من الوسائل لمنع الاوبئة وتقليل وفيات الاطفال · واغرت الشبان بدرس الطب واستدعت الاطباء من الممالك الاخرى وانشأت مدرسة للصيدلة ومعملاً لعمل الآلات الجراحية وادخلت التطعيم الواقي من الجدري في بلادها وكان اول من تطعم هي وابنها فاهدى اليها مجلس الشيوخ اثني عشر وساماً ذهبيًّا تذكاراً لذلك ونقش في دار المجلس في موسكو عبارة معناها انها خاطرت بنفسها لكي تنجي شعبها · والذي طعمها طبيب انكليزي اسمهُ دامسدايل فاعطتهُ عشرة آلاف جنيه ورتبة بارون وقطعت لهُ خمس مئة جنيه راتباً سنويًّا · والولد الذي اخذ منهُ الطعم لتطعيمها اعطي لقب شرف يتوارثهُ نسلهُ وكان ذلك وقتما امات الجدري الملك لويس الخامس عشر واولاد ملك اسبانيا · وقد كتبت الى ڤولتر في هذا الصدد تقول « من الغريب انهُ تطعم عندي في شهر واحد اكثر مما تطعَّم في ڤينَّا في سنة »

وكان اكثر اهتمامها في تعليم الشعب ونشر المعارف بين الطبقة العليا والوسطى · قالت تخاطب ايڤان تبسكي « ان التغلُّب على الناس وجعلهم يتعلمون ويحيون حياة جديدة عمل شاق

يقتضي تعباً لا يوصف لا تجنى ثماره الاَّ في زمن خلفائنا » . وكان ايڤان تبسكي من النوادر الذين يضحون انفسهم لخدمة ابناء نوعهم . هذَّب مواهبهُ الطبيعية وقواها بالدرس في جامعات اوربا ورأَى انهُ لا يصلح الاَّ الروسيون لتعليم اولاد الروسيين لانهُ يصعب على الاجنبي ان يعرف ما نفوس التلامذة الروسيين ممَّا هو عادة او خلق او تديُّن ولكن الزمن الذي تستغني فيهِ روسيا عن الاساتذة الاجانب لم يكن قد حان . فانشأ المدارس الابتدائية في البلاد كلها والثانوية في المدن الكبيرة . واهتمت الملكة بتعليم النساء فجمعت اربع مئة وثمانين صبيَّة في مدرسة سمولنا والقت ادارتها الى سيدة فرنسوية اسمها مدام لافون وكتبت الى فولتر عن اولئك الصبيات تقول « اننا نود ان لا يصرن من ذوات الغنج والدلال ولا من المترهبات المبتلات » وكنَّ يتعلمن اللغة الفرنسوية وغيرها من اللغات الاوربية مع بعض العلوم التكميلية . وانشأَت داراً كبيرة للقطاء في موسكو اجتمع فيها في عهدها اربعون الف لقيطة وكانت تحرر كل فلاح من العبيد يتزوج واحدة منهنَّ . ورأَى نبوليون هذه الدار لما دخل موسكو فاعجب بها اي اعجاب

وكثر الاهتمام باللغة الفرنسوية وآدابها في عهدها فترجم الكتاب الروسيون مؤلفات الكتَّاب الفرنسويين والفوا على منوالها نثراً ونظماً وجعل عظماء روسيا وادباؤُها يباهون بمراسلة ادباء فرنسا فقوي فيهم حب التسامح الديني والترفُّع الادبي والانس والدعة والميل الى معاملة الناس كلهم بالمساواة ثم لما رأَوا ما آلت اليهِ الحرية الفرنسوية في زمن الثورة ذعروا ونكبوا عنها ولكنهم لم يعودوا الى ما كانوا عليهِ من خشونة الطباع

وكانت الامبراطورة اشد رغبة من شعبها في مجاراة الفرنسويين ومراسلة علمائهم وادبائهم وترجمة كتبهم الى الروسية ومساعدتهم بالمال ومن هذا القبيل ابتياعها لمكتبة ديدرو وابقاؤُها في بيتهِ وجعلهُ حافظاً لها . حتى ان الكتب التي كانت الحكومة الفرنسوية تمنع نشرها في بلادها او تجمعها وتحرقها اذا طبعت فيها كانت تبيح نشرها في روسيا . وجاءَت بالنحات فلكونه صديق ديدرو الى بطرس برج ليصنع تمثال بطرس الاكبر فسبكهُ راكباً على جواد وقد اطلق يديهِ للريح وداس بقدميهِ على افعى الحسد واوقفهُ على صخرة كبيرة غشيمة تمثل المصاعب التي قامت في وجه ذلك الملك العظيم فتغلَّب عليها

وكانت اكثر مراسلاتها مع ڤولتر ابتدأَت تراسلهُ سنة ١٧٦٣ واستمرت الى حين وفاته سنة ١٧٧٨ . وكانت تخبره باعمالها كلها وما تجريهِ من الاصلاح في بلادها وتنفق على الذين يودُّ الانفاق عليهم

وكانت محبة للفنون الجميلة فزينت عاصمتها بافخر الصور الايطالية والفلمنكية وابتاعت في سنة واحدة صوراً بمليون روبل . وكان لها شأن في الآداب الروسية فالَّفت كتاباً لتعليم حفيديها اسكندر وقسطنطين وقصصاً من التاريخ الروسي . و يظهر من المقدمات التي كانت تكتبها للقوانين التي سُنَّت في عهدها ومن مراسلاتها بالروسية والفرنسوية والالمانية مع وزرائها وولاتها واصدقائها في فرنسا والمانيا انها كانت كثيرة الاشتغال وعلى جانب كبير من المهارة في فنون الادب . وانشأَت روايات تمثيلية كثيرة حقَّرت بها الرياء والبخل وكراهة التعليم واستعمال الكلمات الفرنسوية ودسائس الاشراف واسراف الروسيين وهم مسافرون في اوربا وكثيراً من العادات الضارة التي كانت متبعة حينئذٍ . وكتبت اكثر رواياتها التمثيلية بالفرنسوية وكتبت بها ايضاً ترجمة حياتها

وانشأَت الاكادمية الروسية على مثال اكادمية فرنسا فوضعت هذه الاكادمية قواعد التهجئة والصرف والنحو والعروض للغة الروسية وانشأَت قاموساً لها في ست مجلدات وكتبت الامبراطورة تقريظاً للمجلد الاول منهُ

وقرَّبت العلماء والادباء الروسيين واغدقت عليهم النعم فتباروا في تأليف الكتب والروايات آخذين مأخذ الادباء الفرنسويين كفولتير ومولير ولافونتين ونظم بعضهم قصيدة دينية ادبية بليغة جدًّا فكتبها امبراطور الصين بحروف من ذهب وعلقها في احد هياكل الصين . وحرَّر نوفيكوف جريدة موسكو فبلغ عدد المشتركين فيها اربعة آلاف وهو عدد كبير جدًّا في ذلك العهد . و بلغ عدد المؤلفات الادبية والعلمية التي انشئت في عصرها مبلغاً كبيراً جدًّا وكانت في كل فن ومطلب

ولم يقتصر رجالها على فنون الادب بل طرقوا المواضيع العلمية السامية فرصد بلاس عبور الزهرة على قرص الشمس وكان قد جعل رئيساً لاكادمية العلوم وعمرهُ ثلاثون سنة وساح في القرم وسيبيريا وتخوم الصين ووصف ما رآهُ فيها

ولما كادت الثورة تقع في فرنسا كانت الحكومة الفرنسوية والحكومة الروسية تتذاكران في عقد محالفة رباعية تشمل روسيا والنمسا وفرنسا واسبانيا لمنع تفوُّق انكلترا البحري وتوسُّع روسيا البري ولكن لما نشبت الثورة وهُدم البستيل رأَت الامبراطورة ان الاعتماد على فرنسا صار كالاعتماد على قصبة مرضوضة ثم لما قتل الثوار الملك لويس السادس عشر جزعت اشد الجزع ويقال انها مرضت من جراء ذلك وامرت ان يطرح تمثال فولتير و يراقب كل الروسيين المتهمين بحرية الافكار ونفت الى سيبيريا مؤلف الرحلة من بطرسبرج الى موسكو لانهُ

انتقد فيها استعباد الفلاحين وقبضت على نوفيكوف وسجنته واقفلت مطبعته وطردت السفير الفرنسوي ولم تعترف بالجمهورية الفرنسوية وقطعت العلاقات السياسية مع فرنسا ومنعت نشر الراية الفرنسوية في مرافىء بلادها ونفت كل الفرنسويين الذين ابوا ان يحلفوا يمين الطاعة للملكيَّة ورحَّبت بالمهاجرين الى بلادها الهاربين من الثورة. وحثت الانكليز على مساعدة كونت ارتواز ليزحف على فرنسا واغرت النمسا و بروسيا بمقاومة الثورة ولكنها لم تشارك هذه الدول في ذلك بالقوة بل اظهرت انها تريد إشغالها بامور فرنسا لكي تتفرغ هي لمحاربة البولنديين والعثمانيين والفرس فافادت الثورة الفرنسوية وهي تقصد الاضرار بها لانها جعلت انكلترا والنمسا و بروسيا تغضي عمَّا هو جارٍ في فرنسا وتهتم بما هو جارٍ على حدود روسيا. ثم وافاها القدر المحتوم في السابع من نوفمبر سنة ١٧٩٦ وهي في السابعة والستين من عمرها

اليهود في فرنسا

يرى بعض افراد الامة الاسرائيلية ان تسميتهم باليهود حطة من شأنهم ويفضلون ان يسموا بالاسرائيليين آخذين في ذلك مأخذ يهود فرنسا. لكن علماءهم وادباءهم لا يرون هذا الرأي ولم يقولوا بهِ في ما نعلم من قديم الزمان الى الآن بل سموا انفسهم يهوداً في كل كتبهم ورسائلهم ومع ذلك سنعتمد على تسميتهم بالاسرائيليين في ما نكتبهُ نحن في هذه المقالة لان جمهور المقيمين منهم في هذا القطر يفضلون هذا الاسم ولو كانت كلمة يهود ادل على المعنى المراد كما يعلم المطلعون على التوراة فان اسرائيل خصَّ بالاسباط العشرة التي تفرقت في السبي الاول ولا يعلم اين مقرها الآن والمرجح ان اليهود الحاليين ليسوا منها بل من سبطي يهوذا وبنيامين

وغرضنا من نشر هذه السطور ان يرى الشرقيون ان فريقاً منهم وهم الاسرائيليون الذين هاجروا الى اوربا وسكنوا فرنسا مرضعة العلوم والفنون وواسطة عقد الحضارة والعمران قد جاروا الفرنسويين او فاقوهم في كل المطالب. فلا ندري كيف يزعم الاوربيون بعد ذلك ان العقل الشرقي دون العقل الغربي وانهُ اذا تناظر الشرقي والغربي وتساوت وسائط الاثنين كان السبق للغربي على الشرقي. ومعتمدنا في الجزء الاول من هذه المقالة على كاتب فرنسوي مشهور بين قومهِ اسمهُ ايجين تافرنيه قال ما خلاصتهُ

حسبت جريدة العالم الاسرائيلي في عددها الصادر في ١٣ اكتوبر سنة ١٩٠٥ ان عدد اليهود في باريس سبعون الفاً · وهذا العدد مبني على احصاء سابق وعددهم الآن اكثر من ذلك لانك قلما تجد شارعاً وليس فيهِ خمسة مخازن او ستة او عشرة من مخازن اليهود حيث لم تكن تجد مخزناً واحداً لهم · ويقدَّر عدد اليهود الذين اخذوا الرعوية الفرنسوية حتى الآن في فرنسا والجزائر بثلثمئة الف نفس لكن نسبة المراكز التي يشغلونها في الحكومة الى عددهم اكثر كثيراً من نسبة المراكز التي يشغلها الفرنسويون الاصليون الى عددهم · واحصاؤُهم في مراكز الحكومة امر عسير جدًّا وقد أُحصيتُ عدد من ذكروا منهم في جرائدهم ومجلاتهم من سنة ١٩٠٣ الى سنة ١٩١٠ فوجدت ما يأتي

في الجيش — قال الكولونل غادكي في جريدة العالم الاسرائيلي في ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٠٨ انهُ كان في فرنسا ٧٢١ ضابطاً اسرائيلياً سنة ١٨٨٨ من ١٨٥٠٠ ضابط وهم يصلون الى اعلى الدرجات في الجندية

فكان بين الجنرالية الفرنسوية في الثماني السنوات الاخيرة ثلاثة من رتبة فريق وخمسة من رتبة لواء (اي ثمانية جنرالية) و١٤ من رتبة امير الآي و ٢١ من رتبة قائم مقام و٦٨ من رتبة بكباشي و١٠٧ من رتبة يوزباشي و٣٦ طبيباً من اطباء الجيش

البحرية — اليهود قلال بين الضباط البحرية بالذات ولكنهم كثار بين الذين يتولون ادارة انشاء السفن الحربية وعمل البارود

القضاء — في مجالس الاستئناف وغيرها من المجالس ١١٠ قضاة منهم

مجلس الدولة — فيهِ ١٢٠ مستشاراً بينهم عشرون من اليهود

الوزارة — بين النظار ووكلائهم وكاتمي سرهم خمسون موظفاً من اليهود

المعارف العمومية — بين الاساتذة في الجامعات والكليات ٢٠٢ من اليهود واثنان منهم مفتشان عامَّان للتعليم واربعة في يدهم ادارة شؤُون التعليم الابتدائي

المناجم والمساحة — رؤَساء المهندسين للمناجم والمساحة تعينهم الحكومة واكثر من ثلاثين منهم من اليهود

وادارة مساعدة الفقراء وادارة اغاثة المحتاجين واسعتان جدًّا تشملان البلاد كلها ولها صفة رسمية واليهود كثار جدًّا فيهما وهم كثار ايضاً في ادارات السجون وتوزيع الاعانات على المدارس ومساعدة الاطفال

ادارة البوليس والضبط والربط فيها كثيرون من اليهود وادارة بعض فروعها في يدهم

اما عددهم في المناصب التجارية والمالية فكثير جدًّا حتى يصعب احصاؤهم وكل سنة تذكر جريدة العالم الاسرائيلي عدداً كبيراً من اليهود الذين تستخدمهم الحكومة الفرنسوية لمراقبة مصالح فرنسا التجارية في البلدان الاجنبية

وسنة ١٩١٠ كان ستة من اليهود في مجلس النواب الفرنسوي واربعة في مجلس الشيوخ وعشرة في الانستتو

ومنذ ستين سنة الى الآن تربع ستة منهم في منصب الصدارة اولهم كرميو المحامي الشهير الذي صار وزيراً للحقانية سنة ١٨٤٨ ثم غودشو الذي صار وزيراً للمالية تلك السنة. وثلاثة منهم استوزروا في هذه الجمهورية وهم مليو وزير الاشغال العمومية وريفال وزير الاشغال العمومية ايضاً ثم وزير الداخلية وكلوتس وزير المالية

ولليهود في الصحافة الفرنسوية الشأن الاكبر ففي باريس اربعون جريدة يومية واليهود يشتغلون في تحرير ثلاثين منها . واكثر العاملين في بعض الجرائد العليا منهم وكل اصحاب جريدة المسيو جوره الاشتراكية منهم وهم لاوي بروهل. ولاوي برهم . ودريفوس . ولويس دريفوس . وعالي ردريغ . وليون بيكار . وسلمون ريناخ وبلوم . وروف . وكازيوتز وهر . وساش

وقد باهت مجلة السجل الاسرائيلي في سبتمبر سنة ١٩١٠ ان الدراما (التمثيل) صارت في يد المنشئين من اليهود . ولا شبهة ان اشهر كتّاب العصر في فن الدراما هم منهم مثل برنستين وده بورتو ريش و بيرولف وترستان برنار وفورست واندره بيكار وناتانسن واتي وفلابريغ . واكثر منتقدي التمثيل من اليهود ايضاً

ثم استطرد الكاتب الى شيوع التعطيل بين اسرائيلي فرنسا وانتقاد بعضهم بعضاً في ذلك وما كان لقضية دريفوس من الشأن الكبير ونحو ذلك مما لا يهمنا ذكرهُ ولو تلخيصاً فنجتزئ بما تقدم للدلالة على ان الاسرائيليين وهم امة شرقية محضة فاضلت الفرنسويين في عقر دارهم ففضلتهم وتربّع رجالها في اسمى مناصبهم العلمية والادبية والسياسية والمالية مع ان تاريخهم في فرنسا تاريخ اضطهاد مستمر . فهو من اوائل القرن الحادي عشر الى اواخر القرن الرابع عشر سلسلة متصلة من المذابح فكانوا يتّهمون بانهم يغرون اولاد المسيحيين حتى يدخلوا بيوتهم ثم يقتلونهم وانهم كانوا يسمون الابار والعيون فتقوم العامة عليهم وتثخن فيهم . وكانوا محرومين من اقتناء الاملاك واذا استدان احد العظماء مالاً من اسرائيلي وتعذر عليهِ ايفاؤهُ فتك بهِ او نفاهُ من ولايتهِ. ومن هذا القبيل ان الملك فيليب اغسطس المتوفى سنة ١٢٢٣

استدان هو وشعبهُ اموالاً كثيرة من الاسرائيليين ثم استصفى هذه الديون كلها واخذ منهم عقود الرهن وكل ما يملكونهُ وطردهم من فرنسا . والملك لويس التاسع جمع الديون التي كانت لهم على شعبهِ والغى ثلثها حاسباً ذلك من اعمال البر الآئلة الى خلاص نفسهِ وامر بحرق كتبهم الدينية . وطردوا ثانية من فرنسا سنة ١٣٠٦ ثم اعيدوا بعد نحو اثنتي عشرة سنة لحاجة البلاد المالية اليهم وسمح لهم ان يستوفوا كل الديون التي لهم على شرط ان يعطوا ثلثيها للملك . واشتد الحماس باهالي الولايات الوسطى من فرنسا سنة ١٣٢١ فذبحوا خلقاً كثيراً من الاسرائيليين . وفشا الوباء في السنة التالية فقالوا انهم هم سببهُ واوقعوا بهم وحرقوا في شنون مئة وستين نفساً منهم ثم طردوا من اواسط فرنسا سنة ١٣٩٥

وتاريخهم في سائر اوربا مثل تاريخهم في فرنسا او اشد الاَّ في اسبانيا زمن استيلاء العرب عليها فانهم كانوا فيها مثل غيرهم من السكان وقام منهم حينئذٍ العلماء والاطباء الذين يشار اليهم بالبنان . ولم يكن اهل المذهب البروتستانتي اكثر تسامحاً من الكاثوليك بل كان الامر على الضد من ذلك فان حالهم في ايطاليا كانت دائماً اصلح من حالهم في الممالك البروتستانتية . وسنة ١٥٨٨ الغى البابا سكستوس الخامس كل الاوامر التي اصدرها سلفاؤُهُ لاضطهادهم وسمح لهم ان يقيموا ويتجروا في كل البلاد الخاضعة لهُ وان يستعملوا فرائض دينهم من غير حرَج وساواهم بسائر الرعايا في ما لهم وما عليهم

ونحن ننظر الى الاسرائيليين في هذه السطور كشعب شرقي من حيث هم جنس من اجناس البشر لا كاهل دين خاص بهم ولذلك يطلق على كل الذين تنصروا او اسلموا منهم ما يطلق عليهم من هذا القبيل فارتقاء دزرائيلي مثلاً الى رئاسة الوزارة الانكليزية هو ارتقاء فرد من الامة اليهودية او من امة شرقية ولو كان قد ولد مسيحيًّا وقس عليهِ العلماء والوزراء الذين قاموا في كل ممالك اوربا واصلهم يهودي والذين قاموا في ممالك المسلمين واسلموا هم او اسلافهم واصلهم يهودي فان هؤُلاء كلهم دمهم شرقي وهم من جنس سامي مثل العرب والسريان والسوريين وغيرهم من الامم الساميَّة

ونحن لا نلوم الاوربيين اذا جهلوا هذه الحقيقة او تجاهلوها ولكننا نلوم انفسنا اذا لم نؤَيدها بعملنا وارتقائنا حتى تصير اوضح من الصبح لذي عينين . واذا لم يكن من البحث في هذا الموضوع الاَّ اقناع جمهور القراء بان استعدادهم الفطري كشعب شرقي لا يمنعهم من الوصول الى اعلى مراتب الامم الراقية فكفى بهِ فائدة



طائر الفردوس

ريش الطيور في البرانيط

رأينا بالامس ريشاً في برنيطة احدى السيدات اشتراهُ لها زوجها من باريس بخمس مئة فرنك وهو يحسب انها صفقة رابحة لم يشهدها حاطب . هذا الريش من طائر الفردوس أُتي بهِ من جزائر الهند الشرقية فصيدذلك الطائر وجلب ريشهِ يقتضيان نفقات كثيرة فلا عجب اذا بيع بثمن فاحش مثل هذا . والمغالاة بالاشياء النادرة سنة جرى عليها اصحاب الثروة وبها تتوزع الاموال فلا غبارعليها من هذا القبيل

ولبس الريش على الرأس للزينة والتباهي قديم جدًّا ولا يزال شائعاً في كل البلدان فتراهُ في الآثار المصرية القديمة التي يمتد تاريخها الى ثلاثة آلاف سنة او اكثر قبل المسيح حتى لقد أُدخلت صورة ريش النعام بين حروف الهجاء المصرية . ولما وصل الاوربيون الى اميركا وجدوا الهنود سكانها يزينون رؤُوسهم بالريش ولا يزال سكان جزائر المحيط يكثرون من استعمال الريش في زينتهم الى الآن . ومن الغريب ان اهالي اوربا لم يستعملوا الريش للزينة في عصر التاريخ الاَّ منذ اواخر القرن الثالث عشر وكان اكثر اهتمامهم حينئذٍ بريش النعام كما يرى في صور القلانس التي كان يلبسها ملوكهم مثل ادورد الثالث وتشرد الثاني من ملوك الانكليز. واستعمل الريش في الحلل العسكرية اولاً في زمن الملك هنري الخامس في اوائل القرن الخامس عشر وكثر استعمالهُ جدًّا في اواخر ذلك القرن . وشرعت النساء يلبسنهُ في برانيطهنَّ في اواسط القرن السادس عشر واكثرن من لبسهِ في زمن الملكة اليصابات ومن ثم الى الآن وهن يتبارين بوضع الريش على برانيطهنَّ وادخالهِ في ملابسهنَّ ولا يقتصرن على ريش النعام بل يستعملن ريش انواع كثيرة من الطيور

وكان ريش النعام يجلب من افريقية حيث يصاد النعام لاجلهِ وفي ذلك من المشقة ما فيهِ ثم جعل البعض يربونهُ لهذه الغاية ومن هذا القبيل دار النعام في المطرية قرب القاهرة يربَّى فيها النعام حتى يتكامل ريشهُ ثم ينتف

وريش النعامة البالغة رمادي اغبر وبعضهُ ابيض ولكنهُ قلما يكون ناصع البياض وريش الظليم اكثرهُ اسود فاحم وبعضهُ ابيض يقق وبعضهُ بين بين واثمنهُ الاسود والابيض اما قبل ان يبلغا اشدهما فيكون لون الذكر مشابهاً للون الانثى القليل الرواء ومتى صار عمر الذكر سنتين نبت لهُ الريش الاسود الفاحم الذي يمتاز بهِ

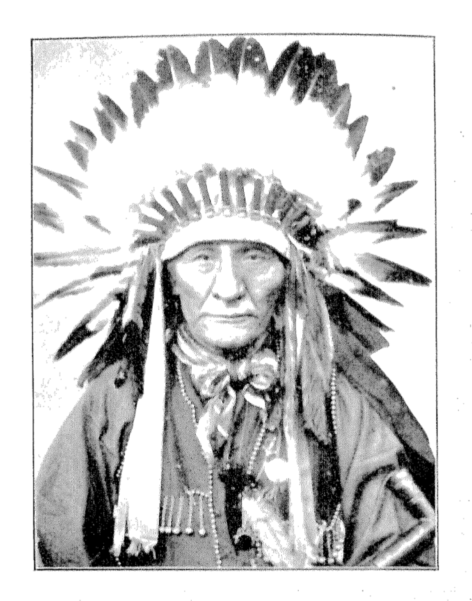
ويبقى النعام حيًّا ينتف ريشهُ اربعين سنة او اكثر اذا اعتني بهِ الاعتناء الواجب ولم

ينتف ريشهُ الاَّ مرة في السنة واما اذا نتف كل ثمانية اشهر او تسعة لم تمض عليهِ خمس سنوات حتى يظهر الضعف فيهِ والانحطاط في ريشهِ

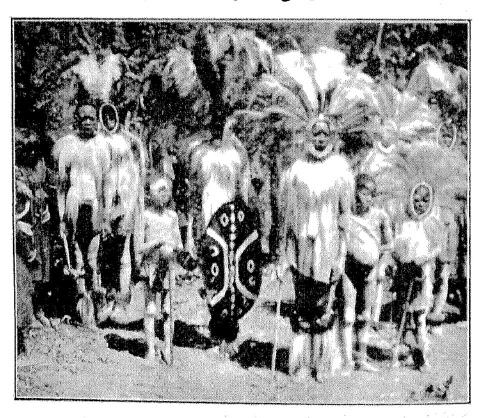
الاَّ ان تجار الريش وواضعي ازياء النساء لم يكتفوا بريش النعام بل اغروا النساء بكل نوع من الريش الملون وغير الملون من ريش الطاووس وطائر الفردوس الى ريش الغراب الفاحم والبومة القبيح المنظر. ومما يسهل على كل احد الوصول اليهِ كريش الدجاج الى ما تُتجشم المشاق في صيدهِ كطائر الفردوس . ولقد كان الناس يغالون بريش هذا الطائر من قديم الزمان حتى يظن انهُ هو الطائر الذي رآهُ عاصم افندي مترجم القاموس الى اللغة التركية وقال ان لونهُ قريب من الزرقة وفي ذنبهِ جمة ريش منقط ونظراً لهذا الريش اشتراهُ احد الاعيان بذهب وافر واهداهُ الى السلطان سليم (انظر مقتطف ابريل سنة ١٩١٠ صفحة ٣٦٨)

وقد وصف الدكتور الفرد رسل ولس الذي نعاهُ البرق حديثاً طائراً من طيور الفردوس فقال « ان جسمهُ وجناحيهِ وذنبهُ سمراء بنيَّة وتشتد سمرتهُ عند صدرهِ حتى يصير بنفسجيًّا او اسمر قرمزيًّا واعلى رأسهِ ورقبتهِ اصفر بنيًّا وريشهُ هناك قصير كالخمل وريش اسفل عنقهِ اخضر زمردي شديد اللمعان وهو كفلوس السمك شكلاً . وفوق منقارهِ ريش شديد الخضرة يصل الى ما حول عينيهِ . وعيناهُ صفراوان برَّاقتان ومنقارهُ ابيض الى الزرقة وفي ذنبهِ ريشتان طويلتان دقيقتان جدًّا يبلغ طولها قدمين الى قدمين ونصف قدم ويبرز من تحت جناحيهِ ريش غزير دقيق يبلغ طولهُ نحو قدمين لونهُ برتقالي ذهبي لمَّاع رؤُوسهُ تضرب الى السمرة وهو ينفش هذا الريش احيانًا حتى يغطي بدنهُ » ثم قال انهُ رأى مرة نحو عشرين طائراً من طيور الفردوس على شجرة وقد نفشت ريشها وجعلت تنتفض وتنتقل من غصن الى آخر حتى خال الشجرة كلها صارت ريشًا بديعاً على ضروب شتى من الحركات والسكنات . وهذا التزويق خاص بالذكر واما الانثى فريشها اسمر بني

والظاهر ان تجارة الريش غير قديمة في اوربا وانها ابتدأت في جنوى وبيزا والبندقية في القرون الوسطى وامتدت الى فرنسا في القرن السادس عشر فذُكر تجار الريش في زمن الملك هنري الثالث سنة ١٥٨٢ واعطوا بعض الامتيازات في زمن الملك لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر في القرن السابع عشر وانشئ محل في باريس لتحضير ريش النعام للزينة سنة ١٨٠٢ . والآن يشتغل بهذه الصناعة في باريس وحدها اكثر من خمسين الف نفس ويبيعون في السنة من الريش ما ثمنهُ اربعة ملايين من الجنيهات . اما تجارة الانواع الاخرى من الريش فلم تبتدئ في اوربا الاَّ في اوائل القرن الثامن عشر وقد صورت



رئيس من هنود اميركا



من اهالي اوغندا بافريقية

صورة الملكة ماري انطوانت وهي لابسة ريش النعام وريش الطائر المعروف باسم مالك الحزين

ثم لما شاع استعمال البنادق للصيد في اواسط القرن الماضي جعل الصيادون يصيدون الطيور بكثرة لاكل لحمها او للمتاجرة بريشها فكادوا يقرضون الطيور المزوقة من اميركا الشمالية والجنوبية حتى ان الطائر الصغير القد المعروف بالطنان كاد يقرض لكثرة ما كان يصاد منهُ سنويًّا لتزيين البرانيط اما وقد قلَّ استعمالهُ الآن في تزيينها فمن المرجح انهُ يعود الى كثرتهِ الاولى . وقد يكون الطائر الذي يصاد لريشهِ جميلاً جدًّا كالطنان وطائر الفردوس وقد يكون من اقبح الطيور منظراً كالطائر الافريقي المعروف بابي سعن المرسوم هنا فانهُ يصاد للريش الابيض الناعم البياض الذي تحت جناحيهِ وهو من اثمن انواع الريش ويعرف عادة بريش المرابو وفي ما سوى ذلك فهذا الطائر من اقبح الطيور منظراً ومخبراً

ولقد اهتمَّ كثيرون من الفضلاء الآن بمنع صيد الطيور لاجل ريشها وألَّفوا لجاناً كثيرة لذلك واستعانوا بالحكومات لانهم يعدُّون صيدها لهذه الغاية قساوة وحشية وجريمة لا تغتفر ولكنهم لا يحرمون ذبح ما يربونهُ من الطيور للاكل ولا صيد ما في حراجهم من انواع الطير والوحش ولا تجنيد الناس لقتل بعضهم بعضاً . لا شبهة ان وضع بعض الطيور على الرأس كالغربان والصقور لا شيءَ فيهِ من الزينة كوضع الريش الجميل المنظر مثل ريش النعام والطاووس والشقراق وطير الفردوس ولكن قتل الطيور لاكل لحمها ليس احل من قتلها للتزين بريشها لانهُ قتل على كل حال

واذا كانت الطيور نافعة للزراعة باكلها الحشرات الضارة فمنع صيدها امر واجب للانتفاع بها ولكن ان كانت لا تأْكل الحشرات ولا تفيد الزراعة فائدة تذكر صارت مثل غيرها من الطيور التي لا يرجى منها نفع ولا يخشى منها ضرر فاذا جاز قتل الواحدة جاز قتل الاخرى واذا حُرّم قتل هذه حُرّم قتل تلك . وزد على ذلك ان الطيور التي يستعمل ريشها في الزينة لها قيمة معاشية فقد تقدم ان ستين الفاً من العمال يعيشون بصناعة الريش في باريس وحدها فاذا فرضنا ان كل واحد منهم يقوم بمعيشة اثنين معهُ فهذه الصناعة تقوم بمعيشة ١٨٠ الف نفس من سكان باريس تأْخذ الاموال من الغنيات المترفهات وتوزعها على هؤُلاء العمال وعيالهم . اما نساء الاواسط والفقراء اللواتي يتمثلنَّ بالغنيات في الانفاق على زينتهنَّ فيجب ان يُصرَفنَ عن اسرافهنَّ بما يمكن من الوسائل التي لا تضرُّ بغيرهنَّ . وعلى كل حال لا يحسن ان يستأْصل طائر جميل المنظر لاي سبب كان

اقطاب الدولة الالمانية

(تابع ما قبلهُ)

الكونت زبلن

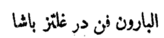
لا يذكر اسم الكونت زبلن الاَّ علّق اسمهُ بالبلون المسير الذي صنعهُ واتقنهُ حتى صار واسطة من وسائط الانتقال من مكان الى آخر ولو للنزهة وآلة من الآلات الحربية التي يخشى شرها ويرجى خيرها . وقد لقبهُ امبراطور المانيا منذ خمس سنوات « باعظم رجل الماني في القرن العشرين » . لما قال الامبراطور هذا القول عدَّهُ الناس ضرباً من الغلو الجائز في التجملات اما الآن وبلونات زبلن تسير من ناحية الى اخرى بالركاب فوقفوا يحسبون قول الامبراطور انباءً بما صار اليهِ حال هذا الرجل في السنوات الخمس الاخيرة حتى لما احترق احد بلوناتهِ بركابهِ على ما ذكرنا في الجزء الماضي لم يكن احتراقهُ ليزعزع ثقة الناس بهِ

واتم الكونت زبلن الخامسة والسبعين من عمرهِ في شهر يوليو الماضي ولم يدخل حرَم الشهرة الاَّ بعد ما صار عمرهُ سبعين سنة مع انهُ خطب ودها سنين كثيرة قبل ذلك ولعلَّ المصاعب التي لقيها في طريقهِ اشد من كل ما لقيهُ احد غيرهُ من المخترعين والمستنبطين

ولد في مدينة كونستانس وابوهُ الكونت فرديناند فون زبلن وانتظم في الجندية و بلغ رتبة ملازم في الفرسان وعمرهُ ٢٥ سنة وذهب الى اميركا وقت حرب استقلال العبيد كملحق حربي وعاد منها الى حرب بروسيا مع النمسا لحضر مواقع تلك الحرب القصيرة . ثم لما نشبت الحرب بين المانيا وفرنسا أُمر هو واربعة من الضباط وسبعة من الفرسان ان يستطلعوا جانباً من التخوم الفرنسوية وكانت الجنود الفرنسوية مجتمعة هناك لمقاومة الجنرال ملتكي فلما دريت بهم أُمرت بالقبض عليهم احياءً او امواتاً ولحق احد الفرسان الفرنسويين زبلن واصاب جوادهُ برمحهِ فدار اليهِ زبلن وارداهُ بسيفهِ وركب على جوادهِ وكرَّ راجعاً . ولقيتهم فرق اخرى من الجيش الفرنسوي فقتلت واحداً من الضباط واسرت ضابطين والفرسان السبعة ونجا زبلن وحدهُ على جواد الفارس الفرنسوي الذي قتلهُ واخبر بما رأى . وخرج من الحرب الفرنسوية الالمانية برتبة كولونل (اميرالاي) . ثم ارتقى الى ان صار جنرالاً في الفرسان فاعتزل الجيش وانقطع لعمل البلون وتسييرهِ حتى صار من وسائل الانتقال المعدودة

وهو ربعة بين الرجال ابيض الشعر ترى امارات الجندي في كل حركاتهِ وسكناتهِ لكنهُ كثير الاتضاع بعيد عن الدعوى

اقطاب الدولة الالمانية



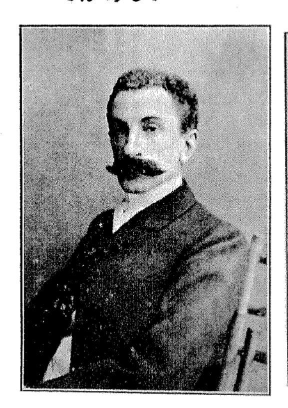
البارون فن در غلتز باشا



الاميرال فون تربتز



الكونت زبلن



اوغست شرل

اوغست شرل

في برلين جريدة يومية اسمها جرمانيا وهي لسان حال حزب الوسط الكاثوليكي ويقال انهُ كان يأتيها تلغراف من رومية كل ثلاثين سنة حينما يموت احد الباباوات وان الجرائد الالمانية كانت كلها على هذا النسق منذ اربعين سنة من حيث قلة الاهتمام بنشر الاخبار. اما الآن فصار في برلين ست جرائد يومية يختلف مقدار ما يطبع من كلٍّ منها من ١٥٠٠٠٠ نسخة الى ٤٠٠٠٠٠ نسخة وفي همبرج وفرنكفورت وكولون وبرسلو وليبسك ودرسدن جرائد يومية يطبع بعضها اكثر من مئة الف نسخة . واكثر الفضل في هذا التغيير لاوغست شرل وهو ابن كتبي دخل مصاف اهل الصحافة لا يملك غرشاً ولكنهُ كان ذكي الفؤَاد فلم تمضِ عليهِ بضع سنوات حتى غيَّر حال الصحافة الالمانية كل التغيير. انشأَ جريدة اللوكال انزيجر سنة ١٨٨٣ اسبوعية وجعلها يومية سنة ١٨٨٥ ولم يتبع فيها سياسة مخصوصة بل اهتمَّ بجمع الاخبار ونشرها لاسيما ما كان منها شديد الوقع في النفوس . ولم يمضِ عليها اربع سنوات حتى اضطرَّ ان يصدر منها نسختين في اليوم واحدةً في الصباح وواحدة في المساء واحضر لها آلات جمع الحروف واضاف اليها جريدة اسبوعية مصورة ثم انشأَ جريدة يومية مصورة

وزادت جرائدهُ سنة بعد سنة فلهُ الآن خمس جرائد يومية واثنتا عشرة جريدة اسبوعية وبعض هذه الجرائد كثير الانتشار جدًّا ومع ذلك تراهُ ناسكاً منقطعاً عن الناس قد لا يعرفهُ مئة رجل من اهالي برلين . والوصول اليهِ والتكلم معهُ اصعب من الوصول الى القيصر والتكلم معهُ . لما عاد المرشال ولدرسي من الصين سنة ١٩٠٠ ورايات النصر تخفق فوق رأسهِ بقي اربعة اسابيع يطلب مقابلة اوغست شرل فلم يحظَ بها. وهو الآن يقيم في بيتهِ ويدير منهُ اشغالهُ كلها ولا يراهُ الاَّ رؤَساء عمالهِ فيأْتونهُ ويستمدون الآراء منهُ ويعملون بقولهِ لكنهُ يطَّلع دائماً على كل تفاصيل عملهِ من كبيرها الى صغيرها وجريدتهُ اللوكال انزيجر تحسب نصف رسمية لان الحكومة تعتمد عليها في نشر اخبارها وارائها لكثرة انتشارها في البلاد

وهو مغرم بالطيور لانهُ كان يخرب عشاشها في صغرهِ فندم الآن على ما فعل ويقال انهُ يشتري من وقت الى آخر ما في اقفاص باعة الطيور ويطلقهُ تكفيراً عن ذنبهِ اليها

اميل راتنو

الكهربائية من القوى الحديثة الاستعمال جاءت بعد الماء والغاز والبخار فلم تستطع ان تقف اولاً الاَّ حيث لم تجد لتلك القوى موقفاً . ثم ما لبثت ان طردتها وقامت مقامها في كثير من البلدان . وفي المانيا شركة كبيرة وهي الشركة الكهربائية العمومية رأس مالها او قيمة ما يخصها من الاعمال مئتا مليون جنيه قدر الغرامة التي اخذتها المانيا من فرنسا . ولها فروع في روسيا وفرنسا والنمسا وايطاليا واسوج واسبانيا وسويسرا وتركيا وجنوب افريقية والارجنتين واورغواي وشيلي وجاوى وهي في المانيا ذات شأن كبير ونظام واسع كالجيش الالماني ولولاها ما كانت المانيا كما نراها الآن

هذه الشركة على اتساعها وعظم شأنها لم تنشأ الاَّ منذ ثلاثين سنة . انشأها الرجل الذي يديرها الآن وهو اميل راتنو . ابتدأت ورأس مالها ٢٥٠٠٠٠ جنيه فبلغت مقتنياتها الآن مئتي مليون جنيه كما تقدم

اميل راتنو يهودي مثل بلين وهو وبلين وتيسن الآتي ذكرهُ نشأُوا في المانيا في الوقت الذي احتاجت فيه الى امثالهم لإنجاح اعمالها وتفوقها على غيرها . فهو الذي ادخل اليها التلفون والنور الكهربائي ونقل القوة بالكهربائية ومهَّد السبيل للترامواي الكهربائي واستنبط اساليب كثيرة لاستخدام الكهربائية وصنع الآلات اللازمة لها

ولد في برلين واشتغل في صباهُ بعمل الاردية والقمصان ثم درس الهندسة الصناعية في هنوفر وزورك وجاء بلاد الانكليز ودخل معمل جون بن وشركائهِ رسَّاماً وعاد الى بلادهِ وقد رسم رسماً لآلة بخارية قوتها الف حصان . وانشأ معملاً صغيراً في برلين لكن آمالهُ واعمالهُ كانت اكبر من رأس مالهِ فاضطرَّ ان يبيع المعمل ولم يكسب منهُ غير خبرة صارت اساساً لمستقبلهِ لان ما تعملهُ شركتهُ الآن في السنة ومقدارهُ ١٥ مليون جنيه انما نتج عن تلك الخبرة . وقد اغتاظ من الماليين الذين باعوا لهُ معملهُ الاول ولم يمهلوهُ ليوفي ديونهُ فحملهُ الغيظ على ان اصبح من كبار الماليين وصار يسن لهم السنن

ابتدأ عملهُ هذا سنة ١٨٨١ حينما عرض اديصن نورهُ الكهربائي في معرض باريس فقال في نفسهِ ان هذا النور هو نور المستقبل فصمم على ان يدخلهُ الى المانيا وينشرهُ فيها ويجعلهُ من الحاجيات وتدرَّج في ذلك الى ان صارت قيمة معاملهِ الكهربائية في برلين وحدها ستة ملايين من الجنيهات وكان دخل المجلس البلدي منها ٧٥٠ جنيهاً سنة ١٨٨٩ فاصبح الآن ٣٠٠٠٠٠ جنيه في السنة

مكسمليان هاردن

فردرك وليم ديل الذي لخصنا عنهُ هذه الترجمات وضع بينها ترجمة مكسمليان هاردن النقَّادة الهجَّاء المشهور الذي أُودع السجن مرتين بدعوى القذف في الامبراطور . قيل انهُ كان صديقاً حميماً لبسمارك وهو عامل الآن على الانتقام من الذين اقالوهُ من منصبهِ غامطين فضلهُ . وغاية ما يقال عنهُ انهُ يغط قلمهُ في السم ولا يدع شائبةً في رجال الحكومة والهيئة الاجتماعية الاَّ كشف امرها وفضح سترها . وقلة ما ينشرهُ من هذا القبيل دليل قاطع على خلو الحكومة الالمانية من الشوائب في عهد امبراطورها النزيه الحازم. فرجل مثلهُ لازم لصحة المملكة حتى لا تعتورها الادواء التي تعتور الممالك عادة ولذلك عُدَّ من اقطاب الامبراطورية الالمانية

اوغست تيسن

ابتدأ هذا الرجل في العمل منذ خمسين سنة ورأس مالهِ الف ومئتا جنيه انشأ بها معملاً صغيراً لسبك الحديد ورقّهِ وتطريقهِ وكان عمالهُ ستين رجلاً . وتقدر ثروتهُ الآن بين عشرة ملايين وعشرين مليوناً من الجنيهات وعندهُ من العمال خمسون الفاً . وهو لالمانيا في الفحم والحديد مثل ركفلر وكارنجي لاميركا في البترول والفولاذ . انشأ صناعة كبيرة ووسعها الى اوسع ما تصل اليهِ . وسَّع عملهُ رويداً رويداً حتى ضاقت بلادهُ عليهِ بما رحبت فاقتنى المناجم وانشأ المسابك واقام المعامل للحديد والملح والبوتاس والمرافئ والارصفة وبنى السفن الكثيرة لنقل المواد والمصنوعات فترى مناجمهُ ومعاملهُ ومرافئهُ ومخازنهُ في فرنسا وروسيا وبرازيل والهند كما تراها في المانيا. وهو كثير الاشتغال حتى ان ثلاثة من الكتاب لا يقومون بما يملي عليهم وعينهُ ترقب اعمالهُ في كل مكان

بلغ الحادية والسبعين من العمر ولا يزال حاملاً اعباء اعمالهِ لا يعبأُ بالرتب ولا بالمناصب ولا همَّ لهُ الاَّ الاعتناء بامور عمالهِ ومنع الحيف عنهم لكنهُ لم يوفَّق باولادهِ . لهُ ثلاثة واحد منهم ورث اخلاقهُ والثاني مبذر يفتخر بانهُ اكبر مديون فان الديون التي عليهِ تبلغ مليون جنيه وهو ينتظر موت ابيهِ ليأخذ نصيبهُ من ميراثهِ والثالث يحب الجاه فنال لقب بارون مجري وهو عائش بعيداً عن اهلهِ وبلادهِ

وقد ابتاع تيسن قصراً قديماً عظيماً منذ عشر سنوات يصلح لسكن الملوك فزادهُ اتساعاً وزخرفة لكنهُ لم ينسَ انهُ عاش عاملاً من العمال ويود ان يموت كذلك



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

طبع الاقمشة في سورية

(١)

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

سلام وبعد فانكما سألتما في مقتطف نوفمبر من يعرف شيئاً عن طبع الاقمشة في سوريا اليوم ان يفيدكما بذلك وها انا آتٍ بما اعرفهُ عن هذه الصناعة : —

ان صناعة طبع الاقمشة لا تزال جارية في سوريا ولكن الاقمشة التي تطبع هي من المنسوجات الاوربية غالباً . ولست اعلم بوجود معامل كبيرة لهذه الصناعة وانما جل ما هنالك ان التاجر الذي يبيع هذا الصنف يقدم القماش للصانع وهذا يطبعهُ بالاجرة . ويسمون الصانع عندنا في حلب البصمهجي (تركية من باصمق بمعنى الطبع) وهو غالباً يعمل في بيتهِ

اما الادوات التي يستعملها فهي القوالب الخشبية كما ذكر المقتطف فيرسم اولاً الصورة التي يريدها على الخشب ثم يحفرها حفراً بعدداتٍ خصوصية . والإناء الذي يضع الصبغ فيهِ مصنوع من الخشب ايضاً ويكون على سطح الصبغ قطعة قماش مشدودة الى جانبي الاناء الخشبي بحيث يلامسها الصبغ من الاسفل . اما القماش المراد طبعهُ فيبسط على طاولة واسعة قصيرة القوائم — لانهم يعملون وهم جلوس — مغطاة باللبد السميك وبعدهُ يضع الصانع القالب على القماش الذي في اعلى اناء الصبغ فيعلق بهِ ما يكفي لطبعة واحدة ومن ثم يطبعهُ حيث اراد وكيف اراد على القماش المبسوط امامهُ

واما هذه المطبوعات فليست على شيء من الاتقان ولا يستعملها الا اهل القرى وبعض العامة . فمنها المناديل البسيطة واوجه اللحف . وهذه لا تكاد تطبع اليوم واهمها الاثامات

على اختلافها فمنها لثامات البستانيات في حلب وجوارها ومنها لثامات الكرديات وهنّ يلففنها على طرابيشهنّ ومنها لثامات العربان وهي سوداء ونقشها ابيض ويسمون الواحدة منها « حطاطة » • وارقى الدرجات التي رأيت فيها هذه النقوش هي على هدب ثوب بعض السيدات

وقد شاهدت هذه الصناعة في عينتاب (شمال حلب) وفي حمص . واتصل بي ان تجار حماة يطبعون ما يحتاجون اليهِ من الاقمشة في حمص ايضاً

جورج

بيروت • الكلية الاميركية بواس خياط

(۲)

اجبتم على سؤال احد المشتركين في مقتطف نوفمبر سنة ۱۹۱۳ في ما يختص بطبع الاقمشة والمنسوجات في سورية ان مناديل اليزما واوجه اللحف الخشنة النسج والطبع التي ترى الآن في بعض البيوت في سورية هي مما كان ينسج ويطبع فيها ولم تعلموا هل هذه الصنعة لم تزل مستعملة الى يومنا الحاضر او انها بطلت فيها • وطلبتم ممن يطلع على هذا السؤال وهو يعلم بوجودها ان يكتب اليكم بذلك

فاجابة لسؤالكم اقول ان صناعة طبع المنسوجات بالنقوش والرسوم قديمة جدًّا في سورية كما ذكرتم ولا شك في انها سابقة لرسم الاقمشة بواسطة الحياكة والنسج لان هذه الاخيرة اكثر كلفة واصعب مراساً واطول وقتاً ولا تصلح الاَّ للمنسوجات الحريرية والقطنية الغالية الثمن

ولم يزل في سورية حتى يومنا الحاضر معامل لطبع الاقمشة في مدينة حلب يشتغل في المعمل الواحد منها ما يقرب من عشرين عاملاً وفيها يطبعون الاقمشة نظير اوجه اللحف ومناديل الرأس والمآزر وبعض منسوجات للملبوس ولوازم اخرى لم يعد يستعملها في يومنا هذا سوى بعض عامة الحضر وسكان البادية • وتوجد معامل كثيرة من هذا النوع في الاستانة ومصنوعاتها اتقن من سواها ونظير ذلك معملان في القاهرة وثلاثة في الاسكندرية وهي خاصة بطبع مناديل الرأس واللفحات خاصة • وصنعة معامل الاسكندرية اشد اتقاناً من صنعة القاهرة والسبب في ذلك على ما قيل براعة صناعها وفائدة ماء البحر فيها

اما الطبع فبواسطة القوالب الخشبية ولا تختلف الصنعة في اساسها عن كيفية طبع المنسوجات الاوربية التي على ما اتذكر كنتم اشرتم الى شيءٍ منها منذ اربع او خمس سنوات عقبي رحلتكم الى انكلترا وزيارتكم بعض معاملها • وذلك ان يؤخذ النسيج وهو ابيض ويبتدئ العامل بان يطبع الاشكال عليهِ تدريجاً لوناً فلوناً ثمَّ يصبغهُ بعد ذلك او ان يكون

النسيج مصبوغاً اولاً ثمَّ يأخذ بالطبع عليهِ ثانياً وكل هذا نظراً الى الالوان التي يراد صبغهُ بها واشكال الرسوم التي طبعها عليهِ . غير ان الصنعة الاوربية ارتقت ولم تزل ترتقي وتحسن تحسناً متواصلاً بما يتخذون لها من الآلات والمعدات الحديثة وبما يدخلون عليها من الاصباغ والمواد الكيماوية المستنبطة. والصنعة الشرقية باقية على قدمها ملازمة خطتها لم يطرأ عليها تكييف ولا تحسين شأن معظم الصنائع والحرف الشرقية وهو السر كما لا يخفى في اقبال الناس على الاولى واعراضهم عن الثانية القاهرة الياس الغضبان

(٣)

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الاغر

سألتم في مقتطف نوفمبر الماضي كتابة شيء عن صناعة طبع (او بصم) الاقمشة في سوريا وعليهِ بادرت الى نشر ما اعلمهُ عنها بعد الاتيان على نتفة من تاريخ هذه الصناعة

صناعة طبع الاقمشة قديمة والغالب ان مصدرها بلاد الهند لانها المحل الاول الذي حاك القماش المسمى بالهندي وهو الصنف المستعمل للآن كثيراً لهذه الصناعة والمعروف بعد الطبع بالمنديل او البصمة او اليازمة

الاَّ ان بلاد العجم ومصر كانت لها يد طولى في هذا الفن يؤيد ذلك ما ذكرتموهُ عن اثارها الموجودة الآن والتي يتجاوز تاريخها الفي سنة غير ان مصر فقدتهُ مما فقدت من صنائعها الاخرى

طبع الاقمشة كان ولا زال في بلاد الشرق من الاعمال اليدوية يستعملون فيهِ القوالب الخشبية يحفرها حفارون اختصاصيون لهذا الغرض بخلاف اهل الغرب الذين اخذوا هذا الفن عنا وابدعوا في اتقانهِ ابداعاً سادوا بهِ اسواق العالم التجارية فاخترعت لهُ بلاد الانكليز الآلات السريعة لطبعهِ وصبغهِ واقتدى بهم الالمان والامم الاخرى حتى الروسيا واهتمت كل واحدة منها في ايجاد وتجديد رسوماتهِ العديدة والوانهِ المختلفة بين يوم واخر وبعد ان كان طبع الاقمشة خاصاً باصناف القطن صار اليوم عامًّا للاقمشة الحريرية والجوت وخلافها

اما في بلاد الشرق كالهند والعجم وخوى وتركستان وبر الاناضول والاستانة وسوريا ومصر وغيرها فالصناع محافظون على الطرائق القديمة الاولية التي تسلموها واقتبسوها من الآباء والاجداد فاين قوالبهم التي تطبع باليد من آلات الغرب التي تدار بقوة البخار واين المشتغلون بهِ في الشرق وجلّهم اميون من اولئك الاعلام المتخرجين من اعظم الكليات الذين لهم عدة

مجلات تصدر شهرية ونصف شهرية ليقف منها اهل الفن على ما جدَّ من الاكتشافات

هذا ولنعد الآن الى طبع الاقمشة في الشرق وسوريا على الاخص حيث يستعملون القوالب الخشبية وهي كثيرة في كل بلد من هذه البلاد الشرقية ويتراوح ثمن الواحد منها بين ثلاثة فرنكات وخمسة في مصر او استعملوا في صنع الاقمشة طريقة الممسكات وهي كثيرة الاستعمال في غير تركيا ومصر مثال ذلك ان يضعوا محل الرسم المراد رسمهُ جوامد يسكبونها بآلات خاصة من الصفيح مثل الشمع والقطران وغيرهما فتلصق وتتماسك على القماش ثم يصبغونهُ بالازرق او الاحمر او خلافهما من الالوان المستعملة في صبغها على البارد فيتلون بها القماش جميعاً وبعد ذلك يحل الشمع بالماء المغلي فينزل عنها ويظهر محلهُ الرسم المطلوب

اما الطبع بالقوالب الخشبية فانهم يتوصلون بهِ الى طبع القماش بالوان كثيرة واشكال عديدة الاَّ انهُ من الضروري لان يكون لكل لون وشكل منها قالب مخصوص فالوردة التي رأيتموها ذات الوان مطبوعة بثلاثة قوالب او انهم استعملوا لها من المثبتات اصنافاً تظهر بعد متنوعة بالوانها

وعلى ذكر الالوان اقول بانهُ فيما مضى كانت الطباعة مقتصرة على الالوان النباتية اما اليوم فقد استعاضوا عن اكثرها باصناف الانيلين والاليزارين التي ساعد تعميمها على رواج هذه الصناعة بعد ان اشتغل في درسها كبار الكيماويين

اما في سوريا فالبلد الوحيد الذي حافظ على هذه الصناعة ولا يزال فيهِ مصانع لها فهو حلب وهي اختصاصية باصناف من طبع الاقمشة تصنعهُ وتصدرهُ الى بلاد العراق وسوريا وبر الاناضول وبر مصر وهناك صناع ماهرون الاَّ انهم محافظون على القديم ولا يريدون التحول عنهُ وهذا ما يهدد صناعتهم بالموت ان لم يتلافوا ذلك وكثيراً ما يعتمدون في صناعتهم على القوالب وعلى الممسكات ويعملون اعمالهم في محلات خاصة يمكن تسميتها بمعامل لان فيها ما يحتوي على صناع عديدين وهذا هو البلد السوري الوحيد المعروف بهذه الصناعة الآن وتطلب منهُ ذلك الاسواق الاخرى

الاَّ ان البلاد السابقة في هذا المضمار اليوم هي الاستانة وازمير وتوقاو وقيصرية فقد احتكر هذا الفن فيها جماعة الارمن وبرعوا فيهِ مع استعمالهم الطرق الاولية القديمة فانهم يصدرون منهُ كميات وافرة جداً اقربها للذكر ما تستوردهُ مصر من الاستانة ويقدر بخمسة عشر الف جنيه على اقل تقدير في السنة . والبلاد المذكورة تبيع من مصنوعاتها هذه كثيراً لبلاد تركيا وللخارج . وقد فاقت الاستانة سواها من هذا القبيل لان ما يصنع فيها هو غاية في

الجودة والاتقان وهي التي تورّد كميات كبيرة من مناديلها المبصومة الى بيروت لتزيدها يد البيروتية الحسناء اتقاناً وظرفاً بالذي تحبكهُ على اطرافها من القويا الجميلة ثم تصدر الى مصر وغيرها

اما طبع الاقمشة في مصر فهو وان كان معروفاً من مصنوعات مصر القديمة الاَّ ان صناعتهُ اندثرت ولم يبقَ لها الاَّ الاثر الذي وجدهُ محبو الآثار في خرابات الفيوم ولكن البلاد استعادت اخيراً هذا الفن منذ عشرات السنين اي منذ هجرة الارمن والحلبيين الى هذه البلاد لانهم جددوا هذه الصناعة كما اوجدوا غيرها . والآن هم اصحاب معاملها في مصر والاسكندرية ومصنوعاتهم وافرة فيها حتى سدت كثيراً على واردات تركيا وهي معامل كبيرة يشتغل فيها كثيرون واخصها في الاسكندرية ثم ان كثيرات من العاملات اللواتي تعلمن الفن واحتجبن في بيوتهنَّ لبلوغهنَّ سن الزواج يعملنَ الآن في بيوتهنَّ لحساب تلك المعامل والامل ان يرتقي هذا الفن كثيراً في مصر

واذا اراد صاحبكم الحصول على قوالب فذلك ميسور لهُ ان كان من الاسكندرية او من مصر وما عليهِ الاَّ تكليف واحد ليبعث اليهِ بها مصر ثابت ثابت

عبد اللطيف وابن سينا

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

رأَيت في ما نقلتموهُ عن عبد اللطيف البغدادي في مقتطف نوفمبر ان عبد اللطيف ينتقص ابن سينا ويذمهُ حيث قال « واقوى من اضلني ابن سينا بكتابهِ في الصنعة الذي تمم بهِ فلسفتهُ التي لا تزداد بالتمام الاَّ نقصاً » فكيف ذلك وانتم اذا ذكرتم علماء العرب الذين يفتخر بهم فاول مَن تذكرونهُ منهم ابن سينا احد القراء

[المقتطف] اننا لم نطلع على كتاب ابن سينا في الصنعة ولعلهُ كما وصفهُ عبد اللطيف . وقد اطلعنا على كتابهِ في الطبيعيات وما وراءها فوجدنا انهُ ليس ممَّا يعتدُّ بهِ والغالب انهُ مترجم او ناقل عن مترجم لا يحسن الترجمة . واما كتابهُ القانون في الطب فاوسع ما رأَينا من الكتب الطبية العربية . نعم ان فيهِ حشواً كثيراً ولكن فيهِ من الحقائق الطبية والآراء السديدة ما يشهد لهُ بالتبريز على غيرهِ . والظاهر ان عبد اللطيف كان شديد التعصُّب على علماء الفرس ولعلَّ توسُّعهُ في العربية وآدابها حقَّر في عينيهِ كتب ابن سينا لانها غير منمقة . وطالما رأَينا عشَّاق العربية يزدرون كتب العلم اذا كانت عبارتها ركيكة كأَنَّ الفصاحة شرط لازم لصحَّة الحقائق العلمية

باب الزراعة

محصول القطن الاميركي
وتأثيرهُ في محصول القطن المصري

انشأَت جريدة التيمس سلسلة مقالات نفيسة عن محصول القطن الاميركي فآثرنا نقلها الى زراع هذا القطر لاهميتها ولما تضمنتهُ من الفوائد العديدة قالت

لما حل العجز بمحصول القطن المصري في سنة ١٩٠٩ وقلت رتب القطن العالية اضطر اصحاب المغازل الذين يغزلون الغزل الرفيع في لنكشير ان يستعيضوا منها ببعض اصناف القطن الاميركي التي يطول شعرها اكثر من سائر الاصناف ولكن هذه الاصناف قلت في المحصول الاميركي الماضي قلة اوقعت اولئك الغزالين في حيرة وارتباك

اما السبب الذي يعزى اليهِ هذا النقص العظيم فهو ان دودة اللوز اضرت بمحصول العام الماضي ضرراً بالغاً فجاء شعرهُ اقصر من المعتاد ولاسيما في الاصناف الطويلة الشعر . وهو سبب وجيه ولكنهُ ليس السبب الوحيد لهُ فالزراع الاميركيون يظنون ان استغلال الاصناف التي يطول شعرها يستغرق زمناً اطول من سائر الاصناف وان لوزها لا تنضج الاَّ بعد ما تنضج الاصناف القصيرة الشعر فيوافق نضجها في شهر اغسطس وهو الميعاد الذي يكون فيهِ فتك دودة اللوز على اشدهِ . والمعروف عند الزراع انهُ اذا بلغت اللوزة اشدها او نضجت نصف نضج فلا تعود دودة اللوز تلحق بها ضرراً بالغاً ولكنها اذا كانت في اول نضجها فتكت بها الدودة فتكاً ذريعاً ولذلك تراهم يفضلون زرع الاصناف القصيرة الشعر التي تبلغ باكراً على الاصناف الطويلة

واذا ظهرت دودة اللوز في المحصول الاميركي اسقط في يد الزراع ولم يعد في طاقتهم مكافحتها واستئصال شرها . وقد اتفق ان هذه الآفة اصابت زراعة الاصناف التي يطول شعرها الى بوصة ونصف فاكثر على سنين متوالية فالحقت بها ضرراً عظيماً جدًّا . ولما رأى زراعها ما حل بزراعتهم وان جيرانهم الذين يزرعون الاصناف القصيرة سلمت زراعتهم من تلك الآفة او لم تنلها الاَّ بضرر قليل اقلعوا عن زراعة الاصناف الطويلة الشعر وعادوا الى زراعة الاصناف القصيرة التي يطول شعرها الى بوصة فاكثر قليلاً للسبب الذي بيناهُ آنفاً وهو

ان لوزة الاصناف القصيرة الشعر تنضج قبل ان يستفحل شر الدودة فلا تعود تستطيع الفتك بها واذا اتفق انها ادركت اللوز قبل جني المحصول كلهِ فانها لا تدرك الاَّ اللوزات المتأخرة في اعالي الشجيرات وهذه تكون قليلة فلا يؤَثر ما يصيبها من الضرر في جملة المحصول . فغاية الزراع الاميركيين اخراج بذرة تكون الشجيرات التي تفرخ منها واطئة تزهر سريعاً ويكون معظم تنويرها في الفروع السفلى القريبة من الارض ويتم نضج لوزاتها باسرع ما يمكن

وقد كانت الدلتا التي يؤَلفها نهر المسسبي المكان الوحيد الذي تزرع فيهِ الاصناف الطويلة الشعر ولكن هناك اماكن اخرى صارت تزرع فيها هذه الاصناف في مساحات صغيرة وقد يمكن توسيع نطاق زراعتها في هذه الاماكن توسيعاً عظيماً اذا صادف محصولها سوقاً رائجة . ولكن محصول هذه الاصناف لا يزال الى الآن قليلاً جدًّا بالنسبة الى جملة محصول القطن الاميركي وربما لم يتجاوز مئتي الف بالة من ١٥ مليون بالة . وليس من السهل انشاء معامل جديدة في الاماكن التي يستغل منها هذا القدر القليل من المحصول لتشتغل بهِ دون سائر المحصول

اما كون الاماكن التي تجود فيها زراعة الاصناف الطويلة الشعر كثيرة في الولايات المتحدة فلم يعد من باب الحدس والتخمين بل صار حقيقة ثابتة وصار توسيع نطاق زراعة تلك الاصناف فيها امراً مقرراً بعد ما ثبت بالتجربة والامتحان انها تجود فيها . وقد اهتم قلم الانبات بمصلحة الزراعة الاميركية في السنوات الخمس الماضية اهتماماً عظيماً بانتقاء اصناف جديدة من القطن الطويل الشعر والبحث عن الاراضي الموافقة لاستنباتها واجراء التجارب في زراعتها . وقد سبقنا فذكرنا ان هم الزراع الاميركيين الاول هو سرعة نضج المحصول حتى لا تتمكن دودة اللوز من الفتك بهِ وهمهم الثاني هو ان يأتي المحصول كبيراً قدر الامكان وعندهم ان الاصناف الطويلة الشعر لا تأتي بمحصول كبير مثل القصيرة الشعر ولذلك صرف علماء الزراعة في حكومة الولايات المتحدة عنايتهم الى حل العقدة الاخيرة فوفقوا بعد ابحاث طويلة وتجارب عديدة يضيق المقام عن ذكرها هنا الى تأصيل اصناف يطول شعرها الى بوصة وربع فاكثر وتحمل لوزاً كبيراً فيأتي محصولها كبيراً وتنضج سريعاً مثل لوز الاصناف القصيرة الشعر . وقد اتسع نطاق زراعة كثير من الاصناف الجديدة في بعض الاماكن حتى صار يجنى منها مقادير كبيرة

وقد اهتم قلم الانبات ايضاً بادخال زراعة القطن المصري الى الولايات المتحدة والاميركيون يزرعون الآن صنفاً مصريًّا اسمهُ « ساكل » — نسبة الى مستنبتهِ الاميركي

على الارجح — في « الامبريال ڤلي » بولاية كاليفورنيا وفي وادي « سُلت رفر » بولاية اريزونا و يروونهُ ريًّا منتظماً كما يروى القطن في هذا القطر ولكن لما جاء اوان الجني اعترضت صعوبة ظاهرها بسيط و باطنها على جانب عظيم من الاهمية وذلك انهُ عندما يفتح لوز القطن الاميركي المسمى « ابلند » يخرج كل ما فيهِ من الشعر الى الخارج و يتدلى من اللوزة فيجمعهُ العامل دفعة واحدة على اهون سبيل في حين ان لوز القطن المصري المسمى « ساكل » لا يفتح كذلك بل يظل الشعر الذي فيهِ عالقاً بخلايا اللوز فيضطر العامل الى نزعهِ من كل خلية على حدتها فيستغرق جنيهُ لذلك زمناً طويلاً . ولما كانت نفقات الجني من اكبر نفقات محصول القطن في الولايات المتحدة اتضح للقارىء وجه الصعوبة في جني محصول القطن المصري وكثرة نفقاتهِ علاوة على انهُ تعلق بالشعر في اثناء جمعهِ بهذه الطريقة عصافة الاوراق واللوز فتحط من رتبتهِ كثيراً . وقد اعترض الزراع الاميركيين مثل هذه الصعوبة في جني محصول الاصناف الاميركية الجديدة التي يطول شعرها ولكنهم كادوا يتغلبون عليها الآن بعدما قاسوا في سبيل ذلك كثيراً من التعب والعناء . و يرجح الآن ان الاميركيين يعمدون الى توسيع زراعة الاصناف الاميركية التي يطول شعرها الى بوصة ونصف بوصة فاكثر بدلاً من ان يقصروا همهم على زرع الاصناف المصرية و يعنوا بتأصيلها وتحسين نتاجها

و تزرع الاصناف الطويلة الشعر الآن بمقادير كبيرة في ولايتي كاليفورنيا واريزونا وفي بعض انحاء ولاية تكساس ولاسيما في الانحاء المجاورة لمدينة كلاركسفيل وفي جهات كثيرة من الولايات التي تحاذي الاوقيانوس الاتلانتيكي ولاسيما في هارتسفيل بولاية كارولينا الجنوبية . وهناك انحاء اخرى عديدة يظهر من تربتها وجوها وسائر احوالها العمومية انها تصلح لزراعة هذه الاصناف واخصها وادي النهر الاحمر في شمال الاباما

وقد ثبت من التجارب العديدة التي اجراها المستر كوكر احد زراع مدينة هارتسفيل في تأصيل هذه الاصناف وتحسين نتاجها وما انفقهُ من المال وصرفهُ من الوقت على ذلك ان الفرد يستطيع ان يأتي اعمالاً عظيمة تعود عليهِ وعلى بلادهِ باعظم الفوائد . وهو لم يقتصر على تأصيل رتب القطن العالية وتحسينها بل اتخذ التدابير اللازمة لبيع محصولها بسعرهِ الحقيقي . وحكومة الولايات المتحدة تحذو الآن حذوهُ في الجهات التي تجري التجارب فيها ولكن مجال التحسين لا يزال متسعاً جدًّا ولا ريب في ان كثيراً من التحسين المطلوب يتوقف على غزالي لنكشير ومساعدتهم للحكومة الاميركية والافراد الاميركيين وشدهم ازرهم

وتحرجت سوق الاصناف الطويلة الشعر مرات عديدة وتقلبت عليها الاحوال كثيراً

الى ان انتابتها ازمة شديدة في العام الماضي . فقد كانت هذه الاصناف تباع باسعار اعلى من اسعار قطن ابلند العادي كثيراً ولكنها هبطت في شهر اكتوبر من العام الماضي هبوطاً فاحشاً وكسدت سوقها فلم تنهض من كبوتها منذ ذلك الحين . ورأى زراع تلك الاصناف ما يحل بهم من الخسارة اذا استمروا على زرعها و بقيت اسعارها واطئة فاسقط في يدهم وحاروا في امرهم وثبطت عزائمهم فقلت مساحة المزروع منها في هذا العام وعاد معظم الضرر من ذلك على اصحاب معامل الغزل والنسج في لنكشير

ومن اصعب الامور واشدها مراساً ان يوفق بين هذه الحال في الولايات المتحدة و بين العجز الذي حصل في واردات الاصناف الطويلة الشعر التي كانت ترد على لفربول والاسعار العالية التي كانت تباع بها . وشواهد الحال تدل على ان السبب في هذا العجز عائد الى معامل الغزل والنسج في الولايات المتحدة فانها تسوقت معظم محصول الاصناف الطويلة باسعار عالية جداً على ما يقال . ولكن لا يصدق ان تلك المعامل تستطيع ان تنافس معامل لنكشير في الاسعار ولذلك يحتمل ان يكون لحماية محصول هذه الاصناف في الولايات المتحدة من مزاحمة القطن المصري لها دخل في هذا الامر ولا يبعد ان تكون هذه الحماية من جملة الاسباب لعجز الوارد منها على لفربول . على ان بعض العارفين يعزون سبب العجز الى ان اصحاب المعامل في لنكشير يؤثرون القطن المصري على الاصناف الطويلة الشعر من القطن الاميركي متى ارتفعت اسعار هذه الاصناف ارتفاعاً يكاد يضاهي اسعار القطن المصري حتى لا يبقى بينهما الاَّ فرق طفيف جداً

فعلى الخبيرين باحوال سوق القطن ان يسبروا هذين الرأيين بمسبار خبرتهم ويعتمدوا الاصح منهما

بقي هناك امران لا يسعنا اغفالها في هذا المقام لاهميتهما وهما

اولاً — لما عدلت حكومة الولايات المتحدة رسوم الجمارك قام اصحاب معامل الغزل والنسج الرفيع في الشمال وقعدوا لذلك ونادوا بالويل والثبور قائلين ان تخفيض الرسوم مها كان قليلاً يفتح باب المزاحمة لمعامل لنكشير في بلادهم فتخرب معاملهم وتبور مغزولاتهم ومنسوجاتهم ثم جعلوا يستعملون الرتب الواطئة في معاملهم واقلعوا عن استخدام الاصناف الطويلة الشعر التي كانوا لا يستخدمون سواها قبلاً

ثانياً — ان معامل الغزل والنسج في شمال الولايات المتحدة وجنوبها استوردت من القطن المصري في العام الماضي اكثر مما اعتادت ان تستوردهُ في الاعوام السابقة ولكن

النتائج لم تحقق الامال التي املها اصحابها من استعمالهِ ولم تجيء طبق المرام

ورب قائل يقول ولماذا لم تجد الاصناف الطويلة الشعر من القطن الاميركي سوقاً رائجة في لنكشير والحال على ما وصفتم آنفاً . والجواب هو ان الصلات التي تصل الانحاء التي تزرع فيها هذه الاصناف في الولايات المتحدة بالاسواق الاوربية واهية او ليست على ما يرام من الانتظام على ما يظهر . ولا بد من توثق هذه الصلات وانتظامها بمرور الزمن ولكن السبيل الآن مفتوح للغزالين والسماسرة الاوربيين في تحسين هذه الصلات وتوثيقها سريعاً والذين يسبقون غيرهم الى ذلك يربحون ارباحاً طائلة ويفيدون معامل بلدانهم فائدة عظيمة جداً

وفي الولايات المتحدة صنف من القطن يعادل في رتبتهِ احسن اصناف القطن المصري او يفوقها كثيراً وهو قطن « السي ايلند » ولكن اذا نظرنا الى زراعتهِ في الوقت الحاضر وقابلناها بزراعة اصناف قطن « ابلند » الواطئة الفيناها آخذة في التقهقر

وقطن السي ايلند على رتبتين اولى وثانية . والرتبة الثانية منهُ تستغل من ولايتي جورجيا وفلوريدا وتعد في اسواق القطن مثل احسن رتب القطن المصري واعلاها وتباع باسعارها ايضاً . وقد نقص محصول هذه الرتبة في العام الماضي نقصاً كبيراً فانهُ بلغ ٥٩٧٠٤ بالات مقابل ١١٧٦٢٢ بالة في عام ١٩١١ اي انهُ نقص اكثر من خمسين في المئة ولكن زراعها املوا ان يستعيضوا بارتفاع الاسعار مما خسروهُ بعجز المحصول او بسبب اشتداد الطلب عليهِ وقلة الموجود منهُ الاَّ ان آمالهم ذهبت ادراج الرياح وذلك لاقبال محصول قطن « ساكل » المصري وكبرهِ فظلت الاسعار واطئة ونتج عن ذلك ان بعض الذين كانوا يزرعون قطن السي ايلند اغروا على ترك زراعتهِ لما تتطلبهُ من العناية الفائقة ولما هي معرضة لهُ من الاخطار وقنعوا بزراعة اصناف قطن « ابلند » قائلين انها وان تكن احط من قطن السي ايلند رتبة واوطأ منهُ سعراً فان محصولها مضمون اكثر من محصولهِ وزراعتها لا تستوجب العناية التي تستوجبها زراعتهُ ولا هي مهددة مثلهُ بالاخطار الكثيرة

على ان هذا التغيير الذي طرأ على افكار بعض زراع قطن السي ايلند لم يؤثر في محصولهِ تأثيراً يذكر وجميع الدلائل تدل على انهُ سيأتي كبيراً في هذا العام ولكن الاوان لم يحن بعد للحكم في ما اذا كانت اسعارهُ لا تتأثر من مناظرة محصول القطن المصري الذي سيجنى هذا العام في الولايات المتحدة كما تأثرت منهُ في العام الماضي

فيتضح من ذلك كلهِ ان مصير قطن السي ايلند من الرتبة الثانية يتوقف على اسعاره

لاسيما وانهُ لم يعد القطن الاميركي الوحيد ذا الرتبة العالية بل صار قطن « ساكل » المصري الذي يزرع الآن في اميركا نداً لهُ فاذا ارتفعت اسعار قطن السي ايلند عن حدها المعقول اعتاضت معامل الولايات المتحدة ولنكشير عنهُ قطن « ساكل » والعكس بالعكس

اما الرتبة الاولى من السي ايلند فافخر رتب القطن طرًّا واغلاها ثمنًا وهي تزرع الآن في الجزر الصغيرة المجاورة لمدينة شارلستن بولاية كارولينا الجنوبية والمشتغلون بالقطن يسمونها « حرير القطن » او « القطن الفاخر »

ولكن قطن السي ايلند على تفاوت رتبتيهِ مهدد بخطر عظيم وهو دودة اللوز . وفي عرف بعض الثقات ان هذا الخطر خرج عن دائرة الاحتمال الآن وصار امراً مقرراً تقريباً . ثم انهُ يؤخذ من الخريطة التي نشرتها حكومة الولايات المتحدة عن سير دودة اللوز في العام الماضي ان هذه الدودة كادت تمتد الى الجهات التي يزرع فيها قطن السي ايلند بولاية فلوريدا . وزد على ذلك ان الدلائل كلها تدل على انهُ يخشى ان تمتد الى جميع الجهات التي يزرع فيها قطن السي ايلند في اثناء خمسة اعوام وتفتك بزراعتهِ فيها . فاذا وقع ذلك قضي على محصول السي ايلند في الولايات المتحدة وبات اثراً بعد عين وذلك لانهُ يتأخر في نضجهِ عن سائر الاصناف ولان الاحوال العمومية في الجهات التي يزرع فيها ملائمة لنمو هذه الدودة ونعني بذلك ان فيها مساحات واسعة تغطيها الاحراش فتأوى اليها الدودة في فصل الشتاء وتختفي فيها وان قربها من البحر يمنع حدوث الصقيع القتال فيها كما يحدث في سائر منطقة القطن فيميت كثيراً من الدودة ويخفف شرها

وانقراض محصول السي ايلند يوقع معامل لنكشير في مأزق حرج لان الرتبة الثانية منهُ هي المورد الثاني للاقطان التي يطول شعرها اكثر من بوصة ونصف (عدا القطن المصري) والرتبة الاولى المورد الاكبر لافخر الاقطان فاذا انقرضت بقيت جزر الهند الغربية المورد الوحيد لها وتركت لنكشير تحت رحمة الزراع في تلك الجزر . ومما يؤثر ذكرهُ في هذا المقام ان كثيراً من الثقات اعربوا عن خوفهم من ان يزيد محصول رتب القطن العالية على المقطوعية فاذا حدث ذلك فالمرجح ان تعود الفائدة او الربح منهُ على المعامل الاجنبية لا على معامل لنكشير . والخلاصة انهُ اذا انقرضت زراعة السي ايلند في الولايات المتحدة انتفعت مصر وجزر الهند الغربية من انقراضها وربحتا ارباحاً طائلة

بقي علينا ان نبحث في الوسائل التي تمنع امتداد الدودة الى الجهات التي يزرع فيها قطن السي ايلند او تخفف فتكها بهِ . اما وسائل المنع فالدلائل تدل على انها غير مستطاعة الآن

او انهُ لم يعثر بعد على طريقة تمنع امتداد الخطر وتعاظمهُ ولكن ذلك لا يمنع اكتشاف طريقة لمنعهِ في المستقبل ولاسيما ما كان منها من قبيل الحشرات التي تفتك بالدودة او نقتات بها ·

اما الوسائل التي تخفف فتكها فعديدة ولكنها كلها تحتاج الى نصب وعناء عظيمين وبوادر الحال تدل على ان زراع السي ايلند صاروا يرغبون عنهُ الى اصناف « ابلند » لكثرة ما يتطلبهُ من العناية ولان ثمرة تعبهم فيهِ غير مضمونة فلا يعقل انهم يعمدون والحالة هذه الى هذه الوسائل الشاقة ويضاعفون تعبهم ونصبهم في حين انهم يستطيعون ابدال زراعة السي ايلند التي يتأخر نضجها بزراعة قطن « ابلند » من الرتب العالية التي تنضج سريعاً · واذا علمنا ان معظم الزراع الاصاغر في الولايات المتحدة هم من السود وان السود يميلون بطبيعتهم الى الاعمال الخفيفة الهينة زال الامل كلهُ او معظمهُ في انهم يمارسون هذه الوسائل الشاقة

ولكن حكومة الولايات المتحدة آلت على نفسها ان تقاوم هذه الآفة وتمنع امتدادها الى مزارع قطن السي ايلند بطريقة من الطرق · وقد سبقنا فبينا انها وفقت بطريقة التأصيل الى تقديم اوان نضج بعض اصناف قطن « ابلند » التي يطول شعرها الى بوصة وربع وانها كادت توفق في تقديم ميعاد نضج بعض الاصناف الاخرى التي يطول شعرها الى بوصة ونصف بوصة فلا عجب لذلك اذا وفقت الى تقديم ميعاد نضج قطن السي ايلند كما وفقت في سواهُ ومتى تم لها ذلك ضمنتهُ من فتك دودة اللوز تماماً او قللت فتكها بهِ كثيراً فلا يعود ضررها يذكر

ومصلحة الزراعة الاميركية تجري التجارب الآن في تأصيل اصناف جديدة يطول شعرها الى بوصة وثلاثة ارباع البوصة وبوصتين ويتم نضج محصولها باكراً حتى يسلم من فتك الدودة · وهي تستنفد في ذلك وسعها ولا يبعد انها توفق في ذلك كما وفقت في اصناف كثيرة قبلها سواءٌ كان في القطن او سواهُ

وختمت التيمس بحثها قائلة ان مصير رتب القطن العالية يدعو الى القلق لا الى اليأس والقنوط · فقد نقص نطاق الاراضي التي كانت تزرع فيها الاصناف الطويلة الشعر نقصاً بيناً وفي مقدمتهِ دلتا نهر المسسبي فانها لم تعد تغل شيئاً من الرتب العالية القديمة ولكنهُ يؤمل انهُ بالسعي والمزاولة تعود فتغل مقادير وافرة من الرتب العالية الجديدة التي يحتمل ان تضاهي الرتب القديمة في جودتها · وهناك اراضٍ اخرى واسعة فتحت لزراعة الرتب العالية والآمال معقودة على نجاحها فيها وانها تخرج قطناً من اعلى رتب « الابلند » واطولها شعراً · بقي قطن السي ايلند وهو المورد الوحيد للرتب الفاخرة (الليكس) وزراعتهُ الآن مهددة بالانقراض

ولكن هناك لحسن الحظ ابواب اخرى يمكن طرقها الاعتياض بها منهُ والواجب ان نطرق هذه الابواب حالاً

وفي وسع القطر المصري ان يخرج رتباً اعلى من الرتب التي يخرجها الآن او كان يخرجها في الماضي والواجب على الزراع المصريين ان يبادروا الى تحقيق ذلك بأسرع ما يكون. اما ما يقال من ان السودان يصلح لاخراج اعلى رتب القطن المصري فهو قول لا تثبت صحتهُ قبلما تختبر قابلية ارض السودان لانبات تلك الرتب اختباراً تامًّا

هذا ولا يحتمل ان تزيد غلة الرتب العالية من القطن عن المقطوعية حتى اذا فرضنا ان المقطوعية غير قابلة للتوسع مع ان ذلك مخالف للحقيقة والواقع

ان معامل لنكشير تستطيع ان تقطع من رتب القطن العالية الآن اكثر مما تستقطعهُ في الوقت الحاضر فاذا لم يعجل في زيادة محصول تلك الرتب اضطرت ان تقتصر على ما يتيسر لها موقتاً

الزراعة وتقدمها في عشرين عاماً

من خطبة الاستاذ دود رئيس قسم الزراعة في مجمع تقدم العلوم البريطاني

لم يهتم الناس في البلاد الانكليزية بالبحث الزراعي الأ منذ سنين قليلة اما الآن فقد اشتدَّ اهتمامهم بها هناك وفي كل البلدان ومرادي في هذه الخطبة ان ابيّن النتائج التي نتجت من البحث الزراعي منذ عشرين سنة الى الآن سواءٌ كانت نجاحاً او فشلاً

واول شيءٍ اوجه النظر اليهِ النتائج التي نتجت عن التجارب العديدة التي جربت في الاطيان في كل البلدان تقريباً . ومن اظهر هذه النتائج ان الفصفات تزيد نمو عشب الربيع الذي يستعمل علفاً للمواشي اخضر ويابساً و يزيد مقدار الغذاء فيهِ للمواشي التي تعلف بهِ فقد ظهر من التجارب ان الغنم التي ترعى في ارض سمد نباتها بالفصفات يزيد ثقلها مضاعف ما يزيدهُ ثقل غنم اخرى مثلها ترعى في ارض لم يسمد نباتها بالفصفات . واذا رعت الغنم في قطعتين متساويتين مسمدتين بمقدار واحد من الفصفات فالغنم التي رعت القطعة الواحدة يزيد ثقلها كما يزيد ثقل الغنم التي رعت القطعة الاخرى واذا وجد فرق بين الواحدة والاخرى لم يزد هذا الفرق على خمسة في المئة عن المتوسط فاذا كان الفرق بين الغنم التي ترعى الارض المسمدة بالفصفات والغنم التي ترعى ارضاً غير مسمدة مئة اي اكثر من الفرق الاول عشرين ضعفاً فهو ناتج حتماً عن فعل الفصفات لا عن اختلاف عرضي في الارض او

في الغنم . ويظهر فعل الفصفات هذا في كل النباتات التي من فصيلة القمح والشعير وما اشبه وهو من اعظم الفوائد التي نتجت من علم الزراعة والبحث الزراعي

ثانياً من المكتشفات المهمة جدًّا في الزراعة انهُ اذا جلبت تقاوي البطاطس من مكان بعيد عن المكان الذي تزرع فيهِ زاد محصولها ثلاثين في المئة الى خمسين في المئة عن محصول التقاوي التي تؤْخذ من بطاطس مضى عليهِ ثلاث سنوات او اكثر تزرع في تلك الارض

وكيفما التفتنا الى هذا النوع من علم الزراعة نجد ما يدعو الى التفاؤُل بالمستقبل فان انواعاً جديدة من الاسمدة قد صُنعت من نيتروجين الهواء . واصنافاً جديدة من المزروعات قد وجدت بالتربية . وكثر الاهتمام بالتجارب الزراعية ولم يبقَ الاَّ ان يزاد التدقيق في معرفة ما ينتج من تلك التجارب قبل نشرها

ثم اننا قد اوجدنا ما يسمَّى بعلم التربة . فمنذ عشرين سنة عُرف فعل الميكروبات في ايصال نيتروجين الهواء الى الارض وعُرف ايضاً الاختمار النشادري . وقد ثبت بالامتحان ان الميكروبات التي تكون في جذور النباتات القرنية تمتص نيتروجين الهواء وتجعلهُ في حالة صالحة لتغذية النبات . واشار البعض باستخدام هذه الميكروبات لتسميد الارض ولكن اكثر الباحثين في التربة ينكرون فائدتها لذلك

واهم الاكتشافات الحديثة في علم التربة ان الحويينات التي من نوع البروتوزوى تمنع خصب الارض . واول من انتبه لذلك ديوان البحث في التربة باميركا وظن اولاً ان الفاعل الذي يمنع الخصب او يوقفهُ كيماوي وانهُ ناتج من مواد تفرزها جذور النبات . ثم استخرج من الاراضي القاحلة مواد قيل انها تماثل ما تفرزهُ جذور النبات ووجد بالامتحان انها توقف النمو وقيل ان ضررها يزول بواسطة بعض الاسمدة بدعوى ان تلك الاسمدة تتحد بها اتحاداً كيماويًّا وتمنع فعلها

وكثر البحث في هذا الموضوع فثبت وجود الفاعل الذي يزيل خصب الارض ولكن لم يثبت انهُ مفرز من جذور النبات ولا ان املاح الاسمدة تزيل فعلهُ . ثم اتضحت الحقيقة من تجارب رسل وهتشنصن فانهما وجدا ان محل بعض الاراضي يزول اذا عُقّمت قليلاً اما بتسخينها الى درجة تقرب من غليان الماء او باستعمال بخار مادة مضادة للفساد . ويستدلُّ من ذلك على ان الفاعل الذي سبب محل الارض جسم حيٌّ اي انهُ من الاحياء التي تميت الميكروبات النافعة للزراعة وموتهُ بالحرارة او بمضادات الفساد امهل من موتها . وقد وجد هذان الباحثان ورصفاؤُهما ان في التربة كثيراً من انواع البروتوزوى التي تغتذي

بميكروبات الارض وتمنعها من ان يزيد مقدارها . فالاراضي التي يكثر فيها السماد جدًّا والاراضي التي تزرع فيها الخضر في البلاد الباردة تحت اغطية من زجاج تكثر فيها هذه الحويونات فتقل الميكروبات عن الحد اللازم لتحليل المواد الآلية وجعلها صالحة لتغذية النبات . وقد ثبت بالامتحان انهُ اذا احميت تلك الاراضي او عولجت ببخار مادة مزيلة للفساد عاد اليها خصبها الذي فقدتهُ . وقد استفاد من ذلك اصحاب البساتين التي تزرع الخضر في لي ڤلي ببلاد الانكليز وهم يعالجون ارضهم الآن بالحرارة او بمزيلات الفساد كلما قلَّ خصبها . فهذا الاكتشاف العلمي افاد فائدة عملية كبيرة

ستأتي البقية

محصول القطن المصري هذا العام

قدرت مصلحة الزراعة محصول القطن المصري هذا العام ٧ ٥٩٣ ٠٠٠ قنطار وهاك تفصيل محصولهِ في كل مديرية من المديريات مع مقابلتها بمحصولهِ في العام الماضي

	سنة ١٩١٢			سنة ١٩١٣		
	المساحة بالفدان	محصول الفدان	جملة المحصول	المساحة بالفدان	محصول الفدان	جملة المحصول
البحيرة	٢٤٣٠٠٠	٣,٣٨	٨٢١٠٠٠	٢٤٥٠٠٠	٣,٨٠	٩٣٠٠٠٠
الدقهلية	٢٦١٠٠٠	٤,٣٥	١١٣٥٠٠٠	٢٥٨٠٠٠	٤,٤٠	١١٣٥٠٠٠
الغربية	٤٣٣٠٠٠	٤,٠٦	١٧٥٨٠٠٠	٤٢٤٠٠٠	٤,١٠	١٧٣٧٠٠٠
القليوبية	٠٦٥٠٠٠	٤,٥٤	٢٩٥٠٠٠	٠٧١٠٠٠	٥,٥٠	٣٨٩٠٠٠
المنوفية	١٢٦٠٠٠	٥,٤١	٦٨٢٠٠٠	١٢٤٠٠٠	٥,٦٧	٧٠٦٠٠٠
الشرقية	٢١٨٠٠٠	٤,٥٤	٩٩٠٠٠٠	٢١٨٠٠٠	٤,٥٠	٩٨٢٠٠٠
جملة الوجه البحري	١٣٤٦٠٠٠	٤,٢٢	٥٦٨١٠٠٠	١٣٤٠٠٠٠	٤,٣٩	٥٨٧٩٠٠٠
اسيوط	٤٧٠٠٠	٣,٧٩	٢٧٣٠٠٠	٥٣٠٠٠	٤,٩٥	٢٦٠٠٠٠
بني سويف	٧٦٠٠٠	٤,٦٧	٣٥٥٠٠٠	٧٧٠٠٠	٥,١٥	٣٩٩٠٠٠
الفيوم	٨٠٠٠٠	٣,٣٩	٢٧١٠٠٠	٨٢٠٠٠	٣,٠٩	٢٥٤٠٠٠
جرجا	٣٠٠٠	٥,٠٠	١٥٠٠٠	٥٠٠٠	٥,٠٠	٢٣٠٠٠
الجيزة	٤٥٠٠٠	٤,٠٧	١٨٣٠٠٠	٤٢٠٠٠	٤,٤٠	١٨٣٠٠٠
قنا	٤٠٠٠	٥,٢٥	٢١٠٠٠	٤٠٠٠	٥,٥٠	٢٢٠٠٠
المنيا	١٢١٠٠٠	٥,٨٠	٧٠٢٠٠٠	١٢٠٠٠٠	٤,٧٥	٥٧٢٠٠٠
جملة الوجه القبلي	٣٧٦٠٠٠	٤,٨٤	١٨١٩٠٠٠	٣٨٣٠٠٠	٤,٤٧	١٧١٤٠٠٠
الجملة العمومية	١٧٢٢٠٠٠	٤,٣٥	٧٥٠٠٠٠٠	١٧٢٣٠٠٠	٤,٤١	٧٥٩٣٠٠٠

اي ان الموسم الحاضر سيبلغ سبعة ملايين و٥٩٣ الف قنطار ولكن جمعية الحاصلات الزراعية قدرتهُ اخيراً بنحو سبعة ملايين قنطار واكثر المزارعين يقدرونهُ كذلك او باقل من سبعة ملايين ولا سبيل لمعرفة الحقيقة الآن لان غلاء السعر اغرى المزارعين ببيع اقطانهم سريعاً فكثر الوارد الى الاسكندرية حتى بلغ في ٢١ نوفمبر ٣٩٥١٤١٣ قنطاراً او نحو اربعة ملايين قنطار وكان في العام الماضي في مثل هذا الوقت ٣٦٨٧٠٧٦ قنطاراً اي زاد عمَّا كان في العام الماضي نحو ٢٦٤ الف قنطار. الاَّ ان البزرة التي وردت الى الاسكندرية الى هذا التاريخ اقل من البزرة التي وردت في العام الماضي ولو كان موسم هذا العام زائداً على نسبة ورود القطن الى الاسكندرية لوجب ان يزيد ورود البزرة ايضاً لا ان ينقص او ان يبقى كما كان في العام الماضي على الاقل

اما اسعار القطن فبعد ان ارتفعت في كنترانات نوفمبر الى عشرين ريالاً وربع ريال او اكثر قليلاً هبطت الى ثمانية عشر ريالاً وثلاثة ارباع وهي تتراوح الآن حول تسعة عشر ريالاً ويعزى هبوطها الى ضغط التجار على السوق ولاسيما في اواخر كل شهر. والسبب الاكبر لارتفاع السعر الى هذا الحد كون موسم اميركا يقل عمَّا يلزم للمطوعية او لا يزيد عليها

نظارة الزراعة الجديدة

جُعلت مصلحة الزراعة المصرية نظارة وعين سعادة محب باشا مدير الغربية ناظراً لها وبقي المستر ددجن مديرها السابق مستشاراً فنيًّا لها. وينتظر ان يكون من وراء هذا التعيين فائدة كبيرة للقطر المصري فترتقي الزراعة فيهِ حتى تبلغ اسمى ما يمكن بلوغها اليهِ ويزيد الاهتمام بكل ما يتعلَّق بها فالري وهو اهم اسس الزراعة انما ينظر فيهِ الآن الى تقسيم المياه بالقسط لا الى فائدتها للمزروعات او عدم فائدتها . والسكك الزراعية التي اشتدت العناية بتمهيدها وحفظها منذ بضع سنوات اهملت الآن فلا سكك جديدة ولا اعتناء بالسكك القديمة مع ان الخسائر التي تلحق باهل الزراعة من عدم وجود السكك المهدة التي تسير عليها المركبات بسهولة لا تقل عن مئات الالوف من الجنيهات . ولا عناية بفتح الاسواق لحاصلات القطر في البلدان الاجنبية ولولا سوق القطن في اوربا واميركا ما استطعنا ان نصدر من حاصلاتنا ما يفي بعشر ما يطلب منا . فعسى النظارة الجديدة ان تهتم بذلك كلهِ وامثالهِ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الحكم لربات الازياء

لو جُمع ما كتبهُ الاطباء وقالهُ الخطباء في كل اللغات على مضار المشد وتضييق الملابس منذ مئة سنة الى الآن لملأ الوفاً من المجلدات ومع ذلك ذهب كلهُ كالكتابة على صفحات الماء الى ان شاءت بعض السيدات في مدينة باريس ان يلبسنَ ملابس واسعة يقلدنَ بها اليونانيات القديمات من غير مشد ولا احزمة فكان كما اردنَ وتغيَّر الزي في هاتين السنتين الاخيرتين دفعةً واحدة وتناول اصلاحاً كثيراً في لباس المرأة

فاولاً زال الطوق الضيق الذي كان يغطي النحر والعنق وتوضع فيهِ اضلاع معدنية حتى يبقى منتصباً ولو وخز اسفل الخدين. وصارت الثياب تلبس مفتوحة الطوق مكشوفة النحر يظهر منها اعلى الصدر فيتعرَّض للهواء دواماً كما يتعرض لهُ الوجه. ولا بدَّ من ان يوءَثر ذلك في تقليل الزكام والسعال والتهاب الحنجرة والشعب فان البحَّارة الذين ثيابهم مفتوحة عند النحر لا يصابون بهذه الآفات لانهُ اذا تعرضت العنق للهواء دواماً لم يعد بردهُ يوءَثر فيها كما لا يوءَثر في الوجه. وكذا اعلى الصدر فان تعرضهُ للهواء دواماً يقويهِ ويمنع تأَثرهُ بتغيرات الهواء

وثانياً زال المشد الذي كان يضغط على الخصر ويضيقهُ حتى صار يضرب المثل بخصر بعض النساء المتأنقات واتفق علماء التشريح والفسيولوجيا على انهُ من اضر الامور بالصحة. والمشد الذي تلبسهُ النساء الآن لا يزيد على منطقة تسند اعضاءهنَّ

وثالثاً قصّرت الثياب حتى لا تجرَّ ذيولها على الارض وتجمع الغبار وما فيهِ من الوف الميكروبات المرضيَّة وغير المرضية

ورابعاً صار الغرض الذي ترمي اليهِ النساء في ازيائهنَّ الحديثة ان يكون شكل الثوب مثل شكل البدن فيدفئهُ ويقيهِ من غير ان يشدهُ او يثقل عليهِ

خامساً قلَّ استعمال الكعاب العالية في الاحذية الاَّ ما يلبس منها في السهرات

والبالات وحبذا لو قلّ فيها كلها لان الحذاء العالي الكعب يمنع المشي السريع والرياضة البدنية فوق تأثيره الضار في البدن

سادساً زال الرباط الذي كانت الجوارب تربط بهِ فتمنع جري الدم في الاوردة وصارت الجوارب تعلَّق تعليقاً بالثياب التحتانية

سابعاً زال ضغط الثياب على الخصر وصارت تعلَّق بالكتفين

وهذه الامور كلها قرَّبت لبس النساء الآن من لبس اليونانيات في عهدن ولقد كنّ اجمل النساء قواماً واجودهنّ صحة

ولكن ما تمّ من الحسن والصلاح في الثياب عارضهُ ما اصاب البرانيط من القبح والغلاء وكأنّ الغرض الاول من برانيط النساء الآن ان تزداد البرنيطة قبحاً حتى يزيد الوجه جمالاً على حد قولهم وبضدها تتبين الاشياء. ولكن لا فائدة من الانتقاد والتنديد ولا يستطيع احد ان يغير زيًّا الاَّ اذا اشار بزي آخر يزداد بهِ كسب تجار الثياب والبرانيط

تركيب جسم الانسان

اذا كان وزن الانسان ١٥٤ رطلاً مصريًّا فوزن ما فيهِ من اللحم والعظم والدماغ وما اشبه ما تراهُ في هذا الجدول

العضلات ومتعلقاتها	٦٨	رطلاً
ومن العظام	٢٤	«
ومن الجلد	١٠ ½	«
ومن الدهن	٢٨	«
ومن الدماغ	٠٣	ارطال
ومن الاحشاء الصدرية	٠٢ ½	«
ومن الاحشاء البطنية	١١	رطلاً
ومن الدم الذي ينزف منهُ بسهولة	٠٧	ارطال
والجملة	١٥٤	رطلاً

وهذه المواد بعضها جوامد وبعضها ماء والماء منها ٨٨ رطلاً والجوامد ٦٦ رطلاً اي ان جسد الانسان البالغ مؤلف من ٦٦ رطلاً من الاجسام الجامدة ممزوجة بثمانية وثمانين

رطلاً من الماء . والاجسام الجامدة مركبة من الاكسجين والهيدروجين والكربون والنيتروجين والفصفور والكبريت والسليكون والكلور والفلور والبوتاسيوم والصوديوم والكلسيوم والليثيوم والمغنيسيوم والحديد والمنغنيس والنحاس والرصاص. واكثرها من الاكسجين والهيدروجين والنيتروجين والكربون واقلها من العناصر الاخرى

ويدخل جسم الانسان كل اربع وعشرين ساعة بالطعام والشراب والتنفس ما وزنهُ نحو ٥٤٥٠٠ قمحة او نحو ثمانية ارطال وعشرين ويخرج منهُ بالتنفس والعرق والبول والبراز ٥٤٥٠٠ قمحة واربعون الف قمحة من ذلك ماء وما بقي مواد اخرى

دفتر ربة البيت

اكبر مساعد على الاقتصاد ومنع الاسراف مسك دفتر لما تصرفهُ المرأة والابنة وكل احد . ويجب ان يكتب في هذا الدفتر كل غرش يصرف وان يكون ذلك يوماً فيوماً . ولا يعلم احد مقدار ما صرف ان لم يقيدهُ في دفترهِ . وكثيراً ما تصرف الواحدة دراهمها من غير انتباه فاذا جاءت الى كتابتها في دفترها انتبهت لذلك ولامت نفسها وصارت تدقق في ما تصرفهُ . ويحسن بها بل يجب عليها ان تراجع ما صرفتهُ في الايام السابقة حتى اذا رأَت انها صرفت شيئاً لا داعي لصرفهِ ندمت على ما فعلت ووفرت من طريق آخر ما يقوم مقامهُ

وافضل ما تفعلهُ ربة البيت ان لا تشتري شيئاً ديناً بل تدفع ثمن كل ما تشتريهِ نقداً فانها اذا فعلت ذلك امتنعت عن ابتياع ما لا تجد معها ثمنهُ وقد تجد بعد حين انها صارت في غنىً عنهُ فتوفر ثمنهُ بتأخرها عن ابتياعهِ

واذا كان للبنت مصروف جيب مقطوعاً لها صار مسك دفتر الحساب واجباً عليها حتى لا تصرف في شهرها اكثر من مرتب ذلك الشهر واذا فعلت ذلك زادت تدقيقاً في مصروفها وقد تجد في آخر السنة انها اقتصدت في نفقاتها ما يكفي لابتياع ثياب جديدة او لعمل خيري تسرُّ بهِ وتنفع غيرها

رواسب الآنية

الاباريق التي يغلى فيها الماء للشاي او يوضع فيها الماء السخن ترسب عليها طبقة كلسية سمراء تبطنها . وتسهل ازالتها بان يوضع في الماء فيها قليل من كلوريد النشادر ويغلى مدة ساعة فيصير نزع تلك الطبقة سهلاً فتنزع ويغسل الابريق جيداً قبل استعمالهِ

باب التقريظ والانتقاد

رسائل البلغاء

هذا كتاب ينبغي ان لا تخلو منهُ مكتبة اديب. يحتوي على ما عرف لعبد الله بن المقفع من الأدب الصغير والأدب الكبير وغيرها وما لعبد الحميد بن يحيى الكاتب من الرسائل والنتف والحكم وعلى الرسالة العذراء في موازين البلاغة وادوات الكتابة لابي اليسر ابراهيم بن محمد بن المدبر ورسالة ابي حسن علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح الى ابي العلاء المعري وملقى السبيل للمعري ورسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني وكتاب العرب لابن قتيبة ورسالة رشيد الدين الوطواط فيما جرى بينهُ و بين الزمخشري ومنتخب من عهد ازدشير في السياسة وكتاب الادب والمروءة لصالح بن جناح الرابعي

وقد عُني بجمع هذه الرسائل صديقنا الكاتب الفاضل محمد افندي كردعلي صاحب المقتبس وقدم لها مقدمة عن عبد الله بن المقفع وعبد الحميد ابن يحيى الم فيها بأكثر ما يعرف عنها ومحّصهُ وانتقدهُ مبيناً غثهُ من سمينهِ قال بعد ان اورد اتهام الجاحظ لابن المقفع في دينهِ «ان مسألة التهمة في الدين من الامور التي شاعت في كل عصر ومصر ويكون المتهمون بها في معظم الاحوال ابرياء والاَّ فكيف تسجل الزندقة على ابن المقفع اذا جرينا مع الدليل . وليست الزندقة بحثا عما يضمرهُ الانسان في نفسهِ لان مثل هذا لا يطلع عليهِ الاَّ الله تعالى ويكفي ان يقال هلا شققت عن قلبهِ . بل الزندقة التي تذكر في الكتب وتترتب عليها الاحكام ويسوغ ان يقال عن فلان انهُ زنديق امور تقوم عليها بينات ظاهرة من اقوال وافعال . وكلام ابن المقفع في الدين يدل على شدة تمسكهِ وفرط ميلهِ على ما يتجلى لك من رسائلهِ

« ولو كان ثم سبيل لما ينسب اليهِ لاسيما مع غضب المنصور عليهِ لكان الاقرب ان يتقرب مثل المنصور بمثل ذلك وفيهِ ما فيهِ من ارضاء العامة وشفاء الغليل من العدو بحيث ينتقم منهُ مع اسقاطهِ ولا يعدم المنصور حينئذٍ حيلة في قتلهِ جهاراً بهذه التهمة . اما اتهام ابن المقفع بمعارضة القرآن فينصرف على القاعدة في اتهامهِ بالزندقة وما نظن القاضي عياضاً والباقلاني الا ناقلين عن اناس من اهل السذاجة ومع ذلك فانهما قالا انهُ اناب

« التهمة بالزندقة امر نشأت منهُ مضار كثيرة حتى لم يخل منها مثل الامام الغزالي الذي

كان اعظم انصار الدين فانظر الى كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة الذي الفهُ في الرد على اولئك الذين نسبوا اليهِ ما نسبوا فان فيهِ الغناء · واغرب من ذلك القيام على ابي حاتم ابن حبان البستي امام المحدثين في عصرهِ وصاحب الصحيح المشهور بهِ والكتب الممتعة الكثيرة واستئصال الامر بقتلهِ ولم ينج من ذلك بعوارض لا تخطر في البال »

وذكر ما روي عن مقتل ابن المقفع وسبب قتلهِ ويظهر منهُ ان ابن المقفَّع كان قليل الحذر شديد التفريط بنفسهِ مستهدفًا للبلوى لا يخاف في الحق لومة لائم فانهُ كتب امانًا لعبدالله بن علي قال فيهِ « ومتى غدر امير المؤمنين بعمهِ عبدالله فنساؤُهُ طوالق ودوابهُ حبس وعبيدهُ احرار والمسلمون في حل من بيعتهِ » · فاشتدَّ ذلك على المنصور وكتب الى سفيان بن معاوية المهلبي وهو امير البصرة من قبلهِ فقتلهُ · ولا عبرة بقتلهِ ولكن العبرة بمجاهرتهِ بما جاهر بهِ في ذلك العصر واعجب من ذلك ان المنصور سمح ان يؤْتى بسفيان ابن معاوية اليهِ مقيداً ليحاكم بقتل ابن المقفع

والمطلع على هذه الرسائل يجد فيها اساليب الانشاء التي كان ائمة البلاغة في القرون الاولى يتوخونها · ولقد احسن جامعها وناشرها في ما رجاهُ من ان يقع فيها المشتغلون بتاريخ الشرق واجتماعهِ على ما يتمم بعض الاحكام على الحضارة العربية

رواية هنري الخامس

من روايات شكسبير

لم تكن لغة شكسبير حينما وضع رواياتهِ من الفصاحة في شيءٍ لكنها صارت عند الانكليز مقياس الفصاحة. وطالما وددنا ان يُقيَّض لها من ينقلها الى العربية الفصحى · ويظهر لنا ان حضرة محمد افندي السباعي معرب هذه الرواية قد وفى بالمراد فاذا اتمَّ تعريب سائر الروايات وتكرر تمثيلها بالعربية كما تكرَّر بالانكليزية فلا يبعد ان تفعل الترجمة بلغة سامعيها ما فعل الاصل بالانكليزية

مسائل في الطبيعة

وضع هذه المسائل حضرة الاستاذ نقولا باسيور احد المدرسين في المدرسة السعيدية وهي قواعد وجيزة في قياس الاجسام ونسب الروافع والثقل النوعي وضغط السوائل وقانون ارخميدس والضغط الجوي والترمومتر وتمدد الاجسام والحرارة النوعية وما اشبه وعلى كل

قاعدة منها مسائل كثيرة وجملة المسائل ٦٧٠ مسألة واكثرها مما لا يستطيع حلهُ الأ من عرف قواعد علم الطبيعة الرياضي معرفة تامة. وقد اقتصر على حل المسائل بالطرق الحسابية والجبرية من غير استعانة بالرياضيات العليا

الواسطة بين المتنبي وخصومهِ

لمؤلفهِ ابي الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بالقاضي الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٦ هجرية وقد عني بتصحيحهِ وشرحهِ وطبعهِ احمد افندي عارف الزين صاحب مجلة العرفان الغراء

والقاضي الجرجاني هو صاحب الابيات التي يقول فيها

يقولون لي فيك انقباض وانما رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
اذا قيل هذا مشرب قلت قد ارى ولكنَّ نفس الحر تحتمل الظما
ولم اقضِ حق العلم ان كان كلما بدا طمع صيَّرتهُ لي سلَّما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأُخدما
أأشقى بهِ غرساً واجنيه ذلة اذاً فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوهُ صانهم ولو عظَّموهُ في النفوس لعظّما
ولكن اهانوهُ فهان ودنَّسوا محيَّاهُ بالاطماع حتى تجهَّما

والواسطة ديوان شعر وخزانة ادب ومعرض تجلت فيهِ عرائس الاشعار ومبتكرات المعاني ولكنهُ خالٍ من التبويب والتفصيل كانهُ بحر لا ساحل لهُ. ترى الفعل في صفحة وفاعلهُ بعد صفحات وتحسب انك وصلت الى الموضوع بالذات وهو الدفاع عما رمي بهِ المتنبي من المعايب الشعرية فاذا انت بطائفة من اشعار غيرهِ كأن الجرجاني غفر الله لهُ كان محموماً كثير ورود الدم الى دماغهِ فنبَّه ذاكرتهُ الى كل محفوظاتها من قديم وحديث فتسابقت الى قلمهِ وتزاحمت على قرطاسهِ حتى في التعبير عن المعنى الواحد فانهُ يوردهُ على اساليب شتى كأنهُ غير واثق ان اسلوباً واحداً يكفي لايضاح مرادهِ. ولكن محفوظاتهُ كلها دُرر وغرر ولقد كانت قلة الكتب وصعوبة الوصول اليها والتفتيش عما يراد فيها من الاسباب التي قوَّت ذاكرة الاقدمين فحفظ الواحد منهم في قلبهِ ما يتعسَّر علينا حفظ معشارهِ الآن ولعل الطباعة اضرَّت من هذا القبيل حتى قيل من كان علمهُ في كتابهِ كان خطاؤُهُ اكثر من صوابهِ. وكثيراً ما حاولنا جمع الحقائق العلمية والتاريخية من كتب الجاحظ فتهنا في فيافيها واذا الجرجاني لا يقصر عنهُ في تشعب مسالكهِ. ولو عني حضرة مصحح هذا الكتاب بفصل

فصوله بعضها عن بعض او بوضع اشارات على هامشهِ تدل على موضوع ما امامها لخدم مطالعي هذا السفر خدمة جليلة لانهُ من خيرة كتب الادب . وهو على كل حال جدير بالشكر العطر لاعتنائهِ بتصحيحهِ وطبعهِ

والكتاب كبير يقع في اكثر من ٤٠٠ صفحة كبيرة وهو حري بان يكون في مكتبة كل اديب

القراءة الحديثة

كتاب مدرسي حديث الاسلوب في العربية يتناول القراءة والحفظ والاملاء وضعهُ الاستاذ انيس الخوري المقدسي للطلبة في القسم الاستعدادي من المدرسة الكلية السورية الانجيلية . وهو دروس انتقى بعضها من الكتب والمجلات العربية ووضع البعض الآخر . يشتمل كل درس منها على فصل طويل للقراءة وفصل قصير للاملاء وابيات للحفظ غيباً وسؤالات عن معاني بعض الكلمات الواردة في ما تقدم من الدرس وعن كيفية استعمال بعضها . وهو يطلب من الكلية ومن المطبعة الادبية في بيروت وثمنهُ بشلكان

قلب الصين

The Heart of China; by Oliver Bainbridge.

هو خطبة مسهبة للمؤلف تلا بعضها منذ سنة من الزمان في اجتماع جمعية لندن الصينية مدارها على اهم المواضيع الاجتماعية كالتعليم والقضاء والدين واللغة والمدن والبيوت والطعام والنساء . وقد ختم المؤلف خطبتهُ بقولهِ

« اني اثق تمام الثقة ان الصين سترتقي في السنوات الثلاثين التالية تجاريًّا وحربيًّا ارتقاء يدهش العالم

« لقد اثبت التاريخ ان الصينيين محبون للسلم والصناعة ولاداعي لعدولهم عن ذلك اذا اضطروا ان يزيدوا مهارة في الفنون الحربية . ولكن الصين بمئات الملايين من سكانها قد اخذت تستفيق كالجبار الذي كان يجهل ما فيهِ من القوَّة . وقد جعل التعليم يفعل الغرائب فيها هو والاساليب الغربية ولا يبعد ان يصير لها شأن كبير في توازن القوات الدولية

« والشعب الصيني اشرف شعوب الارض واكثرها اجتهاداً واقتصاداً وتعقُّلاً »

وفي الكتاب كثير من الصور المتقنة التي تمثل الصينيين في احوال مختلفة وهي منقولة عن صور فوتوغرافية فلا شك في مطابقتها للواقع

محاضر
مجلس شورى القوانين في دور سنة ١٩١٢ — ١٩١٣

المطلّع على هذه المجموعة لا يسعهُ الاَّ الاعتراف بان مجلس شورى القوانين خدم بلادهُ خدماً جليلة واشتغلت لجانهُ اشغالاً شاقّة في البحث والتحري وابداء الآراء للحكومة · ونظرة واحدة الى فهرسها الهجائي تكفي للدلالة على المواضيع التي بحث فيها المجلس في دورهِ الاخير مثل مشروع صيد الاسماك وقانون امتحان المعادلة وقانون امتحان شهادة الدراسة الثانوية والسماح لبعض الساقطين باعادة امتحانهم وقانون الخمسة الافدنة وقانون تقليع البرسيم لمنع انتشار دودة القطن ومنع نقل القطن من الوجه القبلي الى الوجه البحري قبل حلجهِ · وتملأ هذه المحاضر ٦٧٠ صفحة وستبقى اثراً خالداً لهذا المجلس الذي أُلغي الآن وقامت الجمعية التشريعية مقامهُ ومقام الجمعية العمومية

ولا يخفى ان بعض القوانين التي اقرتها الحكومة بموافقة مجلس الشورى كبير النفع سيبقى معمولاً بهِ الى زمن طويل وبعضها لم يوافق عليهِ كثيرون من الاعضاء ولا نرى لهُ فائدة دائمة ولا بد من الغائهِ وقتاً ما كقانون منع قطن الوجه القبلي من الحلج في محالج الوجه البحري فانهُ يضرُّ اهل الزراعة في الوجه القبلي ولا يمنع خلط التجار للقطن العفيفي بالقطن الاشموني لانهم يخلطونهُ بعد الحلج ولأن رتبة القطن العفيفي لم تنحط من اختلاط بزرهِ ببزر القطن الاشموني بل من اسباب اخرى طبيعية اهمها الرجوع الى الاصل والاَّ فكيف لم يقع هذا الانحطاط حينما بدأَت زراعة القطن العفيفي في القطر المصري

الكتاب الثاني
من النماذج التطبيقيَّة للدروس النحوية

تأليف السيد اسمعيل افندي منصور خريج مدرسة المعلمين الناصرية ومدرس المدارس الاميرية · وهو تمارين كثيرة في انواع الكلمة وتقسيم الفعل واعرابهِ و بنائهِ وتقاسيم الاسم وجداول الضمائر واسماء الاشارة والاسم الموصول واعراب الاسم اي انهُ يشمل كل ابواب النحو · وفي كل تمرين اساليب مختلفة لتقوية الطالب واظهار معارفهِ واكثر الامثلة من فصيح اللغة وجوامع الكلم مما يفيد استظهارهُ فضلاً عن فائدتهِ العلمية

رحلة

سمو الامير محمد علي باشا شقيق الجناب العالي الخديوي

الى اميركا الشمالية

اتحف الامير ابناء العربية برحلتهِ الى اميركا . يقرأها المرءُ من اولها الى آخرها فيشعر كأنهُ رافقهُ في السفر وسامرهُ وسمع حديثهُ بين مستحسن ومنتقد وشارح ومستنتج وتتمثل لهُ المشاهد التي شاهدها الامير لدقة وصفهِ لها حتى كأنهُ رآها مرأى العين . وقد رأينا ان نطرف القراء بفقرات قليلة من هذه الرحلة لما فيها من الفكاهة والفائدة

قال بعد ان وصل الى مدينة نيو يورك « ذهبنا من الشارع نمرة ٥ وهو اجمل شارع بنيو يورك فيهِ اعظم واكبر المحال التجارية الى السنترال بارك (Central Park) وهو منتزه جميل في وسط المدينة كمنتزه هيدبارك بلوندره ومنهُ الى شاطىء نهر الهدسون وقد اعجبتني جدًّا المناظر الجميلة التي فيهِ خصوصاً المنازل الخصوصية فانها مشيدة تشييداً يقتاد اعنة الحدق اليها . ولم نقطع من هذا الشاطىء ٤ كيلو مترات حتى رأينا تمثال الجنرال جرانت فاستمررنا ونحن مسرورون بهذه الاستراضة اللطيفة الى واشنجتون بارك وهو مستراض آخر وعلى ربوة منهُ مدرسة العميان والصم والبكم . اما الجسور وعظمتها ودقة صنعتها وارتفاعها وطولها فلا تسل عنها فهي مدهشة وكثيرة ومن احسنها جسر واشنجتون هذا . وقد رأينا اثناء سيرنا بنايات هائلة ومدارس عديدة والفت نظرنا كبر الجامعة الاميركانية وحسن موقعها وجمال بنائها ولكن لا عجب من ذلك اذ اننا في بلاد الميليارات . والمشهور عن اغنياء اميركا الغيرة الشديدة والمنافسة حتى في الهبات العلمية . وبما ان جامعتهم حديثة بالنسبة لباقي جامعات الامم الاوربية لا بدع ان اختاروا من كل جامعة ما رأوهُ جميلاً ومفيداً ووضعوهُ في جامعتهم . ولا بدَّ وان تكون ارقى بكثير من اشباهها باوربا وغيرها . ولا يخفى ان الذهب الوهَّاج يسهل الصعوبات ويجعل كل شيء ممكناً فبثروتهم الهائلة يحضرون الاساتذة الماهرين والمخترعين المشهورين لا يضنون بدفع اجور عالية تجتب المجتهدين فيهم

« عدنا الى الفندق في الساعة السادسة مساء مسرورين من كل ما رأيناهُ ولما دخلت غرفتي وجدت فيها باقة من الورد الاحمر الجميل مكللة بشريط احمر من الحرير مكتوب عليهِ بالقصب جميل الترحيب بحضورنا من نادي السوريين بنيو يورك »

وبعد ان فصَّل ما رآهُ في بورصة نيويورك وصعوده الى اعلى طبقة في بناء سنجر الذي فيهِ ٤٢ طبقة ورؤيتهُ منها جسر بروكلن وجزيرة المهاجرين والثكنات الحربية والمدينة واطرافها المتسعة وشوارعها المتوازية وعودهُ الى الفندق ومقابلتهُ لبعض الزوار قال : —

« اتت الساعة الثالثة وحضر ستة من السوريين من اعضاء الاتحاد السوري بينهم طبيب وصحافي والاربعة الباقون تجار فكوَّنا حلقة عربية واطلقنا لانفسنا عنان النطق بلغتنا الشريفة مظهراً لهم سروري من اهدائهم اليَّ باقة الازهار الجميلة ثم دار بيننا الحديث في جملة موضوعات مختلفة وقد علمت منهم ان لهم ست جرائد تطبع باللغة العربية فزادني هذا الخبر سروراً لانتشار هذه الجرائد في اميركا لعلمي انها واسطة التعارف والارتباط بين ابناء العرب الكرام ولا بد انها تأتي بحوادث الشرق واخبارهِ فلا ينسى المهاجرون اوطانهم ويكونون دائماً على علم بما وصلت اليهِ بلادهم من السعادة او الشقاء . وبهذه المناسبة رجوتهم ان يحافظوا على جنسيتهم وان لا يغتروا بمدنية اميركا وارتقائها وثروتها فيميلوا اليها ويتجنسوا بجنسيتها فبلادنا محتاجة الى ابنائها ومهما بلغت البلاد الاخرى فان الشرق هو مهد العلوم والمعارف واصل المدنية ومنبع النور

« ان هذه المقابلة جعلت الرابطة بيننا و بينهم قوية حتى اننا افترقنا اصدقاء فودعتهم شاكرًا لهم شريف شعائرهم داعياً لهم بالتوفيق ودعاني الخواجه قيصر صباغ لان اتناول العشاء معهُ في مطعم فرنسي شهير للمسيو مارتن فقبلت دعوتهُ وانصرف مع اخوانهِ على ان يعود الينا قبل العشاء . . . . وعند الساعة السادسة ونصف حضر فذهبنا معهُ ماشين الى المطعم فوجدت انهُ في احسن المواقع والاقبال عليهِ عظيم فلم استغرب كثرة الواردين عليهِ حيث ان الطعام في باقي المطاعم الاميركية ليس جيداً . وقد علمت ان المسيو مارتن يدفع كل سنة عشرين الف جنيه ايجاراً ويصل دخلهُ في بعض الايام الى ٢٠٠٠ جنيه فجلسنا حول السفرة التي أُعدَّت لنا بين زهور جميلة منضودة على المائدة وشجيرات خضراء متفرقة في مواضع مختلفة ومن حسن الاتفاق ان الذي كان قائماً بخدمتنا وقت الاكل تونسي يتكلَّم باللغة العربية »

وقال لما وقف لمشاهدة شلال نياغرا

« هنا وقفنا خاشعين امام القدرة الالهية نعجب من جمال المنظر . وطال بنا الوقوف ونحن لا نعلم لذلك سبباً الاَّ اننا سُحرنا من عجيب ما رأينا وذهبت افكارنا في عالم آخر لم نعهدهُ من قبلُ حتى خُيّل لنا ان ما نراهُ ان هو الاَّ اضغاث احلام كأَنَّ الطبيعة ارادت ان نتصورها بجلالتها وعظمتها ولم نتنبه من ذلك الخيال الذي ملك افئدتنا الاَّ وقد ارخى الظلام سدولهُ

وتوارت الغزالة بالحجاب فالتفتنا بعضنا الى بعض قائلين ماذا جرى لنا وقد طال بنا الوقوف ونحن عن ذلك غافلون فصممنا على العودة بالرغم منا وقلوبنا متعلقة بذلك المنظر الذي ملأها عجباً ولكن ما الحيلة وكل شيء لهُ نهاية تلك سنّة الله في خلقهِ ولن تجد لسنة الله تبديلاً »

وقال بعد ان وصف نزولهُ الى تحت الشلال ومشاهدتهُ اماكن كثيرة هناك « كيف لا يدهش الانسان وتملكهُ الحيرة من هذه المناظر التي بينما يراها بديعة جميلة يملأ حسنها نظرهُ فتقر بها عينهُ وينشرح لها صدرهُ اذ يراها هائلة تخفق لرهبتها القلوب وترتاع من هولها النفوس . ان خرير الماء تطرب لهُ الآذان وصفاءهُ تقرُّ بهِ العيون فاذا وجَّه الانسان سمعهُ الى هذه النغمة الطبيعية المستمرة ووجَّه نظرهُ الى هذا الصفاء البلوري ينشرح قلبهُ ولكنهُ اذا تأمل كيف تنحدر المياه الى هوة لا يقلُّ عمقها عن مئة متر وهذه الهوة محصورة بين حائطين عظيمي الارتفاع يشعر بالمهابة فيستصغر نفسهُ ويشهد ان الانسان ما زال ولن يزال ضعيفاً امام هذه العظمة وهذا الجبروت

« ان مكاننا ورؤيتي هذين الحائطين الهائلين جعلاني اذكر للقارئ مثلاً آخر من امثلة الجسارة النادرة التي ظهرت اثناء زيارة جلالة ملك الانكليز ادورد السابع لكندا عند ما كان وليًّا للعهد . وقت زيارة جلالتهِ لهذا المكان كان فيهِ احد المشهورين في الالعاب الرياضية المدعو المسيو بلوندين Blondin الفرنسي الجنس فوُضع لهُ من الشاطئ الى الشاطئ الآخر حبل على ارتفاع مئة متر فوق هذا المجرى السريع فمشى عليهِ حاملاً رجُلاً على كتفيهِ امام جلالتهِ من احدى ضفتي النهر الى الاخرى . وقد طلب من جلالتهِ ان يركب في عربة صغيرة بعجلة واحدة من الامام ثم توضع على الحبل المعلق فيمشي بها ويدفعها امامهُ وهو فيها فلم يجبهُ جلالتهُ الى ما طلب لما فيهِ من الخطر العظيم ولكن المسيو بلوندين ابى الاَّ ان يظهر براعتهُ فربط منديلاً على عينيهِ حتى لا يرى الحبل ووضع الرجل الذي مرَّ بهِ اولاً وهو محمول على كتفيهِ في هذه العربة ومشى بهِ على هذا الحبل آمناً مطمئنًّا الى ان وصل الى الشاطئ الآخر للنهر . فما اجسرهُ وما ابرعهُ في صنعتهِ »

وقال وهو جالس في رواق الفندق في كولورادوسبرنج في قلب اميركا

« واذا بسيدة صارت تقترب منا فرأيت من هيئتها انها ليست اميركية وذلك لسواد عينيها وشعرها وميل لونها الى السمرة وقد اصاب ظني فانها لما سمعتنا نتكلم بلغتنا العربية جاءت الينا مسرعة تخاطبنا بهذه اللغة الشريفة فعلمت من الفاظها ولهجتها انها سورية وكنت لا اتوقع ان اجد في كولورادواسبرنج سيدات سوريات فعلمت منها انها تاجرة ولها

محل تجاري في البلد وآخر في الفندق فسألتها عن حالتها وهل تجارتها رابحة فاخبرتني انها تبيع في السنة بما يزيد عن الالف والخمسمائة جنيه ولكنها تشكو كثيراً من غلاء مطالب المعيشة فكل ما تكتسبهُ او جلهُ يذهب في نفقات معيشتها وقد قالت انها وفدت مع أسرتها الى هذه البلدة حين بلغت الثانية عشرة من عمرها ولم يُنسها طول غيبتها عن وطنها هذه المدة لغتها الاصلية ولم تزل تحنّ شوقاً الى بلادها اما والدها الذي يبلغ من العمر عتياً فانهُ لا زال يتذكر وطنهُ ويترقب الفرص التي تمكنهُ من العودة اليهِ . وقد رجتنا ان نزور دكانها الذي في الفندق فاجبناها الى ما طلبت فدخلناهُ ومكثنا فيهِ قليلاً فرأينا ما تبيعهُ فشجعناها على عملها واستحسنا فكرة والدها ورغبناها في تحقيق امنيتهِ بعد ان تجمع من المال ما يكفيها للاقامة في سوريا وبعد ذلك عدنا الى مكاننا . ومن باب الفكاهة اذكر هنا حادثة يعلم منها القارىء ان في امريكا كثيراً من الناس يعيشون وباب الامل في الحصول على الثروة مفتوح امامهم ولو كانوا من الإملاق بمكان عظيم : قرب منا بوّاب الفندق وهو انجليزي الاصل ينطق وجههُ بما هو فيهِ من الفقر المدقع وسوء الحال فاخبرنا انهُ كان مستخدماً في الجندية ببلاد الهند ووفد على امريكا منذ اربع وعشرين سنة فسألتهُ ألم يحصل الى الآن على الثروة الكافية ولماذا ترك بلادهُ وفضل هذه الحرفة على غيرها وهلاّ يمكنهُ ان يشتغل بهذه المهنة في انجلترا فقال لي عفواً يا سيدي اني مع مائة من اصحابي مشتركون في منجم ذهب وستسمع ان شاء الله في اوّل يناير سنة ١٩١٣ ان هذا البواب الحقير الذي يقف امامك الآن لهُ دخل سنوي يبلغ ستة آلاف جنيه وحينذاك يا سيدي اترك هذه البلاد واذهب الى وطني رجلاً من ذوي اليسار وانسى كل ما رأيتهُ في خلال السنين الطويلة التي مضت عليّ وانا انقلب على ثرى الفقر . فقلت اذا كنت واثقاً من بلوغ تلك الامنية العظيمة وذلك المستقبل الباسم في وجهك خصوصاً بعد هذه المدّة القليلة جدّاً فلمَ اذاً تبقى هنا بوّاباً مع ان في إمكانك ان تقترض من الآن ما يكفيك لمصروفك وتذهب إن أردت إلى بلادك حتى يأتيك دخلك العظيم فتسدّد ما اقترضتهُ وتعيش من الآن متلذذاً بثروتك . فاجابني اني لا اودّ ترك مهنتي لاني احبها واعشقها ولولا اني في يناير سنة ١٩١٣ ساكون ذا ثروة طائلة ومن العار على الاغنياء امثالي ان يحترفوا حرفة البوابة لما تركتها ابداً . فعجبنا من شعورهِ الغريب ومن تلك الامانيّ الباطلة التي جسمها لهُ الوهم حتى جعلها في نظرهِ حقيقة ثابتة لا ريب فيها فبنى عليها ما بنى من سعادة مستقبلهِ . فتأمل في الأمل وكيف يسهل المعيشة ولولاهُ لما كان كثير من امثال هذا التعس في امريكا يطيقون الحياة التي كلها شقاء

اعلل النفس بالآمال ارقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الامل »

ولما زار مدينة سان فرنسسكو بكليفورنيا ذهب الى شلاَّلها المشهورة فقال في وصفها « وصلنا الى اسفل جندل يوزميت وماؤُهُ يسقط من ارتفاع ٧٦٠ متراً وهو مقسوم الى ثلاث طبقات الطبقة الاولى عمودية وتسمَّى الجندل الاعلى وارتفاعها ٤٣٨ متراً في عرض ١٠ امتار ثم تلاقي مسطحاً صغيراً في الجبل فتتفرَّع الى جملة فروع صغيرة وتسقط جميعها عمودية من ارتفاع ١٩١ متراً ويطلق على هذه الطبقة اسم الجنادل الوسطى ثم تصادف سطحاً آخر وتسقط ثانياً من ارتفاع ١٣١ متراً وتصب في النهر وهذه الطبقة الثالثة تسمَّى الجنادل الاخيرة مجموعها هو جندل يوزميت وهو اعظم جندل من جهة الارتفاع على وجه الارض »

وقد اسهب في وصف المناظر البديعة التي شاهدها في تلك البلاد من جبال ووهاد وحراج وجنادل ولما وصل الى مدينة سيتل في اقصى الشمال الغربي من الولايات المتحدة وصلتهُ اشارة برقية من الخواجه عزيز عطيه واخيهِ يرحبان فيها بوفادتهِ الى تلك البلاد ويذكران ان السوريين الذين في مدينة بورتلاند كانوا يودون مقابلتهُ لابداء ما في ضميرهم من الاخلاص والحب لسموهِ ولاسرتهِ

ولما جاء مدينة منتريول بكندا وصف مشاهدها المختلفة وذكر مستشفى فكتوريا الذي فيها وقال انهُ « انشئ باموال اهل المروءة وتبرعات اللورد ستراثكونا الذي كان يتجر تجارة صغيرة في انواع الفراء وكان اسمهُ دونلد سمث ويزيد عمرهُ الآن على تسعين سنة ومع ذلك لا ينقطع عن الاشغال فهو يمثل حكومة كندا في مجلس النواب الانكليزي واذا رآهُ الانسان لا يقدّر عمرهُ باكثر من ستين سنة فهو قوي يسافر الى انكلترا ليحضر جلسات مجلس النواب ويعود الى كندا لادارة شؤُون الشركة التي يرأسها » ثم شرح كيف جمع الثروة الطائلة من بيع الفراء فانهُ كان يشتريها من الهنود وغيرهم بقليل من الدقيق او عقود الخرز او الاقمشة الرخيصة ويرسلها الى الصين ويستبدلها بالشاي او القطن او الحرير وكان غرشهُ يربح عشرين غرشاً . وعاد من هناك الى نيويورك ورأى كثيرين من السوريين المقيمين فيها ووصف المأدبة التي اقاموها لدولتهِ في فندق والدورف اوستريا وسنصف هذه الوليمة في فرصة اخرى وننشر الخطبة التي تلاها دولتهُ فيها

ومعلوم ان سمو الامير ذهب الى اميركا متنكراً ولولا ذلك لاحتفلت بهِ الحكومة الاميركية وحكومة كندا احتفالاً رسمياً يليق بشأنهِ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كاف

(١) اسم الحامض الكبريتيك

دمشق. ح. ج هل للحامض الكبريتيك اسم بالعربية وما هو

ج. يطلق على الحامض الكبريتيك غير النقي اسم زيت الزاج وهو ترجمة حرفية لانهُ كان يستخرج باستقطار الزاج اي كبريتات الحديد. ولكن الكلمة الاوربية التي معناها زيت الزاج يخصها العلماء والصنَّاع الاوربيون بغير النقي واذا ارادوا النقي قالوا ما معناهُ الحامض الكبريتيك فاذا استعملنا كلمة زيت الزاج بدل الكلمة التي معناها الحامض الكبريتيك لا نكون قد ذكرنا الحقيقة لان زيت الزاج ليس الحامض الكبريتيك النقي ولا يقوم دائماً مقامهُ

(٢) قاموس الاسماء الكيماوية

ومنهُ. هل من كتاب بالعربية فيهِ اسماء المواد الكيماوية بالعربية والافرنجية

ج. كلاَّ ولكن القواميس الفرنسوية او الانكليزية والعربية فيها كثير من اسماء المواد الكيماوية واوسع منها في ذلك معجم المعربات الذي انشأناهُ وطبعنا اكثرهُ في المجلد الثامن والتاسع من المقتطف

(٣) بطرية المصباح الكهربائي

ومنهُ. من المصابيح الكهربائية ما هو صغير يمكن وضعهُ في الجيب يضيء نحو اربع ساعات وقد كسرت بطرية واحد منها بعد ان لم تعد تصلح للاضاءة فوجدت فيها ثلاث اسطوانات من التوتيا في كلٍّ منها مواد فحمية ملفوفة فقطعة من القماش محاطة بمواد بيضاء لزجة كالنشا المطبوخ فما هي هذه المواد وهل يمكن عمل بطرية مثلها

ج. يظهر من وصفكم ان البطرية هي البطرية الجافَّة التي يبدل فيها ماء بطرية لكلانشه بمادة هلاميَّة يمزج بها اكسيد المنغنيس الثاني او الملح المستعمل في البطرية مهما كان نوعهُ. وعمل هذه البطريات متعذر عندنا من باب تجاري لانهُ ليس عندنا معامل لسبك الزنك والكربون ولا لعمل شيء من لوازم البطريات فاذا اردنا عمل بطرية فقد نعملها ولكن تكون نفقات عملها اضعاف الثمن

الذي نشتريها بهِ . ومتى نهضت بلادنا كما نهضت بلاد اليابان سهل علينا عمل كل الآلات الكهربائية كما سهل على اليابانيين الذين رأينا من آلاتهم الكهربائية مالم نرَ ادق منهُ

(٤) الوحم والاجنة

مصر . سمعان افندي نجار . اذا نظرت امرأة حامل الى شيء غريب بعين الاستغراب او الاستحسان او الاستهجان طبع اسم ذلك الشيء في بعض الاحيان على احد اعضاء جنينها فما هو الارتباط بين النظر ونتيجتهِ

ج . لقد شاهدنا بعض هذه الوحمات التي يقال انها تشبه اشياء رأتها الحامل فلم نرَ فيها شيئاً من الشبه وهذا رأي اكثر الباحثين في هذا الموضوع . واذا كان لشيء صورة غير محدودة فلا يعسر على من يميل الى الوهم ان يرى فيهِ مشابهة لشيء محدود واذا قلتَ لهُ انهُ يشبههُ صار يراهُ مشابهاً لهُ . ومن هذا القبيل ما يراهُ البعض من وجود صورة وجه انسان في القمر قُبيل تمامهِ . وان كان ما تراهُ الحامل يؤَثر في اعصابها تأثيراً شديداً فلا يبعد ان يصل تأثيرهُ الى كل اعضائها والى جنينها ايضاً ولكن لا يكون ظهورهُ فيهِ بصورة تشبه صورة ما رأتهُ بل بانحراف في نموهِ او بنحو ذلك من العوارض التي تعرض على بعض اعضاء الجسم من الخوف او القلق او ما اشبه

(٥) حفظ الجنين الميت

ومنهُ . قرأت في مقطم الثامن من نوفمبر ان امرأة اصيبت بمرض عضال منذ عشر سنوات وقد حار الاطباء في تشخيص الداء ووصف الدواء واخيراً ابلَّت من مرضها على يد طبيبة استخرجت من بطنها جنيناً ميتاً . فكيف حفظ في بطنها من غير انحلال

ج ان ما اشرتم اليهِ اعلان . واعلانات الجرائد السيارة لا تسأَل الجرائد عن تحقيق صحتها . ولم نجد في ما لدينا من الكتب في فن الولادة ما يدلُّ على حفظ الجنين زماناً طويلاً بعد موتهِ من غير ان يعتريهُ الفساد بل المذكور فيها ان الفساد يعتريهِ وتتولد منهُ غازات تشق الرحم وتميت امهُ . ولكننا لا نرى انهُ يستحيل ان يموت الجنين وهو في الاشهر الاولى من الحمل ويحفظ من الفساد كما يحفظ الدرن ونحوهُ من المتولدات غير النامية او الناميات التي تتكلّس اخيراً . وما دمتم في المدرسة الطبية فاسأَلوا استاذ الولادة او راجعوا المطولات التي في مكتبتها في هذا الموضوع

(٦) شعر وجه الرجل

الجيزة . طالب علم . لماذا ينبت الشارب واللحية للرجل ولا ينبتان للمرأة الاَّ في ما ندر

ج . اذا لم يكن القول بتولد نوع الانسان من غيرهِ من انواع الحيوان صحيحاً بل كان الانسان قد خُلق رأساً كما نراهُ الآن

وخلقت المرأة من ضلع من اضلاعهِ كما نصَّت التوراة فالرجل خُلق ليكون في وجههِ لحية وشاربان والمرأة خلقت لكي لا ينبت لها لحية ولا شاربان الاَّ نادراً والتوراة التي ذكرت ذلك لم تذكر سببهُ ولا نظن ان احداً اكتشف السبب الذي لاجلهِ ميَّز الخالق الرجل عن المرأة بشعر الوجه. ثم ان هذا الفرق في الشعر بين الذكر والانثى ليس خاصاً بالناس بل هو موجود في بعض الحيوانات كالاسد واللبوة و بعض انواع القرود. وهو ايضاً غير مضطرد فيها كما انهُ غير مضطرد في الناس بل يكون على درجات كثيرة مختلفة. واذا كان القول بتولد نوع الانسان من غيرهِ من انواع الحيوان صحيحاً فالشعر كان اولاً في وجوه اسلاف الانسان ذكوراً واناثاً كما هو في بدن الجنين ذكراً كان او انثى ثم زال او ازيل لاسباب جنسية في ادهار متراميه وهو ما يسمَّى بالانتخاب الجنسي. ولكن الادلة على صحَّة هذا الرأي اي زوال الشعر بالانتخاب الجنسي لا تزال قليلة ضعيفة

(٧) ماس او الماس

منتريل بكندا. الخواجه جرجس حنا صبور. تناظر عندنا فريقان في كلمة ماس او الماس الفريق الواحد يقول ان كلمة ماس اصح من كلمة الماس اعتماداً على قاموس الفيروزابادي والشرتوني والفريق الثاني يقول ان الالف واللام من اصول الكلمة واذا عرّفت صارت الالماس اعتماداً على محيط المحيط والضياء والمشرق. ونراكم تكتبونها في المقتطف احياناً بالالف واللام واحياناً بغيرهما فايهما اصح

ج. لا شبهة ان الكلمة يونانية الاصل وهي في اليونانية أَدَماس اي الذي لا يقهر او لا يغلب اطلقوا هذا الاسم على الفولاذ وعلى الحجر الكريم الذي نعرفهُ باسم ماس او الماس فالاقرب يكون الذين عربوهُ اولاً قالوا الماس لاماس بقلب الدال لاماً لكن وردت الكلمتان في العربية قال ابن منظور صاحب لسان العرب المتوفَّى سنة ٧١١ للهجرة في مادة ماس «وفي حديث مطرف وجاء الهدهد بالماس فالقاهُ على الزجاجة ففلقها» الماس حجر معروف يثقب بهِ الجوهر و يقطع و ينقش قال ابن الاثير واظن الهمزة واللام فيهِ اصليتين مثلهما في الياس قال وليست بعربية فان كان كذلك فبابهُ الهمزة لقولهم فيهِ الالماس قال وان كانتا للتعريف فهذا موضعهُ» انتهى كلام ابن منظور. ووصف التيفاشي الماس في كتابهِ بالاسهاب وذكرهُ كما جاء في الحديث حاسباً الهمزة واللام فيهِ للتعريف. فترون من ذلك ان الالف واللام اصليتان ولكن العرب استعملوهُ بدونهما غالباً وليس لهم قاعدة مضطردة في التعريب

(٨) اراضي الدومين بالفيوم

صدفا. فهمي افندي مينا الصدفي.

اراضي الدومين في مديرية الفيوم التي تريد الحكومة بيعها هل هي جيدة التربة خصبة وكم يساوي الفدان منها وبكم يؤجر وما هو مستقبلها وهل يقدم على شرائها من يريد باطمئنان

ج . بعضها جيد جدًّا وبعضها وسط وبعضها دون ويقال ان ايجار الفدان من الجيد منها يبلغ ١٢ جنيهاً او اكثر والدون او البور لا يبلغ شيئاً والثمن يكون على نسبة الريع الحاضر او المنتظر . والمرجح ان متوسط ثمن الفدان منها من اربعين جنيهاً الى خمسين . ومستقبل اطيان الفيوم العالية كلها جيد لسهولة صرفها ولانهُ يراد ان تعطى الماء الكافي لريها . ولقد كانت في الازمنة الغابرة من اجود اطيان القطر المصري حتى ان ملوك اليونان والرومان كانوا ينعمون بها على كبار قوادهم

(٩) سرعة العدَّائين

سواكن . عبدالله افندي فهمي . بطون التاريخ تحوي عدداً عديداً امثال الشنفرى والسليكي من العدَّائين . ويقال ان العدَّاء مَن لا تدركهُ الخيل فهو اسرع منها عدوًا واصبر منها على الجري . فهل يعقل ان في نوع الانسان من يسابق الجياد العواتق ويصابرها ومن يكن هذا شأنهُ لا بد وان يكون اقوى منها ايضاً وان كان كذلك فما نوع هذه القوة

ج . ان كلام التاريخ لا يبنى عليهِ حكم لانهُ لا يحدد المسافة والوقت تماماً وقولهُ ان العداء فلاناً اسرع من الخيل كلام يراد بهِ المبالغة لا غير . والحقيقة ان اعدى العدائين الاقدمين مثل سعاة سلاطين آل عثمان الذين كانوا يذهبون بالبريد من القسطنطينية الى ادرنة ويعودون منها في يومين وليلتين والمسافة بينهما نحو ١٣٢ ميلاً اي يقطع الواحد منهم هذه المسافة في ٢٤ ساعة . هذا في المسافات الطويلة اما المسافات القصيرة فالميل الواحد قطعهُ العداء دفرس سنة ١٨٩٨ في ٣ دقائق و ٢١ ثانية و ٢/٥ الثانية . والميلان قطعهما العدَّاء شرب سنة ١٩٠٤ في ٩ دقائق و ٩ ثوانٍ و ٣/٥ الثانية . والثلاثة الاميال قطعها هو سنة ١٩٠٣ في ١٤ دقيقة و ١٧ ثانية و ٣/٥ الثانية . اما خيل السباق فالجواد كين قطع ميلاً في دقيقة و ٣٣ ثانية و ١/٥ الثانية وذلك سنة ١٩٠٠ والجواد برادلاً قطع ميلين في ٣ دقائق و ١٩ ثانية و ٢/٥ الثانية سنة ١٩٠٦ والجواد كوري بوي قطع ثلاثة اميال في ٥ دقائق و ٩ ثوان وذلك سنة ١٨٨٤ . فالنسبة بين اسرع العدائين وخيل السباق كما ترون في هذا الجدول

	العدائين		خيل السباق	
	دقيقة	ثانية	دقيقة	ثانية
ميل واحد	٣	٢١ ٢/٥	١	٣٣ ١/٥
ميلان	٩	٩ ٣/٥	٣	١٩ ٢/٥
٣ اميال	١٤	١٧ ٣/٥	٥	٩

اي ان خيل السباق اسرع من اسرع العدائين في هذا العصر ثلاثة اضعاف فلا يعقل ان الخيل كانت اقل جريًا مما هي الآن ثلاثة اضعاف او ان الناس كانوا اسرع ثلاثة اضعاف

(١٠) اللغات والدماغ

بيروت . السيدة كسبفيا مفرج . سمعت ان لكل لغة مكانًا مخصوصًا في الدماغ او مركزًا مستقلاً تمامًا عن بقية الاماكن وان فتاة كانت تعلّم اللغات الثلاث العربية والافرنسية والانكليزية ثم مرضت مرضًا شديدًا وبعد شفائها لم تعد قادرة على النطق باللغة الانكليزية مطلقًا كأنها لم تكن قد تعلمتها سابقًا مع انها كانت قد اتقنتها غاية الاتقان لان مكان الانكليزية في دماغها ايف بواسطة المرض. وقد درسنا كتاب الفسيولوجيا للاستاذ البرت بلادزل فلم نرَ فيهِ شيئًا من هذا القبيل فهل هو صحيح وهل يوجد في الدماغ مكان مخصوص لكل لغة او هذا القول وهم لا صحة لهُ

ج . لا نتذكر اننا اطلعنا على ذكر الحادثة التي اشرتِ اليها ولكن لا شبهة ان لكل كلمة نتعلمها مركزًا مخصوصًا في الدماغ والمرجح ان هذا المركز يكون مؤلفًا من دقائق كثيرة يتحلل بعضها من وقت الى آخر كما تتحلل بقية دقائق الجسم ولكن يأتي غيرها ويقوم مقامها فيحفظ شكلها على حالهِ كما يحفظ شكل سائر الاعضاء والندوب التي فيها . وقد اشار الى ذلك الدكتور كربنتر في فسيولوجيتهِ العقلية حيث قال ما ترجمتهُ « اننا لا نعلم علمًا يقينًا في الوقت الحاضر كيف تحفظ المحفوظات في الدماغ ولكن اذا اعتبرنا كيف تنمو اعصاب الحس باستعمالها في افعالنا الجسدية حقَّ لنا ان نقول انهُ يحدث مثل ذلك في الدماغ الذي هو آلة افعالنا العقلية فان حفظ كل كلمة من كلمات اللغة التي يراد تعلمها يستلزم تغيرًا ما في تغذية الدماغ فينمي بعض الخلايا العصبية والالياف العصبية المتصلة بها فيتولد من ذلك بناء خاص وهو يتغير دوامًا بالتحليل والتركيب ولكن ما يتركّب فيهِ يقوم مقام ما يتحلل تمامًا فما دام هذا البناء متصلاً اتصالاً فعليًّا باجزاء الدماغ الاخرى التي تفعل عادةً يبقى تذكر تلك الكلمات على حالهِ اي يبقى المرء قادرًا ان يتذكر الكلمات والعبارات التي يريد تذكرها او التي تعبّر عن الخاطر الذي خطر لهُ ولكنهُ اذا اهمل استعمالها صار استحضارها صعبًا عليهِ فقد حدث للكاتب كما حدث لغيرهِ انهُ اذا انقطع عن تكلُّم اللغة الفرنسوية زمنًا طويلاً وجد بعد ذلك انهُ صار غير قادر على تذكر كلماتها وعباراتها ولكن اذا نُطق بها امامهُ او رآها مكتوبة تذكرها واذا قضى اسبوعًا او اسبوعين في فرنسا صار يسهل عليهِ التعبير عن افكارهِ باللغة الفرنسوية رأسًا »

ويظهر من الامثلة التي ذكرها كربنتر وقبيل ذلك ان المراكز التي تحفظ كلمات اللغة تبقى على حالها ولكن الاعصاب التي تصل بين الدقائق الحافظة وبين مراكز الادراك يضعف فعلها بقلة الاستعمال فاذا قويت ثانية لسبب من الاسباب عاد تذكر الحفظ الى حاله. وسنعود الى تفصيل ذلك في فرصة اخرى

(١١) دواء ضعف الذاكرة

مكة المكرمة . السيد احمد بن محمد الجنيد . للنسيان وضعف الحافظة دواء او تمرين او تعويد يزول بهِ النسيان وتقوى الحافظة . وما سبب النسيان وضعف الحافظة

ج . ان جواب السؤال السابق يريكم ان النسيان وضعف الحافظة حادثان من قلة الاستعمال وقد يزيدان بالمرض او بالتقدُّم في السن . واذا كان السبب قلة الاستعمال فكثرتهُ تقوي الحافظة وتقلل النسيان ولا علاج لذلك غير التمرين ولكن اذا كان السبب مرضيًا فيزول بزوال المرض وتقوية الجسم حتى يكثر الدم في الدماغ ويغذيهِ الغذاء الكافي

(١٢) اجود كحل

ومنهُ . ما هو اجود كحل للعين يزيل غشاوتها ويحد بصرها

ج . اذا لم تكن العين مريضة فلا فائدة من الكحل ولكن الفائدة تكون براحة العين وعدم استعمالها في النور الضعيف وقلة التحديق في الاشياء الدقيقة . واصلاح خطإِها ان كان فيها خطأ بصري بلبس النظارات التي تصلح ذلك الخطأ من حيث تحدبها او تقعرها . واما اذا كان فيها آفة مرضية فتعالج حسب الآفة ولا يحسن ان يتولى علاجها الاَّ طبيب من اطباء العيون يراها ويعالجها

(١٣) ضعف البصر ولادةً

ام درمان . خليل افندي جرجس . ولدت لبعضهم ابنة منذ سبع سنوات ومن حين ولادتها الى الآن ليس في عينيها شيء ظاهر يمنعها من رؤْية الاشياء ومقلتاها تختلجان قليلاً وانساناها متسعان قليلاً ولكنها لا تميز الاَّ نور الاشياء الساطعة فقط كضوء الشمس نهاراً والمصابيح ليلاً . ثم ولدت لها اخت بعد سنتين وهي مثلها تماماً في الصفات المتقدمة . وولدت بعدها اخت اخرى وهي صحيحة البصر تنظر مثل غيرها من الناس فهل من تعليل لذلك وهل لهُ دواء

ج . يظهر لنا من سؤَالكم ان العلَّة في العصب البصري نفسهِ فان كان الامر كذلك فلا دواء لها غير التمرين المستمر لعلهُ يقوي العصب . ولكن يحتمل ان تكون العلَّة في الرطوبة البلورية او الزجاجية وقد يسهل على طبيب العيون ان يكتشف ذلك وان يعالجهُ ايضاً بما يزيد شفافيتهما . ويصعب تعليل هذه العلَّة اي تعليل وجودها ويحتمل ان يكون سببها ميكروبيًّا فقد علم ان بعض

الميكروبات المرضية تنتقل الى دماغ الجنين من امهِ وتؤَثر في بنيتهِ

(١٤) شجر المنجو

قنا . الخواجه اسحق ابادير . عندنا اشجار منجا تطرح طرحاً معتدلاً ولكن يتساقط طرحها قبل ان يتماسك وما بقي يسقط قبل ان ينضج فما سبب ذلك وما الطريقة التي يمكن ان نتخذها لوقايتها منهُ

ج . المنجو يجود في كل الاراضي تقريباً اذا كانت بعيدة عن البحر ولكن لا بدَّ من الاعتناء بريهِ جيداً فيجب ان يروى عندكم كل نحو سبعة ايام او ثمانية وهو في حال الازهار وعقد الثمر وتطال الفترات كثيراً بعد ان يجنى ثمرهُ او لا يروى حينئذٍ ابداً . فجربوا ريَّهُ على هذه الكيفية

(١٥) شجر القشطة

ومنهُ . عندنا اشجار قشطه تطرح طرحاً معتدلاً كل عام ولكن يسقط ثمرها عندما يصير كالليمونة في الحجم فما السبب وما هي الطريقة التي تمنعهُ

ج . لا تجود القشطة في الاماكن البعيدة عن البحر او الشديدة الجفاف . والظاهر ان هذا هو سبب سقوط ثمرها عندكم قبلما يتم نموهُ فان كان هذا هو السبب فمن المحتمل ان زيادة الري تصلحهُ

(١٦) تسويس الرمان

ومنهُ . ما السبب في تسويس الرمان وما الطريقة التي تحفظهُ من السوس

ج . السوس على انواعهِ حشرات صغيرة تبيض على ظاهر الثمرة فتتولد دودة من كل بيضة وتخرق الثمرة وتدخل قلبها لتعيش فيهِ فاذا عُرف زمن وضع البيض على ثمر الرمان ونزع عنهُ سلم الرمان منهُ او يلف الرمان باكياس محكمة من البوص حتى يتعذر على الحشرات الدخول اليهِ فيسلم من السوس

(١٧) الموز الجيد

ومنهُ . عندنا نوع من الموز ولكنهُ بلا رائحة وبلا طعم وهو اميركاني الجنس فنرجو ان تفيدونا عن محل يمكننا ان نشتري منهُ نوعاً من الموز مثل الذي يباع في اسواق مصر

ج . الموز الذي يباع في اسواق مصر انواع مختلفة اكثرها الآتي من جمايكا وغيرها من جزائر الهند الغربية وهذا لا سبيل اليهِ الاَّ اذا استحضرت فسائلهُ من تلك الجزائر . وما بقي فموز بلدي او هندي وكلهُ يمكن ابتياع فسائلهِ من جنائن الوجه البحري

(١٨) ابن المقفع

مصر . الخواجه ادوار سمعان . هل كان عبد الله بن المقفع الكاتب البليغ مسيحيًّا او مسلماً

ج . كان مجوسيًّا فاسلم

(١٩) قاموس اليازجي

ومنهُ . سمعت ان المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي الَّف قاموساً عربيًّا ولاسباب لم يطبع

فهل ذلك صحيح وان كان صحيحاً فما هي تلك الاسباب التي حالت دون طبع كتاب نفيس كهذا

ج . اقترحنا على علماء العربية في مقتطف مايو سنة ١٨٨١ وضع قاموس مختصر يشتمل المأنوس من كلام الاولين والضروري من مزيدات المتأخرين واخترنا لهُ المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي فاتانا جوابهُ فنشرناهُ في مقتطف يونيو سنة ١٨٨١ وهذا نصهُ

« قد صرنا والحمد لله في عصر نُقترَح فيهِ التآليف اقتراحاً وتجد من الخواطر ميلاً وارتياحاً بعد اذ كانت تُعرَض فلا تُلفى من النفوس الاّ إعراضاً ومن الوجوه الاّ انزواء وانقباضاً وبعد اذ نضب حائر العلم ومعينهُ وذوت عذَبانهُ وغصونهُ وأذَّنَ منادٍ بهِ ان تلك أُمَّةٌ قد خلَت ودولة بُدّلت والله يخلف من حالٍ حالاً ويجعل لكل زمانٍ دولةً ورجالاً

« ولقد وقفت على ما اقتُرِح عليَّ بلسان المقتطف الاغر من وضع كتابٍ في اللغة تُنالُ فوائدهُ على السهولة والقرب ويضع الهناء من حاجة هذا العصر مواضع النقْب يشتمل على المأنوس من كلام العرب الاولين ويأخذ بنصيبٍ مما طرأ من موضوعات المولَّدين والمحدثين وهي غاية يطلع امثالي دونها على قدم الوجى وبغية ما زلت ارتاد لها منابت الفضل ومواقع غيوث الحجى . ولقد طال ما وددت لو نفث الله في قلب احدٍ من علماء هذا الاوان ممن احرزوا أنداب البراعة في مضمار اللسان ان يتصدّى لوضع مثل هذا الكتاب ويكفل هذه الحاجة لانفس الطلاب لما رأيتُ في خوض فدافد اللغة من المسافات المترامية وما في جوب تلك المسافات من المسالك المتعادية حتى وردتُ من الآمال كل منجع ولم يبقَ في قوس الانتظار منزع والضرورة لا يفتر داعيها والحاجة لا يكفُّ تقاضيها فلم أجد الاَّ ان اقتعد غارب الهمَّة على ما بها من القعود واحثَّها على ركوب هذه العقبة الكؤُود على علمي بان هذه الخطَّة تفوت مسافة ذرعي ويضيق عنها نطاق وسعي ولكني استعنتُ الله على بلوغ النجاح ووطَّنت نفسي على استفراغ الجهد وما بعد بذل الطاقة من جناح . وشرعت في وضع كتابٍ من مثل ما أُشير اليهِ في الاقتراح مقتصراً على الفصيح دون المولَّد والمحدَث في الاصطلاح لاني رأيتهما طرفين لا يلتقيان ولا تزآلف منهما حلقتا بطان فضلاً عمَّا يقتضي بحث الطارىء من التجرُّد والجهد واخلاء الذرع للبلوغ الى القصد فلا بدَّ من افراد هذا القسم في كتابٍ مخصوص يُحاط بهِ بعد مراجعة الكتابات والنصوص

وقد وضعتُ الكتاب على نسقٍ لم اكن متابعاً فيهِ ولا مقلّدًا ولا متحديًا ممَّن سبقني احداً . فاني اعتبرتُ فيهِ جانب المعاني في كل مادَّةٍ فقدَّمتُ منها ما حسبتهُ الاصل في

ذلك التركيب ثم الحقتُ بهِ ما تفرَّع عنهُ من طريق المجاز الاقرب. فالاقرب الى ان تنقطع سلسلة الترتيب . وما بقي بعد ذلك مقتضباً عن ذلك النظام ذيَّلتهُ في آخر المادَّة وختمتها بالمشهور من الاعلام وكل ذلك على اسلوب مختصر اطَّرحتُ فيهِ الوحشيَّ من اللفظ والمهجور في استعمال الفصحاءِ وتجنَّبتُ ما يُستحى منهُ من الفاظ السوءات وما يُضاف اليها ممَّا تبذأُهُ نفوس الادباءِ . وكنتُ قد بلغتُ في تسويدهِ الى آخر حرف الحاءِ المهملة ممَّا يقدَّر بالربع او يزيد ثم اعترضني من تنقيح اسفار العهدين التي تمَّ تعريبها على ايدي مرسلي اليسوعيين ما ثبطني عن المزيد فارجأتهُ وفي النفس منهُ اشياءُ وفي الصدر حزازاتٌ لا تقبل الشفاءَ الى ان يُسّر لي الفراغ من ذلك العمل بعد سنوات ثمانٍ وفي المأمول اني سأعود قريباً الى اتمام ما بدأتُ على مَدَد الرحمان واياهُ أَستوهب السلامة والسداد وعليهِ توكلي في المبدإ والمعاد» انتهى

ولم يبلغنا بعد ذلك انهُ اتمَّ ما بدأ بهِ وهذا كل ما نعلمهُ من امر هذا القاموس

باب الاخبار العلمية

مذهب دارون منذ مئة سنة

كتب الدكتور غادو من كمبردج الى جريدة نانشر يقول انهُ عثر على كتاب لفردرك تدمن نُشر سنة ١٨١٤ يقول فيهِ «كثيراً ما كان يقتتل ذكور بعض الحيوانات لاجل الاختصاص بالاناث ولهذا القتال شأن كبير جدًّا على ما يظهر في تقوية النسل لانهُ يقرض الضعيف من امام القوى فيكون النسل منهُ فقط». وكان تدمن من علماء الحيوان في عهدهِ . وعليهِ فقد سبق دارون الى القول بالانتخاب الجنسي . ويظهر من اقوال اخرى لهُ انهُ قال ايضاً بتولُّد الانواع بعضها من بعض بانياً قولهُ على ما يرى في طبقات الارض الجيولوجية من اختلاف متحجراتها

ثقب الجماجم

كان القدماء يثقبون الجماجم اذا اصاب الدماغ آفة لمعالجتها . وقد قرأ الدكتور لوكاس شمبيونيه مقالة في اجتماع الاكادميات الخمس في باريس بيَّن فيها ان ثقب الجماجم كان معروفاً عند اسلاف الغاليين وعند

سكان اميركا الاصليين . وكانوا يثقبون الجمجمة بقطع الصوان (الظران) وقد ثقب هو جمجمة بصوانة في ٣٥ دقيقة . والظاهر ان القدماء كانوا يعتقدون ان الصداع والصرع يحدثان من وجود الارواح الشريرة في الدماغ فيثقبون جمجمة المصدوع والمصروع لكي تخرج الروح من دماغهِ . وقد رأى هو رجلاً من اهالي بسكرة في الجزائر وفي رأسهِ اربعة ثقوب وقال هذا الرجل انهُ هو واخوهُ ثقبا رأس ابيهما اثنتي عشرة مرة . ولا دليل على ان الشعوب المتمدنة القديمة كاليونانيين والمصريين والعرب والهنود والصينيين كانوا يثقبون جماجمهم ولا على ان زنوج افريقية كانوا يفعلون ذلك

البقر الحلاَّبة

بلغ وزن ما حلبتهُ بقرة من نوع جرزي في مدرسة مشيغان الزراعية باميركا في سنة واحدة ١٨٧٨٣ رطلاً (ليبرة) من اللبن استخرج منها ١١٣٢ رطلاً من الزبدة . واكثر ما حلبتهُ بقرة قبلها في السنة كان ١٧٢٥٨ رطلاً واذا حسبنا ثمن رطل اللبن نصف غرش (وهو يباع الآن في القاهرة بغرش) فما حلبتهُ البقرة الاولى يساوي ٩٣٩١ غرشاً او نحو ٩٤ جنيهاً وبقرة مثل هذه تساوي ابنتها خمس مئة جنيه فلا عجب اذا ساوت هي خمسة آلاف جنيه

ركوب الهواء

كتبت مجلة المهندس الانكليزية على اثر احتراق بلون زبلن المسيَّر ان الحالة التي وصلت اليها البلونات المسيَّرة حتى الآن لا تفي بالغرض الذي صنعت لهُ بناء وتجاريًّا فالاعتماد عليها في حالتها الحاضرة ضرب من المحال ولا يظهر الآن ان هذه الحالة ستتغير وانهُ ستوجد مواد اخرى لعمل البلونات واساليب اخرى لصنعها

السفن الكبيرة في عشرين عاماً

منذ عشرين عاماً كانت السفينة كمبانيا اكبر السفن البخارية وكان طولها ٦٠٠ قدم وعرضها ٦٥ قدماً وعمقها ٤١ قدماً ونصف قدم والآن اكبر سفينة بخارية الامبراطور طولها ٨٨٠ قدماً وعرضها ٩٠ قدماً وعمقها ٦٣ قدماً فهي تفوق السفينتين موريتانيا ولوزيتانيا جرماً ولكنهما اسرع منها فان سرعتهما بين ٢٥ و ٢٦ ميلاً بحريًّا

الاحتفال باكتشاف اليود

احتفل في ديجون في التاسع من نوفمبر بمرور مئة سنة على اكتشاف عنصر اليود فقد اكتشفهُ الكيماوي الفرنسوي برنار كورتوى من اهالي تلك المدينة سنة ١٩١٢ ثم ابان غاي لوساك سنة ١٨١٥ انهُ عنصر بسيط

مباحث الاستاذ نوغوشي

اجتمعت جمعية الطب الملكية الانكليزية اجتماعاً خاصاً لكي تسمع من الاستاذ نوغوشي الياباني وصف ما اتّصل اليهِ بحثهُ في معهد ركفلر باميركا في ما يتعلق بالحب الافرنجي وشلل المجانين وشلل الاطفال الوبائي والكلب. والتفَّ حولهُ جمهور كبير جداً من الاطباء ليسمعوا اقوالهُ فانهُ بحث في سبعة انواع من ميكروب الحب الافرنجي وميَّز بين ما يحتاج منها الى قليل من الهواء لمعيشتهِ وما لا يعيش في الهواء واكتشف طريقة اضافة قطعة من مادة حيوانية معقمة الى كل انبوبة من انابيب الفحص فيها مستنبت نقي. وهو الذي اكتشف ميكروب الحب الافرنجي في الدماغ في حوادث شلل المجانين العام وهو اكتشاف في غاية الاهمية وهو الذي استخلص مستنبتاً نقياً من جراثيم شلل الاطفال. واستخلص مستنبتاً آخر نقياً من الاجسام المكرسكوبية التي تكون في ادمغة المصابين بداء الكَلَب وهي المعروفة باجسام نغري مكتشفها

قال الجراح ستفن باجت الذي كتب عن هذا الاجتماع لمجلة نانشر ان جمعية الطب الملكية حرية بالمدح لاستدعائها الاستاذ نوغوشي ليخطب فيها فانهُ مثل ابن وطنهِ الاستاذ كيتاساتو في ابتكارهِ وسعة مباحثهِ. فاين اطباؤُنا المصريون والسوريون والاتراك الذين دخلوا مدارس الطب قبل اليابانيين وحتى الآن لم نرَ لاحدهم اكتشافاً مهماً في موضوع طبي

جوائز نوبل

اقرَّت اكادمية العلوم الاسوجية على اعطاء جائزة نوبل في الطبيعيات للاستاذ كرملين اونس من اساتذة ليدن وجائزتهُ في الكيمياء للاستاذ ورنر من اساتذة زورك وجائزتهُ في العلوم للاستاذ شارل ريشه استاذ الفسيولوجيا في جامعة باريس . وقيمة كل جائزة ٧٨٨٠ جنيهاً

الخمير في العصير

ثبت ان في عصير بعض الخضر كالكرنب (الملفوف) والبصل والفجل والزنجبيل مادة خميرية ولا سيما في عصير البصل والزنجبيل

قيمة المنسوجات الانكليزية

بلغت قيمة المنسوجات الانكليزية التي نسجت سنة ١٩٠٧ من كل الانواع ٣٣٣ مليون جنيه وقد اشتغل في غزلها ونسجها وصبغها ١٢٥٣٠٠٠ نفس والمرجح ان عدد الكيماويين في معامل الغزل والنسج والصبغ لا يقل عن ٦٠٠ ولكن عند شركة واحدة من شركات الصبغ بالانيلين في اوربا ٧٠٠ كيماوي

دماغ البرنس كتسورا الياباني

استخرج دماغ البرنس كتسورا حسب وصيتهِ ووضع في معرض جامعة طوكيو الامبراطورية باليابان وقد وزن فوجد ثقلهُ ١٦٠٠ غرام مثل ثقل دماغ الفيلسوف كنت

السر وليم بريس

يذكر قراء المقتطف ان السر وليم بريس كاد يكتشف التلغراف اللاسلكي قبل مركوني فانهُ اوصل الاشارات التلغرافية من غير سلك نحو ثلاثة اميال معتمداً في ذلك على الكهربائية التي تتهيج بالمجاورة لا على كهربائية هرتز ولما جاء مركوني الى بلاد الانكليز بكهربائية هرتز كان السر وليم بريس اول المساعدين لهُ مع ان السر اوليفر لدج قال باستعمال كهربائية هرتز لنقل الاشارات التلغرافية من غير اسلاك قبل مركوني ولكن لم ينتبه احد الى العمل بقولهِ . وقد توفي السر هنري في ٦ نوفمبر وكانت ولادتهُ في ١٥ فبراير سنة ١٨٣٤ وقضى عمرهُ مشتغلاً بالهندسة الكهربائية

هبة لاولاد الفلاحين

اوصى المستر جبسن بنحو مئتين وخمسين الف جنيه لينفق ريعها على تعليم اولاد الفلاحين في جانب من بلاد الانكليز

الطيور القواطع

ذكرنا غير مرة ان احد الروسيين علق اسطوانة صغيرة من النحاس في عنق بجعة ووضع فيها ورقة كتب فيها اسمهُ ومحلهُ بلغات مختلفة واطلق تلك البجعة فاصطادها واحد في قلب بلاد السودان واتى بها الى خليفة المهدي وكان سلاتين باشا في اسرهِ فاراهُ الورقة فقرأها لهُ ثم لما دارت الدائرة على الخليفة واتي بما وجد في بيت الامانة الى مصر وجدت تلك الاسطوانة بينهُ وفيها الورقة المشار اليها وقد اطلعنا عليها واُخبر الرجل الروسي بما كان من امرها

وقد اهتم قراء مجلة الطيور البريطانية بتعليق حلقات في الطيور التي تأتي بلادهم في فصل الصيف وتغادرها في الشتاء كتبوا عليها اسماءهم واماكنهم ويقال انهم علقوا هذه الحلقات في رقاب ٣٢٠٠٠ طائر واطلقوها فوجدت سنونة منها في مستعمرة نهر اورنج والذي وجدها كتب الى صاحب الحلقة يخبرهُ بما وجدهُ وذلك في ١٦ مارس الماضي والذي وضع الحلقة وضعها في بلاد الانكليز في ٢٧ يوليو سنة ١٩١٢ . ووجدت سنونة اخرى في ناتال في شهر دسمبر الماضي وفي عنقها حلقة من هذه الحلقات فقطعت من بلاد الانكليز في اقصى الشمال الغربي من اوربا الى بلاد ناتال في اقصى الجنوب الشرقي من افريقية

ومرت فوق صحراء افريقية الواسعة ولم تعبأ بها وذلك من اغرب الغرائب

التيفويد في بعض العواصم

كتب بعضهم الى جريدة المعرفة الانكليزية يقول ان عدوى التيفويد لا تأتي من شرب مياه الانهر الملوثة بميكروباتها كما هو شائع الآن بل من الناس الذين يحملون هذه العدوى وتنتقل منهم الى الاصحاء واستشهد على صحة قوله بقلة عدد الوفيات بالتيفويد في بعض المدن وكثرتها في البعض الآخر وماء الاولى ليس انقى من ماء الثانية كما ترى في الامثلة التالية وقد ذكرت فيه المدن وعدد سكانها ومقدار وفيات التيفويد في السنة من كل مئة الف من السكان

المدينة	سكانها	الوفيات
ادنبرج	٠٣٢٠ ٠٠٠	١٫٣
برلين	٢ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٫٣
لندن	٧ ٢٨٠ ٠٠٠	٣٫٣
فينَّا	٢ ٠٠٠ ٠٠٠	٣٫٨
باريس	٢ ٧٥٠ ٠٠٠	٥٫٦
بوستن	٠٦٧٠ ٠٠٠	١١٫٣
نيويورك	٤ ٧٦٦ ٠٠٠	١١٫٦
فيلادلفيا	١ ٥٤٩ ٠٠٠	١٧٫٥
وشنطون	٠٣٣١ ٠٠٠	٢٣٫٢
منيابوليس	٠٣٠١ ٠٠٠	٥٨٫٧

المخترعات العشر الاعظم

اعلنت جريدة السيَنتفك اميركان انها تعطي الجوائز للمقالات الثلاث الافضل التي تصف المخترعات العشر الاعظم التي اخترعت منذ خمس وعشرين سنة الى الآن . فتبارى الكتاب في كتابة المقالات وفي تفضيل بعض المخترعات على البعض الآخر فكانت النتيجة ان التلغراف اللاسلكي نال ٩٧ صوتاً وهي الاكثر والآلة التي يحترق وقودها داخلها كآلة الاوتوموبيل نالت ٣٣ صوتاً وهي اقلها وما بينها من المخترعات بين بين كما ترى في هذا الجدول

التلغراف اللاسلكي	٩٧	صوتاً
الاروبلان	٧٥	«
اشعة اكس	٧٤	«
الاوتوموبيل	٦٦	«
الصور المتحركة	٦٣	«
الخرسانة المسلحة	٣٧	«
الفونوغراف	٣٧	«
المصباح الكهربائي	٣٥	«
التربين البخاري	٣٤	«
المركبة الكهربائية	٣٤	«
الآلة الحاسبة	٣٣	«
آلة الاحتراق الداخلي	٣٣	«

السبكترو

السبكترو نوع جديد من الزجاج الضارب

الى الخضرة صنعهُ بيت وطسن واولادهِ لكي تصنع منهُ النظارات (العوينات) فيحجب الاشعة التي فوق البنفسجي من النور و بعض الاشعة الحمراء ويبقى سائر الاشعة المنيرة فهو خير انواع الزجاج لعمل العوينات التي تقي العينين من نور الشمس الساطع والنور الكهربائي الباهر

حرارة الشمس والغبار البركاني

ان كل الاسباب التي قيل بها تعليلاً لحدوث الادوار الجليدية في غابر الزمن وانقضائها لا تكفي لتعليلها فعدل العلماء عنها الآن او قلّلوا من الاعتداد بها . وقد ذهب الاستاذ همفرس الاميركي الآن الى ان كثرة الغبار البركاني في اعالي جو الارض يقلل شدَّة حرارة الشمس الواصلة الى سطح الارض ومن رأيهِ ان ذلك كان في الازمنة الغابرة سبباً لاشتداد البرد على سطح الارض في اوقات مختلفة حسب ثوران البراكين فنتج عنهُ اشتداد البرد وحصول الادوار الجليدية

سم الضفادع وسم الافعى

من المعلوم ان في جلد الحيوانات التي تعيش في الماء واليابسة كالضفادع مادة سامَّة . وقد وجدت مدام فيسالكس انهُ اذا حقنت ارنب بشيء قليل من هذه المادة السامَّة وقيت من فعل المقدار الكبير بها وهذا امر منتظر ولكن ليس العبرة بهِ بل بان الحيوان الذي يوقى من سم الضفدع يوقى ايضاً من سم الافعى

برغوث البحر

بحث الاستاذ بيرس الاميركي في طبائع برغوث البحر (القريدس او ابو جلمبو) من النوع الجني فوجد ان ذكورهُ شفافة لا تكاد ترى وشفافيتها تقيها من اعدائها واناثهُ حمراء اللون فترى بسهولة وقلما تخرج من كنها ولكن الذكور تراها بسهولة لحمرة لونها ومتى تزاوجت مع الذكور تعود الى كنها وتقيم فيهِ الى ان تبيض وتولد فراخها

هبات اميركية

اعلنت غرفة التجارة في مدينة نيويورك ان واهباً اخفى اسمهُ بعث اليها بخمس مئة الف ريال (اي مئة الف جنيه) لكي تبني بها مدرسة للتجارة . وانتها هبات اخرى قيمتها خمسون الف ريال من اربعة من المكتتبين

وقدرت النفقات اللازمة لبناء مدرسة هندسية صناعية في ولاية مستشوستس باميركا بعشرة ملايين من الريالات اكتتب منها حتى الآن بسبعة ملايين وثلثمئة الف ريال

واعلنت جامعة كاليفورنيا ان مسز ساثر منحتها ربع ١٢٠٠٠٠ ريال لكي يكون اجرة استاذ في علم الآداب القديمة ومنحتها ايضاً مبلغاً مثل هذا ليكون ريعهُ راتباً لاستاذ التاريخ ومئتي الف ريال لبناء برج من الرخام

ارتفاعهُ ٣٠٠ قدم يقام تذكاراً لزوجها و٥٠٠٠ ريال لوضع الاجراس فيهِ

ووهب واهب اخفى اسمهُ كلية لا فايت تسعين الف ريال

مصاحّ المسلولين

عقد موتمر السل العام في برلين في اواخر اكتوبر الماضي ومما قيل فيهِ ان عدد المصاح التي يقيم فيها المسلولون مستشفين بهوائها النقي بلغ الآن في المانيا وحدها ١٤٧ وفيها ١٥٢٧٨ سريراً وان في المانيا ١٠٣ معاهد لمعالجة الاولاد المصابين بالسل فيها ٩٠٠٠ سرير و١١٤ مصحًّا في الغابات و١٧ مدرسة في الغابات وقد اخذت مستشفيات المانيا تبني اجنحة مخصوصة فيها للمسلولين فبنت اكثر من ٢٠٠ جناح

عصر الكهربائية

بلغ عدد المعامل التي تعمل الآلات الكهربائية في الولايات المتحدة الاميركية ١٠٠٩ سنة ١٩٠٩ وبلغ عدد العمَّال فيها ٥٦٠٠٠ وبلغ رأس مالها ٢٦٧ ٨٤٤ ٤٣٢ ريالاً او اكثر من ٥٣ مليون جنيه وبلغت قيمة ما صنعتهُ تلك السنة ٢٢١ ٣٠٨ ٥٦٣ ريالاً او اكثر من ٤٤ مليون جنيه

معرض بناما

عزم الاميركيون على اقامة معرض عام في مدينة سان فرنسسكو تذكاراً لفتح ترعة بناما وقد قدروا ان نفقات اعداد الارض اللازمة للمعرض وانشاء المباني فيها تبلغ خمسين مليون ريال او عشرة ملايين من الجنيهات وان ثمن المعروضات التي تعرض فيهِ لا يقل عن خمسين مليونًا اخرى من الريالات وستكون مساحة ارض المعرض ٦٣٥ فدانًا

ترعة بناما

تمَّ خرق ترعة بناما في العاشر من اكتوبر الماضي بنسف آخر حاجز فيها فاتَّصلت مياه الاوقيانوس الاتلانتيكي بمياه الاوقيانوس الباسيفيكي. ولم يتم عمل الترعة حتى الآن لتصير السفن تعبرها من ناحية الى اخرى لانها تحتاج الى تنقيح كثير. ولا شبهة ان ترعة بناما اعظم عمل هندسي عملهُ الناس حتى الآن ولم يكن في الامكان ان يتمها ده لسبس كما اتمَّ ترعة السويس لما اقتضتهُ من النفقات الطائلة التي لا تستطيعها الاَّ حكومة غنية مثل حكومة الولايات المتحدة ولان البلاد هناك وبيئة لم تكن اقامة العمال فيها ممكنة الاَّ بعد ان عرف سبب الحميات واتخذت الحكومة التدابير اللازمة لمنع فتكها بالعمال

ولا يعلم حتى الآن ما يكون من تأثير هذه الترعة في تجارة العالم بنوع عام ولا من تأثيرها في ترعة السويس بنوع خاص وقد لا تظهر نتيجة ذلك الاَّ بعد ما يمرُّ على استعمالها بضع سنوات

فهرس الجزء السادس من المجلد الثالث والاربعين

صفحة



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

يعقوب صرّوف دكتور في الفلسفة
وفارس نمر دكتور في الفلسفة

المجلد الثالث والاربعون

يوليو الى دسمبر سنة ١٩١٣

قيمة الاشتراك في السنة جنيه افرنجي (٢٥ فرنكاً) يدفع سلفاً

AL-MUKTATAF

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

EDITED BY
Y. SARRUF, Ph. D. AND F. NIMR, Ph. D.

VOL. XLIII
July - December 1913.

Al-Muktataf Printing Office,
Cairo, Egypt.

فهرس المجلد الثالث والاربعين

اعلانات المقتطف

المقتطف اقدم المجلات العربية واوسعها انتشاراً فيطالَع ويحفظ في كل بلاد تقرأ فيها اللغة العربية وكل اعلان ينشر فيهِ يطَّلع عليهِ الوف من قرَّاء العربية في كل اقطار المسكونة

وفائدة الاعلانات في ترويج البضائع والاشغال من كل الانواع اشهر من ان تذكر حتى ان محلاَّت كثيرة في اوربا واميركا تنفق سنوياًّ الوفاً من الجنيهات على نشر الاعلانات وترى انها تربح من ذلك ربحاً كبيراً واذا قلَّلت اعلاناتها في سنة من السنين قلَّ بيع بضائعها ومصنوعاتها وقلَّ ربحها كثيراً

وقد رأينا ان نعيد نشر الاعلانات في المقتطف لاسيما وان كثيرين من قرَّائهِ يسألوننا من وقت الى آخر عن الاماكن التي تباع فيها بعض الكتب وبعض المواد وعن اثمانها ونحو ذلك فنهمل الاجابة على اسئلتهم غالباً لضيق المكان في باب المسائل ولان مسائلهم خاصَّة بهم · ففي باب الاعلانات مجال واسع لاصحاب الكتب واصحاب المواد المختلفة لنشر اعلاناتهم عنها

والمخابرة في اجرة النشر مع ادارة المقتطف بمصر

